kitabweb-2013.forumsmaroc.com

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني

المدارس
شركة النشر والتوزيع
المدارس
٥٥ شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

مظاهر يقظة
المغرب الحديث

الخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
رقم الإيداع القانوني 1 ـ 1985

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني

الجزء الأول

شركة النشر والتوزيع
المدارس
٢، شارع الحسن الثاني - الدار البيضاء

حقوق إعادة الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

طبع بالاشتراك

دار الغرب الإسلامي
ص.ب ١٣٨٧/١١٥ بيروت - لبنان

شركة النشر والتوزيع المدارس
٢٥ شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

رقم 56 / 2000 / 2 / 85

التنضيد : سامو برس

الطباعة : مطبعة المتوسط ـ بيروت ، لبنان ـ تلفون 811373 / 811385

كلمة افتتاحية

شهد مغرب القرن التاسع عشر حركة تجديدية ولو أنها محدودة ، وساهم فيها ـ الى جانب أولياء الأمور ـ طبقات شعبية متنوعة .

وسيعنى هذا الجزء الأول بتقديم ما طالت اليه اليد من ملامح هذه الحركة ، دون ان أبخس أيا من الاطراف المساهمة نصيبها من المشاركة في وضع اللبنات الأولى للمغرب الجديد .

وقد كان دور الحكم ـ في هذه الفترة ـ يهدف الى محاولات لادخال اصلاحات حديثة على أوضاع المغرب ، نظير الواقع في تركيا والشرق العربي .

وهكذا مست الاصلاحات الرسمية الجهاز الاداري ، والدفاع ، والاقتصاد ، والمواصلات .

وواكب هذه البارقة انبعاث في دراسة الرياضيات والفلك والفنون العسكرية ، واتجهت بعثات مغربية للدراسة بمصر و أوروبا ، وانبثق عن هذا وذاك بزوغ تجارب في الترجمة الى العربية ، وظهور ابتكارات لعدد من الأجهزة الفلكية ، وصنفت مؤلفات رياضية أو فلكية اقتبست من النظريات الحديثة ، كما أن الطباعة العربية دخلت الى المغرب لأول مرة .

ومن جهة أخرى لمع انبعاث ـ من طراز آخر ـ في صفوف العلماء ، وتمثل في تأثر أفراد منهم ببعض معطيات المعارف الجديدة ، كما اضطلع آخرون بالكتابة ضد

الامتيازات الاجنبية ، ولفائدة تنظيم الجيش أو الادارة ، وتارة للدعوة إلى الجهاد ، وفي الوقت نفسه بدأت الصحافة العربية في الظهور بالمغرب ، وساهم الأدباء ـ من جهتهم ـ في اذكاء مسيرة الانبعاث ، وأخيراً : برزت طلائع المعارضة الشعبية .

ومهما كانت العوامل التي أدت الى فشل هذه المحاولات الرسمية أو الشعبية ، فانها جديرة بتسجيل ملامحها ، وتجلية مظاهرها ، بعد أن ظل اكثرها مغموراً بالمرة .

***

وهذا ما حفزني إلى الاهتمام بهذا الموضوع بالذات ، حيث سبق أن نشرت أقساماً منه في المجلات المغربية ، وعلى العموم فقد تركت هذه الاقسام في صياغتها القديمة ، غير أني نقحتها وعدلت بعض ترتيباتها ، وأضفت لها زيادات تناهز نصف هذا الجزء الأول ، ثم نسقت ذلك كله تنسيقاً تأليفياً متكاملاً .

وقد حرصت في هذه الدراسة أن لا أتوسع في شرح بعض النقط التي نشرت من طرف مؤلفين سابقين ، واكتفيت بالاشارة لها والاحالة على مصدرها .

وبالنسبة الى المعلومات الجديدة وهي أكثر مواد هذا الجزء ، تتبعت البحث عنها ـ جهد الامكان ـ في الخزائن العامة والخاصة ولدى عدد من الأفراد ، ومن خلال بعض النقوش والكتابات الأثرية ، وتوسعت في عرض حصيلة ذلك كله ، وعند الاقتضاء : اثبت النص الوجيز أو البسيط بمجموعه ، سواء في ذلك الوثائق أو النصوص الأخرى ، حتى يخرج الباحث بالنتيجة المرضية ، ويطلع على المستندات التي تهمه ، والله ـ سبحانه ـ الملهم للصواب .

تحريراً بالرباط ، في يوم الجمعة : 24 شوال عام 1392هـ ، الموافق 1 دجنبر سنة 1972م .

المؤلـف

تصميم الكتاب

ستعرض هذه الدراسات معطيات الانبعاث المغربي في أيامه الأولى : من احتلال الجزائر عام 1245هـ/1830م ، إلى فرض الحماية على المغرب عام 1330هـ/1912م .

وللتمهيد إلى الموضوع يكون من المفيد البدء بمدخل يحلل الحالة التي صار اليها المغرب في النصف الأول من المائة الميلادية التاسعة عشرة ، وبعد هذا تأتي ملامح هذه اليقظة في ثلاثة ادوار :

الأول : من احتلال الجزائر الى موقعة تطوان عام 1276هـ/1860م .

الثاني : من حرب تطوان الى وفاة الوزير أحماد عام 1318هـ/1900م .

الثالث : يمتد من التاريخ الأخير إلى عام 1325/1908 .

وسيتناول هذا المجلد الأول مدخل الدراسة ، ليأتي بعده الدور الأول فالدور الثاني .

حالة المغرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر م

مركز المغرب في هذه الفترة

الى اوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق أواخر القرن الثامن عشر الميلادي : كانت دول الغرب لا تزال تحفظ للمغرب هيبته ، لما تعلم من قوة أساطيله في البحر ، واستحكام دفاعه في البر ، ولم تنس أوروبا ان المغرب استطاع ان يحرر أكثر ثغوره من الاحتلال الأجنبي ، وآخر ذلك مدينة الجديدة التي حررها المغاربة من يد البرتغال عام 1768/1182 . أي خلال القرن الثامن عشر الميلادي الذي ازدهرت فيه قوة أوروبا .

وكانت دول الغرب التي تستفيد من المياه المغربية دأبت على ان تؤدي للمغرب ضريبة سنوية ليستديم الصلح بينها وبين المغرب في البحر ، وقد استمرت السويد والدانمارك على أداء هذه الضريبة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

وسبب ذلك كله ان كثيراً من معدات الحرب وسائر وسائل الحياة كانت متقاربة في الجملة ، وكانت مدنية أوروبا لا تزال لم تخرج كثير من نظرياتها العلمية وأعمالها التجريبية الى المجال العملي وحيز التطبيق ، فلذلك لم يظهر قبل القرن الثالث عشر الهجري كبير تفوق للغرب على غيره .

حتى اذا حل القرن التاسع عشر م أخذت المدنية الغربية تأتي ثمراتها ، فاستخدمت القوة البخارية ، ثم القوة الكهربائية ، وتوصلت بهما الى مخترعات كثيرة وعظيمة ، قلبت الاوضاع ، وقربت الابعاد ، ورفعت مقام الغرب عالياً .

لم يقتبس المغرب أول الأمر من هذه المدنية ، شأنه في ذلك شأن سائر العالم الإسلامي الذي وقف كله حذراً من هذه الحضارة الجديدة ، حيث رآها تدشن تقدمها بانقضاض الغرب على الشرق : هذه جنود نابليون بونابرت تهاجم مصر والشام وتحتلها ، بينما انجلترا تتوغل في الهند ، والادهى من هذا وذاك ان دولة الاسلام العظيمة دولة آل عثمان تشتبك منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري مع روسيا في سلسلة حروب تخرج منها الدولة العلية وقد انفصلت عنها أجزاء لصالح روسيا .

ومع هذا كله فيا ليت العالم الاسلامي ابتدأ إذ ذاك يأخذ من حسنات مدنية أوروبا ، ولو فعل لتغير مجرى تاريخ هذه المدنية ، ومجرى تاريخ الشرق كله ، ولكن المسلمين لما وقفوا من هذه المدنية موقف الحذر ولم يأخذوا بها ، انقلبت عليهم شراً مستطيراً لا يبقى ولا يذر . وقد وصف هذه الحالة بعض الكتاب الكبار[1] في العبارات التالية :

« . . . لهذا شقي الشرقيون المسلمون في أول أمرهم بالحضارة الغربية شقاء بالغاً ، وذاقوا من الاتصال بها بلاء شديداً ، حتى لم يقو الجميع على احتمالها ، فأخذت نواحي الحياة الشرقية تتهدم الواحدة تلو الأخرى. . . . ولا تكاد تمر العشرات الأولى من سني القرن التاسع عشر ، حتى يبدو للناس أن الشرق الإسلامي سائر ـ حتما ـ الى الزوال » .

وكان نصيب المغرب من شرر هذه المدنية التي تتطاير على من لم يأخذ بها ، ان اضطر السلطان سليمان لان يمنع المغاربة من التجارة لاراضي الغرب ![2] .

كارثة الاسطول المغربي

والادهى من ذلك ان هذا السلطان اضطر لحل الاسطول المغربي العتيد ! ففي عام 1817/1233 منع رؤساء الاسطول المغربي من الجهاد في البحر ، ووزع بعض قطعه على

---

(1) هو الدكتور حسين مؤنس في كتابه : « الشرق الاسلامي والعصر الحديث » ص 114-115 الطبعة الأولى .
(2) « الاستقصا » : الطبعة المصرية ـ ج 4ص 151.

الايالات المجاورة للمغرب مثل الجزائر وطرابلس ، والباقي أنزل منه المدافع وغيرها من آلات الحرب ، وأعرض عن أمر البحر رأساً ، بعد أن كان الاسطول المغربي أكثر وأحسن من أساطيل الجزائر وتونس[1] .

ما الذي حمل المولى سليمان على اتخاذ هذا القرار الخطير الذي ترك شواطىء المغرب مكشوفة ليس لها من أسطول يحميها ؟ هل حب العزلة بلغ به الى هذا الحد ؟ كلا . . . بدون شك هناك سبب قاهر هو الذي دفع به للاقدام على هذا العمل البالغ الغاية في الخطورة ، وليس ذلك الا ضغط ما كر من بعض الدول التي ضاقت بالاساطيل العربية العتيدة ، فصارت تستعمل مختلف الوسائل لتدميرها : مرة باسم منع القرصنة ، ومرة بهجوم سافر عليها ، حتى تبقى الشواطىء التي تقلق بال هذه الدول مكشوفة ، ولاجل ان نقتنع بوجود هذا الضغط العنيف على سلطان المغرب ، نسوق أمثلة للمؤامرات التي كانت تبيتها طائفة من الدول الكبار للقضاء على الاسطول الإسلامي أينما كان بالمشرق أو المغرب :

جاء في « كتاب الجزائر » للأستاذ احمد توفيق المدني :[2]

« قرر مؤتمر « ايكس لاشابيل » في 30 سبتمبر 1818 / [1234] : الغاء القرصنة . وسافر وفد انجليزي فرنسي الى الجزائر ليقنع الباشا بوجوب العدول عن تلك الحرب البحرية . الا ان كل المحاولات ذهبت عبثاً ، وأصر حسين على أنه يستمر على حربه البحرية مع كل دولة لا تتعاقد معه بمعاهدة ، وفي 12 جويلية1824 جاء الاسطول الانجليزي لمحاربة الجزائر ، واستمرت الحرب الى يوم 29جويلية ، ولم يستطع الانجليز ان ينال من حصون الجزائر أو أسطولها اي منال فقفل راجعاً » .

واذا كانت انجلترا اندحرت هذه المرة أمام الاسطول الجزائري ، فقد نجحت الى حد بعيد بعد هذه الموقعة بأعوام ثلاثة فقط في إغراق الاسطول العثماني العتيد .

---

(1) المصدر ج 4 ص 151.

(2) الطبعة الأولى ـ ص 42.

ففي عام 1827/1243 ـ إبان ثورة اليونان على الدولة العلية ـ بينما الاسطول العثماني وأساطيل الولايات التابعة للخلافة : مصر ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر : راسية للاحتراس بالسواحل اليونانية قبالة أساطيل الدول المعاضدة لليونان تحت قيادة الأميرال الانجليزي : في هذا الوضع ، ومن غير اعلان بالحرب ، ورد الاسطول الانجليزي على الاسطول العثماني في صورة المعاضد ، لان السلم كان متأكداً بين الدولتين ، ولم يكن بينهما شائبة حرب بالمرة ، وأشارت الاساطيل بعضها الى بعض بعلامات السلم ، فلم تلبث ان تخللت بين الاساطيل العثمانية ، حتى اذا تم تمكنها منها أطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد ، مع شدة الالتحام والتداخل ، والمسلمون في حالة الدعة اعتماداً على السلم المحقق ، فهلكت جميع تلك الاساطيل وغرقت في البحر دفعة واحدة بمن فيها . . [1] .

وبعد هذه الحادثة التي لا تحتاج الى تعليق ، لانعدم شواهد أخرى تثبت تضايق هذه الدولة ومن على شاكلتها من الاساطيل الاسلامية ، وتقيم بعض العذر للمولى سليمان فيما أقدم عليه ، وسنجد ذلك هذه المرة في موقف الانجليز والالمان من الاسطول العربي في عمان وزنجبار والبحرين :

ففي عام 1809/1224 تمكنت « شركة الهند الانجليزية » من إرسال أسطول الى عمان ليحارب بعض العرب بتهمة القرصنة .

وكرر الانجليز عملهم في عمان مع طوائف أخرى من العرب وصفوهم بالقرصان .

ومن عام 1854/1271 صارت انجلترا تصارح بحقيقة مقاصدها . وهي أنها لا تطيق أن ترى على ثبج البحر مقاتلاً واحداً ان لم يكن تحت رايتها .

---

(1) انظر « صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار والاقطار » تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج 4 ص 43 وج 5 ص 55 ، مع « تاريخ الدولة العلية العثمانية » تأليف محمد فريد بك ص 218 — 217 .

وكانت نهاية مأساة هذا الجزء من الشرق العربي ان هدم الانجليز والالمان دولة زنجبار ، كما هدموا دولة عمان ، ودمروا أسطولها ، كما دمروا أسطول البحرين[1] .

فهذه بضعة شواهد ناطقة بمدى خطورة الغارة التي شنتها بعض دول أوروبا ضد الاساطيل الاسلامية شرقاً ومغرباً .

ومما يكشف عن المؤامرة المدبرة ضد الاسطول المغربي بالخصوص مأساة هذا الاسطول أيام السلطان المولى عبد الرحمن خلف المولى سليمان .

فقد تجاهل السلطان الجديد المؤامرة المبيتة ، وأصدر قراره عام 1827/1243 بإنشاء بعض القراصين لتضم لما كان قد بقي من عهد جده السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، واذن لرؤساء البحر بالعدوتين في الخروج فيها ، فخرج الرئيسان الحاج عبد الرحمن بركاش والحاج عبد الرحمن بريطل ، وغنموا بعض مراكب النمسا لما لم يكن معها رخصة العبور . . .

فماذا كانت نتيجة هذا القرار الذي تجاهل فيه سلطان المغرب نيات أوروبا ؟ كانت النتيجة ان تعرضت إحدى موانىء المغرب لهجوم قطعة من الاسطول النمساوي ، حيث ضرب عام 1829/1245 مرسى العرائش ، وأنزل جنوده للبر لتحرق أسطول هذه المرسى ، وعلى الرغم من صد المغاربة لهذا الهجوم بقوة ، وطردهم للمهاجم : فقد تدخلت انجلترا مع المغرب حتى انتهى الأمر بما طالما تمتته هذه الدولة وأصدقاؤها من جعل حد لنشاط الاسطول المغربي[2] .

وقد علق مؤرخ المغرب الناصري[3] على هذا الهجوم النمساوي وبين الظروف التي حل فيها الاسطول المغربي وقال :

---

(1) توجد تفاصيل عن مأساة هذا الاسطول العربي في « حياة الشرق » لمحمد لطفي جمعه ص 86-102.
(2) راجع الاستقصا ج 4 ص 183-184.
(3) المصدر نفسه ج 4 ص 184.

واعلم ان هذه الوقعة هي التي كانت سبباً في اعراض السلطان المولى عبد الرحمن عن الغزو في البحر ، والاعتناء بشأنه ، فانه ـ رحمه الله ـ لما أراد احياء هذه السنة صادف إبان قيام شوكة الفرنج ، ووفور عددهم وأدواتهم البحرية ، وصار الغزو في البحر يثير الخصومة والدفاع ، والتجادل والنزاع ، ويهيج الضغن بين الدولة العلية ودول الاجناس الموالية لها ، حتى كاد عقد المهادنة ينفصم ، وأكد ذلك اتفاق استيلاء الفرنسيين على ثغر الجزائر ، فوجم السلطان رحمه اللّه ، واعمل فكره ورويته ، فظهر له التوقف عن أمر البحر رعياً للمصلحة الوقتية ، ولقلة المنفعة العائدة من غزو المراكب الاسلامية ، وانضم الى ذلك إعلان الدول الكبار من الفرنج مثل الانجليز ، والفرنسيس :« بأن لا تكون المراكب الا لمن يقوم بضبط قوانين البحر التي يستقيم بها أمره ، وتحمد معها العاقبة ، وتدوم بحفظها المودة على مقتضى الشروط ، ومن مهمات ذلك ترتيب القناصل بالمراسي التي تريد الدولة دخول مراكبها اليها وتجارتها فيها أي دولة كانت ، ومن هذه المهمات ما قد لا يساعد الشرع او الطبع مثل الكرنتينات وما يترتب عليها ، الى غير ذلك مما فيه هوس كبير ، فاشتد عزم السلطان رحمه اللّه على ترك ما يفضي الى ذلك ، وتأكد لديه إهماله لتوفر هذه الأسباب . . . » هذا تعليق « الاستقصا » على هذا الحادث الشنيع ، وهناك جانب خطير في المؤامرة ضد الاسطول المغربي يشير له المؤرخ ابن زيدان[1] ويعلق به على حل هذا الاسطول في العبارات التالية :

« وحدثني من وثقت بخبره انه لما بويع المولى عبد الرحمن علق بعض الاجناس المجاورين للايالة المغربية الاعتراف بسلطنته على إبطال القوة البحرية فامتنع ، وبعد مراجعات وقع الاتفاق على بناء الابراج بثغر الرباط ، فأمر ببناء برج السراط ، وبرج السقالة ، وبرج الدار ، وبرج القصبة ، والسقالة .

ثم ان المترجم هو الذي أمر على وجه السر بتغريق الاسطول البحري المغربي لامر أوجبه » .

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 153-154.

ولم يبين المؤرخ ابن زيدان « الأمر الذي اوجبه » وحقيقته ان فرنسا انتهزت فرصة انهزام المغرب في « موقعة ايسلي » ففرضت على سلطانه ان يلغي من البحر القراصين المغربية ، وتحت هذا الضغط العنيف لم ير سلطان المغرب بداً من ان يبادر فينزل بالاسطول المغربي نهايته الشنيعة[1] .

وهذا يفيدنا أيضاً تاريخ ذلك الحادث المشؤوم ، وانه كان اثر معركة ايسلي الواقعة عام 1844/1360 .

هكذا يختفي الاسطول المغربي من الوجود بعد تاريخ مجيد ، وماض حافل بجلائل الأعمال ، مليء بآيات البطولة والشجاعة المثالية .

وهكذا تنجح المؤامرات الدنيئة في القضاء على قوة المغرب البحرية بعدما قضت وستقضي على قوات بحرية اخرى في مختلف بقاع العالم الإسلامي .

ابتدىء بحل هذا الاسطول ايام المولى سليمان ، ثم اجهز عليه نهائياً ايام السلطان المولى عبد الرحمن ، بعدما كان الى عهد قريب جداً يغالب اساطيل الغرب فيغلبها ![2] فما

---

(1) توجد هذه الحقيقة في مذكرات للطاهر بن محمد ابن عبد السلام ابن الحاج الاودي احد أفراد البعثة الحسنية . اطلق عليها اسم : « الاستبصار » « نسخة خاصة » .

(2) مثال لذلك : « المعركة البحرية » التي دارت على شواطىء طرابلس الغرب بين الاسطول المغربي والاسطول الامريكي أوائل القرن التاسع عشر م ، حيث انتصر فيها الاسطول المغربي !

ففي عام 1218/1803 وجهت امريكا اسطولها الحربي لحصار « طرابلس » التي كانت سفنها تضر بالسفن الامريكية في ذلك الحين ، فهب المغرب لنصرة القطر الشقيق ، وسار الاسطول المغربي يسابق الرياح ، ويطير بأجنحة النسور والعقبان ، لكون سفنه كانت خفيفة ، جامعة بين الشراع : « القلوع » والمجاذف ، فكانت قوة سيرها مضاعفة ، فسبق الاسطول الجزائري عن نجدة اخوانه الطرابلسيين ، وما كاد الاسطول الامريكي يصل الى طرابلس حتى اعترضه الاسطول المغربي فقطعه عنها ، وابلى بلاء حسناً ، فلم تمر الا هنيهة حتى صيره على وجه الماء !.

ولما بلغ ذلك مسامع امريكا بعثت عمارة أخرى الى طرابلس ، ولكن لقيها الاسطول المغربي ثانياً فبدد تلك العمارة الامريكية ، ودام النضال بين الاسطولين زمنا الى سنة 1231/1815 ، حيث صار لأمريكا أسطول قوي لا يستهان به ، فركن الطرفان للمسالمة ، وربط المعاهدة الودادية .

من مقال للمؤرخ المغربي الكبير محمد بن علي الدكالي السلوي : نشره في جريدة « المغرب » عدد ممتاز رقم 346 السنة الثالثة.

السر في هذا التقهقر المفاجيء الذي جعل اسطول المغرب العتيد يستسلم لنهايته الشنيعة دون حرب ولا قتال ؟ السبب واضح : انه الشرارة الأولى من المدينة الغربية تطير على المغرب فتقضي على أسطوله ، وفي الأمر أيضاً درس قاس للمغرب الذي لم يأخذ بالصالح من هذه الحضارة الغربية ، لأن من طبيعة هذه المدنية انها تقضي على كل من لم يأخذ بأسبابها ، سيما من كان جاراً قريباً لها مثل المغرب .

سمع خير الدين التونسي[1] بعض أعيان اوروبا يقول ما معناه :

« ان التمدن الأوروباوي تدفق سيله على الأرض ، فلا يعارضه شيء إلا استأصلته قوة تياره المتتابع ، فيخشى على الممالك المجاورة لاوروبا من ذلك التيار الا اذا حذوه ، وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية ، فيمكن نجاتهم من الغرق » .

مأساة الجزائر

وكارثة ثانية او شرارة اخرى تطير على المغرب فتكون اكبر من سابقتها : انها هجوم فرنسا على الجزائر الشقيقة عام 1830/1246 ، ثم تدخل المغرب تدخلاً مسلحاً لنصرة الجارة القريبة دون جدوى عام 1844/1260 .

تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان

فماذا كانت نتيجة هذا الحادث الجلل بالنسبة للمغرب ؟ كانت ابعد مما يتصور ، واكثر من ان يحيط بها وصف .

ظهر للملأ مدى الضعف والفوضى التي صار اليها الجيش المغربي في هذا العهد المظلم ، بعدما كان الاوروبيون لا يزالون ينظرون له نظرتهم يوم كان يحرر الشواطىء المغربية ويغالبهم فيغلبهم ، حتى اذا كانت موقعة ايسلي انكشف المرض الذي نزل بهذا

---

(1) ذكر هذا في كتابه : « أقوم المسالك ، في معرفة احوال الممالك » ص 50.

الجيش ، فانهزم ـ لأول لقاء ـ جنوده البالغون ثلاثين الف جندي ، امام الجيش النظامي الذي لم يكن يتعدى ـ فيما يقال ـ ثمانية آلاف جندي فقط .

ومن اهم اسباب هذا التأخر الذي طرأ على الجيش المغربي ، عدم اخذه بالانظمة الحديثة التي كان خصمه متوفراً عليها ، وكان هو على الضد من ذلك ، حتى ان قائد الجيش الفرنسي المارشال بيجو لما اشرف على الجيش المغربي من عل قال : « ليس هذا جنداً ، انما هو غوغاء » من كثرة ما كان عليه من الفوضى والضعف[1] .

وصاحب الاستقصا[2] هو الآخر لم ير بدا من أن يسجل على الجيش المغربي هذه الظاهرة المؤلمة في العبارات التالية :

« . . . فالحاصل ان جيش مغربنا اذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لامير الجيش ، لا يملك من امرهم شيئاً ، وانما يقاتلون هداية من اللّه لهم ، وحياء من الامير ، وقليل ما هم ، وقد جربنا ذلك فصح ، ففروا عن السلطان المولى سليمان في وقعة ظيان اولاً ، وفي وقعة الشراردة ثانياً ، وكان السلطان المولى عبد الرحمن اهيب في نفوسهم منه ، فكانوا يلزمون غرزه ، لكنه لما بعثهم الى تلمسان فعلوا فعلتهم ، وسلكوا عادتهم ، ولما شهدوا مع الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن وقعة ايسلي جاءوا بها شنعاء غريبة في القبح . . . » .

ويفيد هذا النص ان انحطاط الجيش المغربي انما ظهر ابتداء من ايام المولى سليمان ، وهو العهد الذي اخذت تتبدل فيه احوال المغرب نتيجة لتغير الاوضاع في اوروبا .

وتبع احتلال الجزائر وضعف المغرب عن نصرتها : ان أصبح المغرب المنيع الجناب بالامس القريب ، يعيش في هذا العهد المظلم تحت تهديد مستمر لاستقلاله ، فمن

---

(1) « كتاب الجزائر » ص 53.

(2) ج 4 ص 219.

مشاكل الحدود التي تثار في كل مناسبة ، الى اغتصاب لبعض اجزائه : من فرنسا تارة واسبانيا اخرى[1] ، الى تدخلات لا حد لها في شؤون المغرب الداخلية ، الى إثارة قلاقل وخصوصاً بالمغرب الشرقي ، بل كاد المغرب يفقد استقلاله نهائياً عقب موقعة ايسلي لولا التنافس الدولي الذي عاش في ظله استقلال المغرب حتى اوائل القرن العشرين .

واذا اردنا ان نستخلص مقدار ما اصاب البلاد في كارثة الجزائر وسابقتها : نجد المغرب اصبح فاقداً قوته البحرية ، مضيعاً هيبة جيشه البري ، مهدداً في استقلاله من طرف الجار الأوروبي القريب ، فماذا تبع هذا الوضع المقلق ؟

نشأ عن ذلك كله ان فتحت أبواب مراكش للاوروبيين بعدما كانت مغلقة في وجوههم الا في أحوال خاصة ، فأخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ فيها ، وكثر ترددهم عليها بالتجارات أولاً ، ثم بعد ذلك بالمشروعات ، الأمر الذي نشأت عنه عواقب وخيمة سياسياً واقتصادياً ، وقد تبسط صاحب الاستقصا[2] في شرح هذه العواقب الاقتصادية وقال :

وفي سنة إحدى وستين ومائتين والف أخذت السكة في الارتفاع . . . . ولما أخذت السكة في الارتفاع أخذت الاسعار في الارتفاع أيضاً ، وحاول السلطان ـ رحمه اللّه ـ حصرها فلم تنحصر .

وعلة ذلك ـ واللّه أعلم ـ أنه لما وقع مع الفرنسيين هذا الصلح (وهو الواقع بعد معركة ايسلي) ، واسقط السلطان عن الاجناس ما كانت تؤديه ، كثر خطارهم وتجارهم بمراسي المغرب ، وازدادت مخالطتهم وممازجتهم لاهله ، وكثرت تجارتهم في

---

(1) من امثلة هذا استيلاء اسبانيا على الجزائر المغربية الثلاثة الواقعة على ساحل الأبيض المتوسط ، شرق مدينة مليلية ، وهي المعروفة « بالجزر الجعفرية » ، وذلك عام 1266/1848

(2) ج 4 ص 198.

السلع التي كانوا ممنوعين منها ، وانفتح لهم باب كان مسدوداً عليهم من قبل ، فظهر أثر ذلك في السكة وفي السلع .

أما السكة فلان سكتهم كانت هي الغالبة ، وهي أكثر رواجاً من سكة المغرب ، فلا بد أن يكون الحكم والتأثير لها ، والتجار يعتبرون فيها من الفضول والارباح الناشئة عن تغاير القطرين ما لا يهتدي اليه غيرهم من العامة ، وتبعهم على ذلك تجار المسلمين .

وأما السلع فلان تجار النصارى يغالون في أثمانها اكثر من غيرهم كما هو مشاهد .

ثم ما دامت بلاد الفرنج مترقية في التمدن وحسن الترتيب واتساع الامن والعدل ، الا وسككنا وأسعارنا دائمة الترقي في الغلاء ، على نسبة كثرة المخالطة واتساع مادة البيع والشراء » .

هكذا يشرح صاحب الاستقصا الخطر الذي خيم على الاقتصاد المغربي في هذا العهد ، ويجعل ذلك نتيجة لانفتاح أبواب المغرب إثر وقعة ايسلي ، ونتيجة أيضاً لتقدم أوروبا وتأخرنا .

تدهور الاقتصاد المغربي

وخطر آخر أصاب الاقتصاد المغربي في الصميم لما وقع في أوروبا اختراع المناسج الميكانيكية التي تنسج بدون واسطة اليد ، فقد أخذت منسوجات هذا الاختراع الجديد تدخل للمغرب في اواخر دولة السلطان المولى سليمان ، ثم تكاثرت مع مر الزمن حتى قضت على المناسج المغربية اليدوية التي لم تتطور اذ ذاك بكل أسف .

وقد استطاع الغربيون ان ينسجوا على غرار المنسوجات المغربية لما وقع بيد تجارهم بالمغرب الملحم : (النخم) والمقصر المصنوعان بسلا والرباط ، فبعثوه الى

بلادهم ونسجوا على منواله ، فجاء ألطف من المغربي ، وأخف ، وأرخص ثمناً . وأقل كلفة ، فراج في مدن المغرب من حينئذ ، ويقال : أن اول مثال نسج عليه الافرنج : الصنفان المعروفان بالمرزاية والكتان . ذهب به بعض تجار سلا من رؤساء البحر بها إلى بلاد أوروبا آخر دولة السلطان المولى سليمان ، فإن هذا التاجر ذهب بالملحم : المقصر والخم ، ورجع ببدلها من منسوجات الافرنج .

ومن هذا الوقت أخذت صناعة القطن والكتان تضعف شيئاً فشيئاً ، ويجلب من بلاد الافرنج ما يستغنى به عما يصنعه المغاربة ويزهد فيه ، لرخص الافرنجي ولطافته ، بعدما كانت هذه الصناعة على غاية من الازدهار بالمغرب ، فإن معامل القطن والكتان وطرازاتها بعدوتي سلا والرباط ـ فقط ـ كانت تكاد ان لا تحصى كثرة ، ولما تقهقر أمرها في أيام المولى سليمان وما بعده من أيام المولى عبد الرحمن : كانت الطرازات التي بقيت في سلا فقط دون الرباط ستمائة معمل[1] .

وما أصاب هذه الصناعة أصاب باقي الصناعات المغربية الأخرى التي تقدمت عند الغرب وبقيت على حالها عندنا .

وكان من نتيجة هذا الغزو الاوروبي للصناعات الوطنية : ان افتقر أهلها وضعف حالهم ، ونزل بالمغاربة ضرر كبير بدفع ما في أيديهم من النقود ، والاحتياج إلى الاجنبي في الملبوسات والمصنوعات وغير ذلك .

وفي هذا الصدد يقول خير الدين التونسي في كتابه الجليل « أقوم المسالك ، في معرفة أحوال الممالك »[2] .

« . . . ولا يخفى ما يلحق الأمة بذلك ـ عدم مجاراة المدنية النافعة ـ من الشين ، والخلل في العمران ، وفي السياسة .

---

(1) « الاتحاف الوجيز ، بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز » ، تأليف المؤرخ المغربي محمد بن علي الدكالي السلوي المتقدم : الخزانة العامة بالرباط رقم D 42 و .D.1320

(2) ص 7-8.

أما الشين فبالاحتياج للغير في غالب الضروريات الدال على تأخر الأمة في المعارف .

وأما خلل العمران فبعدم انتفاع صناع البلاد باصطناع نتائجها الذي هو أصل مهم من أصول المكاسب ، ومصداق ذلك ما نشاهده من أن صاحب الغنم منا ومستولد الحرير وزارع القطن مثلاً : يقتحم تعب ذلك سنة كاملة ، وبيع ما ينتجه عمله للافرنجي بثمن يسير ، ثم يشتريه منه بعد اصطناعه في مدة يسيرة باضعاف ما باعه به ، وبالجملة فليس لنا الآن من نتائج أرضنا الا قيمة موادها المجردة ، دون التطويرات العملية التي هي منشأ توفر الرغبات منا ومن غيرنا . ثم إذا نظرنا إلى مجموع ما يخرج من المملكة وقايسناه بما يدخلها ، فإن وجدناهما متقاربين خف الضرر ، واما إذا زادت قيمة الداخل على قيمة الخارج فحينئذ يتوقع الخراب لا محالة .

وأما الخلل السياسي فإن احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها ، وموهن لقوتها ، لا سيما اذا كان متعلق الاحتياج الضروريات الحربية التي لو تيسر شراؤ ها زمن الصلح لا يتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف القيمة .

ولا سبب لما ذكرناه الا تقدم الافرنج في المعارف الناتجة عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية ، فكيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو مستحسن في ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية ، واحتياط في غير محله .

ومما يحسن سوقه هنا قول بعض المؤلفين من الأوروباويين في السياسات الحربية : ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية . يوشك ان تكون غنيمة لهم ولو بعد حين ، وخص التراتيب الحربية لأنها موضوع كتابه ، الا فالواجب مجاراة الجار في كل ما هو مظنة لتقدمه ، سواء كان من الأمور العسكرية او من غيرها » .

الطور الأول
1860/1276-1830/1245

رأينا كيف اصطلحت الاحداث الجسام على المغرب ، وكيف ترادفت عليه الهزاهز حتى كانت كارثة الجزائر .

إن هذه الكارثة اطلعت المغرب بصفة خاصة على مدى التأخر والانحطاط الذي وصل إليه الجيش المغربي ـ الباقي على وضيعته القديمة ـ أمام الجيش الاوروبي المنظم والمسلح على أحدث طراز ، كما أن هذه الكارثة خلقت للمغرب جاراً قوياً لا حد لأطماعه التوسعية ، وأيضاً فرضت على المغرب ان يعين ويفك الجارة الاسيرة ، وهكذا خلق احتلال الجزائر ارتباكاً في النفوس ، وبلبلة في الأفكار ، تمخضاً عن ظهور حركة انبعاث جديد ، ويقظة في البلاد كانت النواة الاولى ، والحجرة الاساسية للوطنية المغربية الحديثة .

إن هذه اليقظة سببتنا ولها هذا البحث ـ ان شاء اللّه ـ ويدرس مختلف مظاهرها في الفترة الواقعة بين احتلال الجزائر واحتلال المغرب ، أي من عام 1830/1245 إلى عام 1912/1330 .

وكما أشرت له سابقاً : فقد مر هذا الانبعاث بثلاثة أطوار : بدأ ضعيفاً ومحدوداً في الطور الأول الذي يبتدىء من احتلال الجزائر إلى موقعة تطوان عام 1860/1276 .

ثم اخذت هذه النهضة توتي ثمراتها من حادثة تطوان حتى وفاة الوزير أحماد عام 1900/1318 ، وهذا هو الطور الثاني ، وفيه كان النشاط الحكومي أظهر من النشاط الشعبي .

على خلاف الطور الثالث الذي ينتهي عنه إعلان الحماية عام 1912/1330 : فقد كان النشاط الشعبي فيه أظهر من العمل الحكومي .

يقظة شعبية

ونبدأ الآن بالطور الأول الذي يمتاز بأنه لم تنجز فيه أعمال تذكر ، شأن الحركات الأولى ، وإنما وجد فيه شيء من اليقظة الشعبية أخذت تبدو في غير ما مناسبة .

ولم تتخذ هذه اليقظة شكل حزب وطني ، وإنما كان هناك بعض مؤلفين يبثون أفكاراً يقظة في مؤلفاتهم ، وكان أيضاً شعراء وخطباء يذيعون تلك الأفكار التي كانت تهدف إلى المطالبة بتجديد الجيش المغربي ، وتنادي بالجهاد لتحرير الجزائر .

الكردودي 1268/1851

ونجد في مقدمة شخصيات هذا الطور : محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالي الشهير بالكردودي الفاسي ، مؤلف كتاب : « كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة » . ولنرى بعض أفكار المؤلف وروحه اليقظة : نورد فقرات من هذا الكتاب حيث يقول في أوله[1] :

« أما بعد فإني لما رأيت أسباب الجهاد قد أهملت ، وآلاته قد أغفلت ، وليله اعتم بعد ان كان مقمراً ، ونهاره أظلم بعد أن كان نيراء وغصنه ذوى بعد ان كان مورقاً ، وحسنه انطفأ بعد أن كان مشرقاً ، ورأيت العدو الكافر دمره الله وأهلكه ، وظفر أيدي المسلمين بجميع ما ملكه ، قد استولى على مملكة الجزائر ، وقهر كل ذي سطوة فيها من ملك أو ثائر : بحروب على هيئة مخصوصة ، وصفوف كأبنية مرصوصة ، ثم مد يد عزمه ، وكشف عن ساق حزمه ، لقتال أهل المغرب الاقصى ، وأخذ ثغوره التي لا يعد فضلها ولا يحصى ، فتوجه لقتاله جيش لا معرفة له بحقائق الحروب وأوصافها ، ولا علم عنده بتفاصيل انواعها واصنافها ، ومن كان منهم ببعض

---

(1) ص 2-3.

ذلك عارفاً ، كان له الجبن او ضعف الايمان عن مباشرة القتال صارفاً ، بل انهزموا جميعاً عند اللقاء ، واستبدلوا السعادة بالشقاء ، وجروا على الإسلام ذيل العار ، فاستوجبوا عقوبة الدنيا وعذاب النار . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لعظيم ما نحن به مصابون .

على مثل هذا يقتل المرء نفسه ويحلو له مر الممات ويعذب :

حملتني الحمية الدينية ، والغيرة الاسلامية ، على ان وضعت هذا الكتاب ، الجامع لمحاسن اللباب ، المشتمل على صفة الحروب واسبابها ، وموجبات الظفر والهزيمة وآدابها ، مع ما تتوقف عليه من الشورى والعدة والشجاعة ، واحوال الجند التي بها ينتظم عقد الجماعة ، إلى غير ذلك من حكم ووصايا ، وحض في ميادين الهيجاء على احتساء كؤوس المنايا » .

ومن افكار هذا الكتاب في تنظيم الجيش : ما جاء في الباب الأول بعد ان قرر ان مرجع الحرب الى نوعين : نوع بالزحف صفوفاً ، ونوع بالكر والفر قال[1] :

« وقد اعتنى الروم لوقتنا هذا بأمر الصفوف وبالغوا في ترتيبها وتسويتها بما لا مزيد عليه ، فجعلوا في المقدمة صفوفاً اربعة او خمسة : صفاً وراء صف تتخللها مدافع كبار ، وفي الساقة والجناحين مثل ذلك ، والخيالة وراء الصفوف مما يلي القلب ، وملئوا القلب بالرجال والاثقال ، والجميع كبكبة واحدة ، رسنها بيد واحد في القلب ، يتكلم معهم في بوق ، او يقرع الطبل على هيأة يفهمون منها مراده ، فيصدر الكل عن رأيه . فإذا التقى الجمعان رمى اهل الصف الأول المقابل للعدو رمية رجل واحد ، ثم يجثون على الركب فيرمي من وراءهم كذلك، وهكذا، فيصير الرمي متتابعاً لا ينقطع، وبندق الرصاص يقع كالمطر الوابل . وهم في اثناء ذلك يرمون بالمدافع الكبار . فإذا رأت الخيل فرصة في عدوها اخترقت الصفوف لانتهازها ، ثم تعود لمحلها .

---

(1) ص 6.

وللمبالغة في تسوية الصف وإقامته ، لا تجد واحداً منهم خارج الصف فتخطفه خيل العدو ، فإذا سقط واحد من الصف الأول مثلاً خلفه من الصف الذي قبله ، وخلف هذا واحد من الذي قبله ، وهكذا الى ان يصل ذلك إلى الأخير فيخلفه واحد من القلب ، ويحمل الساقط من هو معين لحمله لا غيره ، فيجعل في كراريط الموتى ان كان ميتاً ، او الجرحى ان كان جريحاً ، وكل هذا محافظة على إقامة الصف وتسويته ، وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام . . . ثم قتال الزحف بالصفوف هو الذي دل الكتاب والسنة عليه » .

ومن صفحات الكتاب التقدمية تحدثه ـ في ذلك العهد ـ عهد السلطان المولى عبد الرحمن ـ عن قيام النظام البرلماني في اوروبا وتركيا ، ليلوح من وراء هذا إلى المطالبة بإقامة هذا النظام بالمغرب ، ذكر هذا في الباب الخامس اثناء حديثه عن الشورى وقال: [1]

« قلت والروم لعهدنا ، وكذلك الترك فيما يبلغنا : قصروا الشورى على اربعين رجلاً ، فلا يبرم أمر عندهم الا ان صدر عن رأيهم واشارتهم ، وتسمى هذه الجماعة بالكرطي » .

وهذا الكتاب وضعه مؤلف باسم السلطان عبد الرحمن ، وطرز طعالته بذكره ، ورتبه على عشرة ابواب وخاتمة ، وهو مطبوع على الحجر بفاس في ص 111 ، راجع ترجمة المؤلف في « السلوة »[2] .

ابن عزوز أواخر القرن 13 هـ

يوجد بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1623 طرف من رسالة مخطوطة منسوبة

---

(1) ص 46.

(2) ج 2 ص 333.

لابن عزوز ؟ الذي الفها للسلطان عبد الرحمن ، وسماها : « رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الشريف » ، وموضوع هذه الرسالة في تنظيم الجيش المغربي . افتتحها بعد خطبة قصيرة بقوله يخاطب الملك المغربي :

« اما بعد فلا شك ان غرضك السديد . وتدبيرك المفيد . تعلق بالعسكر . واراد جمع الجيش الأكبر . مع علم سيدنا ايده اللّه ان العسكر يحتاج إلى التهييء لما لا بد له منه . فحينئذ يقبض ويجمع على الهيأة المخصوصة له . والقانون الذي عليه مداره .

وها أنا ارتب لك ذلك في هذه الرسالة ، وارجو به الفوز يوم القيامة ، بشفاعة جدك صاحب العمامة ، صلى اللّه عليه وآله وسلم عدد الرياح الذارية ، والامطار النازلة ، ونفصل له اربعة فصول : الأول في ذكر التهييء له ، والثاني في كيفية جمعه وكيف يجمع من المدائن والقرى البوادي ، وربما أشير إلى بعض المسائل من تعلمه مع اختصار ، والثالث في كيفية تهيئه وسفره لقتال العدو وصفة القتال ، والرابع أذكر فيه توبيخ بعض امراء الحوز ، وبعض امراء الجند ، واذكر فيه من يليق ان يتولى امر العسكر حال جمعه وسفره وتهيئه لقتال العدو اذا وجد وتوفرت فيه الشروط الآتية » .

وقال في الفصل الثاني :

« اعلم أيها المنصور بعون الله، المجاهد في سبيل اللّه، المخلص الأعمال للّه، أن النصارى ملكوا جزائر ، وسبوا نساءها ، واخذوا اولادها ، وغنموا أموالها ، فلم يكفهم ذلك ، وانتشروا في ساحتها حتى وصلوا إلى وهران ، وتلمسان ، وام عسكر ، ومغنية ، وتافنة ، وغير ذلك من المدائن القريبة منها والبعيدة عنها ، فغرسوا الاشجار ، واكلوا الثمار ، وشيدوا البنيان ، واتسعوا في الأوطان ، وركبوا الخيول ، وقتلوا الفحول ، وعجبتهم أنفسهم ، وفرحوا بكثرتهم ، وغلظت شوكتهم ، تجاسروا على القريب منهم والبعيد عنهم ، وطمعوا في هذا المغرب ، وفي الوصول إلى مدينة فاس ،

التي هي دار ملكك ومحل حكمك وولايتك . فوجب عليك ـ نصرك اللّه ـ التهيء لهم ، وجمع العساكر للقائهم » .

والموجود في هذه الرسالة يقع في 11 ص ، ويقف اثناء الفصل الثاني .

التسولي 1258/1842

وممن يحق ان يذكر في صف المصلحين في هذا الطور : ابو الحسن علي بن عبد السلام التسولي المدعو مديدش المتوفى عام 1258 هـ ، فقد ضمن جوابه « البسيط »[1] الذي اجاب فيه عن الاسئلة التي رفعها ـ الى علماء فاس ـ محيي الدين الامير عبد القادر الجزائري عدة توجيهات وافكار تتناول واقع الحياة اذ ذاك بالمغرب ، ومما كتبه بخصوص تنظيم الجيش[2] :

« . . . ولذلك قالوا يجب على الإمام ان يهتم بأمور الجهاد ، فيأمر كل قبيلة بتعلم الحروب والتدريب ، وان رأى ان يعين من كل قبيلة مائة او اكثر تتعلم الحروب مهيئة نفسها لكلمة الأمير ، وتكون تلك المائة من الوجوه الذين لا يولون بالادبار ، وعند كل خمسة اشهر ونحوها يأمر بالضرب بين يديه بمرءا منه ، فمن رآه منهم كثير الاصابة والتدريب احسن اليه ، وقربه لديه . وهكذا حتى يعرف من كل قبيلة ابطالها وشجعانها ، فيعينهم حينئذ للاستنفار : الامثل فالأمثل ، ومن وجده من القبائل لم يعتن بما امره به من تعلم الحروب اهانها واهان قائدها ولامهم على مخالفة امره ، ولا يتكل في اختيارهم على غيره : فينتظم الأمر حينئذ .

فإذا احتاج الأمير إلى إقامة جيش لفجأ العدو ونحوه اقامه في ساعة واحدة من

---

(1) للتسولي « جوابان عن الاسئلة الجزائرية » : « بسيط » وهو الذي يقتبس منه هذا البحث . وهو مطبوع على الحجر بفاس . و « وجيز » وهو وارد « بالمعيار الجديد » في موضعين : ج 3 ص 42-46 التي ورد فيها على حلة ، و ج 10ص 205-212 حيث ورد مع جواب القاضي عبد الهادي العلوي في المسألة .

(2) ص 3 ملزمة 6.

الأبطال ، لأنهم مكتوبون عنده في الديوان من كل قبيلة ، ولا يحتاج حينئذ إلى فريضة الحراك ، لأنهم اذا وكلوا لفرضهم لا يحركون الا اوباش الناس الذين اذا قاتلوا العدو ولوا الأدبار ، فيفسد الأمر ، ويختل الملك ، وربما كانوا لا يفرضون الحركة الا بعد انتهاز العدو في المسلمين الفرصة » .

ومما ورد في هذا الكتاب في موضوع الدفاع عن الجزائر[1] .

« تنبيه اذا نزل عدو الدين بأرض الإسلام او قريباً منها مريداً الدخول إليها فإن الجهاد فرض عين على اهل ذلك البلد وعلى امامهم : شيوخاً وشباناً ، احراراً وعبيداً ، بل وان على إمرأة ان كان لها قوة ، ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل على مشورة الإمام ، ولا سيما ان بعد منهم ، بل وان لم يكن لهم امام تعين عليهم مدافعته ونصب الإمام ، فإن لم يقدروا[2] اهل ذلك البلد مع امامهم ـ على مقاومة العدو ـ تعين على اقرب الأئمة اليهم وعلى رعيته ان يعينوهم ، فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة ايضاً وجب على من والاهم ، وهكذا حتى يأتي الوجوب منسحباً على جميع المسلمين .

فقطر الجزائر مثلاً حيث لم يقدروا على دفعه لعدم من يضبط كلمتهم ، ولعدم وجود القوة منهم ـ بدليل انه يتردد العدو اليهم ويأخذ مدائنهم شيئاً فشيئاً ـ فإنه يجب على من والاهم من ائمة المشرق وائمة المغرب الى سوس الاقصى والى بغداد بل والى الهند مثلاً : أن يعينوهم بالجيوش والعدة والعدد ، وان عصا من والاه ولم يعن تعين على من والى من والاه وهكذا . . . . » .

ذلك بعض ما ورد في كتاب التسولي ، هذا التأليف الذي يعد اول مظهر لليقظة الوطنية بالمغرب الحديث .

ونود الا نترك هذا الكتاب حتى ننقل عنه للمرة الأخيرة خطبة كان انشأها مؤلفه ،

---

(1) ص 8 «م» 8.

(2) كذا .

ثم خطب بها غب هجوم فرنسا على الجزائر ، حرض فيها على الاستعداد ، ودعا للجهاد ، ونشبت محل الحاجة منها كمثال لاحدى مظاهر تلك اليقظة ، وكنموذج لصدى احتلال الجزائر في المجامع المغربية[1] .

« . . . . فحرضوا انفسكم واشياعكم عليه (الجهاد) بقلب وقالب وجازم الاعتقاد ، واكثروا من الأهبة والنفر اليه وبادروا له بغاية الاستعداد ، فإن لم تشغلوهم شغلوكم ، وان لم تقاتلوهم قاتلوكم ، كيف وهم لكم بالمرصاد .

أو لا ترون انهم نزلوا على من بالقرب منكم واستولوا لهم على أعظم الثغور ، وصارت تخلي رعباً منهم المنازل والقصور ، ويغتالون لهم الرقاب والأموال والاولاد ، فانظروا ايدكم اللّه لانفسكم ، فإن فساد الكفر لا يعدله فساد ، يبث له الشرك والتثليث وينسخ كلمة التوحيد ويمحي اثر قائلها من الأرض والبلاد .

أو لا تتيقنون أن الله سبحانه أمرنا بالغلظة عليهم والتقوى وكثرة الاستعداد .

أو لا تعلمون أن الله وعدنا بالنصر عليهم وهو سبحانه ان وعد بشيء لا يخلف الميعاد ، فقال جل من قائل : « ان انتصروا اللّه ينصركم » ، وقال : « وليجدوا فيكم غلظة » ، وقال : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، وقال : « قاتلوهم يعذبهم اللّه بأيديكم » ، وقال : « وقاتلوا المشركين كافة » ، وقال : « ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم اللّه الذين جاهدوا منكم » ، أي أحسبتم أن تتركوا فلا تومروا بالقتال في الجهاد ، ولا تمتحنوا ليظهر الصادق في ايمانه من الكاذب ويتميز كل على الانفراد ، وقال : « ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» ،أي لنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالقتال في الجهاد حتى يتبين الصابر على دينه من غيره ، ونظهر اخباركم للحاضر والباد .

فتنبهوا ـ أيدكم اللّه ـ فانكم بهذه الآيات القرآنية المخاطبون ، وبالأحاديث

---

(1) ص 2-3 «م» 8.

المصطفوية المقصودون ، إذ بيدكم الحل والعقد ، والرعية في طوعكم فكيف بأمرها بالجهاد تبخلون ، وانتم خلفاء اللّه في ارضه فكيف على دينه لا تغيرون ، أأمنتم مكر اللّه فلا يأمن مكر اللّه إلا القوم الخاسرون ، أأتخذتم عند اللّه عهداً فأنتم عليه متوكلون ، أم تعتقدون أن كفاركم اليوم لا يقصدونكم بالقتال والجلاد ، أم تقولون نحن اشتغلنا اليوم بجهاد انفسنا ورعيتنا وبالخدمة على الاولاد ، والنبي عليه وآله الصلاة والسلام انما بعثه اللّه مجاهداً ، وفي هذا العرض الأدنى زاهداً ، مقتنعاً باليسير ، وهو يستعد لعدوه الاستعداد الكبير ، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون ، وإذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون ، وإذا لم تشمروا عن ساق الجد في هذه البرهة ففي أي وقت تشمرون ، وإذا لم تستعدوا في هذه الفسحة فمتى تستعدون ، أفلا تتذكرون ان اللّه سبحانه امرنا بالذهاب إليهم وقتالهم في اراضيهم ، فكيف ان قدموا إلى برنا هذا بالغي والفساد ، ام لنا براءة استثنانا اللّه تعالى بسببها من عموم دعوة الجهاد ، فالجهاد فريضة عين على من نزل بهم عدو الدين ، فإن لم تكن فيهم كفاية او لم تجتمع لهم كلمة فعلى الذين يلونهم ، وهكذا إلى أن تحصل الكفاية ولو اتصل ذلك من مثل المغرب لبغداد ، أو غير ذلك من الآفاق الحاضر والباد .

فأيقظوا انفسكم من وسن الغفلة ، وانتهزوا من العدو الفرصة ما دامت منكم فسحة الاستعداد ، قبل ان يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب ، ويحق العذاب ، وتسترق بالكفر الرقاب ، ويحصل الفوت بسبب الأزدياد ، فإنكم ان لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد ، والوقوف لكم بالمرصاد ، ولا تتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول من وفائهم باستمرار العهود ، وعدم نقضهم للميثاق المعقود ، فإن ذلك كله مردود ، إذ لا ميثاق ولا عهد لاعداء الدين وأهل الفساد ، ونحن لا نعتبر عهودهم وشهادتهم بالاضافة إليهم فكيف نعتبرها بالنسبة الينا باجماع اهل العلم والاجتهاد » .

راجع ترجمة التسولي في السلوة[1] .

---

(1) ج 1 ص 238.

محمد ابن ادريس 1264/1847

أما الشخصية الرابعة من رجال اليقظة في هذا الطور فهو الوزير الشهير محمد ابن محمد بن ادريس العمروي الفاسي المتوفي عام 1847/1264 .

له عدة قصائد في الدعوة إلى الجهاد لانقاد الجزائر من ذلك قوله :

يـا اهـل مغـربنـا حق النفـير لكم ... إلى الجـهـاد فـما في الحق من غـلط
فـالشرك من جنبات الشـرق جـاوركم ... من بعـد ما سـام اهل الـدين بالشـطط
فـلا يـغـرنكـم من لـين جـانبـه ... مـا عـاد قبـل عـلى الإسـلام بـالسخط
فعنـده من ضـروب المكـر مـا عجـزت ... عن دركـه فكـرة الـشبـان والـشمط
فـواتـح المكـر تبـدو من خـواتمـه ... فعنـده المكـر والمكـروه في نمط
وانـتـم الـقـصـد لا تـبـقـن في دعـة ... ان السكـون إلى الاعـدا من السـقط
من جـاور الشـر لا يعـدم بـوائقـه ... كيف الحيـاة مـع الحيـات في سـفط
قـد يـغـبط الحـر في عـز يخـلده ... وليس حي عـلى ذل بـمـغـتبط[1]

ومن ذلك أيضاً قصيدته النونية المسماة : « سرية النصر ، لأهل هذا العصر » تحتوي على مائتين وعشرين بيتاً يقول في أولها :

فـرض عـلى كـل مسكـين وسلطان ... حمـل الـسـلاح عـلى عبـاد اوثـان
فـحـمـله شـرف عـال ومـفـخـرة ... خص الالـه بهـا اعـز عـبـدان
لا شيء أحسن من صوت السلاح على ... الاعناق في طـاعـة المولى ورضـوان
فهـو الـوسيلة في نصـر الالـه لـكم ... ونصـرة المصـطفى اجـل عـدنـان
وليس يجحـد فـضـل حمله مـلك ... وليس يـأنف عـنـه كـل خـاقـان
بـه نـبـيـكـم الاله شـرفـه ... بـحـمـله لامـتـثـال امـر رحمـان

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 196 مع « الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية » لمحمد المشرفي مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1463.

بـه ازيـلت لهـذا الـديـن غـربتـه وطـار صـيتـاً بـه بـكـل بـلدان
والانـتـهـاء كـالابـتـداء قـاعـدة في الفقـه مـقـروة في كـل ديـوان[1]

ومن اشعاره في الموضوع : القصيدة الطنانة التي انشدها عندما استولت فرنسا على مدينة تلمسان ، وأولها :

يـا سـاكني الغـرب الجهـاد الجهـاد فـالكفـر قـد شـاركم في البـلاد
والـشـرك قـد نـصـب اشـراكـه مـسـتـعـبـداً بـكـيـده لـلعبـاد
ويـا حمـاة الـديـن مـا صـبـركـم والمـشـركـون يـطلبـون الـبـداد
مـا هـذه الـغـفـلة عـن ضـدكـم وانـتـم في الحـرب أسـد الجـلاد
ان بـني الأصـفـر اعـداؤكـم اطـعـمهـم نـومـكـم في الـسـواد
ويـا ابـاة الـضـيـم هـل نهضـة تـسـربـل الكـفـر ثيـاب الحـداد
قـومـوا لـنـصـر دينـكـم قـومـة تحطم اهـل الشـرك حـطم الجـداد
ايـن بـنـوا الـعـرب الـذيـن لهـم قـدم صـدق في جـهـاد الاعـاد
وايـن اهـل الـبـر مـن بـربـر ومـن لهـم في الـديـن بـيض أيـاد
وايـن مـن حـاز الـنهي والـتـقـى ومـن لـه في الـلّه حـسـن اعـتـقـاد
وايـن اهـل الـديـن قـاطـبـة وسـادة الـنـاس الصـلاب الـشـداد
وايـن سـكـان الحـواضـر مـع اهـل المـداشـر واهـل الـعـمـاد
ايـن الجـبـال وقـبـائـلهـا اهـل الـبـسـائط واهـل الـوهـاد
كـم وقـعـة تـتـلى لاسـلافـكـم بـألـسـن المـدح لـنـا وتـعـاد
فـأيـن مـا اعـددتـم لهـم مـن قـوة الـرمـي وسـبـق الجـيـاد

إلى ان يقول :

واسـطة المـغـرب قـد حـازهـا والأمـر جـد والـبـلا في ازديـاد
حـوى الجـزائـر ووهـرانها وراع حـاضـراً بـذاك ويـاد

---

(1) « الحلل البهية في تاريخ الدولة العلوية » .

مصائب صبت على معشر ... يبكي من الاشفاق منها الجماد
يكاد يقضي المرء من حرها ... على حشاه ، وتذوب الصلاد
اخوانكم ديناً وجيرانكم ... اضحوا رعايا الشرك بين أعاد
ساموهم هونا ، وأزروا بهم ... في الدين حتى ركنوا لارتداد
وطمعوا فيكم فكونوا يداً ... فإن تثاقلتم فأنتم مراد
قد ملكوا الاحرار من غدرهم ... ودللوا بالكره صعب القياد
من حلقت لحية جار له ... فلتكنَنْ لحيته في اعتداد

ومنها :

تذكروا وقعة اندلس ... وأبصروا منها سبيل الرشاد
لتعلموا غدر العدو وما ... رمى به من كل خطب نآد
تحملوا من غدرهم سبة ... امرض حملها القلوب وآد
ان الخداع عنده سنة ... والنكث دينه متى ما اراد
سلوا الجزائر وما قد لقوا ... من غدره بعد عهود شداد
لا قرب الرحمن دار امرىء ... مال إلى الاشراك يوماً ومادا . . .

ومنها :

آه على الاسلام قد ضعفت ... انصاره بعد قوى واشتداد
آه على مساجد رجعت ... بعد الصلاة خان خمر وناد
آه على صوامع ابدلت ... بعد الآذان نقر ناقوس صاد
آه على مدارس اصبحت ... بعد دروس العلم مأوى الوغاد
آه على مكاتب قد خلت ... وعادها بعد النفاق الكساد
آه على حواضر وقرى ... وجنة للكفر فيها مراد
آه على الابكار قد اصبحت ... بعد الصيانة دواعي فساد
آه على الحرم قد هتكت ... ولم يغر لهتكها ذو فؤاد

آه على ثغور عز غدت بعد التبسم كساها الحداد
اما لاهل الدين من واعظ أما لأهل العقل من ذي رشاد
يا أيها الناس اتقوا ربكم وجاهدوا في اللّه حق الجهاد[1]

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة التي بلغ عدد ابياتها 111 بيتاً .
راجع ترجمة هذا الشاعر في الاتحاف[2] والاعلام[3] .

محمد غريط 1280/1863

هو الوزير محمد بن محمد بن عبد اللّه غريط المكناسي ثم الفاسي ، المتوفي عام 1280هـ . وهو الخامس من رجال هذه اليقظة ، له اشعار في واقعتي الجزائر وتطوان ، وهذا نص القصيدة التي أنشأها بعد احتلال تلمسان :

ما لي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد ما أخذ الرومي تلمسان
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم عدو دينهم ، لا نال امكانا
ولا على فعله في دفتر وقفوا بأهل أندلس يا بيس ما كانا
لا عذر للمسلمين في التكاسل عن جهاده حسبة منهم وايمانا
أين الكماة الحماة ما لهم رقدوا والكفر في اخذهم ما زال يقظانا ؟
اين الاباة لمس الضيم ما لهم اليه لم ينفروا رجلا وركابنا ؟
كأن اهل جزائر وغيرهم ليسوا لنا باعتبار الدين اخوانا
كأن ما هم به من الهوان على من قد عداهم من اهل الدين قد هانا
يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا من العدا حذركم سراً واعلانا

---

(1) عن نسخة من هذه القصيدة آخر مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1388 ، مع تصحيحها على النسخة المطبوعة منها بفاس بذيل « كشف الغمة » المتقدم الذكر .
(2) ج 4 ص 189-239.
(3) ج 5 ص 263-292.

فليس يؤمن غدرهم وان بعدوا ... فكيف اذ اصبحوا للحد جيرانا
ان لم يفاجئه من تلقائكم مدد ... يمد نحوكم للكيد اشطانا
ويستهشهم ظناً بأنكم ... كمن له شيعة اضحوا واخذانا
فجددوا عزمكم على قتالهم ... واستخلصوا منهم قرى وبلدانا
تلك الجهات بها الاسلام يندبكم ... لتهدموا بيعا بها واوثانا

وتنقذوا اهلها من العدو فقد ... اراهم من شنيع المكر ألوانا
والدين اوجب أن نسعى لنصرتهم ... بالنفس والمال اشياخاً وشبانا
والله منا اشترى نفوسنا كرما ... بجنة جمعت حوراً وولدانا
وكم وكم آية في حضنا وردت ... على الجهاد فما اقل جدوانا
وكم وكم من حديث في فضائله ... يصير الجبنا النكاص شجعانا
موتوا كراماً فإن الحر يأنف من ... معيشة تدع الحليم حيرانا

لا موت افضل من موت الجهاد لمن ... يرجو من الله رحمة ورضوانا
ان تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ... ولتخلعوا في ابتغاء القوم ارسانا
اخونكم قبل - مع نزور عدتهم - ... غزوا ، وأخلوا من الكفار اوطانا
وكم لهم في جهاد الشرك من اثر ... املى به الناس ديوانا فديوانا
ولستم بأقل منهم عدداً ... فكيف منكم يرى العدو إذعانا

كونوا صلابا على أهل الصليب فلا ... دين لمن لعدو دينه لانا
وليس يعطي الدنية الكريم ولو ... اضحى لنار عدو الدين قربانا
وكل ذي همة يستعذب الموت في ... ما يرفع القدر في الدارين والشانا
بيعوا نفوسكم واغزوا عدوكم ... كفى بصفقة من لم يغز خسرانا
وشمروا ، وانهضوا ، وسارعوا ، وعلى ... جلاده اخوة كونوا واعوانا
ما قصر العمر اقدام على خطر ... ولا أنال الخلود الجبن انسانا[1]

---

(1) ذيل « كشف الغمة » المتقدم ، مع نسخة مخطوطة من القصيدة .

ولهذا الشاعر ترجمة في الاتحاف[1] .

محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي 1284/1867

إلى جانب الأثار اليقظة المتقدمة : يكون من الطريف ان يسجل هذا البحث انه في هذا « الطور الأول » اخذ يظهر في شنجيط ايضاً نوع من الانبعاث يرمي إلى الدعوة للاستعداد لمقاومة التوسع الاستعماري ، ونستطيع ان نجد صدى هذا الانبعاث عند الاديب الشنجيطي محمد بن الشيخ سيديّ ابن المختار بن الهيب الابيري ثم الانتشائي ، المتوفي عام 1284هـ ، فقد كانت قصيدته الآتية : صرخة داوية لايقاظ النفوس من سباتها ، ودعوة صارخة للاستعداد لمقاومة كل تعد .

والقصيدة طويلة ، ومن عيونها :

ترانا عاكفين على المغاني ... لفرط الشوق ننديها حيارى
اسارى لوعة وأسى ننادي ... وما يغني النداء عن الاسارى
ولو في المسلمين اليوم حر ... يفك الاسر او يحمي الذمارا
لفكوا دينهم وحموه لما ... اراد الكافرون به الصغارا
حماة الدين ان الدين صارا ... اسيرا للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركوه ... والا يسبق السيف البدارا
بأن تستنصروا مولى نصيراً ... لمن والى ومن طلب انتصارا
مجيباً دعوة الداعي مجيراً ... من الاسواء كل من استجارا
وان تستنفروا جمعاً لهاماً ... تغص به السباسب والصحارى

وبعدما افاض في وصف هذا الجيش قال :

فمن يك هكذا يحيي حميدا ... ويستحلي بموطنه القرارا

---

(1) ج 4 ص 248-254.

ومن لا فالممات به جدير ... ولو للنار بعد الموت صارا
فيا للمسلمين لها امور ! ... لها الاكباد تنفطر انفطارا
تهاونتم بموقعها وما ان ... تهاونتم بها الا اغترارا :
لصوص لا تخاف البأس منكم ... ولا العقبى فترضى ان تدارا . . .
وروم عاينوا في الدين ضعفا ... فراموا كلما راموا اختبارا
فإن انتم سعيتم وانتدبتم ... برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وان أنتم تكاسلتم وخمتم ... برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفوكم - كما يبغون - فوضى ... حيارى لا انتداب ولا ائتمارا
وما ظنوا - لعظم جابروه ... كسارى بعد هيضته - انجبارا
وقالوا : ان للفرس انتهازا ... وثاروا كي ينالوا منه ثارا
ولم اعرف وسوف ترون عما ... قليل : صبح ليلكم استنارا :
مهى حور المدامع عاطفات ... تخوض بها القراقير البحارا
اذا التفتت لجانبها تلافت ... - حذار الموج - لوحا او دسارا
لئن كانت مراكبها المهارى ... وان كانت مراودها القفارا
تلطمها العلوج على خدود ... كسى الوانها الفرغ اصفرارا

وقد اطال في وصف الحالة المؤلمة التي يتوقعها ثم قال :

فيا للمسلمين لما دهاكم ... الى كم لا تردون الحوارا
اجيبوا داعي المولى تعالى ... او اعتذروا ولن تجدوا اعتذارا
اجيبوه بذنياكم تعزوا ... وتذخروا من الأجر اذخارا
فإحدى الحسنيين لكم اعدت ... حمالة قادر حاز اليسار
بجنة اشترى منكم نفوسا ... ومالاً يا رِبَاحُكُم تِجارا[1]

إلى آخر هذه القصيدة التي يبلغ عدد ابياتها 109 .

---

(1) القصيدة بطولها واردة في « الوسيط » بالطبعة الأولى ص 248-254 ضمن ترجمة صاحبها .

وهذا قاضي طنجة محمد بن عبد القادر الكردودي سالف الذكر ، يستنكر تصرفات بعض المحميين والاجانب ، مما دفع احد اليهود ان يعلن بالنيل من الاسلام ، كما أن بعض المسيحيين انتهك حرمة جامع نفس المدينة ، وفي هذا الصدد نظم القاضي المغربي قصيدة صارخة ، وكان الذي امدني بها هو حفيد الشاعر : الاستاذ الفاضل المرحوم السيد احمد الكردودي ، وهذا نص القصيدة :

سلام على أرض سلام مودع ... اقام بها دهرا على لهب الجمر
سلام على الاسلام فيها واهله ... حماة غريب الدين من صولة الكفر
سلام عليكم سدد اللّه رأيكم ... وعاملكم باللطف في السر والجهر
تخذتم بلاد الذل داراً وانها ... وان كملت حسنا تعامل بالهجر
بلاد غدا نور الوجود محمد ... يسب بها جهرا فيا له من خسر
وشأن اليهود في حماها معظم ... وحكم النصارى في جوانبها يجري
ومن لشعار الدين اصبح مظهرا ... يقابله الكفار بالهزء والسخر
وفيها امور لو أحاول شرحها ... لضاق نطاق النظم فيها مع النثر
فدين رسول اللّه فيها كما ترى ... غريب يحن للتعزز والنصر
على غربة الاسلام ابكي تأسفا ... واندب اهلا للمكارم والفخر
فهذه ارض قد صرمت حبالها ... وحولت عنها الرحل متقيّ الشر
وكيف يطيب العيش فيها لمسلم ... ونار غضى الكفار موقدة الجمر
بلاد بفلس لو تيسر بيعها ... لجادت بها نفسي وان كنت ذا فقر
سلامة دين المرء اولى لأنها ... دليل على نيل السعادة والخير
وسوف يحيق المكر قطعا باهلها ... وان جنحوا للسلم اذ هم ذوو الغدر
على انني قد قمت فيها بواجب ... وارغمت انفا للعداة ذوي المكر
فعاقبت من بالسب اصبح معلنا ... وفزت ـ وربي ـ بالجزيل من الاجر
ولو كنت في امري مطاعا قتلته ... ولكنّني في تركه بيّن العذر
وكنت سعيت في تنقل كافر ... إلى ارضه عنها بحكم ذوي الأمر

وذلك لما ان تجاوز حده ... وحل محلا للعبادة والذكر
مكان رفيع الشان جامع ديننا ... فاكرم به من جامع شامخ القدر
على حالة ساءت نفوسا كريمة ... بِحَمْل سلاح والكلاب على الأثر
فغاظ جميع الكافرين صنيعنا ... وسدد سهم الطعن مني في المنحر
ونلت ونالوا ما أرادوا ببغيهم ... وقابلت ما تبدي الاعاجم بالصبر
ولست أبالي بعدما نلت منهم ... بما قد يقال من ملامة او نكر
رجوت بما قد نلته اليوم منهم ... شفاعة خير الخلق في موقف الحشر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآله والاصحاب طرا مدى الدهر

المحاولات الأولى لتجديد المغرب

الآن ـ وقد انتهى عرض ما طالت اليه اليد من آثار يقظة المغرب الشعبية في هذا الطور الأول ـ لا ننسى ان نسجل انه في الطور نفسه وعلى عهد السلطان المولى عبد الرحمن : بدأت ـ ولو ببطء وفي نطاق محدود ـ المحاولات الأولى لتجديد المغرب .

ففي هذا الطور بدأت تجربة تنظيم الجيش المغربي على طراز حديث ، وانما لم تدرس هذه التجربة هنا وتأخرت للطور الثاني لتتناسق مع المحاولات التي بذلت لتنظيم هذا الجيش من طرف محمد الرابع وابنه المولى الحسن الأول خلال «الطور الثاني» ، ولنفس السبب سنرجيء للطور الثاني عرض الحركات التعليمية الأولى التي انبثقت مع الطور الأول .

شكوى

هذا ولتكن خاتمة حديث الطور الأول اثبات شكوى للسلطان المولى عبد الرحمن من الوضعية التي آل اليها المغرب ، وقد بث هذه الشكوى خلال قصيدة وجهت على لسانه إلى الجانب النبوي الكريم[1] فقد جاء في هذه القصيدة لدى ذكر الأمة المغربية ما يلي :

---

(1) القصيدة من شعر الوزير محمد بن ادريس العمري المتقدم وهي واردة في « الاتحاف » ج 5 ص 271-273.

«. . . واني قد استرعيت منهم رعية ... وحملت من اعباء امرهم إصرا
أروم لها التوفيق والرشد والهدى ... وأرجو لها الاسعاد والحفظ واليسرا
وآمل من جدواك كل عناية ... ونصراً عزيزاً يهدم الشرك والكفر. .
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمة ... تريد بنصب الماكرين لها الجرا. .
واظهر لها من عز جاهل نصرة ... ترد على الاعقاب من سامها ذعرا
وتخلى ديار المسلمين من العدى ... وتكسبها من بعد نجسهم طهرا
وتتركهم صرعى بكل ثنية ... وتملأها ديناً كما ملئت كفرا

الطور الثاني
1900/1318 — 1860/1276

يمتاز هذا الطور بأنه عهد اصلاح وتجديد من طرف الحكومة المغربية ، كما يمتاز بأن مركز المغرب فيه ازداد تحرجاً وضعفاً بعد حادثة تطوان التي هي مبدأ الطور الثاني ، فإن هذه الموقعة ازالت الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال الغربيون بسببها ، وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثله ، وكثرت الحمايات التي نشأ عنها ضرر كبير[1] .

وفي هذا الطور بدا واضحاً تدهور الاقتصاد المغربي الذي بقي على وضعيته القديمة امام تقدم اوروبا المدهش في التجارة والصناعة ، وقد شرح هذه الظاهرة صاحب الاستقصا[2] في العبارات التالية :

« اعلم ان احوال هذا الجيل الذي نحن فيه قد باينت أحوال الجيل الذي قبله غاية التباين ، وانعكست عوائد الناس غاية الانعكاس ، وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم : لا في سككهم ، ولا في اسعارهم ، ولا في سائر نفقاتهم ، بحيث ضافت وجوه الاسباب على الناس ، وصعبت عليهم سبل جلب الرزق

---

(1) الاستقصا 4 ص 222.
(2) ج 4 ص 287.

والمعاش ، حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا ، وحال جيلنا الذي نحن فيه ، وقايسنا بينهما ، لوجدناهما كالمتضادين ، والسبب الاعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل الاوروبا للناس ، وكثرة مخالطتهم لهم ، وانتشارهم في الآفاق الاسلامية ، فغلبت احوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل ، وجذبته إليها جذبة قوية » .

هكذا يشرح المفكر الكبير حالة الاقتصاد المغربي في هذا الطور ، فإذا اضفنا هذا لما قبله ـ ندرك الحالة السيئة التي آل اليها المغرب في هذا الطور : سياسياً ، وعسكرياً واقتصادياً ، بينهما الدول الأوروبية ـ وفي مقدمتها التي يهمها امر المغرب ـ بلغت في هذا الأوان : الأوج في التقدم والرقي .

ومما ينبغي ان يسجل هنا : ان المغرب في هذا الطور اشتد التنافس الدولي حوله ، فقد صار موضع اهتمام اربع من الدول الأوروبية : اسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا الحديثة العهد بتوحيدها .

اما اسبانيا فكان اهتمامها بالمغرب راجعاً إلى الصلة التاريخية القديمة التي كانت تربط بين البلدين ، واما اهتمام انجلترا فكان اقتصادياً وحربياً ، وكان الاهتمام الاخير منحصراً في منع أية دولة اوروبية قوية من ترسيخ اقدامها في ساحل مراكش الشمالي الذي يطل على البحر المتوسط ، حتى لا يكون وجودها هناك مهدداً لحصن جبل طارق .

واما اهتمام فرنسا فكان استعمارياً محضاً ، لأن فرنسا لم تتطلع إلى ابتلاع تونس في شرقي الجزائر ومراكش في غربها ، إلا لكيما تؤسس في شمال افريقيا امبراطورية شاسعة ، تستعيض بها عن الامبراطورية التي كانت لها في اوروبا في عهد نابليون الكبير .

اما اهتمام المانيا فكان تجارياً بحتاً ، ولذا كانت تجارة تلك الدولة رائجة جداً ، وآخذة في النمو[1] .

---

(1) « مذكرات لورد غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى سابقاً » تعريب علي احمد شكري : مقدمة المغرب ص 48-49.

وقد دام هذا التنافس حتى عام 1904/1322 ، حيث انسحب من الميدان انجلترا واسبانيا ، ثم انسحبت المانيا بعد ذلك عام 1911/1329 .

إلى هذه الحالة صار المغرب في هذا الطور ، فماذا فعله اولوا الأمر في المغرب حينئذ ، وهما ـ بصفة خاصة ـ الملكان : محمد الرابع والمولى الحسن الأول .

وحقاً انهما بذرا البذور الصالحة ، ووضعا اللبنات الأولى لاصلاح الحالة بالمغرب ، ولو ساعدتهما الظروف وساعدت الذين اتوا بعدهما لتحول المغرب من ذلك التاريخ إلى أمة لها مكانتها ومقامها ، كما صارت اليابان امة عظيمة وهي التي كانت بعثاتها تدرس باوروبا في الوقت الذي كانت توجد هناك بعثات المغرب ، ولكن اليابان كان بعيداً عن اوروبا فلم تعمل هذه لعرقلته ما عملت في المغرب الجار القريب لاوروبا .

1 تنظيم الجهاز الحكومي

ان اول ما يلاحظ في هذا الطور : ان المغرب أصبح ذا حكومة منظمة تشتمل على عدة وزارات ، بعدما كانت ـ الى عهد قريب ـ لا تتوفر إلا على وزير واحد يكون بمثابة معين للملك في اشغاله ، والوزارات التي صارت تتألف منها حكومة المغرب الجديد هي :

1) ـ الصدارة وفي ضمنها وزارة الداخلية .

2) ـ وزارة الخارجية .

3) ـ وزارة الحرب ويطلق على صاحبها « العلاف الكبير » ، وهو الرئيس الأعلى للجيش .

4) ـ وزارة الشكايات : « العدلية » .

5) ـ وزارة المالية : « امين الامناء » .

وكان الذي احدث وزارتي الحرب والعدلية هو السلطان محمد الرابع ، ثم احدث السلطان الحسن الأول وزارتي الخارجية والمالية ، اما الصدارة فهي الوحيدة التي كانت موجودة من قبل .

وفي العهد الحسني صار تنظيم مصلحة الكتاب كما يلي :

فقد كانت هذه المصلحة مقسمة الى عدة دواوين للكتاب ، في كل واحد منها رئيس له عدة كتبة نحو الستة دواوين ، منها ما كتابه يبلغون الستين ، ومنها ما كتابه يبلغون

العشرين ففوق ، ومنها ما دون ذلك ، والجميع في شغل شاغل مما يصدر لهم عن السلطان المولى الحسن[1] .

وتوجد لائحة باسماء بعض هؤلاء الكتاب ، وقد وردت عناوينها هكذا :

طلبة الفقيه الحاجب . طلبة الفقيه الوزير الحاج المعطي : « رئيس الوزارة » ، طلبة الفقيه المسفيوي : « وزير الشكايات » . طلبة الفقيه السيد فضول غريط : « وزير الخارجية »[2] .

ومن الاصلاحات التي ادخلها السلطان الحسن الأول : ان احدث مصلحة تقوم بتخليص القوائم الواردة من المراسي وغيرها ، وتسجيلها بالدفاتر المعدة لها : وجعل على رأس هذه المصلحة الامين الحاج محمد الزبدي الرباطي ، وهو ايضاً الذي سن وقوف الوزير الداخل بالقضايا التي تهم وزارته حتى يخرج بها كلها موقعة بقلم الرصاص[3] .

وقد تبع تنظيم الحكومة المغربية احداث دفاتر جديدة لتسجيل حسابات المالية والجيش والنفقات الملكية الخاصة وما الى ذلك[4] .

وهناك دفاتر تبتديء من العهد الحسني ، وتستخدم لتسجيل نسخ المكاتب الحكومية : من الظهائر والرسائل الصادرة الى مختلف الجهات والأفراد .

وفي المكتبة الملكية بالرباط يوجد عدد من هذه الدفاتر ، ومنها عن عهد الحسن

---

(1) البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان مولاي الحسن » تأليف محمد بن ابراهيم السباعي المراكشي ، نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم D 1346.

(2) انظر « العز والصولة في معالم نظم الدولة » لابن زيدان ج 1 ص 223-225.

(3) « نشاط الاذهان ، وتحفة الاخوان ، في استنباطات ومناقب مولانا الحسن » : اسم رسالة صغيرة من تأليف الحاج الطاهر بن بلقاسم بن العباس بن علي بن الحسن العماري ثم المراكشي ، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1707.

(4) انظر « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 547-556 حيث توجد تفاصيل وافية في هذا الصدد ، وانظر ايضاً نفس المصدر ج 2 ص 458-461.

الأول ما يحمل الارقام الآتية : 348 ـ 353 ـ 360 ـ 364 ـ 397 . وعن عهد السلطان عبد العزيز : 328 ـ 370 ـ 422 ـ 424 ـ 429 ـ 432 ـ 439 ـ 442 ـ 452 .

كما يوجد بنفس الخزانة دفاتر اخرى لحسابات المالية والجيش ومختلف النفقات ، هذا فضلاً عن السجلات المودعة في مراكز متنوعة : حكومية او خصوصية .

ونذيل الآن بذكر لائحة كناشات واوراق وتفاييد مخزنية ، وهي واردة ضمن كناشة في حوزة العلامة الشريف ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني الاستاذ بثانوية مولاي ادريس بفاس ، وتتفرع هذه اللائحة الى تجريدتين : الأولى ترجع الى الايام الاخيرة من عهد السلطان الحسن الأول ، والثانية تعود الى الايام الأولى بعد وفاة الوزير أحماد أيام السلطان العزيز ، ومنهما معاً نتبين مدى سير تنظيم الحكومة المغربية في هذا الطور ، وقد صدرت التجريدة الأولى هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق السبعة : من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية عند نهوض سيدنا المقدس للغرب في اوائل قعدة عام 1311هـ » وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

يوميات المرسي .

كناش تعريب المنفشطوات عن الوضع والوسق ، خدمة الامناء : الحاج ادريس التازي ، واللبادي ، وأزطوط .

وآخر مثله ، خدمتهم ايضاً : الكل بمرسى العرائش .

باكيط يكون بداخله بطائق أو يوميات .

كنانيش بها الموضوعات بالمراسي .

كناش به نسخ الرئيس .

كناش به صائر البابور الحسني خدمة الحاج المدني التازي والزكاري والغسال بمرسى طنجة .

قوائم خرص دكالة ، والسراغنة ، وزمران ، والرحامنة ، وعبدة ، وأحمر ، والشاوية ، وبني حسن ، والغرب ، والخلط ، والطليق ، وعرب سايس ، والزراهنة ، واحواز فاس : عن عام 2 [130] .

قوائم صائر مكناس ، آلة فابريكة السكة التي بالعرصة قبالة القصير ، محاسبة بني حسن .

مكاتب المحتسب ابي عبد اللّه في شأن المكينة واختبار دقيق المئونة .

كنانيش الأروي السعيد .

* * *

وبعد هذا تأتي التجريدة الثانية التي صدرت هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق الثلاثة عشر المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية باواسط ربيع الأول عام 1318 : من الكنانيش والاوراق والتقاييد وغير ذلك » .

وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

كنانيش المستفاد .

كنانيش املاك المخزن : لكل بلد كناشها .

كنانيش 3 بها خدمة ابي المواريث بفاس : الحاج المفضل عمور .

كناش به امور مرس فاس .

كناش الداخل السعيد خدمة اللبادي .

كنانيش 6 بها نسخ محاسبات العمال .

كناش بوسطى فاس عن شهور 6 آخرها ربيع الأول عام 14 .

كنانيش 3 بها صائر بناء سور الدار البيضاء .

كناش به فصال دعاوي اهل الذمة بقبيلة هنتيفة .

كناش الزيت بفاس .

كناش املاك احباس مكناس .

كناش البنيقة المراكشية .

كناش السكة السعيدة : خدمة التازي ووالزهراء .

كناش به صائر دار المعطي الجامعي .

صائر البوسطى بالدار البيضاء : خدمة دنية .

آخر صغير به شروط مليلية .

آخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة الشاوية .

آخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة دكالة .

باكيط به صور مكينات وغيرها وتقاييد اسوامها ، وهي شغل مكينة فاس .

قوائم اسوام السلع بالرباط .

حسابات البرج بالرباط .

حسابات البناء بتغمرت .

بطائق امين البناء بفاس : المقري .

قوائم امين الفبركة .

كناشا السكة خدمة الزكاري ووالزهراء .

كناش الأمور الجهادية .

كناش امين الكنانيش بمرسى تطوان .

كناشا بوسطى فاس : خدمة الحاج عثمان ابن جلون .

كناش بوسطى الدار البيضاء : خدمة احمد فرج آخره حجة عام 13 .

كناش بوسطى آسفي : خدمة الحاج قاسم الديوري .

كناش املاك العرائش .

كناش به رسوم املاك عجرود .

كناش داخل الضرب بفاس .

كناش به صائر بابور المخزن بطنجة : في مدة خدمة الحاج محمد ابن جلون ورفيقه ؟ .

آخر به مستفاد املاك المخزن وفلائك اصطياد الحوت بالثغر المذكور ، على يد المذكورين .
كناش المكينات المشتراة من ايطالية .
كنانيش 2 بوسطى طنجة : خدمة الحساني .
كنانيش 3 بوسطى آسفي : خدمة ابن بوعزة .
حسابات البوسطة : مختلطة قديمة .
باكيط به صور العرائش والقصر وغيرهما .
صورة الطرفاية .
كنانيش الترتيب وقوائم خرص دكالة .
كناشي ركوب الحجاج بطنجة .
كناش به تعريب بطائق النواب بما يحوزونه لانفسهم ، والبطائق واليوميات وخطوط اليد .
وكناشين بهما تقييد البابورات الواردة لطنجة .
كنانيش ٦ بهم تعريب المنفشطوات .
كنانيش ٧ بهم املاك المخزن بحاحا .
كناشين 2 بوسطى فاس .
كناش امين البارود بفاس .
كناش بما احصاه امين الكنانيش بمرسى الجديدة : غلاب .
كناش امين الداخل .
كناش دعاوي الاجانب .

هذه هي المقتطفات من اللائحتين حسب تعبيرها ورسمها ولحنها حينا ، وهي تقدم لنا ايضاً مجموعة من الاسماء للقائمين بالجهاز الاداري في هذه الفترة .

ويلفت النظر ـ اكثر ـ في هذه الدفاتر والأوراق : كنانيش واوراق التعريب ، ومعامل السكة ، والرحي البخارية ، ومحاسبات العمال ، واعمال البريد ، وخرط المعامل والمدن وغيرها .

اصلاحات في الخارجية المغربية

والذي يستحق الدراسة كثيراً في موضوع الحكومة المغربية هـو « الخارجيـة » ، فلذلك ستتناولها في شيء من التبسط :

لقد ادخلت اصلاحات على الخارجية المغربية ، واحدثت لها وزارة على حدة كان صاحبها مكلفاً بالنظر في امور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول ، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم ، وكتابة الرسائل اليهم ، واصدار الأوامر للعمال فيما يتعلق بايالاتهم من دعاوى اهل الحماية ، ومباشرة امر كل وافد اجنبي للمغرب ، وكان الذي يتولاها في العهد الحسني : هو محمد المفضل غريط اول وزير للخارجية المغربية[1] .

وسوى وزارة الخارجية احدث بطنجة ـ مقـر نواب الـدول ـ : منصب النائب السلطاني ، وكان مكلفاً بمفاوضة هؤلاء النواب ـ في عين المكان ـ في القضايا التي بينهم وبين المغرب ، وقد تعاقب على هذا المنصب السادات : محمد الخطيب التطواني ثم محمد بركاش الرباطي[2] ثم محمد الطريس التطواني .

وقد ورد في رسالة حسنية في صدد بعض اختصاصات الوظيفتين ما يلي : وقد كلفنا كاتبنا الطالب محمد المفضل غريط بمباشرة ما يرفع منها « الرسائل » لحضرتنا الشريفة ، وباجوبة النواب عنها ، وخصصناه بذلك اعتناء بشأنها . . . على ان كتابتهم لحضـرتنا الشريفة انما هي على وجه المحبة والسر ، وإلا فالأمور الرسمية المخزنية من وظيفة نائب المخزن بطنجة . . . والكثير منهم يراعي هذا ويكتب لحضرتنا الشريفة بتكليف نائب المخزن بطنجة بمباشرة فصل دعاويه » ، صح من اصل هذه الرسالة المحفوظ بالمكتبة العامة بتطوان ضمن وثائق الطريس ش 418 .

---

(1) الاتحاف ج 2 ص 514.

(2) المصدر ج 3 ص 570 ، وقبل محمد الخطيب كان يتولى اشغال النائب السلطاني : السيد بوسلهام بن علي ازطوط العراشي ، ولكن بالتبع لوظيفته التي هي باشوية مدينة طنجة ، وكان تكليفه بهذه الاشغال اواسط ايام السلطان عبد الرحمن عام 1258هـ/ 1842.

وفي هذا الطور صار للمغرب قنصلية بالقاهرة ـ وسنتحدث عنها بعد ـ كما كان له قنصلية اخرى بجبل طارق ، على ان هذه الاخيرة كان يقوم بها الحاج سعيد جسوس منذ عام 1260[1] ، ثم صار يقوم بها عام 1316 : عبد السلام بوزيان[2] .

والى جانب هذه الاصلاحات الشكلية ادخلت على سياسة المغرب الخارجية اصلاحات جوهرية ، كانت تهدف الى الدفاع « باللسان والقلم » ، وسلوك سياسة التوازن لتحقيق اهداف الخارجية المغربية .

وكانت سياسة التوازن تدور على استغلال التنافس الدولي حول المغرب ، ومماطلة نواب اوروبا في مطالبهم ، وكان بطل هذه السياسة هو السلطان المولى الحسن الأول ، وقد كان يسميها : « عدم تفضيل اجنبي على آخر في المغرب » .

سلك المغرب هذه السياسة ـ مؤقتاً ـ إلى ان تتقوى الدولة المغربية وتنهض من كبوتها .

اما اهداف سياسة المغرب الخارجية في هذا الطور فكانت هي التالية :

1) المحافظة على حدود المغرب التاريخية .
2) مقاومة التدخل الأجنبي .
3) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول .

1) الحدود المغربيـــة

اما الحدود المغربية التاريخية فقد استطاع اولو الأمر في هذا الطور ان يحافظوا عليها في سائر جهاتها .

ونذكر اولاً اقليم شنجيط الذي استمر حتى هذا العهد نـافذاً فيـه حكم ملوك

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 59 مع « مجموعة الظهائر العلوية » لتهليل لوحة 18.
(2) « الرحلة الطنجاوية المعروجة بالمناسك المالكية » تأليف الحسن ابن محمد الغسال الطنجي : مخطوطة .

المغرب الى نهر السنيغال ، ومن شواهد ذلك الرسالة التالية الصادرة عن السلطان المولى الحسن الأول :

« نامر من يقف عليه من عمالنا الى نهر السنغال ، يستوصي خيراً بماسكيه الطالب عبد اللّه بن العبد بن الحرطاني واخوته ، ويوقرهم ويحترمهم ويكف اليد العادية عنهم ، ويأخذ بايديهم فيما يعرض لهم في امور تجارتهم ، رعياً لانحياشهم للدين والصلاح ، وسلوك سبل النجاح ، واللّه ولي التوفيق ، والهادي الى سواء الطريق ، والسلام .

صدر به امرنا المعتز باللّه في الثاني من شعبان المبارك ، عام ثلاثة وثلاثمائة والف »[1] .

ومما ينبغي ان يذكر بعد شنجيط بيعة تيندوف ـ الاقليم المغربي الكبير ـ لملك المغرب ، فان العلامة الجليل الشيخ محمد المختار بن الاعمش الجكني الذي كان يقيم بتيندوف[2] ، بعث الى السلطان محمد بن عبد الرحمن برسالة يبايع فيها عن نفسه وقبيلته ، وجاء فيها في هذا الصدد :

« وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ببقائها الى قيام الساعة : في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون . . .

وما ثبطنا عن القدوم اليكم الا خوف نقض العهد من قتله الشرفاء كما خبره لديكم ، والا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير ، وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائباً عني وعن جميع ناسي »[3] .

---

(1) « صحراء المغرب » السنة الأولى عدد 4.

(2) انظر عن ترجمته « المعسول » ج 18 ص 159-160.

(3) هذه الرسالة يوجد اصلها بمكتبة كاتب السطور .

وبعد شنجيط وتيندوف يأتي اقليم « توات » الذي استنفذ اولو الأمر في هذه الحقبة طاقتهم في الاحتفاظ به ، ولا سيما السلطان المولى الحسن الأول الذي اتصل به بتافيلالت وفد من « توات » عام 1311هـ[1] ، وهذا مسعى واحد من مساعي هذا الملك الديبلوماسية للاحتفاظ باقليم « توات » ، وهو الذي نجده في الرسالة التالية وملحقها :

« خادمنا الارضي الحاج محمد الطريس وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : فتصلك مبيضة نأمرك ان تكتب بها لكل واحد من نواب الاجناس الأربعة : الالمان والانجليز والاستنبول والطليان ، وما يجيبونك به وجهه عزماً ، ثم من اقتضى الحال مشافهته قبل الكتابة له فشافهه ، والكتابة لا بد منها لكل من المذكورين ليحصل الجواب الذي هو المقصود ، واذا وصلك هذا الكتاب بطيه المبيضة المشار لها : فاجب بالوصول عزما ، والاجوبة وجهها بعد ذلك ، والسلام في 23 محرم عام 1309 » .

وهذا نص المبيضة :

« وبعد فان جنس الفرنسيس ادعى ان الصقع التواتي من حيزه ومن عديد رعيته ، مع ان ذلك لم يدعه من قبل ، ولا طمحت نفسه اليه ، ولا كان لهم في حساب ، حتى حدث ذلك الآن لما املوه ، ولم يعتبروا ما هو مقرر من الدلائل والحجج على كون ذلك الصقع من عمالة رعية سيدنا نصره اللّه في القديم والحادث .

منها ، وهو اقوى دليل ، واعدل شاهد على منع دعواه والحجة قائمة عليه به : ان كارطة « خريطة » العمران المجعولة بموافقة سائر الاجناس عام 1884 عجمية مذكور فيها ان بلاد توات من حساب رعية سيدنا ايده اللّه تحد برعية تونس ، وهذه الكارطة كما في علمكم سلمها الاجناس كلهم ، واعطوا خطوط ايديهم على صحتها وتسليمها ، ومنع كل من يريد نقضها ، ولا شك ان تحت يد دولتكم نظيراً من هذه الكارطة « الخريطة » .

ومنها ان اهل هذا الصقع ما برحوا يخطبون باسم مولانا نصره اللّه في الجمع ،

---

(1) الاتحاف (2) 271.

ويدعون لجنابه العالي باللّه على منابرهم الى الآن .

ومنها ان العمال من « جوارهم » هم الذين يتولون عليهم ، ويدفعون زكواتهم واعشارهم لبيت مال رعية سيدنا نصره اللّه ، وفي كل سنة كان الامناء يتوجهون لحيازتها ، ومكاتبهم تتوارد على الحضرة الشريفة ولم تنقطع وفودهم عنها ، وكانوا في طاعة سادتنا الملوك اسلاف سيدنا ايده اللّه ، ومكاتبهم ووفودهم لم تنقطع عنهم مدة حيازتهم كذلك ، ولا زالت موجودة قائمة العين عندهم .

وقد امرني مولانا نصره اللّه بالكتابة لك ولغيرك من نواب الدول المحبة بالتعريف بذلك ، لتتأملوا فيه ، ويظهر لكم عدم الحق للمدعي فيما يدعيه ، وتجيبوا بما ينقطع به طموحه لما يؤمله ، فانكم ـ مع هذا البيان ـ بالضرورة لا تخفى عليكم وجوه مدافعته ، وقطع نظره عن مراده ، والسلام »[1] .

هذا مثال واحد من عديد الامثلة للدفاع عن صقع توات الذي ابتدأ احتلاله من طرف فرنسا آخر هذا الطور ، ثم وقع احتلاله نهائياً اول الطور الثالث الذي سنتحدث فيه عن هذه القضية .

وبعد توات تأتي « حدود المغرب الشرقية » ، فقد كانت المحافظة عليها في نطاق معاهدة طنجة 1844/1260 من اهم ما تعتني به الدبلوماسية المغربية حينئذ .

ومن مظاهر ذلك الاعتناء انه في عام 1301هـ ارسل السلطان المولى الحسن الأول بعثة خاصة تحت رئاسة اخيه الامير عرفة بن السلطان محمد الرابع ، لتراقب حدود المغرب الشرقية حتى يتبين كيف يسير الفرنسيون في تطبيق معاهدة طنجة الآنفة الذكر ، وسارت البعثة حتى وقفت على الحدود المذكورة ، وأدت مهمتها على احسن حال .

---

(1) هذه الوثيقة توجد ضمن اوراق النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد بن العربي الطريس المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان ، وقد اثبتها مؤرخ تطوان الاستاذ الكبير محمد داود في « تاريخ تطوان » : القسم المخطوط ج 8 ، وثبت نصها ايضاً في « صحراء المغرب » السنة الأولى ، العدد 8.

وقد دون اعمالها احد اعضاء البعثة : « علي السوسي » ، في رحلة سماها : « منتهى النقول ، ومشتهى العقول » ، رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمتين ، وذكر في اولها انه الفها لما ذهب للصحراء لقضايا ثلاثة :

(1) النظر في الشقاق الواقع بين قبائل بني يزناسن .

(2) الوقوف على الحدود الواقعة هناك بين المغرب وفرنسا .

(3) الوقوف على الحدود بين المغرب وفرنسا في ارض فجيج .

ومن هذه الرحلة نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم D 633 ضمن مجموع يشتمل عليها وعلى قصيدة للمؤلف نفسه في فتح السلطان المذكور للقطر السوسي ، مع نسخة أخرى بالخزانة الحسنية رقم 2/50 .

ومن قضايا الحدود التي اثارت اهتمام المغرب في هذه الحقبة مسألة « مرسي طرفاية » ، حيث أثارها تصرف شركة « نرف وست افرك » الانجليزية التي يرأسها المسمى مكينسي »[1] .

وخطورة المسألة اتت من كون هذا العمل انما وقع استناداً على اتفاق مع بعض رؤ ساء تلك الجهات : البشير بن بيروك الودنوني ، ودون سابق علم من حكومة المغرب الشرعية .

وقد قاوم المغرب هذا العمل منذ كان محاولة ومساومة ، هذه فقرات من كتاب للملك محمد بن عبد الرحمن يستنكر فيه أية محاولة من هذا النوع ، وذلك بتاريخ 1278[2] .

« . . ومن المعلوم ان اهل تلك البلاد من جملة رعيتنا وايالتنا ، فليس لاحد منهم ان يفعل في شبر منها ما شاء ، ولا تسلمها تلك القبائل ولو افناهم القتال عن آخرهم . . .

---

(1) توجد معلومات مهمة في هذا الموضوع بالاتحاف (1) 380-387.

(2) أصل الرسالة محفوظ في خزانة خاصة .

وان ذكروا لك[1] ان اهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه ، فاجبهم بأن الأمر بخلاف ذلك ، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة ، وليس معه احد فيما رام فعله ، واذكر لهم في ذلك ما يليق ان يذكر . . » .

وبعد هذا الملك ها هو ابنه المولى الحسن الأول يعلن عن مقاومته للمشروع في كتاب وجه به للنائب محمد بركاش بتاريخ 1879/1297 : « . . . واما الفرنصيص فبصره واعلمه بأنا لم نسكت للنجليز على مكينسي ، بل لا زال الكلام معهم في ذلك ، وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله في شأن من ذكر، والمحل الذي نزل به فادعى ان ذلك المحل خارج عن ايالتنا فلم نقبل منه ذلك ، ورددناه عليه بما كنا وجهنا لك نسخة منه ، ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير اذننا ، وتعرفه مع قبائل ايالتنا افتياتا ، وجعل الدرك عليه في كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات : لا في الرعية ولا في الديوانات ، ولا في غير ذلك ، لمخالفته للشروط والقوانين ، وفي كل ما يقع له ولمن معه : لا في ابدانهم ، ولا في امتعتهم ، لنزولهم هناك من غير اذن ، ولا درك فيه على المخزن ، ولا على قبائل تلك الناحية ، والتأكيد عليه في الكلام مع دولته في غلق ابواب المضرة التي فتحها مكينسي بانهاضه من تلك الناحية ، ونحن على نية توجيه من يتكلم مع دولتهم . . .[2] » .

ومع هذا كله ابي عناد الشركة الانجليزية الا ان تنفذ الفكرة فبنت المرسى ، ولكن سلطان المغرب المولى الحسن الأول كان لها بالمرصاد ، فقاومها بكل وجه حتى انتهت المشكلة بنجاح الجانب المغربي ، وتم الاتفاق على تسليم البناء المحدث بمرسى طرفاية للحكومة المغربية التي التزمت بان تؤدي للشركة تعويضاً عن بنائها ، وكان ابرام هذا الاتفاق اول عهد السلطان عبد العزيز ، الذي صادق عليه بتاريخ ١٦ رمضان عام 1312هـ ، وجاء الشرط الأول منه هكذا :

---

(1) المخاطب هو الامير المولى العباس أخ السلطان محمد الرابع .

(2) يوجد النص الكامل للكتاب بالاتحاف (2) 333-335 .

« اذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة ، لا يبقى كلام لاحد في الأراضي التي من وادي درعة الى راس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة ، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الاراضي ، لكون ذلك كله من حساب ارض المغرب » .

ثم وقع تسليم البناء المحدث للوفد المبعوث من طرف ملك المغرب لهذه الغاية ، وذلك في محرم فاتح عام 1895/1313 ، وبذلك تم انتصار المغرب نهائياً في مسألة « مرسى الطرفاية » ، وقد حدث بعد هذا ان احتلتها اسبانية ، ثم عادت بعد الاستقلال إلى حظيرة المغرب .

2) مقاومة التدخل الاجنبي

كان الهدف الثاني لسياسة المغرب الخارجية : مقاومة التدخل الاجنبي ، اي مقاومة تدخل الدول صاحبة الامتياز بالمغرب ، وهي ألمانيا ، والنمسا ، وبلجيكا ، والدانمارك ، واسبانيا ، وأمريكا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وايطاليا ، وهولاندا ، والبرتغال ، والسويد ، وهذه الدول هي التي شاركت في مؤتمر مدريد الآتي .

وان أول مظهر لذلك التدخل كان هو « مشكلة الحمايات » ، التي يقصد منها تميز بعض المواطنين الملحقين بالاجانب بكثير من الامتيازات التي يحرم منها بقية المواطنين .

ومنذ منتصف القرن 19م ـ حيث نشأت طائفة المحميين ـ كانت الحمايات لا تشكل خطراً كبيراً على المغرب ، وانما صارت كارثة بعد حرب تطوان ، حيث صار بالتدريج للدول المتقدمة امتيازات تجعل لممثليها في المغرب الحق في تعيين ما يشاءون من عدد المترجمين والخدم من المغاربة او غيرهم ، ولهم ان يتخذوا نواباً عنهم في كل ثغر من ثغور هذه البلاد ، ولكل واحد من هؤلاء النواب الحق في اتخاذ ترجمان واحد وبواب واحد وخادمين ، ويعفى هؤلاء جميعاً من جميع ما تفرضه الحكومة المحلية على رعاياها من تكاليف غير متفق عليها ، إلى آخر ما تضمنته معاهدة المغرب مع انجلترا سنة 1856/1273 ، التي كانت الحجر الأساسي للامتيازات التي نالتها الدول الأخرى .

وإلى جانب هذا كله استغل الاجانب الظروف السيئة التي احاطت بالبلاد ، فاغتصبوا كثيراً من الحقوق بالاكراه ، من غير اعتماد لا على نصوص من المعاهدات ، ولا على تشريع مغربي داخلي ، فتفاحش ـ بصفة خاصة ـ توزيع الحمايات على المواطنين المغاربة ـ على خلاف نصوص المعاهدات ـ بشكل واسع النطاق زاد من ارتباك الحكومة المغربية .

وقد صور السلطان المولى الحسن الاول هذه الحالة اصدق تصوير لما قال للنائب محمد بركاش : « ان ادارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطانها » ، من كثرة ما منحته الدول الاجنبية من حمايات غير مشروعة .

وقد انضاف لهذه المفسدة ان الحمايات صارت تقف حجر عثرة في سبيل ادخال الاصلاحات على المملكة المغربية .

لهذا كله اخذ السلطان المولى الحسن الأول بمجرد ما تسلم مقاليد الحكم يفاوض الدول الاكثر مصالحاً بالمغرب في تعديل أمر الحمايات ، وهذا كان أهم أهداف سفارة الحاج محمد الزبدي الرباطي التي بعثها هذا السلطان غب بيعته لأربع دول : فرنسا ، وبلجيكا ، وانجلترا ، وايطاليا عام 1876/1293[1] .

ثم ما زال هذا الملك يوالي المساعي لتعديل امر الحمايات ، حتى توصل إلى عقد « مؤتمر مدريد » ، الذي انعقد بعاصمة اسبانيا ، وحضر فيه إلى جانب المغرب 12 دولة ، وهي صاحبة الامتيازات الآنفة الذكر ، وقد صادق هذا المؤتمر على وثيقة تشتمل على ثمانية عشر فصلاً ، حررت بمدريد في 3 يوليه عام 1880م . الموافق 24 من رجب عام 1297هـ ، والوثيقة مذكورة بنصها في الاتحاف[2] ، وتوجد صورة فوتوغرافية منها « بمجموعة الظهائر الشريفة »[3].

---

(1) انظر كتاب « مركز الاجانب في مراكش » لمحمد ابن عبود ص 36-37 مع الاتحاف ج 2 ص 279-280 و 301 و 311-312.

(2) ج 2 ص 421-428.

(3) لنهليل لوحة 49.

وان مقررات هذا المؤتمر ـ وان لم تستجب لرغبة المغرب ـ فانها أفادته في حصر عدد المحميين ، وتقييدهم في دائرة خاصة ، كما أنها منعت التجنس بالجنسيات الاجنبية على المغاربة ، واخيراً كان المؤتمر بمثابة اللبنة الاولى لتدويل « المسألة المغربية » .

وسوى مسألة الحمايات فهناك مظاهر أخرى للتدخل الأجنبي ، اخطرها الذي كان يأتي من الجمعيات اليهودية بأوروبا ، ذلك انه في عام 1862/1278م . تأسس في أوروبا : « الاتحاد الاسرائيلي العام » ، الذي كان يهدف إلى النهضة باليهود في سائر أنحاء العالم نهضة شاملة ، تأسس هذا الاتحاد في فرنسا ، ثم امتدت فروعه إلى ممالك اوروبا .

وكان في مقدمة أعماله ان صار يتدخل في شؤون اليهود الموجودين في الممالك الاسلامية ، ويتبنى مطالبهم وتظلماتهم ليقدمها للمسؤولين في هذه الممالك ، وكان يلقي اعانة وتأييداً من طرف بعض الدول الكبرى بأوروبا .

نال المغرب نصيبه من هذا التدخل ، فقابل كل قضية بما تتطلب من العلاج المستمد من دستور البلاد الشرعي الاسلامي ، وكان أول تدخل في شؤون يهود المغرب هو الذي يحدثنا عنه صاحب الاستقصا[1] ويقول :

« وفي هذه السنة (1280) : ورد يهودي من اللوندرة على السلطان بمراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب ، وذلك لأنه لما كانت وقعة تطوان ودهم الناس ما دهمهم من أمر الحمايات ، وأكثر من تعلق بها اليهود ، لم يقتصروا على ذلك ، ورامو الحرية تشبهاً بيهود مصر ونحوها ، فكتبوا إلى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشايل ، وكان هذا اليهودي قارون زمانه ، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الانجليز ، فكتب يهود المغرب إليه أو بعضهم يشكون إليه ما هم فيه من الذلة والصغار ، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان في الانعام عليهم بالحرية ، فعين هذا اليهودي صهراً له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره ، واصحبه هدايا نفيسة ، وسأل من دولة النجليز ان

(1) ج 4 ص 227-228.

يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا لـه في قضاء غـرضه ، ففعلوا ، وقـدم على السلطان بمراكش ، وقدم هداياه ، وسأل تنفيذ مطلبه . فتجافى السلطان عن رده مخفقاً ، واعطاه ظهيراً فتمسك به اليهود ، يتضمن صريح الشرع ، وما اوجب اللّه لهم من حفظ الذمة ، وعدم الظلم والعسف ، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى .

ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير اخـذوا منه نسخـاً وفرقـوها في جميـع يهود المغرب ، وظهر منهم تطاول وطيش ، وأرادوا أن يختصوا في الأحكام فيما بينهم[1] ، لا سيما يهود المراسي ، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ، ثم ابطل اللّه كيدهم ، وخيب سعيهم ، على ان السلطان لما احس بطيش اليهود ، عقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد، وان ذلك الايصاء انما هو في حق اهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم، واما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني ، فيعاملون بما يستحقونه من الأدب » .

هذا ما جاء في الاستقصا باختصار ، ويفيد مصدر[2] آخر ان يهود المغرب رفضوا ذلك التدخل، وارسلوا الى اخوانهم باوروبا يطلبونهم ان يدعوهم على عادتهم المألوفة ، ولا يتدخلوا فيهم ، وإعلنوا للحكومة والشعب بذلك .

ثم بعد هذا تكرر تدخل « الجمعية اليهودية الانجليزية » في شؤون يهود المغرب مرات : من ذلك ما وقع أول عهد السلطان المولى الحسن ، فقد تقدمت له « الجمعية اليهودية الانجليزية » بتهنئته بالملك ، واردفت ذلك بأن طلبت منه تحسين احوال الرعايا الاسرائيليين .

ولما كانت السفارة الزيدية بلندرة عام 1876/1293 ، بعثت هذه الجمعية للسلطان

---

(1) كانت هذه النازلة موضوع سؤال بعث به السلطان الحسن الأول الى علماء فاس ، حيث أجاب عنه الشيخان جعفر الكتاني والقاضي حميد بناني ، ثم نشر الجوابان بالمطبعة الحجرية الفاسية آخر مجموع : ص 56-67.

(2) « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج 1 ص 64 ، وفيها زيادة توضيح للموضوع .

المغربي بواسطة السفير الزيدي كتاباً ببعض المطالب المتعلقة بيهود المغرب ، وهو محرر في 25 شهر تموز سنة 1294/1876[1] .

وفي عام 1880/1297 نجد يهودياً انجليزياً يزور مدريد اثناء انعقاد « مؤتمر الحمايات » بها ، ليعمل على عرقلة اعمال النائب المغربي بالمؤتمر[2] .

وكما قلنا اولاً فقد عالج المغرب هذا النوع من المشاكل بمهارة ودهاء مستمدين من دستور البلاد الاسلامي ، وهذه رسالة كتبها وزير خارجية المغرب ليهود مراكش ، نقدمها كمثال لسياسة المغرب الحكيمة ازاء هذا المشكل .

« من عبد اللّه تعالى وزير الأمور البرانية بالحضرة العالية . اعز اللّه امرها ، وابد فخرها » .

إلى كافة يهود ملاح مراكش : اخص منهم حزانة جموعهم واساقفتهم وتجارهم واعيانهم .

أما بعد فقد بلغ لشريف علم حضرة سيدنا العالية باللّه ، اعزها اللّه : ان عاملكم القايد محمد وبدة السوسي لم يحسن السيرة معكم ، وعاملكم معاملة غير مليحة ، وشدد عليكم ، فلم يلق ذلك بسيدنا نصره اللّه ولم يعجبه ، لأنكم أهل ذمته ، ومن رعيته ، فلا يحب ـ أيده اللّه ـ ان يقع لكم تضييق او ظلم من أحد ، او معاملة بمكروه ، وإنما يحب أن تكونوا في أمن وأمان من ذلك ، وعلى حالة مليحة ، وفي عيشة مرضية ، وعز به الحال ـ دام تأييده ونصره ـ حيث بلغه ذلك عنكم من عند « الناس » ولم يبلغه من عندكم ، إذ كان من حقكم ان تكتبوا لاعتابه الشريفة بالاعلام بذلك ، كما يكتب بعض تجاركم

---

(1) ثبت نص هذه الرسالة بالاتحاف ج 2 ص 298-301.

(2) هذا يؤخذ من رسالة في « الاتحاف » ج 2 ص 416 ، وللمزيد من التفاصيل عن هذا التدخل: يرجع الى محمد المنوني : « ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة الى الاصلاح في القرن 19 : من خلال وثيقة موضوعية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية » بالرباط ، العدد التاسع : ص 145-153.

ومقدميكم لها في الأمور ، وقد امرني نصره الله بالكتابة لكم بأن تكونوا تكتبوا لنا بما يقع لكم ، وذلك لنطالع به علمه الشريف ، كما امرني ايده الله باعلامكم بأنه اصدر امره الشريف للعامل المذكور ، بأن يحسن السيرة معكم ، ويعاملكم بمثل ما يعامل به من إلى نظره من المسلمين : من الحكم عليكم في الدعاوي المخزنية بما يقتضيه الحق فيها ، مثل ما يحكم به على المسلمين ، ويجريكم مجراهم في جميع الأمور من غير فرق ، ويرد دعاويكم الشرعية لاساقفتكم وخزانتكم ، ويمشي مع أهل الحمايات منكم على مقتضى الشروط والقوانين ، ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه ، والتمام في 7 جمادى الثانية عام 1310 »[1] .

هذا ولنذكر اخيراً ان يهود المغرب ـ بالرغم عن كل شيء ـ استمروا يدفعون الجزية للحكومة المغربية حتى أوائل القرن العشرين م .

3) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول

ان هذا الإصلاح تناول ـ بالخصوص ـ علاقات المغرب مع مصر ، والدولة العثمانية ، أما مصر : فمن أول هذا الطور أخذت تدخل علاقات المغرب معها في عهد جديد ، فقد حاول الملك محمد الرابع : أن يستعين بمصر ـ إلى جانب اوروبا ـ فيما يعتزم ادخاله على البلاد من اصلاحات .

وهكذا جلب هذا الملك من مصر صناعاً اختصاصيين للعمل في معمل السكر الذي احدثه بمراكش ، كذلك وجه بعض البعثات إلى مصر أيام سعيد باشا[2] واسماعيل باشا ، وتوجد بعض معلومات عن هذه البعثات في مراسلات[3] جرت بين الملك محمد الرابع والخديوي اسماعيل باشا .

---

(1) هذه الرسالة وردت بالاتحاف ج 2 ص 265-266.

(2) انظر ـ فيما سيأتي ـ موضوع : « بعثات الى مصر وأوروبة » : ص 156-166 .

(3) هذه المراسلات لم أقف منها الا على النص المصري ، وهما رسالتان صادرتان عن الخديوي اسماعيل باشا الى الملك محمد الرابع ، وقد وردتا في « الآثار الفكرية » ص 54-56 ، وهما من انشاء الكاتب المصري الشهير عبد الله فكري باشا ناظر المعارف المصرية اذ ذاك .

ويؤخذ من مكتوب مصري إلى ملك المغرب : أن هذا الاخير كان بعث برسالة للخديوي اسماعيل بشأن بعض الطلاب الذي أرسل من المغرب ليتدرب على أشغال الطبع بمصر ، ويؤخذ ـ أيضاً ـ من المكتوب نفسه : خبر رسالة ثانية بعثها الملك المغربي لعزيز مصر تتضمن الرغبة في تعليم ثلاثة طلاب مغاربة بعض الفنون العسكرية .

ويفيد مكتوب مصري آخر : أن هناك رسالة ثالثة بعثها محمد الرابع لاسماعيل باشا في غرض تهنئة .

ونرى من المفيد لهذا الموضوع : ان نقتبس من المكتوب المصري الأول موضع الشاهد منه ونثبته فيما يلي :

« . . . هذا وقد سررت بورود مشرفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم ، وذلك لما فيها من الاعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه ، وتسهيل السبيل في نشره بين البرايا وتعميمه ، وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين ، وتقريب تناولها إلى أيدي الطالبين والراغبين ، وهذا دليل ظاهر ، وبرهان باهر ، على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ، ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة ، واهتمامكم بأمر العلم الكريم واهله ، وقيامكم بما يجب من حق فضله ، فمتع اللّه ببقائكم الملك والعليا ، ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا ، وقد ارسلنا المومي إليه إلى دار الطباعة ، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال ادواتها ، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها ، وسائر كيفياتها .

ثم ورد مشرفكم على يد الثلاثة المعلمين في صناعة البارود ، المراد تعليمهم صناعة التبرديج ورعايتهم ، حتى يتحصلوا على هذا الغرض المقصود ، فأرسلناهم إلى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية في الحال ، وأوصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصناعة من الأعمال والاشغال ، وأخذها عن اهلها المتقنين ، وأربابها الماهرين المتفننين ، حتى يتحصلوا على البراعة ، في أشغال تلك الصناعة .

هذا : والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام ، وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الاعلام ، والمسؤول لنا ولكم من اللّه الكريم المتعال : دوام حسن الحال وحسن المآل ، بجاه رسول الرحمة ونبي الكمال ، حرر في شوال سنة 1283 » .

ولقد بلغ تمتين العلاقات بين المغرب ومصر إلى درجة التمثيل السياسي ، حيث صار يوجد بمصر قنصلية مغربية تهتم بالنظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية وأعمالها ، وكان للقنصل المغربي الحق في ان يستنيب عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي يستوطنها المغاربة ، كما سنراه في ظهيرتال .

وقد وجد أول قنصل مغربي بمصر من أواخر عهد السلطان سليمان العلوي .

وهناك رسالة من خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام ، يخاطب فيها ابن عمه « مولاي محمد » ، ويخبره بوفاة سلفه وولايته هو للسلطنة بالمغرب ، كما يوصيه بالفقيه الكاتب العربي الدمناتي[1] ، الذي يمر بمصر في طريقه للحج والزيارة ، وفي كناشة هذا الاخير[2] ورد نص الرسالة مصدراً بالكلمة التالية :

« وكتب في معنى ما بمحوله لوكيل المغاربة بمصر في حينه :

1) مولاي مَحمد بن المهدي .

وهكذا نستفيد اسم أول قنصل مغربي في هذا الفترة ، اما الآخرون فهم :

2) الحاج محمد الحبابي عام 1286هـ .

3) الحاج عبد الغني بن الطيب التازي « فرفة المزعلك » الفاسي ، أيام السلطان محمد الرابع والحسن الأول ، وفي أوائل عهد هذا الاخير توفي بمصر عام 1294هـ[3] .

4) الحاج عبد الواحد بن الطيب التازي ابن أخي الذي قبله : أيام الحسن الأول ،

---

(1) ترجمته في « فهرس الفهارس » ج 1 ص 300-302.

(2) في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 3718.

(3) « زهر الاس في بيوتات فاس » لابي محمد عبد الكبير بن هاشم الكتاني ، خ ـ ع ك 1281 ـ ج 1 ص 430-431 .

ثم أوائل عهد ابنه المولى عبد العزيز ، حيث توفي بفاس عام 1313هـ[1] .

5) الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي ، وكان نائباً عند القنصل قبله ثم خلفه بعد وفاته : اوائل عام 1313هـ .

وهذه ثلاث وثائق في هذا الصدد ، وتتعلق الاولى بظهير تعيين الحاج عبد الواحد التازي قنصلاً للمغرب بمصر ، وهو صادر عن السلطان الحسن الاول ، ونصه :

« يعلم من كتابنا هذا اسما اللّه قدره ، وأعز أمره ، وجعل فيما يرضيه لفه ونشره ، اننا بحول اللّه وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، أسندنا النظر لما سكه خديمنا الأرضي ، الحاج عبد الواحد بن محمد التازي ، في خاصة امور المغاربة القاطنين بالايالة المصرية والمارين بها لبيت اللّه الحرام، وعامتها : نيابة عن جانبنا العالي باللّه ، وأقمناه في ذلك مقام عمه الحاج عبد الغني رحمه اللّه ، لما ثبت عندنا من حزمه ودينه ومروءته ، واهليته لذلك وصلاحيته .

فنأمرهم أن يكونوا عند اشارته ، كما نأمره بتقوى اللّه في امرهم ، ومراقبته ، والتحري فيه جهد استطاعته ، وحسن السيرة معهم ، ومعاملتهم بالجميل ، والكون في ذلك عند الظن والتأميل ، وأن يراعي فيهم القربة وتنظف التربة والانقطاع ، سيما المتوجهين منهم لاشرف البقاع ، وان لا يغفل عن ارشادهم ، وتنبيههم لطرق رشادهم ، ونطلب اللّه ان يهديه لاقوم طريق ، ويعلقه من التقوى بالسبب الوثيق ، والسلام .

في عاشر شوال الابرك ، عام اربعة وتسعين ومائتين وألف »[2] .

الثانية : رسالة من نفس السلطان إلى خديوي مصر إسماعيل باشا في موضوع

---

(1) المصدر الاخير ـ ج 1 ص 432-433.

(2) ورد نص هذا الظهير في زهر الاس الآنفة الذكر ـ ج 1ص 432-433.

تعيين القنصل التازي : ونصها :

إلى المحب الأمجد ، الرئيس الانجد ، أمير مصر وعين اعيانها ، وعمدتها المتصرف في ميدان الرئاسة والسياسة كما شا ، المعظم المكرم السيد اسماعيل باشا ، آثر اللّه بمآثر الفضائل جلالكم ، وحفظ بعين الكلاءة كمالكم ، وسلام عليكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته .

اما بعد ، فانا نحمد اليكم اللّه الذي لا إله إلا هو مفيض النعم ، ومفيد الفضل الذي جلّ وغنم ، ونسأله لجنابكم العزيز دوام العافية ، وسبوغ أردية نعمه الضافية ، وننهي لحضرتكم العزيزية ، أننا قدمنا ماسكه خديمنا الأرضي الأنجد ، الحاج عبد الواحد التازي الفاسي وكيلاً عن جنابنا العالي باللّه ، في إيالتكم المصرية المحروسة باللّه ، وأسندنا إليه النظر في رعايانا السكان بها والوافدين على طريقها لحج بيت اللّه على العادة المألوفة ، والطريقة الجلية المعروفة : لدى أنظاركم التي هي بالسداد موصوفة ، وحررنا هذا المسطور لحضرتكم العزيزة تنبيهاً لهمتكم عليه ، واظهاراً لما شرفناه به من رفيع الخدمات واسندناه إليه ، والظن بشيمكم الكريمة . وآرائكم المستقيمة ، ان تقابلوه بمزيد الاعتناء وتام القبول ، وتبلغوا في اعزازه غاية المأمول ، وتخصوه بملاحظة التجلة والاعتبار ، وتنزلوه منزلة أخص الاجناس في الايراد والاصدار ، اقتداء بسير سلفكم الابرار ، فقد كانت لسلفنا معهم رحم ومحبة ينبغي أن توصل ولا تقطع ، ونرجو من اللّه ان تكون بيننا اوصل وانفع ، واللّه يبقيكم رافلين في اردية السعادة ، مبلغين من مناكم منتهى الارادة »[1] .

الثالث : ظهير صادر للنائب الحاج محمد بن العربي الطريس ، في موضوع تعيين الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي قنصلاً للمغرب ، وهو صادر عن السلطان عبد العزيز ابن الحسن الأول ، ونصه :

---

(1) هكذا ورد نص هذه الرسالة دون تاريخ في « العز والصولة في معالم نظم الدولة » للمؤرخ ابن زيدان ـ ج 1 ص 293.

« خديمنا الأرضي ، النائب الحاج محمد بن العربي الطريس ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فقد كلفنا خديمنا الأرضي ، الحاج محمد الحلو القاطن بمصر ، بما كان ملكفاً به خديمنا المرحوم الحاج [محمد بن] عبد الواحد التازي : من النظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية واعمالها ، واذنا له في استنابة من ترضى انابته عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة فيها القرار ، من تلك الديار ، وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه مع كتابنا الشريف له بما ذكر .

فنأمرك ان توجهها له ، وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه : من امر المصارفة مع الاجانب ثمة ، وغير ذلك من الكتب لنائب النجليز هنالك بتعريفه بذلك واعلامه به ، ليكتب لكبيرهم بمصر في شأنه ان كان الحال يقضي اعلامه بذلك ، وإلا فأنت أعرف ، والسلام .

في 22 ربيع الثاني عام 1313 »[1] .

* * *

وبعد مصر نحاول ان نعرف التجديد الذي دخل على علاقات المغرب بالدولة العثمانية في هذا الطور :

ان هذا التجديد ـ في اطار اتحاد اسلامي ـ هو الذي كانت الدولتان في العهد الحسني تعملان لتحقيقه ، وقد تبادلا في هذا الصدد بعض مراسلات وبعثات ، وأن هذا كان أحد أهداف سفارة الحاج العربي بريشة التطواني للاستانة ، حيث اقتبل بها بغاية الحفاوة من السلطان العثماني : عبد الحميد خان الثاني ، وهذا أيضاً كان موضوع زيارة السيد إبراهيم السنوسي ـ آتي الذكر ـ للمغرب ، وفي النهاية تم الاتفاق على تبادل التمثيل

---

(1) ورد نص الظهير في تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

الدبلوماسي بين الدولتين ، ورشح لتمثيل المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي الفاسي العلامة الشهير ، كما رشح لتمثيل الدولة العثمانية الأمير محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري ، ثم حال دون تحقيق هذه الغاية معارضتها من طرف اكثر قناصل الدول الموجودين بطنجة ووقوفهم ضدها ، الأمر الذي اضطر السلطان الحسن الأول إلى تأجيل هذه القضية حتى تسنح الفرصة ، ولكنه مات رحمه اللّه وما سنحت الفرصة[1] .

وقد كانت هذه المسألة موضوع تعاليق في الصحافة العالمية : وتثبت هنا تعاليق بعض الصحف العربية حسب سياق جريدة « الطان » الباريسية[2] :

« . . وقد نشرت جريدة « المغرب » التي تطبع بطنجة فصلاً مطولاً أعربت فيه عن الفوائد الدينية والتجارية التي تنجم من انشاء تلك المأمورية العثمانية بحكومة مراكش ، ومن غرائب التصادف ان جريدة « ثمرات الفنون » التي تطبع ببيروت ، كتبت ـ هي ايضاً في نحو الزمن عينه ـ مقالة ضافية الذيل ، واوضحت بها العوائد المادية والادبية التي لا بد ان تعود على الدولتين الاسلاميتين من انشاء تلك المأمورية ، وحسنت في عيني ملك مراكش أن يبعث بشبان مراكشيين الى عاصمة الدولة العلية لتلقي العلوم بمدارسها العليا ، وبثها في مراكش عند رجوعهم . .

وقد عضدت جريدة « الصباح » بالاستانة كلام الجريدة الشامية بقولها : إن انشاء المأمورية المذكورة يحصل منه فوائد تجارية ودينية لا تدخل تحت حصر ، وان اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ قد اجل بحكمه العزيز تحقيق ذلك إلى زمن السلطان الجليل الشان : عبد المجيد « كذا » خان ، لتعد هذه مأثرة من مآثره المفتخرة ، واعماله الممجدة . . . وبقي علينا ـ الآن ـ أن نترقب ما يقر عليه رأي الدولة في هذا الشأن ، وكل آت قريب » .

---

(1) « الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » ص 87-88 ، مع بعض المحادثات الموثوق بها ، وانظر عن ترجمة السنوسي معجم المؤلفين لرضا كحالة ، ج 1 ص 11.

(2) « منتخبات المؤيد » : السنة الأولى ، عام 1307/1890 ص 423-424 ، ط. مطبعة المؤيد ، عام 1324 هـ .

ومن تعاليق بعض المؤلفين[1] في نفس الموضوع : هذه الفقرة التالية : « وقد كان المولى حسن لما رأى ضعف حكومته امام دول اوروبا . الساعية على الدوام في الحصول على المنافع التجارية والسياسية في بلاده ، والبحث على ما يكون به زعزعة اركان هذه الدولة : اشار رؤساء دولته عليه بتجديد العلاقات الودادية بينه وبين الدولة العثمانية ، ليكون في اتحادهما ـ معاً ـ مأمن له ولقومه . . . فأرسل من طرفه : (1293 هـ) السيد ابراهيم السنوسي . . . إلى الاستانة العلية للمخابرة بهذا الشأن ، وعقد اتفاقية بين الطرفين ، فسافر هذا المأمور السياسي ، وبينما كان يتخاير مع الحكومة العثمانية ظهرت علامات الحرب الروسية العثمانية ، التي سبقها قيام بعض الايالات التابعة للدولة ، فكان ذلك من الأسباب التي حالت دون بلوغ المرام ؛ وعاد المأمور الى بلاده » .

* * *

والآن نسجل ان المغرب تبادل مراسلات مع الباب العالي في هذا الصدد ، ومنها رسالة من الخليفة عبد الحميد الثاني إلى السلطان الحسن الأول ، الذي اجاب عنها برسالة في المستوى .

ثم رسالة من شيخ الإسلام ، المفتي الأول بالمملكة العثمانية حسن خير الله ، يخاطب فيها الوزير الحاجب موسى بن احماد باذن عبد الحميد ، وتحمل ـ مع الرسالة الأولى ـ تاريخ غرة ربيع النبوي عام 1294هـ ، وقد حملها معاً إلى المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي .

الرابعة : رسالة من وزير خارجية الدولة العثمانية الى وزير خارجية المغرب ، في موضوع انشاء سفارة عثمانية بطنجة ، وتحمل تاريخ 15 ربيع الآخر ، عام 1304هـ .

ويحتفظ « اتحاف اعلام الناس »[2] بنص الرسالتين : الثالثة والرابعة ، اما الأولى

---

(1) « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، تأليف اسماعيل سرهنك ؛ الطبعة الأولى بالمطبعة الاميرية بمصر ج 1 ص 350.

(2) الرسالة الثالثة : ج 2 ص 361 — 362 ، والرابعة : ج 2 ص 359-360 .

والثانية فنوردهما هنا[1] ، وهذا نص الرسالة العثمانية الى السلطان الحسن الأول :

« بسم اللّه الذي رفع من اتقى ، وأيد من لحدوده وقى ، ان ابـرك عنوان مـا بدىء به : بسم اللّه الذي لا واضع لما رفع ، ولا دافع لما حكم وقضى ووضع ، ولا واصل لما قطع ، ولا مفرق لما جمع ، سبحانه من مليك يفعل ما يشاء ان شاء ضر وان شاء نفع ، له الأمر فالكل حكمه كيف وقع ، ووصل من اراد ومن اراد قطع ، وجعل نظام هذه الامة المحمدية باتحاد كلمتها وان شط المزار بينهم وجمعهم كشع ، ولولا دفاع اللّه الناس بعضهم ببعض لوقع ما وقع .

أحمده على كل حال أعطى او منع ، واشكره على ان كشف للبصائر ما كاده عدو اللّه تعالى وخدع ، واصلي واسلم على سيدنا محمد الذي ارسله اللّه تعالى والكفر قـد علا وارتفع ، ففرق بمجاهدته البـاهرة من شـره ما اجتمـع ، وعلى صـاحبه ابي بكـر الصديق الذي نجم نجم شجاعته يوم الردة وطلع ، وعمر الفاروق الذي عز الاسلام به وارتفع ، وعثمـان ذي النورين الـذي رضي بالبـلاء والقضاء ومـا ابتدع ، وعـلي المرتضى الذي دحض الكفر وقمع ، وعلى جميع الآل والاصحـاب ، ومن تبعهم في مسالك الصواب .

أما بعد اهداء ما تتعطر به انوف الاسماع من نفحات التحية الـواردة من مورد الوداد ، واسداء صحيفـة المحبة الـدَّالة عـلى الاتحاد ، إلى جنـاب أخينا في اللّه عـلى الحقيقة ، ومن هو معنا ـ وللّه الحمد ـ على خير طريقة . وارث المجد والمفاخـر ، من جرثومة شريفـة المبدا والاخـر ، شمس فلك تلك الاقطار ، المضيء بضيـاء نجابتـه المصطفوية الفائقة الفخار ، وارث السلطنـة بالاستحقـاق ، معدل العـدل والاحسان المنتشر في الآفاق ، ذي الهمم العلية ، والشيم البهية .

---

(1) الرسالتان ـ معاً ـ وردتا بذيل مخطوطة ديوان الوزير محمد ابن ادريس ، خ . ع.ج 845 ـ ص 361-368 ، مع كناشة العباس بن الشيخ محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي ص 481-485

لـه همـم لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا وهمتـه الصغـرى اجـل من الـدهـر

خاقان بني هاشم ، أهل الفصائل والمكارم ، الذين لا تعد ولا تحصى مفاخرهم بآلاف الآلاف ، واني كآل قصي وعبد مناف .

ألـسـتـم خـيـر مـن ركـب المـطايـا وانـدى الـعـالـمـين بـطون راح

اخينا السلطان المعظم حسن ، المتخلق بكل خلق حسن ، ابن المرحوم محمد ، سلطان الممالك المغربية ، وفقه الله تعالى وايانا الى المساعي الحميدة المرضية ، آمين .

فالذي نعلم به جنابكم الرفيع المقدار ، ونخبركم بما وقع بتقدير الله الحميد الغفار ؛ هو انه بمقتضى الارادة الالاهية ، والمشيئة الربانية ، قد جلست على كرسي الخلافة الكبرى والامامة العظمى إرثاً عن آبائي الخلفاء العظام ، واجدادي ذوي الفتوحات المقرونة بإعلاء كلمة التوحيد بين الانام ، وذلك ببيعة اهل الحل والعقد من العلماء الاعلام ، والوزراء والامراء وعساكر الاسلام ، وكافة الخواص والعوام ، على وجه الكمال والقبول التام ، واسأله تعالى بجاه نبيه الأمين ، وآله وصحبه ذوي اليقين ، ان يوفقني كما وفق اسلافي الى نصرة الدين المبين ، وترويج شريعة سيد المرسلين ، وخدمة الحرمين الشريفين بالاحترام ، ومزيد الاجلال والاكرام ، مقروناً باتباع السنة الغراء، والاجتناب من البدع والاهواء، وكذلك المأمول منكم الدعاء لنا بالتوفيق ، إلى حسن منهج الطريق .

هذا ونحن وان كانت المراسلة بيننا مقطوعة ، ومألكة المودة ممنوعة ، إلا ان عهد المودة التي بين اسلافنا دعا الى تجديد عهدها بين أخلافنا ، كما قيل وصحت بذلك الانباء : محبة الاباء ترثها الابناء ، ومع ذلك فالاتحاد في الدين ومذهب اهل السنة ، يوجب كمال الالفة والتشابك في قهر الاعداء بسل الأسنة ، فإن ما يزري بطائفة من ذوي التوحيد ، فقد يزري بالأخرى بلا مرية ولا ترديد ، وما يكون ذريعة لتقوية من تصدى للقيام باعباء الخلافة بين أظهر المشركين ، فلا ريب في انه موجب لعز سائر الموحدين ، وان اختلفت مراكزهم بالمشارق والمغارب ، كما هو غير خفي على من ينظر

لعواقب الأمور ولا عازب ، كيف واتحاد المسلمين مما حثّت به الآيات الكريمة البينات ، والأحاديث الشريفة الواردة من سيد الكائنات ، قال اللّه تعالى لايقاظ كل ذي نخوة : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾، وقال صلى اللّه عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ؛ وغير ذلك من الأحاديث المسطورة في الكتب الصحاح ؛ التي هي غير خفية عنكم ولا تحتاج الى البيان والايضاح ؛ ولا سيما في هذا العصر الذي ظهر فيه الكفر وعلا ؛ وقوى أهله بين الملا ؛ فيجب علينا معاشر المسلمين كافة ؛ الاتحاد والتعاضد والتناصر لدفع كيد المشركين ؛ وإبقاء شعائر الاسلام بين المؤمنين ؛ والاّ فعاقبة الأمر تئول إلى محذور عظيم لا ينحوا منه احد من المسلمين ولو كان في اقصى البلاد ؛ ولا يجدي التباعد والسكوت في دفع ما لاعداء الدين من المراد ؛ وتفصيل هذا الحال ، يفتقر الى تطويل المقال .

ولما حضر في الاستانة العلية ، صانها عن كل سوء رب البرية ، العالم الفاضل السيد ابراهيم السنوسي المعروف لدى حضرتكم البهية،وكان ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأمور المهمة الخفية ، اخترناه لتبليغ هذه الرسالة الى حضرتكم ، وتركنا التفصيل فيها اعتماداً على تبليغ المشار إليه ما يقتضي تبليغه شفاها إليكم ، حفظكم اللّه تعالى وايانا من جميع الحوادث والآفات ، ووفقنا وإياكم الى حسن الخيرات والمبرات ، وعليكم السلام ورحمة اللّه تعالى مع البركات ، في جميع الأزمنة والأوقات ، حرر في غرة ربيع الأول الأنور سنة أربع وتسعين ومائتين والف » .

وإثر هذا بخط الخليفة العثماني : « المستند بتوفيقات الربانية : عبد الحميد خان الدولة العثمانية » .

وبعد الرسالة العثمانية يأتي رد الحسن الأول ونصه :

« الحمد للّه الذي مكن في الأرض من اختاره من عباده المهتدين ، وانفذ حكمهم في البسيطة ليعلي بعدلهم منار الدين ، وينكس بصارمهم المسلول بالحق أعلام الكفرة المعتدين .

نحمده ـ سبحانه ـ على ان جعل منا خلفاء يهتدون به وبه يعدلون ، وصير زمام الشريعة المطهرة بيد أوليائه الذين حفظوا منهاج الشريعة فلا يغيرون لها رسماً ولا يبدلون ، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي هدى من الضلالة ، وعلم من الجهالة ، وقام للحق بالحق ، وقال وقوله الحق : ﴿ لا تزال طائفة من امتي قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون ﴾ ، وعلى خليفته سيدنا ابي بكر الصديق صاحبه في الغار ، ورفيقه في الاسفار ، وسيدنا عمر بن الخطاب الفاروق بين الحق والباطل ، وفاتح الحصون والمعاقل ، وسيدنا عثمان ذي النورين الذي صبر في الله ، ورضي بما قضاه ، وابن عمه مولانا علي بن أبي طالب ، ليث الكتائب ، مبيد اهل الضلال ، الزاهد في الدنيا والمال ، الثابت في ذات الله حتى لقيه غير مخذول ولا مفتون ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، أمان الدنيا والدين ، فما داموا فينا ونحن آمنون ، وعلى جميع أصحابه القادة الهداة الابرار ، واتباعهم واتباع اتباعهم المتمسكين بالآثار ، الذين ادوها الينا سمحاء نقية لم يدنسها بزخارفهم المبتدعون .

ونهدي أزكى تحيات سنية ، تملأ شنوف الآذان نفحاتها المسكية الندية ، وتبث في الوجود أرواحها الخزامية الرندية ، لتلك السدة العلية الشريفة ، والحضرة الأمامية المنيفة ، حضرة اخينا في الله ، الخاقان المظفر الهمام المتوكل على الله ، المجاهد في سبيل الله ، المقدم بالجد والاجتهاد على ملوك الانام ، حامي حمى بيضة الاسلام ، والضارب دونها ببيض الظبى سود الهام . وارث كرسي الخلافة العظمى عن آبائه الكرام اعلام الاعلام ،

بدور سماء كلما انقض كوكب بدا قمر تاوي اليه الكواكب

حائز شرف منصبها بالفرض والتعصيب ، والضارب بين ملوكها العظام بالسهم المصيب ، واسطة العقد ودرة التيجان ، ونخبة مجد آل عثمان ، المشيرة جميع الاكوان ، الى مفاخرهم بالأكف والبنان ، البينات آيات فتحهم في كل زمان ، حضرة اخينا السلطان المعظم المفخم عبد الحميد خان ، ابن المقدس المنعم عبد المجيد خان ،

سلطان الممالك العثمانية ، المؤيد بالفتوحات الربانية ، حباه الله النصر المؤزر المتين ، وفتح له في أعداء دينه الفتح المبين ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد :

فأنا نحمد إليكم الله الذي وسعت الكائنات نعمته ، وشملهم فضله وطوله ورحمته ، ونسأله لنا ولكم مزيد العناية والتأييد ، والحفظ واللطف مع التأييد ، وأن ينصر بكم دينه المحمدي القويم ، ويهدي بسيرتكم الحسنى الى صراطه المستقيم ، ويجعل الظفر مصحوباً مع أعلامكم ، واعناق مناويكم خاضعة تحت أقدامكم ، حتى لا تبقى فضيلة إلا احرزتموها ، ولا مكرمة الا حزتموها ، ولا مفخرة للاسلام الا اظهرتموها للوجود وابرزتموها .

وقد وصل ـ واصل الله سعودكم ، وأدام في مراقي العز صعودكم ـ مسطوركم البهي المعرب عما تضمنه الفؤاد ، من خالص المحبة وكريم الوداد ، المحيي ـ بحسن مقاصده ـ لما سلف بين الآباء الكرام والاجداد ، الحاث الى ما دعت إليه السنة المصطفوية من الالفة وكمال الاتحاد ، متضمناً لما شرح الصدور ، وأقر الاعين في الورود والصدور ، وابهج الاسلام واهله ، واذهب عنهم كرب الحزن ومحله ، من جلوسكم على كرسي الخلافة العظمى ، وحيازتكم ـ بمنة الله ـ منصب الامامة الاسمى ، إرث اسلافكم الخلفاء الكرام الرفيع المقدار ، الحائزين في الذب عن الدين كمال الاعتبار ، المضيئين بفتوحاتهم الجليلة غياهب الايام ، الكائنين غرة منيرة في جبين الاسلام ، ولعمري لقد استردت عواريها ، واعطى القوس باريها ، وبلغت الرياسة الشريفة محلها ، ما أحسن الاشياء تحل محلها .

واذا سخر الالاه أناساً لسعيد فإنهم سعداء

فهنيئاً للدين والدنيا بكم ، ويشرى لكم بما خولتم من ربكم ، جعل الله

ملككم مقروناً بالطالع السعيد ، والفتح المديد ، والنصر الذي هو لطوائف الشرك مبيد ، وأدام نعمته عليكم ، وهدى بكم وهدى إليكم ، وجعلكم من الخلفاء الراشدين ، الذي اذخرهم لتجديد الدين ، آمين .

هذا وإن من شيمكم الكريمة الواضحة ، وعلامات سعادتكم اللائحة . سبقيتكم الى البحث على تجديد عهود الاسلاف الكرام ، واحياء مودة الاجداد العظام ، وتصحيح الانباء ، يتوارث محبة الآباء للأبناء ، والدعاية الى الالفة والتشابك على قهر الاعداء ، وعلاج دائهم قبل الاعتداء ، وتلك شجية يخص بها الماجد الأحزم ، وشنشنة أعرفها من اخزم ، وما زالت تلك المآثر تختلج في الصدر ، وتتردد ما بين السحر والنحر ، وتوالي الأيام تدني من املها ما تقصى ، ومواعدها تلين ثم تستعصي ، حتى أتاح اللّه لكم أمرها ، واطلع في سماء فضلكم بدرها ، وخصكم بآلائها ، وملككم زمام ولائها ، ولكم في ذلك مزية التقدم والأقدام ، وما على من بذل ما في وسعه من ملام .

فأما ما شرحتم من تمالئي أهل الاشراك ، ونصبهم للمسلمين الغوائل والاشراك ، ودعوتم اليه من الاتحاد على دفاعهم والاشتباك ، فما خلت ـ بحمد الله ـ ضمائرنا من تلك النية ، والتناصر في ذات اللّه عندنا غاية الامنية ، والسعي في جمع الكلمة متعين على جميع اهل التوحيد ، والدعاء اليه من خصال الموفق الرشيد ، وما نصر اللّه منا ومنكم ببعيد .

وقد ابلغ الفقيه العالم الفاضل الاديب الزكي ، الشريف ابراهيم السنوسي : ما حملتموه من ذلك شفاها ، وأدى الرسالة المباركة إلى منتهاها ، واللّه المسؤول جل وعلا أن يحفظ الدين الحنفي بكريم هذه العصابة ، ويؤيدها بالنصر والفتح والتسديد والاصابة ، بجاه سيد الانام ، ومسك الختام ، ولبنة التمام ، عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ؛ والسلام يعود على مقامكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته » .

* * *

وبعد العلاقات المغربية الشرقيـة يأتي شمـال افريقيـا ، حيث وردت اشارة الى قنصل مغربي بتونس ، والمعنى بالأمر هو الكاتب الحاج محمد الشرقي المغربي ، المتوفى عام 1282هـ/ 1866م ، فقد جاء في ترجمته[1] انه صار ـ اخريات عمره ـ وكيل المغاربة بتونس .

(1) « إتحاف أهل الزمان » لابن ابي الضياف ج 8 ص 141-142.

2 تجديد الجيش

يمكن القول بأن إصلاح الجيش المغربي كان أول اصلاح تناول جهاز الدولة المغربية ، فبعد « موقعة ايسلي » : بدأت المحاولات الأولى لتجديد الجيش المغربي ايام السلطان عبد الرحمن ، حيث نظمت في عهده بعض فرق من الجيش على نسق نظام الجيش التركي الحديث ، وقد اسندت قيادة هذه الفرق لضابط مسلم يسمى علياً التونسي[1] .

وعلى ما يقول البعض[2] فقد كان عدد هذا الجيش النظامي يبلغ ستة عشر الفاً ، وكثيراً ما كان يطلق عليه اسم « العسكر » او « النظام »[3] .

والذي كان يرعى هذا الجيش ويتبناه هو الخليفة اذ ذاك سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي جاء في ترجمته[4] : « أنه ابتدأ تنظيم هذا الجيش الحديث أيام خلافته عن والده بعد موقعة ايسلي » .

---

(1) هكذا في الاتحاف ج 5 ص 238-239 : استناداً على ان مؤلفه وجد في قائمة الخارج لعام 1265 : « مرتب العسكر » ، وفي ص 77 منه : ان احداث هذا الجيش كان عام 1261 ، حيث كلف السلطان المذكور عامليه : اشعاش وازطوط بتنظيمه ، وعلى هذا يكون ابتداء تنظيم الجيش من هذا التاريخ ، وانظر « العز والصولة » ج 2 ص 214-215 حيث ورد اسم قائد آخر يسمى حمودة الجزائري .

(2) هو الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » ج 1 ص 65 .

(3) تقدم ص 25 نقلاً عن كتاب « كشف الغمة » : « وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام » .

(4) الاستقصا ج 4 ص 222 ، مع الاتحاف ج 3 ص 567 .

وقد اشتهر هذا الجيش النظامي حتى بلغ مسامع والي مصر محمد علي باشا الذي اهدى اليه 35 كتاباً فنياً[1] ، وعن هذا الجيش يقول في « فوصل الجمان »[2] :

« ولم تكن وزارة الحرب عند ملوك الغرب بولاية معروفة ، ولا الى شخص معين بمصروفه ، وكان الجيش كله على النهج القديم ، ليس له على الطريق الحديث ترتيب ولا تنظيم ، إلى ان وقع للسلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن زمن خلافته عن أبيه ما وقع من الكسرة القوية ، بحادثة أبي هراوة[3] مع العساكر الفرنسوية ، فعلم أن ما اصاب جيشه العديد ، هو من عدم تنظيمه على الطراز الجديد ، ولما رجع الى منصة خلافته . . . نظم من ابناء القبائل ثلة ، وجعل لها وزارة مستقلة[4] ، ورتب لها ضباطاً ، وابدى بها سروراً واغتباطاً ، فصارت يد قوتها بنحور العصاة دافعة ، وبنواصي اهل الزيغ سافعة ، وأصبحت دائرة نفوذها واسعة ، ممتدة الى الأنحاء الشاسعة » .

وتفيد الفقرات الأخيرة من « الفواصل » : أن هذا الجيش الحديث أتى أكله ، وصار يباشر مهمته إلى جانب الجيش المغربي القديم ، وهذا ما تنطق به الأشعار الآتية قريباً ، وايضاً تفيد ذلك الفقرات التالية الواردة أبناء ظهير[5] للسلطان المولى عبد الرحمن يخاطب فيه ولده سيدي محمد : « وهذا العسكر النظامي حيث ظهر ثباته واقدامه ونكايته في العدو ، استكثر منه على قانونه واعداد عدته » .

ونستطيع أن نجد بعض أوصاف هذا الجيش النظامي في القصيدة[6] الآتية : التي

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 155.

(2) ص 88.

(3) لقب كان يعرف به الجنرال لاموريسيير قائد الجيش الفرنسي في موقعة وادي إيسلي.

(4) هذه الوزارة انما احدثها بعد مبايعته .

(5) الظهير مؤرخ في 6 رمضان 1263 ، وهو وارد بتمامه في الاتحاف (5) 81-83.

(6) وردت هذه القصيدة بتمامها في « الحلل البهية في تاريخ الدولة العلوية » .

أنشأها الشيخ الكبير يوسف بن بدر الدين المدني في احدى قدماته[1] على المغرب ، وهو يصف فيها الجيش المغربي الجديد ، ويمدح منشئه السلطان المولى عبد الرحمن :

امير المؤمنين له مزايا ... يضيق النثر عنها والنظام
واعظمها اذا ذكرت وعدت ... ـ وان كانت بأجمعها عظام ـ
« نظام » عقده للدين عِقد ... نفيس زان جوهره نظام
وان ذكرت جيوش النصر طراً ... فهو لها المقدم والامام
يريك اذا نظرت له صفوفاً ... لها بالنصر جد واهتمام
تطير لها قلوب الاسد خوفاً ... ويفزع عند رؤيتها الحمام
فعند الرمي تصلى الجو ناراً ... وعند الضرب يندق الحسام
وان صفت فتحسبها بناء ... شديد الرص رصصه انتظام
وان نطقت فبرق او رعود ... كساها من ملابسه الظلام
وان سارت لحرب فالمنايا ... تسير وطبعها جثث وهام
فقل للدين جاء النصر فاهناً ... ولا تجزع ، فقد نظم « النظام »
وقل لابن الرسول ومن اليه ... ملوك الارض تفزع اذ تضام
ليهنك اذ شددت بنظم جند ... عرى مجد فليس له انفصام
وفاق نظام جندك كل نظم ... وهل تحكي اسودكم الرئام
فكم جند تقدمه بجبن ... وطال بارضه منه المقام
وسدت دونهم ابواب نصر ... ولم يكمل لهم بهم مرام
فلما ان مننت بنظم جند ... تولى الفكر وانقطع الملام
وتم لكم بهذا الدين نصر ... ومدتكم ملائكة كرام
فعن قرب يكسر جيش كسرى ... وترشق في قياصره السهام
فطب نفساً بجندك فهو جند ... به الكفار طار لهم منام

---

(1) انظر عن قدماته للمغرب : الاتحاف (5) 156.

فـإن يكن غيـركم بـالبـدء يسمـو ... سـمـو البـدر زايـله الـغـمـام
فـإن بـدايـة الاشـيـاء سـهـل ... ولاكـن الـكـمـال هـو الخـتـام
وهـل فـضـل الهـلال اذا تـبـدى ... كـفـضـله اذ يـتـم لـه الـتـمـام
فـدم في الملك بـدراً لسـت تخشى ... مـدا الـتـأييـد نـقـصـاً والـسـلام

وسوى هذه القصيدة الشرقية ، هناك نتف ضمن قصائد مغربية تتحدث عن جيش المغرب النظامي في هذه المرحلة الاولى ، ومن ذلك قول بعض الشعراء[1] :

ولـلّه في هـذا الـوجـود خـلاصـة ... هـداهم ، لهم في كـل صـالحـة ذكـر
« عـسـاكـر » فتـح عـود اللّه رفعهـا ... اذا قـوبلت ، يسري لنـا صبها الكسـر

ومن قصيدة[2] للشاعر الطيب بن عبد السلام التستري المكناسي المتوفى أواسط المائة الهجرية 13 .

جمـعـت هـذا الجيش تـبـغي بـه ... اشـادة الـديـن وقـطع الخـنـا
فـجـاء وفـق نـيـة والـفـتى ... ثـمـار مـا يـغـرسـه قـد جـنى

ومن قصيدة[3] لمحمد اكنسوس الشهير في تهنئة السلطان محمد بن عبد الرحمن بالملك :

لـه العسكـر الجـرار تبـرق في الـوغـا ... صـوارم مـنـه والمـدافـع تـرعـد
يـعـد الى الاعـداء كـل كـتـيـبـة ... من الـرعد يحـدوهـا الـوشيـح المسـدد
وكـل كمى كـالغضنفـر مـغضبـاً ... وكـل صـقيـل وهـو مـاض مجـرد

---

(1) هذه القصيدة نسبت للوزير محمد بن ادريس كما بالاتحاف (5) 249 ، ويبعد هذه النسبة : ان القصيدة تتناول حركة السلطان عبد الرحمن لزمور الواقعة عام 1269هـ، في حين ان ابن ادريس توفي في عام 1264 ، وعلى هذا تكون القصيدة لشاعر آخر غير ابن ادريس .

(2) توجد هذه القصيدة ضمن « مجموعة أمداح في السلطان عبد الرحمن بن هشام » أصل المجموعة في المكتبة الاحمدية بفاس ، ونسخة منها بمكتبة كاتب السطور .

(3) وردت في « الجيش » ج 2 ص 66 ، وفي الاستقصا ج4 ص 211-213 .

يفيـد العـدا قبـل اللقـاء مهـابـة فصـارمـه يفـري الـطلى وهـو مغمـد

ومع الاستبشار ، البادي من هذه الاشعار يظهر ان تنظيم الجيش كـان يلاقي معارضة من بعض الجهات[1] ، وذلك من أسباب انخرامه في هذه المرحلة الأولى .

فلذلك لما وقعت حرب تطوان اعاد الملك محمد بن عبد الرحمن إثرها النظر في أمر الجيش النظامي ، وكان أول ما بدأ به في هذا الصدد : ان استشار عشرة من أئمة علماء المغرب في الحكم الشرعي في هـذا التنظيم ، فعـل ذلك ـ فيـما يظهـر ـ ليقطع بفتاويهم ـ التي كانت بالموافقة ـ كل جدال في المسألة ، وكان العلماء الذين استفتوا : هم 1 ـ قـاضي فاس محمـد بن عبد الـرحمن العلوي المدغـري . 2 ـ ابو العبـاس احمـد المرنيسي . 3 ـ أبو عبد ا لله محمد الصادق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري قاضي سجلماسة ونواحيها . 4 ـ ابو محمد عبد السلام بو غالب . 5 ـ أبو عيسى المهدي ابن سودة . 6 ـ اخوه ابو حفص عمر ابن سودة . 7 ـ ابو عبد اللّه محمد بن محمد بن حمادي الحمادي المكناسي . 8 ـ ابو عبد اللّه محمد مسواك بن محمد التازي . 9 ـ الحاج محمد بن محمد الفيلالي . 10 ـ أبو العباس احمد بناني المدعو كلا[2] .

وبعد أجوبـة المعنيين بـالأمر شـرع الملك المذكـور في تجديـد الجيش المغربي ، والمعلومات التي توصلت إليها عن هذا التجديد هي التالية :

احدث هذا الملك للجيش وزارة على حدة يدعى صاحبها العلاف الكبير ، وهو أيضاً الرئيس الأعلى للجيوش المغربية ، وقد أسند هذه الوزارة ـ أولاً ـ للسيد عبد اللّه ابن احماد أخ السيد موسى بن احماد الحاجب الشهير .

كما أسند تدريب هذا الجيش الى السيد محمد خوجة التونسي الذي كانت رغبته

---

(1) بعدما كتبت هذا رأيت في « الجيش » الاشارة لهذه المعارضة ج 2 ص 80 ، وانظر كتاب « ذخيرة الأواخر والأول . . . » للحاج العربي المشرفي ، خ. ع، ك 2659 ـ ج 2 ص 48.

(2) على هذا الترتيب رأيت الاشارة فقط لاسماء هؤلاء الاعلام بخط القاضي المهدي ابن سودة على هامش أول جوابه في المسألة .

قوية في السير بالجيش المغربي في طريق التقدم[1] .

وكان هذا الجيش النظامي يشتمل على الخيالة وبعض الرجالة الـذين تأسسـوا لاول مرة ، وكان ينقسم الى عدة فرق : كل فرقة تسمى (الطابور) الذي يشتمل على ٩٠٠ جندي فيه عدد من حملة الشواقير[2] .

ومن الفـرق التي كان يتـألف منها هـذا الجيش : « فرقـة الوصفـان » رئيسهم الوصيف ابن المزوار ، « فرقة » اهل سوس رئيسهم الحاج منو الشهير ، « فرقة الحاج عزوز بن الفتوح » ، « فرقة الحاج محمد الزروالي » ، وغيرهم[3] .

ولباس هذا الجيش كان من الملف الرفيع ، وكسوة رؤسائه مزركشة ومـرصعة بخيوط الذهب ، ونعالهم من جلد أحمر ، اما سلاح الجيش فكان من أعلى طراز[4] .

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الجيش : الرسالة[5] الملكية التالية الموجهة لأمناء مرسي الدار البيضاء ونصها بعد الأفتتاح :

« . . . وبعد فانا لما اخذنا في جمع « النظام » للمصلحة المتعينة ، الواضحة البينة ، المقرر امرها لدى الخاص والعام ، واجتمع منه عدد يسير ، واختبرنا ما صير عليه في شهر واحد ، فاجتمع فيه عدد كثير ، فكيف إن جمعنا منه عدداً معتبراً يحصل به المراد ، ويكون قذى في أعين أهل العناد :

اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار لينظروا فيما يستعان به على أمرهم ، إذ لا بد من كفايتهم ، وإلا انحل نظام جمعهم ، وفي ذلك ما لا يجهله من له أدنى عقل ومحبة في الدين ، فأشاروا بفرض اعانة لا ضرر فيها على الرعية ، وسطروها في ورقة ، وهي كلا

---

(1) انظر « الاتحاف » ج 3 ص 569 مع مجلة « المصباح » العدد الأول .

(2) « الاتحاف » ج 3 ص 568 .

(3) « الاتحاف ج 2 ص 500

(4) المصدر ج 3 ص 568.

(5) هذه الرسالة وردت في « الاستقصا » ج 4 ص 222.

شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية ، وللضرورة احكام تخصها ، كما هو معلوم مقرر ، ومسطر في غير ما ديوان محرر .

ثم اقتضى نظرنا ان نسند الأمر في ذلك لاهل العلم ليقرروا للناس حكمه تقريراً تنشرح له الصدور ، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور ، وان كان جلهم يعلم هذا ، إذ من المعلوم أن الرعية لا يستقيم أمرها إلا بجند قوي باللّه . ولا جند إلا بمال ، وهو لا يكون إلا من الرعية على وجه لا ضرر فيه .

وقد اخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية باللّه ، ومكناسة ، وتازا ، والعدوتين ، ومراكش : في ذلك ، وسلكوا في ترتيبه احسن المسالك ، ولا شك أن بركة ذلك تعود عليهم في اموالهم واولادهم وانفسهم .

فبوصول هذا اليكم قوموا على ساق الجد في القبض من الناس بالباب على نحو ما في الورقة المشار إليها ، ولا دخل للنصارى في ذلك .

واللّه أسأل ان يبارك للمسلمين في مالهم ، ويعوضهم خلفاً ، آمين ، والسلام ، في الثاني والعشرين من رجب ، عام سبعة وسبعين ومائتين وألف » .

ومن الأشعار التي قيلت في جيش النظام في هذه الحقبة : الأبيات الآتية الواردة ضمن قصيدة للشاعر الكاتب محمد بن محمد غريط ، في تهنئة الملك محمد بن عبد الرحمن بانتصار احرز عليه :

« . . . ورجال العسكر الساطي لهم ... اعين عن أمره ما إن تنام
كلفوا بالضرب والطعن إذا ... صار ليل النقع كالجون الركام
كيف ينجو في الصياصي منهم ... كل جبار وزار بالذمام
كانصباب السيل ان شنوا على ... زمر الأعداء غارات الحمام
وهم الأنصار للدين فما ... اعظم الفخر بفرسان «النظام»[1]

(1) « فواصل الجمان » ص 164.

وقال المؤرخ أكنسوس المتقدم من قصيدة :

وعـدد امثـال الاسـود عسـاكـرا ... تخـر لهـا الاسـد الضـراغم سجـدا
وتهـتز منهـا الأرض عنـد ركـوبهـا ... وتـرجـف اطـواد الجبـال تمـيـدا
وتحسـب أن الجـو نـار تـأجـجـت ... يضـج لهـا بـاغي الفسـاد مشـردا
وتخفق ريـح النصـر بـين بنـودهـا ... عـلى غـرة المنصـور أكـرم من غـدا[1]

وقال الشاعر نفسه أيضاً من قصيدة :

اعـد عـدادا لـلعـدا بـعـسـاكـر ... مسـومـة ركبـان خيـل ورجـلان
ليـوث افتـراس كلما زأرت عـلى ... ديـار أنـاس زارهـا كـل أحـزان
فـوارس تـغتـال الـنفـوس كـأنها ... إذا صبحت ارضـا عصـائب عقبـان
تـراها كمثـل السيل يخسف تحتهـا ... تـراهـا وتـرمي كـالأثـير بشهبـان
تصـول بـأسيـاف تحيض ذكـورهـا ... وتسـطو بـأرمـاح كـأنيـاب ثعبـان
وتـنشـر رايـات تـنـوش ذيـولهـا ... ريـاح سعـود من رخـاء سليمـان
اذ اضـطربت في الجـو قـال هبـوبهـا ... إلا ان نصـر اللّه والـفتـح وافـان[2]

* * *

ثم خطى الجيش النظامي بعض الخطوات أيام السلطان الحسن الأول ، فانه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية ، ابتدأ ـ أولاً ـ بفرض الجيش على بعض المدن ، فألزم أهل فاس بخمسمائة ، وألزم أهل العدوتين بستمائة ، وألزم غيرهما من الثغور بمائتين مائتين[3] .

ثم بعد هذا اصدر امره لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم ، وعين وزير

---

(1) الجيش ج 2 ص 79.
(2) المصدر ج 2 ص 90.
(3) الاستقصا ج 4 ص 243.

العسكر محمد الصغير الجامعي للتوجه لدكالة للاتيان بما فرض عليهم وهو الفان ، ومن الشاوية كذلك ، ومثلها لكل من الرحامنة ، وحاحا ، ومن قبائل أخرى ما عين لكل قبيلة ، هذا زيادة على عدد الطبجية[1] الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة[2] ، وبسبب هذا ارتفع عدد الجيش النظامي في هذا العهد ، وصار مركباً من 25 ألف جندي تقريباً ، فيه الضباط المغاربة المدربون[3] .

واعتنى السلطان الحسن الأول بهذا الجيش : فكان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه ، واستجلب له المدربين من انجلترا وفرنسا واسبانيا[4] ، وقد اشتهر من هؤلاء المدربين : مالك لين الانجليزي قائد الجيش النظامي ، وإيركمان الفرنسي قائد جيش المدفعية[5] .

وفي آخر حياة السلطان الحسن الأول كان هؤلاء المدربون قد أدوا مهمتهم في تدريب الجيش المغربي ، فصار هذا الملك يطلب من حكوماتهم سحبهم ، وكان جواب احداها وهي اسبانيا : أنها تساعد على هذا السحب بمجرد سفر مدربي الدول الأخرى[6] .

ومن التنظيمات التي سار عليها نفس السلطان في هذا الصدد ، تخصيص جيش كل جهة بدفتر على حدة ، لتسجل به اسماء المنخرطين في الخدمة العسكرية : كل واحد باسمه ونسبه ووصفه وموضع سكناه وحرفته[7] .

---

(1) هم رماة المدافع .

(2) الاتحاف ج 2 ص 500.

(3) البيان المطرب ص 40.

(4) هذا مع الاحتفاظ بالمدربين القدامى ، حيث ورد في أوائل عهد نفس السلطان ذكر السيد عمر التونسي ، ونعمان التونسي معلم الفرق الموسيقية ، وذلك بتاريخ 11 شعبان عام 1292هـ ، حسب دفتر مخزني بالمكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 7.

(5) الاستقصا ج 4 ص 243 ، مع الاتحاف ج 2ص 493.

(6) الاتحاف ج 2 ص 494-495

(7) وردت الاشارة لهذا في طالعة الدفتر الذي يحمل رقم 310 بالمكتبة الملكية .

ولا تزال ـ بقيد الوجود ـ مجموعة من هذه الدفاتر محفوظة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ومنها :

ـ دفتر المنخرطين من الودايا : رقم 310 .

ـ ودفتر المنخرطين من فاس العتيق : من اللمطين والاندلس والعدوة : رقم 308 .

ـ ودفتر المنخرطين من فاس الجديد: رقم 324 .

ـ ودفتر الشراردة : رقم 309 .

ـ ودفتر الرحامنة : رقم 302 .

ـ ودفتر قيادة القائد العربي بن الشرقي : رقم 304 .

ـ وغيرها وغيرها .

وعن لباس هذا الجيش الحسني وبعض نفقاته ، نقدم رسالة للسلطان عبد العزيز ، أصدرها أول عهده إلى امناء مرسي الصويرة، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وبعد : فنأمركم ان تكسوا عسكر وطبجية وبحرية ذلك الثغر المحروس بالله : النفر : بكسوته المعتادة : المشتملة على كبوط وبدعية من ألط وغليلة وسروال من الكتان وطربوش وبلغة .

والزباط « يقصد الضباط » : بكسوتهم المعتادة : المشتملة على كبوط وبدعية وسروال من الملف البندقي وغليلة من الكتان وطربوش : على نسبة مراتبهم .

وان تكسو الجيش السعيد بالكسوة المعتادة له على حسب قائمة رواتبهم .

كما نأمركم أن تزيدوا لكل نفر في مؤونته اليومية عشر موزونات ، بحيث تصير مؤونة النفر اربع اواقي ، والسلام في 8 ربيع النبوي عام 1312 »[1] .

---

(1) ثبت نص هذه الرسالة في الدفتر الذي يحمل رقم 328 من نفس المكتبة ص 86.

ومن تتمة حديث هذا الجيش ايام السلطان الحسن الأول ، أنه لما أراد أن يجدد تنظيمه سأل أهل العلم عن الحكم في توظيف المعونة لتنظيم الجيش المغربي ، فتصدى للجواب ـ بإشارة الباشا عبد اللّه بن أحماد ـ الفقيه السيد علي بن محمد السوسي[1] من تلاميذ ابي الحسن التسولي ، وكتب جواباً مطولاً رتبه على مقدمة ، وثلاثة ابواب ، وخاتمة ، وسماه بثلاثة أسماء : اولها : « عناية الاستعانة ، في حكم التوظيف والمعونة » ، يقع في ورقات 82 ، مسطرة 23 ، ويحمل رقم 480 د من الخزانة العامة بالرباط .

وقد شرح واقع هذا الجيش الجديد محمد السليماني[2] : في فقرة يقول فيها وهو يذكر محمد الرابع : « . . . فشرع في تنظيم الجيش على الطريقة المستعملة عند الأمم الأخرى ، وجد واجتهد في تنظيم فرقة ، وجلب المعلمين الماهرين لتعليمه وتدريبه على الأساليب المستعملة عند الدول .

ونجح في هذا العمل المفيد ، الذي تممه ولده ـ من بعده ـ السلطان المقدس مولانا الحسن ، فكانت كل قبيلة تدفع ـ لدائرة التعليم ـ حصة من أبنائها ، للانخراط في سلك العسكرية مدة معلومة ، ومن قضى منهم مدته أوتي ببدله ، على أن منهم من ترقى في الفنون العسكرية ، وسمت به همته للمناصب العالية .

واعتمدت الدولة هذا الجيش النظامي في المهمات ، على قلة عدده الذي لا يزيد ـ في الغالب ـ على العشرين ألفاً ، فكان بمثابة جيش الحرس السلطاني .

وأما في الحركات السلطانية والأعمال الكبرى : فلم تزل جيوش المخزن وقبائل العرب والبربر تقوم بتلك الشؤون على العادة القديمة ، كما أدركناه في العهد الأخير ، وذلك نظراً لميزانية الدولة ، وجبراً لخواطر رجال الحكومة الذين لم يزالوا ينظرون الى كل نظام جديد بالعين السخينة » .

---

(1) له ترجمة وجيزة في « سلوة الانفاس » 3/351-352.

(2) « زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ » : مصورة الخزانة العامة بالرباط ، د 3657 : ج 2 لوحة 342.

3 احياء الاسـطول

الى جانب الجيش البري انشيء في هذا الطور نواة قوة بحرية منظمة تنظيماً حديثاً ، لتسد الفراغ الذي تركه ضياع الاسطول المغربي أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام .

وكان ابتداء تأسيس هذه القوة البحرية الأولية في أيام السلطان الحسن الأول الذي اشترى من أوروبا عدة بواخر وزعها على مراسي المغرب ، بعضها كبير ، وبعضها صغير لنقل السلع[1] ، كما أوصى على صنع بعض البواخر الأخرى ، وفي أول عهد الدولة العزيزية اضيف لهذا الاسطول باخرة جديدة .

والمعروف لحد الآن من هذا الاسطول هي القطع التالية :

1 ـ الباخرة العظمى التي تحمل اسم « الحسني » ، اشتراها السلطان المولى الحسن الاول واستخدم بها ـ بمرسي طنجة ـ عدة وافرة من شباب العدوتين سلا والرباط : بحرية ومعينين . وقد استمر بعضهم يعمل بهذه الباخرة إلى ما بعد وفاة نفس السلطان[2] .

وقد تكون هذه الباخرة هي التي تسمى عند البعض : « احسان » .

2 ـ « قرصان حربي » وردت الاشارة له في بعض المقيدات[3] .

---

(1) زهر الافنان ج 2 ص 304.

(2) زهر الافنان ج 2 ص 304-305

(3) « الاستبصار » للطاهر الاودي .

3 ـ الباخرة التي تحمل اسم « البشير » ؛ واسمها الكامل : « بشير الاسلام ، بخوافق الاعلام » ؛ صنعت بايطاليا بأمر السلطان المولى الحسن الأول ، ووردت للمغرب بعد وفاته أيام المولى عبد العزيز ، وكان بها من المدافع اثنا عشر ، ومن الطبجية اثنا عشر ، ومن البحرية أربعة وأربعون : شطر عدتهم من الرباط ، والشطر الآخر من سلا ، مع ما أضيف إليهم من طنجة وتطوان من البحرية والمستخدمين بجهازها ، ورئيسها ألماني يدعى متني ، وأمين صائرها السيد عبد الكريم زيوزيو التطواني[1] .

وكان يتولى النظر في شؤون هذه الباخرة النائب المغربي بطنجة الحاج محمد بن العربي الطريس التطواني ، اسند إليه هذه الخطة السلطان عبد العزيز بظهير مؤرخ في 29 رجب الفرد عام 1317 — 1899 ، ويتضمن ارشادات لرجال الباخرة بالقيام بوظائفهم الدينية والبحرية[2] .

وقد كانت هذه الباخرة تستخدم أيضاً في ربط المواصلات بين المغرب وبعض الجهات الأخرى ، وعليها سافرت إلى الجزائر لجنة الحدود المغربية الجزائرية عام 1319[3] .

4 ـ الباخرة التي تحمل اسم « التريكي » ، اشتراها السلطان عبد العزيز لاول عهده ، وفيها سافر إلى مرسى طرفاية الوفد المغربي الذي توجه لتسلم هذه المرسي من التجار الانجليز[4] .

هذا وقد وصف في « الدائرة الوجدية »[5] بعض قطع من الاسطول المغربي يمكن أن تكون من المتقدمة أو غيرها ، فقد تحدث عن قطعتين مغربيتين ترجعان لأواخر العهد

---

(1) « مقدمة سوق المهر » ص « لز » .

(2) الظهير وارد بالاتحاف ج 2 ص 505-508 ، ومنه نسخة اخرى بمكتبة كاتب السطور .

(3) يؤخذ هذا من الظهير رقم «95» الوارد ضمن « مجموعة ظهائر علوية » لنهليل .

(4) يؤخذ خبر هذه الباخرة من الاتحاف ـ ج 1 ص 385 مع « الاستبصار » .

(5) ج 8 ص 719-720

العزيزي : الاولى « طراد طوربيدي » من الفولاذ طوله سبعون متراً ، وعرضه عشرة امتار ، وحمولته ألف ومائتا طن ، وقوته البخارية تعادل 2500 حصان بخاري ، وسرعته في الساعة 18 عقدة ، وبه عشرة مدافع من عيار اثني عشر متراً .

الثاني : « مركب آخر » من ذوات الرفاس طوله 37 متراً ، وعرضه 11 متراً ، وحمولته 1164 طناً ، وقوة آلاته تعادل 140 حصاناً ، وسرعة سيره نحو 10 عقدة في الساعة . ويسمى « إحسان » .

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع : رسالة[1] وجهها السلطان المولى الحسن الاول الى عامله بسلا لما حاول احياء الاسطول المغربي ، وفيما يلي نصها بعد الافتتاح .

« خديمنا الأرضي الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك اللّه وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فنأمرك أن تبحث في الثغر السلاوي عمن له خبرة بالرياسة البحرية ، ويعرف كيف يسافر في البحر ببابور الكوشطة ، ماهراً بذلك ، بحيث لا يخفي عليه شيء من أمر تلك الرياسة ، فإذا وجدت من قامت به الصفة المذكورة ، فلا يخلو اما ان يكون متعدداً ، واما ان يكون منفرداً ، وعلى فرض التعدد فلا بد ان يكون البعض أقوى مهارة من البعض ، فلتبينهم لنا بأسمائهم ، وأنسابهم ومراتبهم في الرياسة وما يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد . مع كونهم بلديين ، أو آفاقيين ، أو البعض بلدي والبعض آفاقي ، حتى نكون على بصيرة من امرهم ، واجعل يدك عليهم ، وليكونوا على أهبة لما يرد عليك من قبلنا . بحيث إذا ورد عليك أمرنا الشريف بما يكون فيهم كانوا متيسرين ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة متعدداً ، فان وجدت واحداً فقط فسمه أيضاً باسمه ونسبه ورتبته في الرياسة ، وليكن متهيئاً لما يرد عليك من حضرتنا الشريفة ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة ولكنه اذا اريد تعليمه يقبل التعليم بسهولة : اما لتقدم معرفة له

---

(1) وردت في « زهر الافنان » ج 2 ص 305.

شكل ـ 1

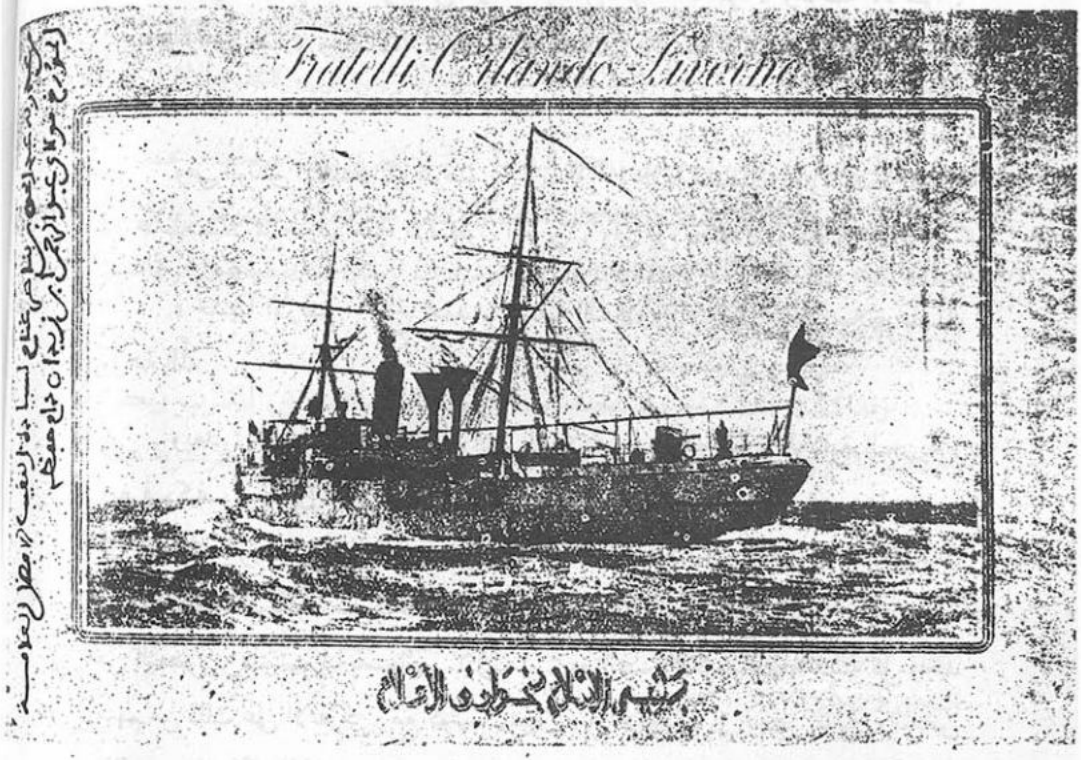

الباخرة « البشير » تمخر عباب البحر

من « إتحاف أعلام الناس »ج

بذلك ، واما لكونه فطناً ، فكذلك بينهم لنا بأسمائهم وأنسابهم ، ومراتبهم في الذكاء والفطنة ، آفاقيين أو بلديين ، واطلع عملنا الشريف بكل ذلك ـ على تفصيله ـ عزماً ، والسلام ، في ثالث صفر الخير ، عام تسعة وتسعين ومائتين وألف » .

ومن ذيول هذا الموضوع : ان هناك رسالة رفعها الرؤساء البحريون بسلا والرباط ، وفيها يلفتون نظر السلطان محمد الرابع إلى الاهتمام باحياء الاسطول المغربي واعادة تنظيمه ، ويوجد من بين الموقعين عليها : ستة رؤساء بحريين من عائلة عواد الشهيرة بسلا[1] .

(1) جاءت الاشارة لهذه الوثيقة في « رسالة عائلات سلا » ، تأليف عشاش بلقاسم بن العربي ، مخطوطة خاصة .

4 بناء المعامل الحربية

وقامت في البلاد حركة نشيطة لبناء المصانع الحربية ، وقد بنى منها في هذا الدور أربعة :

1 ـ معمل لصنع البارود : يحمل اسم « فابريكة الحبة »[1] ، اسسه محمد الرابع بالموضع المعروف بالسجينة قرب جامع الفنا من مدينة مراكش ، وكان يصنع به البارود المزدج[2] .

2 ـ معمل صنع القرطوس : بأكدال من نفس المدينة ، حيث لا تزال اطلاله قائمة ، وهو من انشاء السلطان الحسن الأول[3] ، وهناك خمس رسائل تتعلق ببناء هذا المعمل .

ويتضمن أولها ـ وهو الملحق الأول ـ تكليف محتسب مدينة مراكش مولاي عبد اللّه ابن إبراهيم البوكيلي ، بالاشراف على بناء هذا المصنع ، وذلك في 12 شعبان ، عام 1304هـ ، كما يستفاد من الملحق الأخير أن هذا المصنع كمل بناؤه ـ تقريباً ـ في أواخر عام 1310هـ، أما أدوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83.900 فرنك فرنسي ، وهي

(1) الفبريكة تعبير اسباني عن المصنع ، والحبة كريات صغيرة من الرصاص .
(2) « الاتحاف » ، ج 3 ص 565 ، مع رسالة واردة في « العز والصولة » ج 2 ص 223.
(3) « الاتحاف » ج 2 ص 499.

مفصلة في لائحة مطولة سيرد نصها من بعد ، ومن الجدير بالذكر أن هذا المعمل كان يستخدم بالبخار[1] .

والآن نورد نصوص الرسائل الخمس متسلسلة حسب تواريخها[2] ، ثم يأتي بعدها نص اللائحة[3] .

الوثيقــة الاولـى

يعلم من كتابنا هذا اعلا اللّه في جو اليمن والاسعاد بناءه وشيد اركانه ، اننا بحول اللّه المتعـالي عن المستقر والمـأوى ، العالم السـر والنجوى ، كلفنـا خديمنـا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه بن ابراهيم البوكيـلي ، بالـوقوف عـلى بناء المحـل لمكينة القرطوس باكدال السعيد ، فنأمره بالقيام في مقابلة ذلك على ساق ، والسلوك في امره احسن مساق ، كما نأمر الواقف عليه من خدامنا العمال والامناء بإعماله ، والجريان معه على منواله ، والسلام . في 12 شعبان الابرك عام 1304

الـوثيقة الثـانيـة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فنأمرك ان تخبر بما كان من امر المكينة التي كلفناك بالوقوف على بنائها ، وما آل اليه ذلك من كمال او غيره ، والسلام .

في 24 صفر الخير عام 1305

---

(1) هذا ذكره الطاهر بن الحاج الاودي ، في موضوعه : « الاستبصا ر » مخطوطة خاصة .

(2) توجد اصول هذه الرسائل في مجموعة وثائق : خ. ع ، د ، 3410 ، الأولى : رقم 11، والثانية : 279 ، والثالثة : 224 ، والرابعة : 210 ، والخامسة : 117 .

(3) وردت هذه اللائحة في البقية الغير المنشورة من كتاب « العز والصولة » المتكرر الذكر ، مخطوط المكتبة الملكية . رقم 8049 ـ ص 206-209.

الوثيقة الثالثة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك صحبة حساب صائر بناء مكينة القرطوس عن الاثنين والعشرين شهراً التي آخرها رجب الفارط ، وطلبت تنفيذ التسعة آلاف ريال والسبعمائة ريال والستة والعشرين ريالاً والربع ريال ، المدركة لك على الصائر المذكور ، ودفعها لولدك باعتابنا الشريفة ، وصار بالبال ، فالواجب في العدة المذكورة من المثاقيل بحسب اثني عشر مثقالاً وخمس اواقي للريال : هو مائة الف مثقال ، وخمسة وثلاثون ألف مثقال ، وثمانية وسبعون مثقالاً ، وخمس موزونات ، وقد دفعت لولدك كما طلبت ، ولا تعد لجعل الاعداد ريالاً في هذا او مثله ، لأن المصارفة فيها انما هي بالمثقال ، واعداد الريال مقصورة على المسائل البحرية ، والسلام . في 19 رمضان المعظم عام 1306

الوثيقة الرابعة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه بن إبراهيم البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك بأنك وجهت ورقة صائر بناء مكينة القرطوس عن خمسة أشهر آخرها ذو الحجة ، ذاكراً ان قدره سبعة واربعون ألف مثقال ومائتا مثقال وسبعة وسبعون مثقالاً وثلاث اواقي ، يسقط ذلك من الموجه لك يبقى داركاً عليك ثلاثة آلاف مثقال وخمسمائة مثقال وتسع وثلاثون اوقية وربع اوقية ، طالباً تنفيذ خمسة آلاف ريال بقصد الصائر المذكور ، وذكرت ان الخدمة في غاية الاجتهاد ، وصار ذلك بالبال ، فورقة الصائر المذكورة وصلت وصرنا من مضمنها على بال ، والعدد المذكور صائر له بال ، واما ما طلبته من تنفيذ خمسة آلاف ريال الى آخره : فقد نفذنا لك اربعة آلاف ريال عينا لدى امناء البنيقة المراكشية مما يفضل تحت ايديهم عن الصائر ، وكتابنا الشريف لهم بتنفيذها يوافيك ، والسلام . في 4 صفر الخير عام 1307

الوثيقة الخامسة

خديمنا الأرضي ، المحتسب مولاي عبد اللّه البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام

عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك بان مكينة القرطوس تم بناؤ ها ، ولم يبق الا جص ارضها واقامة الحديد لدفوف سراجيمها ، وتوقف الغرض في ذلك عـلى المعلم ادريس زولوا ، ليحضر على ذلك على مقتضى نظره في تسوية ترتيب المكينة ، طالباً من جنابنا الشريف اصدار الأمر بتوجيهه لهناك ، وتنفيذ ما صير على المكينة عن ثلاثة وعشرين شهراً بشهر قعدة عام ثمانية ، الذي قدره ستمائة ريال وتسعة وتسعون ريالاً وربع ريال وثمنه ، حسبما تفصيله بورقات الحساب التي وجهت ، وصار بالبال ، فلترفع يدك عن الخدمة في المكينة حتى نقدم لهناك بحول اللّه ، وقد اصدرنا امرنا الشريف لامناء البنيقة المراكشية والوصيف وبدة بتنفيذ الصائر المذكور ، ومكاتبنا الشريفة لهم به تصلك طيه ، والسلام . في 28 حجة عام 1310

الوثيقـة الســادســة

« زمام مكينة القرطوس

نمرة		فرنك
1	مكينة لتقصيص النحاس	600
2	مكينة امجرة لترقيق النحاس	1375
3	مكينة لتقصيص النحاس وتبويط القرطوس	2640
4	مكينات 2 لتبويط القرطوس : الاول والثاني	4840
5	مكينات لتجفيف الاول والثاني	4840
6	مكينات لتقريص القاع الاول	1320
7	مكينات لبرم الفم على القياس	825
8	مكينات لتقريص القاع الثاني	3740
9	مكينات 2 لثقب قاع القرطوس : يخدمان باليد	825
10	مكينة لتضييق الفم	1650
11	مكينة لتنظيف القرطوس	275
12	مكينات «2» للصقل، مع كركبات من عود للتخليطة	2200

13	مكينة فرن الطبخ	825
	واقامة عشر طواجن لحمي القرطوس	140
	وجفنات للغسل	90
14	مكينات «2» لخرط القاع على القياع يخدمان باليد	880
15	مكينات لتركيب الحبة في القرطوس يخدمان باليد	440
16	مكينات لتعمير البارود في القرطوس	770
	وإقامتها : أيادي لتعمير البارود في القرطوس	500
17	مكينة الخفيف	3135
	وإقامتها : جفنة لتذويب الرصاص	80
	وعشرون قالباً للخفيف ومغرفتان حديدا	660
18	مكينات «2» لبرم الكاغد على الخفيف[1]	
19	مكينات لتبليغ الخفيف في القرطوس	
	يخدمان باليد	660
	الجمع اسفل يمنته	33310
20	مقص يقصص نحاس الحبة	600
21	مكينة امجرة لنحاس الحبة	1375
22	مكينة لتبويط الحبة	1100
	واقامتها : عشر ايادي لتعمير تخليطة الحبة	215
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس الاصفر	830
	وستون طباصيل صغارا من الكاغد تجعل فيها الحبة	110
23	مكينة للحبة : تخدم باليد	880
24	مكينة للحبة : تخدم بالرجل	935
25	مكينة لسحق البارود للحبة	500

(1) اهمل مرجع هذه اللائحة ذكر ثمن مشتريات رقم 18.

26	مكينة لتبليغ السجن للحبة	4400
27	ايادي لسجن القزدير على الحبة	330
28	ايادي من نوع آخر لتبليغ السجن وتعصيره	355
29	رخامات «2» يدلك عليها تخليطة الحبة	35
30	مكينة لسجن البارود للحبة أيضاً	500
31	مكينة لتقصيص النحاس وتبويطه لقرطوس الصيد	1595

واقامتها : رخامات(4) ، وعلباب نحاس (4) .

تلصق باجعاب نحاس (4) ، وداخل العلباب طاسات من الزنك (4) ، وشطاطيب من الشعر (4) .

وقضبان حديد 8 ، ولوحات خشب 10، فيها : مسامير واقفة ليبس الكاغد المبوط .

ثمن هذه الاقامة كلها :	495
فرنك	47465
الجمع حوله	47465

نمرة

32	مقص لتقصيص الكاغد : يخدم باليد	275
33	مكينة لتجفيف الكاغد	825
34	مكينة لتقصيص اجعاب الكاغد	550
35	مكينة لتقصيص الكاغد فلكات لداخل القرطوس	385
36	مكينة لتقريض قاع القرطوس	330
37	مكينة لضرب قاع القرطوس	3740
38	مكينات لثقب قاع القرطوس باليد	385
39	مكينة لتقصيص مسمار السلك باليد	2200
40	مكينات (2) لتركيب الحبة	275

41	مكينة تبويط الورقة التي داخل القرطوس	1100
42	مكينة لثقب قاع القرطوس باليد	275
43	مكينة تلاقي النحاس مع الكاغد	1100
44	مكينة لثقب قاع القرطوس	220
45	مكينة لقطع قاع القرطوس	660
46	مكينات (2) لسد القرطوس مع القاع	275
47	مكينات (2) لتركيب الحبة في القرطوس	220
48	مكينة لتبويط الحبة	1100
	وإقامتها : عشرة ايادي لتعمير تخليصة الحبة	715
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس	830
	وستة طناجير للغسل	1320
49	أيادي لسجن الحبة على القزدير	330
50	أيادي لتعصير الحبة	350
51	مكينة لسجن البارود	275
	مغازل 16 ، وعجلات 12 ، وكراسي 20	3900
	مكينة الافوار محتوية على قطع 18	7500
	برمة النار	6300
	الجميع فرنك	83900
	فيه ريال عدد 16600	

انتهى زمام الفبريكة »

واخيراً : فقد حالت وفاة الحسن الاول دون ان يكون هذا المعمل يؤدي مهمته .

وبعد هذا ننتقل من مراكش الى فاس ونقدم :

3 ـ معمل السلاح بفاس الذي كان يسمى « مكينة العدة » ، وقد انشيء قبل دار السلاح[1] .

4 ـ « دار السلاح » بفاس ، وموقعها داخل باب الساكمة يمين المار منه لباب المكينة ، حيث يتراءى لك مظهر المعمل الخارجي الفخم ، الذي يشخص اهميته كأكبر معمل بالمغرب في عهده ، وترى بابه مكتوباً باعلاه :

« دار السلاح منشئها الأمير مولاي الحسن » ، وكان تأسيسها على يد المهندس الايطالي لوطري من عام 1305 حتى عام 1308هـ حيث انتهى العمل فيها[2] ، وفي عام 1309هـ كان افتتاحها في مهرجان عظيم اقامه السلطان الحسن الاول ، بعد حفلات عيد المولد النبوي الذي احتفل به في فاس[3] ، وقد ورد ذكر هذه الدار اثناء قصيدة مولدية للشاعر الحاج ادريس بن الحاج علي السناني ثم الفاسي ، حيث جاء ضمن ذكر الحسن الأول هذا البيت :

وشيدت داراً للسلاح عظيمة وشيدت حباً للعبادة مسجدا[4]

وكانت تشتمل على ثلاثة معامل كلها تستخدم بالماء : الاول معمل صنع البنادق تامة الأدوات : من حديد وعود وغيرهما ، الثاني معمل صنع القرطوس ، الثالث معمل ضرب السكة المغربية[5]،وبهذا الأخير وقع ضرب بعض قطع من السكة المغربية أيام مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز من فئة : 10 ،5، 2، 1 موزونات ، ونصف الموزونة[6] ، وهي القطع النحاسية المكتوب على أحد وجهيها أنها ضربت بفاس .

---

(1) ورد ذكر هذا المعمل مع معمل القرطوس المراكشي اثناء رسالة حسنية في الاتحاف (2) 495-497.

(2) الاتحاف (2) 495 وغيره .

(3) « البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان السلطان مولاي الحسن » ، نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1346 د ، ومؤلفه هو محمد بن ابراهيم السباعي ثم المراكشي .

(4) القصيدة واردة في ديوان المذكور ، المسمى : « الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح » ، خ، ع، ك 1678 ـ ص 128 .

(5) هذا مأخوذ من الاستبصار ص 184 وغيرها .

(6) « الاستبصار » مع الاتحاف (2) 499

هذا وفي « الاتحاف »[1] تفاصيل اخرى عن « دار السلاح » تثبت المهم منها فيما يلي :

« قد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا ، وبلجيكا ، وكان رئيسها الكولونيل الايطالي بريكلف . وكبارها هم : محمد الصغير ، والمختار الرغاي ، ومحمد بن الكعاب ، وادريس الفاسي ، والطاهر بن الحاج الاودي[2] ، ومحمد المنقري ، وعباس بن قاسم[3] ، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل : من فاس ، ومكناس ، ومراكش ، والرباط ، وسلا ، وغيرها .

وكانوا ينقسمون الى اقسام : لكل قسم قائد مائة، ومقدم ، وملازم ، واجرتهم اليومية من اثني عشر مثقالاً الى مثقال واحد ، وكان يصرف لهم اللباس سنوياً ، وكذلك اللباس الذي يباشرون به العمل ، وكانوا لا يخرجون منها الا بإذن الكولونيل رئيسها ، وقد وقفت ـ يقول ابن زيدان ـ على اذنين اصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه ، وكان عدد ما يقبضه الامناء من مصنوعات الدار في كل جمعة صندوقين ، داخل كل واحد منها ثمانية عشر بندقية بحرابها ، وبلغ عدد ما كانت تدفعه من القرطوس شهرياً : ثلاثمائة ألف ، وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج « بو حفرة » ، وبالافرنجي « مرطني » ، ويقي العمل مستمراً بها إلى حدود سنة 1321 » .

هذا آخر المحتاج له من كلام « الاتحاف » ، وفي « الاستبصار »[4] ما يفيد ان « دار السلاح » كان العمل جارياً فيها إلى اول العهد الحفيظي .

---

(1) ج 2 ص 498-499.

(2) هو رئيس العملة بهذه الدار « الاتحاف » ج 2 ص 468.

(3) هذا ومن قبله انما وردا « بالاتحاف » ج 2 ص 468 ، وقد كان الأول رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار ، والثاني رئيس قسم صناعة الجعاب بها .

(4) ص 91.

5 اصلاحات بالشواطىء

يضاف لما تقدم الاهتمام الذي بدأ في هذا الطور باصلاح الشواطىء وبناء التحصينات عليها ، حتى ان السلطان الحسن الاول عين بكل مرسى مهندساً لتفقد قوتها والطواف عليها واخبار المسؤولين في اقرب وقت بالصالح منها والمفتقر للاصلاح ، وعين المولى أحمد الصويري ـ الذي كان رئيس قواد المدفعية وخليفة وزير الجيش ـ واسطة بين أولئك المهندسين وبين الملك ، الذي كان بمجرد ما يتصل بالواقع يبادر بتنفيذ ما تتطلبه الحالة[1] .

ومن مظاهر ذلك الاهتمام : برج الفنار الذي بناه الملك محمد بن عبد الرحمن على ساحل البحر بأشقار قرب طنجة ، ليسرج ليلاً حتى يهتدي به السيارة في البحر[2] .

وقد وقع الشروع في بنائه اواسط سنة 1861م على يد مهندس فرنسي ، وفي اوائل سنة 1864 تم البناء ولم يبق الا اشتراء آلة النور وتركيبها في اعلاه ، وفي خامس عشر ابريل من نفس السنة انبعثت الأضواء من اعلى اول منار عصري بني في السواحل المغربية . وقد كانت قوة هذه الاضواء مقدرة بستة او سبعة آلاف شمعة ، فزيد فيها الى عشرين الفاً ، وكان مجموع المبلغ الذي انفق على هذا المنار ـ بجميع مرافقه ـ يناهز

(1) الاتحاف ج 2 ص 500 مع « الاعلام » بمن حل بمراكش واغمات من « الاعلام » ج 2 ص 268.
(2) الجيش ج 2 ص 81 . « الاستقصا » ج 4 ص 234 . « الاتحاف » ج 3 ص 565 .

ثلاثمائة وثلاثين الف فرنك[1] .

كـذلك قـام المولى الحسن الأول بـاصلاح ابـراج طنجة وبنـاء خزائنهـا المعـدة للذخائر ، وتركيب مدافعها ، وقد تم هذا على يد بعض المهندسين الانجليز بمساعدة الزبير سكيرج المهندس المغربي[2] .

والمولى الحسن هو الذي بنى البرج العظيم خارج باب العلو من الربـاط الذي يسمى بـالبرج الكبـير ، او البرج الالمـاني[3] ، لكونـه بني على يـد بعض المهندسـين الالمانيين بمساعدة المهندس المغربي سكيرج الآنف الذكر ، وقد بني على هندسة جديدة لم تكن معروفة بالمغرب قبل ، وجهز باحدث المدافع اذ ذاك المجلوبة من معامل كروب بالمانيا[4] .

وهو ـ كما في « مقدمة الفتح »[5] ـ الباني لمرسي الرباط الحالية قبل ان تتناولها يد الاصلاح الحديث : جدد بناء ديوانتيها الكبرى والصغرى ، وزاد في رصيفها ، وشيد عدة اهرية ومستودعات لحفظ البضائع .

وإذا تركنا الرباط الى مدينة « الجديدة » نجد الاصلاح يتناول ابراجها واسوارها منذ عهد الملك محمد بن عبد الرحمن[6] ، الذي اعتنى ـ ايضاً ـ بشأن الثغور وبعث من نوابه من يتفقد احوالها[7] .

---

(1) هناك مقال عن هذا المنار في مجلة « فرنسا والمغرب » ، وعنه كتبت جريدة « السعادة » مقالا في الموضوع ، عدد 2403 ، السنة 9,18 حجة عام 1340هـ/ 3 غشت 1922م .

(2) انظر تفاصيل تحصينات طنجة من طرف نفس السلطان : في « التحفة السنية للحضرة الحسنية » اسم رحلة لاسبانيا من تأليف احمد بن محمد الكردودي ، « المطبعة الملكية » بالرباط ص 25-29.

(3) هذا البرج صار تابعاً للملجأ الخيري بالرباط .

(4) الاتحاف ج 2 ص 489 ، مقدمة الفتح لمحمد بوجندار ص 134 .

(5) ص 135.

(6) السلوة ج 3 ص 232 . الاستقصا ج 4 ص 234.

(7) المصدر الاخير ج 4 ص 234.

وقد تبدو هذه التحصينات تافهة ازاء ما كان يتطلبه المغرب اذ ذاك ، ولكن يجب ان نلاحظ أن المغرب في هذا الأوان كانت يده مغلولة عن بناء التحصينات الحربية كما يريد ، حسبما اعلنت عن هذه الحقيقة وزارة الخارجية الحسنية في بعض مكاتبها[1] .

وفي الأخير : نذيل هذا الموضوع بظهير مهم يعطينا مثالاً من اهتمام الحسن الاول بتفقد الشواطىء المغربية ، حتى انه عين لجنة لتفتيشها ثغراً ، ثغراً ، وهذا نص الظهير[2] بعد الافتتاح .

« خالنا الأرضي ، الطالب محمد ولد أب محمد ، وخدامنا أمناء مرسي العرائش حرسها الله ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حملته : كاتبنا مولاي أحمد بن العربي البلغيثي ، وخديمنا مولاي عبد الرحمن بن أحمد البوكيلي ، والمهندس الطالب : أحمد الشاذلي البخاري ، والطالب المختار الرغاي ، لمعاينة أبراج الثغور ، وتفقدها واختبار أحوالها ، ثغراً بعد ثغر حتى تفتر مباسمها عن درر هاتيك الثغور ، ويصير طيها لديهم في حيز النشور ، ويعرفوا الصالح منها وغيره ، وكذا المطافي وما هو من ذلك مفتقر للاصلاح ، وقدر ما يقام به بتقدير أرباب البصر العارفين بذلك الاصطلاح ، ويعرفوا عدد المدافع في كل برج ، والمهراس ، وفرمة كل منها ، وكونها من المدبر ، أو خالص النحاس ، والصالح والفاسد ، والمستعمل والكاسد ، وعدد المدافع الفاسدة المنبوذة في الفضاء والأزق وبالصقاقيل وغيرها ـ نحاساً وحديداً ـ التي لا تصلح لصالحة ، وما هو منها صالح وانما يتوقف على الكراريط والعمائر فقط ، كل نوع على حدته ، وكذلك عدد الكراريط وما يطابق منها كل فرمة من فرم مدافع تلك الأبراج كما وكيفا ، وصلاحاً وفساداً ، وما يعمل فيه العلاج ، وسائر الآلات الجهادية ، وما يحتاج اليه كل برج من الأجزاء المادية ، وما هو معين لكل مدفع في كل برج أو في الخزائن من البنت والكور الموجودة فرمته في المدافع والمهارس : المستعمل وغير

---

(1) هذا الكتاب ورد في « الاتحاف » ج 2 ص 503-505.

(2) هذا الظهير يوجد اصله بمكتبة كاتب السطور .

المستعمل لفقدان فرمته فيهما ، وفق ما يقع عليه العثور ، ويعرفوا قناطير البارود التي بخزائنه بأنواعه ، أخذا من الكناش ، لاباعادة وزنه ، لتعسره أو امتناعه ، وجميع العدة بكل خزين : الصالح منها والمتلاشي ، وما فيها من التوافل والسكاكين وميزان الخفيف المفروغ ، والبارة ، وميزان ملحة البارود ، حتى يعرفوا من الكل نهايته ومقداره ، ويسردوا جميع الطبجية والعساكرية في كل ثغر ، ويعرفوا منهم الاسم والعين ، والقادر والعاجز ، والمعلم والمتعلم ، من غير تلبيس ولامين .

فنأمركم ان تقفوا مع الموجهين المذكورين لثغر العرائش ، حتى يستوفوا الغرض المذكور ، على الوجه المبين في هذا المسطور ، وان تبينوا لهم كل ما أمرنا ببيانه ، ليكون لديهم واضحاً فيرتبوه في تقييده وعنوانه ، كما نأمركم ان تنبهوا الطبجية على ضرب الاشارة مرتين في كل جمعة ، لتحصل الدراية للمتعلمين وتقع بهم المنفعة ، جعل الله ذلك في طاعته ومرضاته ، ومن العمل المتقبل المبرور ، العائد بالثواب المذخور ، والسلام ، في 3 ربيع الثاني عام 1300 » .

وبعد هذا الظهير الحسني نحيل على تفتيش من طرف كمندور فرنسي ، اجراه على ابراج العدوتين : الرباط وسلا ، وعلى الرماة المدفعيين بهما ، وقد ثبت ملخص هذا التفتيش ـ مع ملحق له ـ في كتاب « العز والصولة »[1] .

---

(1) ج 2 ص 197-202.

6 محاولات لتطوير بعض الصناعات

ولم يخل هذا الطور من محاولات لتطوير بعض الصناعات المغربية ، كتجارب في هذا الميدان وقعت على عهد السلطان محمد الرابع الذي انشأ المعامل البخارية التالية :

معمل السكر

تأسس هذا المعمل في مؤخرة « اكدال » بمدينة مراكش عند باب احمر ، وبذل فيه مؤسسة محمد الرابع المال الطائل ، وجلب له اختصاصيين من اوروبا لبنائه حتى جاء على عمل متقن وهيئة ضخمة .

وفي اول الأمر كان معلمون اوروبيون هم القائمين في هذا المعمل بعصر قصب السكر وتصفيته ، ولما عجزوا عن اتمام العملية حل محلهم اختصاصيون شرفيون جلبوا من القاهرة ، ويؤخذ من بعض الوثائق أن هذا المعمل ادى مهمته حيناً من الدهر ، ثم آل امره بعد ذلك إلى التعطيل لقلة المادة ، ومما قاله في « الجيش »[1] عن هذا المصنع لدى تعداد بعض مآثر محمد الرابع :

« . . من ذلك الآلة التي يعصر فيها السكر ويعقد ، حتى يوجد في كل حين ولا يفقد ، ويغني عن جلبه من اقاصي البلدان ، لما اجرى الله العادة اليوم باستعماله في

(1) ج 2 ص 80.

سائر الاوقات لاستصلاح الابدان ، فأراد مولانا ـ نصره الله ـ ان يكفي الناس مؤونة اجتلابه ، ورأى ان هذه البلاد ـ لكثرة مرافقها دون غيرها من الآفاق ـ اولى به ، فأمر بغرس القصب الحلو واستنباته ، وتهيئة المزارع الطيبة واختيار اطيب اوقاته ، ووجه على من يحسن اعمال اخراجه من القوة الى الفعل بغاية ما يطلب من الاجارة او الجعل . . . » .

وكان الذي اسند اليه انشاء هذا المعمل هو السيد محمد الدكالي الرباطي العارف ببعض اللغات الاوروبية ، والمكلف من طرف ملك المغرب بتنمية مؤسسات الاشغال العمومية المختلفة ذات الأهمية ، وقد ابرم بتاريخ 8 أكتوبر 1279/1862 اتفاقية مع ميكانيكي انجليزي ليقوم بتركيب الآلات اللازمة لعصر السكر ، ويشرع في استعمالها على احسن ما يرام ، وليقوم ايضاً بتأسيس المعامل وتركيب جميع الآلات كيفما كانت[1] .

وهناك رسالة حسنية مؤرخة في 22 فعدة عام 1310هـ ، وهي تتعلق بتكليف المهندس عبد القادر العلج بادارة معمل السكر هذا ، بدلاً من مديره السابق : عبد الله العلج المتوفي ، ومن تاريخ الرسالة نتبين ان هذا المعمل استمر قائماً حتى اواخر عهد السلطان الحسن الأول ، وهذا نصها بعد الافتتاح :

« خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا المهندس عبد القادر العلج بمقابلة مكينة السكر ، عوضاً عن عبد الله العلج المتوفي ، فنأمرك بالحضور انت . والوصيف وبدة . والخديم الحاج ادريس ابن جلون الفاسي ، واحصاء ما فيها من الآلات الآن : سواء الغليظة والرقيقة ، ومقابلته مع تقييد ما كان بها حين تكليف العلج المتوفي ، وبيان الفرق بينهما ، واين ذهب وصار ذلك الفرق ، وادفع ذلك لعبد القادر المذكور بإشهاد عليه بعد

---

(1) حديث هذا المعمل مقتبس من الجيش ج 2 ص 80 ، مع الاستقصا ج 4 ص 234 ، والاتحاف ج 3 ص 563-556

توجيه تقييد بما ذكر لشريف حضرتنا ، وبيان ما تـلاشى منها من الـطرنبات ومـوازين الحرارة ونحو ذلك .

ثم نأمرك برد البال لما كلف به العلج المذكور : من صقل آلاتها ودهنها وصيانة آلاتها حتى لا يضيع منها شيء ، وقد امرنا الـوصيف ويدة والحـاج ادريس بن جلون بمثله ، والسلام ، في 22 قعدة عام 1310 »[1] .

مـعـمــل الـقـطـن

هذا المصنع ـ الذي كان مقره بمدينة مراكش ـ وردت على المغرب ادواتـه اوائل دولة الملك محمد الرابع عام 1279هـ او قبله ، ومن وقت تأسيسه لا يسمع عنه حديثاً او خبر حتى عام 1288هـ ، حيث تتحدث رسالة : بان مهندساً اوروبياً قام بهذا المصنع ويمعمل السكر احسن قيام .

هذا : وتفيد وثيقة اخرى بان محمداً الرابع اوصى باستيراد جهاز خدمة القطن ليكون في مدينة الرباط[2] ، ولا يدري هل وصل لهذه المدينة ، واذا كان وصـل فهل ادى مهمته ؟

وهذه رسالة من الحسن الاول في شأن تـوجيه تـاجر اسبـاني لمراكش ، للقيـام بتفتيش معامل : « السكـر » و« القطن » و« القـرطوس » ، وهي بتـاريخ 29 ربيـع الاول عام 1309هـ ، ونصها بعد الاستفتاح :

« خـديمنا الارضي ، المحتسب ، مـولاي عبد الله البـوكيـلي ، وفقـك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حامله التاجر خيم طور الصبنيولي لرؤ ية فابركات 3 : السكر والقطن والقرطوس ، التي هناك وتقليبها ، وتقييد التي وجدها منها كاملة غـير خاص

---

(1) وردت هذه الرسالة ضمن مجموعة وثائق ، خ. ع، د3410 رقم 130.

(2) انظر عن هذا والمعمل قبله : الاتحاف ج 3 ص 564 و560 .

فيها شيء من آلاتها ، والتي وجدها غير كاملة خاص من آلاتها شيء ، وبينان الآلة الخاصة منها ، وهو يصير على نفسه في سفره من هنا ومقامه هناك وايابه .

فنأمرك ان تتوجه معه بنفسك لمحال الفابركات المذكورة ، وتقف حتى يقيد ذلك على نحو ما ذكر ، والسلام ، في 29 من ربيع الاول النبوي ، عام 1309 »[1] .

طاحونة بخارية

استجلبها محمد الرابع عام 1862/1279 ، ونصبها لفائدة السكان بمدينة طنجة ليتنفعوا بالطحن فيها[2] .

وفي عهد السلطان الحسن الاول : يتحدث مصدر[3] معاصر ـ كتب عام 1299هـ ـ عن الشروع في نصب رحا نارية بمدينة مراكش ، ويحدد موقعها بأنها كانت تقوم في الجهة العليا من مشهد سيدي عمارة .

ومن المؤكد انه تم بناء هذا الجهاز ، وصار يستخدم في عملية الطحن ، وهذا ما يستفاد من رسالة حسنية الى محتسب مدينة مراكش ، ونص المحتاج له منها :

« خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله بن إبراهيم البوكيلي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : وصل كتابك مبيناً تام النجابة (كذا) ، في خدمة مكينة الطحن والتابع له واستقامة امرها . . . . وان اعتذرت عن استخدام المكينة بعدم الحطب فقد بينا لك مستفاد المكينة . . . .

نعم لا يطحن فيها لدارنا العالية بالله الا عند الضرورة ، وإنما يطحن لها بالأرحي ، كما ان المكينة لا تبطل ويطحن فيها لسائر الناس ، لتوجد عند الاحتياج اليها على اكمل حال ، والسلام ، 2 ربيع الأول عام 1301 »[4] .

---

(1) مجموعة الوثائق الآنفة الذكر ـ رقم 172.

(2) الاتحاف ج 3 ص 563-564.

(3) « رسالة نشاط الاذهان » : المخطوطة السالفة الذكر.

(4) مجموعة الوثائق المتكررة الذكر ـ رقم 318 .

7 تقدم نسبي في التجارة الخارجية

الى جانب هذه المحاولات الصناعية ـ فان التجارة المغربية في هذا العهد أخذت تتطور بما انفتح أمامها ـ أكثر من ذي قبل ـ من الأسواق الخارجية ، نتيجة لتقدم المواصلات في الخارج ، وللتسهيلات المحلية ، وقد أم هذه الأسواق في أوروبا وغيرها مغاربة مقتدرون أسسوا تجارات واسعة ، وأداروها بشكل أثار اعجاب الملاحظين ، وقد تحدث عن نشاط المغرب التجاري في هذه الحقبة رحالة تونسي[1] وقال :

« . . . ولهم ـ المغاربة ـ اليد الطولى في التجارة ، بحيث أن تجارة داخل المملكة ـ أعني غير المراسي التي على البحر ـ هي بيد الأهالي ، ويرسلون منهم الى أقاصي الممالك لمعاطاة الأشغال التجارية ، ووصلها بمملكتهم ، حتى لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة في إحدى قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا الا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ، ولهم براعة في إدارة التجارة يناكبون بها الأوروباويين » .

وبعد هذا الرحالة التونسي : ها هو كاتب شرقي مشهور[2] يسجل هو الآخر تطور تجارة المغرب الخارجية في العبارات التالية :

« . . . وللمراكشيين باع طويل في التجارة ، واقدام لايجاريهم فيه بقية المسلمين ،

---

(1) هو الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه « صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار والاقطار » ج 1 ص 62-63

(2) هو محرر « تقويم العؤيد » سنة 1324 هجرية ص 294.

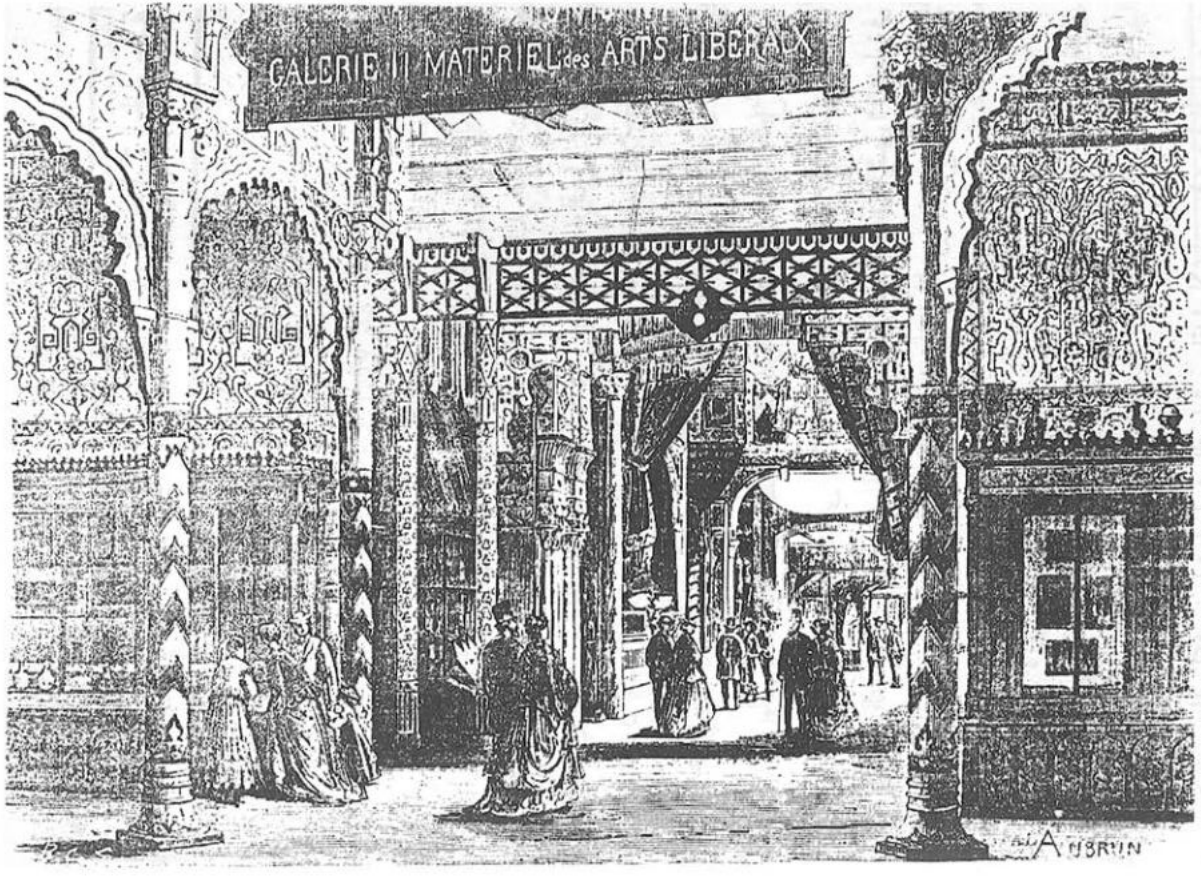

شكل ــ 2

الرواق
المغربي والتونسي
في المعرض الدولي
بباريس

فانك تجد من المشتغلين الرابحين بها : أبناء البناني في « منشستر » منذ 40 سنة ، وعائلة بو هلال في « جنوة » ، وعائلة بنيس في « ليفربول » ، وعائلة الحلو في « مرسيليا » ، وعائلة جسوس في « لندرة » ، وعائلة القباج في « همبورغ » .

ومن مظاهر التطور الذي طرأ على التجارة المغربية ، مشاركة المغاربة في المعارض الدولية بأوروبا ، ففي هذا الطور استدعى المغرب لثلاثة معارض في سنوات مختلفة .

الأول : « معرض باريس الثاني » ، فقد كتب نابليون الثالث للسلطان محمد الرابع يرجوه مشاركة المغرب في المعرض العالمي الذي اعتزم اقامته بباريس عام 1867 — 1285 ، ولبى ملك المغرب الدعوة ، فبعث الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي من كبار التجار ، وبعث معه كل غريب مما اختص به المغرب : من سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ، وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الأعلى الى الأدنى ، حتى الزليج الفاسي والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه في محاله[1] .

ويوجد بالمجموعة المعنوية بـ « معرض سنة 1867 العمومي » : فصل عن الرواق المغربي في هذا المعرض ، وفي ظهر الصفحة المكتوب فيها هذا الفصل : صورة قلمية للرواق المغربي تمثل بناء خشبياً قائماً على أقواس وأساطين ، في يساره دكان يرى ببابه رجل عربي الشكل ، بين يديه أثواب كأنه يهش في وجه فتيات من زائرات المعرض ، وينوه لهن بسلعته ، وبجانب هذا الدكان ـ وسط واجهة الرواق ـ سقاية على الشكل المغربي الأندلسي الجميل ، ينبع الماء من أنابيبها الكثيرة ، وبجانب السقاية يظهر قوسان وقف باحداهما عسكري ، ولعل هناك كان الأروى الذي به جياد عربية بعث بها سلطان المغرب ، لتعرض على أنظار الزائرين[2] .

ثم شارك المغرب للمرة الثانية في معرض باريس الثالث المقام عام 1878 — 1295 ، ومن أغرب ما أرسله سلطان المغرب المولى الحسن الأول لهذا المعرض دار كلها

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 231-232.

(2) « جريدة السعادة » عدد 4474 السنة 34.

من خشب على هيئة ديار فاس ، وبها النقش حديدة وغيرها ، وكذلك فرشها[1] .

وفي عام 1306 — 1889 شارك المغرب للمرة الثالثة في معرض باريس الرابع ، حيث عرض منتوجات وطنية[2] .

وقد تحدث عن هذا المعرض المغربي محمد أمين فكري[3] وقال :

« . . . . ثم انتقلنا من هذا المحل الى معرض مراكش ، وقد عرض بضائعهم فيه نحو ستين شخصاً في نحو الفي متر مربع ، وهو عبارة عن قصر ملوكي ، وفسطاط بجواره ، وسوق بالبعد عنه بأوائل سكة مصر ، كل منها على طراز مراكشي .

أما القصر الملوكي فقد عرضت فيه المصنوعات الوطنية بأصنافها : من بسط لطيفة ، وأسلحة محلاة بالذهب والفضة ، وغير ذلك من المصنوعات الظريفة .

وأما السوق المراكشي فجميع ما به معروض للبيع بخلاف ما في القصر ، وقد احتوى على أشياء كثيرة من مصنوعات البلاد : مثل أقمشة الصوف والحرير ، والسجاجيد ، ومنسوجات متعددة في الشكل والاستعمال ، وكثير من الجلود المصنوعة : كالمخدات والمداسات المعروفة بالبلغ ، وكثير من النحاس المنقوش : كالصواني ، وغيرها من الأواني والخناجر والسكاكين المذهبة والمفضضة .

وتجاه السوق محل أكل على الطراز المراكشي ، فيه من الموسيقى الأهلية ما يسمونها بالنوبة » .

ومن الوثائق المتعلقة بالمعرضين الأول والثالث : رسالة مغربية في صدد الجواب عن استدعاء المغرب من طرف وزير خارجية فرنسا للمشاركة في معرض 1878 م ، ورغم خلو الرسالة عن الامضاء ، فهي ـ دون شك ـ صادرة عن وزير الخارجية الحسنية : محمد

---

(2) « صفوة الاعتبار » ج 3 ص 81.

(3) الاستطلاعات الباريسية اسم رحلة محمد السنوسي التونسي ـ ص 201.

(4) ارشاد الألبا . الى محاسن أوروبا ، مطبعة المقتطف ـ ص 374-375.

المفضل غريط ، وهي ـ أيضاً ـ تمدنا بمعلومات عن المعروضات المغربية في معرض 1867 ، وهذا نص الرسالة بعد التصدير :

« المحب العاقل ، الناصح الكبلير ، الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين ، منيسطر دولة الفرنصيص الفخيمة ، المعتبر ، شارل فيرو .

بعد مزيد السؤال عن أحوالك ، ومحبة أن تكون بخير دائماً ، فقد وصلنا كتابك بأن دولتكم الفخيمة ، كانت جعلت سوقا بباريز حياة سيدنا المقدس بالله ، في العام [1] 1283 الذي بينت ، وأتى اليه الناس من سائر الأقاليم بسلع بلدانهم ، وحتى سيدنا المقدس بالله ، كان وجه اناساً لذلك السوق ، من جملتهم الحاج محمد القباج الفاسي ، وصحبوا معهم السلع المغربية ، كالزرابي ، والفخار ، والصطارم المطرزة ، وورد معهم أناس بناءون ، وبنوا هناك داراً وقبة تعجب في صناعتها كل من حضر بذلك السوق .

وذكرت أن مراد دولتك أن تجعل سوقاً آخر مثل السوق المذكور في التاريخ 1306 الذي بينت ، وكتبت لجميع الأجناس بالاعلام بذلك ليتهيئوا له ، وقبلوا ذلك وفرحوا به .

وحيث كنت أنت الواسطة بين سيدنا ـ نصره الله ـ وبين دولتك الفخيمة ، أعلمت بذلك ليجعل ـ أعزه الله ـ مثل ما كان جعله سيدنا والده المقدس في السوق المذكور ، ويقتدى به ـ رحمه الله ـ في ذلك ، لكون مراد دولتك هو اتصال المحبة بين الأجناس .

واطلعت بكتابك شريف علم مولانا ، وصار ـ نصره الله ـ على بال من جميع ما ذكرته فيه ، وأمرني ـ دام تأييده ـ أن نجيبك عن ذلك بأنه نشط بما عرفت به في ذلك من جانب سيدنا ـ رحمه الله ـ من الاعتناء بذلك ، وقد وافق عليه نصره الله ، وهو ـ أعزه الله ـ بصدد تعيين من يتوجه للسوق المذكور بسلع الايالة ، ويصحبه بالمعلمين الذين

---

(1) سبق قلم عن 1285.

يصنعون فيه مثل ما ذكر وأغرب ، ودمت بخير ، وختم في 2 ربيع الأول عام 1304 »[1] .

وأن هذه البارقة التي برقت على الاقتصاد المغربي في هذا الطور أخذت توتي ثمراتها الأولى ، فمثلاً في أيام محمد الرابع لاحت على المغرب سمة اليسار ، فغلت الدور والأملاك ، حتى كانت في بعض السنين لاتسمسر ، ومن يشتري داراً انما يشتريها بالتنقير عنها ، والطلب من ربها بالثمن الجافي ، واتخذ ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسى الرفيعة ، والذخائر النفيسة ، وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع ، لا سيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على المغاربة حضارة جديدة مطبوعة بالطابع الأوروبي[2] .

ومما يدخل في باب انعاش الاقتصاد المغربي . ونختم به هذا الموضوع : ما قام به السلطان الحسن الأول من رفع المكوس في سائر الأبواب بالمدن والقرى المغربية كلها ، واسقاط ذلك بالمرة ، وقد تحدث في الاستقصا[3] عن هذا الحادث فكتب ما ملخصه :

« وفي أواسط ربيع الأول من سنة 1303 : ورد أمر السلطان أيده الله بتسريح ما كان موظفاً على أبواب المدن والقرى ، مما كانت تؤديه العامة على احمال السلع والتجارات من المكوس ، وكتب في ذلك إلى عامل سلا وقته ، ولما ورد كتاب السلطان فرح الناس به ، ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد من خالص نياتهم ، نطلب الله تعالى أن يتم نعمته على المسلمين بتسريح ما بقي موظفاً من مبيعات الأسواق ، ويريح الناس من شؤمه ، فانه لا شيء أشأم من هذه المكوس على الدول ، نسأل الله العافية » .

---

(1) الرسالة واردة في مختارات من رسائل مغربية ، اختيار أوجين فومي ، ط . باريس سنة 1903م ـ ج 1 لوحة 75.
(2) الاستقصا ج 4 ص 233.
(3) ج 4 ص 264.

8 تجديد العملة

من القضايا التي كانت تتطلب علاجاً في هذا الطور : مشكلة « العملة المغربية » التي كان يروج الى جانبها عملات أجنبية مختلفة ، لاحتياج المغاربة لها في شراء حاجياتهم من الخارج ، وفي بعض المعاملات الداخلية .

ومنذ عام 1845/1261 أخذت العملة المغربية في التدهور : ارتفاع في العملة الأجنبية ، وهبوط في السكة الوطنية ، وهذا ما حفز المغرب في هذا الطور : أن يحاول تأسيس عملة مغربية جديدة لا تتأثر بتقلبات السكة الأجنبية .

وكان الذي أسس أول الأمر هذه العملة : هو الملك محمد الرابع ، الذي أمر عام 1285 بضرب « الدرهم الشرعي » ، وحاول ضبط السكة به ، وحمل الناس على أن لا يذكروا في معاملاتهم وأنكحتهم وسائر عقودهم الا الدرهم الشرعي ، وأذاع في ذلك منشوراً على سائر ولاة الأمصار جاء فيه :

« . . . . ولما رأينا ما حدث فيها ـ السكة المغربية ـ من التغيير وعدم الضبط ، ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد ـ اقتضى نظرنا السديد ردها لأصلها الأصيل ، الذي أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة وألف ، اذ لنا فيهم أسوة حسنة في الاجمال والتفصيل ، فرددنا الدرهم الكبير المسكوك على وزن الدرهم الشرعي ، والمنهاج المرعي ، كما كان على عهد جدنا سيدي الكبير[1] قدسه الله ، وجدد

(1) السلطان محمد بن عبد الله .

عليه وابل رحماه ، بحيث تكون عشرة دراهم منه هي المثقال كما هو معلوم : أن عشرة دراهم من الدراهم التي كانت تروج قبل على عهد أسلافنا ـ رحمهم الله ـ هي المثقال ، وبهذا العدد الذي هو عشرة منه في المثقال تكون جميع المعاملات والمخالطات في البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة في كل البوادي والحواضر ، وبه أمرنا جميع العمال ، ومن هو مكلف بعمل من الأعمال ، واشاعته ليبلغ الشاهد الغائب ، وبه يقبل لجانب بيت المال ، وأمرناهم بالعمل بهذا الأمر الذي أصدرناه ، وأبرمناه بحول الله وأمضيناه ، وأن يعاقبوا كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك ، وبان يسلكوا به أضيق المسالك ، جزاء وفاقاً على مخالفته ، وتعديه الحد وافتياته[1] .

هذه خلاصة محاولة الرابع لانقاذ العملة المغربية من الأزمة التي صارت اليها ، ومن سوء الحظ أن تفشل هذه المحاولة وتعود السكة المغربية الى حالتها الأولى من التدهور وعدم الضبط ، ومثال واحد لذلك ـ بين أمثلة عديدة ـ نجده في الاستقصا[2] أثناء حوادث عام 1294 هـ ، وفي هذا يقول من فقرة مطولة :

« . . . فانعكس الحال على التجار ، وتقاعدوا على الريال والبسيطة ، وفاضت الفلوس في الأسواق حتى صارت معاملة الناس ليست الا بها ، وحصل للتجار من الضرر في رخص الريال ، ما كان حصل للضعفاء في قلة الفلوس . . » .

وأن هذا ما حدا بالسلطان المولى الحسن الأول أن يعمد ـ عام 1298 / 1881 للعمل على تأسيس عملة مغربية أخرى ، تكون ـ في وقت واحد ـ مؤسسة على الدرهم الشرعي ، ومساوية للسكة الفرنسية ، وهذه هي التي صارت ـ بعد ضربها ـ تعرف بالسكة الحسنية التي تتكون من خمس قطع : الريال الحسني ، ونصفه ، وربعه ، وعشره الذي وزنه درهم شرعي ، ونصف العشر ، وقد شرح السلطان تصميم العملة الحسنية

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 231.

(2) ج 4 ص 254-255.

الجديدة في رسالة[1] بعث بها للنائب السلطاني بطنجة نص المراد منها :

« . . . وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا في ايالتنا السعيدة ، وتكون على كيفية مخصوصة ، وعمل خاص ، موافق للشرع ، مبني أصلها على الدرهم الشرعي الذي كان في أيام جدنا الأكبر مولاي اسماعيل رحمه الله ، وجدنا الأقدس سيدي الكبير نعم الله روحه ، والمنصور السعدي ، وأبي الحسن المريني ، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله ـ جارية على عرف البلد الجاري بين الناس في المعاملات ، والزكاة ، والقسامات ، والفرائض ، والبيوعات ، والشراءات ، ونحو ذلك ، وأن يضرب منها مقدار عشرين مليوناً من الفرنك الفرانصيصي .

فنأمرك أن تعقد « كنطردتها » مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال في ذلك ، وترضي ذمتهم ، ويقبلها « باشادور » الفرنصيص بطنجة ووزير الأمور « البرانية » بدولته . . . نعم ، من اتفقت الآراء على عقدها معه لا من المخزن ولا من التجار حتى التاجر المذكور ، يكون عقدها معه على شروط وهي :

أن يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليوناً من الفرنك المذكور : ريالاً وزنه عشرة دراهم شرعية يكون مماثلاً لريال الفرنسيس في المعيار والصفاء ، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال وزنه خمسة دراهم شرعية يكون مماثلاً للفرنك الفرنسيسي في المعيار والصفاء ، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب ربع ريال وزنه درهمان شرعيان ونصف درهم شرعي يكون مماثلاً أيضاً للفرنك الفرنسيسي فيما ذكر ، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب عشر ريال وزنه درهم شرعي مماثلاً للفرنك المذكور في المعيار والصفاء ، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال وزنه نصف درهم شرعي يكون كالفرنك الفرنصيصي في المعيار والصفاء .

وأن يكون طرف هذه السكك مشرطاً ، وكتابته من الجهتين على المثال الواصل اليك .

---

(1) الرسالة واردة بالاتحاف ج 2 ص 431-433.

وأن يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور ، ولم يكن ممنوعاً في شرعنا .

وأن يعين المخزن أو التاجر الذي تعقد معه « كنطردة » ذلك نائباً عنه بطنجة . . . » .

تلك جلمة الخطوط الكبرى لتصميم ضرب السكة الحسنية الذي لو نفذ باخلاص لحقق تقدماً في الاقتصاد المغربي ، هذا التقدم الذي كان هدف تجديد العملة المغربية ، ولكن حدث ـ مع الأسف ـ ما عكس النتيجة ، فان الدولة التي ضربت هذه العملة بدار سكتها بباريز لم تستطع أن تنفذ التصميم المتفق عليه بدقة ، ولم تجعل العملة المغربية الجديدة مساوية للفرنك الفرنسي ، وإنما جعلتها تزيد على الفرنك الفرنسي خلافاً للمتفق عليه . فصار الريال المغربي يساوي خمس فرنكات فرنسية وثمانين سنتيما ، بدلاً من خمس فرنكات فقط المشترطة ، وهكذا النسبة في باقي قطع العملة الحسنية ، وقد رفض المغرب قبول هذه السكة المخالفة للمتفق عليه في شأنها ، ولكنه أرغم في النهاية على قبولها على علاتها ، ومن هنا جاءت الكارثة ، فإن هذه العملة لما أخذت تروج بالمغرب صارت قيمتها تنحط شيئاً فشيئاً عن الريال الفرنسي ، مما أدى الى أزمات حلت بالاقتصاد المغربي ، وآلت محاولة الاصلاح الى فساد ، ولكن الاصلاح أتى من الداخل ، والفساد هجم من الخارج[1] .

ونذيل هذا الموضوع بالإشارة إلى قطعة من رسالة « خاصة » ، متلاشية وضاع منها آخرها ، فلم يعرف إسم كاتبها الذي خاطب بها الوزير الأكبر ، فيلاحظ على تسمية العملة الحسنية بالريال ، ويلح على الاحتفاظ باسم « الدرهم » ، مع إلغاء التعبير بـ « المثقال » وتركه نهائياً . . . وهذا نص الباقي من الرسالة :

« الحمد لله وحده ، محبنا ووزير مولانا المعظم ، الأرضي الفقيه : سيدي محمد

---

(1) حديث هذه النكسة التي وقعت في ضرب السكة الحسنية ورد بأبسط مما هنا في « الاستبصار » للطاهر الاوزي ص 147 و 148 و 174 و 200.

شكل 3

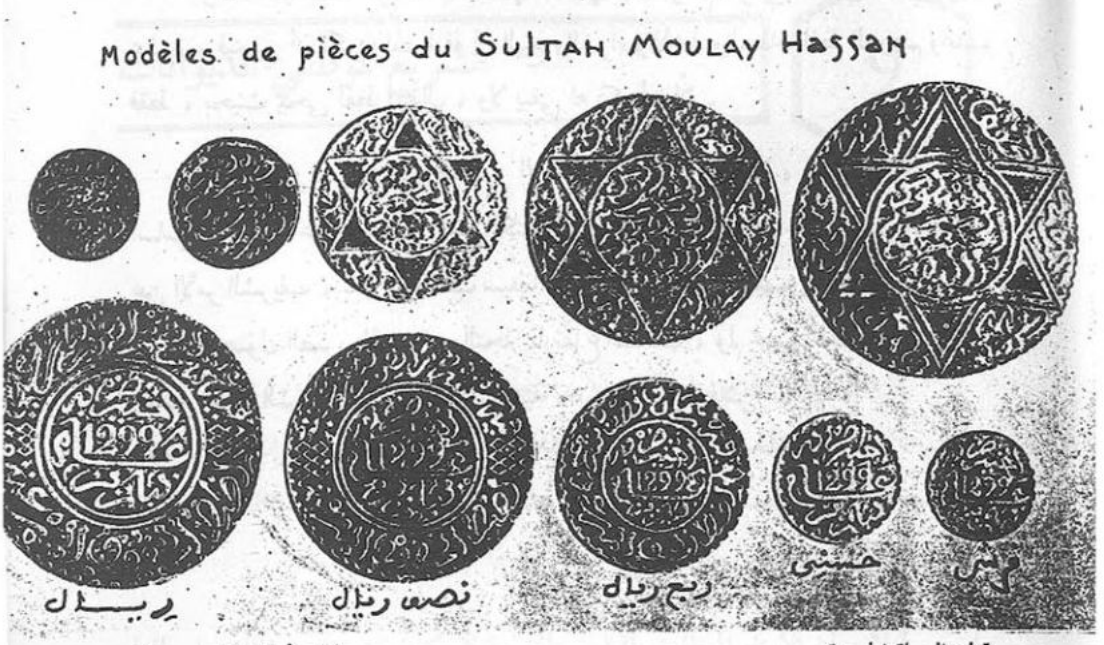

قطع العملة الحسنية

من « إتحاف أعلام الناس » ج 2

ابن العربي ، رعاك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فإني لما رأيت سيدنا ـ نصره الله ـ وجه على السكة الجديدة السعيدة تأتي لحضرته العالية بقصد روجانها إن شاء الله تعالى : تعين على الخديم أن يتكلم بها ظهر له على سبيل الحكاية :

وذلك أن سكة سيدنا السعيدة هي أكبر من جميع السكك وزناً ، ولا يخفى أن لكل سلكة من السكك حكماً بلفظ مخصوص : فسكة الصنيول بلفظ «البليون» الذي منه في الريال 20 ، وبلفظ البليون ينطقون في مصارفتهم في البيع والشراء جليله وحقيره .

وسكة الفرنصيص بلفظ « الفرنك » الذي منه في الريال خمسة ، كذلك به يتصارفون ، وكذلك غيرهم .

وسكة سيدنا ـ نصره الله ـ حكمها حكمها : « درهم شرعي » الذي منه في الريال عشرة ، فينبغي أن تكون المصارفة في البيع والشراء والأخذ والعطاء بلفظ الدرهم وعدده فقط ، بحيث يمحى لفظ المثقال ، ولا يبقى له ذكر أصلاً .

ولا بد من ترتيبها قبل صدور الأمر الشريف بروجانها ، ليبنى روجانها على أساس ، وترتب على فصول : تقع الكتابة لنائب سيدنا بطنجة أن يجمع نواب الأجناس عن الأمر الشريف ، بعد أن يكتب سيدنا لجميعهم كتاباً يقرأ عليهم ، يتضمن أن سيدنا لما رأى حصول الضرر للرعية والتجار بارتفاع السكك ، ولم يحصل لحصرها ضابط : إقتضى نظره الشريف ضرب سكة شرعية ، ويحضر لهم برقاش أنواعها »[1] .

(1) الرسالة في خزانة خاصة .

9 تشريع لموظفي الديوانات

الى جانب ما تقدم نتابع ذكر الاصلاحات الادارية القليلة التي وضعت في هذا الطور : ومن ذلك التشريع الذي قننه السلطان محمد الرابع لموظفي الديوانات الشاطئية ، وأصدره في شكل ظهير[1] يحمل تاريخ متم رمضان عام 1861/1278 ، ويتضمن الفصول التالية :

أولاً : أن الأمناء الموظفين بالمراسي المغربية لا يكون بينهم وبين الملك واسطة في شؤون وظيفتهم .

ثانياً : عمال المراسي لا يتدخلون في قليل ولا كثير من شؤون الأمناء ولو عن طريق الاعلام ، وحسبهم أن يقتصروا على الأحكام .

ثالثاً : تقرر لكل أمين مرتب شهري كاف يعينه على القيام بمهمته ، واجتناب ما يزرى بجانبه ، ومن عثر له بعد هذا على خيانة يقام عليه حد السارق ، وبهان ويزجر زيادة على ذلك .

رابعاً : يمنع على الأمناء أن يتجروا بالمرسى التي يتوظفون بها ، وليتجاوزوها الى غيرها .

---

(1) ورد هذا الظهير الذي خوطب به عامل الدار البيضاء في « مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل » لوحة 9 ، ومثله مع اختلاف في الأواخر ورد في الاتحاف ج 3ص 379-380 موجها للنائب محمد بركاش .

خامساً : يوظف بكل مرسى أمين من أهلها وآخر من بلدة غيرها .

سادساً : أنشىء منصب أمين أعلى يسند الى شخصية معروفة بالحزم ، والأمانة ، والعفاف ، والصدق ، والصيانة ، واجراء الأمور على مقتضاها ، وسلوك طريق النصح التي يحبها الله ويرضاها ، ووظيفة هذا الأمين هي :

أ) أن يكون مشرفاً على جميع أمناء المراسي ، ليتفقد أحوالهم ويراجع أعمالهم في كل ما يرجع للداخل والخارج .

ب) يراقب السلع التي تظهر في الأسواق المغربية : حرير ، صقلي ، جوهر ، مرجان ، وغير ذلك مما هو رائج ، ليعلم هل أدى عليها بالمرسى حقوق الديوانة ، أو أغفلت من الأداء[1] .

سابعاً : تقرر لكل من رئيس المرسى ، وخليفته ، والعدول مرتب شهري كاف .

هذا وفي أواخر الظهير الذي خوطب به عامل البيضاء تقدير مشاهرات موظفي مرساها على النحو الآتي :

1 ـ لكل واحد من أميني المرسى : تسعون ريالاً .
2 ـ لكل واحد من العدلين : عشرون ريالاً .
3 ـ لرئيس المرسى : خمسة عشر ريالاً .
4 ـ لخليفته : سبعة ريال .

---

(1) استندت هذه الوظيفة ـ ايام نفس السلطان ـ الى الحاج محمد ابن المدني بنيس ، صاحب الوقعة الشهيرة في صدر العهد الحسني ، قال عنه في « زهر الاس » المتكرر الذكر ج 1 ص 319 : « وكان ـ بالامر المولي ـ رئيس الامناء بالمراسي وغيرها » .

10 تنظيم البريد

وسوى تنظيمات الديوانة المغربية لانعدم في هذا الطور مثالاً آخر للاصلاحات الحديثة التي أخذت تجري ـ ولو ببطء ـ في بعض الادارات المغربية الأخرى ، ومنها « البريد المغربي » الذي وضع له السلطان الحسن الأول تنظيماً محكماً ابتدأ تطبيقه عملياً من مدينة الجديدة الى مدينة مراكش ، ثم بعد نجاح هذه التجربة وضع تصميماً كاملاً لتعميم هذا التنظيم بين سائر مدن المغرب من أقصاه الى أقصاه ، وعهد بتنفيذ هذا المشروع الى الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون الفاسي ، وتفاصيل المشروع نجدها في هذه التعليمات الموجهة للمكلف بتسيير البريد المغربي ، في شكل ظهير[1] حسني مؤرخ بعام 1892/1310 ، وهذا نصه :

« . . . خديمنا الأرضي الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كان بلغ شريف علمنا : ان بعض الاجانب تشوف لاحداث بوسطة من الجديدة لمراكش ، وكان اقتضى نظرنا العالي بالله هدم ما شيدوه ، بعكس ما املوه ، واطلاق ما قيدوه ، فأصدرنا شريف امرنا لامناء مرسى الجديدة ، وامين مستفادها ، وامناء مستفاد مراكش : بجعلها هنالك نيابة عن المخزن ، وبينا لهم كيفية العمل في اجرائها وترتيبها بقصد اختبار امرها ، فشرعوا في العمل ، واطلعوا علمنا

(1) ورد في مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل لوحة 79 .

الشريف بصدق نتيجة المؤمل ، ثم لما ظهرت مخايل المصلحة فيها ، وثمرة نتيجة سد الذرائع في انشائها ، امعنا النظر فيما ينشأ عنه قوة الضبط والاحتياط ، من تداخل المتشوف لسلوك ذلك المناط ، مع ما توسمناه فيها من المصلحة للرعية ، فيما يحاولونه من الأمور المتجرية ، التي مدار انتاج ربحها على تعجيل المراسلة ، والسعي في ذلك من المصالح المرسلة .

فاقتضى نظرنا المعتز بالله : نشرها في سائر مدن ايالتنا المحروسة السعيدة ، وجعل ضوابط لها مكينة عتيدة ، حتى تكون محكمة الشرط ، تامة الضبط ، وتكون سائر الاخبار بالايالة المحوطة بالله مرتبطة ببعضها بعضاً ، وفيح نشر نسيمها طرياً غضاً ، فرتبنا امرها واسسناه ، واوضحناه وبيناه ، على مقتضى ما يذكر من الفصول والشروط، التي حكم ذلك بها منوط، وطوقناك بذلك العمل وقلدناك امره، وكلفناك طيه ونشره ، فلتتمش فيه على الشروط المذكورة .

وهي ان يكون امين الرباط ينهض كل يوم اثنين وخميس : اربعة رقاقيص بما يجتمع لديه من المكاتيب ، اثنان للحوز : احدهما للصويرة بمكاتب الغرب التي للدار البيضاء وآزمور والجديدة وآسفي والصويرة ، وبما يجده من المكاتب بالمراسي التي يمر عليها للتي امامها الى الصويرة ، وكذلك ما يجده بالجديدة من مكاتيب آزمور ومكاتب مراكش التي تتوجه من آزمور مع الرقاص الذي يمر به لمراكش ، والآخر لمراكش ماراً على الدار البيضاء وآزمور ، ليحمل من كل منهما ما يجده به من المكاتيب لمراكش ، على ان يصل المنهض لكل منهما في اليوم الثامن من يوم نهوضه ، وان يكون يرجع غد الوصول بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من الصويرة يحمل مكاتيب آسفي والجديدة وآزمور والدار البيضاء ، والعدوتين والغرب ، وكل بلد يمر به يدفع مكاتبه لامينه ، ويحمل ما يجده فيه من المكاتيب لما بعده ، الى ان يصل للرباط المنهض منه بمكاتيبه ومكاتيب الغرب التي تتوجه منه على يد امينه ، والراجع من مراكش يحمل ما يجده بها من مكاتيب آزمور ومكاتيب

الجديدة التي تتوجه لها من آزمور والدار البيضاء والعدوتين، ومكاتيب الغرب التي تتوجه على يد امين الرباط ، فيكون خروج الرقاص الذي يرجع من مـراكش والذي يرجع من الصويرة كل يوم جمعـة ويوم ثلاثاء ، وان حدث عذر لبعض الرقاقيص منعه من التوجه في ذلك اليوم المعين ، كالمرض وشبهه ينهض امين البلد رقاصاً غيره للرباط في ذلك اليوم ، ويكتب لامين الرباط بالعذر المانع من رجوع المنهض من قبله ليصـير له اجرة الذهاب فقط التي هي نصف اجرته المعتادة للذهاب والاياب ، وهو يصير اجرة ذهاب المنهض من قبله بدلاً .

واثنان للغرب احدهما لتطوان بمكاتيب الحـوز التي للعرائش وطنجـة وتطوان ، وبمكاتيب القصر التي تتوجه له من العرائش وبمـا يجده بـالعرائش من مكـاتيب طنجة وتطوان ، وبطنجـة من مكاتيب تـطوان ، والآخر لفـاس بمكاتيب الحـوز التي لفاس ومكناس ، على ان يصل الذي لتطوان في اليوم الخامس من يوم نهوضه ، والذي لفاس في اليوم الرابع ، ويرجع كل منهما بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من تطوان يحمل ما يجده بها من مكـاتيب طنجة والعـرائش ومكاتيب القصر التي تتوجه له من العرائش ومكاتيب فاس التي تتوجه له من طنجة ، ومكاتيب العدوتين ، ومكاتيب الحوز التي تتوجه من الرباط ، وبما يجده امامه بطنجة او العرائش لما بعدهما ، والراجع من فاس يحمل مكاتيب العدوتين ومكاتيب الحوز التي تتوجه من الرباط على يد امينه ، فيكون خروج الذي من تـطوان كل يـوم ثلاثـاء ويوم سبت ، وخروج الذي من فاس كل يوم جمعة ويوم الاثنين ، الا ان حصل عذر لـواحد منهم فينهض بـدله عـلى نحو مـا قرر قبـل ، لينضبط الامر بكـل ارض في يوم الـدخـول والخروج .

تبقى مكاتيب الصويرة ومكاتيب آسفي لمراكش ، فأمين كل منهما يكون ينهض رقاصاً بما يجتمع لديه من المكاتيب لمراكش كل يوم اثنين ويوم خميس ، ويرجع رقاص الصويرة بما يجده من مكاتيبها بمراكش ، ويرجع رقاص آسفي بمكاتيب آسفي كذلك .

وتبقى ايضاً مكاتيب مكناس لفاس وغيرها ، ومكاتيب فاس للقصر والعرائش وطنجة وتطوان ، ومكاتيب القصر للعرائش وطنجة وتطوان كذلك : فاما مكاتب مكناس فأمينها ينهض رقاصاً بها لأمين فاس كل يوم اثنين ويوم خميس ، فيحوز ما لفاس ويوجه ما لغيرها على يده ، ويرجع بما يجده مجتمعاً بفاس من مكاتيب مكناس ، وامين فاس ينهض رقاصاً لطنجة بما يجتمع لديه من المكاتيب كل يوم اثنين ويوم خميس ، حاملاً مكاتيب القصر ومكاتيب العرائش التي تتوجه لها من القصر ، ومكاتيب طنجة ، ومكاتيب تطوان التي تتوجه لها من طنجة ، ويرجع بما يجده بطنجة من مكاتيب فاس والقصر وبما يجده بالقصر من مكاتيب فاس ، وبهما من مكاتيب مكناس التي تتوجه له من فاس ، على ان يصل لطنجة في اليوم الخامس ، ويخرج منها في أوبته لفاس في اليوم السادس ، الا ان حصل عذر فينهض امين طنجة غيره ويعلم به امين فاس ، فيكون خروج الرقاص من طنجة كل يوم ثلاثاء ويوم سبت ، وأمين القصر ينهض رقاصاً للعرائش كل يوم اثنين ويوم خميس بما يجتمع لديه من المكاتيب للعرائش ولغيرها مما يتوجه منها ، ويرجع بما يجده بالعرائش من مكاتيب القصر ومكاتيب فاس ومكناس التي تتوجه من القصر لفاس .

والمكلف بمكاتيب فاس الخديم الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون ، وبتطوان والعرائش : امناء مرساهما ، وبطنجة : امين نائب عن امناء مرساها ، وبمكناس والقصر والعدوتين والدار البيضاء وآزمور والجديدة وآسفي والصويرة ومراكش : امناء مستفاداتها .

وجعل لكل ارض طابعان : احدهما يطبع به على المكاتيب ، والآخر يطبع به على الشكارة ، وكل من الأمناء المأمورين بانهاض الرقاقيص يتخذ ما يكفيه من شكائر الجلد ، ويصير ثمنها في حساب المكاتيب .

وكل امين انهض رقاصاً يوجه بداخل الشكارة تقييداً بما فيها من عدد مكاتيب كل ارض ، وكلما مر الرقاص بارض يحوز امينها ما بالشكارة من مكاتيب تلك

الارض ، ويعلم على مجموعها في ذلك التقييد بوصل ، ويطبع عليه بطابع المكاتيب ، ويزيد فيها ما يجتمع لديه من المكاتيب لغيرها مما يمر به ذلك الرقاص او يتوجه اليه ويزيد عددها في التقييد كذلك الى ان يصل للمحل المنهض اليه ، والتقييد يبقى عند الامين الذي انهض اليه الرقاص حجة على من انهضه ومن مر عليه، وهو يجعل تقييداً بما يرجع به ذلك الرقاص من المكاتيب ، ويسلك من يمر به في ايابه عمل ما تقدم في ذهابه الى ان يصل في اوبته للذي انهضه ، فيحوز ذلك التقييد حجة على من دفع مكاتيب الاياب .

وكل امين يتخذ كناشاً ببيان من وجهه بكل تاريخ لكل ارض من مكاتيب ارضه ، والمكاتيب الواردة ليده من ارض اخرى ، وبيان واجباتها ، كما يقيد الصائر عليها في الشكائر ، واجرة الرقاقيص ونحو ذلك .

واجرة المكاتيب : فعلى التي وزنها نصف اوقية فأقل : ثمان موزونات، وعلى التي زادت على نصف أوقية الى اوقية : اربع أواقي ، وعلى التي زادت على أوقية الى اوقية ونصف : ست اواقي ، وهكذا ، واجرة الرقاص يحدها امين كل ارض ممن كلف بانهاض الرقاص على يد كبيرهم والعامل ، ويبرم معهم الامر فيها ويحدها معهم في قدر معلوم لا يزيد ولا يكون عليهم ضرر فيه ، كما يحد معهم ايام الغيبة لكل ارض ذهاباً وايابا ، وان حصل له عذر فله اجرة الذهاب فقط التي هي نصف الأجرة المنهض بها ، ويشترط عليهم بمحضر العامل ان لا يحمل احد منهم مكاتيب الغير الخارجة عن الشكارة وطابعها ، وان لا يحمل امانة لأحد ولا لفافة ، ويتوعد من ارتكب منهم شيئاً من ذلك بالعقاب ، ومن ادعى عند دفع كتابه للامين المكلف بتوجيه المكاتيب ان بداخله اطرة فيقبله منه بشرط كونه مطلق كتاب لادرك فيه ، وعند رأس ستة اشهر يوجه كل من الامناء المكلفين بذلك حسابها داخلاً وصائراً لحضرتنا الشريفة .

فنأمرك بالشروع في ذلك ، على مقتضى ما بيناه لك من الطرق والمسالك ، وطابعا المكاتب والخنشة الموعود بهما يصلانك صحبته ، وقد امرنا العامل بشد عضدك واتباع سبيل ما قرر لك ومحجته ، والسلام في 2 جمادى الأولى عام 1310 » .

شكل 4

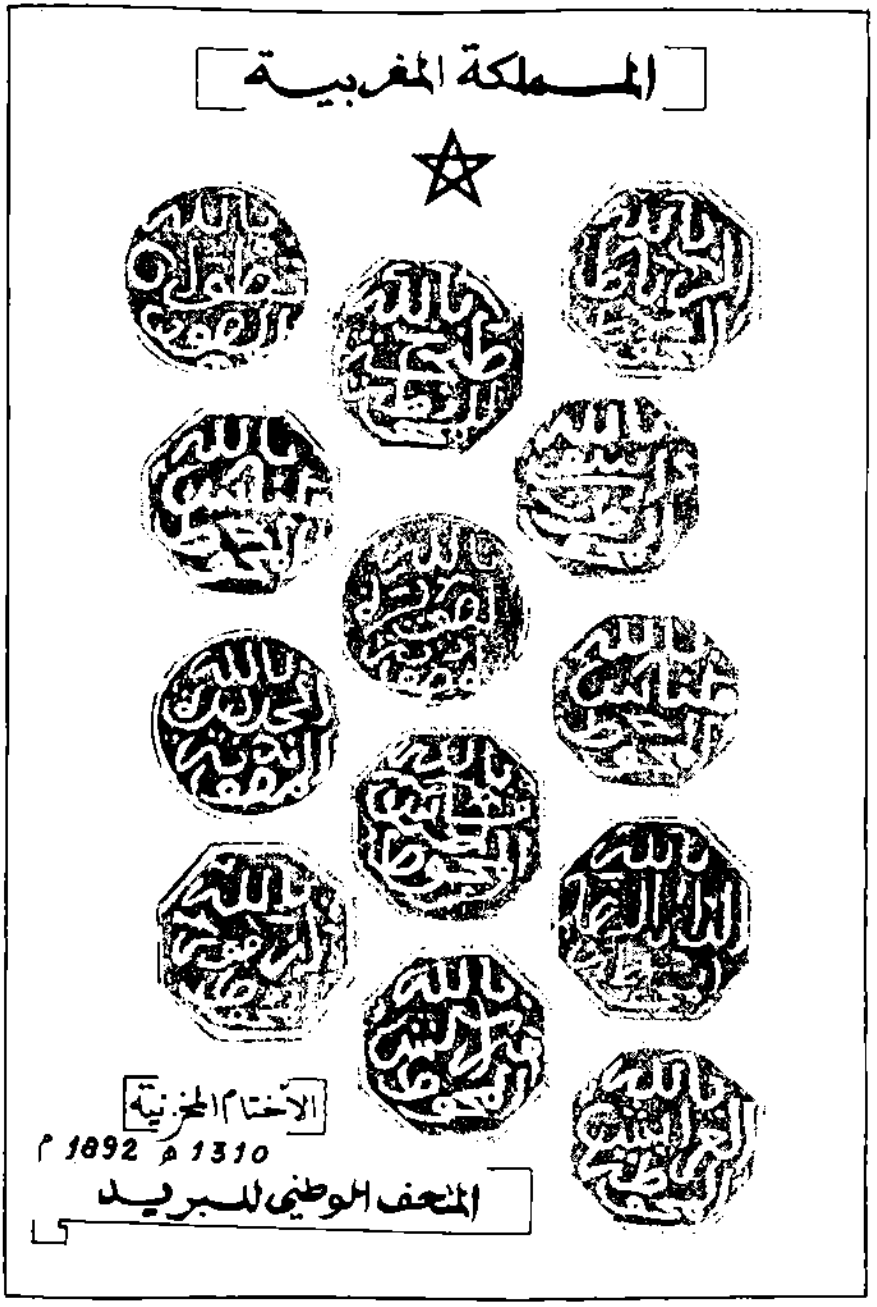

اختام البريد المغربي القديم

والى هنا ينتهي هذا الظهير الذي اهتم ـ ايضاً ـ باحداث طابع بريدي ، ليس على الطريقة المتعارفة ، ولكن في شكل اختام خاصة يطبع باحدها على المكاتب والطرود ، وبالثاني على الكيس البريدي الذي يسميه الظهير باسم « الشكارة » ، وكانت طوابع المكاتب والطرود عبارة عن خاتم مستدير وقد يكون مثمن الشكل ، وبداخله نقس اسم البلد المصدر مع اضافة تعبير : المحوط او المصون بالله .

وتبعاً لتعداد البلدان الواردة في الظهير ستصل اعدادها الى ثلاثة عشر . وهي مراكش ، والصويرة، وآسفي ، والجديدة، وآزمور ، والبيضاء، والعدوتان : الرباط وسلا ، ومكناس ، وفاس ، وتطوان ، والعرائش ، وطنجة ، والقصر الكبير .

أما عن تطبيقات هذا النظام واسماء القائمين به ، فهذا ما تمدنا به الوثائق المعاصرة ، وهنا نعيد الى الذاكرة ما ورد في هذا الكتاب عند باب « تنظيم الجهاز الحكومي » ، وبالضبط نشير الى لائحتين للمستندات المخزنية ، وقد ورد بثانيتهما الاشارة الى اكثر من عشرة دفاتر تتعلق بسير البريد المغربي القديم ، وحساباته وبعض اسماء القائمين به في مدن فاس والبيضاء وآسفي وطنجة ، حيث ينتهي بعض هذه الدفاتر عند آخر عام 1313هـ او اوائل 1314هـ[1] .

ومن الدفاتر التي لا تزال بقيد الوجود ، نقدم ثلاثة من ايام السلطان عبد العزيز ، حيث لا تزال تحفظ بالمكتبة الملكية .

وأولها : هو الذي يحمل رقم 430 ، ويبتدىء هكذا :

« . . . وبعد : فهذا كناش صائر بوسطى المخزن ـ اعزه الله ـ بالدار البيضاء ، على يد الامين بها : الطالب الأرضي ، السيد احمد بن السيد الحاج محمد فرج الرباطي ، وعدد المكاتب الخارجة منها ، والمشتملة عليهم الورقة التي ترد في شكارة البوسطى من المدن وغيرها . . . » .

---

(1) انظر ص 46 ، 47 ، 48 .

ساعي البريد المغربي القديم أثناء سيره وهو يتقلد الكيس البريدي . المتحف الوطني للبريد المغربي

وهو يبتدىء من فاتح رجب عام 1315 ، وينتهي عند جمادى الآخرة عام 1318هـ .

وهذه ابواب الدفتر ، نعرضها كنموذج للطريقة التي سارت عليها دفاتر اشغال البريد المغربي القديم ، حيث صنفت حسب العناوين التالية :

ـ بيان عدد الرقاقيص الخارجين من الدار البيضاء .

ـ تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضاء لما بعدها من المدن الحوزية وقبض ثمنها .

ـ تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضاء لما بعدها من المدن الغربية وقبض ثمنها .

ـ تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة الواردة في شكارة بوسطى المخزن اعزه الله ، الخارجة من الرباط . . . عام 1315 صحبة الرقاص مولاي عمر الفلالي .

ـ تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة التي ترد داخل شكارة المخزن اعزه الله ، الخارجة من الجديدة . . . عام 1315 صحبة الرقاص العلمي .

ـ مجموع المكاتب الواردة من المدن الغربية الموجهة للمدن الحوزية ، الى متم ربيع النبوي عام 1318 .

الدفتر الثاني يحمل رقم 434 ، وقد ورد في طالعته :

« لما صدر امر مولانا . . . للامين الاجل السيد احمد بن عبد الله مدينة التطواني بالتصرف في مستفاد الثغر الطنجي . . . وكان من وظيفته التصرف بالبوسطى السعيدة ، اتخذ هذا الكناش لبيان ما يخرج بها من المكاتب التي من طنجة ، مع بيان واجبها ، وعدد ما يخرج معها من المكاتب التي من تطوان لمدن الحوز والغرب ، والواردة منها لتوجه لتطوان مع التي له من طنجة ، وبيان واجبها كذلك . . . » .

وقد استمر استخدام هذا الكناش 29 شهراً : من فاتح صفر عام 1316 حتى جمادى الآخرة عام 1318هـ .

الدفتر الثالث : يحمل رقم 435 ، وجاء في أوله :

« . . . وبعد : فهذا بيان حساب البوسطى السعيدة بثغر العرائش . . عن شهر صفر الخير الفارط ، على يد الامين . . . السيد محمد العربي بن احمد الزكاري التطواني ، وهو اول شروع خدمة عمله فيها على مقتضى الضابط الشريف المقرر فيها ، ووقع الشروع فيها في 2 صفر الخير ، عام 1316 . . » .

ثم كانت نهاية هذا الكناش في جمادى الآخرة ، عام 1318هـ .

***

هذا ولا ننسى ان نسجل في آخر قائمة التنظيمات الادارية في هذا الطور : محاولة قام بها السلطان الحسن الاول لتنظيم الجباية بالمغرب على طراز عصري . ذلك انه حاول سن التنظيم المالي المعروف بالترتيب الذي سنتبسط في الحديث عنه في موضعه الذي هو الطور الثالث .

وقد ابتدأ بالتجربة الأولى في قبيلتي دكالة والشاوية وما إليهما، لكنه لاقى معارضة فأوقف العمل به الى فرصة مناسبة ، وقد سجل هذه المحاولة محمد بن ابراهيم السباعي في « بستانة »[1] في العبارات التالية :

« وفي تلك المدة وجه جيش تدبيره ـ القائم في بعض الأحيان مقام مسيره ـ للقبائل الغربية وبعض الحوزية : كدكالة والشاوية ، واحدث فيها ترتيباً عجيباً لو بقي على اصله الذي اصله : ابتدأ من ضبط القبائل وما لدى كل بالحساب والتقييد ، بحيث تجري الوظائف والتكاليف على حسب حال كل ، بحيث لا يبقى حيف ولا

(1) نحو ما في البستان ورد في فواصل الجمان ص 98 .

سبيل في ذلك للمزيد ، ويحصل به الرفق للرعية ، وتنحسم مادة جور العمال بالكلية ، فاستحسن ذلك وان لم يعم ، لكنه انخرم ولم يدم . . وقد عين للترتيب المذكور الامين الطالب محمد التازي الرباطي هو والطالب الكاتب السيد محمد الجباص الفاسي » .

* * *

والى هنا يكون الطور الثاني من هذه الدراسة قد عرض عشر منجزات ولو الى حد ، كنماذج من مظاهر يقظة المغرب الحديث في الميادين التي يغلب عليه الطابع الاداري ، وقد عرضت حسب العناوين التالية :

- تنظيم الجهاز الحكومي .
- تجديد الجيش .
- احياء الاسطول .
- بناء المعامل الحربية .
- اصلاحات بالشواطىء .
- محاولات لتطوير بعض الصناعات .
- تقدم نسبي في التجارة الخارجية .
- تجديد العملة .
- تشريع لموظفي الديوانات .
- تنظيم البريد .

وسيأتي ـ بعد هذا ـ موضوعات يغلب عليها الطابع التثقيفي ، وتبرز فيها المساهمة الشعبية او تطغى على بعض الميادين ، وهي تتدرج مع العناوين التالية :

- انبعاث في ميدان التعليم .
- الترجمة الى العربية .
- موضوعات فلكية جديدة .

- موضوعات جديدة متنوعة .
- خرط وتقنيات حديثة .
- اطر حديثة من افراد البعثات ومن اليهم .
- الطباعة الحجرية الفاسية .
- الطباعة السلكية .

11 انبعاث في ميدان التعليم

وهـذه حركـة انبعاثيـة كـان من اهـدافهـا انعـاش دراسـة العلوم الـريـاضيـة والعسكرية ، وتقريبها من الدراسات الحديثة .

وقد ابتدأت هذه الحركة من أيـام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، ثم استمرت على عهد ثلاثة ملوك من بعده : محمد الرابع ، والحسن الاول ، وصدرا من ايام المولى عبد العزيز .

اما الاسـاتـذة الذين قـامت على ايـديهم هذه الانبعـاثة : فقـد كان معـظمهم مغاربة ، ويذكر ابو اسحاق التادلي[1] ان سلطان وقته : « المولى عبد الرحمن » جبر احد اعلام الميقات والتعديل بفاس : « المكي الجنان » على اقراء هذه العلوم ، فكان ـ على حد تعبير ابي اسحاق ـ ان رحم الله به المسلمين بعد انقطاع هذه العلوم من فاس .

والى جـانب هؤلاء كـان هنـاك بعض اسـاتـذة وفـدوا من الخـارج ، وسترد اسماؤهم من بعد ، وقد تمثلت هذه اليقظة في :

1 ـ احداث دروس للرياضيات والفلك .

---

(1) في اختصاره لتذكرة داود الانطاكي الذي سماه : « التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار » : قطعة منه ضمن كتاشه بمكتبه العلامة الجليل محمد بن ابي بكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليها اثناء عام 1374 هـ/ 1955م .

2 ـ مدرسة المهندسين بفاس .

3 ـ المدرسة الحسنية بطنجة .

4 ـ دراسة بعض الفنون العسكرية .

5 ـ بعثات الى الشرق وأوربة .

* * *

وقد كان ارسال بعثات مغربية الى اوروبة من مميزات عصر الحسن الاول ، واذا استثنينا هذه الميزة ، فان أكثر المظاهر التعليمية الأخرى لهذه اليقظة ، يعود الفضل الاكبر فيها الى محمد الرابع ، ايام ولايته للعهد ثم بعد جلوسه على عرش المغرب ، حيث اكتست هذه الفترة بالذات طابعاً علمياً اكثر ، وفي هذا الصدد يقول احمد ابن المواز في « تاريخ الدولة العلوية »[1] عن محمد الرابع :

« واحيا ما اندثر بالمغرب من العلوم : كالحساب ، والتعديل ، والهندسة ، والنجوم ، واخترع العسكر النظامي السعيد » .

كما يسجل محمد بن المفضل ابن كيران[2] اهتمام نفس الامير بالرياضيات ، والموسيقى ، والتنظيم العسكري الحديث ، ويصفه عبد السلام العلمي[3] بانه احيى مدارس العلوم الرياضية .

كذلك تذكر عنه بعض المصادر الاوروبية[4] : انه جلب للمغرب ادوات علمية مستحدثة : من ساعات فلكية ، ومجاهر ، وكان ملماً باللغة الفرنسية ، وستتحدث بعد : عن الآلة الميقاتية التي ابتكرها هذا الامير ، مع الكتاب الفلكي الذي اشرف على

---

(1) اسمه : المقالة المرضية في الدولة العلوية ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 493 .

(2) في خاتمة شرحه على رسالة في الهندسة ، خ. ع، د 1051.

(3) في افتتاحية رسالته : « ارشاد الخل . لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » ، المطبوعة ـ على الحجر ـ بمصر دون ذكر اسم المطبعة وتاريخ النشر ـ ص 4.

(4) « تاريخ المغرب » للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ـ ج 2 ص 65.

ترجمته الى العربية ، ونذكر ـ الآن ـ من نشاطه :

ـ قيامه بتحقيق الذراع ، ليكون الاعتماد على المقياس الهاشمي في الممسوحات ، وعلى الذراع الرشاشي في التجارات ، مع العمل في الميل على تحديده بألفي ذراع هاشمي [1] .

ـ كذلك قام بتحقيق عرض مراكش بمعاونة عبد الرحمن العلج آتي الذكر ، واستمرت العملية أربعة أشهر ليلاً من عام 1260 هـ ، حتى تحرر هكذا : 31-38 [2] .

ـ وفي فاس : اهتم بتحقيق قبلة القرويين ، وانتدب لاختبار محراب جامعها جماعة من الفلكيين والمهندسين ، حيث تبين لهم انه ينحرف بسبع وثمانين درجة ونصف درجة ، فرسموا سمت القبلة بزاوية من زوايا المحراب [3] .

1 ـ احداث دروس للرياضيات والفلك

أولاً : الحساب والفلك والهندسة

ان هذه الدروس كانت اول مظهر لهذه الحركة الانبعاثية ، وقد بدأ بعضها من اوائل ايام السلطان المولى عبد الرحمن ، واتجهت حسب المدن التالية :

في فاس : حيث كان الفلكي الحاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي يأخذ عنه عدد من افراد الجيش السلطاني كثيراً من العلوم التي يحسنها على حد تعبير « سلوة

---

(1) رسالة « غنية الطالب وتذكر اللبيب » ، لابي العباس احمد الصويري : مخطوطة خاصة ـ الفصل 18 من المقالة الثانية .

(2) « شد الرحلة » تأليف السيد عمر بن محمد بن السعيد المراكشي ، عند الباب الرابع ، مخطوط خاص ، وسنتحدث عنه مع الرسالة الاخيرة عند باب : « موضوعات فلكية جديدة » .

(3) « شد الرحلة » عند الباب الرابع عشر .

الانفاس »[1]، وقد كانت وفاته عام 1267 هـ / 1851 م، وبعده انتصب لتدريس التوقيت بجامع القرويين ـ بأمر من محمد الرابع ـ الفلكي عبد السلام العلمي آتي الذكر .

في مراكش : وبها درس جملة من الطلبة وجههم لها السلطان عبد الرحمن بن هشام ، ليتعلموا الهندسة مع ولده الأمير محمد الرابع ، وقد كان من بين هؤلاء الطلبة ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بورقية المكناسي ثم الرباطي ، آتي الذكر ، حيث قرءا معاً على استاذ مغربي لم يعلن عن اسمه المصدر المعني بالأمر[2] .

كما كان من بين هؤلاء الطلبة احمد بن عبد اللّه الادريسي التناني المعروف بالصويري آتي الذكر ، وقد درس مع محمد الرابع على عبد الرحمن العلج[3] آتي الذكر أيضاً .

وفي طنجة : كان يقوم بهذه المهمة موقتها السيد المصطفى ـ الذي لم يذكر نسبه ـ ، وقد عين في خطة التوقيت ـ في منتصف ذي الحجة عام 1244هـ/1829م ـ بظهير اوصى فيه السلطان عبد الرحمن والي المدينة بان يختار عشرة من صبيان طنجة ليتعلموا على المذكور الحساب والتوقيت والتعديل ، ومن ظهرت نجابته منهم يحسن إليه[4] .

وفي مكناس : امر نفس السلطان باشا المدينة بانتخاب عشرة من طلبة الجيش البخاري ، ليتعلموا التوقيت والحساب على الفلكي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد البصري المكناسي ، المتوفي عام 1268هـ/1852م ، وذلك بعد وقعة جيش الودايا[5] عام 1247هـ/1831م .

---

(1) ج 2 ص 360 حيث توجد ترجمته .

(2) « للمبتدى تبصرة . وللمنتهى تذكرة » : اسم تأليف في الحساب لمحمد المهدي متجينوس الاندلسي الرباطي ، خ.ع ، د 2094 ـ الجزء الثاني ، الباب الرابع ، الفصل الثالث .

(3) « الاعلام . بمل حل بمراكش واغمات من الاعلام » ـ ج 2 ص 267.

(4) « حوالة احباس طنجة » : مصورة باريس سنة 1914 ـ لوحة 83.

(5) « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 77 ، وانظر عن ترجمة المذكور نفس المصدر ج 5 ص 287-288.

وفي تطوان : امر هذا السلطان المدفعين بدراسة الحساب ، وكان استاذهم هو ابو الحسن علي بن محمد السوسي[1] المتوفي عام 1311هـ/1893م .

وقد استمر هذا التقليد بعد العهد الرحماني ، فكان الميقاتي محمد بن بوسلهام الخلطي البخاري المكناسي المتوفي عام 1345هـ/1926م : يقوم بتعليم الحساب والتوقيت لطلبة العرائش . وفي عام 1294هـ كان قد انهى هذه المهمة ليخلفه استاذ اختصاصي في دراسة الهندسة[2] .

ثم صار نفس الاستاذ يقرأ الحساب والتوقيت مع 12 طالباً من ابناء الجيش بجامع المنصور من مدينة مراكش عام 1316هـ/1898م[3] .

وإلى نفس المدينة توجه فوجان من طلاب الجيش بالصويرة ، لاتمام دراستهم في الحساب والفلك والهندسة : الفوج الأول أيام السلطان محمد الرابع ، والثاني في عهد الحسن الاول[4] .

وفي مكناس : أمر السلطان الحسن الأول باشاها باختيار عشرة من نجباء طلبة الجيش ، لقراءة الحساب والتوقيت على ميقاتي هذه المدينة وموقتها : الجيلاني بن عزوز الرحالي ابتداء من عام 1302هـ حتى وفاته عام 1309هـ/1891م[5] .

وخلفه في نفس المهمة متولي التوقيت من بعده : محمد السعيدي بن محمد بن

---

(1) « مطالع الحسن واتباع السنن . بطلوع راية مولانا الحسن » تأليف علي السوسي المذكور : مخطوطة المكتبة الملكية رقم 81 ـ عند الباب السادس ، وهي بخط المؤلف فيما يظهر ، وانظر عن ترجمته : « سلوة الانفاس » ج 3 ص 351-352.

(2) رسالة في هذا الصدد في « العز والصولة في معالم نظم الدولة » ، ج 2 ص 149 .

(3) رسالة واردة في « سجل مكاتب عزيزية » ، بالمكتبة الملكية رقم 439 ـ ص 179.

(4) « ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة » لمحمد الصديقي ـ ج 1 ص 24-25

(5) « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 241 ، وانظر عن ترجمته نفس المصدر والجزء ـ ص 212-214.

المهدي المنوني ، المتوفي عام 1334هـ/1916م ، مع إضافة الفرائض للحساب والتوقيت[1] .

وفي الرباط وسلا : كان يوجد الحيسوبي المهندس ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن بورقية بها يعرف المكناسي ثم الرباطي ، المتوفي عام 1324هـ/1906-1907م ، وبأمر الحسن الأول صار يقوم بتعليم الحساب والهندسة بهذه المدينة[2] .

وهناك رسالة صادرة عن السلطان الحسن الاول الى عامل سلا ، وفيها ان نفس الاستاذ كان مكلفاً باقراء الهندسة بسلا مع طلبة العدوتين ، ولما سافر اناب عنه عبد الرحمن ابن عبد العزيز عواد ، وكان ـ بدوره ـ حيسوبياً ـدساً ، وهذا نص الرسالة :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته .

وبعد : فقد وصل كتابك بأن الطالب أحمد بن رقية المكلف باقراء علم الهندسة هنالك مع طلبة العدوتين ، تشوف للوفود على اعتابنا الشريفة ، لما بلغه من ان ابن عم له بتازا توفي ولم يترك وارثاً سوى العصبة وهو من جملتهم ، واراد التوجه للكلام في ذلك ، وانه استكتبك وساعدته ، بعد ان عين نائباً عنه في اقراء ما ذكر ، وهو الطالب عبد الرحمن ابن عبد العزيز عواد ، طالباً منا ان نساعده على ذلك ، فقد قدم وساعدناه على مطلبه ، والسلام ، في 15 ربيع الثاني عام 1301 » .

وهذه رسالة اخرى في شأن طلبة الحساب والهندسة بسلا ، وهي صادرة عن الحاجب موسى بن أحمد إلى نفس العامل ، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وبعد : فقد اخبر الناظر ان الطلبة الذين يتعلمون الحساب والهندسة

---

(1) رسالة في هذا الموضوع « بالنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان : مقتبسات خاصة منها ، وانظر عن ترجمة المذكور « اتحاف اعلام الناس » : القسم المخطوط .

(2) في ترجمته من « مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » لمحمد بن علي بن أحمد دنية الاندلسي الرباطي ، نسخة المكتبة الملكية رقم 779 ـ ج 2 ص 131 .

هناك ، بعضهم صار يتكاسل ويعطل بعض الأيام من القراءة ، وبعضهم امتنع من التعليم بالكلية ، وقد امرهم « كذا » مولانا ـ ايده الله ـ بأن لا يعطوا الراتب إلا لمن لازم القراءة ، ومن عطل يوم « كذا » يسقط عنه راتب ذلك اليوم ، ومن امتنع من التعليم يقطع عنه بالكلية وينظر غيره.

واعلمناك لتكون على بصيرة ، وتجري العمل على ذلك في تعيين بدل من امتنع من التعليم ، ولا بد ، وعلى المحبة ، والسلام ، في 23 شوال ، عام 1293 »[1] .

واخيراً نذكر ان السلطان عبد الرحمن بن هشام جهز غريفة التوقيت بجامع القرويين بفاس . بكرتين اثنتين : سمائية وارضية[2] ، ولا تزالان ـ معاً ـ على قيد الوجود بنفس المكان ، حيث وقفت عليهما ، وعاينت الكتابة فيهما بالحروف اللاتينية ، وذلك قرب زوال يوم الاحد 11 شوال عام 14/1384 يبراير سنة 1965م .

ثانياً : الموسيقى

من المحقق ان « الموسيقى الاندلسية » انبعثت ـ قليلاً ـ في هذه الفترة ، وفي أيام السلطان محمد الرابع بالذات ، وقع اجتماع لاصحاب هذه الموسيقى ، شارك فيه كبراء الفن وحداق المعلمين ، حيث اختاروا ترتيباً جديداً لصنائع كل ميزان من كل نوبة ، وهذا الترتيب هو الذي نقح وهذب ـ بعد ـ باقتراح الوزير الكبير محمد بن الوزير العربي بن الوزير المختار الجامعي بالحضرة العالية ؟ عام 1303هـ/1885 — 1886م ، ثم وضع على اساسه « مختصر مجموعة الحايك » المتداولة ، والمضافة لهذا الوزير[3] .

ومن الطريف ان يوجد من بين اعلام هذه الفترة من يهتم بذكر اساتذته وتلامذته في الموسيقى الاندلسية ، وذلك هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي شيخ

---

(1) الرسالتان ـ معاً ـ من وثائق آل ابن سعيد بسلا ، بواسطة الاستاذ الفاضل الحاج أحمد معنينو .

(2) « الحوالة السليمانية » فيلم ، خ . ع ، رقم 23 ـ ص 25.

(3) خطبة (لتأليف في الموسيقى) ، خ . ع د 1031 .

جماعتها ، والمتوفي عام 1311هـ/1894م[1] .

فقد ذكر[2] انه لما ذهب لفاس ـ للدراسة بها ـ كان ينتهز فرص العطل ، فيتفرغ لدراسة علوم الفلسفة بما فيها الموسيقى الاندلسية ، وهذه اسماء اساتذته في هذا الفن بالخصوص بفاس :

1 ـ الحاج حدو إبن جلون الفاسي ، أخذ عنه نفقة رمل الماية الصغيرة ، وهو شيخ جماعة الموسيقيين بفاس ، وآخر المحسنين للتوقيع على العود[3] .

2 ـ رشيد الجملي الفاسي ، من ذرية الشيخ سيدي علي الجمل ، تعلم منه الصنائع الكبار التي لا توجد إلا عند الشيوخ الماهرين ، ومن ذلك نفقة رمل الماية الكبرى ، وكان آية في ضرب الرباب[4] .

3 ـ محمد الصبان الفاسي ، الفقيه المؤدب ، قال عنه : كان يأتيني للمدرسة وأذهب إليه ، ويعلمني ما عنده ، ولا ألذ من صوته ، وهو اعجوبة في يده في العود وحده ، فإذا انسك بالموسيقى وفرغ منها ، انسك باخبار الأمم وأيامهم أيضاً ، ولم أر هذا في شيخ من شيوخ الموسيقى[5] .

4 ـ المكي محروش الفاسي ، قال عنه ـ أيضاً ـ كان اعجوبة في حفظ أشعار الموسيقى وطبوعها ونغماتها ، وخصوصاً ميزانها ، لم يتقنه احد ـ فيما رأيت ـ سواه ، وهو آية في ضرب الطر وحده ، لأن صاحبه هو رئيس الموسيقى . . اخذت عنه جل الموسيقى[6] .

---

(1) ترجمته في « مجالس الانبساط » : « النسخة الآنفة الذكر ، وفي « الاغتباط بتراجم اعلام الرباط » لمحمد بوجندار الرباطي ـ خ . ع ، د 1287 .

(2) في « أغاني السقا ومغاني الموسيقى » ، نسخة خاصة .

(3) « أغاني السقا » مع « اختصار أبي اسحاق التادلي للتذكرة الانطاكية » ، القطعة السابقة الذكر .

(4) المصدران الأخيران .

(5) اختصار التذكرة الانطاكية .

(6) المصدر الأخير .

ومن اساتذته ـ أيضاً وهو الخامس ـ الحاج احمد العسراوي التطواني ، أخذ عنه بعض طبع الاصبهان ، وكان يحسن ضرب العود وحده[1] .

اما تلامذة الشيخ التادلي في هذه الموسيقى الأندلسية فيذكر منهم شيخ الصنعة بالرباط :

1 ـ محمد الرطل الرباطي ، الفقيه الطبيب المعدل ، تعلم منه هو واصحابه بسيط رصد الذيل وغيره ، وكان من جملة اصحابه :

2 ـ الشريف سيدي المكي الفجيجي الرباطي[2] .

3 ـ شريف تطواني ـ لم يذكر اسمه ـ كان يأتي اليه يسمع بعض الصنائع الكبار ويتعلمها[3] .

وبعد أبي إسحاق التادلي كان يوجد في فاس العالم الاديب ، محمد بن محمد الايراري الفاسي ، المتوفي عام 1329هـ/1911م ، وقد كان يدرس أصول قواعد الموسيقى بظهر صومعة القرويين من فاس[4] .

2 ـ مدرسة المهندسين بفاس

وجدت هذه المدرسة أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، وكان الذي تبناها هو ابنه الامير محمد الرابع ، وقد جاء موقعها في نفس المدرسة المرينية بفاس الجديد جواراً للقصر الملكي ، وحسب المجلة الاسيوية[5] فقد ابتدأت الدراسة بها من سنة 1844م / 1259-1260هـ ، ثم كانت لا تزال قائمة في عام 1296هـ/1879م[6] .

---

(1) نفس المصدر .

(2) « أغاني السقا » مع « اختصار التذكرة الانطاكية » .

(3) « اختصار التذكرة الانطاكية » .

(4) مجلة المغرب ، عدد جمادى الأولى على 1351 هـ / سبتمبر سنة 1932 م ـ ص 23 .

(5) المجلد العاشر ص 152 : « الكتابات العربية بفاس » ، انظر « المعجم التاريخي » ص 63 .

(6) هذا يوخذ من « سجل نفقات مخزنية » بالمكتبة الملكية رقم 331 . ص 10 ، 14 ، 24 ، 39.

ونستطيع ان نعرف المواد التي تدرس بها من الفقرة التالية الواردة في « اتحاف اعلام الناس »[1] عند ترجمة محمد الرابع :

« له باع طويل . وقدم راسخ في العلوم العقلية : كالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، درس تلك الفنون بالنقد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس في الهندسة عام احدى وسبعين ومائتين وألف ، وأسس مدرسة لتلك الفنون في خلافته على عهد والده المقدس : جوار القصر السلطاني من فاس الجديد » .

فهذه الفقرة تبين ان العلوم التي كانت تدرس بهذه المدرسة . هي : الحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، كما تفيد ان كتاب اقليدس احد المواد التي كانت تدرس بها ، وانه ختم من عام 1271هـ/ 1854 / 1855 م ، وهناك قصيدتان انشدتا بمناسبة هذا الختم : الاولى لاحمد بن الامين الوداني آتي الذكر ، والثانية للشاعر في الموزون والملحون : التهامي المدغري ، وفيهما تنويه بالامير وباتجاهه في ميدان الهندسة[2] .

ويظهر ان طبع كتاب اقليدس بالمطبعة الحجرية الفاسية من طرف الحسن الاول . له علاقة بدروس هذه المدرسة ، حيث كان تمام طبعه في 23 شوال عام 1293هـ/1876م ، كما يظهر ـ أيضاً ـ ان كتاب اقليدس هذا هو الذي يسميه البعض « كتاب لوجندر »[3] .

أما اساتذة هذه المدرسة فالمعروف منهم :

1 ـ أبو العباس أحمد بن الامين الوداني الوطن ، اليعقوبي النسب ، درس بها كتاب

---

(1) ج 3 ص 367.

(2) القصيدتان معاً في « الحسام المشرفي » لمحمد العربي المشرفي ، خ . ع ، ضمن مجموع بحمل رقم ك 2276 ، وقد وردت القصيدة الأولى ـ على حدة ـ في « الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام » ، ج 2 ص 216 - 218 ، كما وردت القصيدة الثانية في « اتحاف اعلام الناس » ، ج 3 ص 575 - 576 .

(3) جاء هذا الاسم في تاريخ المغرب للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 .

أقليدس[1] ، وفي الترجمة التي كتبها لنفسه أبو إسحاق التاهلي ، يذكر أنه قرأ على هذا : الهندسة[2] ، دون ان يعين المركز الواقعة به هذه الدراسة ، حيث لا يبعد ان يكون بهذه المدرسة ، كما لم يعين الكتاب الذي درس فيه ، وقد ذكر في « اختصار التذكرة الانطاكية »[3] أنه اخذ بعض اقليدس على بعض فقهاء سوس ، ولا شك أنه يقصد أبا العباس الوداني هذا ، وانه درس عليه الهندسة بكتاب اقليدس ، ولم اقف على تاريخ وفاة هذا الاستاذ .

2 ـ السلطان محمد الرابع الذي ناب عن سابقه في بعض الدروس[4] ، وكانت وفاته عام 1290هـ/1873م .

3 ـ ادريس بن الطايع العلوي البلغيثي الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1322هـ/1904م ، كان استاذاً بها أواخر عام 1293هـ/1876م ، حيث يصفه البعض بانه عارف بفن الهندسة ومتقنه بالاقراء والتدريس ، والمتصدي لنشره بالأمر الشريف[5] .

4 ـ ولا يبعد ان يكون من بين اساتذتها عبد الرحمن العلج ، وهو من عائلة فرنسية يقال لها دوستلي ، وقد اعتنق الاسلام ، وورد على السلطان عبد الرحمن ابن هشام ، ثم استمر بالمغرب إلى أيام السلطان الحسن الأول حيث توفي بمراكش سنة 1879 م[6] / 1296-1297 هـ ، وسيأتي ان هذا نشر بالمغرب العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة ، حيث أخذها عنه جماعة بفاس ومراكش وغيرهما .

5 ـ وكذلك أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الادريسي التناني المعروف بالصويري ،

---

(1) انظر الحسام المشرفي : المخطوطة الآنفة الذكر .

(2) انظر « الاغتباط . بتراجم أعلام الرباط » ، للمؤرخ محمد بوجندار ، خ . ع ، د 1287 ـ ج 1 ص 14 .

(3) القطعة السالفة الذكر .

(4) الحسام المشرفي .

(5) ورد هذا في كلمة التصحيح الختامية لطبعة « تحرير أصول الهندسة » لأقليدس : بالمطبعة الفاسية ، « 23 شوال عام 1293 » ـ ج 2 ص 453 ، وانظر عن ترجمة المذكور : النهضة العلمية لابن زيدان : تعليق .

(6) الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام : القسم المخطوط ـ عند ترجمته .

والمتوفي عام 1320هـ/1902م ، فقد جاء في الاعلام[1] ذكر عدد ممن اخذوا عنه علم الهندسة .

وقد تحدث عن طلبة هذه المدرسة محمد العربي المشرفي في « نزهة الابصار »[2] وقال في صدد حديثه عن محمد الرابع : « وانتقى من ايالته طلبة لتعليم علم التوقيت والهندسة فكانوا في هذين الفنين من نجباء اهل زمانهم » .

وفي « اتحاف اعلام الناس »[3] اثر حديثه السابق عن هذه المدرسة : « تخرج منها جماعة من الطلبة النجباء النبلاء ، منهم الفئة الموجهة لتتميم دروسها بعواصم أوروبا ، كالفقيه أبي عبد اللّه محمد الجباص الوزير الصدر سابقاً : بانكلترا ، وأبي عبد اللّه محمد العلمي الشهير بباني : بايطاليا ، وآخرون في فرنسا والمانيا ، وذلك في حدود 1300 .

والغالب ان من طلاب هذه المدرسة ـ أيضاً ـ أبا زيد عبد الرحمن عواد السلوي مار الذكر ، حيث تذكر عنه « رسالة عائلات سلا »[4] : انه كان مهندساً ماهراً ، حافظاً لكتاب اقليدس في الهندسة ، وقد كان بقيد الحياة أيام السلطان الحسن الأول .

وحسب « سجل نفقات مخزنية »[5] فقد كان عدد طلبة الهندسة من 58 إلى 44 طالباً ، وذلك بين اعوام 1284 — 1287هـ .

وكانت لهم مرتبات يومية[6] ، كما كان لهم رئيس : هو ابو العباس أحمد الصويري[7] آنف الذكر .

---

(1) للقاضي عباس بن ابراهيم ، آخر ترجمة المذكور ـ ج 2 ص 266 - 268

(2) خ. ع. ك 579 ـ ص 528 .

(3) ج 3 ص 367 .

(4) تأليف عشاش بلقاسم الجزائري ، مخطوطة خاصة للبعض .

(5) بالمكتبة الملكية رقم 295 .

(6) نفس السجل .

(7) الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ـ ج 2 ص 267 - 268 .

واخيراً فان المتخرج من هذه المدرسة ـ في الهندسة ـ كان يحمل لقب « مهندس » ، ومن درس بها التوقيت يحمل لقب « موقت » ، وسنرى ـ عند حديث البعثات المغربية ـ عدداً من طلبة هذه المؤسسة يذهبون لأوروبا لاتمام دراستهم ، كما ان الذين استمروا منهم بالمغرب شغلوا اطراً متنوعة في الحاشية الملكية .

وهكذا يتبين ان هذه المدرسة ـ بالنسبة لزمانها ومكانها ـ كانت صالحة لأن تكون نواة لانبعاثة مغربية .

3 ـ المدرسة الحسنية بطنجة

وهي من تـأسيس السلطان الحسن الأول حسب الـطاهـر الاودي في كتـابـه الاستبصار[1] ، حيث يذكر انه درس بها ست سنوات ضمن البعثة المغربيـة التي كان ينتسب إليها ، وكانت المواد التي تلقوها بهذه المدرسة هي : الحساب ـ الهندسة ـ التنجيم ـ الجغرافية ـ اللغة العربية ـ المبادىء الدينية الأولية ـ لغة اجنبية .

والغالب ان هذه المدرسة كانت تكميلية ، حيث يقـع بها اعـداد طلبة مـدرسة المهندسين ، الذين سيذهبون لاكمال دراستهم باوروبة ، وفي « اتحاف اعلام الناس »[2] يشير لهذه المدرسة في شيء من المخالفة لما في « الاستبصار » ، فيذكر عن بعض البعثات انهم اقاموا بطنجة ثلاث سنين اخذوا فيها مبادىء الحساب واللغات الاجنبية .

وهذه رسالة صادرة عن الحسن الأول ، ورد فيها الاشارة لهذه المدرسة :

« وصيفنا الأرضي ، القائد الجيلاني بن حم ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فقد وجهنا صحبته خمسة عشر من نجباء الطلبـة ، بقصد التـوجه لبـر

---

(1) مخطوطة خاصة ، ص 83 ، وسنحدث من بعد : عنها وعن مؤلفها .
(2) ج 2 ص 466 .

النصارى لتعلم طبجيت والهندسة وغير ذلك من أمور الحرب ، **بعد تعلم الكتابة واللسان بطنجة** ، ليسهل عليهم مباشرة التعلم ببر النصارى ، وامرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بأن يقر كل فريق منهم بالمحل الذي يناسبه حتى يتعلموا ذلك ، ويوجه لكل فريق منهم المعين له ، كما أمرنا الامناء ان ينفذوا لهم مدة اقامتهم بطنجة .

واعلمناك لتكون على بال ، وتنزلهم بالمحل الذي يناسبهم ، والسلام ، في 25 رجب ، عام 1292 »[1] .

وبعد حوالي عامين من هذا التاريخ ، نعثر على رسالة اخرى ترد فيها ـ مرة ثانية ـ الاشارة إلى مدرسة طنجة ، وهذا نصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بي سعيد السلاوي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه تعالى وبركاته .

وبعد : فنأمرك ان تعين خمسة من اولاد اعيان خدامنا اهل سلا ، يكون سنهم من الخمسة عشر سنة إلى الثمانية عشر ، واخترهما « كذا » من النجابة والفطنة بمكان ، وممن يعرف الكتابة ، وان كانوا من الذين كانوا عينوا ـ سابقاً ـ لتعلم علم البحر وكانوا يتعاطونه : فهو اولى .

وحين تعينهم اعلمنا لنأمرك بتوجيههم لبر النصارى بقصد تعلم علم البحر والرياسة ، وذلك بعد ان **يتعلموا ما يكفيهم في ذلك من اللسان بطنجة** .

وقد كتبنا لخديمنا الطالب عبد السلام السويسي بتعيين مثلهم من خدامنا أهل رباط الفتح ، والسلام ، في 10 رمضان المعظم ، عام 1294 »[2] .

---

(1) « النهضة العلمية » لابن زيدان ، ميضة المؤلف بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3177 .
(2) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

4 ـ دراسة بعض الفنون العسكرية

اولاً : دروس تعليمية

إلى جانب التدريبات العسكرية ، كانت هناك دروس تعليمية اهتمت بالمدفعية بصفة خاصة ، وأول مثال لهذا فقرات من رسالة[1] للسلطان عبد الرحمن بن هشام ، وفيها يخاطب عامل سلا ويقول :

« . . . وآكد ذلك الرماية ، وخصوصاً بهذه الآلة الموجودة اليوم : من مدافع وغيرها ، فصرف البال اليها آكد ، والحاجة إلى معرفة استعمالها والتصرف بها أشد . . . وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك ، كلف من هو رئيس عالم عندكم في هذا الفن ، بتعليم المعيّنين منكم في ديوان الطبجية[2] : بأن يتولى كل واحد تعليم طائفة في برج من الابراج ، يكون يعلمهم فيه ويقوم بحراسته وحفظه وصيانته ، ثم يوم الشارة يجتمعون إليها على العادة القديمة ، وامرهم ان يجعلوا هذا الأمر من أهم أمورهم ، وآكد اشغالهم ، بجد وحزم، واعتناء وعزم، ومن ظهرت نجابته ، واتضحت درايته ، اعلمنا به أنت والأمناء ، لنزيد له في العطاء ، ونمنحه ما يظهر عليه من جميل الاحتفاء والاعتناء . . . » .

وقد كان تاريخ هذا الكتاب في 28 صفر عام 1269هـ/1852م ، ويبدو أنه ـ بعد هذا التاريخ ـ تقدمت فكرة هذه الدروس المدفعية ، ويفهم هذا من الخطاب التالي[3] لعامل سلا ـ أيضاً ـ في 20 قعدة عام 1273هـ/ 1857 م ، وهذا نصه بعد الافتتاح :

« . . . . وبعد ، فبوصول كتابنا هذا اليك عين عشرين من الولدان النجباء لتعلم علم تاطبجيت ، وانظر لهم معلماً ماهراً أو معلمين من طبجية البلد ، يعلمهم ويشرعون في التعلم الآن ، فيبدأون بمقدماته ، ثم يتدربون منها إلى الأخذ في تعلم رماية المدفع

---

(1) تهليل : مجموعة الرسائل الشريفة ـ لوحة 1 .

(2) الرماة بالمدافع .

(3) ورد نصه في « الاستقصا » ، ج 4 ص 206 .

والمهراس ، وهكذا حتى ينجبوا ويمهروا في الصنعة ، ويصيروا قادرين على الخدمة ، ونطلب الله أن يعينهم ويفتح بصائرهم .

وهؤلاء العشرون يكونون زائدين على من هنالك من الطبجية ، ونأمر الأمناء أن يرتبوا لهم ـ اعانة على ذلك ـ خمس عشرة أوقية في كل شهر للواحد ، ثم من ظهرت نجابته منهم وفاق غيره فانا نزيده في المرتب ، كما نأمرهم أن يرتبوا لمعلمهم واحد أو اثنين : ثلاثين أوقية للواحد في كل شهر زيادة على راتبهم المعلوم ، واعتن بأمرهم غاية الاعتناء ، وقد كتبنا لغيركم من المراسي مثل هذا ، وسننظر من تظهر ثمرته واعتناؤه » .

ذلك هو نص الكتاب الذي يعلن ـ في آخره ـ أن نفس التعليمات الواردة به صدر مثلها لعمال المراسي المغربية الأخرى ، وهكذا يتبين أن هذه الحركة الثانية كانت مطبوعة بطابع الشمول مع مزيد من التنظيم .

ومن واقع مدينة الرباط بالخصوص : أن عامل هذه المدينة كان يخرج ـ بعد صلاة العصر من كل يوم جمعة بهيئته الرسمية ـ الى خارج المدينة عند المصلى القديم قرب ضريح سيدي السعيدي ومعه باش الطوبجية ، لاجراء تمرينات على الرماية بالمهراس أمامه : عادة مقررة ، وكان به من شيوخ الرماة عشرة أو أحد عشر ، ولكل واحد عدة تلاميذ يدربهم على الرماية ، ويأمرهم أن يقولوا ـ أول العمل ـ أن ذلك بنية الجهاد في سبيل الله ، كما كان به فريق المصاقرية ، وهم المتمرنون على الضرب بالسيوف ، وذلك بواسطة عصي يتمرنون عليها ، وكانوا يتقاضون مرتباً من الديوانة[1] .

هذا : ويظهر أنه وجدت دروس عسكرية أكثر تنظيماً أوائل عهد الحسن الأول ، يدل لذلك هذه الفقرة الواردة في « سجل نفقات مخزنية »[2] وضمن صوائر 28 رجب عام 1292هـ/1875م . وقد جاءت كما يلي :

---

(1) من بحث لفقيد العلم محمد السائح ، مجلة « دعوة الحق » السنة 3 العدد 2 ـ ص 30 - 31.

(2) المكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 5 .

« وفيه ـ أيضاً ـ دفع كسوتين للطلبة الذين ظهرت فيهما النجابة ممن يقرأون على الخوجة » .

والخوجة هذا هو السيد محمد بن أحمد الخوجة التونسي أحد مدربي العسكر النظامي المغربي ، وقد ذكره محمد العربي المشرفي في « الحسام المشرفي »[1] ضمن رؤساء هذا الجيش في عهد محمد الرابع ، وحسب « سجل نفقات مخزنية الآنف الذكر[2] ، فان الخوجة كان في عداد الأموات ـ بمراكش ـ في 21 حجة عام 1292هـ/1876م .

وأخيراً فان الحسن الأول ـ أيضاً ـ أسس ما يشبه مدرسة مركزية للمدفعية بمدينة الجديدة[3] .

كما يبدو أن هذا السلطان أحدث مؤسسة أخرى لنفس الغرض بمدينة طنجة ، وهذا ما تفيده الرسالة التالية الصادرة عن الحسن الأول ، ونصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن تعين عشرة من صغار الطبجية أهل الذكاء والفطنة والصحة في الجسم ، وتوجههم لطنجة بقصد التعلم على طبجية من النجليز أمرنا بجلبهم للتعليم هناك ، واستخدام المدافع الكبار الجديدة التي أمرنا بجلبها لمراسينا السعيدة ، ليجدهم ودها عارفين باستخدامها ، ماهرين فيه ان شاء الله .

وقد أمرنا أمناء العدوتين بتزويدهم وكراء البهائم لهم ، ولعامل طنجة وأمنائها بأن ينزلوهم وينفذوا لهم مئونتهم ، والسلام ، في 23 من ذي القعدة الحرام ، عام 1294 » .

وهذه رسالة حسنية أخرى في موضوع تعليم الرماية المدفعية ونصها :

---

(1) المخطوطة السالفة الذكر .

(2) ص 13 .

(3) « تاريخ المغرب » للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88.

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن توجه خمسة عشر من الطبجية الذين هنالك من أنجب أهل خطتهم ، وممن تتوسم فيهم قبول التعليم : كصغر السن ، وجودة الذهن وصحته ونحو ذلك ، بقصد الأخذ عن المهندس لوبلو الفرانصيصي .

وقد أمرنا الأمناء ثمة بتزويدهم وكراء حمولتهم واصلين لعلي أعتابنا ، والسلام ، في 13 ربيع الثاني ، عام 1301 »[1] .

ثانياً : موضوعات عسكرية

هناك موضوعات كتبت في هذه الفترة للاستعانة بها في تعليم وتنظيم الجيش ، وسأستعرض ما وقفت عليه منها فيما يلي :

أ ـ رسالة في تنظيم الجيش المغربي : لمحمد بن أحمد الخوجة التونسي آنف الذكر ، الفها برسم الأمير محمد الرابع أيام خلافته عن والده ، وهي تشتمل ـ بعد الخطبة ـ على مقدمة في لغة الجيش التي صارت ـ آنذاك في البلدان العربية ـ هي اللغة التركية المزيجة بالفارسية ، وبعد هذا يتخلص للموضوع حسب العناوين التالية :

الفصل الأول في رتبة المائة .
الفصل الثاني في رتبة الألف .
الفصل الثالث في مرتبة الجيش من العسكر .

وهو يشرح في كل فصل الرتبة المعنية ، فيحدد مدلولها ، ويذكر رؤساءها ومهمتهم ، وترتيب وقوف كل فرقة ، ويأتي بأسماء درجات الجيش بثلاث لغات : العربية والتركية والفرنسية ، وفي الفصل الثاني ذكر صفة نصب محلة العسكر ، كما ذكر في الفصل

---

(1) الرسالتان ـ معا ـ من وثائق ال ابن سعيد بسلا .

الثالث نظام سفره في الطريق .

وهو يوضح أنظمة الجيش برسوم موسعة ، يذيل بها الموضوع المعنى بـالأمر في صفحة على حدة ، وقد بلغت خمسة ، على الترتيب الآتي : رسم وقوف المائة ـ رسم وقوف الألف ـ رسم المحلة ـ كيفية وقوف الجيش وترتيب كباره ـ رسم سفر الجيش في الطريق ، وقد ذيل هذا الرسم الخامس هكذا : « صنعة محمد بن أحمد الخوجة ، لطف الله به » ، ومن هنا ـ فقط ـ استفدنا اسم مؤلف هذه الرسالة ، التي فرغ من تأليفها في 23 ربيع النبوي ، عام 1267هـ/1851م .

منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، رقم ك 2733 ، في 78 ص عدى الرسوم ، مسطرة 10 ، مقياس 115/170 ، خط مغربي مبسوط مستحسن مشكول مجدول ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وهذه خطبة الرسالة :

« الحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد . . وبعد : فاني لما نظرت في أحوال العسكر السعيد ، المصحوب بالسعادة والنصر والتأييد ، المحسوب على الجانب العالي بالله . . . . مولانا الخليفة أيده الله ، وأدام عز طلعته وأبقاه ، وجدت قلة المعرفة مع أربابه المكلفين به ، مع جهل القوانين الجارية فيه ، تذكرت البعض مما رويناه عن أربابه ، وشاهدناه في بلاد الترك وفي بلاد الروم ، ودارسناه في كتب المهندسين من أرض مصر ، وجعلناه مختصراً لطيفاً في خدمة العسكر وقوانينه وحروبه ، لأن الحرب خدع ، فينبغي للمعلم أن ينظر في أحوال القتال ، فكلما أتى العدو بحيلة في الحرب لا بد له أن يصنع حيلة ضدها ، ليبطل له عمله بها ، والقتال له أصناف عديدة : قتال في الجبال ، وقتال في الأودية والشعاب ، وقتال في الأرض المستقيمة ، هذا اذا كان القتال بالعسكر مع عسكر العدو ، واذا كان مع القبائل والعربان فله قوانين أخر ، وسأبين لك ذلك ـ ان شاء الله ـ على التفصيل ، قاصداً بذلك نية الجهاد ، وتحصيل الأجر والثواب ، وصالح الدعاء من الأمير ، وعلى الله القبول ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، وهو اللطيف الخبير .

أعلم يا أخي ـ وفقني الله واياك لما يحبه ويرضاه ـ أن الجهاد في بعض المواضع فرض عين واجب على كل أحد ولو على المرأة ، ومعظم الجهاد في زماننا هذا انما هو بالبارود ، فلا بد له من معلم رئيس حافظ لجميع القوانين ، لأن صنعة العسكر اذا لم تكن لها الرياسة والمعرفة والقوانين صار وجودها كالعدم ، فالواجب على العسكر التعليم والمسايسة والملاطفة فيه ، حتى ترسخ صنعة الحرب في عقولهم ، ويثبتون على القوانين والحيل اللازمة لهم عند مقابلة العدو ، فاذا أراد مولانا نصره (الله) بهم قضاء أمر مهم من الأمور السلطانية وجدهم في غاية الحزم والعزم . . .

فينبغي لكل من تعلقت نفسه بهذا الفن أن يعتني بتعليمه ، والتسليم لمعلمه ليحصل هذه السنة ، لأنها من أعظم السنن ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب » .

ب ـ نزهة المجالس ، في علم احكام المدافع والمهاريس

ـ أرجوة من نظم عبد النبي بن العباس الشديد الصنهاجي الرباطي ، حسب تسميته في خاتمة المنظومة .

وهي مهلهلة التركيب والوزن ، وفي آخرها يعتذر الناظم ـ باميته وجهله ـ عما يوجد فيها من لحن وتصحيف ، ويذكر أن الحامل له على نظمها هو السلطان عبد الرحمن بن هشام ، عدد أبياتها 394 ، ووقع الفراغ من وضعها ليلة 27 رجب عام 1266هـ/1850م .

وقد تناول فيها الرماية بالمدفع والمهراس[1] والباز[2] ، فذكر هيئات هذه وأنواعها وطرق استخدامها ، كما ذكر البنب[3] والبارود .

---

(1) مدفع الهاوون .
(2) نوع خاص من المدافع .
(3) القنابل الثقيلة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، أول مجموع يحمل رقم 1043 ، من ص 1 الى ص 30 ، مسطرة 20 ، مقياس 195/240 ، خط مغربي جميل واضح ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ومن الرسوم التوضيحية .

ورد ذكر هذا الناظم في رسالة ملكية مؤرخة في 5 ربيع الثاني عام 1276هـ/1859 م . حيث سُمي فيها : « المعلم عبد النبي الشديد الرباطي » ، حسب « اتحاف أعلام الناس »[1] .

ج ـ الباز في علم المدفع والمهراز ـ رسالة لمؤلف مجهول الاسم ، يذكر في أولها اسم السلطان المعاصر له هكذا : « وأمام غربنا البطل الهمام ، مولانا عبد الرحمن » .

وهي مبتورة الآخر ومن أوائلها بنحو ورقة ، ويقف الموجود منها على الباب 18 .

منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم د 3368 : من ص 177 الى ص 185 ، مسطرة مختلفة ، مقياس 150/210 ، خط مغربي سريع متوسط .

د ـ تذكرة المجالس ، في علم المدافع والمهاريس « كذا » ـ أرجوزة مهلهلة النظم ـ أيضاً ـ لصاحبها المكي بن قصابة بن محمد الرباطي ، نظم فيها قواعد لمحمد بن محمد سباطة الأندلسي الرباطي ، ووضعها في شعبان عام 1288هـ/ 1871 م . في 532 بيتاً ، وتناول فيها ـ تقريباً ـ نفس موضوعات المنظومة الأنفة الذكر ، مع توضيح مواضيعها برسوم عديدة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط آخر المجموع الذي يحمل رقم 1043 من ص 67 الى ص 112 ، مسطرة 20 ، مقياس 195/240 ، خط مغربي : نفس خط النظومية الثانية .

---

(1) ج 3ص 409 .

5 ـ بعثات الى مصر وأوروبة

أولاً : الى مصر

توجهت بعثات مغربية الى مصر ـ وان كانت قليلة ـ خلال هذه الفترة ، وكانت في أيام محمد الرابع أنشط منها على عهد الحسن الأول ، ويمكن تصنيفها في ست ارساليات :

الأولى : ذهب فيها ـ حسب ابن زيدان ـ[1] ثلاثة أفراد :

1 ـ أحمد شهبون[2] .

2 ـ محمد ابن كيران الفاسي[3] .

3 ـ عبد السلام العلمي[4] .

وحسب نفس المصدر فقد كان ارسال هؤلاء الأفراد من طرف السلطان محمد الرابع ، وفي أيام خديوي مصر محمد سعيد باشا ، وعلى هذا يكون ذهاب هذه البعثة بين عام 1276 هـ الى عام 1280 هـ ، حيث أن هذه الحقبة هي التي تعاصر فيها الملكان : محمد الرابع الذي بويع عام 1276 هـ ، وسعيد باشا المتوفي عام 1280 هـ .

ويلاحظ في هذا الصدد أن ابن زيدان لم يذكر مصدره عن هذه البعثة ، كما يؤخذ عليه ادراج عبد السلام العلمي ضمن أفرادها الثلاثة ، مع أن هذا انما توجه للقاهرة أوائل عهد الحسن الأول ، يدل لهذا أن العلمي نفسه في مقدمة كتابه « البدر المنير »[5] يذكر أنه

---

(1) في « الدرر الفاخرة » ص 95 - 96.

(2) لم يذكر نسبه ، ويوجد هذا اللقب في بعض قبائل شمال المغرب ، وسيرد ذكر مؤلفه في الجغرافيا عند « موضوع خرط وتقنيات حديثة » .

(3) انظر بحث « موضوعات فلكية جديدة » .

(4) سترد ترجمته وآثاره وشيكا .

(5) اسمه الكامل : « البدر المنير في علاج البواسير » وهو مطبوع على هامش ضياء النبراس آتي الذكر ، المطبعة الحجرية الفاسية عام 1318 هـ ـ ص 3 .

درس الطب بمصر بمدد السلطان الحسن الأول ، كما يذكر في كتابه الآخر : « ضياء النبراس »[1] عند مادة سبستان أنه كان يدرس الطب بمصر عام 1291 هـ ، بعدما كان الحسن الأول قد بويع في رجب عام 1290هـ/1873 م . وثالثاً : فان الاجازة الطبية التي أحرز عليها عبد السلام العلمي من المدرسة الطبية المصرية ، تصرح بأنه بعث بأمر من الحسن الأول ، وكان دخوله لهذه المدرسة عام 1291 هـ ، فلهذا سيكون من اللائق تصنيف هذا في بعثة آتية .

الثانية والثالثة : بعثتان من طرف محمد الرابع أيضاً ، يشير لهما معاً رسالة[2] من الخديوي المصري اسماعيل باشا الى السلطان محمد الرابع ، وهي تتحدث عن رسالتين مغربيتين : الأولى في شأن طالب بعثه سلطان المغرب ليتمرن على اشغال الطبع بمصر ، والثانية ترغب في تعليم ثلاثة صناع مغاربة بعض الفنون العسكرية .

وهناك بعثة رابعة كانت بصدد التوجه لمصر عام 1283 هـ ، لتتعلم خطط الجهاد والفنون البحرية والمدفعية ، وتتركب من ثلاثين طالباً مختارين من أبناء الجيش البخاري ، ومن مدائن فاس وسلا والرباط والصويرة ، حسب الرسالة التالية الصادرة عن السلطان محمد الرابع ، ونصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فان هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبجيت ضعفت في الغرب حتى كادت أن تفقد ، وقد اعتنى بها ملوك الاسلام في هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعاً بيناً ، وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم .

وقد بلغ اسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية ، حيث وجهنا له من يتعلم عمل

---

(1) اسمه الكامل : « ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس » ، الطبعة الأنفة الذكر ـ ص 59.

(2) ورد نص هذه الرسالة في « الآثار الفكرية » ، تأليف فكري افندي باشا ، ط . بولاق ، 1315 هـ ـ ص 54 .

البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم ، فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم ، وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر ، ووعد بالوقوف فيه ، غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغاراً نجباء ، لأنهم أقبل للتعليم ، وأسرع نجابة من الكبار .

فاقتضى نظرنا تعيين ثلاثين من الأولاد الصغار النجباء ، وتربيتهم بحضرتنا الشريفة في تعلم ما لا بد منه من مقدمات ذلك : من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذلك ، ثم نوجههم بعد لمصر ، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس وأهل العدوتين وأهل الصويرة .

فنأمرك أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة ، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط ، ليكون ثلاثة طبجية ، وثلاثة بحرية .

وليكن سنهم من أربع عشرة سنة الى خمس عشرة ، ممن يعرف الكتابة والقراءة ، وظهرت عليهم مخايل النجابة والذكاء والفطنة .

وعدهم وأهلهم بالاحسان التام من جانبنا العالي بالله في حال التعلم ، زيادة على ما يترقبونه من احراز المزية ، والمرتبة العلية ، لمن برع منهم فيما عين له .

وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بعد أن يدفع لهم الأمناء ما يتزودون به ، ويكتروا لهم ما يركبون عليه ، واصلين لحضرتنا العالية بالله ، فأطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا بمقتضاه ، والسلام ، في 5 حجة الحرام ، عام 1283 »[1] .

* * *

والآن : نذكر البعثة الشرقية الخامسة ، وهي التي ذهبت لمصر في اوائل عهد الحسن الأول ، وقد كان في هذه البعثة طلبة واثنان من رجال الصناعة ، ويبدو ان الطلبة كانوا كثرة ، حيث قسموا ـ بالنسبة للمنحة ـ الى ثلاث رتب أولى ، وثانية ، وثالثة ، ودفع الى كل رتبة ما حدد لها ، وذلك بتاريخ 28 رجب عام 1292هـ/ 1875م[2] .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

(2) « سجل نفقات مخزنية » بالمكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 5 .

وسادساً وأخيراً : عبد السلام العلمي ، الذي تبين ـ آنفاً ـ انه ذهب لدراسة الطب بالقاهرة عام 1291هـ ، من طرف الحسن الأول ، وهناك اجازة احرز عليها هذا الطبيب المغربي « من المدرسة الطبية المصرية »[1] وسنذيل بنصها موضوع هذه البعثات المغربية للقاهرة .

ان هذه الاجازة صادرة عن « حسين بن مصطفى عودة الدمشقي »[2] ، احد أساتذة المدرسة الطبية المصرية بقصر العيني بالقاهرة[3] ، وهي مكتوبة بخط شرقي نسخي عام 1291هـ/1874-1875 م ، وفيها يشهد بحضور الطالب المغربي على اساتذة المدرسة الطبية المصرية ، ويذكر مواظبته واجتهاده ، ويعترف بتفوقه ازاء اقرانه .

وقد توسط اعالي صك الاجازة طابع صغير بيضوي الشكل ، ومكتوب بداخله اسم المجيز ، وتحت هذا الطابع رسم شكل هلال كتب بداخله خمسة اسطر كالتالي :

« تذكار مودة ـ طبية ـ من حسين افندي عودة الحكيم من دمشق الشام ، الذي تلقى العلوم الطبية بمصر ـ بالمدرسة الطبية من احسانات خديوي مصر وعزيزها ـ اسماعيل باشا » .

واسفل هذا جاء نص الاجازة التي ذيلت ـ في آخرها من جهة اليمين ـ بطابع مماثل للذي صدرت به ، يتصل به توقيع المجيز الذي وضع تحته طابع اصغر .

والاجازة محررة باسلوب علمي عربي ، تتخلله بعض تعابير تركية ، حيث تضاف كلمة « لو » لبعض التحليات ، وتكتب متصلة بتائها الأخيرة ، مثل سعادتلو ، وحضرتلو ، ودولتلو . . . كما انها لم تسلم من بعض الاخطاء النحوية التي سيقف عليها القارىء ..

---

(1) جاء مصور هذه الاجازة ضمن كتاب « أعيان المغرب الأقصى سنة 1357 هـ » ، لمؤلفيه ـ بالفرنسية ـ مارتي مع ادماند كوفيون ، طبع بباريس ، سنة 1939 م ـ ص 574 .

(2) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » لرضا كحالة ، ج 4 ص 63 .

(3) تأسست في « أبي زعبل » سنة 1826 م ، وفي سنة 1837 م نقلت الى القاهرة ، ووضعت في « قصر العيني » ، ومعها « المستشفى » ، انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، ج 4 ص 37 - 43 .

وتتجلى قيمة هذه الشهادة فيما تقدمه من معلومات عن دراسة الطبيب العلمي للطب بالقاهرة ، وفيما تلقيه من ضوء على فترة من حياته ، وهي ـ أيضاً ـ تقدم نموذجاً لاجازات هذه المؤسسة الشرقية الجديدة ، كما تقدم لوناً من العلاقات العلمية بين المغرب ومصر في مطلع عصر اليقظة المغربية .

واخيراً فان من محاسن صك هذه الاجازة ان الصق باعلاه ـ من جهة اليمين ـ رسم « ربع الشعاع والظل » الذي ابتكره صاحب الاجازة ، وللتعريف بهذا الرسم كتب باعلاه بخط شرقي مماثل في اربعة اسطر هكذا :

« هذه صورة « ربع الشعاع والظل » ـ لمخترعه الشريف عبد السلام ـ العلمي المغربي الفاسي ، اخترعه ـ سنة 1283 للهجرة النبوية ، على صاحبها ازكى التحية »[1] .

وبعد : فها هو نص الاجازة الطبية :

« الحمد للّه الذي اطلع من شاء على عوارف سره ، وأظهر كل معدوم من خزائن علمه ، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلاً منه ورحما ، وأمر بتعاطيه على لسان أنبيائه الذين بينوا من أصول الطب وفروعه قسماً جما ، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه ، وعلى آله وأصحابه وحزبه وجنده .

أما بعد : فلما كان في أيام خديوية من غمرني بالاكرام ، وعمني بالجود والانعام ، صاحب العزم الذي عز من يحاوله ، والكرم الذي علا أن يكون في الكرام من يطاوله ، وأضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الأزهار ، كأنها جنات تجري من تحتها الانهار ، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله ، وأمطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله ،

---

(1) موضوع الحديث عن هذا الابتكار عند باب : « مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة » .

فأضحى وهو قبلة المجد التي لا تزال حولها الآمال طائفة ، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة ، أفنديناالمعظم المحروس بعناية ربه العلي ، خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ، ولا زال سعده بأقماره منشوراً ، وجيش عزه بأنصاره منصوراً :

أنه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية ، الى الديار المصرية ، ـ بأمر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين ، ناصر السلام والمسلمين ، السلطان **مولانا الحسن بن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد الرحمن** ، أدام الله أيامه ، وقرن بالنصر أعلامه واجلاله ـ حضرة الخليل الذي تحلى بالمجد ، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد ، الزكي الالمعي ، والطبيب اللوذعي ، السيد الشريف ، عبد السلام أفندي ، نجل المرحوم السيد محمد العلمي ، بل الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، لاجل التمرين على نفائس العلوم المستجدة الطبية ، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية ، المتداولة الآن ، في جميع البلدان .

وكان دخوله في سنة احدى وتسعين ومائتين بعد الألف ، فحضر على حضرات أساتذتنا الكرام ، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام ، جملة علوم نذكر طرفاً منها ، وهي : جراحة الصفرى على حضرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية ، سعادتلو محمد علي باشا[1] ، والباتولوجيا الخاصة ـ أي علم الامراض الباطنة ـ على حضرة عز تلو سالم بيك سالم[2] معلم العلم المذكور ، وحكيم باشي حضرة دولتلو عصمتلو والدة الحضرة الفخيمة الخديوية ، وعلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة احمد بيك ندى[3] معلم المواليد الثلاث ، وعلى حضرة جاستنيل بيك الفرنساوي كشاف باشي ورئيس الاجزاجية ، والاقربازين والعمليات الاقربازينية على حضرة علي افندي رياض[4] رئيس

---

(1) أصل اسمه محمد بن علي بن محمد الفقيه البقلي ، وانظر عن ترجمته ومراجعها « الأعلام » للزركلي ج 7 ص 193 .

(2) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » ج 4 ص 202 - 203 .

(3) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » ج 2 ص 193 - 194 .

(4) « الأعلام » للزركلي ج 5 ص 101 .

شكل — 6

الاجازة الطبية التي احرز عليها عبد السلام العلمي من القاهرة .

« كتاب أعيان المغرب الاقصى سنة **1937** » .

المعمل الكيماوي ، وخلافهم ، فشمر الافندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد ، وهجر الاوطان والبلاد ، وسهر الليل لنيل المعالي ، وغاص البحر لطلب اللآلي ، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس ، واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية في بذل الجهد والاجتهاد ، ونال بذلك طريق الرشد والسداد .

ولا يخفى أن مثل هذه الاشغال التي اشتغل بها الافندي المومى اليه : فهي فعل جميل لا تخلو عن اشهار فضل ومنفعة ، وكان احياناً يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها ، والفنون المتقدم ذكرها ، فأقول مع الاختصار : اني من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية ، قبل مجيئي الى المدرسة الخديوية المصرية ، على الاستاذين : الوالد مصطفى أفندي أبو عودة رحمه اللّه ، وعلى الأخ سعيد أفندي عوده حرسه اللّه ، فلم أجد أحداً اشتغل بغيرة شديدة ، وطريقة مستمرة حميدة ، مثل هذا الطبيب النحرير ، الذي هو بالمدح جدير ، وأشكر صائب رأي السلطان مولانا الحسن ، وفطنته الحميدة العلية ، أن جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية ، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية ، لالقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية ، ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر ، فوجدته في العلم والعمل وحيد « كذا » ، وفي المعارف بالنسبة لاقرانه فريد ، لانه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق ، وشرب من سلسبيل الحكمة كأساً دهاق « كذا » ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، تحريراً في محروسة مصر القاهرة ، سنة 1291 » .

واثر هذا طابع بيضوي الشكل ، يتصل به امضاء المجيز ـ في أربعة اسطر ـ هكذا : « كاتبه ـ حسين عوده الحكيم ـ الدمشقي ، المقيم الأن ـ بمصر » ، وأسفل هذا الامضاء وضع طابع صغير .

هذه هي الاجازة التي أذيل عليها بنص كتبه عبد السلام العلمي المجاز ، واستوعب فيه أساتذته ـ العرب والاجانب ـ بالمدرسة الطبية المصرية ، مع ذكر المواد التي

تلقاها عنهم ، وهو يقول في هذا عند آخر كتابه : ضياء النبراس[1] :

« وحيث ذكرنا في بعض المواضع من هذا الكتاب ، أشياء غريبة من بعض الفنون التي تلقيناها من أشياخنا بالاسبطار المصري ، سنح لي أن نختم هذه الخاتمة بذكر أشياخنا في تلك الفنون :

الأول : شيخنا في علم الجراحة علما وعملاً ، رئيس الاسبطالية المذكورة المعروفة بالقصر العيني ، العلامة الحكيم ، المترجم ، المدرس الفصيح ، المؤلف ، سيدي محمد ـ بفتح الأول ـ علي باشا البقلي .

الثاني : شيخنا في العملية الجراحية : الحكيم محمود به نجل الرئيس المذكور .

الثالث : شيخنا في الجراحة بعمل اليد الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ فوزي .

الرابع : شيخنا في الامراض الباطنة علماً وعملاً على أسرة المرضى رئيس اطباء ام افنديهم ، وهو العلامة الحكيم ، المترجم الفصيح ، الدكتور سالم به سالم .

الخامس : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملاً الحكيم المترجم القطاري .

السادس : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملاً الحكيم ابراهيم افندي .

السابع : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملاً الحكيم موسى عيسى نائباً عن شيخنا سالم به سالم المذكور .

الثامن : شيخنا في عيادة الامراض الباطنة عملاً على أسرة المرضى الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ أفندي شكري .

---

(1) اسمه الكامل : « ضياء النبراس ، في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس » ، المطبعة الحجرية الفاسية .

التاسع : شيخنا في علم التشريح الهيكلي والعضلي والمفصلي علماً وعملاً ، العلامة الحكيم ، المترجم ، محمود به أفندي مصطفى .

العاشر : شيخنا في علم التشريح العصبي والعروق الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ أفندي دري : علماً وعملاً .

الحادي عشر : شيخنا في علم المواليد الثلاثة : الحيوان ، والمعدن ، والنبات المعروف بالتاريخ الطبيعي ، العلامة الحكيم ، المترجم الفصيح ، المؤلف ، محمد أفندي ندا المصري .

الثاني عشر : شيخنا في علم الكيمياء الطبية المعلم كستيل الفرنصاوي القائم بالمعمل الكيماوي ، بواسطة المترجم : العلامة الحكيم ، الفصيح ، معلم علم المواليد الثلاثة محمود أفندي ندا المصري المذكور .

الثالث عشر : شيخنا في علم الاقرباذين علماً وعملاً الحكيم المترجم المؤلف الاقرباذيني علي أفندي رياض .

الرابع عشر : شيخنا في علم الرمد الحكيم المترجم المؤلف حسين بيك عوف ، مبرىء الرمد بالاسبطالية المذكورة .

الخامس عشر : شيخنا في أمراض الجلد الحكيم علي أفندي رضوان .

السادس عشر : شيخنا في الداء الزهري والامراض الباطنة على أسرة المرضى الحكيم عبد الرحمان به الهراوي .

السابع عشر : شيخنا في مشاهدة الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن البرية والبحرية الحكيم زهران أفندي .

الثامن عشر : شيخنا في تشخيص أمراض النساء والاطفال في اسبطالية أمراض النساء العلامة الحكيم الجرائحي » .

هؤلاء أساتذة عبد السلام العلمي الذين تلقى عنهم الطب بالقاهرة ، ولنا عودة لتتميم الحديث عن هذه الشخصية ، وانما نشير هنا الى قصيدته التي انشأها وأنشدها بمناسبة ختم دروس الجراحة من طرف أستاذه محمد علي باشا البقلي الذي يتصدر لائحة أشياخه ، وفيها ينوه الطالب المغربي بالمدرسة الطبية المصرية ، ويشيد ـ بالخصوص ـ بمقدرة أستاذه .

والقصيدة على روي الدال من بحر الكامل ، في 26 بيتاً ، ومطلعها :

يـا لايمـي في تـنـقـلي وبـعـاد وفـراقـي لـلاوطـان والاولاد

وقد أثبتها ناظمها برمتها في كتابه : « ضياء النبراس » عند مادة « هواء » .

ثانياً : إلى أوروبـــة

يرتقي البعض[1] بهذه البعثات الى عصر المولى عبد الرحمن بن هشام ، ويذكر عنه أنه بعث بأربعة طلبة الى أوروبة لدراسة الهندسة وما اليها ، ويسمي منهم أحمد المدعو حيدة بن عبد الله بن المهدي بن عبد السلام كراو الاسفي ، المتوفي عام 1293هـ/ 76-1877م ، كما أن مؤلف الحلل البهية[2] يسجل أن محمداً الرابع بعث بمجموعة من الطلبة إلى أوروبة ويقول في هذا عن نفس السلطان :

« . . ووجه لتعلم الهندسة والحرب عدداً من الطلبة أبناء المسلمين لبلاد الروم ، فتعلموا ما يكفي من ذلك وما يحتاج إليه من علم الهندسة وكيفية حرب النظام » .

ولكن البعثات المغربية إلى أوروبة انما ازدهرت على عهد الحسن الأول ، وكانت هذه الظاهرة من أبرز ميزات عصره ، وقد كان الاتجاه الغالب على تعليم هذه البعثات هو الناحية العسكرية ، وهناك عدد منهم درسوا مواد مدنية ، وكما سنرى في اللائحة الآتية ، فانهم ـ بعد اتمام دراستهم ـ كانوا يشتغلون في بعض مرافق الدولة حسب خبرتهم ، وقد

---

(1) هو المؤرخ الكانوني في « جواهر الكمال ، في تراجم الرجال » ج 1 ص 13 - 14 .
(2) مخطوطة المكتبة الملكية رقم 1019 ـ ص 223 .

كانت فرقة منهم في حاشية الحسن الأول ، ويطلق عليهم اسم « طلبة الالسن »[1] .

ولا يزال غير معروف ـ بالضبط ـ عدد أفراد هذه البعثات وتفاصيل دراساتهم ، وأهم ما لدينا ـ في هذا الصدد ـ هو اللائحة الواردة في « العز والصولة »[2] لابن زيدان ، وقد اقتطفها من بعض السجلات المحفوظة بالمكتبة الزيدانية بمكناس ، وهذا نص اللائحة :

تقييد من توجه لبر النصارى بالامر الشريف أسماه الله

في تاريخ 1291 :

أمر مولانا أيده الله بتعيين خمسة عشر مهندساً يتوجهون لبر النصارى لتعلم اللغات العجمية ، ولما وصلوا لطنجة أقاموا بها يتعلمون مبادىء الالسن ، ثم فرقوا على أجناس أوروبا ، فتوجه منهم لبلاد اللنجليز ثلاثة :

السيد محمد الجباص الفاسي ، والسيد ادريس بن عبد الواحد النسب ، والسيد الزبير سكيرج النسب ، فأقاموا بها أعواماً خمسة ورجعوا للحضرة الشريفة ، ثم كلف منهم ادريس بن عبد الواحد بطبجية طنجة ، وهو الآن بها ، والزبير سكيرج مكلف بتركيب الموازين بالمراسي السعيدة وما زال بها ، والسيد محمد الجباص في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم للطليان ثلاثة : السيد المختار الرغاي البخاري ، والسيد محمد بناني الفاسي ، والسيد عبد السلام الوديي ، فأقاموا بها أعواماً تسعة ، ورجعوا للحضرة الشريفة ، وهم الآن حاضرون في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم لاصبانيا ثلاثة : السيد أحمد بن الحاج العباس ابن شقرون الفاسي ، والسيد عبد السلام الرباطي ، والسيد محمد الشرادي الرباطي ، فأقاموا بها أعواماً تسعة

---

(1) جاء ذكر هذه الفرقة في العز والصولة ج 1 ص 221 .

(2) ج 2 ص 150 - 160 .

ورجعوا للحضرة الشريفة ، منهم السيد محمد الشرادي حاضر في الخدمة ، ورفيقاه سرحا لصلة الرحم .

وتوجه منهم لفرنصا ثلاثة : السيد قاسم الوديي ، والسيد الطاهر بن الحاج الوديي ، والسيد محمد بن الكعاب الشركي ، فأقاموا بها الى الآن ، سوى واحد منهم بالحضرة الشريفة ، وهو قاسم الوديي ورفيقاه ، يترجمون على المعلمين .

وتوجه منهم للبرص ثلاثة : السيد الميلودي الرباطي ، والسديد الحسين الوديي ، والسيد عبد السلام الدسولي ، فأقاموا بها أعواماً 12 ، ورجع منهم للخدمة الشريفة اثنان : السيد الميلودي الرباطي ، والسيد الحسين الوديي .

وهؤلاء الخمسة عشر يدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسة ، وحيث أنهم ما زالوا لم يستخدموا في شيء مما تعلموه لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون ، وانما تظهر ثمرة الاعمال بتطبيق القواعد على الأعمال .

ثم في تاريخ ربيع الثاني عام 1293 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه 25 من شبان العسكر لجبل طارق لتعلم حرب العسكر باللغة اللنجليزية ، فعينوا وضباطهم ـ حينئذ ـ قائد المائة الأول سي علال بن بلا المراكشي ، وقائد المائة الثاني سي بناصر بن عبد الرحمن أغافي القصابي ، والمقدم الأول المختار بن بناصر المراكشي ، والمقدم الثاني العربي ابن التاودي السقاط الفاسي ، فتوجهوا وأقاموا أعواماً2 ، وورد منهم 12 للحضرة الشريفة في رفقة ماكلين الحراب ، ثم بعد مجيئهم في تاريخ 1294 أمر مولانا أيده الله بتعيين 70 من العسكر كذلك يلحقون بالثلاثة عشر الباقين بجبل طارق ، وهم طبجية 10 ، وطلبة 5 ، وهم : مولاي أحمد بن الحسن الطيب ، والسيد حمان الجامعي ، والسيد ادريس الشرادي ، والسيد الجيلالي البخاري ، والسيد الجيلالي الشرادي ، وانتخبوا على يد ماكلين ، الجميع 85 ـ وقبضوا بفاس الكسوة والفراش وسافروا .

ثم بعده مدة أمر مولانا أيده الله بتعيين 170 من العسكر يتوجهون لجبل طارق بقصد التعليم بدل من هناك من العسكر ، ثم عينوا وكان رئيسهم القائد محمد الزروالي الحارك الآن بزيان ، وتوجهوا ، ولما وصلوا رجعت الاربعة والثمانون التي فرغت من التعلم مع الثلاثة عشر التي كانت بقيت من الخمسة والعشرين الأولى ، فيهم القائد علال ابن بلا رحمه الله، وتركوا هناك الحاج علي المومني من الأولين في عشرة منهم بقصد تبصير المئة والسبعين ، فأقاموا مدة تعلموا ورجعوا للحضرة الشريفة ، فجملة من تعلم الحرب بجبل طارق : 280 .

ثم في تاريخ 1301 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه خمسة طلبة وخمسة عشر عسكرياً على يد الحاج محمد بركاش لتعلم حرب المدفع الجديد الذي يعمر من وراء بفابركة كروب من أيالة البروص ، فالطلبة هم : السيد العربي بن الصديق ، والسيد أحمد بن القايد رحمه الله ، وزاد عليهم بركاش سبعة طلبة ، منهم من طنجة ثلاثة : وهم السيد محمد الدردب ، والسيد محمد بن الفقيه ، والسيد محمد الفيلالي ، ومن سلا السيد محمد النجار ، وأحمد الحجام ، ومن الرباط السيد محمد سباطة ، والسيد أحمد الشديد . والعساكرية هم : السباعي البرطاعي ، وأحمد الرحماني ، ومحمد القصري ، وابن ميلود المكناسي ، ومحمد العوني ، وأحمد الحمري ، ومبارك العبدي ، ومحمد الداودي ، والعربي المكناسي ، ومحمد السوسي ، ومحمد المسفيوي ، وسعيد الحمري ، ومحمد بن الحاج الهشتوكي ، ومحمد الوعدودي ، وابن أبي شعيب الدكالي ، الجميع 27 ، فتعلموا ورجعوا كلهم ، أما العساكرية فهم في الخدمة ، ومنهم توجه حرابان لآسفي والصويرة ، وأهل طنجة وسلا والرباط سرحوا لصلة الرحم ، والمهندسون منهم هنا اثنان ، واثنان توجها للمراسي يقفان على اصلاح الابراج ، وواحد توفي رحمه الله .

ثم في تاريخ شعبان عام عام 1302 :

أمر مولانا أيده الله بتعيين 12 لبلاد الفرنصيص لتعلم بارود الديلاميت

وتلكراف ونصب القناطر وصنع الحدادة والنجارة لصنع سرائر المدافع وكراريط الاثقال ، وكذا صناعة الخرازة لصنع اقامة الجر وسباط الطبجية والعسكر ، وفيهم طلبة خمسة ، وصناع سبعة ، ومعهم السيد محمد العلج البردقيزي ترجمان .

فالطلبة هم السيد محمد بن عبد الرحمان العلج ، والسيد عبد الله بن العربي الوديي ، والسيد صالح التدلاوي ، والسيد علال بن محمد البخاري ، والسيد محمد بن سعيد القرقوري الفاسي .

والصناع هم : محمد بن عبد الرحمان التطواني ، وأحمد بن عبد الرحمان التطواني ، ومحمد بن أحمد الاصيلي ، والعربي بن عبد السلام الجديدي ، ومحمد بن الهواري المسفيوي ، وعمر بن محمد المسفيوي ، ومحمد بن عبد الرحمان المسفيوي .

فتوجهوا وما زالوا في التعليم ، سوى اثنين منهم رجعاً ، واحد من الجديدة ، وواحد من آسفي ، فالجديدي حاضر ، والآسفي توجه لسوس لهد أرض معدن الخفيف بمينة الديلاميت .

ثم في تاريخ 1301(*) :

أمر مولانا أيده الله بتعيين عدد من المتعلمين لتعليم الحرب ببر النصارى على يد الامين الحاج محمد بركاش ، والامين التازي ، فعينوا وتوجهوا من مكناسة وأقاموا في التعلم عامين ، وكان سرح منهم بركاش لصلة الرحم بفاس 13 ، وبمكناس 10 ، وحاضر منهم هنا في الخدمة 23 ، وباقي غياب 16 ، جميع 62 ، وهؤلاء كلهم تعلموا ، فمنهم من تعلم صنعة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من هذا الحديد ، ومنهم من تعلم صنعة المدافع وما يتعلق بها ، ومنهم من تعلم صنعة جعاب المكاحل ، ومنهم من تعلم سرائرها ، ومنهم من تعلم زناداتها ، ومنهم من تعلم حل المكاحل وتركيبها وطلاء جعابها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوسها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوس الصيد وقرطوس الكوابيس .

(*) علق المؤلف هنا بقوله : كذا بالاصل ، وهو مخالف لما سلكه من ترتيب التواريخ .

تفصيل الثلاثة والعشرين الحاضرة بالخدمة

منها مع المعلم ادريس زولو سبعة ، وهم الحاج ابن جبارة ، وادريس البخاري ، والعرفاوي البخاري ، ومحمد حيات البخاري ، والجيلاني بن مبارك البخاري ، والمختار البطاحي ، والمحجوب البزيوي ، وهؤلاء السبعة تعلموا صنعة المكينات .

وفي الحرابة أربعة تعلموا صنعة القرطوس : أحمد بن موسى ، والحسن الخلطي ، وعبد السلام الوديي ، وأحمد المراكشي رحمه الله .

وفي المؤونة مع حرابة البروص وهم 12 : قدور الميلودي البخاري ، تعلم صنعة جعاب المكاحل بالمكينة ، محمد بن ميمون الفاسي ، تعلم حمل المكاحل وشدها وطلائها ، عبد السلام العلمي كذلك ، ادريس بن الحاج العربي الفيلالي تعلم صنعة جعاب المكاحل ، صاحبه : الحاج محمد لفيتة كذلك ، عيسى بن محمد البخاري ، تعلم صنعة سرائر المكاحل بالمكينة ، عبد النبي البوحلي البخاري تعلم صنعة سرائر المكاحل بالمكينة ، محمد الرامي البخاري كذلك ، المكي بن عبد السلام ولد العنبر ، تعلم صنعة القرطوس ، عبد القادر الركاني كذلك ، المعلم حمان المراكشي تعلم صنعة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من ذلك الحديد بالمكينة ، صاحبه المعطي بن ابراهيم كذلك ، الجميع : 23 .

يزاد عليها من فاس 13 ومكناس 10 وغياب 16 ، الجميع : 62 .

يزاد السبعة والعشرون التي تعلمت حرب المدفع والعسكر بالبروص 27 : جميع 89 .

منها على يد بركاش 83 ، وعلى يد الامين التازي 6 : الحاج محمد التاغزوتي ، الحاج محمد لفيتة ، ادريس الكيسي ، أحمد بن العربي الفيلالي توفي ، محمد بن ميمون ، عبد السلام العلمي .

انتهى تقييد من تعلم ببر النصارى .

تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك وبيان أسمائهم والحاضر منهم والغائب

في متم ربيع النبوي عام 1305 :

1) المعلم محمد بن علي الفاسي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات ، وهو الآن بباب سيدنا نصره الله .

2) محمد المنظري الفاسي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات وتخديم المخاريط ، وهو حاضر بالحضرة الشريفة .

3) الحسن الجندي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

4) أحمد الجندي ـ تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ، وهو حاضر .

5) محمد الودغيري ـ تعلم كيفية فرغ المدبر وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

6) عبد الرحمن البغدادي ـ تعلم كيفية تصفية المعادن ، وهو حاضر .

7) حمان بن التهامي ـ تعلم صنعة فرغ النحاس ، وهو حاضر .

8) على بن قدور الحياني ـ تعلم صنعة فرغ المدبر وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

9) محمد بن ميمون ـ تعلم صنعة المدافع وتركيب المكينات ، حاضر .

10) ادريس بن وحود ـ تعلم صنعة فرغ المدبر ، وهو حاضر .

11) محمد الحمدي الصفريوي ـ تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ، وقد وقع به لطف الله وقطعت يده .

12) حمان المراكشي ـ تعلم صنعة فرغ المدبر وفرغ المعادن وتصفيتها وتخديم مكينة النجارة ، وهو الآن بمراكش .

13) المعطي بن ابراهيم صاحبه ـ تعلم صنعة تصفية المعادن ، وهو بمراكش .

14) ادريس زولو ـ تعلم صنعة القرطوس ، وهو بمراكش .

15) الجيلاني بن مبارك ـ تعلم تخديم مكينة القرطوس ، وهو بمراكش .

16) المختار المكناسي كذلك .

17) العرفاوي بن الطاهر كذلك .

18) محمد حيات كذلك .

19) المكي بريطل كذلك .

20) الحاج عبد القادر الركاني كذلك .

21) أحمد بن موسى ـ تعلم صنعة قرطوس الصيد وهو بمراكش .

22) المحجوب البزيوي كذلك .

23) الوعدودي البيضاوي ـ تعلم تخديم مكينة النجارة وسبك الحديد وهو الآن بالبيضاء .

24) أحمد بن الحسن ـ تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع ، وهو حاضر .

25) محمد بن الحفيان ـ تعلم تركيب المكينات وتخديم مكينات النجارة ، حاضر .

26) أحمد بن علي العلج ـ تعلم تركيب المكينات وتخديم برمات البخار ، حاضر .

27) محمد بن المؤذن ـ تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع وتخديم برمات البخار ، وهو حاضر .

28) عبد الله الزموري ـ تعلم تخديم المزرات وفرغ المدبر ، حاضر .

29) أمان العباس ـ تعلم تخديم بابورات البر ، حاضر .

30) سالم بن إبراهيم كذلك .

31) عباس بن المصطفى كذلك .

32) العرفاوي بن الحاج كذلك .

33) محمد بن زروق كذلك . (*)

34) ابن عيسى بوروابن كذلك ، توفى رحمه الله .

35) أحمد المراكشي ـ تعلم صنعة القرطوس رحمه الله .

36) الحسن الخلطي ـ تعلم صنعة القرطوس ، حاضر بطابور الحرابة .

37) عبد السلام الوديي كذلك .

38) المعلم محمد المكناسي ـ تعلم صنعة الزنادات ، حاضر .

39) العباس بن قاسم كذلك .

40) عبد القادر بن الميلودي كذلك .

41) محمد بن العربي ـ تعلم صنعة السرائر ، حاضر .

42) ابن عيسى بن محمد ، كذلك .

43) محمد بن الرامي ، كذلك .

44) عبد النبي البوحلي ، كذلك .

45) أحمد بن صالح ـ تعلم صنعة الجعاب ، حاضر .

46) بوسلهام بن حم ، كذلك .

47) أدريس الحداد ، كذلك .

48) محمد بن العباس كذلك ، هؤلاء كلهم عينوا على يد بركاش . وعلى يد التازي :

49) الحاج محمد التاغزوتي ـ تعلم صنعة الزنادات ، وهو بالعرائش .

50) الحاج محمد لفيتة ـ تعلم صنعة جعاب المكاحل ، وهو بالعرائش .

(*) ـ هذا ثامن ثمانية تعلموا ـ حسب هذه اللائحة ـ تركيب أو استخدام بابورات البر ، ومن هنا ندرك احدى خطوط الاصلاحات التي كان مزمعاً اجراؤها في عهد الحسن الأول ، حيث توقفت أكثر المشاريع الاصلاحية بوفاته .

51) محمد بن ميمون ـ تعلم حل المكاحل وشدها وطلائها ، حاضرها .
52) عبد السلام العلمي ، كذلك .
53) ادريس بن الحاج العربي الفيلالي الجعايبي رحمه الله .
54) ادريس الجيسي الزنايدي ، بالعرائش .
55) أحمد بن العربي الفيلالي الجعايبي رحمه الله .

انتهى تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك . صح منه » .

* * *

واذا انتهت هذه اللائحة نذيل عليها ببحث مفيد حول احدى هذه البعثات ، وهي التي توجهت لفرنسة في شعبان عام 1302هـ . فقد نشرت مجلة هسبريس « عام 1954 مجلد 31ص 121 » ، بحثا بقلم جاك كابي حول المغاربة المتمرنين في مدرسة الهندسة العسكرية في مونبيليي بفرنسا ، « من عام 1885 الى 1888 » ، وكانت هذه البعثة تحتوي على اثني عشر مغربياً ، توجهوا الى فرنسا في 24يونيه 1885 صحبة ميكيل دوكاسترو قنصل البرتغال السابق ، الذي أسلم ودخل في خدمة السلطان .

وبعد مرور سنتين رجع دوكاسترو الى المغرب ، لأن الطلبة المغاربة كانوا قد حذقوا ـ في نظره ـ اللغة الفرنسية ، ولم يعودوا في حاجة إلى ترجمان ، وقد سكن الطلبة القلعة ، أي ثكنة الهندسة العسكرية ، وقد جاءوا الى فرنسا بلباسهم المغربي ، فاضطروا الى التكبط على الطراز الغربي ، مع الاحتفاظ بالطربوش ، وكان السلطان يدفع فرنكين اثنين في اليوم لكل طالب .

وكانوا يدرسون صباحاً ومساء ما عدا يومي الجمعة والأحد ، فيقضون الصباح في دراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية ، وفي شهر مايو 1886 رجع اثنان منهم الى المغرب .

أما دروس العشي فقد كانت مخصصة ـ مبدئياً ـ للأعمال التطبيقية : من تمارين

نارية ، وتحصينات ، وبناء خنادق وأجهزة الدفاع ، وضرب الأخبية ، وصنع آلات الحصار ، وكان الطلبة المغاربة الخمسة يسجلون الملاحظات ، ويحررون مذكرات في الموضوع ، نظراً لمستواهم الثقافي المناسب ، وصار اثنان منهم يتلقيان ـ بطلب منهما ـ دروساً في التلغراف الجوي مع الجنود الفرنسيين ، ثم أضيفت الى الدروس النظرية النحو الفرنسي ، ودروس الاشياء ، والتعمق في الحساب والهندسة ، ثم خمسون درساً في علوم الهيئة والرياضيات والكيمياء ، ثم دروس في التلغراف والتلفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ، ثم اثنا عشر درساً في مساحة الأراضي وتحرير التصميمات الهندسية ، وكان معظم الطلبة يتابعون الدروس بعناية ، وقد لاحظ دوكاسترو نفسه سوء اختيار الموظفين المغاربة لبعض أعضاء البعثة .

وبقي في المدرسة تسعة شبان واصلوا دراستهم الى خريف 1886 حيث تقرر ارجاعهم ، ولكن وزير فرنسا في طنجة الذي كان يرى أن البعثة المغربية يجب أن تثير في ذهن أعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية ، أوعز باطالة مقام الوفد المغربي ، وكان ذلك من السهل ، حيث ان الحسن الأول كان قد قرر عدم عودة الشبان المغاربة من مدرسة الهندسة إلا بعد الحصول على تكوين تام ، لهذا وقع تحضير برنامج جديد لعام 1887 أطول وأدق من برامج السنوات الأخرى ، وما كادت تهل سنة 1888 حتى كان المتمرنون قد وعوا وحذقوا كل ما يمكن في الهندسة العسكرية ، وفي شهر مايه من نفس السنة أنهت فرنسا الى علم الصدر الأعظم أن من المناسب عودة البعثة الى المغرب ، وتعويضها بفوج جديد من الطلبة ، ووصل الطلبة الى طنجة في دجنبر ، حيث اقتبلهم مندوب السلطان محمد الطريس ، وعبر لممثل فرنسا باسم السلطان عن كامل الارتياح الذي يشعر به ازاء التطور الفكري ، والثقافة التي حصل عليها مواطنوه بفرنسا ، وكان الصدر الأعظم قد كتب الى باريس ، طالباً أن يظل بفرنسا أربعة أو خمسة من الطلبة بضعة شهور أخرى ، للتدريب في الكهرباء ، من أجل تسيير دواليب الآلات المهداة للسلطان .

وفي يونيه 1888 تبودلت المذاكرة في شأن تعويض المتمرنين المتخرجين بخمسة عشر

من الشبان المغاربة ، يوجهون الى فيرساي ، حيث ترابط فرقة للمدفعية ، وأخرى للهندسة ، ولكن كل ذلك لم يتم لاسباب مجهولة[1] .

* * *

والآن نأتي بثلاثة ظهائر للحسن الأول ، في صدد ثلاث بعثات الى أوروبة ، نص الأول [2]. بعد الافتتاح :

« خديمنا الارضي ، الطالب ، محمد بركاش ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس ترايست [3] والمكينة [4] وعلم البحر ، وان يفرقوا على نواب بابورات النجليز والفرنصيص والصبنيول والالمان والطليان ، وعددهم ستة لكل جنس ، واثنان من الستة المذكورين يخصون بتعليم ترياست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر ، وأربعة لتعلم علم البحر ، وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ، ويكون صائرهم على جانب المخزن ، اذ المقصود هو تعلمهم ، وعليه فكلم نواب الأجناس المذكورين في ذلك وتفاوض معهم فيه ، وأعلمنا بجوابهم لك فيه ، لنأمر بما يكون عليه العمل في ذلك ، وعجل ولا بد ، والسلام ، في عاشر رجب عام 1299 » .

ونص الثاني[5] بعد الافتتاح يخاطب الامبراطور غليوم عاهل المانية :

« أما بعد : فان المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل ، أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الآيالة لبلادكم الرفيعة المصونة

---

(1) تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 - 89 .

(2) العز والصولة ج2 ص 148 — 149 مع الاتحاف ج 2 ص 470 — 471 ، وأصله عند نهليل : لوحة 59 .

(3) قيادة السفن .

(4) الميكانيك .

(5) « العز والصولة » ج 2 ص 154 ، مع « الاتحاف » ج 2 ص 468 - 469 .

بقصد الزيادة في تنقيح ذكائهم ، وتهذيب أخلاقهم ، بآداب السياسات العالمية ، من العلوم العسكرية والطبجية ، وما في معناهما ، التي فقتم بها ، وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها ، وانتخبنا من يتوجه معهم ، وهو خـديمنا الارضي ، الانجح ، الحاج محمد ، ابن خديمنا الارضي ، الانصح ، الارشد ، الخير ، النائب ، محمد بركاش ، ونحن على يقين من أنكم تقابلونه بزائد القبول ، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول ، ويحظى من معه من المتعلمين المشار اليه من جانبكم الرفيع بتمام القبول ، والبرور والاعتنـاء ، حتى يحصلوا ـ في أقرب مـدة ـ على المـراد ، كما ينبغي ويراد . . وحرر في 24 من المحرم ، فاتح 1302 » .

ونص الثالث[1] بعد الافتتاح :

« خديمنا الأرضي ، القائد الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا الخديم الطالب عبد الرحمن بركاش ، بتوجيه الطبجي الحاج محمد زنيبر السلاوي لبلد الالمان ليتعلم بها تطبجيت .

فنأمرك أن تـدفعه لـه ليتوجـه لذلـك على يـده ، والسلام ، في 15شـوال عام 1306 » .

* * *

وهذه بعثة أخرى لم يرد ذكرها من قبل ، وكانت توجهت إلى ايطاليـة من عام 1306هـ/1888م، ومن حسن الحظ أن نتوفر على مذكرة لاحد طلبة نفس الارسالية ، وهـو المرحـوم السـيد الحسـين الزعـري السلاوي ، الـذي تأخـرت وفـاتـه الى عـام 1375هـ/1955م .

والى جانب سير دراسة البعثة ، فان المذكرة تضيف لذلك معلومات قيمـة عن مشاريع وظروف المغرب حوالي سنة 1900م .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

وكانت البعثة تتركب من فتيان مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13 و 16 سنة ، وقام السفير الايطالي جنطيلي Gentité بجولة لانتخاب الطلبة المرشحين للذهاب إلى ايطالية ، فاختار من مدينة الرباط عشرة ، ومن سلا خمسة ، ومن العرائش أربعة ، ومن طنجة ثلاثة ، ومن فاس اثنين ، وهذا نص المذكرة[1] في شيء من التصرف :

توجهنا الى طنجة في فاتح سنة 1306 ـ الموافق لسبتمبر 1888م ـ ومكثنا بها 18 يوماً ريثما هيئت لنا الكساوي ، وفي اليوم الثامن عشر من نفس الشهر رست الباخرة الحربية : ضانضولو «Dondolo» الايطالية ونقلتنا الى ايطالية ، وبعد يومين رست بنا في مدينة جنوة ، وهناك وجدنا في استقبالنا مدير المدرسة التي سنلتحق بها وهو السنيور « أوغستين دي قروصي » ، وبعد أن بتنا ليلة بالفندق اتجهنا على طريق السكة الحديدية الى مدينة « طورينو » ، الكائنة بسفح « بيمنطي » بين نصف دائرة جبال الالب ، وعند الوصول أقيمت لنا حفلة بالمدرسة بمجرد دخولنا اليها ، واستقبلنا التلاميذ والاساتذة .

وقد كان مرورنا من المحطة الى المدرسة محط التفات الانظار الينا بكامل العجب ، خصوصاً وقد كنا ما نزال نرتدي الزي المغربي : « كساوى المحصور من ثوب الملف » التي لبسناها في طنجة .

المدرسة الملكية الدولية الايطالية :

هذا هو اسم المدرسة ، وشعارها : « الاخاء الاجنبي » Frate Exaovenis . أي « ان كل الاجانب الموجودين بهذه المدرسة هم اخوة » .

والمدرسة مربعة الشكل ، طبقتها السفلية تحتوي على بيوت للدراسة ، وعلى قبة بمدخل الباب تعلو قاعة فسيحة لاستقبال الناس ، وقاعة فسيحة أخرى لجلوس التلاميذ وقت الراحة ، والطبقة العليا عبارة عن حجرات من الخشب : هي بيوت لنوم التلاميذ

---

(1) يعود الفضل في الكشف عن هذه المذكرة ونشرها الى الاستاذ الحاج أحمد معنينو ، حسب مجلة دعوة الحق ، العدد الأول ، السنة الثانية عشرة ، ص 143 - 148 .

الداخليين الاجانب مثلنا .

وهناك تعرفنا بعدد من الشبان جاءوا من أمريكا الجنوبية ، ومن روسيا ، ومن ألمانيا ، ومن فرنسا ، ومن مصر ، والتحقت بنا البعثة الحبشية التي أرسلها الملك « ليقوس منليك » ، كما كان هناك وفد من بلاد البلقان من بينهم ابن أخ ملك الجبل الاسود[1] ، وهذه العائلة كانت لها مصاهرة مع البيت المالك ، من حيث تزوج ولي عهد ايطالية بهيلينة ابنة ملك الجبل الاسود .

وتعرفنا في هذه المدرسة بولي عهد مصر سمو الامير أحمد فؤاد .

الدراسة وتوجيه الطلاب :

بدأنا في أول الأمر بتعلم مبادىء اللغة العربية ، وذلك على يد أستاذ لبناني يعرف بـ « دون ماركس » ، وبتعلم اللغة الايطالية على يد أستاذ ايطالي ، وأخذنا ننتقل من طبقة الى طبقة .

وفي السنة الثالثة استدعانا مدير المدرسة ، وقرأ علينا أمراً ورد من جلالة مولانا السلطان عن طريق نائبه بطنجة وسفير ايطالية . وأخبرنا أن مولانا يريد أن نتفرق على ثلاث فئات :

1 ـ فئة لدراسة تربية الجنود .
2 ـ وفئة لتعلم علوم البحار .
3 ـ وأخرى لتعلم صناعة السلاح .

وكذلك كان الأمر ، فاختار الطلبة :

1 ـ أحمد الجبلي العيدوني	الرباط المدفعية
2 ـ محمد الحريزي	الرباط الخيالة
3 ـ علي السوسي	العرائش المشاة

---

(1) جمهورية مستقلة من جمهوريات يوغوسلافيا.

4 ـ الحسين الزعري (كاتب المذكرة)[1]	سلا	المشاة
5 ـ محمد الوزاع	الرباط	المشاة
6 ـ محمد التدلاوي	الرباط	المشاة
7 ـ محمد طجة	الرباط	البحرية
8 ـ محمد بن سالم	الرباط	البحرية
9 ـ محمد الشرقاوي البهالي	الرباط	البحرية
10 ـ محمد ولد الباشا	الرباط	البحرية
11 ـ التهامي امبيركو	الرباط	السلاح
12 ـ فضول ابن صالح	العرائش	السلاح
13 ـ مصطفى الاوديي	العرائش	السلاح
14 ـ محمد البرجالي	العرائش	السلاح
15 ـ محمد بن اسماعيل	سلا	السلاح
16 ـ احمد حرضان	طنجة	السلاح
17 ـ العربي حركات	سلا	
(لكنه كان منصرفاً الى النحو والشعر !)		
18 ـ عبد الله التيال	سلا	
هو أنجب الطلاب ، لكنه أصيب بمرض ومات هناك .		
19 ـ محمد القجيري	سلا	
كانت همته فقط منصرفة الى التسطير والتوريق .		
20 ـ مصطفى لحلو	فاس	قانون التجارة والحساب
21 ـ محمد القباج [2]		قانون التجارة والحساب

---

(1) هو والد السيد مصطفى الزعري الموظف بادارة الامن وأخيه الدكتور ادريس الطبيب الرئيسي الاقليمي ببني ملال .

(2) مجموع ما ذكر الكاتب من قبل هو 24 طالباً ، وهو في هذه القائمة لم يذكر الا 21 طالباً ؟

تفقد البعثة :

وصل الى ايطاليا وفد يترأسه عبد السلام برشيد الشاوي ، وذلك خلال سنة 1892 بأمر مولانا السلطان الحسن الأول ، وكان يحمل هدية ثمينة الى ملك ايطالية تشتمل على أنفس المصنوعات المغربية من الذهب والفضة مرقومة منقوشة ، مما جعل الصحف الايطالية تشيد بذلك مفتخرة ، فلما عزم السيد عبد السلام برشيد على مبارحة رومة قدم الامبراطور هدية ثمينة فاخرة لمولانا الحسن وذكرت الصحف ذلك ، وقال لنا مدير المدرسة ان الامبراطور نزع خاتما من أصبعه وأعطاه للسيد عبد السلام برشيد قائلاً له :

ـ إجعل هذا في أصبع جلالة السلطان ملك المغرب، مغزى للمحبة والوداد اللذين بيننا ، ثم أذن للسيد برشيد بالتجول في المدن الايطالية ، فلما وصل الى مدينة ميلانو اتصل تليفونيا بمدير المدرسة ، وطلب منه أن يأتي مصحوباً بكافة الطلاب المغاربة ، وفعلاً ركبنا في الغد قطار السكة الحديدية ومعنا المدير والأستاذ مدرس اللغة العربية « ماركس » ، وكان استقبالنا بأعظم فندق موجود بساحة « الدومو » ، وأقيمت لنا مأدبة فاخرة ، وزودنا قبل الافتراق بـ « لويز » ذهبي لكل واحد منا ، ورجعنا الى أعمالنا وسافر السيد عبد السلام الى ألمانيا .

تعاون مع إيطاليا :

تعلمنا اللغة الايطالية ، وصرنا نتذاكر بها في طلاقة ، وكان مدير المدرسة السنيور « دي قروصي » يحبني شخصياً ويضع ثقته في ، مما جعله يخبرني بأسرار عديدة ، منها الحلف بين ايطاليا وألمانيا والنمسا ، وما يمكن أن يستفيد المغرب بسببه ، وفعلا تأسس بفاس معمل للسلاح كان مديره هو السنيور « كافيني » كلونيل في العسكرية مع المهندس « نطاري » ، فلما رجع الشبان الذين كانوا بمعمل « بربشية » استخدموا فيه ، وكان أمهرهم فضول والمصطفى ، كما تكلفت دار الصناعة بـ « ليفرنو » بصنع جوالات حربية لحراسة الساحل المغربي ، وبصنع بواخر للنقل ، فالجوالة سميت بـ « البشير » ، وهذا الاسم أخذ من بيتين من الشعر أرسلهما المخزن الى دار الصنعة ، ودار الصنعة أرسلتهما

الى المدرسة ليستخرج منهما اسم الجوالة !

ولما رجع الشبان الذين كانوا بمدرسة البحرية بعد دراسة خمسة أعوام تعلما وتجولا في البحار ، وظفهم المخزن الشريف ، وكانوا ذوي خبرة حيث انهم تخرجوا ضباطاً صغاراً Sotta officialé di marina ، كما أن العسكريين حيث رجعوا عملوا بالدائرة المخزنية ، وفي سنة 1900 ألف منهم المخزن الشريف لجنة عسكرية مركبة من : السيد أحمد الجبلي ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد محمد التدلاوي ، والسيد الفقيه أحمد التطواني أمين (الصوائر) ، وأرسلهم الى معمل السلاح دار (كروب) بأشن في ألمانيا ، ومن هناك اشتروا مدافع جبلية وغير جبلية ، وقد لقوا عناية واكراما مدة أقامتهم ، والتقوا بوفد تركي فتعرفوا به وكان قصده شراء المدافع كذلك .

الرخص الصيفية لطلبة البعثة :

كنا نقضي مدة العطلة الصيفية : نحن الذين لا نستطيع العودة الى أوطاننا لبعد المسافة بمنطقة « كافور » Gavour ، بجوار جبال الالب ناحية منفيزو ، وكنا دائماً نتجول بين المناطق ونتفسح فيها ، ونصعد الى قمم الجبال المكسوة بالثلوج ، واغتنموا تلك المناسبات فصعدوا بنا الى القلاع السرية الموجودة على الحدود الايطالية ـ الفرنسية ، وهذه القلاع ممنوع دخولها حتى على الايطاليين ، لكن أذن لنا به ، وهكذا كنا نتجول ونمعن النظر في كيفية البناء والتحصين ، وقد تحدث الكلونيل الذي كان مكلفاً بالتجول معنا ، متمنياً أن نقيم مثل هذه القلاع في وطننا ، وانه يسوغ لنا نحن طلبة البعثة الحسنية أن نطلع على أسرار الاستعدادات الحربية ، لان كل ذلك مرخص به لنا من لدن الدولة الايطالية .

مشاريع مغربية اقتصادية :

ان من جملة الاخبار التي أمدنا بها مدير مدرستنا أن جلالة سلطاننا عازم على فتح (بنك) ، وانه قد هيأ لذلك ضمانة قدرها 20.000.000 : عشرون مليوناً من القطع الذهبية : من « الويز ، والضبلون ، والبندقي » ، هذا عدا القطع الفضية من أنواع

السكك التي كانت تروج في قطرنا ، وتعجب من أن ذلك وقع في ظرف ثلاثة شهور فقط ، مما يدل على أن المغرب غني ! ولما قلت له : ان ايطاليا أغنى من المغرب فاجأني قائلاً : انكم أغنى من ايطالية من حيث انه لا ديون عليكم .

وزاد ، فأخبرنا أن معملاً ايطالياً تهيأ لضرب السكة الذهبية والفضية والنحاسية بالعاصمة : فاس ، وان ألمانيا تكلفت ببناء قلاع للدفاع بمدن شاطىء البحر بالمغرب ، وبشرنا أن الراية المغربية سترفرف في البحار كلها من قريب .

طموح صاحب المذكرة :

انصرفت السنة الثامنة منذ حلول البعثة بايطالية ، ورجع الى المغرب الضباط ، والضباط العسكريون ، وصانعو السلاح . . وتأخرت أنا عن الرجوع ، ذلك لانني أخذت أتعاطى دراسة اللغات الاجنبية بترخيص من وزارة الداخلية الايطالية ، وهكذا انخرطت في المدرسة العليا بمدينة (طورينو) وبقيت في ايطاليا حتى سنة 1898 الى أن حصلت على الشهادة التي كنت أرغب فيها .

وقد كان في نيتي أن أنتقل الى مدينة « فلورانس » لتتميم دروسي في اللغات ، وخصوصاً اللغة الالمانية مع دراسة (الحقوق الدولية) ، لكن الصدر الأعظم الفقيه السيد أحمد بن موسى أرسل كتاباً يأمرني فيه بالرجوع الى المغرب ، وكان رجوعي في شهر نونبر 1898 ، فلم يبق من أعضاء البعثة بعدي سوى طالبين من طنجة ، وقد خسرت البعثة الطالبين عبد الله التيال ومحمد القجيري اللذين توفيا هناك رحمهما الله .

استقبال الطالب العائد من طرف المسؤولين :

في أوائل نونبر 1898 أقلعت الباخرة من جنوة ، وفي اليوم الرابع رست بركابها بطنجة ، وبمجرد نزولي قصدت في الحين دار النيابة ، وحييت الفقيه الغيور السيد محمد الطريس نائب الدولة هناك بما يليق بجنابه من التحيات ، فرح بي وسألني عن عدة أشياء فأجبت بما أستطيع ، ثم أمر (الأمناء) أن ينفقوا على خياطة كسوة من الملف ، وبعد 20

يوماً رحلت بحراً الى الجديدة ومنها إلى مراكش ، وبادرت الى دار المخزن حيث حضرت لدى الفقيه الوزير السيد أحمد بن موسى ، وقد طلب مني أن أحضر الى منزله مساء نفس اليوم على الساعة الرابعة ، وفي مكتب خاص بمنزله استقبلني على أنفراد ، وأخذ يلقي أسئلة دقيقة عما وقع مع مدير المدرسة ومع وزير الخارجية ، واستمرت هذه الجلسة الاستخبارية الى الغروب . . . وعاد فطلبني أن أحضر مرة أخرى صباح الغد لدار المخزن بالصدارة على الساعة التاسعة صباحاً ، وودعني وودعته بما يليق بجانبه .

وفي الغد لما مثلت بين يديه في الوقت المعين ، أمر « مخزنياً » ان يصحبني الى وزير المالية السيد عبد السلام التازي الرباطي ، وقد أحسن الامين[1] استقبالي ، وأجلسني بقربه لما أتاه المخزني بملف يحتوي على مراسلات متنوعة وحوالات ، ودفعه الي طالباً مني أن أنظم ما في الملف ، وفي الحين انتقلت الى حجرة مجاورة وفتحت الملف ، واذا بجميع المراسلات باللغة الانجليزية ، فنظمتها كما يجب ، بحيث جعلت المراسلات التي أجيب عنها على حدة ، والتي لم يجب عنها على حدة أيضاً ، كما فرزت الحوالات التي دفع واجبها من التي لم يؤد واجبها بعد ، وقد أعجب الامين بعملي ، وبلغ ذلك للصدر الأعظم فاستحسنه أيضاً ، ووجهني الى وزير الحربية ـ العلاف ـ السيد سعيد ، فوجدت معه الفقيه السيد محمد الجباص الذي أخبرني انه كان في بعثة قبلنا الى لندرة ، وجرت بيننا محادثة باللغة الانجليزية ، وعمل السيد محمد على تسجيلي في كناش خاص بصفتي عارفاً باللغات الاجنبية ، وخصص اجرة شهرية قدرها 24 ريالا ، وأوصاني جناب الوزير السيد سعيد أن اتردد عليه ، بل أسكنني بدار قرب داره ، وذلك ليطلعني على مراسلات جلها فرنسية ، ومضمنها قواعد حربية وضوابط سياسية .

العودة الى مسقط الرأس :

بعد مكثي بالعاصمة الجنوبية مدة ثلاثة أشهر ، أمر باحضاري جناب الصدر الأعظم بين يديه ودفع لي ثلاث رسائل ، احداها لسيادة باشا سلا السيد عبد الله

---

(1) ذكر الكاتب هذا المسؤول بلقب الوزير ثم بلقب الأمين .

بنسعيد ، والثانية لامين مرسى الرباط السيد عبد الخالق افرج ، والثالثة للعمال لاطلعهم عليها أثناء سفري ، وأمرني أن أعود الى الحمراء بعد صلة الرحم مع والدي ومع عائلتي ، ذلك لأنه ينوي أن يبعثني الى أوروبا لأغراض وحاجات أبقاها بنفسه ، يود مني أن أقضيها هناك .

وبارحت مراكش في يبراير1899[1] ، وقد كانت رحلتي من مراكش الى سلا عبارة عن نزهة بسبب الاعتناء والبرور اللذين لقيتهما مراعاة لتوصية جناب الصدر الأعظم ، ولما حللت بسلا سلمت لباشا سلا رسالته ، كما مكنت أمين المرسى من كتابه ، وقد أمر بعد قراءته بأن يدفع لي 100 ريال حسنية ، وقد تعرفت على موظف هو السيد عبد السلام الفاسي الذي أخبرني انه كان في البعثة الأولى بمدريد ، ولذلك تحادثنا باللهجة الاسبانية ، وقبل أن أنصرف أخبرني الامين بأن المخزن أعزه الله أمر لي بـ 24 ريالاً شهرياً ما دمت في سلا .

وما مضى شهران حتى استدعاني امين المرسى السيد عبد الخالق افرج ، وقرأ علي مراسلة يوافق فيها الصدر الأعظم على اقتراح الامين بأن أبقى بجانبه ، لأكون واسطة بينه وبين المهندس الالماني « روطينبورغ » Rotten Pourg المكلف ببناء برج الرابطة ، وهكذا أصبحت موظفاً بالرباط ، فالتقيت بالمهندس الذي سر سروراً كبيراً بمعرفتي ، اذ سيمكنه التفاهم بواسطتي مع الامين في كل ما يحتاج اليه ، وقد حصلت لي معه ألفة ، فأطلعني على الاتفاقية المبرمة مع مدير معمل السلاح : كروب Krup بمدينة أشن ، وانه بـ « مقتضى هذه الاتفاقية » صار المهندس مكلفاً ببناء تسع قلاع بمدن الساحل ، كل قلعة تحتوي على مدفعين من ذوات القذف البعيد ، وتسهيلات للاعمال تبرعت « دار كروب » بتأسيس سكة حديدية لنقل المعدات والاثقال من البحر الى مراكز القلع ، وتقرر أن تبنى القلاع الثمانية بعد بناء قلعة الرباط وتجربتها .

وخلال هذه المدة كان الحاج محمد سباطة يدرب فرقة من الرجال ، ويعلمهم فنون

---

(1) هذا ما أثبته صاحب المذكرة وفيه التباس بالنسبة لتاريخ رجوعه الى المغرب .

« كذا » حربية وكيفية تسيير حركة المدافع مع فنون الرماية ، هذا ، عدا جماعة المدفعين التي كانت قائمة بحراسة الابراج والقلاع القديمة وتتدرب على اطلاق المدافع ، وبسلا كانت أيضاً جماعة من المدفعين تتدرب بالحساب وبالمناسبة الى عيار المدافع ، وذلك تحت رياسة الباشا الحاج أحمد زنيبر ، وهناك جماعة أخرى كانت بالعرائش ، وأخرى ـ وهي أكبر ـ كانت بطنجة ، وجل أفرادها من أهل سلا .

ملاحظات وآراء حول الظروف السياسية :

ـ وفي سنة 1901 و 1902 ظهر المارق أبو حمارة الجيلاني الزرهوني في نواحي تازة ، وبما أن قضيته قد استفلحت فقد وجبت الخدمة العسكرية ، ووجب قرض المال من الخارج : « 11 ألف ريال » من أبناك البلاد المنخفضة : هولندة ـ بلجيكة ـ السويد .

ـ اضطر الركاب الشريف بسبب هذا الحدث الى الانتقال من مراكش في اتجاه العاصمة فاس ، وقد كان النزول بالرباط لمدة تزيد على الشهر .

ـ كان قائد الجيش الاكبر هو الانجليزي ماكلين ، وبعد وفاة الوزير السيد أحمد بن موسى سمي القائد الاكبر ، وأطلق على نفسه « الجنرليسم » Généralisseme ، رغماً عن وجود فرقة لتدريب العسكر بمراكش تحت قيادة الكومندان الفرنسي « فورني » ، وجل أفراد هذه الفرقة من أهل الجزائر ، وبتولية الجنرال ماكلين القيادة الكبرى على الجنود المغاربة عظم الخصام بينه وبين الكومندان الفرنسي ، خصوصاً وان الوزير المنبهي توجه الى لندرة وتقابل مع الحكومة الانجليزية صحبة الجنرال ، وهكذا تغيرت السياسة واكفهر الجو .

ـ كان المهندس الالماني سائراً في أشغاله ، وكان له صديق بالدار البيضاء يتراسل معه بواسطة الحمام ، ومن الدار البيضاء كانت ترسل الاخبار والحوادث الواقعة بالمغرب الى دولتي ألمانية وانكلترة .

ـ جاء الجنرال ماكلين الى المهندس الالماني وأخبره أن الكومندان الفرنسي أخبر

جلالة السلطان بأن البرج الذي بني بضاحية الرباط غير متين ، وانه سيتهدم بمجرد اخراج الطلقة الأولى من المدفع ، فرغب جلالة السلطان أن يقف على الحقيقة بنفسه ، وفعلا حضر الى القلعة فوجد هيئة المدفعيين حاضرة ومصطفة على أحسن حال ، وحيياه باجلال وتعظيم ، وأمرنا جلالته أن نطلق المدفع وبقي ينتظر خارج القلعة ، وبعد اخراج طلقتين ووصول الطلقة الى داخل البحر بمسافة 20 كيلومتراً ، تفضل جلالته ودخل القلعة ووقف بنفسه على كيفية اخراج الطلقة المدفعية للمرة الثالثة ، وبعد هذا أخذ جلالته يحضر كل مساء للبرج ، وينصب له المهندس مدفعاً من العيار الصغير فيقوم ببعض الرماية .

ـ بعد نجاح التجربة ذهب المهندس الالماني الى ساحل سلا ، ورسم مركز القلعة الثانية على بعد من قصبة سيدي موسى ، واختار المكان وراء ربوة رملية لاخفاء القلعة عن مرمى العدو من البحر ، وأخذ المهندس ينتظر الجواب للبدء في العمل ، لكن جاءه أمر من سفارته بأن يكف عن العمل نظراً للتوتر في الجو السياسي ، وهكذا لم تبن سوى قلعة واحدة من تسع قلاع كان من المقرر بناؤها .

ـ توالت الاضطرابات في السياسة الخارجية ، زيادة على الاهوال التي كان يعيش فيها المغرب بسبب ظهور « أبي حمارة » ، والتشويش في أحواز وجدة وتازة وأيضاً في ناحية مراكش .

ـ وظهرت حوادث أخرى وانقلابت في جو السياسة الخارجية بمجيء جلالة ملك ألمانية الى طنجة لزيارة ملكنا مولانا عبد العزيز ، وأدت هذه السياسة الى اعلان رغبة ملكنا في عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء باسبانية سنة 1906 .

ـ انتهى ما كتبه السيد الحسين الزعري عضو
البعثة المغربية الثانية الى ايطالية بتصرف .

ومن ذيول هذه المذكرة الرسالة الحسنية التالية : [1] .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

« خديمنا الارضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد اخبرني باشدور الطليان ، أن المتعلمين الاثني عشر من أهل الرباط وسلا لم توجد فيهم قابلية للتعلم لكبر سنهم ، فكلفناه بتوجيه نائبه لك بقصد انتخاب أربعة من أنجب ولدان أهل سلا ، الذين سنهم من الاثنتي عشرة سنة الى الثلاث عشرة سنة .

فاذا وجهه لك فنأمرك أن تحضر له عدداً منهم من السن المذكور لينتخب منهم الاربعة ، وحيث ينتخبهم أبقهم تحت يدك ، ووجه لنا زمام أساميهم لنأمرك بما يكون فيهم .

وقد كتبنا لعامل الرباط بأن يحضر له عدداً من أنجب ولدانها من السن المذكور ليتنتخب منهم ستة ، والسلام ، في 9 صفر ، عام 1304 » .

* * *

نعقب ـ الآن ـ بالاشارة الى بعثة حسنية كان فيها محمد بن عمر الرباطي ، ففي عام 1891/1308 توجه الطالب المغربي ـ وهو لا يتجاوز 14 سنة ـ إلى إيطاليا ، فالتحق بالمدرسة الثانوية الدولية في مدينة طورينو ، فقضى بها خمسة أعوام .

وفي سنة 1896/1313 : انتقل الى المدرسة العسكرية للخيالة العصرية بايطاليا ، الى أن احرز منها على شهادة التكوين في العمل التطبيقي لنظام جيش الخيالة .

ولما عاد الى المغرب ، شغل إطارات عسكرية ومدنية ، الى أن توفي سنة 1958/1377 .

شكل — 7

محمد بن عمر الرباطي

12 الترجمة الى العربية

أصبح من المحقق أن حركة الترجمة الى العربية وجدت في هذه الفترة ، وتناولت الفلك والرياضيات وبعض الموضوعات العسكرية ، وحسب المترجمات الآتية ، فان بعضها وقع بمشاركة من محمد الرابع ، كما كان مثقفون مغاربة يقومون بعمل شخصي في هذا الميدان .

أولاً : باشراف محمد الرابع :

حسب افتتاحية « الجامع المقرب » آتي الذكر ، فان هذا الامير يعلن أن بلاطه ـ أيام ولايته للعهد ـ كان يضم نخبة من كل عارف بالالسنة والاقلام ، وتثبت بعض المصادر الاوروبية [1] قيام هذا الامير بتعريب بعض الكتب العلمية ، مثل كتب نيوتن [2] في علم الفلك ، على يد ترجمان انجليزي من مالطة اعتنق الاسلام ، وقد تكون مصلحة هذه الحركة التعريبية معدودة من ملحقات مدرسة المهندسين بفاس .

واذا كنا لا نزال لم نقف على مترجمات كتب نيوتن الآنفة الذكر ، فقد أصبح معروفاً لدينا ترجمة أخرى، أشرف عليها الأمير الشاب، وتناولت تعريب كتاب لفلكي فرنسي :

---

(1) « تاريخ المغرب » للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ـ ج 2 ص 65 .

(2) اسحاق نيوتون Isac Newton : 1643 - 1727 ، فيلسوف انكليزي ، وعالم في الحساب والفيزيا والفلك ، انظر « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1872 ، وهذا هو مؤلف الكتاب المعروف باسم « الفلسفة الطبيعية ومبادىء الرياضيات » .

« جوزيف جيروم لالاند » ، وهي التي نتحدث عنها فيما يلي :

الجامع المقرب ، النافع المعرب :

هذا هو العنوان الذي وضعه السلطان محمد الرابع للترجمة المغربية التي نتناول حديثها ، وأول ما يلاحظ في هذا الصدد : أن اسم المؤلف الأصلي للكتاب المترجم غير وارد لا في مدخل هذا الكتاب ، ولا في مقدمة الترجمة ، وانما جاء آخر السفر الأول : « تم السفر الأول من كتاب لالاند » ، ولا شك أنه يقصد به الفلكي الفرنسي الشهير : « وجزيف جيروم لالاند » ، من أهل باريز 1732 م «1144-1145 هـ » ـ 1807 م[1] « 1221-1222 هـ » .

كما يقصد بالكتاب : التأليف الذي وضعه هذا بالفرنسية في علم الفلك الحديث ، وجعله حسب الارصاد الجديدة ، وعلى حساب خط نصف النهار المار بباريز .

والمؤلف يذكر في مدخل الكتاب أنه ثمرة لخدمة أربعين سنة ، ولكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة ، كما أن تقدم هذا العلم أفاده أفكاراً كثيرة وجديدة ومبتكرة في هذا الصدد .

فلما رأى الناس مفتقرين الى تأليف موسع في هذا العلم ، أقدم على جمع ما كان مشتتاً من محصول علم الفلك في كتاب واحد ، دون أن يترك شيئاً ـ أصلاً ـ من فروع هذا العلم المتسع المجال ، حتى يسد الفراغ البادي في المؤلفات القليلة السابقة ، وحتى يعيد الطريق لطلاب هذا العلم ، وقد اجتهد في توضيحه لتأتى قراءته دون شيخ يدرسه ، ولا شارح يشرحه .

وهو قد أعرض فيه اعراضاً كلياً عن المسائل القليلة الاهمية ، ولكنه اهتم بالمسائل التي لها تأثير أعم في باقي التآليف ، وكذا فيما كان جديداً قليل المعلومية .

---

(1) « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1542 .

وحسب هذا المدخل ـ أيضاً ـ فان الكتاب ظهر في ثلاث نسخ : الأولى : سنة 1764م « 1178هـ » .

الثانية : سنة 1771م « 1186هـ » في ثلاثة أجزاء ، وقد ترجمت الى بعض اللغات ، ونقل زيجها الى اللسان التركي .

الثالثة : هي هذه التي نتحدث عن ترجمتها ، وقد كان رصدها الاخير سنة 1793م «1208»هـ .

ومن تتبع أبواب هذا التأليف ، يتبين أنه ـ بعد المدخل ـ يتكون من 24 كتاباً تشتمل على 4200 مسألة :

الكتاب الأول : في أصول علم الفلك .

الثاني : أصالة علم النجوم وأخباره .

الثالث : الكواكب الثابتة وصورها .

الرابع : في مبنى علم الكواكب ، ويقصد بهذا : المباحث الاصلية التي لها تأثير في باقي هذا التأليف .

الخامس : في مذهب العالم ، والمراد بالعالم هنا سائر الافلاك ، وبه ينتهي السفر الأول .

السادس : في علم الكواكب .

السابع : في القمر .

الثامن : حصة الجوامع .

التاسع : في اختلاف المنظر .

العاشر : في استخراج الخسوفات .

الحادي عشر : مرورات الزهرة وعطارد على الشمس .

الثاني عشر : انكسار الأشعة التنجيمي .

الثالث عشر : آلات التنجيم .

الرابع عشر : في العمل بالآلات وكيفية تعاطي الرصد . وبه ينتهي السفر الثاني .

الخامس عشر : عظم الأرض وشكلها .

السادس عشر : وهو مشتمل على حركة الاقبال واختلاف المنظر السنوي للثوابت ،وتغير الميل الكلي، والتزحلق الخاص بكواكب مختلفة .

السابع عشر : حركة النور والمحورين .

الثامن عشر : علم الفلك الخاص بالندماء أو التوابع .

التاسع عشر : ذوات الذوائب .

العشرون : استدارة حركة السيارات وكلفها .

الواحد والعشرون : حساب الفضلية والمتمة مطبقاً على علم الفلك .

الثاني والعشرون : الثقل والقوة الجاذبة .

الثالث والعشرون : وهو في التريقونومطرية : الخطية والكرية : « حساب المثلثات » .

الرابع والعشرون : كيفية استخراج مسائل علم الفلك بالحساب بواسطة الارصاد براً وبحراً ، وعنده ينتهي السفر الثالث والاخير من الكتاب .

هذا هو التأليف الذي قام بتعريبه جماعة من التراجمة تحت اشراف « محمد الرابع » ، وتم تعريبه ـ حسب آخر السفر الثالث ـ في 28 رمضان عام 1268 هـ « 1852 م » .

ويجدر أن نذكر هنا أن هذا الامير كتب مقدمة للترجمة العربية ، وأدرجها فيما بين مدخل الكتاب والباب الأول ، وفيها يذكر حكم النظر في علم النجوم ، ويبين قيمة الكتاب المعرب . كما يتحدث عن ترجمته تحت اشرافه واصطلاحات الترجمة ، ثم يختتم

بتسمية هذا الموضوع بـ « الجامع المقرب ، النافع المعرب » ، وهذا ما يهم من مقدمة الترجمة العربية :

« . . . أما بعد : فيقول العبد المتوكل على الله ، المعتصم في جميع أموره بمولاه ، محمد بن أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام . .

انني لما نظرت في هذه العلوم الرياضية ـ التي منها الحساب والهيئة والهندسة ، وهي ابراز الحساب من الكم الى الكيف ، وابراز الهيئة من القوة الى الفعل ، وغايتها المجسطي ـ وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لا يكون بمجرد التقليد فيها . .

ولما كان ذلك لا بد فيه من الرصد للاجرام العلوية ، ومشاهدة امكنتها من أفلاكها ، ومقادير حركاتها في الازمان المختلفة ، وكان الرصد المذكور في بلادنا وزماننا متعذراً أو متعسراً ، ولكن ما لايمكن كله لا يترك كله ، بحثنا من أجل ذلك ـ لا جرم ـ كل البحث عن أقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتاباً حفيلاً عجيباً جامعاً لكل ما يحتاج اليه الناظر في هذه الصناعة ، بحيث لا يتوقف على غيره من الاوضاع ، ناهيك من كتاب لا يدرك وصفه الواصف بمقاله . . مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات . . والتوقيف على كل العويصات وكشف الخفيات ، وتأييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية ، والاشكال الهندسية ، والأمثلة العددية ، والاقيسة الجبرية ، ورد الفروع الى أصولها . . . ثم أخذ ما وافق العيان والرصد الجديد ، والغاء ما دون ذلك ، . . الا أنه باللسان والقلم الاعجميين ، لان مؤلفه رومي من أهل بارز « كذا » وكان رصده الاخير سنة 1793 بالتاريخ المسيحي .

وكان من فضل الله علينا أن حضرتنا العالية بالله تعالى ، قد احتوت على جماعة وافرة ، ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، ربيناهم في خدمتنا أحسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا أكمل تصفية ، وأطلعناهم لمكان التخصيص على أسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون بأطيب الطعوم ، حتى أصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ، ومطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة

والاقلام ، متهيء لاكتساب الكمالات بالاستعلام ، فأمرناهم بتعريب الكتاب المذكور ، واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عناية الى ذلك ، ودأبوا عليه آناء الليل وأطراف النهار مدة مديدة ، مع معاناة أكيدة ، ومشقة شديدة ، وكل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح ، ونرجح منها ما هو داع الى الترجيح ، حتى برز ـ بحمد الله ـ في أحسن الصور وأجلها ، وأتم الوجوه وأكملها . .

فاذا علمت هذا ، فاعلم أننا ترجمنا هذا الوضع المبارك : بـ « الجامع المقرب ، النافع المعرب » .

لم تكن هذه الترجمة معروفة من قبل ، حتى ظهرت بالمكتبة الملكية بالرباط ، التي تتوفر على نسختين اثنتين : الأولى تامة ، وهي تحمل رقم 2682 ، وتقع في ثلاثة أسفار :

الأول : به ورقات 409 ، منها 16 ورقة في مدخل المؤلف ، وثلاث ورقات ـ تقريباً ـ في مقدمة الترجمة ، خط مغربي حسن ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع فراغ في أكثر الجداول ، وبياض في بعض الصفحات ، وجاء في آخره : « تم السفر الأول من كتاب لالاند » .

الثاني : به ورقات 309 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول مصحح ـ يسيراً ـ بالهوامش ، مع بياض في بعض الصفحات . الثالث : به ورقات 272 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع بياض في بعض الصفحات .

مسطرة الاسفار الثلاثة 29 ، مقياسها 220/330 ، وهي ـ كلها ـ عارية عن تاريخ الترجمة والنسخ .

النسخة الثانية : تشتمل على السفرين : الثاني والثالث ، وتحمل رقم 5405 ، بها رسوم في الصفحات البيضاء في الثاني والثالث من النسخة الأولى ، ويذيل سفرها الثالث بتاريخ الفراغ من الترجمة : 28 رمضان ، عام 1268هـ .

وبعد هذا نعيد النظر في مقدمة الترجمة ، لنرى فيها التعريف بقيمة التأليف المترجم في دراسة علم الفلك الحديث ، وسنجد تأييداً لهذا التنويه بنفس التأليف ، يقوم به فلكي مصري : هو الشيخ حسين زايد ، مؤلف « المطلع السعيد ، في حسابات الكواكب على الرصد الجديد » ، فقد جاء في خطبة هذا الكتاب[1] :

« وكان الاعتماد في أخذ غالب أصوله على زيج لالاند الشهير ، لما فيه من الدقة وزيادة التحرير » .

وهذا كله يجعل لتعريب تأليف لالاند أهمية بالغة ، ولو أعيد النظر في هذا التعريب ونشر في عصره ، لكان المغرب قد أسدى الى رجال الفلك العرب يداً لن تنسى ، وهنا لا أتمالك أن أتساءل ـ ومعي بدون شك عدد من القراء ـ عن السبب الذي حال دون مراجعة هذه الترجمة ونشرها ، على مسيس الحاجة لها حينئذ بالخصوص .

وهناك أهمية أخرى لهذه الترجمة حيث انها تقدم مثالا ناطقاً لاحدى مظاهر الانبعاث العلمي الذي حاوله محمد الرابع .

وفوق هذا . فان مقدمة الترجمة تمدنا بتلميحات عن نشاط العلوم الرياضية في بلاط الامير الشاب ، الذي صار « مطافاً للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام » ، ومن سوء الحظ أن لا يعرف ـ لحد الآن وبالضبط ـ ولا واحد من هؤلاء العلماء .

هذا ومن تمام حديث هذه الترجمة المغربية ، أنها بعدما تحدثت عنها مجلة « دعوة الحق » في العدد التاسع والعاشر من السنة الثامنة[2] ، عادت نفس المجلة في العدد السادس والسابع من السنة التاسعة ، فنشرت ـ ص 148 ـ عن صدى هذه الترجمة ما يلي :

---

(1) « المطبعة البارونية » بمصر عام 1304 هـ ـ ص 3 .

(2) في بحث لجامع هذه الدراسة أدرج معظمه هنا . وقد كان عنوانه : « الجامع المقرب النافع المعرب : ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية في ثلاث مجلدات » ـ ص 107 - 110 .

«من الهند: كتب الينا الأستاذ محمد أبو الجلال عميد الكلية الاسلامية رسالة ينوه فيها بمجلة دعوة الحق . . ومما جاء في كلامه :

قرأنا في مجلتكم الغراء ما جاء فيها من التعريف بكتاب الجامع المقرب ، النافع المعرب : جاء هذا التعريف في العدد التاسع والعاشر من المجلة ، فاشتاقت قلوبنا إلى مطالعة ذلك الكتاب لنستفيد منه ، ونحن في حاجة ماسة الى نيل ذلك الكتاب وغيره في مادة الفلك ، لعله يساعدنا في تدريس علم الفلك في كليتنا » .

ثانياً : التطـاري

وهو محمد بن العربي التطاري الفاسي ، وقد وضع ترجمة سماها : « رياض الأزهار التعليمية ، في الأعمال اللوغاريتمية » ، قال في أولها :

يقول كاتبه أبو عبد الله التطاري : الحمد لله المدبر الحكيم ، رفيع الدرجات ذي العرش العظيم . . وبعد فهذا تأليف لطيف ، وجيز ظريف ، في علم أعمال لوغاريتمية ، اختصرته من الأعجمي الكبير ، وجعلته في غاية الاتقان والتحرير ، واقتصرت على أمثلته في الغالب . . ورتبته على مقدمة وثلاث مقالات ، في كل مقالة أربعة أبواب :

المقدمة : في معرفة الاصطلاحات المستعملة به . .

والمقالة الأولى : في «1» ـ الحساب الأعشاري ، و «2» ـ شرح أعمال جيبية ، و «3» ـ الهندسة العملية ، و «4» ـ معرفة بيت الابرة .

والمقالة الثانية : في «1» ـ معرفة السنة العجمية ، و «2» ـ شرح الجداول ، و «3» ـ الكلام على القوس ومعرفة الارتفاع ، و «4» أشياء من علم الفلك .

والمقالة الثالثة : في «1» ـ معرفة الدائر وفضله بارتفاع الشمس ، و «2» ـ العمل بالكواكب الثابتة ، و «3» ـ معرفة حصص الأوقات ، و «4» ـ استخراج عرض البلد وطوله ، وهي مذيلة بجداول لوغاريتمية .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم 573 ، من ص 16 ، الى ص 84 ، عدى الجداول ، مسطرة مختلفة ، مقياس 185/215 ، مكتوبة بخط المترجم ، وهو خط مغربي مجوهر حسن سريع ، يتخلله الضرب والالحاق .

وكما رأينا أولاً ، فقد سمي المترجم في طالعة الترجمة أبا عبد الله التطاري ، ولا شك أنه محمد بن العربي التطاري ، حسبما جاء بخطه آخر نسخة من المقامات الحريرية فرغ من كتابتها في 23 شعبان ، عام 1288هـ/1871م . « المكتبة الملكية » بالرباط ، رقم 71 ، كما سمي في مخطوط آخر بمحمد بن العربي ابن تطاري ، « نفس المكتبة » ، رقم 304 ، ويوجد في فاس بيت « بني بتطاري » ، ورد ذكره في « زهر الاس ، في بيوتات فاس» لأبي محمد عبد الكبير بن هاشم الكتاني[1]، فعلى هذا يكون المذكور فاسي البلدة ، وفي « الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام »[2] وردت ترجمة مقتضبة له قال فيها :

« محمد بن العربي التطاري ، الفقيه ، النقاد ، البحاث ، المحقق ، كان مفتياً بمراكش ، وقفت على بعض فتاويه المحررة في قضايا عام 1282 . . » ولم يذكر تاريخ وفاته الذي لا يزال غير معروف .

ثالثاً : أحمد بن عبد الله

هناك ترجمة لرسالة باللغة الفرنسية ، في طريقة العمل بآلة حسابية « اريتمومتر » Eritmométre وقد جاء في افتتاحيتها :

« الحمد لله الذي جعل مفتاح علوم الرياضيات علم الحساب . . وبعد : فهذه ترجمة رسالة على آلة حسابية ، من اللغة الفرنساوية الى اللغة الشريفة العربية ، ترجمتها بالمعنى ، وتصرفت فيها بعض التصرف ، بأن حشيت « يقصد تحاشيت » ما لا طائل

---

(1) خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1 ص 327 .
(2) ج 6 ص 46 - 47 .

تحته ، وزدت أمثلة زيادة في الايضاح ، ونبهت على نكت أغفلها في الأصل ، واقتصرت على مجرد التحصيل والافادة ، ورتبتها على مقدمة وخمسة فصول :

المقدمة : في رسوم الآلة ، والفصول : في أصول الحساب الخمسة : الجمع ، والطرح ، والضرب ، والقسمة ، وجذور الأعداد الصحيحة » .

فرغ من تعريبها يوم الأربعاء 5 حجة عام1291 هـ «1875 م » ، وهي خالية من اسم المترجم ، وقد ذيل آخرها بطابع نقش بداخله اسم « أحمد بن عبد الله » ، فهل هذا هو اسم مترجم الرسالة ؟ أو انما هو اسم مالكها ؟ وهل يكون هو أحمد بن عبد الله الصويري المتكرر الذكر ؟ .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 1738 في 11 ص . علاوة على صفحة أولى تحمل رسم الآلة المعنية بالرسالة المترجمة : « اريتمومتر » ، مسطرة 14 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي واضح مستحسن .

رابعاً : مترجمات مغربية مجهولة المترجم ، وهي :

أ ـ « **تطبيق الجبر على الهندسة** » ، قال في أوله : « الحمد لله الذي خلق الانسان وأبدع فيه حكمته . . وبعد : فالقصد بهذا التقييد تعريب تأليف عجمي جديد ، مضمنه تطبيق الجبر على الهندسة ، والتبرهن عليه بالكم المتصل ، المتضمن للأشكال الهندسية ، والمثلثات الكيفية » .

رتبه على مقدمة في بيان مصطلحه ، وثلاثة كتب ، وتذييلات ، ووزع ذلك كله على 195 فصلاً ، كما وضحه برسم 76 شكلاً هندسياً على الهوامش ، وقد جاءت موضوعات الكتب الثلاثة وذيولها هكذا :

الكتاب الأول : في الكلام على حل المثلثات القائمة ، ثم حل المثلثات المائلة .

الكتاب الثاني : في علم مساحة المثلثات الكرية ، وتسمى بلسان العجم : « الطريقنومطرية » الكرية .

الكتاب الثالث : في تطبيق الجبر على الهندسة .

وذكر في التذييلات أوائل مبادىء تطبيق الجبر على الأسطحة المحدبة ، وعلى المحدبات ذات تحديب مضعف .

وأخيراً ختم بتنبيهات علق فيها على مواضع من التأليف .

وكما لم يعرف اسم المترجم ، كذلك لم يذكر اسم مؤلف الكتاب المعرب عنه ، وإنما أحال هذا الأخير على موضوع له يسميه « كتاب تمام مبادىء أصول الهندسة » ، ص 92 ، كما أحال على تأليف آخر له في « الحساب الفضلي والتميمي » ص 246 و 472 .

من هذه الترجمة نسخة في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 995 ، في 472 ص ، مسطرة 16 ، مقياس 180/212 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول ، خال من تاريخ الترجمة والنسخ واسم الناسخ ، وتتخلله الحاقات بالأصل والهامش مكتوب بعضها بخط مغربي مغاير .

ويوجد بالهامش ـ أيضاً ـ شيء من التعاليق ، بخط مغربي مغاير ، وبالحبر في الأكثر ، وبعضها بقلم الرصاص ، وهي تتضمن بعض اصلاحات وتكميلات للأصل ، وهذا كله يدل على أن هذه الترجمة قد نقحت من طرف آخر ، وقد تكون وقعت تحت اشراف محمد الرابع .

وهناك نسخة أخرى من هذه الترجمة ، بالمكتبة الملكية أيضاً رقم 135 ، ويبدو أن هذه أصل لسابقتها .

ب ـ « **العمل بالجداول اللوغاريتمية** » ، شرح فيه مترجمه المجهول الاسم 57 جدولاً دون أن يثبتها ، وإنما اكتفى ببيان طريقة العمل بها ، وهو يبتدىء بشرح الجدول الأول دون أن يذكر أن هذا الموضوع أصلي أو مترجم ، ويتبين أنه معرب من هذا التعبير الوارد ـ ص 27 ـ حيث جاء فيه :

« قلت : وهذا الجدول حسبه كابريت فأحضره ـ احساناً ـ للمؤلف بقصد ادخاله في هذا التأليف » .

منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 850 ، من ص 21 الى ص 132 ، مسطرة 17 ، مقياس 190/240 ، مكتوب بخط التطاري السابق الوصف ، وهو هنا مجدول .

« ج ـ « **وصف قوس الزجاج والعمل به** » ، ويقصد به القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان : Sextant أو « سدس هدلي » .

وهو ـ أيضاً ـ مجهول المترجم الذي يفيد أن هذا الموضوع معرب لما ينقل تعليقات لمؤلف الأصل المعرب عنه ص 153 ، 155 ، 165 .

وقد استهله بمدخل عرف فيه بالقوس المعنية بهذه الدراسة : فذكر شكلها وأجزاءها ، موضحاً اسم ووظيفة كل جزء ، وبعد هذا تخلص للموضوع الذي شرحه حسب العناوين التالية :

ـ تعديل السكست « حسب تعبير المترجم » .
ـ معرفة خطأ المري .
ـ العمل بالسكست .
ـ رصد بعد ما بين القمر وثابت أو متحير .
ـ الأفق المصنوع.
ـ معرفة الطول من الأرصاد .

وهو يخلل هذه الدراسة بالاحالة على رسوم توضيحية لم توضع في هذه النسخة بالرغم عن ترك بياضات لبعضها .

منه نسخة بالمكتبة الملكية ضمن المجموع الآنف الذكر ، رقم 850 ، من ص 133 الى ص 168 ، نفس مسطرة ومقياس وخط الترجمة الأخيرة ، مع بياض يسير في الكتابة ، وفي مواضع بعض الرسوم .

د ـ **رسالة في موضوع** : « **ربع هدلي** » ، وهو غير قوس السدس السابقة ، قال

في « العروس البديعة في علم الطبيعة » : وبعض الآلات من هذا الجنس يجعلون هذا القوس فيها ربع قائمتين ، ويسمونها « ربع هدلي » ، ويقسمون السدس الى 120 ، فتكون كل درجة كناية عن نصف درجة . . وهكذا سيتحدد موضوع هذه الرسالة الرابعة التي جاء عنوانها كالتالي : « رسالة في طريقة استخدام قوس هدلي » .

ودون سابق خطبة أو تخصيص عنوان مضبوط ، يبتدىء المترجم بتعريف تركيب الربع الذي يعبر عنه بالقوس ، وينتقل ـ بعد هذا ـ الى موضوع تعديل القوس ، ورغماً عن عدم ذكر الباب الأول يأتي الباب الثاني ، ليتناول وضع زجاجة الأفق على موازاة زجاجة المري الأصغر .

الباب الثالث : في وضع الزجاجات الأفقية التي في مقدم الرأس قائمة على سطح الأفق .

الباب الرابع : وضع الزجاجة الأفقية التي في الضلع اليسرى من الربع قائمة على زجاجة المري .

الباب الخامس : وضع الزجاجة الأفقية المذكورة على سطح الربع .

وبعد هذا تأخذ الرسالة في ترجمة عمليات استخراج المطالب الفلكية بواسطة « ربع هدلي » ، مع تحليل ذلك بأمثلة تدريباً للطلبة أو ارتياضاً .

والرسالة محفوظة بالمكتبة الملكية تحت رقم 10381 ، ص 53 ، مسطرة مختلفة : بين 20 ، 21 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي حسن مجوهر يترجح أن يرجع الى عهد السلطان محمد الرابع ، وهو عار عن تاريخ التأليف والنسخ واسم المؤلف والناسخ .

هـ ـ «قطعة في مبادىء الكيمياء والطبيعيات وما الى ذلك»، وهي معربة عن تأليف عجمي حسب تعبير المترجم المجهول الذي لم يوضح اسم الكتاب المنقول عنه ولا واضعه ، وانما ورد أثناء القطعة أن مؤلف الأصل يحيل على كتابين من تأليفه : أحدهما يسمى : « كميات الطب » ، والثاني : « فرجة الطبيعيات » .

يتناول الموجود من هذه القطعة مبادىء الكيمياء والطبيعيات ، مع أوائل البحث الذي يعرض شيئاً من خواص بعض الحيوان والنبات ، وضاع من الترجمة ما بعد ذلك .

وأسلوب الترجمة مهلهل التعبير ، وتتخلله كثير من التسميات العامية المغربية .

يقع الموجود منها في 55 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 115/180 ، خط مغربي سريع ملون خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ .

و ـ « قطعة في التنظيم العسكري » ، وتعرب الباب الرابع من كتاب موضوعي لم يذكر عنوانه ولا اسم مؤلفه ، ويقول المعرب المجهول : ان ما قبل هذا الباب ليس فيه فائدة ، فلذلك بدأ الترجمة من الباب الرابع الذي يتناول ما يجب ـ أولاً ـ على الداخل للجندية .

وهو الباب الوحيد المعرب ، في 11 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 180 / 115 ، نفس خط الترجمة الأخيرة ونفس أسلوبها ، مما قد يتبادر منه أن مترجمها ـ معاً ـ معرب واحد ، والقطعتان من محفوظات خزانة كاتب السطور .

ز ـ «ترجمة برنامج كتاب في فن المدفعية » ، وقد سمى الكتاب ـ حسب هذه الترجمة ـ « التفكير في عمل ما يصلح للطبجية » ، وهو موضوع بالفرنسية ، ولم تهتم الترجمة الا بتعريب عناوين مقالاته البالغة 21 مقالة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية ضمن مجموع يحمل رقم 124 ، من ص 71 الى ص 82 ، مسطرة 24 ، مقياس 235 / 195 ، خط مغربي لا بأس به سريع ، خال من تاريخ النسخ واسم المترجم والناسخ .

والى هنا يكون هذا البحث قد استعرض عشر ترجمات مغربية ، وكما هو واضح ، فان هذه الترجمات لا تزال بحاجة الى دراسة ، بما في ذلك مقارنتها بالأصول المعربة عنها ، مع ملاحظة أنها كانت محاولات أولى في هذا الصدد ، وهذا كله ما ادعه للمتضلعين في اللغتين المعرب بها والمعرب عنها .

وأخيراً : فان هناك ترجمة ادارية كانت تقوم على تعريب لوائح الواردات والصادرات البحرية ، وعلى تعريب توصلات النواب الأجانب ، وقد كانت هذه المعربات تسجل في دفاتر على حدة ، ورد ذكر عدد منها أثناء لائحتين رسميتين تضمنهما « سجل مخزني » : [1] اللائحة الأولى : تشتمل على ما بداخل صناديق سبعة من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية في أوائل قعدة ، عام 1311 هـ ، والثانية تشتمل على ما بداخل صناديق «13» من الكنانيش والأوراق والتقاييد وغير ذلك ، مما دفع لامناء البنيقة المراكشية في أواسط ربيع الأول ، عام 1318 هـ .

(1) هو نفس السجل الذي اقتبست منه هذه الدراسة عند ص 45-47 . .

13 موضوعات فلكية جديدة

في هذا الباب نذكر موضوعات فلكية جديدة ، ساهمت ـ بدورها ـ في هذه الانبعاثة ، ففي هذه الفترة عرف المغرب بعض الأعمال اللوغاريتمية ، ويبدو أن لعبد الرحمن العلج ـ المتكرر الذكر ـ يدا في هذا ، حيث عرب بعض مسائله[1] فأفادت المغاربة الى جانب المعربات والمؤلفات الشرقية .

وفي هذه الفترة قام مغاربة بابتكار أكثر من آلة فلكية جديدة ، وسنعرض لها فيما بعد، كما دخل للمغرب أجهزة حديثة في الفلك والرياضيات: مثل القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان Sextent [2]، والآلة الحسابية المعروفة بأريتمومتر[3] . Eritmométre.

والركلة العجمية حسب التسمية المغربية[4] : « مقياس جنتر » .

والى هذا العصر ـ أيضاً ـ ترجع بعض تجديدات فلكية متنوعة ، وهكذا نفحت حصص أوقات الصلوات حسب عروض المدن المغربية التالية :

---

(1) سيرد ذكر هذا عند الاسم رقم 4 .

(2) هذا يوخذ من الترجمتين المغربيتين آنفتي الذكر عند رقم ج و . د .

(3) أنظر الترجمة التي قام بها أحمد بن عبد الله في هذا الصدد.

(4) هناك رسالة في طريقة العمل بهذه الآلة ، وضعها فلكي مراكشي : أحمد بن محمد الحوزي التجاني أواخر سنة 1934 م / 1353 هـ ، وسماها : « ايضاح الأدلة ، في مراصد الركلة » ، منها نسخة خاصة ضمن مجموع: من ص 164 الى ص 251 ، والغالب أن هذه الركلة هي نفس « مقياس جنتر » ، انظر « الموسوعة العربية الميسرة » ، ص 649 .

ـ حصة على عرض فاس ، من عمل موقتها الحاج محمد بن الطاهر الحبابي[1] مار الذكر .

ـ حصة على عرض تطوان ، عمل الميقاتي محمد بن الفقيه الملقب بريدة الأندلسي التطواني ، المتوفي بعد 1280هـ/1863 — 1864 م[2] .

ـ حصة على عرض مراكش ، على يد موقتها محمد الطائع الجنان المكناسي ثم المراكشي ، المتوفي بعد1290هـ/[3]1873 - 1874 م .

ـ حصة على عرض الرباط، عمل الموقت عبد الرحمن بن عبد الله لبريس الرباطي ، المتوفي عام1307هـ/[4]1890 م .

وفي مكناس نذكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطالب الحسني الأمراني ، كان بقيد الحياة عام 1306 هـ / 1888-1889م، وقد وضع رسالة دقق فيها استخراج المطالب التوقيتية المتعلقة بحصص أوقات الصلوات في عروض فاس ومكناس وسلا والرباط ، وسماها : « الياقوتة العصماء ، في معرفة أوقات الصلوات لمناجاة الاه أهل الأرض والسماء » .

رتبها على مقدمة ومقصد جامع لمطالب عشرة من أصول هذا العلم ، وأخيراً : خاتمة مذيلة بتقريظ للرسالة ـ نثراً وشعراً ـ من طرف محمد بن أحمد اكنسوس المؤرخ المغربي المعروف .

وبعد هذا تذيل الرسالة بثمانين جدولاً لتوضيح المطالب التوقيتية على عروض

---

(1) « زهر الاس ، في بيوتات فاس » ، خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1 ص 354 .

(2) مختصر تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود ـ ص 311 .

(3) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام : القطعة المطبوعة من الجزء السادس ص 56 ، وقد وقفت عليها عند الأستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتاني .

(4) من خط بعض المعتنين بالتقييد من أدباء الرباط .

البلدان الاربعة ، مع جدول ختامي للفروق بين التواريخ المشهورة لمعرفة ما بينها من السنين العربية وأيامها وجملة أيام بسطها .

والرسالة وذيولها بخط مغربي حسن ملون ، في 97 ص من حجم متوسط ، منها 16 ص لكتابة الرسالة ، والباقي : 81 للجداول ، وفرغ من تأليفها اوائل ذي الحجة عام 1278 هـ/ 1862 م ، منها نسخة أثناء مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3817[1] .

* * *

وإلى جانب هذه الحصص الميقاتية نشطت حركة تخطيط المزاول الشمسية ، وتعرف ـ لحد الآن ـ أربعة أسماء في هذا الميدان :

أولاً : محمد بن محمد الاشخم الزرهوني آتي الذكر ، وهو مخطط رخامتين اثنتين برسم « الزاوية التجانية » بحومة المواسين من مدينة مراكش ، احداهما : بسطحها وهي مبسوطة ، والأخرى : بصحنها وهي منكوسة ، وورد اسم المخطط في الشعر الذي نقش على كل من الرخامتين ، من انشاء مؤسس الزاوية : محمد بن أحمد أكنسوس المؤرخ المعروف ، فقد نقش أسفل الرخامة التي بالسطح ثلاثة أبيات هكذا :

ان اكن في رياض زهر فعندي ... فضل علم للزهر قد أدناني
اجتلي للعيون ساعات يومي ... بلسان الظلال كل أواني
صانعي رافعي محمد فتحا ... ثم ضما[2] وبالعلا « بشراني »

عام 1263

(1) لم يرد ذكر هذه الرسالة في ترجمة مؤلفها من اتحاف أعلام الناس ج 4 ص 262 — 264 .
(2) يقصد أن اسم مخطط هذه الرخامة هو محمد بفتح أوله بن محمد بضم أوله .

ثم طوقت الرخامة الثانية التي بالصحن بالأبيات الثلاثة التالية :

طـرزني محـمـد بـن الاشـخـم طـرز هـمـام عـالم مـعـلم
ألبسـه الـله مـلابس الـرضـى وحفـه بـاللطف فيـما قـد قضى
ومظهـري اذ «الامـان والسـرور أتى» وحيـان بفتـح وسـرور[1]

عام 1268

ثانياً : السلطان محمد الرابع ، حيث يسجل عنه « ابن الموقت »[2] أنـه عارف بطريقة تسطير هذه الرخامات ، وسنستفيد من النص الآتي أنه ينسب لنفس العاهل تخطيط مزولتين بسطح جامع ابن يوسف بمراكش :

احداهما الرخامة المنكوسة الموضوعة بلصق المنار ، وهي للتوقيت طول السنة ، وتشتمـل على وجهـين : شمالي : لـلاشهر السنـة التي تكون فيهـا الشمس بالبـروج الشمـالية ، والآخـر جنـوبي ، لـلاشهـر السنـة التي تكـون فيهـا الشمس بـالبـروج الجنوبية[3] .

أما الثانية : فهي للساعات ، وتعطي الوقت من الساعـة الثامنـة صباحـاً حتى الرابعة مسـاء .

وقد تحدث عن المزولتين ـ معاً ـ أبو حامد البطاوري في كناشة[4] قديمة له ، وقال عن منار جامع ابن يوسف :

« وبأعلى المنار رخامتان مرسـومتان عـلى طريق التـوقيت لاخذ الارتفـاع ، من

---

(1) الأبيات المرسومة على الرخامتين من خط الفقيه السيد أحمد الكنسوسي من علماء مدينة مراكش ،وقد وردت نفس الأبيات عند القاضي الفاضل أبي العباس سكيرج في رفع النقاب ج 2 ص 139 ، غير أنه أدخل تعديلاً على البيت الثالث من نقة الرخامة التي بالصحن ، وما أثبته هو الذي بخط حفيد الناظم .

(2) « السعادة الأبدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ط ، ف ، ج 1 ص 76 - 77 .

(3) ورد ذكر هذه الرخامة المنكوسة في السعادة الأبدية ج 1 ص 77 .

(4) بالمكتبة الملكية ، ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2857.

صنعة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الرحمن أيام خلافته بمراكش فيما يقال ، لأنه كانت له مشاركة ويد في هذه العلوم ، ومكتوب على احدى الرخامتين ـ نقشاً ـ هذه الابيات :

ظهرت ظلالي في ضياء محمد ... نجل الامام المالك ابن هشام
وبرزت كالغيداء فوق صفيحتي ... هذي الخطوط تلوح مثل وشام
وازددت واو السعطف في مراكش ... فزرت بتاريخي بمصر وشام

عام 1267[1]

وعلى الأخرى منقوش هذه الابيات :

خير الملوك كلهم ... محمد نجل الامير
امر أن ترسم لي ... باليمن هذه السطور
ومن يرد تاريخه ... « يجده اوقات السرور »[2]

عام 1267

والآن نذكر أن عبد الرحمن العلج سطر المزولة الشمسية الموضوعة بباب ضريح الشيخ أبي العباس السبتي من مراكش ، مع مزولة أخرى بسطح جامع ابن يوسف ، وثالثه في أعلى برج الريال من نفس المدينة ، وهو ـ أيضاً ـ صاحب المزاول الشمسية التي توجد بداخل القصور السلطانية من فاس الجديد[3] .

---

(1) التاريخ مستخرج من كلمتي « مصر وشام » حسب الطريقة الأبجدية المغربية ، ولا يستقيم الا مع الغاء حساب الحرف المكرر الذي هو الميم ، ومن الجدير بالذكر أن هذا البيت الذي يحمل التاريخ المشار له تعسر ـ اليوم ـ قراءته من الرخامة نظراً لاندثار عدد من حروفه .

(2) التاريخ يستخرج من مجموع الشطر الأخير ، مع الغاء كل من الألف والواو الأخيرين .

(3) « الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام » : القسم المخطوط ، عند ترجمة عبد الرحمن العلج ، مع بعض المشاهدات بالنسبة لمزاولة واحدة ، وسنستشف من هذا المصدر الأخير : أن عبد الرحمن العلج كان قد ساعد محمداً الرابع في عملية احدى مزولتي جامع ابن يوسف .

وفي مكناس كان موقتها الجيلاني الرحالي ـ مار الذكر ـ قد خطط مزولة شمسية مستوية بجانب غريفة التوقيت بمنار الجامع الاعظم ، حيث لا تزال قائمة تحمل تاريخ عام 1286هـ[1] ، وهو الذي قام بتسطير رخامات أخرى : مبسوطات ومنحرفات بفاس القرويين ، وبمدينة جبل زرهون ، مع نواحيها بمساجد الجبل شمالاً وجنوباً ، وبغير ذلك من المدن[2] .

* * *

وهذه قطعة لشاعر فاس محمد الفاطمي الصقلي ، ويظهر من سياقها أنها نظمت لترسم على جهاز ميقاتي قد يكون أسطربالاً ، وهكذا تقول القطعة :

يا ناظراً في حسن شكلي الكامل ... اهنأ فأني بغية للأمل
أنا شبكة من فضة منصوبة ... لغزالة طلعت بنور شامل
عندي دقائق في الجمال فحققن ... في الوقت في حسني وعلو منازل
قد قلت اذ اشرقت في شرف العلا ... تاريخ انشائي يقال الكامل[3]

عام 1298

ومن ملحقات هذا قطعة أخرى للشاعر الكاتب ، الحاج ادريس بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي ، نظمها لترقم على ساعة بيتية وقال فيها :

أنبه صاحبي بلطيف نقري ... واملأ من مؤانستي مكانه
ولي في الوقت تقسيم صحيح ... به حزت التقدم والمكانة
وللاحشاء بالفلك ارتباط ... لذا سميت قدماً بالمكانة[4]

* * *

---

(1) هذا استفدته من بعض المحادثات ، التي تتأكد اذا لوحظ أن المعني بالأمر كان يتولى توقيت نفس الجامع وقت التاريخ المرقوم على المزولة .

(2) ورد هذا بخط أحد تلامذة المذكور ، عند خاتمة نسخة خاصة كتبها من رسالة الكنبوي في الربع المجيب .

(3) من شذرات من ديوانه .

(4) من كناشة للعباس بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي ، خ ، ع ، د 34 36 ـ ص 470 .

ومن الجدير بالملاحظة أن يكون هذا النشاط الفلكي قد انعكس أثره على صياغة الوثائق الرسمية ، وهو ما نقرؤه في هذا الظهير الحسني بتولية موقت مكناس ، ونصه بعد الافتتاح :

« يعلم من شريف كتابنا هذا لا زال كوكبه في فلك السعادة سابحاً ، وسماك عزه في سماء المعالي رامحاً ، اننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، عيناً ماسكه الطالب السعيدي بن محمد المنوني لخطة التوقيت بمنار الجامع الاعظم بمحروسة مكناس ، وقلدناه القيام بوظيفتها المبني ـ في الشرع ـ على أساس ، وأقررناه في ذلك مقر الطالب الجيلالي الرحالي رحمه الله ، وجعلناه في مكانه وأجريناه مجراه ، على أن يسلك في حسن القيام بذلك المسلك المعتبر ، ويجري فيه على الضابط المقصود والشرط المقرر ، ويلازم المقابلة في التعديل بتحرير المناط وتصحيح النظر ، من تعرف الازمنة وأحوالها ، والمواظبة على استخراج المطالب التي تحدث مدة انقلابي الشمس وتنعدم عند اعتدالها ، واستدامة أخذ الارتفاعات ، وارتصاد تفاوت المطالع البلدية بالدقائق والدرجات ، واختلاف الظلال والميل والفضلة والغايات ، لتحقيق تعديل الساعات ، وتقويم مواقيت الصلوات المبنية على عرض البلد ، الذي عليه يعتمد واليه يستند ، مع استحضار ما يراد من تعديل الكواكب والدراري ، المسخرة في المنطقة الفلكية بالقدرة الازلية وتأثير الباري ، عملاً بمقتضى هذه الخطة الرياضية ، وقياماً بمشروع حكمها المتردد بين الفرضية والكفائية ، لقوله تعالى في محكم الكتاب : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا الوقت ولا تكونوا كالذين يؤذنون على آذان بعضهم بعضاً » .

وأذنا له في قراءة الفرائض مع الطلبة بالمنار المذكور كما كان من قبله .

وعليه في ذلك كله بتقوى الله التي هي نتيجة التعديل ، وداعية الاستقامة لاقوم سبيل .

ونأمر ناظر الاحباس الكبرى حينه ، أن ينفذ له من المشاهرة ما كان منفذاً

للرحالي قبله ، والله يلهمه الصواب فيما كلف به وأسند له .

والسلام ، 12 ربيع الثاني ، عام 1309[1] .

* * *

والآن سيستعرض هذا البحث زمرة من الفلكيين المبتكرين والمؤلفين في هذه الفترة .

1 ـ السلطان محمد الرابع

اخترع آلة لاستخراج المطالب التوقيتية ، ووضع في طريقة العمل بها رسالة سماها : « نخبة الملوك لمن أراد الى الاوقات او القبلة السلوك » ، ولا تزال هذه الآلة غير معروفة ، وإنما الموجود هو الرسالة التي تصف خطبتها هذه الآلة هكذا :

« . . اخترعت شكلاً ثابتاً ، شافياً كافياً لما صنف قبله في العروض ، والسموت ، والجهات ، والميول ، والظلال ، والارتفاعات ، والأطوال ، والاوقات ، والقبلة » .

ثم يذكر المؤلف تكليف بعض أصحابه بصنع هذه الآلة طبق تصميم وضعه لها :

« فلقنت عمله المختصر البديع الافخم ، للطالب محمد الاشخم ، المتعين من بعض حذاق أصحابنا في ذلك ، ليتنج منه آلة على نحو الاشارة ، فأنقها وطرزها واتقنها ، ففاقت الرومية الآتية من هنالك ، وقد أسفرت عن وجه التحقيق اللثام ، وتحت الشمس ينسكب الغمام » .

ولم يتوضح هنا شكل هذا الاختراع ، وانما تسميه الرسالة مسطرة عند بيان طرق استخدامه في المطالب التوقيتية ، فيكون شبيهاً بالآلة التي كانت تسمى بالمغرب « الركلة العجمية » : « مقياس جنتر » .

---

(1) من نسخة من أصل هذا الظهير .

والغالب أن هذه الآلة الاخيرة هي المعنية بالمقارنة التي جاء فيها : « ففاقت الرومية الآتية من هنالك » .

والرسالة مفتتحة بمقدمة ذكر فيها من خاض في هذه العلوم من الاعلام ، وحكم الاشتغال بها ، وقد جعله تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة ، مع استعراض أدلة الجواز ، وبعد هذا تخلص للموضوع ، وأخذ في ذكر طرق استعمال هذه الآلة في المطالب التوقيتية .

والمعروف ـ لحد الآن ـ من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الأولى في المكتبة الاحمدية ، والثانية في المكتبة العبد الرازقية بمراكش ، والثالثة في الخزانة العامة بالرباط ، وهي تحمل رقم د 266 ، وتقع في تسع صفحات ، مسطرة 20 ، مقياس 175/230 ، خط مغربي جميل ملون ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ويلاحظ أن النسخ الثلاثة كلها خالية من رسم للآلة المخترعة .

2 ـ محمد بن محمد الاشخم

وهو الذي ورد اسمه ـ قريباً ـ في خطبة « نخبة الملوك » ، حيث تذكر أنه تولى اخراج الآلة الأنفة الذكر ، وهذا لا يزال مجهول الترجمة ، وقد جاء ذكره في وثيقة حبسية مؤرخة في 3 محرم عام 1274هـ/1857م ، [1] وفيها يسمى : محمد الاشخم الزرهوني .

3 ـ محمد بن المفضل ابن كيران الفاسي

ان هذا لم يوقف له على ترجمة ، وانما توجد معلومات متفرقة عنه سيرد ذكرها في هذا البحث ، وقد بقي بقيد الحياة الى أيام السلطان الحسن الاول ، حيث كان يتولى توقيت منار جامع الرصيف بفاس عام 1306هـ ، والمعروف من آثاره هو :

---

(1) الوثيقة واردة في « اتحاف أعلام الناس » ج 5 ص 123 .

أ ـ اخترع « ثمن الدائرة » في الاعمال التوقيتية وغيرها ، واستخدمه بدلاً من « الربع المجيب » المتداول في هذه الاعمال[1] وقد طبع هذا الثمن بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وتفيد قطعة ـ آتية الذكر ـ للمترجم : أنه أضاف لهذا الثمن ضلعاً : ثابتاً ومتحركاً كالأقواس الرومية ، واستغنى بهذا عما يستخدم به الربع المجيب : من الخيط والمري والشاقول ، ولم يطبع هذا الضلع مع الثمن ، وحسب نفس القطعة فقد كان الذي وجه المترجم لهذا الابتكار ، هو أحد الاشراف الوزانيين من أهل فاس ، في عام 1264هـ/1847-1848م .

ب ـ رسالة في طريقة العمل بالجهاز المبتكر ، أشار لها في نفس القطعة ، ولم أقف عليها[2] .

ج ـ اختراعات أخرى مهمة ضاعت بموته ، وقد أشار لها ابن زيدان في « الدرر الفاخرة »[3] ، دون أن يحدد موضوعها .

د ـ « شرح مقدمة في الهندسة المساحية » لداود الانطاكي ، ويوجد من هذا الشرح قطعة من آخره في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د1051 ، وهي خالية من اسم المؤلف ، الذي يعرف بواسطة فقرات من نفس القطعة وردت في مصدر آخر[4] ، ونسبت للمترجم باسم محمد بن المفضل ابن كيران الفاسي ، مع تحليته بالفقيه ، الموقت ، الحيسوبي ، المهندس ، الطبيب .

ومن محاسن هذه القطعة أنها ذيلت بأمثلة من معضلات الصناعة القديمة والحديثة ، حيث يبرهن المؤلف ـ في هذا الصدد ـ على اقتدار هندسي ، وبعد هذا تأتي

---

(1) « الدرر الفاخرة » لابن زيدان ص 96 ، مع قطعة من تأليف للمترجم ستتحدث عنها وشيكاً .

(2) المعروف هو أرجوزة له في نفس الموضوع من صفحة واحدة ، في مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3651 ـ ورقة 127 أ .

(3) ص 96 .

(4) « الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف » ، تأليف أبي محمد عبد الله بن الطيب بن أحمد الوزاني الحسني ، الجزء الثاني ، خ . ع ، ك 2304.

خاتمة الشرح ، وقد ذكر فيها فضيلة علم الهندسة المساحية ، وتحدث عن نهضة علم الفلك ـ بالمغرب ـ في القرن الثالث عشر للهجرة ، ولأهمية الموضوعين في التعريف بالمترجم ، سيكون من المرغوب فيه اثبات النص الذي يتناولهما ـ معاً ـ في ذيل هذا الباب .

وقد بقي ـ بعد هذا ـ أن نذكر أن هذه القطعة تقع في ثمان صفحات ، مسطرة 13 ، مقياس 180/233 ، خط مغربي مجوهر مليح ملون مجدول ، خال من اسم المؤلف والناسخ ومن تاريخ التأليف والنسخ .

هـ ـ « الدرر اللوامع ، في فنون الموقت الجامع المانع » ، درس فيه ثلاثة علوم : الحساب ، والهندسة ، والهيئة ، وقد وضح بعض مسائل هذا العلم الاخير برسوم كروية متنوعة ، كما أدرج في علم الهندسة نص شرحه للمقدمة الانطاكية ، وهو الشرح الآنف الذكر عند رقم د ، غير أنه لم يورد خاتمته بتمامها ، وأخيراً يختم « الدرر اللوامع » بقصيدة في مدح الحسن الاول .

منه نسخة في 62 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، خط مغربي مجوهر مليح ملون مجدول ، وهي بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 1966 .

4 ـ عبد الرحمن العلج

سبق الالمام بترجمته ، ونذكر هنا أن له يداً في نشر العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة بين المغاربة الذين أخذوا عنه بفاس ومراكش وغيرهما[1] ، ومن مؤلفاته :

أ ـ **رسالة في الكرة** ، أولها : « أقول ـ بعد حمد الله والصلاة على رسوله المصطفى ـ أن الكرة لا ينتفع بها من لا يتقن دراسة خواصها .

رتبها على الاعمال ، وذكر في الكرة السماوية 37 عملاً ختمها بالكلام على صور

---

(1) « الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام » : القسم المخطوط ـ عند ترجمة المذكور .

شكل ـــ 8

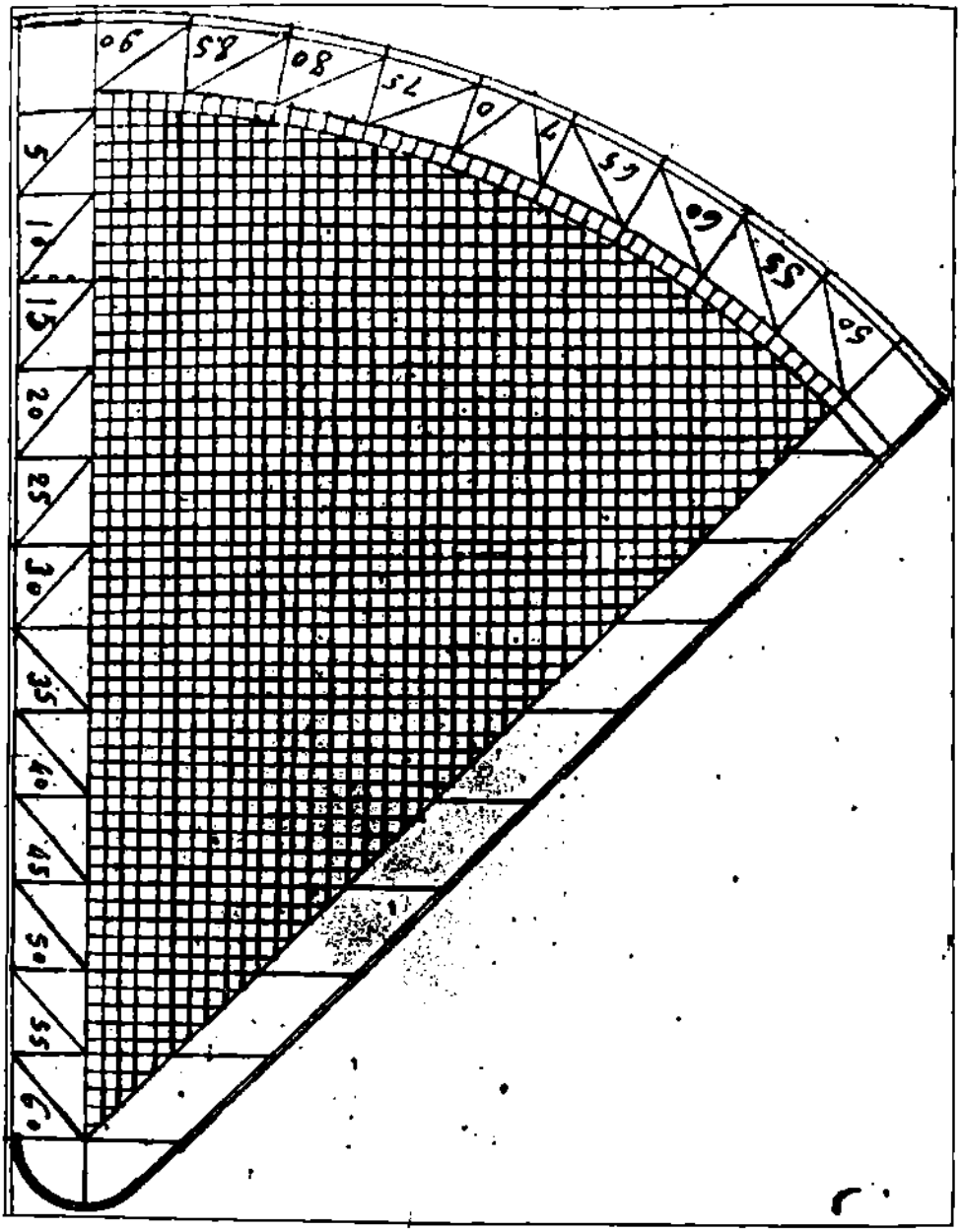

ثمن الدائرة من ابتكار محمد بن المفضل ابن كيران .

الكواكب ، ثم ذكر في الكرة الارضية 34 عملاً ، وتحدث في آخرها على الآلة التي اخترعها كوبيرنيك .

منها نسخة عند موقت مراكش ، العلامة الفلكي الجليل ، محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق ، حيث وقفت عليها بمنزلة عشية يوم الاثنين 13 شعبان عام 1380هـ/ 30 يناير سنة 1961م .

ب ـ « **رسالة في الأعمال اللوغاريتمية** » ، نسبها له في « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام »[1] وفي « منهاج كشف الحجاب »[2] للحسن المشيشي آتي الذكر ، يفيد أن هذه الرسالة تعريب للاعمال اللوغاريتمية .

5 ـ الحسن المشيشي

اسمه الكامل : الحسن بن عبد الرحمن المشيشي المراكشي ، ولم أقف على ترجمته التي يتوقع أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام للقاضي عباس بن إبراهيم ، وقد ألف :

« **منهاج كشف الحجاب ، عن التوقيت والقبلة بالآلة وغريتمو والحساب** » افتتحه هكذا : « الحمد لله الذي جعل السماوات والارض وما فيهن دليلاً على وحدانيته » ، ثم قال :

« هذا تقييد بعض ما يتعلق بالتوقيت بعمل الربع ، والحساب ، وعمل غريتمو . واسطرلاب ، والكرة ، وتسطير الساعات المعتدلة : المبسوطة ، والمنكوسة ، والمنحرفة ، وعمل غريتمو هو المقصود عندي بالذات ، وغيره كالبرهان على عمله » .

ابتدأه بمقدمة في رسوم الربع والاسطرلاب والكرة واصطلاحات غريتمو ، ثم

---

(1) القسم المخطوط أيضاً .

(2) ورقة 88 أ من المجموع الواقع به هذا المصدر الذي ستحدث عنه قريباً .

تخلص للموضوع حيث صنفه في 18 باباً .

منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، أثناء مجموع يحمل رقم د 1423 ، من ورقة 79 ب الى ورقة 127أ ، مسطرة 23 ، مقياس 175/225 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ثم وقفت على نسختين أخريين ، من نفس الرسالة ، وهما ـ معاً ـ بالمكتبة الصبيحية بسلا ، أول مجموعتين رقم 1620 ، ورقم 1622 .

6 ـ عبد السلام الاودي

وهو عبد السلام بن ادريس بن أحمد بن عبد القادر الاودي السبيطي ، ميقاتي الامير محمد الرابع أيام خلافته عن والده ، ويعرف بالفلكي ، لم أقف على ترجمته ، وإنما تعرف له رسالته الآتية وشيكاً ، مع رسالة أخرى في العمل بالاسطرلاب ، وضعها برسم الحسن الاول قبل مبايعته « نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 45 » ، ويهمنا من هذه الأخيرة تاريخ الفراغ منها : في 2 ربيع الاول عام 1288هـ/1871م . وهكذا نستفيد أن المترجم بقي بقيد الحياة حتى هذا التاريخ ، أما الرسالة المعنية بالأمر فقد سماها :

« فتح الملك العلام ، على عبده الذليل الضعيف الاودي السبيطي عبد السلام ، في التوصل إلى معرفة الاوقات بالخيط والقلم » ، جعلها في التوقيت ، وخللها بالهيئة وغيرها وبما تحتاج له من الهندسة ، وهذا هو موضوع المقدمة ، وقد استكثر فيها من الابواب فجعل لكل مسألة باباً تقريباً ، حتى جاءت مرتبة على 120 باباً عدى المقدمة والخاتمة ، وأولها :

الحمد لله فاتح الابواب ، مقلب القلوب مدبر الأمور ومهيء الاسباب .

والجديد في هذه الرسالة بالنسبة لزمنها : انتهاج تستخرج المطالب التوقيتية ـ إلى جانب الربع المجيب ـ بالنسبة اللوغاريتمية ، وقد خصص لهذا الموضوع الأبواب 106 حتى الباب 120 ، ثم جعل « الخاتمة » في الرماية بالمدفع والمهراس ، وصنفها في تسعة

فصول ، وهو يستخدم في بعض مطالب هذه الخاتمة الربع المجيب ، كما يستعمل آلة يسميها الركلة العجمية : « مقياس جنتر » .

فرغ من تأليفها ليلة الخميس متم جمادى الأولى عام 1275هـ/1859م . وقفت منها على نسختين : أهمهما نسخة المكتبة الملكية بالرباط ، وهي تحمل رقم 1040 ، في 64 ورقة ، مسطرة 18 ، مقياس 185/225 ، خط مغربي لا بأس به سريع ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وتتخللها الحاقات بخط مغاير قد يكون خط المؤلف ، وقد صدرت بتقريظ عليها بخط شرقي مليح ، وامضاء عبد الله بن الرئيس علي ، شيخ زمزم ، وصاحب الوقت بمكة المشرفة ، في 19 حجة عام 1275هـ/1859م .

7 ـ السعيد المراكشي

كتب « رسالة في الأعمال اللوغاريتمية » ، ولا تعرف إلا بواسطة حفيده عمر بن محمد بن السعيد ، حيث اقتبس منها فقرات أثبتها بنصها في كتابه : « شد الرحلة » آتي الذكر .

8 ـ أحمد الصويري

وهو المتكرر الذكر في هذه الدراسة ، وكان حسب الاعلام[1] ، عارفاً بالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، وعلم الاحكام الفلكية ، والتعديل ، وتسطير الرخامات ، وعلمها وما يتعلق بها ، وعلم الهيئة ، وقد وضع مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة ، وفي الأعمال اللوغاريتمية ، وحل أشكالاً هندسية ونقلها إلى الأعمال الحسابية .

وهناك بعض أعمال في اللوغاريتم ورد نقلها عن المترجم في المؤلف الآتي الذكر : « الكواكب الدرية في الأعمال اللوغاريتمية » ، أما آثاره فلا يعرف منها سوى :

---

(1) للقاضي عباس بن ابراهيم ج 2 ص 266 - 267.

رسالة في شرح طريقة العمل بجداول اللوغاريتمات ، ويسميها : « غنية الطالب وتذكرة اللبيب ، وأئمد لكل محب وحبيب » رتبها على ثلاث مقالات :

الاولى : في استعمال العدة العشارية ، في الأصول الحسابية ، وفيها مقدمة وثمانية فصول .

الثانية : في انشاء اللوغاريتمات ، وأعمالها الحسابية ، وفيها ثمانية عشر فصلاً .

الثالثة : في وجوه استخراج مطالب الميقات ، وحساب مجاهل المثلثات ، بواسطة اللوغاريتمات ، وفيها ثمانية عشر فصلاً وخاتمة .

كتبها بمكناس ، وجعل حساباتها على عرض نفس المدينة وطولها ، وقال عن تاريخ التأليف : « وكان الفراغ من تقييده بعد زوال يوم الاثنين ، الحادي عشر من صفر الخير ، عام 1278 بمدينة مكناسة الزيتون » . مخطوطة خاصة بها 100 ص ، مسطرة 23 ، مقياس 113/180 .

خط مغربي مجوهر دقيق جميل ، ووقع الفراغ من انتساخها يوم الجمعة 26 من صفر الخير ، عام 1279هـ ، على يد قاسم بن محمد بن قاسم ابن ابراهيم أصلاً التادلي، المكناسي الدار منشئاً حسب تعبير الناسخ .

يتخلل الرسالة جداول ورسوم توضيحية ، على بياض وقع في مكان جدول واحد ، وهناك نسخة ثانية منها ، وقد وقفت عليها أخيراً بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وتقع ثانية مجموع يحمل رقم 1620 .

ومن المصادر الحديثة للرسالة :

- « ثمرة الاكتساب ، في علم الحساب » ، « معرب » .
- مؤلفات اللوغاريتمات الفرنسية والانكليزية .
- كتاب لالاند الفرنسي .
- خرائط جغرافية حديثة .

ومن أفكار مؤلف الرسالة ما يسجله عند الفصل الرابع من المقالة الثانية ، وهو يعقب[1] على ذكر مخترع الجداول اللوغاريتمية ويقول :

« اعلم أن الروم مسبوقون بما ادعوا اختراعه من هذه الاسوس الاصلية والنسب الاساسية ، ولا فضيلة اختراع لهم ، لأن علماء الإسلام ـ أبقى الله بركتهم ـ هم المتكلمون في ذلك ، والمؤسسون له قديماً ، وقد نص على ذلك ابن البنا في التلخيص وفي الأصول والمقدمات من علم الجبر ، ونظمه الامام الفارسي ، ثم الإمام ابن غازي من بعده وأجاد . . .

نعم للروم مزية الاعتناء بتلك الاصول ، وإمعان النظر فيها ، واستقرائها ، وتنوع جزئياتها ، واستخراج ما هو منها في القوة الى الفعل ، وتدقيق معانيها ، حتى صارت دعاويها النظرية كأنها بديهية ، ثم استعانوا على تسهيل ذلك بتركهم أخذ الجذر الغير المنطق بالكناية بأن أخذوه تقريباً ، ودققوه بواسطة الكسور الاعشارية ، وبعد تحصيلهم لذلك سطروه في جداول ، وسموها جداول اللوغاريتمات ، فنسب لهم اختراعها .

ومن الألة الواضحة أن ما ادعوه باطل ، ان معنى اللوغاريتم بالعربية الأس ، وان النسبتين اللتين بهما استعانوا على تسهيل ما سطروه في تلك الجداول ، هما النسبة الهندسية والحسابية ، أعني التناسب على الكيف والكم ، وهذا أمر معلوم في أصول الحساب ، وقد ضمنه ابن غازي في نظم المنية . . .

ومن خواص هاتين النسبتين استخرجوا ما سموه باللوغاريتم .

وأما ما ادعوه (من) اختصاره من الأعمال الحسابية بواسطة اللوغاريتمات ، وذلك رد الضرب والقسمة للجمع والطرح ، وأخذ جذر أي درجة إلى ضرب وقسمة بسيطين ، فأصله معلوم ومقرر في كتب علمائنا أبقى الله بركتهم ، وذلك أن رد الضرب

---

(1) يهدف الرياضي المغربي بهذا التعقيب ، الى اثبات أن الرياضيين العرب ـ وبينهم المغاربة ـ كانوا قد مهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات ، خلافاً للشائع بين علماء الافرنج ، ومن الأكيد اضافة هذا التعقيب المغربي ، الى ما ورد عند الاستاذ قدري حافظ طوقان ، في كتابه : « تراث العرب العلمي » ، الطبعة الثانية ـ ص 65- 68.

للجمع الذي هو أصله في الحقيقة ، ورد القسمة للطرح الذي هو أصلها كذلك ، فطالع شرح المنية لابن غازي عند قوله :

الضرب والقسم من السطوح .

وأصله ما نظمه ابن غازي في المنية في باب ضرب الاجناس . . و . . في باب قسمة الاجناس .

وأما رد التجذير للضرب والقسمة اللذين هما أصلاه ، بقسمة أس العدد المطلوب ضلعه على عدة آحاد درجته لاستخراج ضلعه ، لأنا إذا أردنا ضرب أي عدد في مثله : أي تضعيفه بقدر آحاده ، أو ضربه في مثله ـ مراراً ـ لتخميسه وتسديسه إلى آخره ، فعلى ما ذكر في رد الضرب للجمع يلزم أن تجمع أسوس المضروبات ، ومجموعها يكون أساً لناتجها .

فإذا تقرر هذا يعلم منه أنه إذا أريد أخذ ضلع أي عدد يقسم أسه الذي هو النسبة اللوغاريتمية على عدة آحاد درجته ، أعني على عدد المرار التي يضرب بها في مثله ، وعلة هذه القسمة هو ما تقرر في الأصول ، من أن خارج القسمة إذا قسم على أحد المضروبين خرج الآخر . . ومن حيث كون هذه المضروبات ـ اثنين كانت أو أكثر ـ متماثلة كماً وكيفاً . اطرد فيها قسم ناتجها على عدة آحاد درجته أي قوته » .

ومن صفحات الرسالة ما جاء في الفصل 16 من المقالة الثانية ونصه :

« الفصل 16 : في البحث عن استخراج مقادير الجيوب والظلال ولوغاريتمياتها ، المثبوتة في الجدول الثاني والثالث من جداول اللوغاريتميات الثلاثة من الجدول الاول الذي هو الأصل له .

لم أقف على من نص على ما يستخرج ما ذكر ، الا اني كنت سمعت من بعض المهندسين الممنون عليه : ان القاعدة في ذلك أن تفرض تجزئته خطأً مستقيماً لأجزاء كثيرة ، ويتخذ أساساً لذلك ، فلم يفدني منه هذا الكلام شيئاً ، فأعرضت عنه واشتغلت أبحث عن المقصود فيما هو تحت اليد من اللوغاريتميات الفرنساوية والنجليزية ، مع أن

رسائلها كلها مكتوبة باللغة العجمية ، وانما أصفح أمثلتها لعلني أعثر عن المقصود أو على ما يشير إليه ، فوقفت على ترجمة في لوغاريتم النجليز تكلم فيها على استعمال الجدولين الاخيرين من اللوغاريتم ، المرقوم في أحدهما نسب الجيوب والظلال ، وفي الآخر نسب الاعشار في الأعمال الفلكية : إن نصف القطر يجزؤ لعشرة ملايين ، ومن أي جزء من أجزاء المحيط ، كثانية أو دقيقة أو درجة ، تنزل أعمدة على هذا القطر المجزء ، ثم تعلم نسبها من المذكورة .

فجمعت هذا لما سمعت من المهندس المذكور ، فغلب علي الظن أنه المقصود ، فصورت له شكلاً وامتحنته فوجدته المقصود ، وأعماله صحيحة لله الحمد وله المنة ، ولا أدري لماذا سكت عن هذا المعنى مؤلف ثمرة الاكتساب . .

ثم لما استقرأت أحوال الشكل المذكور ، تحقق لدي أن الأجزاء التي تجزأ بها القطر المذكور ، هي الاعداد المثبتة في الجدول الثالثة من اللوغاريتم المكتوب أعلاه : « نسبة عشارية » ، وهي المسماة بالجيوب المحلولة ، ولوغاريتمياتها أي أسوسها هي أسوس الجيوب والظلال والسهام ، وتماماتها المثبتة في الجدول الثاني من اللوغاريتم المكتوب أعلاه : « نسبة جيبية ، نسبة ظلية » . . » .

9 ـ الحسن المزميزي

وهو أبو علي الحسن بن محمد المزميزي المراكشي ، المتوفي أواسط العشرة الثانية من هذه المائة الهجرة : 14 ، وكان ـ إلى جانب تضلعه في كثير من العلوم ـ صدراً في علم التنجيم والحساب والعمل بالآلات الميقاتية الحديثة[1] ، وله :

« حاشية على رسالة في الأعمال اللوغاريتمية » ، وهي رسالة عبد الرحمن العلج سابق الذكر عند رقم 4 ، نسبها له في الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام[2] .

---

(1) السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ـ ج 1 ص 104 عند ترجمة المذكور .
(2) القسم المخطوط : عند ترجمة العلج .

10 ـ الطاهر الحمري

واسمه الكامل : الطاهر بن المحجوب بن محمد الحمري السعيدي المراكشي ، لم أقف على ترجمته التي يغلب أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام المراكشي ، وورد ذكره في المطبوع من هذا المصدر[1] بين الآخذين عن أبي العباس أحمد الصويري ، محلياً له بالبارع في التعاليم ، وله :

أ ـ « الكواكب الذرية ، في الأعمال اللوغاريتمية » ، وضعه برسم السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول ، ورتبه على مقدمة وثلاثة وأربعين باباً ، وفي كل باب فصول ، وأوله :

الحمد لله مقدر الأوقات بقدرته ، ومدير الكواكب بإرادته .

فرغ من تأليفه يوم الجمعة 11 صفر بالروؤية ، الموافق لـ 12 بالعلامة ، من عام 1316هـ/1898م .

منه نسخة خاصة ضمن مجموع ، من ص 80 إلى ص 131 ، مسطرة 20 ، مقياس 175/210 ، خط مغربي متوسط واضح ملون ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ الذي هو محمد بن أحمد المزوي الفاسي ، وهناك نسخة أخرى منه بالمكتبة الصبيحية بسلا ، ثالثة مجموع يحمل رقم 1620 .

ب ـ « الدستور ، في أوقات المعمور » ، نسبه له مؤلف « الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام »[2] ، ورأيت من ذكر وجود نسخة منه بخط مؤلفه .

11 ـ عمر بن محمد بن السعيد المراكشي :

مؤلف « شد الرحلة ، لعملي لوغاريتمو والركلة » .

وهو يستعرض في افتتاحيته الآلات الفلكية المتعارفة ، ويذكر منها الاسطرلاب ،

---

(1) ج 2 ص 267.

(2) ج 2 ص 267.

والربع المقنطر ، والربع المجيب ، ونصف الدائرة ، والربع المظلم ، وذات الحلق ، والكورة ، ومن الاجهزة الحديثة يسمي : الربع الشعاعي ، والثمن ، والقوس الزجاجي ، والمقاييس الحديثة التي يسميها بالركلات ، وأخيراً : كتاب لوغاريتم .

وبعد هذا يلاحظ أنه وجد تحقيق العمليات الميقاتية باللوغاريتم أصح وأضبط ، ويليه العمل بما يسميه بالركلة .

وقد وضع هذه الرسالة ليشرح بها طريقة العمل بالجهازين لاستخراج المطالب الميقاتية وما إليها .

وعن مصادره الاساسية يذكر ثلاثة :

- ما أخذه عن أستاذه عبد الرحمن العلج .
- ما وجده في رسالة جده السعيد المراكشي في الأعمال اللوغاريتمية .
- كتاب الجامع الاسباني .

هذا إلى مصادر أخرى ثانوية ، نخص بالذكر منها كتاب لالاند الفرنسي .

والرسالة مرتبة على مقدمة وعشرين باباً ، وتتناول المقدمة :

1 ـ التعريف بكتاب لوغاريتمو : فتذكر تسميته ، وواضعه ، وطريقة العمل به .

2 ـ التعريف « بمقياس جنتر » ، ويعرف في المغرب باسم « الركلة » ، وهو يذكر وصفها ، ورسومها ، وطريقة العمل بها .

وبعد هذا يأخذ في تقديم الابواب العشرين للرسالة ، ويلاحظ في خاتمة الباب الأول : اهمال كثير من المؤلفين الميقاتيين للكلام على طريقة استخراج الدرجة .

ويتناول في الباب الثالث معرفة أخذ الارتفاع ، حيث يستطرد الحديث عن القوس الزجاجية الملونة لتحرير طريقة أخذ الارتفاع بها ، لعدم من تعرض لذلك من المؤلفين المغاربة المعنيين بالأمر ، ولا يستثني من هذا سوى جده السعيد المراكشي الذي أخذ ذلك عن حكيم انجليزي وغيره .

وبالاضافة إلى الابواب المتعارفة لاستخراج المطالب التوقيتية ، يتناول ـ في الباب التاسع عشر ـ طريقة استخراج سموت فضل الدائر في الرخامة على اختلاف اوضاعها ، وفي الباب العشرين يشرح كيفية التسطير على اللوحات أو الرخامات .

وقع الفراغ من تبييض هذه الرسالة عشية الثلاثاء 29 شوال عام 1318هـ/1901م .

ومنها نسخة في حوزة الفقيه السيد أحمد الكنسوسي من علماء ثانوية ابن يوسف بمراكش : ص 82 ، حجم متوسط ، مسطرة 20 ، مكتوبة بخط مغربي مراكشي مليح ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

12 ـ الاغزاوي

محمد بن علي بن عمرو بن علي الاغزاوي الفاسي ، المتوفي عام 1340هـ/1922م ، شيخ علوم الفلك والتنجيم بفاس ، وآخر من صنع الاسطرلاب ـ بيده ـ في المغرب[1] ، ويوجد من بين مؤلفاته :

« رغبة أولي الألباب ، من طلاب علم الميقات بلوغاريتم المستطاب » ، شرح فيه نظمه الرجزي لقواعد اللوغاريتمو ، وهي التي جمعها أستاذه عبد السلام العلمي مار الذكر ، وضمنها المقالة الثانية من المقدمة التي صدر بها شرحه للارجوزة المسماة بتحرير المواقيت لعبد العزيز الوزكاني آتي الذكر ، وقد أكمل المترجم مؤلفه هذا أواخر عام 1321 هـ ، وجاء في آخره : « وقد كنت سودت على هذا النظم عدة رقاع ، فاغتالتها يد الضياع ، ثم أعدت هذه الأوراق . . ووافق الفراغ من تبييضه ليلة الأحد ، متم شوال الابرك بالعلامة ، عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف » ، وبهذا يكون تأليف هذا الشرح وقع قريباً من الفترة التي ندرسها .

---

(1) ترجمته عند القاضي أحمد سكيرج ، في فهرسته : « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » ، خ ، ع ، د 3844 ـ ص 201 - 202 ، ثم في « سل النصال ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال » ، للمؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة المري : « مخطوطة المؤلف » .

أوله : « الحمد لله بجميع المحامد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الشاهد ، وعلى آله وصحابته الاعلام الأماجد » .

ومطلع النظم :

حمداً لرافع السمٰاوات الطباق ثم على الشفيع في يوم التلاق

يوجد من هذا الشرح ثلاث نسخ نواقص الأواخر ، أولاها بالمكتبة الملكية رقم 7083 ، وهي مكتوبة في دفتر مدرسي في 17 ورقة ، ووقع بياض في أكثر الورقة الاخيرة ، مسطرة 23 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي مليح سريع ، خال من تاريخ النسخ والتأليف واسم الناسخ ، الذي هو العلامة الفلكي محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن أقصبي الفاسي تلميذ المؤلف ، أما النسخة الثانية فهي خاصة ، بخط أبي علي الحسن بن محمد المنوني وغيره ، والثالثة بالمكتبة الاحمدية ، وأخيراً : وقفت على مخطوطة رابعة من نفس الشرح بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وهي تامة ، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 1650 .

وسيكون الفلكي محمد الاغزاوي ثاني عشر من تقدمهم هذه الدراسة ، كأصحاب موضوعات فلكية جديدة .

وسينضاف لهؤلاء (13) اسم الحسن ابن جلون المراكشي ، حيث ينسب له البعض تأليف « مقدمة » كتبها على « عمدة أهل الثبت ، في منشأ اللوغاريتمات » ولم أقف عليها .

خاتمة :

وستكون خاتمة هذا الباب ، اثبات النص الذي ذيل به محمد بن المفضل إبن كيران الفاسي شرحه الذي وضعه على مقدمة في الهندسة المساحية ، وحسبما تقدم فان هذا النص يشتمل على : « أ » ـ أمثلة من معضلات الصناعة القديمة والحديثة ، « ب » ـ فضيلة علم الهندسة المساحية ، ونهضة علم الفلك ـ بالمغرب ـ في القرن الثالث عشر

للهجرة ، ولأهمية الموضوعين في التعريف بمحمد ابن كيران المذكور ، نورد النص الذي يتناولهما ـ معاً ـ فيما يلي :

« قلت ومما يتسلط به الذهن الثاقب على معضل الصناعة في الزمان القديم : صناعة الكرة السماوية والأرضية : انظر السماوية في حالة انشائها بعدما حقق صانعها قطرها ودورها وقسمها بادراج الدور الثلاثمائة والستين ، وقسم البروج من نقطتي القطبين حيث ينتهي كل جزء من أجزاء البروج ، ثم وضع فيها صورها بعد رصد كل كوكب من كواكب الصور المتوسطة ، ووضعه في محله بميله ومطالعه ، وقدره في الأجزاء الستة ، وقاطع المنطقة بالمعدل ، واعتبر الحركة الاولى والثانية ، ثم فعل بالصور الشمالية الحادية والعشرين مثل ما فعل بالمتوسطة، ورصد كواكبها كذلك بأمياالها ومطالعها ، وقدّرها فوضعها بمكانها ، ثم فعل بالخمس عشرة صورة الجنوبية مثل الشمالية ، ثم وضعها مستوية على حالها في أفق الاستواء ، ومائلة حيث يرتفع القطب ، وأخذ الاعمال بها فصحت ، فحق لصانعها ومنشئها الشرف والمزية بسبب هذه الأعمال ، حيث لم يسبق إليه ، كالأرضية : حيث اعتبر بها صانعها البحار وقدرها في العرض والطول ، وفصل الأقاليم المسكونة بها ، والمدن لكل اقليم ، وعرض كل مدينة وطولها حيث اقتضته المسامتة ، واعتبر حد كل مملكة في طوائف الأمم بها ، وجعلها نائبة عن السماوية في الأعمال ، وهذا كله من بديع الصناعة ومعضلها ، كالجغرافيا ـ المعبر عنها بالكارطة بالعجمية ـ البرية والبحرية كذلك .

ومن معضل الصناعة أيضاً : ما استخرجه الروم في الزمان الحادث كزماننا هذا : من صناعة السفن البحرية والبرية المعبر عنها بالبابور ، والسلك المخبر به من أرض إلى أرض ، وكل ذلك من ثمرة هذا العلم ، زيادة على صناعة الآلات المعبر عنها بالفابريكات بالعجمي ـ أيضاً ـ لكل صناعة رقت أو دقت ، فسهل بها كل صعب : كأنواع المجانات ، والآلات المتحركة بأنفسها ولزمن مخصوص ولأمد كذلك ، وكونها تعمر في جمعة وشهر وسنة ، وأن لا تعطي خللاً ولا تزيد ولا تنقص بالمدة الطويلة ، وأن تخبر بالسوائع وانصافها والارباع والاقسام إلى غير ذلك ، وبالجمعة والشهر والسنة ، وطلوع

أزمان الهياكل السبعة بها ، واستعمال النغمات بالصنطير والشبابات والطاسات بكل الساعات أو ببعضها[1] ، وكل هذه المذكورات انما توصل من توصل لها أو بعضها : انما كان سبب توصله التوغل في هذا العلم ، وضبط أصوله وفروعه ، والضبط في هذا الباب ـ بعد معرفة ما ذكر ـ يكون بتحقيق الأدوار : أي الدوائر ونسبة مراكزها ـ حالة كونها متولدة : خماسية أو سداسية أو سباعية ـ إلى الأربعة عشر والستة عشر في الأكثر ، وغيرها في الأقل ، وتحقيق الدافع والقابل في الحركات ، والمرتفع : أي الرافع والخافض لها ، بعد تحقيق التسامت والتقابل ، وما يحرك البعض ويترك البعض إلى أوانه الخاص به ، بحسب ما اقتضته النسب الهندسية ، واختصت به أعدادها لما يراد منها ، وأما معرفتها الحل والعقد والاصلاح والافساد فلكل نوع ضابط محقق .

وكذلك من معضل الصناعة ـ أيضاً ـ تطابق الألحان والنغمات العربية بالموسيقات الرومية الحادثة في هذا الزمان ، فما كان منها على لسانهم العجمي فهو في غاية الحسن والاتقان، وما كان على لساننا العربي فهو في غاية الإجحاف ، لكونهم أخذوه عن غير أهله : وهم اليهود[2] لعنهم الله ، ولم يخف على ذي لب أن الغالب عليهم اللحن والركاكة ، فلذلك لم تتقن ولم يكمل حسنها ، وانظر كيف وقع تساوي النغمات وترتيبها بالمشط وهي على خطة واحدة ، سوى ما كان في نغمة الذيل والطبل والبوق من الندفات ، فاستثقلوه بثاقول ليتم أمره ويتقن ، وانظر ـ أيضاً ـ كيف توضع الموشحات بها وما يتلفظ به الشخص يوضع في البسيط ، حتى ينتهي دوراً واحداً على أسطر بحروفه ، أينما استقرت نغمته علم ووسم بنقطة ، حتى يكمل الدور بكمال التوشيح ، ثم يؤخذ في غير طبعه كذلك : ان كان العمل على أربعة من الطبوع أو ستة

---

(1) بخط أديب الرباط : محمد بن محمد التهامي ابن عمرو الأوسي ما نصه : دخلت يوماً بيت الأخ الوفي الصادق ، العلامة ، أبي محمد صالح الحكمي ـ أمنه الله ـ فنظرت الى مجانة بديعة الشكل ، غريبة المثل ، معربة عن السنة والشهر والجمعة واليوم والساعة ودقائقها ، فقلت :

يا صالحاً طاب في الأخيار منبته ... وسالكاً كل فج للهدى سلكوا

ما زلت تسمو الى العلياء مجتهدا ... حتى تدلى يزور بيتك الفلك

(2) يقصد الأغاني العربية المسجلة بلسان اليهود .

الى غير ذلك ، ثم يلف البسيط على المسمى بالقنوط ـ اصطلاحاً ـ منها ، وفي كل نقطة تجعل شوكة هي الرافعة لأسنان المشط ، أو لمطرقة الطاسات مع القابل والدافع لتبديل الطبع ، وهذا من معضل الصناعة وألطفها ، وأصل هذه الأشياء كلها : العلم الهندسي .

خاتمة : أذكر فيها فضيلة هذا العلم وبعض فروعه ، وجملة من اعتنى به من الأخيار والصالحين والملوك في أفقنا المغربي ، في هذه المائة الثالثة عشر ، متبركاً بذكرهم ، ومتمسكاً بأذيالهم .

أما فضيلته من حيث الصنائع فلا زالت موجودة مدة الأزمان والدهور ، ما دامت النقطة وفروعها موجودة كذلك ، وأما من حيث العلوم فلا زالت ملوك مغربنا رحمهم الله حافظة ومحصنة لثغوره من العدو الكافر ، ومواسية لأهل العلم المساحي الذي هو من معظم فروعه ، ومسدلة نعمها عليهم ، ومقوية أعدادهم ، كالعلم الفلكي كذلك .

ومن جملة من اعتنى به من الأخيار والصالحين في صدر هذه المائة ـ كعلم الفقه ـ الولي الصالح ، والقطب المناصح ، سيدنا ومولانا علي بن أحمد الحسني اليملحي الوزاني[1]، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فكان يأتيه أهل هذا العلم من ثغر الرباط ويقيمون بحضرته المدة الطويلة ، فمنهم الفقيه المحقق المعدل السيد المعطي مرن « كذا »[2] كان ممن له في علم الفلك القدم الراسخ ، وعلى يديه ذلّل ولد الولي

---

(1) هناك تأليف في خصوص ترجمته بعنوان : « الكوكب الأسعد . . » لمحمد بن محمد بن حمزة المكناسي : « مكناسة تازا » ، مطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، على هامش « تحفة الأخوان » لأحمد دعي حمدون الطاهري الحسني ، وفي « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » ، ج 1 ص 190 : ذكر تأليفاً ثانياً في ترجمته لمحمد ابن أحمد بن محمد الرهوني الامام الشهير، وله ترجمة مطولة في « الروض المنيف » : النسخة والجزء المذكورين في تعليق سابق ، ص 216، كما ترجمه أحمد بن العربي المدعو حسون الحسني الوزاني ، في فهرسته ضمن أشياخه ، حسب « فيلم » منها في الخزانة العامة بالرباط .

وأخيراً فان هذا هو الذي ورد ذكره أوائل « أوضح المسالك وأسهل المراقي » لأبي عبد الله الرهوني آنف الذكر ، ج 1 ص 5 - 6 ط . ف ، بمناسبة استفادته من خزانته في وضع الديوان المذكور .

(2) ترجمته في تاريخي الرباط : « مجالس الانبساط » ج 1 ص 167 ، و « الاغتباط » ج 2 ص 116 - 117 ، حسب =

المذكور : سيدي التهامي ابن علي[1] هذا العلم وانتفع به في حياة والده ، ومنهم الفقيه الموقت الحاذق السيد علي مرسيل[2] ، وتلميذه السيد الحاج محمد التريكي[3] ، ولهم بالحضرة الوزانية آلات متعددة في علم الفلك ، يصنعونها هنالك بحضرته ، ومن صنع منها شيئاً ـ في أرضه ـ بعث به للولي المذكور[4] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحض على تعلم هذا العلم ويبذل فيه ، فممن فاق غيره فيه بالحضرة الوزانية وسمي على أهل زمانه من الأشراف : سيدهم ورئيسهم ولده سيدي التهامي بن علي المذكور[5] ، وكذلك أخوه مولاي عبد الجليل بن علي ، كان له الحظ

= النسختين السالفتي الذكر ، مع التاريخ الرجزي المعنون « باتحاف أشراف الملا . ببعض أخبار الرباط وسلا » ، لمحمد بن محمد بن علي الدكالي .

(1) ترجمته في « الكوكب الأسعد » ، الطبعة المذكورة قريباً ، ص 185 - 186 ، وفي « الروض المنيف » : النسخة والجزء المذكورين .

(2) لم أقف على ترجمته .

(3) ترجمته في « اتحاف أشراف الملا » و « الاغتباط » ج 1 ص 192 ، وقد سبق القلم مرجز المصدر الأول ، فجعل وفاة هذا في العقد الثالث من القرن 14 هـ ، وهو ـ بدون شك ـ سهو عن القرن 13 هـ .

(4) من هذا ما جاء في ترجمة محمد التريكي ـ آنف الذكر ـ من « الاغتباط » لدى ذكر أوضاعه الفلكية :

ومنها : ربع مجيب وضعه للامام العارف ، أبي الحسن علي بن مولانا أحمد بن مولانا الطيب ـ رضي الله عنهم ـ وهو ربع متقن الصنعة ، محكم العمل ، نقش فيه أبياتاً من انشاء الأديب ابن عمرو ، وتضمن تاريخ وضعه ، واسم من صنع له ، وصاحب صنعه ، وهي :

تملكني أمام العصر حقا ... على نجل أحمد ذي الشبات
أجاد محمد التركي صنعي ... فلي فضل على ماض وآت
أما أبصرت تاريخي برمز : « أعلم كل أوقات الصلاة »

1221« هـ »

ونحو هذا وقفت عليه بخط شيخ الجماعة بالرباط ، الوزير ، محمد ابن عبد السلام الرندة الأندلسي الرباطي .

(5) ذكر عنه في « الروض المنيف » : أنه كان يوقت بثلاثة عشر آلة ، ولا يستبعد هذا ازاء الآلات الميقاتية التي كانت متداولة في وقته ، مثل الاسطرلاب ، والربع ، والصفائح ، وتحت كل واحدة من هذه انواع ، وكذلك بعض الآلات الحديثة مثل الأقواس الرومية ، اذا كان يستخدمها ، وقد كانت وفاته عام 1250 هـ .

وحسب طالعة الرسالة المعنونة بـ « كنز الاسرار ، وفيض الأنوار ، في تعديل النيرين والخمسة المتحيرة =

الوافر فيه وفي علم الطب كذلك[1]، ولا سيما سيدي ووسيلتي الى ربي ، الولي الصالح ، والقطب الناصح ، مولاي الحاج العربي بن علي ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وكان كثيراً ما يحضني على طلب هذا العلم في حياته ، وعلى يديه نلته ، وباذنه تعلمته ، وجملة اخوانه أولاد الولي المذكور : سيدي أحمد بن علي ، وسيدي محمد بن علي ، وسيدي عبد الجبار بن علي ، وسيدي عبد القادر بن علي ، وسيدي ابراهيم بن علي ، وسيدي عبد الله ابن علي، كلهم تعلموا هذا العلم ونالوا منه في حياة والدهم ، متّعنا الله بذكرهم .

ثم ممن فاق غيره فيه من العامة بالحضرة الوزانية : الفقيه الحيسوبي الحاذق السيد عبد العزيز بن عبد السلام الوزكاني الوزاني ، رحمه الله تعالى ، ألف في التوقيت بالحساب : أرجوزة في غاية الاختصار والتحقيق ، ما سمح الزمان بمثلها ، وشرحها ـ بالعمل ـ في زمن الولي المذكور ، وقال في أولها :

الحمد لله قد جعلا من آلة الشعاع ظلا بدلا

وقال في تسميتها :

سميته التحرير للمواقيت يرجح بالروضة والياقيت

وله شرح على أبيات سيدي عبد السلام الرندي الملخصة القليلة العدد ، التي أولها : في نقطة أولى لميل بعد ، ومطلق في آخرين يبدو .

اشتمل على علم التوقيت ، وله تأليف في علم الموسيقى في غاية الحسن والتحرير ،

بالأدوار » ، فان هذا هو الذي اقترح وضعها على مؤلفها : محمد المعطي بن أحمد الطيب بن محمد مرين الأندلسي الرباطي المذكور شيخاً له ، وموضوع هذه الرسالة في طريقة العمل بالزيج المعروف « بزيج زكوط » ، خ . ع ، د 2027 ، ضمن مجموع ، وفي طالعة « حلية الكتاب ومنية الطلاب » ، لأبي العباس أحمد بن محمد الرفاعي : يذكر هذا المؤلف عن نفسه : أنه كان ينتسخ للمذكور ـ بوزان ـ كتب التعديل وما اليها ، خ . ع ، د 254.

(1) عبارة قطعة « الروض المنيف » في صدد السيد عبد الجليل هذا :

« وكان ـ رحمه الله ـ ممن له في هذا العلم وفي علم الطب والاسماء القدم الراسخ ، وقد صحبته وانتفعت به مدة من الزمن ، قدس الله روحه » .

صور فيه آلة الطرب وأتقن قواعدها[1] وأصولها ، وله نظم ونثر على علم الجدول في سر التداخل ، وكان رضي الله عنه مشاركاً[2] ، وممن قرأ هذا العلم وبرع فيه في زمن هذا الولي رضي الله عنه : الفقيه السيد علي الحداد[3] ، وكذا الفقيه البرنوصي الوزاني[4] ، وعدة من ساداتنا الأشراف غير المذكورين أولاً[5] .

---

(1) في قطعة « الروض المنيف » : وأتقن قوائمها ، وهذا التأليف الموسيقي لا يزال مخطوطاً .

(2) أن هذا النص يقدم معلومات فيها أشياء جديدة عن حياة عبد العزيز الوزجاني الذي لا توجد له ترجمة كاملة ، وينبغي أن يضاف لهذا . تاريخ ولادته الوارد في أوائل « أبدع اليواقيت على تحرير المواقيت » لعبد السلام العلمي المتكرر الذكر ، وهو ليله الأحد ، الثاني من صفر عام 1142 هـ ، وهناك مصدر ثالث يكشف عن ناحية أخرى من ثقافة المترجم ، وهو « فهرسة » أبي العلاء ادريس العراقي الفاسي « الحافظ » ، حيث يرد فيها شغف الوزجاني بالحديث والرواية ضمن اجازته من طرف أستاذه العراقي الذي روى عنه وعن غيره من بعض أعلام فاس . مجموعة مهمة من كتب الحديث ، وقد سماها هذا في استدعائه الاجازة من أستاذه المذكور ، وذلك بتاريخ عام 1167 هـ ، وقد ورد اسمه في هذا الاستدعاء هكذا : عبد العزيز بن عبد السلام ابن أحمد بن علي بن أحمد بن الحسين المعروف بالوزجاني ، ولتوضيح نسبة الوزجاني هذه نذكر أن هنالك مخطوطاً بالمكتبة الملكية بالرباط يحمل رقم 4031 ، وقد ذكر ناسخه نسبه هكذا : الحمدي ، ثم الوزكاني ، ثم الرهوني .

وبعد هذا : فانه يوجد بنفس المكتبة تقييد طبي للوزجاني لم يرد ذكره في النص الذي نعلق عليه ، وهو : « رسالة في أدوية الانسان من رأسه الى قدميه » ، وقد جاء في أولها : قال الطبيب المتفنن في العلوم ، الموقت ، السيد عبد العزيز الوزجاني : . . هذا كتاب الطب ، وما من مسألة فيه الا قد جربت وصح فعلها . . يقع في 22 ص ، ضمن محفظة تحمل بهذه المكتبة رقم 2549 ، ويذكر ناسخه أنه حذف من آخره قطعة في موضوع العزائم . وأخيراً فان الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي يذكر من تلاميذ المترجم : محمد المعطي مرينو آنف الذكر ، ويفيد معلومات عن ابنه محمد المشهور بابن عبد العزيز : فقد لقي الشيخين الوزانيين : سيدي علي ابن أحمد وابنه الحاج العربي ، وعاصر الفقيه الرهوني ، وصار قاضياً بوزان ، وبنت الوزجاني كانت تخرج الفرائض العويصة .

(3) عبارة قطعة « الروض المنيف » : « ومنهم الفقيه » ، الامام ، الذاكر ، المحقق ، السيد علي الحداد الحسني ، الوزاني ، وقد ارتحل الى مدينة فاس في آخر عمره ، واستوطن بها فكان من عدولها » .

(4) عبارة قطعة « الروض المنيف » : « ومنهم الفقيه ، الامام ، المحقق ، العدل ، الحسوبي ، المنجم ، سيدي محمد البرنوسي ، الوزاني ، وقد أدركته الوفاة وهو ساجد بالمسجد الأعظم من زاوية وزان ، وقد أدركته وانتفعت به » . والغالب أن هذا هو المترجم في « فهرسة » أحمد ابن العربي حسون ، باسم : محمد بن الحاج علي البرنوسي الأصل ، الوزاني المنشأ والدار .

(5) في « الروض المنيف » : « وعدة من الطلبة غير المذكورين » .

ثم لما سألني بعض أخوان الصفا، وخلان الوفا ، من أولاد المصطفى ، من الشرفاء الوزانيين القاطنين بالحضرة الإدريسية ، وقال في سؤاله : هل يمكن استخراج آلة من ربع الدستور[1] ، يصح بها العمل فيما هو من الأرض معمور ، ولتكن على الطريقة الجيبية ، جامعة للأعمال الليلية والنهارية ، سافرت الى زيارة شيخي ووسيلتي ، مولاي الحاج العربي بن علي ـ رضي الله عنه ـ في تلك السنة : وهي سنة أربعة وستين ومائتين وألف ، فأتيت بالربع المجيب اليه ، وقلت : سيدي نريد أن نقسم هذا الربع على نصفين ، ويقوم أحد النصفين مقام الربع ، فان أذن بذلك سيدي فعلت ، والا تأخرت ، ملتمساً البركة والاذن منه ، فقال رضي الله عنه : افعل ، واصنع منهما اثنين : أحدهما أبعثه الى السلطان ، والثاني تقرؤ به مع ولدي ، واجعل لهما رسالتين ، ففعلت ، فلما تم عملهما وأتيت بهما اليه مع الرسالتين ، كان الأمر كما قال رضي الله عنه ، فبعث بأحدهما ـ مع الرسالة ـ الى السلطان مولاي عبد الرحمان بن مولاي هشام ، رحمة الله تعالى عليه ، ونفعنا ببركاته .

ثم بعدما توفي سيدي رحمة الله عليه[2] ، وقع في نفسي أن كثيراً ما تقع الزيادة والنقص به في الآلة الجيبية انما هو بسبب الخيط والمري ، وقلت : لو كانا ثابتين ومتحركين لكان أتم ، ولم يقع خلل ، فجعلت للآلة ضلعة كالأقواس الرومية : ثابتة ومتحركة ، تنتقل منها واليها الأعمال بسرعة وشيء يسير من العمل ، فتم أمرها ، عند ذلك قلت : أنظر هذه الخاصية في الربع ، حيث انطبق على الثلاثة أرباع من الدائرة وأخبر عن جملتها ، فقام الجزء الذي هو الربع مقام الكل الذي هو الدائرة ، وكذلك نصفه ـ الذي هو الثمن ـ قد انطبق على ثمن مثله : أقواساً وجيوباً وظلالاً ، فصار مخبراً عن السبعة أقسام الباقية من الفلك ، لأن كل جزء جزء منه في القوس كاف عن نفسه ـ كالحيوان كذلك ـ حيث كانت الأعمال تامة به ، فوقع الاختصار في الجرم ، وحيث وقع

---

(1) هذا أحد أسماء الربع المجيب .

(2) كانت وفاته ـ حسب « الروض المنيف » ـ في الثاني من المحرم فاتح عام 1267هـ/1850م ، وقد ورد ذكره في هذا المصدر وغيره.

في الجرم وقع في العمل لا محالة ، وضروري عند أهل هذا العلم الهندسي أن الشكل اذا انطبق على شكل مثله صار مساوياً ومماثلاً ومعادلاً له .

وبه تبطل حجة من أراد أن يدعي القول فيه لعدم وقوفه على الأصول ، فيستحيل في عقله القاصر ذلك، ولذلك أنشدت هذه القصيدة على طريق السؤال من علماء الفن الميقاتي ، متبركاً فيها بذكر ملك زماننا المنصور بالله ، مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان ، نصره الله ـ ، لأنه ممن يرجع اليه في ذلك ، وذكرت فيها من أخلاقه وأوصافه الجميلة ما هو كالشمس أو كفلق الصبح ، فقلت :

علماء الميقات دمتم هداة ... يقتدى بكم ببر وبحر
هل أجاز برهان عقلكم السا ... مي اختراعاً من دورة ربع شطر
باختصار من الجيوب يضاهي ... عمل الأصل وهوأسرع أمر
ثمن الدور فيه سر سباعي ... قام عن نقطة وقوس وقطر
ليس بالخيط مع مر وشقول ... هكذا فاقتضت صناعة حبر
تقضي في نفس ولحظة منه ... ما عسى ينقضي في يوم وشهر
وله عمل الممثل منه ... تعلم الحركات ما دام يجر
والميول والارتفاعات والسمـ ... ـت ، الجهات ، وقبلة منه تدر
ثم زيد علم المساحة فيه ... وكذاك الرياح من علم بحر ؟
أم منعتم وجود هذا ولكن ... أنظروا صنعة الالاه بسر . . »

14 موضوعات جديدة متنوعة

ويمتاز هذا الباب عن سابقه بأنه لا يلتزم الفلكيات بمفردها ، وانما يستعرض المنتجين في هذه المادة أو في مواضيع أخرى ، ونقدم ـ في هذا الصدد ـ أربعة من أعضاء البعثات :

1 ـ وسيأتي في الطليعة العالم الميقاتي الطبيب : عبد السلام بن محمد بن أحمد الحسني العلمي الفاسي ، المولود بها عام بضع وخمسين ومائتين وألف ، والمتوفي ـ بنفس المدينة ـ عام 1323 = 1905 .

كان نبوغ هذا العالم المغربي في ناحيتين : الأولى علم الميقات الذي درسه ـ بالمغرب ـ على أشياخ لانزال لم نظفر بأسمائهم ،[1] والثانية علم الطب الحديث الذي درسه بالشرق ، فلنحاول أن نتعرف على مدى نشاطه في كلتا الناحيتين ، ولنبدأ بعلم الميقات الذي نجد له فيه الآثار التالية :

أ) اختراع آلة شعاعية سماها باسمين : « جبعة العالم » ، و « أسطوانة العالم »[2]

---

(1) بعد هذا رأيت الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي يذكر من أساتذة المترجم والده محمد بن أحمد العلمي وأبا اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي هـ من خطه .

(2) ذكر اختراعه لهذه الآلة أوائل مؤلفه « أبدع اليواقيت »الآتي الذكر ، وحسب أقصبي وبخطه : فإن « جعبة العالم » التي ابتكرها المترجم كانت كالاسطرلاب الا انها على شكل الطبل ، وقد جعل واحدة من هذه الآلة خاصة بعرض فاس واحتفظ بها لنفسه ، وأخرى جامعة قدمها للسلطان محمد الرابع .

وقدمها هدية للملك محد الرابع .

ب) اختراع آلة شعاعية أخرى سماها : « ربع الشعاع والظل » .

واذا كان الاختراع الأول : « جعبة العالم » لا يعرف الا اسمه ، فان الاختراع الثاني نجد للمؤلف في توضيحه .

ج) رسالة سماها : « ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » ، وقد ضمنها صورة هذه الآلة ، وكيفية استعمالها ، وتاريخ اختراعها الذي هو عام 1283 = 1866، وصدرها بذكر الملك محمد الرابع الذي قدم هذه الآلة هدية لحضرته عام 1284 = 1867 ، وهذه الرسالة طبعها مؤلفها بمصر لما كان يدرس بها في صفحات «12» ، حجم صغير ، ومنها مخطوطة جيدة ضمن مجموع ، خ . ع ، ج 22 .

وسوى هذه المبتكرات نجد للمترجم مؤلفاً تناول فيه مبادىء علوم الرياضيات والهيئة ، وسماه :

د) « دستور أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت » ، ضمنه عيون الفنون المبتكرة في العصور الحديثة ، وجعله جامعاً لمبادىء عدة فنون ، واعتمد فيه كثيراً من الكتب المترجمة في زمانه ، وهذه هي الفنون التي تناولها هذا الدستور :

الفن الأول في علم الحساب ، الفن الثاني في فن النسبة العشارية اللوغريتموية ، الفن الثالث في النسبة الستينية ، الفن الرابع نبذة من فن الترجمة فيما يتعلق بهذا الفن ، الفن الخامس مقدمات من فن الجبر بالاصطلاح الغربي ، الفن السادس في الهندسة ، السابع المساحة ، الثامن علم المرآة وانعكاس الأشعة المعروف الآن بعلم الضوء ، التاسع علم الطبيعة ، العاشر علم الهيئة ، الحادي عشر علم التنجيم ، الثاني عشر علم الجغرافية ، الثالث عشر علم تسطيح الكرة ، الرابع عشر فن الرسم : يعني تخطيط الآلات الميقاتية ، الخامس عشر فن حساب التواريخ ، السادس عشر علم التعديل ، السابع عشر علم الميقات .

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بمكتبة كاتب السطور تقف عند الفن العاشر الذي هو علم الهيئة ، يقع الموجود منها في 64 ص ، مسطرة 23 . حجم متوسط ، ونسخة أخرى ـ قريبة من التمام ـ بمكتبة موقت مراكش الحمراء العلامة الفلكي الجليل محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق .

ومن موضوعات المترجم في الميقات أيضاً :

هـ) « حاشية على الرسالة الفتحية ، في الأعمال الجيبية » للماردينى ، أحال عليها في أبدع اليواقيت الآتي الذكر ، ونقل عنها تلميذه محمد بن علي الأغزاوي الفاسي في مواضع من شرحه على رجز ابن عاشر في الربع المجيب ص : 36 ، 50 ، 51 ، 62 ، ثم صارت الي نسخة من هذه الحاشية فوجدتها تشتمل على ص 59 ، مسطرة 24 ، حجم متوسط .

و) « أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت » اسم شرحه على رجز الوزكاني في التوقيت ، ألفه عام 1285 = 1868 ، طبع بفاس عام 1326 = 1908 ، على هامش شرح البعقيلي على روضة الجادري ، وهو أيضاً من مصادر مؤلف الأغزاوي الآنف الذكر ، نقل عنه ص 67 ، ولهذا الشرح مقدمة مطولة أفردها بالتأليف على حدة ، وهي « دستور أبدع اليواقيت » المار الذكر .

ذلك ما توصلت اليه الآن من موضوعات المترجم الميقاتية ، ويفيد ما وقفت عليه منها : أنه درس علم الميقات دراسة آخذة من آثار المتقدمين وأفكار المتأخرين ، فتراه في هذه المؤلفات يأتي بدراسات الأقدمين مستقاة من المصادر العربية ، كما يأتي بدراسات المتأخرين مأخوذة من كتبهم المترجمة الى العربية .

وقد كان إلى جانب اشتغاله بالتأليف يقوم بتدريس هذه العلوم حسبما لمح لهذا أول تأليفه : « أبدع اليواقيت » ، ومن المتخرجين عليه فيها : الميقاتي المؤلف الشهير محمد بن علي بن عمرو الأغزاوي الذي يحليه بشيخه غير مرة في مؤلفه المتكرر الذكر ، والميقاتي

محمد بن أبي بكر الجامعي ، والفقيه الحاج عبد الكريم بن العربي بنيس[1] .

* * *

بقي السيد العلمي منكباً على اشتغاله في الميدان العلمي بالمغرب حتى بويع السلطان الحسن الأول ، حيث حدث حادث جديد في حياة المترجم ، ففي عام 1291 هـ بعثه هذا السلطان ليدرس الطب ـ على الطريقة الحديثة ـ بالشرق ، في الكلية الطبية الكبرى المعروفة بقصر العيني بالقاهرة ، بعدما كان ابتدأ دراسته الطبية بالمغرب .

والفنون التي درسها بهذه الكلية ، مع أسماء أساتذته العرب والأجانب الذين أخذ عنهم ، مع الاجازة الطبية التي أحرزها : كل هذا ثبت في موضعه عند حديث « البعثات المغربية الى مصر » ، ص 159 — 166 .

ومن ثمرات دراسته للطب أنه بعدما عاد الى المغرب وضع في هذه المادة مؤلفات عديدة طرزها بأعمال الطب الحديث ، ومنها :

ز ـ « ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس » ، شرح فيه ما في تذكرة الأنطاكي من الرموز بما شاع من أسمائها بمدينة فاس ، وذيله بخاتمة شرح فيها أسماء الأدوية التي ذكرها صاحب « كنوز الصحة » ، حيث كان بعضها من الأدوية الجديدة ، وبعضها بأسماء كيماوية وافرنجية غير فصيحة على حد تعبير المؤلف .

وفي الكتاب أيضاً مقدمة وتذييل : بين في المقدمة فعل الأدوية في البنية ، وذكر في التذييل مجربات «67» مما تلقاه أو شاهده وقت دراسته بمصر ، فرغ من تبييضه أواسط رجب عام 1302 = 1884 ، وطبع على الحجر بفاس مرتين ، الأولى : عام 1318 / 1900 ، والثانية خالية من تاريخ الطبع .

---

(1) أخذ هذا الاخير عنه الحساب والتوقيت والشطرنج ، حسب أبي العباس أحمد سكيرج ، في فهرسته : « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » ، خ . ع ، د 3844 ـ ص 189.

ح ـ « البدر المنير ، في علاج البواسير » ، رتبه على مقدمة ومقالتين وخاتمة ، ورصعه بأعمال الطب الجديد ، حسبما حضره في الكلية الطبية المصرية ، فرغ من تبييضه عشية يوم الاثنين 15 محرم عام 1297 = 1879 ، وهو مطبوع على هامش « ضياء النبراس » .

ط ـ منظومة رجزية في علم التشريح سماها : « مفتاح التشريح » ، تقع في أبيات 78 ، طبعت بذيل « ضياء النبراس » .

ي ـ « الاسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة » ، فسر فيه اصطلاحات وغريب الكتب المترجمة حديثاً الى العربية ، أشار له في طالعة « ضياء النبراس » ، وذكر أنه لا يزال لم يتم .

يا ـ « التبصرة ، في سهولة الانتفاع بمجريات التذكرة » ، رتب فيه تذكرة الأنطاكي ترتيب الأمراض بدلاً من الحروف ، ليسهل الفحص على من يطلب علاج مرض مخصوص حتى يجده في باب واحد ، عوضاً عن البحث في الحروف 28 ، ذكر في أواخر « الضياء » أنه لا يزال في مبيضته .

يب ـ وسوى مادتي الفلك والطب ، وضع نفس المؤلف أرجوزة في التعريف بلعبة الشطرنج حسب الطريقة المتعارفة ، ولا تزال مخطوطة في 40 بيتاً ، ضمن مجموع : خ . ع ، د 3408 ـ ص 255 .

والى هنا ينتهي عرض آثار المترجم ، وسنذيل عليها بتقديم نصين جديدين عن حياته :

الأول : فقرة وردت في « المفاخر العلية »[1] ، وقد سقط من هذا المصدر اسم المترجم المعنى بالأمر حسب المخطوطة التي رجعت اليها ، وجاء النص ـ لدى تعداد أطباء

---

(1) اسمها الكامل : « المفاخر العلية ، والدرر السنية ، في الدولة الحسنية العلوية » ، تأليف عبد السلام بن أحمد اللجائي ثم الفاسي ، نسخة المكتبة الملكية رقم 460.

الحسن الأول ـ هكذا :

« . . كان منهم الشريف الفاضل ، العدل ، الحيسوبي الكبير ، الموقت ، استنبط أشياء من علم الهيئة ، واعتنى به سيدنا الامام المقدس ، سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن ، وأمره بتدريس علم التوقيت بجامع القرويين ، وأدخله في ديوان المدرسين ، ثم اشتغل بعلم الطب ، ورحل الى مصر وأخذه هناك ، ثم تصدر لكتابة الرسوم بدكاكين العدول من حضرة فاس . . ثم انتقل للكتابة بحضرة مولانا المنصور بالله تعالى : مولانا الحسن ، ثم أصيب بعظيم بلاء ، وهو ـ سنة خمس وثلاثمائة وألف ـ حي ، عافانا الله وإياه » .

أما النص الثاني فهو وارد عند ترجمته من « الأعلام ، بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام »[1] ، وقد جاء فيها :

« . . وقرأ العربية وغيرها من العلوم المتعارفة بالقرويين ، ووجهه السلطان المولى الحسن لمصر لتعاطي المعارف الطبيعة والتشريحية ، والتوقيت والتعديل والتنجيم والارصاد وتخطيط الساعات الشمسية المعروفة بـ« المزاول » ، وأخذ عن شيوخ الطب بمصر . وقد أجازوه باجازات لا زالت محفوظة عند ولده المكرم سيدي مشيش[2] ، وقد مهر في الطب والتشريح ، وقرأ على أطباء فرنسويين واصبنيوليين وأجازوه كذلك ، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب في ثورة عرابي ، وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر .

ولما عاد من مصر اختصه السلطان مولاي الحسن ـ رحمه الله ـ طبيباً لنفسه وعياله ، ولازم الاعتاب الشريفة بصفته طبيباً ، وكان فتح دكاناً لاستقبال المرضى ووصف الأمراض والعلاج في فاس ، بناحية السلسلة الموالية للحمام بالنجارين ، ولم يطل ذلك ، فأصيب ـ رحمه الله ـ بفالج في نصفه الأسفل ، فلزم داره من سنة 1304 الى أن أدركه أجله سنة 1323 .

---

(1) ج 6 من القسم المخطوط ـ ص 496 -497.

(2) توفي ـ بعد هذا ـ عام 1366هـ .

شكل ـــ ٩

رسم محمد ابن الكعاب وهو بمدينة لبيج من بلجيكا .
أهدني به حفيده السيد محمد بن صالح بن محمد ابن الكعاب .

وكان يتردد اليه طلبة فاس لقراءة ما يحسن من تلك العلوم الرياضية الميقاتية ، منهم الشيخ محمد بن علي الأغزاوي ، ومنهم السيد عبد الكريم ابن العربي بنيس مصحح طبع ضياء النبراس .

وجلب من مصر كتباً غريبة المنحى ، لم تكن معروفة بالمغرب : في سائر العلوم العقلية والطبيعية والجغرافية وغيرها . . » .

2 ـ والأن : بعد العلمي يأتي ابن الكعاب : محمد بن محمد بن علي الشركي ثم الفاسي ، وهو من أفراد البعثة الحسنية الى فرنسا ثم الى بلجيكا ، ابتداء من أواخر عام 1297هـ/1879 م ، ومن آثاره :

أ ـ رحلة في مجلد لا تزال مخطوطة ، وهي في حوزة الاستاذ المجاهد محمد بن الحسن الوزاني[1] .

ب ـ مقيدات ، وقفت على كناشة منها لدى حفيده الحامل لدبلوم الدولة في التمريض : محمد بن صالح بن محمد ابن الكعاب المترجم ، وتشتمل على نظائر المكاتب التي كان يبعث بها للموظفين المغاربة السامين أو الى أصدقائه ، ونقدم من هذه الكناشة رسالة يشرح فيها تطورات دراساته الحديثة بالمغرب وأوروبا ، ونصها على هلهلة بعض تعابيرها :

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

حفظ الله بمنه ، ورعى برعايته ، مقام الفقيه الاجل ، الفاضل الافضل ، السيد احماد بن موسى ، حفظ الله سناءك وسناك ، وأظفر يمناك بمناك ، وسلام تام ، ختامه مسك ومزاجه من تسنيم ، ورحمة الله وبركاته ، ما دام الفلك وحركاته .

وبعد : ـ كما هو في كريم علم سيادتك ـ واننا كنا بعثنا من جملة الطلبة الذين

---

(1) « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » ، رقم 1522 ، دون تحديد آفاق الرحلة .

كانوا تعينوا لقراءة اللغة الرومية في منتهى رجب سنة 1291 ، ثم بعد الاقامة نحو من الستة سنين ونصف بثغر طنجة ، كنا سافرنا في 18 من ذي الحجة سنة 1297 الى مدينة باريس لتعليم اللغة الافرنساوية ، وكنا بقينا بالمصر المذكور أعلاه لتعليم ما كنا توجهنا بصدده مدة من أربعة سنين ونصف : أعني الى 22 من شعبان سنة 1301 : اليوم الذي أتانا فيه الأمر الشريف على يد الحاج محمد بركاش ، في شأن انتقالنا من بلد افرانسة إلى بلد بلجيكة ، لنقف على من كان بعث من المتعلمين الى بلد بلجيكة لأخذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب ، ولقبول الحاجات المطلوبات بإذن الحضرة العالية بالله عند جماعة ككريل : كبترية المدفع ومكينات فبريكة القرطوس ، فعند رجوع المتعلمين وتوجيه ما ذكر من الحاجات ، كنا طلبنا من وزير الامور البرانية السيد محمد بركاش ـ رحمة الله علينا وعليه ـ ان يرفع أمرنا لسيدنا نصره الله ، ليجد علينا بصلة الرحم ، فأجابنا : وان في أثر كتابه لنا يأمرنا بأن نأذن جماعة ككريل في شروع صناعة مكينات السكة ، وبعد تمام هذه الحاجة يوفي لنا بالعهد ، لاكن موت وزير الامور البرانية وولده قطعت علينا جميع الاخبار ، فلا اذن أعطي لصناعة مكينات السكة ، ولا نحن رجعنا لصلة الرحم وننظر ما بقي لنا من الأهل .

والآن تفهم سيادتك : وان منذ مات السيد محمد بركاش ومكاتبنا تصب على نائب الحضرة العالية بالله السيد الحاج محمد الطريس ليرفع أمرنا اليكم ونعرف ما هو جلوسنا بهذا البلد : بقولنا له في كل كتاب : ان لم يكن ما يقضى للحضرة العالية بالله نريد الرجوع .

وكذلك جماعة ككريل هذه ستة أشهر وهي تكتب وتطلب ما صيرته علينا وعلى السبعة المتعلمين القائمين ببلد بلجيكة لأخذ علم صناعة السلاح . رفقة رفيقنا السيد الطاهر بن الحاج الأودي ، فلا جماعة ككريل ولا نحن قبلنا جواباً عما كتبنا عليه : أعني جماعة ككريل تتبع فيما صير علينا وعلى 7 المتعلمين ـ كما ذكر أعلاه ـ الى يوم السبت 9 من جمادى الثاني سنة 1304 هجرية ، الموافق الى 5 من مارس 1887مسيحية : هو من الافرنك هكذا : 23200,50 .

ومفهوم في هذا المال ما كـان تأخـر من ثمن صمطات الجلد ومكينـات تليف القرطوس والحبة ، وهو من الافرنك : 2099,50 .

والآن : فتفهم سيادتك : وأن هـذه سبعة سنين ونصف ونحن مفقودين عن الأهل والوطن ، والاعداء لا تنظرنا الا بعين الاحتقار ، حتى صرنا لا نستلذ طعاماً ولا شراباً .

وعليه فالمرجو من كمال فضل سيدي علينا وعلو همته أن يكون شفيعاً لنا عنـد سيدنا نصره الله ، لينظر من حالنا ، ويجد علينا بطلق سراحنا لصلة الرحم ، فها نحن رفعنا أمرنا الى الله واليك أيه الوزير ، لتنظر من حـالنا ولـلاخوة في الاسـلام ، فالله يجازيك بجاه خير الأنام ، وفي 12 من جمادى الثاني سنة 1304 .

خادم الحضرة العالية بالله : محمد بن محمد بن الكعاب الشركي ، وفقه الله ، في بلد بلجيكة بمدينة صيرين عند جماعة ككريل » .

3 ـ الزبير بن عبد الوهاب سكيرج الفاسي نزيل تطوان ، والمتوفى ـ بها ـ عـام 1351هـ/1933م ، من المبعوثين الاولين للدراسة بأنكلترا ، حيث برع في الرياضيات والفلك والجغرافية .

أ ـ وقد ابتكر جهازاً فلكياً أسماه : « ذات الكفين الافقية » ، وهو عبـارة عن رخامة أفقية رسم فيها البروج الشمالية والجنوبية ، لتقريب معرفة نقطة حلول الشمس في أي من البـروج ، وذلك بـواسطة الـظل الذي يـرسمه خط المـري المركـز بوسط الرخامة .

ويعقب أبو العباس سكيرج على ذكر ذات الكفين ويقول : « وعهدي بآخر ما نصبه منها : في صحن المسجد الكبير بثغر الجديدة ، وقد نصب رخامة من هذا النوع بسطح المسجد الكبير بالدار البيضاء ، أوائل عام تسعين ومائتين والف » .

ب ـ وبعد هذا يضيف نفس المصدر الى هذا الجهاز ، رسالة وجيزة في مقدمات

الهندسة ، وهـو يذكـر عن المترجم : « وقـد أخبرني أنـه ألف تويلفـاً في مبادىء علم الهندسة سماه : « تحفة الاخوان ، بتخطيط البلدان » ، ولم أقف عليه بعد ذلـك الى الآن » .

وبالاضافة إلى هذا يـذكر المصـدر نفسه مـا درسه عـلى المترجم من المـواد التي تخصص فيهـا : « وقد تلقيت عنـه مبادىء علم المسـاحة ، والهيئـة ، والجغـرافيـة ، والهندسة ، وتخطيط الرخـامات ، التي من أنـواعها ذات الكفـين الافقية ، وهي من اختراعه »[1] .

4 ـ الطاهر بن محمد بن العلامـة عبد السـلام بن الحاج الأودي الفـاسي داراً ومنشئاً[2] ، المتوفي عام 1365هـ/1945م ، وقد علمنا من رسالة ابن الكعاب أنه كان معه في بعثة واحدة ، كما سنذكر من بعـد : أنه تقلد عـدة وظائف في العهـد الحسني وبعده ، وفوق ذلك فله كتابات في موضوعات مختلفة منها :

أ ـ « الاستبصار ، في عجائب الامصار ، والجبال والانهار ، والبحور ومنافيس النار . . » موضـوعه في الجغـرافيا العـامة كـما يدل عليـه اسمه ، ولكن مؤلفـه ملأه بالاستطرادات الكثيرة .

استهله بـالحديث عن الحـرب العـظمى الأولى : 1914 ، ليتخلص من هـذا الموضوع الى الحديث ـ في شيء من الايجاز ـ عن جغرافية العالم قارة قارة : أوروبا ، آسيا ، افريقيا ، أمريكا ، جزر المحيط ، ثم تحدث عن تـرجمته وبعض حوادث المغرب قبل الحماية وبعدها ، وبعد هذا نجد بالكتاب مراسلات سياسية عديدة تأخذ قسـطاً مهماً منه .

وقد همش هذا المؤلف بتعليقات تكون ضافية في بعض الاحيان ، وتتناول وقائع تاريخية .

---

(1) « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » : المخطوطة المارة الذكر : ص 165-166 .

(2) هكذا سمى نفسه في مؤلفه « الاستبصار » ص 83 من نسخة كاتب هذه الدراسة .

والى جانب استطرادات الكتاب الكثيرة ، فإنه يؤخذ عليه أيضاً عدم مراعاته للتنظيم في كثير من مواضيعه ، ويؤخذ عليه أيضاً تحريره بلغة قريبة من الدارجة المغربية ، ومع هذا كله فالكتاب مفيد في موضوعاته ، وينم على أن لمؤلفه ثقافة حديثة لا بأس بها .

توجد منه نسخة بمكتبة كاتب السطور عدد صفحاتها المستطيلة 211 ، وهي ـ فيما يظهر ـ محررة بخط مؤلفها ، ومنه نسخة أصغر من الأولى بالمكتبة الاحمدية ، ونسخة ثالثة بها بعض مخالفة بخزانة الاستاذ العالم المرحوم ادريس بن الماحي الادريسي بفاس .

ب ـ « رحلة » ألفها مدة الاعوام السبعة التي قضاها بأوروبا ، وأضاف لها .

ج ـ « خريطة الكرة الارضية » التي بعث بنسخة منها من مدرسة باريز الى السلطان المولى الحسن عام 1300 = 1882[1] ، لم أقف على هذه الرحلة ، أما الخريطة فيظهر انها هي التي أثبتها المؤرخ ابن زيدان في « الدرر الفاخرة »[2] .

---

(1) المصدر الأخير ـ ص 31 ، 96.

(2) قبالة ص 105.

15 خـرط وتقـنيـات حـديثـة

ويتعلق الأمر بأفراد من البعثات الـذين برعـوا في رسم الخرائط عـلى الطريقـة الحديثة ، أو في انتاج ساعات تقنية جديدة .

وبالنسبة للخرائط كانت تستخدم في رسوم متنوعة : للمساكن والمسافات والمدن وللتخطيطات العلمية .

ونذكر ـ أولاً ـ دفتراً بالمكتبة الملكية يحمل رقم 1704 ، وهو يهتم بتسجيل أملاك الدولة من الدور بمدينة مراكش ، مع اثبات تصميمات لاكثرها : كل دار في خـريطة على حدة ، حيث تستوعب معالم الدار المعنية بالأمر ، فترسم بابهـا ، ومدخـل أسفل الدار ، ومدخل عليتها ان كان ، ثم صحنها والبيوت والمطبخ والمستراح ، والروض ان كان ، مع التنبيه على ما اذا كانت بعض الحجرات متهدمة . . .

وقد صنفت الدور بالدفتر في أربعة أقسام :

الأول : مؤرخ في 21 رجب عام 1308هـ ، ويتناول الديار الواقعة بناحية باب دكالة وما اليها ، مع تصميمات تبلغ 47 خريطة .

الثاني : مؤرخ في 20 جمادى الأخرة عام 1308 هـ ، وهو خاص بديار روض الزيتون الجديد ، وحي القنارية ، ودرب ضباشي ، ويشتمل على 15 خريطة .

الثالث : مؤرخ في 16 جمادى الثانية عام 1308هـ ويشتمل على روض الزيتون

القديم ، في 10 خرائط .

الرابع : عند حي القصور ، به 13 خريطة .

وسوى هذا الدفتر هناك خرائط للمسافات التي يمر منها الموكب السلطاني في تنقلاته عبر المغرب ، وهي تهتم برسم وضعية الطرق ، وتقدير المسافات الفاصلة بين المنازل بالساعات والدقائق ، وتحتفظ المكتبة الملكية ببضعة نماذج من هذه الخرط ، ولا تزال دون ترقيم :

وثالثاً : خرائط بعض المدن ، ومن نماذجها : تصميم الشكل البنائي لقصبة القنيطرة ، وخريطة طرفاية .

ورابعاً : خرائط علمية تهتم بالتخطيطات الجغرافية : الارضية او السماوية ، وقد سبقت الاشارة الى مصور الكرة الارضية من عمل الطاهر الاودي ، وهناك خرائط اخرى متنوعة سيرد ذكرها وشكياً .

أما عن المباشرين لوضع هذه التصميمات ، فنعرف ـ الآن ـ منهم خمسة أسماء :

1 ـ الحسين بن الحاج خلوق الأودي آتي الذكر ، وكان ضمن بعثة طرفاية عامي 1312 ، 1313هـ : لوضع خريطة البنايات المحدثة بهذه المرسى براً وبحراً[1] .

2 ـ صالح بن محمد التادلاوي ، واضع تصميم قصبة القنيطرة عام 1314هـ/1897م[2] ، وإلى معرفته بالهندسة كانت له ثقافة عسكرية تقنية ، حيث جاء في رسالة حسنية[3] هذه الفقرة : « « ان صالحاً أحد المتعلمين بفبركة المكاحل ببلجيكة ، وقد صنع بالفبريكة البلجيكية 72 مكحلة من المكاحل التي وردت ، واسمه مكتوب عليها » .

---

(1) « اتحاف أعلام الناس » ج 1 ص 380 ، مع معلومات أخرى عن المترجم مقيدة بخط البعض .

(2) رسالة وزيرية مؤرخة في 18 رمضان عام 1314هـ ، حسب سجل مخزني ابمكتبة الملكية رقم 429 ـ ص 18.

(3) بتاريخ 29 ربيع الثاني عام 1302هـ ، حسب سجل مخزني بنفس المكتبة رقم 360 ـ ص 259.

3 ـ محمد بن المكي المسفيوي ، مهندس رسم خرائط قصر ملكي ؟[1] .

4 ـ علال بن محمد المهندس ، وكان قد كلف بتصوير خرائط لاملاك الاحباس وغيرها[2] .

5 ـ أحمد شهبون ، مـار الذكـر ضمن البعثات المغـربية الى مصـر ، وقد رسـم مجموعة من اللوحات الجغرافية في شكل أطلس سماه : « كتاب الجغرافية المغربية » ، وكان تخطيطه بفاس عام 1315هـ/1898م ، وهو يضم 18 لوحة هكذا :

أ ـ عنوان الكتاب وفهرسته .

ب ـ مصور الفلك مع رسم الخطوط والدوائر .

ج ـ خـريطة الكـرة الارضيـة بنصفيهـا الشـرقي والغـربي ، وخـطوط الـطول والعرض .

د ـ صور فلك القمر .

هـ ـ الكرة الارضية من وجه واحد ، ومرسوم عليها دائرة الشمس .

و ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة آسيا : من البحور ، والبحيرات ، والجزائر ، والسكان ، والانهار ، والجبال ،والعواصم ، والعروض . . .

ز ـ خريطة آسيا .

جـ ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة أوروبا . . .

طـ ـ خريطة أوروبا .

ي ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة افريقيا . . .

يا ـ خريطة افريقيا .

يب ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة أمريكا . . .

يج ـ خريطة أمريكا . . .

---

(1) رسالة مؤرخة في 19 شعبان عام 1315هـ ، حسب سجل بنفس المكتبة رقم 432 ـ ص 42.

(2) رسالة وزيرية بتاريخ 6 رمضان عام 1315هـ ، حسب السجل الاخير ـ ص 82.

يد ـ خريطة أستراليا .

يه ـ خريطة نيوزيلندا .

يو ـ صورة البروج وصفاتها ، والمنازل والكواكب السيارة السبع .

يز ـ لوحة موافقة السنين : العربية الهجرية ، والعجمية الهجرية ، والمسيحية ، وبيان الكبس .

يحـ ـ خريطة المغرب الاقصى .

يوجد من هذه الجغرافية مخطوطة فريدة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2388 ، وهي مرسومة رسماً بارعاً ، ومخططة بالألوان على لوحات مستطيلة في مقياس 230/350[1] .

* * *

والآن : نذكر ساعاتياً تقنياً درس الميكانيك بانجلترا ، وكان هو محمد بن لحبيب الفيلالي المكناسي ، المتوفي بمراكش عام 1334هـ/1916م ، وقد بقي من آثاره :

أ ـ ساعة في غرفة الموقت بمنار جامع ابن يوسف بمراكش ، وقد رغبت من الاستاذ محمد بن العلمي : « أبي نصر » المكناسي أن ينقل لي ما عليها من كتابات ودوائر ، فبعث لي بما يلي :

« . . كتب على رخامة الساعة المذكورة : « هذه المجانة مصنوعة بالوندريز : « لندرة » ، ومخترعها ابن لحبيب المجاني 1308 » ، ويحيط بالرخامة الى الداخل خمس دائرات : اثنان منها : لحساب الشهور العجمية وأسمائها ، واثنان : لحساب الشهور العربية وأسمائها ، والخامسة : لاسماء الايام ، كما تشتمل الساعة في أعلى رخامتها على دائرة أخرى مكتوب عليها : تسريح الضرب ـ ثقاف الضرب » .

---

(1) ورد وصف هذه الجغرافية عند ابن زيدان في كل من الدرر الفاخرة ص 95 -96 ، مع العز والصولة ، ج 2 ص 161 -162.

ب ـ ساعة كبيرة يزيد طولها على أربعة أمتار ، وعرضها على مترين ، وقد كتب بأعلاها هذه العبارات : « ابن لحبيب » ـ « عام 1318 » ـ « بمكناس » ، ولا يزال الهيكل الخارجي لهذه الساعة ينزوي في بيت بـ : « أكدال مولاي الحسن » بمراكش ، حيث وقفت عليه هناك عشية يوم الجمعة 5 حجة عام 1378هـ/12 يونيه سنة 1959 م ، صحبة الاستاذين بثانوية ابن يوسف : السيدين أبي بكر الجرموني ، وأبي نصر المكناسي المذكور ، ومنذ سنة 1961م ذيلت الكتابة عن هذا الاثر بالفقرة التالية : « وما أجدر هذه الساعة أن لو خرجت من انزوائها بذلك البيت ، ونقلت لدار الآثار بمراكش لتعرض هناك » .

ج ـ ساعة في مشهد مولاي ابراهيم قرب مدينة مراكش حسب ذكر البعض ، ولم أقف عليها بعد .

ومن الوثائق المتعلقة بالمترجم : رسالة صادرة عن أمر السلطان عبد العزيز عام 1314 هـ / 1896 م ، ونصها :

« أمناء البنيقة المراكشية :

وبعد فإن ابن الحبيب المواكني كلف بصنع البارود ، واحتاج إلى صنع فابريكة لخدمته تكون مركبة في محل على الماء الجاري ، ويأمركم سيدنا ـ أعزه الله ـ أن تحضروا معه ومع خليفة الباشا ويدة ، والمهندس ، والبناء ، والنجار ، واللواح ، والعدلين صحبته ، وتعينوا محلاً صالحاً لذلك يصوره المهندس ، ويقوم صائره المعلمون : البناء والنجار واللواح المذكورون ، ليرى سيدنا ـ أعزه الله ـ في ذلك ، كما يأمركم ـ أيده الله ـ أن تقضوا له ما يتوقف عليه من الاقامة للفبريكة المذكورة بعد ذلك ، والسلام ، 18 جمادى 2 عام 1314 »[1] .

---

(1) الرسالة واردة في « سجل مخزني » بالمكتبة الملكية رقم 199.

16 أطر حديثة من أفراد البعثات ومن إليهم

ويتعلق الأمر بتقديم نماذج للاطارات الادارية أو الحرة التي حافظت المصادر على ذكر أصحابها ، وقد رأينا سابقاً ـ ضمن لوائح البعثات المغربية إلى أوروبة ـ مجموعة من المتخرجين الذين شغلوا وظائف متنوعة ، ونضيف ـ الآن ـ معلومات أخرى : تكميلية أو أساسية ، عن أفراد البعثات ومن إليهم ، الذين عملوا في مختلف الأطر .

ونذكر ـ أولاً ـ 1 ـ محمد الدكالي من المثقفين ثقافة حديثة ، وقد أسند إليه السلطان محمد الرابع مهمة تنمية مؤسسات الاشغال العمومية بالمغرب ، وهو الذي أبرم مع ميكانيكي انجليزي اتفاقية في شأن معمل السكر الذي أنشىء بمراكش[1] .

2 ـ الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي ، كان عارفاً ببعض اللغات الأوروبية ، بصيراً بعوائد أهلها ، وأوفده نفس السلطان على رأس البعثة المغربية التي شاركت في معرض باريس عام 1285هـ/1867م[2] .

وقد ازدهر استخدام أطر البعثات أيام السلطان الحسن الأول ، فقد وظف بعضهم في « دار السلاح » التي أنشأها بفاس ، ووزعهم على تسيير أقسامها :

فكان ـ 3 ـ محمد المنقري رئيس قسم صناعة الزناد ، و ـ 4 ـ عباس بن قاسم

---

(1) « اتحاف اعلام الناس » ـ ج 3ص 561.

(2) « الاستقصا » ـ ج 4 ص 232.

رئيس قسم صناعة الجعاب ، و ـ 5 ـ الطاهر بن الحاج الأودي ـ سابق الذكر ـ رئيس العملة بنفس الدار[1] .

وهـذا الاخـير شغـل منـاصب أخـرى في العهـد الحسني وبعـده ، ففي عـام 1298هـ/1880م كان ترجمان سفارة الوزير علي المسفيوي إلى فرنسا في غرض ضرب السكة الحسنية ، وفي عام 1307هـ/1890م كان ترجمان سفارة المعطي بن الكبـير إلى فرنسا ، وفي عام 1324هـ/1906م صار ترجماناً في مؤتمر فاس الذي انعقد بين نائب فرنسا من جهة ، والوزراء المغاربة وأعضاء مجلس الاعيان المغربي من جهة أخرى ، وفي نفس العام كان ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء[2] .

ومن الـذين استعان بهم السلطان الحسن الأول ، يـوجد ـ 6 ـ الحـاج ادريس الشاوي الذي صـار في قيادة المـدفعية المغـربية[3] ، و ـ 7 ـ المهنـدس الزبـير سكيرج الفاسي ، كان من أكبر المهندسين ، وهو الذي ساعد المهندس الانجليزي في مباشرة أبراج طنجة ، حيث نال من هذا الاخير تنويهاً مكتوباً ، كما ساعد المهندس الألماني في بناء البرج الكبير بالرباط عام 1303هـ/1886م ، وفي عام 1307هـ/1889م توجه ـ ضمن بعثة فنية ـ إلى ألمانيا ، ثم عاد إليها في بعثة أخرى عام 1308هـ/1890م ، وسكيرج هذا كان ـ أيضاً ـ ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر مدريد المعروف[4] .

ومن العهد الحسني أيضاً نذكر ـ 8 ـ ادريس زولو الصفار ، وكان يشرف على تجهيز مصنع القرطوس بمراكش[5] .

---

(1) اتحاف أعلام الناس ـ ج 2 ص 468

(2) الاستبصار للطاهر الأودي ـ ص 95 -96.

(3) اتحاف أعلام الناس ـ ج 2 ص 466.

(4) « المصدر الأخير » ج 2 ص 466 ، 488 ، 489 ، وانظر عن بقية وظائفه كتاب « العز والصولة » ج 2 ص 150 ، تعليق رقم 2 .

(5) يؤخذ هذا من لائحة في حوزة أسرة المذكور ، وجاء في عنوانها : « بيان زمام فابركة القرطوس ، وتطبيق زمام المعلم ادريس زولو ، وعلى تعريب أصل زمام بركاش ، قيد 27 رجب 1304 » . =

وقد لمع في عهد السلطان عبد العزيز اسم ـ 9 ـ المهندس الحسين ابن الحاج خلوق الأودي ـ سابق الذكر ـ درس بألمانيا ، وكان عارفاً بالفنون الحربية ، وقام بتمرين الجيش المغربي في نفس العهد ، وهو الذي تولى هندسة الطريق التي جلب منها ماء عين غبولة إلى القصر الملكي بالرباط[1] .

ومن الذين شغلوا أطراً حرة نذكر أعضاء بعثة مدينة العرائش، وكانت تتألف من :

10 ـ المهندس عبد السلام أزود من جامعة ألمانيا .

11 ـ المهندس ادريس الشرادي من جامعات انجلترا .

12 ـ المهندس علي السوسي من جامعات إيطاليا .

وقد نشر ثلاثتهم روحاً جديدة بمدينتهم ، وكونوا فيها حياة علمية ، وشعوراً قومياً ، ونشاطاً اجتماعياً[2] .

13 ـ وأخيراً نختم بالطبيب أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسماني الطنجي ، المتوفي ـ بفاس ـ عام 1347هـ/1928م ، وحسب الكانوني[3] فانه درس الطب في أوروبا وأحرز على شهادة فيه ، وبعدما عاد إلى المغرب انتصب لمداواة الناس ، وفي « زهر الاس »[4] أنه استوطن مدينة فاس ، واتخذ مستوصفاً في دكان بعين علون ، حيث قصده الناس من بدو وحضر ، وكان له علاج حسن ، ويقابل زائريه بليونة خطاب .

وفي العز والصولة لابن زيدان وردت هذه الفقرة : « . . فابركة القرطوس المشتراة من البلجيك ، ونزلت بمرسى الجديدة ، ونقلت كلها لحضرة مراكش ، ونزلت بخزين دار البديع ولم يبق بالجديدة منها شيء ، والكل على يد المعلم ادريس زولو ، وما يخصها ذكر زولو أن بركاش وجه عليه » ، حسب البقية غير المنشورة من نفس الكتاب ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 8049 ـ ورقة 272 أ .

(1) من مقيدة بخط البعض .

(2) « علماؤنا المنسيون » ، مجلة « المصباح » بتطوان ، العدد الاول : مارس 1951 ـ ص 63.

(3) تاريخ الطب العربي بالمغرب ، مبيضة المؤلف بالمكتبة الاحمدية .

(4) المخطوطة المتكررة الذكر باسم « زهر الاس ، في بيوتات فاس » خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1ص 368 ، 370.

17 الطباعة الحجرية الفاسية

وسيأتي تصنيف هذا الموضوع حسب العناوين الرئيسية التالية :

نشأة الطباعة وشيوعها ـ الطباعة الحجرية ـ تطلع مغربي للطباعة ـ وصول المطبعة الحجرية للمغرب ـ المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة حكومية ـ المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة فردية ـ مطابع حجرية جديدة :

مطبعة الحاج الطيب الازرق ـ مطبعة العربي الأزرق ـ المطبعة الجديدة لابن عبد المولى ـ المطبعة الجديدة للذويب ـ المطبعة الحفيظية ـ مطبعة أحمد بن عبد الكريم القادري ـ مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس ـ ملاحق : وعددها أربعة عشر .

نشأة الطباعة وشيوعها

ينسب اختراع المطبعة الى يوحنا غوتنبرج الألماني ، وقد وضعت محاولاته الاولى موضع التنفيذ منذ سنة 1450م/ «854»هـ حيث قام بطبع أول كتاب وهو التوراة ، ثم شاع اختراعه في أوروبا ، وأخذ في التحسن حتى بلغ ما هو عليه الآن .

أما الطباعة العربية بالحروف . فقد ظهرت بايطالية في أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، وأول مطبعة عربية وأحرفها عربية ظهرت في فانو بايطالية ، وهي التي دشنها البابا « ليون العاشر » سنة 1514م/«920» هـ ، وقد طبع فيها ـ خلال القرن السادس عشر م . ـ عدد من الكتب الدينية المسيحية والعلمية باللغة العربية ، وفي رومة طبع سنة 1593م/ 1002»هـ» « القانون » و « النجاة » لابن سينا في مجلد ضخم .

ولم تصل الطباعة بالاحرف العربية إلى الاستانة إلا في الثلث الأول من القرن الثامن عشر م. وفي سنة 1129هـ/1716م أفتى شيخ الإسلام بتركية : عبد الله أفندي بجواز استخدام الطباعة في حدود خاصة ، ثم رخص بعد بطبع جميع أنواع الكتب[1] .

وكانت الطباعة العربية قد ظهرت في لبنان منذ سنة 1583م/ 991 -992هـ ، ثم ظهرت في حلب من سورية سنة 1706 م / 1118 هـ، وفي سنة 1798م/ 1213هـ دخلت لمصر مطابع الحملة الفرنسية . ولما استقر الامر لمحمد علي باشا في مصر أنشأ مطبعة بولاق على أنقاض مطبعة بونابرت في 8 صفر 1237هـ/ 4 نوفمبر 1821م[2] ، والظاهر أن أول ما طبع بالعربية في شمال افريقية كان هو صحيفة « المبشر » ، وقد صدرت في الجزائر سنة 1847م/ 1264هـ ، وكانت اللسان العربي للسلطات الفرنسية[3] ، وفي تونس تأسست أول مطبعة عربية في غرة المحرم سنة 1277هـ/1860م[4] ، وأول ما طبع بها هو « الموطأ » للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني[5] .

وفي نفس هذه السنة الاخيرة ـ 1860م/1277هـ ـ أنشئت أول مطبعة افرنجية بتطوان على يد الاسبانيين[6] ، أما اول مطبعة عربية استخدمها المغاربة فكانت هي :

---

(1) « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، مطبعة الهلال 1931 ـ ج 4 ص 54 -55 ، وانظر عن حيثيات فتوى شيخ الاسلام : « المعيار الجديد » للوزاني ـ ج 11ص 336 -337.

(2) « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » للدكتور خليل صابات ، ط . دار المعارف بمصر ـ ص 33 ، 93 ، 121 ، 136.

(3) « الصحافة العربية » ، تأليف أديب مروة ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ص 223.

وأستدرك هنا فأذكر أني وقفت ـ بعد هذا ـ على طبعة لـ : « كتاب الاخبار المبينة ، لاستيلاء الشرك على قسنطينة » ـ خ ، ع 709 د ـ وهو مكتوب بخط ابن العنتري : محمد الصالح ، ومطبوع ـ على الحجر ـ في قسنطينة بدار فائد ، قرب دار الامارة ، في سنة 1262 هـ/ 1845م ، وحسب ذكر البعض ، فإن هذا ثاني كتاب مطبوع ـ بالعربية ـ بالجزائر ، وعلى هذا لا تكون صحيفة « المبشر » أول ما طبع بالعربية في شمال افريقية ، وقد يكون إبن العنتري هو مؤلف « الأخبار المبينة » ، وله ترجمة في « معجم أعلام الجزائر » ص 246.

(4) « اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان » لابن أبي الضياف ـ ج 5 ص 31.

(5) « نزهة الابصار » للمشرفي ، خ ، ع ، ك 579.

(6) محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ـ ص 194.

المطبعة الحجرية العربية التي سيذكر أنها دخلت للمغرب سنة 1281هـ/1864م ، ثم ظهرت بعدها بالمغرب « المطبعة السلكية العربية » ، وهذه الاخيرة ليست من موضوع هذه الدراسة التي تهتم بـ « تاريخ المطبعة الحجرية المغربية » بالخصوص ، وانما موضع حديثها هو الطور الثالث بمشيئة الله سبحانه .

الطباعة الحجرية

وقع اختراع « المطبعة الحجرية » على يد الويز سنيفلدر في مدينة ميونخ بألمانية ، وكان ذلك في الأربع السنين الأخيرة من القرن الثامن عشر للميلاد .

أما الطبع عليها فهو يتطلب لوحات حجرية خاصة للكتابة عليها ، كما يتطلب جهازاً للطبع هو « المطبعة الحجرية » ، وتبتدىء العملية من الناسخ الذي يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص ، وعلى ورق خاص يضغط عليه ـ بعد كتابته ـ بين ورقتين نشاشتين مبتلتين .

وحسب الطريقة التي كانت متبعة في « المطبعة المغربية » ، كان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة ، وبعد هذا توضع اللوحة التي يراد نقل الكتابة اليها في مكبس بعد أن يحمى ، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسية ، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة الحجرية ، ويضغطان مراراً كثيرة ، فتلتصق الورقة باللوحة ، ثم يرطب ظهر الورقة ، وتدار اللوحة وتضغط مراراً كثيرة أيضاً ، وترطب مرة أخرى وتفرك بالأنامل لكي يسهل نزعها عن اللوحة ، فتنزع عنها تاركة الكتابة عليها، ثم يصب على اللوحة قليل من الصمغ ، وتبل خرقة بقليل من حبر الطباعة ويمسح بها ، فيلصق الحبر حيث كانت الكتابة . وحينما تبرد جيداً يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر ، حتى اذا تنشفت توضع في المطبعة . وتبلل بالماء ثم الحبر ، ثم يطبع الورق عليها حسب العدد المطلوب ، ويعاد تبليلها بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة[1] .

---

(1) أنظر مجلة « المقتطف » ، المجلد السادس ، الجزء الرابع ـ ص 193 ـ 194 ، مع مجلة « الجنان » البيروتية ، ج 1 كانون الثاني سنة 1882م ـ ص 9 -10.

هكذا كانت طريقة الطبع على هذه الآلة الحجرية ، ويوجد باللائحتين رقم 4 ، 9 المرفقتين بهذه الدراسة ، عدد من لوازم المطبعة الحجرية ، وهي تدل على أن المطبعة الحجرية المغربية كانت يدوية بسيطة ، ولم تكن من نوع المطبعة الحجرية التي تدور بالبخار ، كما تدل اللائحة رقم 4 على أن بعض هذه اللوازم كانت تستورد من مصر .

تطلع مغربي للطباعة

لقد بات من المحقق أنه قبل دخول الطباعة للمغرب ، وجدت رغبة من بعض المفكرين المغاربة في تزويد المغرب بمطبعة عربية ، وقد ظهرت هذه الرغبة على لسان سفير مغربي عقب عودته من سفارة قام بها إلى فرنسا أواخر سنة 1276هـ/1860م ، ثم دون عنها رحلة عنونها بـ « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » ، ويعني بهذا السفير : الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروي الفاسي ، الذي أعلن في رحلته[1] عن هذه الأمنية العزيزة بعدما مهد بتعداد مزايا المطبعة ، في فقرات مسجوعة جاءت هكذا :

« وهذه الآلة التي اتخذوها للطبع ، هي في كل الأمور عامة النفع ، معينة على تكثير الكتب والعلوم ، وأثرها في ذلك ظاهر معلوم ، وقد اتخذوها في جميع بلاد الإسلام ، واغتبط بها مشاهير العلماء الأعلام ، ويكفيك من شرفها وحسن موقعها ، رخص الكتب التي تطبع بها ، وقد اعتنوا بتصحيحها ، وبالغوا في تهذيبها وتنقيحها ، مع جودة الخط ، وإيضاح الضبط ، وهذه نسخة القاموس المطبوعة عام اثنين وسبعين بمصر ، يباهي بوجودها هذا العصر ، لا تجد في النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منها ، فقد كانت عدت عليها أيدي الناسخين ، حتى عجزت عن تداركها عقول الراسخين ، وكادت تنبذ لأجل التحريف ، وتطرح لأجل التصحيف ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتأخرين به والمتقدمين ، حتى قيض الله له بعض علماء مصر فصرفوا إليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم ، فجاءت هذه النسخة في غاية الاتقان ، وبرزت في ميدان الجودة

---

(1) « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » ، المطبعة السلكية الفاسية ، دون تاريخ ـ ص 54 -55 ، وانظر عن ترجمة مؤلف الرحلة : « اتحاف أعلام الناس » ج 2 ص 32 -41 ، مع « فواصل الجمان » ص 142 -162.

والاحسان ، واتسمت حسنتها في غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجيب سعدها أنها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة[1] .

ونطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة ، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة . . » .

هكذا يلح هذا المفكر المغربي على تزويد المغرب بمطبعة عربية من سنة 1276هـ/1860م ، ويبدو أن المغرب كان يتطلع لهذا الاختراع العلمي قبل هذا التاريخ بكثير ، فهناك رحالة مغربي يحمل اسم « الشيخ محمد الفاسي » :

وقف ـ سنة 1801م/ 1216هـ ـ على مطبعة الحملة الفرنسية بالقاهرة وأبدى إعجاباً شديداً بها ، وكان هذا الشيخ قد شاهد ـ من قبل ـ مطبعة الاستانة[2] .

وصول المطبعة الحجرية للمغرب

وصلت المطبعة الحجرية للمغرب في شعبان سنة 1281هـ/1864-1865م[3] ، وكان دخولها يتسم بشكل فردي ، حيث جاء على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التملي الروداني[4] ، الذي اشتراها من الشرق لما حج ، ثم أتى بها للمغرب

---

(1) لا شك أنه يشير الى الطبعة الاولى للقاموس عام 1272هـ ، بمطبعة بولاق في مجلدين مشكولين، مع مقدمة تصديرية في معرفة اصطلاحات الكتاب ، بقلم الشيخ نصر الهوريني .

(2) « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » ـ ص 25.

(3) أنظر الملحق رقم 1.

(4) له ترجمة وجيزة في « خلال جزولة » ج 4 ص 120 -121 ، ويوجد بخط القاضي أبي عيسى المهدي ابن سودة مبيضة اجازة كتبها للمذكور بتاريخ ذي القعدة عام 1265هـ . وفيها يذكر أنه رحل لفاس في طلب العلم ولازم رياضه أزمنة وأعصراً ، فجنى جل ما طاب ، حتى ملأ الوطاب ، وقيد ماند وشرد ، واستكثر من إحكام قضاياه كل ما قصد . . .مع تحليته في مقدمة المبيضة بقاضي وجدة، كأنه كان قاضياً بها قبل أن يتولى قضاء تارودانت ، والمبيضة توجد ضمن كناشة من محتويات « المكتبة الاحمدية » .

وهناك تأليف صغير يسمى : « بكرة الاقتضاض ، في بغية الانقضاض) ، وهو شرح على قصيدة وضعها ـ معاً ـ البشير بن محمد بوحدو السلاوي أصلاً وداراً ومنشأً ، وتتناول القصيدة ـ حسب تعبير =

ومعه طبيع مصري ليشتغل بها .

ويحتوي الملحق رقم 3 لهذه الدراسة على نص الاتفاق الواقع ـ في هذا الصدد ـ بين القاضي الروداني والطبيع المصري محمد القياني بن ابراهيم المصري الذي حرر الاتفاق بخطه ، وفيه يلتزم بأن يأتي برفقة السيد الروداني إلى مدينة « رودانة » بأرض المغرب ، ويشتغل عنده في هذه المطبعة الحجرية مدة من سنة كاملة ، تبتدىء من ربيع الأول سنة 1281هـ ، وتنتهي في صفر الخير سنة 1282هـ ، وفي مقابل ذلك يتحمل السيد الروداني للطبيع المصري بأن يقوم بلوازمه في مأكله ومشربه وملبسه على طبق مراد هذا الأخير ، وفي كل شهر ينقذه مائتي قرش مصري خالصة لجيبه ، وفي حالة ما اذا انتهت السنة المذكورة وأراد المصري العودة لوطنه ، فان القاضي الروداني يرحله على نفقته إلى حد بلاده .

وقد تم تحرير هذا العقد في يوم الأربعاء 14 ربيع الأول المبارك ، سنة 1281هـ .

هذه خلاصة الاتفاق الذي يستفاد منه أن القاضي الروداني كان ـ في أول الأمر ـ سيستخدم المطبعة في اسمه ، غير أنه لا يلبث أن يقدمها هدية للسلطان « محمد الرابع » في ظروف لا تزال غامضة ، وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه إلى المغرب ، فان نفقات الطبع المصري في الميزانية المغربية تبتدىء ـ حسب الملحق رقم 1 ـ من شعبان سنة 1281 هـ ، أي بعد نحو أربعة أشهر ونصف من تاريخ توقيع العقد الأنف الذكر .

وفي المفاخر العلية[1] تحدث عن اهداء هذه المطبعة من طرف القاضي الروداني هكذا :

« وجاء الامير سيدي محمد هذا : « السلطان محمد الرابع » المطبعة التي تطبع فيها

= الشرح ـ مدح قاضي قضاة سوس ونواحيه : الحاج الطيب بن العلامة محمد يمل ، حيث بذل المجهود في حفر عين من الماء العذب ، وأجراه بتارودانت ، وعم النفع بها في المساجد والحمامات ، والمظاهر والسقايات ، وقع الفراغ من تأليف الشرح ونسخه صبيحة الخميس 13 رمضان عام 1284هـ وهو يوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 97ج.

(1) مخطوطة المكتبة الملكية السالفة الذكر عند ترجمة عبد السلام العلمي .

الكتب هدية ، أهداها له خادمه الفقيه العلامة سيدي الطيب الروداني قاضي تارودانت من سوس لما حج ورجع من الحج ، وجاء ـ أيضاً ـ بشيخ كبير عارف بكيفية الطبع ، فقبل سيدنا الامير منه الهدية ، وأكرم الشيخ المذكور وأجرى عليه النفقة ، وأعطاه ما يحتاج إليه ممن يخدمه » .

وحسب الملحق رقم 1 فان المدن المغربية التي مر بها الطبيع المصري قبل أن يلتحق بفاس كانت هي : الصويرة ابتداء من 2 شعبان سنة 1281هـ ، حيث يظهر ان المركب الذي أقله من مصر مع رفيقه الروداني أرسى بميناء هذه المدينة ، ثم كان في مكناس من 28 شعبان سنة 1281هـ حتى 17 ربيع الأول النبوي سنة 1282هـ ، وأثناء هذه الفترة وقع طبع أول كتاب أخرجته هذه « المطبعة الحجرية » ، وهو « الشمائل الترمذية » الذي ستتحدث عنه بعد .

ومن ربيع الثاني 1282هـ يبتدىء ـ في نفس الملحق ـ حساب المصري والمطبعة بفاس ، لما استقر هو والمطبعة بهذه المدينة ، وهنا يبتدىء ـ بعد نحو سنة ـ عمل هذه المؤسسة بصفة قارة ، حيث تمر بعدة أدوار ستتحدث عنها بالتتابع فيما يلي :

المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة حكومية

يبتدىء هذا الدور من ربيع الثاني سنة 1282هـ/1865م ، وينتهي آخر سنة 1287هـ/1871م ، وفي هذه المرحلة كانت تحمل اسم « المطبعة السعيدة » أو « المطبعة المحمدية » نسبة للسلطان محمد الرابع ، وتتعاون في نفقاتها الخزينة العامة والاحباس ، وكان مقرها في دار بالكراء تقع في زنقة « جزاء برقوقة »[1] من فاس الادريسية .

أما جهازها التوظيفي فكان يشتمل ـ بعد الطبيع المصري ـ على ناسخ ،

---

(1) جاء تعيين هذا المقر آخر حاشية أحمد بن الحاج على شرح الاجرومية لخالد الازهري ، المنشور بالمطبعة الفاسية أوائل ربيع الثاني عام 1295هـ ، حيث ذيلت الكلمة الختامية لهذه النشرة بطابع نقش داخله : « المطبعة المولوية بجزاء برقوقة ، فاس الادريسية » .

ختم المطبعة الحجرية الرسمية

ومصحح ، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين[1] .

وكان المصحح هو أبو حفص عمر (بن عبد القادر) الرندي (الأندلسي) ثم الفاسي ، المتوفي في 27 صفر سنة 1290هـ/1873م[2] .

وأول ناسخ توظف بها هو محمد ابن سليمان (الفاسي) ، المتوفي عام نيف وعشرة وثلاثمائة وألف[3] ، ثم أبو العباس أحمد الخضر بن عبد النبي ابن المجذوب الفاسي الفهري ، ولما توفي خلفه أخوه أبو يعقوب يوسف[4] .

ويوجد من بين المعاونين أفراد تدربوا على استخدام هذه المطبعة وصاروا بعد : طبيعيين ممتازين ، ومنهم الطيب بن محمد الأزرق الفاسي ، والمكي ابن الوزير محمد بن ادريس العمروي الفاسي[5] ، وقد يكون فيهم ـ أيضاً ـ العربي الأزرق أخو الطيب لأبيه .

وقد كانت أجور موظفي هذه المطبعة كالتالي :

الموظف	مياومة	مشاهرة	مصدر النفقة
الطبيع المصري :	26 أوقية	20 مثقالاً	الأحباس
المصحح :	/ ، 12 أوقية		الأحباس
الناسخ :	/ ، 12أوقية		الأحباس
المعاونون «20» :	56 أوقية		الخزينة[6]

(1) هذا مأخوذ من الملحق رقم 2.

(2) المفاخر العلية لعبد السلام اللجائي ، وعن ترجمة الرندي ، ارجع الى « سلوة الانفاس » ج 2 ـ ص 368.

(3) الدرة السنية ، في ذكر الدولة الحسنية « لمحمد بن أحمد بن محمد المدرومي الحسني نزيل مراكش ـ نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 481 ، وعن ترجمة ابن سليمان ارجع الى فواصل الجمان » ص 200 -201.

(4) « النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان ـ مقتبسات من نسخة المؤلف .

(5) أنظر ص 273-275 من هذه الدراسة .

(6) أنظر الملحق رقم 2.

يضاف لهذه الأجور انعامات ، فقد جاء في نفقات الخزينة العامة بتاريخ 27 رمضان سنة 1284هـ :

صاير 21 كسوة كاملة للطبيع المصري ومعاونيه العشرين ، ومن تفاصيل هذا الصائر يستفاد أن المصري وأكثر معاونيه كان لباسهم يشابه اللباس التركي القديم ، حيث يذكر اسم « جبدور » و « بدعية » و « منتال »[1] .

* * *

ولم تكن منشورات المطبعة في هذا الدور كثيرة ، حيث كانت لا تزال في البداية ، ولقصر مدة هذه المرحلة ، ولهذا لم يتجاوز عدد المنشورات ستة :

الاول : « الشمائل المحمدية » ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، وهي أول ما نشر بهذه المطبعة ، وكان طبعها بمكناس في 4 صفر سنة 1282هـ ، أثناء المدة التي كانت فيها المطبعة بمكناس قبل استقرارها بفاس . وقد جاءت الكلمة الختامية لهذه الطبعة هكذا :

« الحمد لله ، كمل كتاب شمايل المصطفى بحمد الله تعالى وتوفيقه ، بالمطبعة السعيدة بالحضرة المولوية العلية : بمدينة مكناسة الزيتون ، بأمر من توج برئاسته الاعصار ، وتباهت بسياسته البوادي والأمصار ، مجدد معالم الدين ، ومحيي آثار الأئمة المهتدين ، مولانا أمير المؤمنين ، المتوكل على رب العالمين ، أبقاه الله لحفظ نظام الإسلام ، وأيد به شريعة جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ونصره نصراً عزيزاً مؤيداً ، والسلام ، في رابع صفر الخير سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف » .

جزء واحد ، في 144 ص ، مسطرة 13 ، مقياس 165/200 ، خال من اسم الناسخ الذي يبدو ـ من ملامح الخط ـ انه من خطاطي مكناس .

---

(1) سجل نفقات مخزنية بالمكتبة الملكية رقم 297 ـ ص 32.

الثاني : « شرح المقدمة الاجرومية » لخالد بن عبد الله الازهري . وهو أول ما نشر بهذه المطبعة بفاس ، وتم طبعه في 18 جمادى الثانية سنة 1283هـ .

جزء واحد ، في 69 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 140/190 .

مكتوب بخط محمد ابن سليمان سالف الذكر .

الثالث : « مختصر الدر الثمين ، والمورد المعين ، في شرح المرشد المعين » ، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي .

وقع الفراغ من طبعه في 15 شعبان سنة 1283هـ .

جزء واحد ، في 228 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 157/200 ، مكتوب بخط ابن سليمان سالف الذكر .

الرابع : « حلي المعاصم ، لبنت فكر ابن عاصم » ، تأليف محمد التاودي ابن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، كمل طبعه في 17 جمادى الأولى سنة 1284هـ .

جزء واحد ، في 555 ص ، مسطرة 21 ، مقياس 160/200 .

يذكر محمد المدرومي في « الدرة السنية ، في ذكر الدولة الحسنية »[1] : أن محمد ابن سليمان سابق الذكر ، رشحه السلطان محمد الرابع لكتابة مطبوعات هذه المطبعة ، وعين من منتسخاته « حلي المعاصم » هذا ، فأفاد أنه هو كاتب هذه الطبعة بخطه ، فإذا قوبل ، خط هذه مع الخط المكتوب به كل من شرحي الأزهري على المقدمة الاجرومية وميارة على المرشد المعين ، مع الجزء الأول من شرح المختصر الخليلي للخرشي ، توجد الخطوط متماثلة ، فيستفاد أن هذه الثلاثة مكتوبة هي الأخرى بخط ابن سليمان أيضاً .

الخامس : « الشرح الصغير على المختصر الخليلي » لمحمد بن عبد الله ابن علي الخرشي المصري .

في ستة أجزاء : الأول ، تم طبعه يوم الأربعاء 24 محرم سنة 1284هـ ، في 305

---

(1) مخطوطة المكتبة الملكية سابقة الذكر .

شكل ـ 11

شكل ـ 12

الصفحتان : الأولى والأخيرة من أول كتاب نشر بالمطبعة الحجرية : « الشمائل الترمذية » .

ص ، مقياس 215/310 .

الثاني : تم طبعه يوم الخميس 23 ربيع الثاني سنة 1285هـ ، في 350 ص ، مقياس 210/300 .

الثالث : يوم الاثنين 6 محرم سنة 1286هـ ، في 342 ص ، مقياس 210/300 .

الرابع : يوم الاثنين 10 شعبان سنة 1286هـ ، في 339 ص ، مقياس 205/280 .

الخامس : الخميس 23 ربيع النبوي سنة 1287هـ ، في 306 ص ، مقياس 210/300 .

السادس : 8 حجة سنة 1287 هـ ، في 328 ص ، مقياس 205/300 ، مسطرة جميع الأجزاء 27 .

جاء في « النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان : أن أبا العباس أحمد الخضر الفاسي سابق الذكر ، توفي قبل أن يتمم كتابة شرح الخرشي هذا ، فأكمله ـ بخطه ـ صنوة يوسف مار الذكر .

السادس : « قصيدة مولدية » نظم أبي عبد الله محمد بن السيد أحمد الرفاعي المدني .

وقع الفراغ من طبعها زوال يوم الخميس 17 حجة سنة 1287هـ .
جزء صغير ، في 14 ص ، مسطرة 15 ، مقياس 110/147 .

وهذه القصيدة ـ فيما يبدو ـ كانت آخر ما نشر بالمطبعة الحجرية في هذا الدور الاول .

وتمتاز هذه المطبوعات عما نشر بعدها ، بالمبالغة في اتقانها ، تصحيحاً ، وطبعاً ،

وورقاً ، كما أنها مشكولة ، وإذا استثنينا « القصيدة المولدية » ، فان باقي هذه المطبوعات الحجرية كانت كتباً دراسية في الدرجة الاولى .

* * *

وقد كانت نهاية المطبعة في هذا الدور انها توقفت عن متابعة العمل ، وتفيد الرسالة التي هي الملحق رقم 5 : أن سبب هذا راجع لمفارقة الطبيع المصري للمطبعة وسفره ، والظاهر أن هذه الفترة امتدت طوال سنة 1288هـ ، ثم انتقلت بعد : هذه المطبعة لدورها الثاني حيث صارت مؤسسة فردية ، وهو ما سنتحدث عنه بعد .

ونذكر هنا أن دخول هذا الجهاز المطبعي للمغرب صادف استحساناً ، وكان ممن اعلن عنه اللجائي في « المفاخر العلية » ، ثم العربي المشرفي في « نزهة الأبصار » ، كما أن بعضهم أنشأ قصيدة ضمنها مدح هذه المطبعة[1] .

ويبدو أن السلطان محمد الرابع حاول تطوير الطباعة المغربية ، وتأسيس مطبعة بالحروف إلى جانب المطبعة الحجرية ، فهناك رسالة من اسماعيل باشا خديوي مصر ، إلى محمد الرابع سلطان المغرب ، وهي تحمل تاريخ شوال سنة 1283هـ/1867م ، وقد جاء فيها :

« هذا : وقد سررت بورود مشرفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم . . . وقد أرسلنا المومى إليه إلى دار الطباعة ، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها ، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها وسائر كيفياتها »[2] .

---

(1) توجد ضمن مجموع خ ، ع ، د 1115.

(2) أنظر عن مصدر هذه الفقرة ص 61-62 من هذا الجزء ، وقد يكون المبعوث المشار له في الرسالة هو عبد القادر الشفشاوني ، حيث يشير في إجازة كتبها لطبيعين الى أنه بعث به س محمد 4 الى مصر ليتعلم صناعة الطباعة في المطبعة الأميرية ببولاق ، حيث سيرد نص هذه الإجازة عند الملحق 12 ، نقلاً عن نصها =

شكل — 13

اجازة عبد القادر الشفشاوي لطبيعين

مديرية الوثائق الملكية .

ومن المؤسف أن لا تتعدى هذه المحاولة تسجيلها في هذا الخطاب ، حيث لم يعد يرى لها أثر بعد .

وأخيراً فان بعض العلماء المغاربة عارض في نشر الكتب بواسطة المطبعة ، فقد جاء في ترجمة محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي : أنه ألف رسالة في الترغيب في المؤلفات الخطية ، والتحذير من الكتب المطبوعة ، وبيان أنها سبب في تقليل الهمم ، وعدم حفظ العلم ونسيانه[3] ، ثم وقفت على قطعة من هذه الرسالة بمكتبة العالم الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، وهي مرتبة على ثلاثة فصول ، ويقف الموجود منها آخر الفصل الأول ، في 9 ص ، حجم متوسط ، حسب النسخة التي استخرجتها .

المطبعة الحجرية الأولى مؤسسة فردية

تركنا المطبعة الحجرية توقفت عن العمل طوال سنة 1288 هـ ، وحسب الملحق رقم 5 فقد قام بها ـ بعد هذه الفترة استجابة لرغبة طلاب العلم بفاس ـ الحاج الطيب ابن محمد الأزرق الفاسي ، المتخرج في هذه المهنة على يد الطبيع المصري ، وبهذا دخلت في دورها الثاني .

ولم تعد المطبعة ـ في هذه الحالة ـ على نفقة الحكومة ، وانما صارت مؤسسة فردية ينشر بها هذا الطبيع المغربي ، على أساس أن يقدم للحكومة عشرة في المائة من منشوراته ، وكان يشارك الأزرق في بعض هذه المدة الشريف الحسين بن محمد الدباغ الفاسي فيما يرجع للنفقات المالية ، وهذا الأخير ـ فيما يظهر ـ هو الذي وقع التصريح باسمه العائلي ـ الى جانب اسم الأزرق ـ آخر « شرح العمل الفاسي » للسجلماسي ،

= المكتوب بخط بديع ، داخل إطار مستطيل منمق بزخرفة جميلة ، ومذيل بطابع مستدير كتب فيه اسم « عبد القادر الشفشاوني » ، وهو شخصية علمية معروفة ، حسب ترجمته عند الزركلي في « الأعلام » : الطبعة الثانية ـ 165/4.
والاجازة في محفوظات مديرية الوثائق الملكية .

(3) معجم الشيوخ للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ـ ج 1 ص 57.

المنشور بهذه المطبعة بتاريخ أواسط رجب سنة 1291 هـ ، كما جاء التصريح باسمه ـ كاملاً ـ آخر الجزء الثاني من حاشية محمد الطالب ابن الحاج على شرح المرشد المعين لميارة ، وقد تم طبعه أول محرم عام 1293 هـ .

وفي هذا الدور لم تعد تسمى « المطبعة السعيدة » أو « المطبعة المحمدية » كما كان الحال من قبل ، وانما صارت تحمل ـ في الغالب ـ اسم « المطبعة الفاسية » ، نسبة لمدينة فاس التي كانت ـ آنذاك ـ تنفرد بهذا الجهاز في المغرب المستقل ، وقد تسمى « المطبعة العامرة » ، وأول ذكر لهذا الاسم الأخير جاء ختام طبعة « دلائل الخيرات » للامام الجزولي وما معه ، وهو منشور بهذه المطبعة بتاريخ الجمعة 10 صفر سنة 1289 هـ . ومن هنا نستفيد ـ ولو على وجه التقريب ـ تاريخ استيناف « المطبعة الحجرية » للعمل في دورها الثاني .

أما اسم « المطبعة الفاسية » فكان هو الغالب في هذه المطبوعات ، وحسبما وقفت عليه . فقد كان أول ظهوره في طبعة شرح المرشد المعين لميارة ، المنشور في 13 جمادى الثانية ، سنة 1289 هـ ، وبعد هذا ورد نفس الاسم مقترناً باسم الطيب الأزرق ، في شرح العاصمية للتسولي ، وقد وقع الفراغ من طبع جزئه الأول في 13 قعدة سنة 1289 هـ .

وهكذا تتوضح بداية هذه المطبعة الفردية وشخصيتها ، والظاهر أن مركزها استمر في مكانها الأول بزنقة « جزاء برقوقة » ، ومن المؤكد أن المطبعة ـ في هذا الدور ـ لم يكن النشر بها مقصوراً على الطيب الأزرق وحده ، وإنما صار يستخدمها بعض طبيعين آخرين .

والمعني بالأمر هنا اثنان : الأول : العربي الأزرق أخ الطيب لابيه ، وأول ما وقفت عليه من عمله في هذا الصدد : « كتاب تحرير أصول الهندسة » لاقليدس ، تأليف نصير الدين الطوسي ، الذي تم نشره في 23 شوال سنة 1293 هـ ، فقد جاء في آخره ، أنه تم بـ « المطبعة العامرة » بفاس ، خدمة المعلم العربي الأزرق ، ثم ورد

اسمه آخر نوازل الشريف العلمي ، التي نجز طبعها أوائل ربيع الثاني سنة 1294 هـ ، وبعد هذا جاء ذكر « مطبعة العربي الأزرق » آخر شرح العمل الفاسي للسجلماسي ، الذي تم طبعه في 14 ربيع الثاني سنة 1298 هـ ، وهذا أول ذكر لهذه المطبعة .

أما الثاني الذي كان يستعمل هذه المطبعة فهو المكي بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي ، وقد لمع اسمه منذ سنة 1292 هـ : آخر شرح المختصر الخليلي للهلالي ، الذي كان طبعه بمباشرة المذكور ، مع تذييل القصيدة الختامية بطابع نقش بداخله اسم « المكي ابن ادريس » ، وفي السنة التالية ظهر اسمه آخر « بهجة البصر ، في شرح فرائض المختصر » ، لمحمد بن أحمد بنيس الفاسي ، المهمش بحاشية عليه لمحمد بن المدني كنون الفاسي ، ووقع الفراغ من طبع ذلك في 14 جمادى الأولى سنة 1293 هـ ، وقد ذيلت القصيدة الختامية بطابع نقش بداخله :« المكي ابن ادريس أصلحه الله » ، ثم ظهر اسمه للمرة الثالثة مع شرح التحفة للتسولي ، الذي تم طبع النصف الأول منه في 15 قعدة عام 1293 هـ ، وللمرة الرابعة جاء ذكره آخر « الحصن الحصين » لابن الجزري ، وقد تم طبعه أول ربيع الثاني سنة 1294 هـ ، وفي نفس السنة باشر نشر شرح الخلاصة للمكودي ، وتم طبعه أوائل ذي الحجة متم سنة 1294 ، ومن منشوراته « دلائل الخيرات » للجزولي ، وتوابعه ، وفي آخر ذلك ورد اسم « المكي ابن ادريس » دون ذكر تاريخ الطبع ، فهي ست منشورات تحمل اسم المذكور ، وبعدها لم يعد يسمع له ذكر ، وبهذا لم يستمر لامعاً في هذه « المطبعة الفاسية » سوى اسمي الأخوين الحاج الطيب والعربي ابني محمد الأزرق .

وقد كانت « المطبعة » في هذا الدور الثاني بسيطة في جهازها التوظيفي ، ولم يكن قاراً بها ـ حسب الملحق رقم 9 ـ سوى الطبيع ومعاونيه والقيم ، أما من عداهم من خطاط ومصحح وناشر ، فلم تكن تتوفر عليهم بشكل قار ، ولهذا تنوعت خطوط المطبوعات ، وتعدد المصححون والناشرون ، وحسب نفس الملحق فقد كانت تسير في الطبع بمعدل ملزمة واحدة في اليوم ، من حجم شرح مرتضى على الأحياء الذي لم تتعد

شكل ــ 14

ختم طبيع بالمطبعة الحجرية

المطبوعات منه 200 نسخة ، كذلك كانت تعطل العمل في يوم الجمعة[1] .

مطابع حجرية جديدة

حسبما يتبين من الدور الثاني ، فقد كان الطبيعون المغاربة الثلاثة ـ بما فيهم الأخوان ابنا الأزرق ـ جميعهم ينشرون في مطبعة الحكومة الحجرية ، ثم دخل للمغرب ـ بعد هذا ـ مطابع حجرية جديدة ، منها مطبعتان صار يستخدمهما الأخوان ابنا الأزرق ، ومطابع أخرى ، وهي التي ندرسها في هذا الدور الثالث ونتناول جميعها فيما يلي :

1 ـ مطبعة الحاج الطيب الأزرق

وكان مركزها يقع في « درب الحمام » قرب الجوطية[2] من فاس القرويين ، ولا يعرف تاريخ انشائها بالضبط . ومن بين مطبوعات الحاج الطيب الأزرق ، توجد « الشمائل الترمذية » سنة 1310 هـ ، وتمتاز هذه النشرة بطابع موضوع أسفل ما قبل الصفحة الأخيرة ، وفي داخله كتب : « بمطبعة الحاج الطيب الأزرق » ، وقد اختفى اسمه من المطبوعات الفاسية أثناء سنة 1313 هـ ، حيث باشر في هذا التاريخ طبع « الشمائل الترمذية » و « الشفا » لعياض ، في 12 جزءاً .

---

(1) تعطيل العمل يوم الجمعة وارد في وثيقة بـ « النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية » .

(2) « فاس قبل الحماية » تأليف روجيه لوتورنو ، حسب تعريب الاستاذ الكريم السيد الصديق بن العربي أمين خزانة ابن يوسف بمراكش .

ويؤخذ على هذا المصدر انه يسمي صاحب هذه المطبعة : الحاج الطالب ، وانما هو الحاج الطيب ، كما يذكر عنه أنه استقدم صانعاً تركياً والغالب أنه التبس عليه الأمر بالطبيع المصري الذي استجلبه محمد الطيب الروداني من القاهرة .

وبعد هذا يقول نفس المؤلف : « وكان أول كتاب طبع بفاس هو شرح الشيخ مرتضى على الاحياء » ، هذا في حين أن شرح الاحياء انما تم طبعه عام 1304هـ ، بعدما كانت المطبوعات الحجرية الأولى ابتدأ طبعها بالمغرب من عامي 1282 -1283هـ .

وقبل هذا التاريخ لمع ـ في الطباعة الفاسية ـ ذكر ولده الحاج أحمد ابن الحاج الطيب الأزرق ، وبرز اسمه آخر « الحصن الحصين » لابن الجزري ، المطبوع سنة 1308 هـ ، ثم تتابع ظهور اسمه في المطبوعات الفاسية حتى سنة 1326 ، لما نشر مفاكهة ذوي النبل والاجادة . . . » ، أنظر رقم 15 و 39 من « لائحة منشورات أبناء الأزرق » الآتية وشيكاً .

والغالب أن هذا الأخير لم يشتغل ـ أول الأمر ـ بمطبعة على حدة ، وانما كان يتعاون مع والده ، فهناك طبعة لدلائل الخيرات للامام الجزولي ، وما معه ، وهي تحمل تاريخ 24 رمضان سنة 1310 هـ ، وقد جاء في آخرها : وذلك بمطبعة المعلم الأنمق ، الحاج الطيب الأزرق ، ونائبه في الطباعة : ولده المعلم الشاب ، الحاج أحمد الأزرق .

وأخيراً : فان هناك ظهيراً صادراً عن السلطان الحسن الأول بتاريخ 29 ربيع الثاني سنة 1291 هـ ، وفيه يسدل أردية التوقير والاحترام ، على ماسكه الطيب الأزرق الفاسي ، معلم مطبعة الكتب العلمية ، بفاس الأدريسية ، ويجدد له ـ في هذا الصدد ـ على ما بيده من ظهير السلطان محمد الرابع ، أنظر الملحق رقم 10 .

2 ـ مطبعة العربي الأزرق

كان يقع مركزها في درب حسان من حي البليدة بفاس القرويين[1] ، وهي ـ أيضاً ـ مجهولة تاريخ التأسيس ، ومن بين مطبوعاتها توجد رسالة « صلة المترحم . على صلة الرحم » للشيخ ماء العينين ، وهي منشورة سنة 1323 هـ ، وجاء في آخرها : « . . على ذمة معلم الطباعة ومديرها ومنشئها ومزينها . . السيد العربي بن سيدي محمد الأزرق » ، فهل يدل هذا على أن إحداث هذه المطبعة الجديدة كان في سنة 1323 هـ أو قبيلها ؟ ،ثم وقفت على ما يؤكد هذا في ختام طبعة الرسالة التي تحمل اسم « منيل

---

(1) حسب افادة الفقيه المعمر سيدي محمد بن الطالب ابن سودة المري .

البش . فيمن يظلهم الله بظل العرش » للشيخ ماء العينين أيضاً ، فقد جاء في آخرها : « طبع على ذمة صاحب المطبعة . . . السيد العربي الأزرق ، وذلك بالمطبعة الثانية ، وكان الفراغ من طبعه عشية الأربعاء سادس رمضان عام 1324 » ، فهذه المطبعة الثانية يظهر أنها هي التي أنشأها هذا الطبيع بعد مطبعة الحكومة التي نشر بها الكثير .

وقد استمر اسم « العربي الأزرق » يظهر في المطبوعات الفاسية حتى أثناء العقد الرابع من هذا القرن الهجري الجاري[1] .

* * *

هذا ونذكر أن بني الأزرق الثلاثة ـ وفي مقدمتهم العربي الأزرق ـ برزوا في ميدان هذه الطباعة الحجرية ، خلال الدورين الثاني والثالث ، فنشر على يدهم أكثر المطبوعات الفاسية ، وقد شملت منشوراتهم ـ الى جانب الكتب الدراسية ـ مطبوعات عديدة تناولت ـ بصفة خاصة ـ النوازل الفقهية ، والتراجم ، والرحلات ، مع بعض مؤلفات من فنون أخرى .

كما نذكر أن الخطاطين والمصححين والناشرين كانوا غير قارين بالنسبة لمطبوعات بني الأزرق ، ونستطيع معرفة زمرة من هؤلاء ـ بالنسبة للدورين معاً ـ بواسطة مصدر هام في هذا الموضوع بالخصوص ، وهو كلمات المطبوعات الختامية التي تذيل بها أغلب المنشورات الفاسية ، وتذكر اسم المصحح والناشر ، وفي بعض الحالات تصرح باسم الخطاط الذي كتب المطبوع ، وبمقارنة خط الطبعة المصرح باسم ناسخها ، مع المنشورات المماثلة لها في الخط ، والخالية من اسم الناسخ ، نستطيع نسبة خطوط كثير

---

(1) هناك مقال بعنوان : « تدريس العلوم وطبع الكتب العلمية بالمغرب » ، بقلم الدكتور رينو ، « هسبريس 1932م ص 78» : تعريب الاستاذ الفاضل الصديق بن العربي الأنف الذكر ، وقد ورد في هذا المقال : « وفي سنة 1906 لم يبق بفاس سوى ناشر واحد وهو الحاج الطيب الازرق » .
ولا شك أن ذكر اسم الحاج الطيب غلط واضح ، وانما المعني بالأمر أخوه العربي الازرق ، حيث ان اسم الاول اختفى من المطبوعات الفاسية من عام 1313هـ/ 1895 -1896م .

من المطبوعات الى أصحابها .

ولهذا ستعرض ـ قريباً ـ ما عثرت عليه من أسماء الخطاطين في الدورين الثاني والثالث ، مرتبين حسب تاريخ أول مطبوع كتبه الخطاط بيده ، مع تذييل ذلك بخطاطين اثنين استفدتهما من بعض المشافهات ، ثم نقدم .

ثانياً ـ لائحة توضيحية ومحدودة ببعض المطبوعات الفاسية التي باشر نشرها بنو الأزرق في كلا الدورين ، حتى نتعرف بواسطتها على المنشورات التي دبجها أولئك الخطاطون ، مع أسماء المصححين والناشرين .

الخطاطون بمطبوعات أبناء الأزرق

1 ـ محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المري[1] .

« لائحة منشورات أبناء الأزرق » الآتية : رقم 1 و 11 .

2 ـ أحمد بن محمد الفلالي ثم الفاسي .

اللائحة المشار لها ، رقم 6 .

3 ـ محمد الهادي بن ابراهيم ابن سودة .

نفس اللائحة رقم 7 و 10 .

4 ـ محمد بن محمد جنون .

نفس المصدر رقم 8 .

5 ـ الغالي بن الحسن المحمدي[2] .

المصدر رقم 9 .

---

(1) له ترجمة في أحد تعاليق « النهضة العلمية » لابن زيدان .

(2) يوجد بخطه الجميل نسخة من « الشفا » للقاضي عياض في سفر واحد ، « المكتبة الملكية رقم 6 » ، فرغ من انتساخها صبيحة الاربعاء 6 جمادى الاولى ، عام 1298هـ ، وسمى نفسه هكذا : « محمد الغالي بن الحسن الحسني المحمدي ، الفاسي الدار ، الزرهوني النجار » .

6 ـ الفاطمي ابن سودة[1] .

المصدر رقم 13 و 16 و 19 .

7 ـ أخوه الوافي بن ابراهيم بن الطالب بن أحمد بن محمد التاودي ابن سودة .

المصدر رقم 15 و 22 و 23 و 31 .

8 ـ أحمد بن محمد الحضري الشهير بالخمسي[2] .

المصدر رقم 26 و 39 .

9 ـ أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس ابن صابر البوعزاوي[3] .

المصدر رقم 28 .

10 ـ محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المري ، وهو الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة من خطاطي هذه المطبعة ، مد الله تعالى في عمره .

المصدر رقم 34 .

11 ـ عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي ، آتي الذكر .

المصدر رقم 35 .

12 ـ محمد بن محمد ابن عبد الله[4] .

المصدر رقم 36 .

13 ـ محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسي الأندلسي الأنصاري السعدي العبادي ، صاحب مكتبة بالسبيطريين بفاس[5] .

المصدر رقم 37 و 38 .

---

(1) في كناشة الفقيه الفرضي محمد بن عبد الرحمن الخصاصي الفاسي : توفي الفقيه سيدي الفاطمي ابن سودة في 4 رمضان عام 1318هـ ، صح من خط المؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة في كناشته .

(2) كان معلماً بكتاب راس الزاوية المجاور لمسجد الشيخ حيّب في حي المخفية بفاس الأندلس .

(3) ترجمته في « معجم الشيوخ » ج 1 ص 111 -116.

(4) هو العلامة المقرىء بفاس، المتوفي ـ بها ـ عام 1374هـ .

(5) انتقل ـ بعد اعلان الحماية الفرنسية ـ من فاس لسكنى مدينة القصر الكبير ، وبها كانت وفاته ومدفنه نحو عام 1341هـ.

14 ـ عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد التاودي ابن سودة المري ، كتب بخطه « الموطأ » للامام مالك بن أنس المطبوع بفاس في أربعة أجزاء ، حسب افادة الفقيه العدل سيدي محمد بن الطالب ابن سودة آنف الذكر ، كما أفاد أخوه الفقيه الخطيب سيدي العربي ابن سودة ، ان من منتسخات أبي حفص هذا : «المصحف الشريف» المطبوع بفاس سنة 1313 هـ .

15 ـ المهدي بن عبد الرحمن ابن سودة ، أخ أبي حفص المذكور قبله من خطاطي هذه المطبعة أيضاً ، حسب ذكر سيدي العربي ابن سودة الذي لم يعين منتسخاته بها .

جملة من منشورات أبناء الأزرق :

1 ـ الفتح الودودي على المكودي : لأحمد بن محمد بن حمدون السلمي المرداسي المعروف بابن الحاج ، الفاسي : (جزءان) .
ط . مطبعة الطيب الأزرق ـ سنة 1290 هـ .
الكاتب : محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المري .
الناشر : بأمر السلطان محمد الرابع .

2 ـ شرح نظم العمل الفاسي لأبي زيد الفاسي الفهري ، تأليف محمد ابن أبي القاسم السجلماسي ثم الرباطي : (مجلدان) .
ط . الأزرق وشريكه الدباغ ـ سنة 1291 هـ .
المصحح : محمد بن عبد الواحد ابن سودة .

3 ـ نوازل لأبي الحسن علي بن عيسى العلمي : (مجلدان) .
ط . مطبعة فاس بمباشرة الطيب الأزرق ـ سنة 1292 هـ .
المصحح : إبراهيم بن محمد الدباغ .

4 ـ تحرير أصول الهندسة لأقليدس ـ تأليف نصير الدين محمد بن محمد ابن الحسن الطوسي : (مجلدان) .
ط . المطبعة العامرة بفاس ، بمباشرة العربي الأزرق ـ سنة 1293 هـ .

المصحح : ادريس بن الطابع البلغيثي .

الناشر : باشا فاس ، عبد الله بن أحمد السوسي .

5 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1296 ـ وهو أول مصحف طبع بالمغرب .

6 ـ المختصر الخليلي في حجم صغير .

ط . مطبعة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1297م .

الكاتب : أحمد بن محمد الفلالي أصلاً ، الفاسي داراً ومنشئاً .

7 ـ شرح نظم العمل الفاسي ، لابن أبي القاسم السجلماسي المتقدم : (مجلدان) .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1298هـ .

الكاتب : محمد الهادي بن إبراهيم ابن سودة المري .

المصحح : محمد بن قاسم القادري .

8 ـ شرح لامية الزقاق لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي ، مع حاشية عليه لاحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشدادي الحسني .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1298هـ .

الكاتب : محمد بن محمد جنون .

الناشر : العربي الازرق .

9 ـ الاتقان والاحكام في شرح تحفة الحكام ، لابن عاصم ـ تأليف محمد ميارة المتقدم ، مهمش بحاشية عليه لابي علي الحسن ابن رحال المعداني : (مجلدان) .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1299هـ .

الكاتب : الغالي بن الحسن المحمدي .

المصحح : محمد بن التهامي الوزاني .

الناشر : محتسب فاس الحاج محمد بن محتسبها الحاج المهدي البناني .

10 ـ الفتح الودودي ، على المكودي ، لاحمد ابن الحاج المتقدم : (جزآن) .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1299هـ .

الكاتب : الهادي بن إبراهيم ابن سودة المتقدم .

المصحح : جعفر الكتاني .

الناشر : الحاج الطيب بن ادريس بنونة .

11 ـ حاشية على شرح بحرق الصغير على لامية الافعال لابن مالك ـ تأليف محمد الطالب بن حمدون السلمي المرداسي المعروف بابن الحاج .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1300هـ .

الكاتب : محمد الطالب بن عثمان ابن سودة المتقدم .

المصحح : محمد التهامي بن المدني جنون .

12 ـ نوازل محمد التاودي ابن سودة ، جمع ولده أبي العباس أحمد ، مهمشة بنوازل أبي محمد عبد القادر الفاسي .

ط . المطبعة الفاسية على يد العربي الازرق ـ سنة 1301هـ .

المصحح : أحمد بن الجيلالي الامغاري .

13 ـ اتحاف المقتنع بالقليل في شرح مختصر خليل ، لابي العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1303هـ .

الكاتب : الفاطمي سودة .

المصحح : محمد بن الطاهر البناني .

14 ـ اتحاف السادة المتقين ، بشرح أسرار احياء علوم الدين للغزالي ـ تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ 13 مجلداً .

ط . المطبعة الفاسية ، بمباشرة الاخوين الحاج الطيب والعربي ابني محمد الأزرق ـ سنة 1304 .

المصححون : عبد الله البدراوي ـ أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري ـ عبد الملك العلمي ـ التهامي جنون .

كتب افتتاحيته مع الكلمة الختامية : محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي .

الناشر : بأمر السلطان الحسن الاول .

وقد كان نشره موضوع وثائق مهمة، تضمنتها الملاحق ذات الارقام 6، 7، 8، 9 .

15 ـ الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، لمحمد بن محمد بن علي المعروف بابن الجزري .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1308هـ .

الكاتب : الوافي بن إبراهيم ابن سودة .

16 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1309هـ .

الكاتب : الفاطمي بن ابراهيم ابن سودة .

17 ـ الشروح الاربعة على الاربعين النووية ، تأليف أربعة من علماء فاس ، وهم : أحمد بن محمد التاودي ابن سودة ، وعبد القادر بن أحمد ابن شقرون ، ومحمد بن أحمد بنيس ، والطيب بن عبد المجيد ابن كيران .

ط . مطبعة حاضرة فاس بتنميق العربي الازرق ـ سنة 1309هـ .

المصححان : الطيب ابن كيران ، والمأمون العراقي .

الناشر : محمد بن القاضي عبد السلام الهواري .

18 ـ نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ، لمحمد ابن الطيب القادري : (جزآن) .

ط . مطبعة فاس بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1310هـ .

المصحح : محمد الفاطمي الصقلي سابق الذكر .

الناشر : العربي الازرق .

19 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1311هـ .

الكاتب : الفاطمي ابن سودة المتقدم .

20 ـ تعليق على الموطأ للامام مالك ـ لأبي عبد الله محمد بن المدني كنون « الكبير » (جزآن) .

ط . العربي الازرق ـ سنة 1311هـ .

المصحح : أحمد بن المأمون البلغيثي .

21 ـ ختمة المختصر الخليلي ، لمحمد بن التهامي الوزاني الفاسي .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1313هـ .

الناشر : محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن السجلماسي .

22 ـ الدرر البهية والجواهر النبوية . في الفروع الحسنية والحسينية ، لأبي العلاء ادريس بن أحمد العلوي الفضيلي : (مجلدان) .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1314هـ.

الكاتب : الوافي بن إبراهيم ابن سودة المتقدم[1] .

المصحح : المؤلف .

الناشر : عمر بن أبي العباس أحمد ابن الخياط .

23 ـ لؤلؤة الأنوار ، وقلائد الجوهر ورياض الازهار ، في الصلاة على النبي المختار ، لمحمد بن المدني البوعناني الحسني المراكشي[2] .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1315هـ .

الكاتب : الوافي إبن سودة المتقدم .

المصحح : محمد الرايس .

الناشران : الحاج الخضر بن الحاج محمد برادة ، والشريف سيدي علي بن أحمد .

---

(1) التصريح باسم هذا الكاتب انما يوجد في بعض النسخ المطبوعة من « الدرر البهية » ، والمذيلة ـ أيضاً ـ بملاحق مهمة .

(2) لهذا المؤلف ترجمة في « السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ـ ج 1 ـ ص 148.

24 ـ السير والسلوك الى مالك الملوك ، تأليف قاسم بن صلاح الدين الحلبي الخاني .

ط . مطبعة العربي الازرق سنة 1315هـ .

المصحح : عبد الكريم بن العربي بنيس .

الناشر : عبد الله بن عبد السلام الوزاني[1] .

25 ـ سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، لمحمد بن جعفر الكتاني : (3 مجلدات) .

ط . مطبعة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1316هـ .

المصحح : المؤلف .

كاتب الكلمة الختامية : أحمد بن عبد المولى بن المأمون العلمي .

الناشران : التهامي بن العربي بن موسى ، والعباس بن المختار حفيد الشيخ أبي العباس البدوي زويتن .

26 ـ زهرة الافكار في الرد على المخالف بالقبض في هذه الاعصار ، لعبد السلام بن الطيب بن عبد الرحمن الشرفي .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1316هـ .

الكاتب : أحمد بن محمد الخضري الشهير بالخمسي .

27 ـ المحاضرات لابي علي الحسن بن مسعود اليوسي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1317هـ .

المصححان : أحمد البوعزاوي ، ومحمد بن عبد السلام اللجائي .

الناشر : محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسي .

28 ـ الازهار الطيبة النشر ، فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر ، لمحمد الطالب ابن الحاج السابق الذكر ـ سنة 1317 .

---

(1) له ترجمة في « الاعلام ، بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » : القسم المخطوط ، ج 6 ـ ص 323-324.

المصححان : محمد بن قاسم القادري بالنسبة للبعض ، والباقي على يد كاتبه أحمد البوعزاوي .

الناشر : محمد بن قاسم البادسي آنف الذكر .

29 ـ الموطأ للامام مالك بن أنس الاصبحي المدني (4 أجزاء) .

ط . مطبعة فاس ـ سنة 1318هـ .

المصحح : محمد التهامي جنون .

الناشران : محمد التهامي بن الفقيه السيد العربي ابن موسى ، والعباس ابن العلامة سيدي المختار حفيد الشيخ أبي العباس البدوي زويتن .

30 ـ نوازل ابن هلال ـ جمع علي بن أحمد الجزولي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1318هـ .

المصححان : محمد بن محمد ابن عبد الله ، ومحمد بن علي الاغزاوي .

الناشر : أحمد بن قاسم بن عبد القادر العراقي .

31 ـ « شرح تائية الشيخ الحراق » ـ تأليف أبي حامد المكي ابن سودة المري .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1311هـ .

الكاتب : محمد الوافي ابن سودة المتكرر الذكر .

32 ـ الرسائل الكبرى لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن عباد النفزي الرندي نزيل فاس ودفينها .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1320هـ .

المصحح : أحمد البوعزاوي .

الناشر : محمد بن عثمان التكناوتي .

33 ـ الرحلة الناصرية لابي العباس احمد بن الشيخ محمد ابن ناصر .

ط . المطبعة الفاسية ـ سنة 1320هـ .

الناشر : الطيب الناصري .

34 ـ دليل الرفاق على شمس الاتفاق ، تأليف الشيخ مصطفى ابن محمد فاضل ابن مامين الملقب بماء العينين (3 مجلدات) .

ط . مطبعة فاس بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1321هـ .

الكاتب : محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المري القائم الحياة .

المصحح : أحمد البوعزاوي .

الناشر : قايد المشور السلطاني : ادريس ابن يعيش .

35 ـ اظهار الطريق المشتهر ، على اسمع ولا تغترر ، وبهامشه قرة العينين في الكلام على الرؤ ية في الدارين ، الاثنان للشيخ ماء العينين الآنف الذكر .

ط . المطبعة الفاسية ـ سنة 1321هـ .

الكاتب : عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي .

المصححان : أحمد بن الشمس محمد فال ، وعبد الرحمن بن جعفر الكتاني .

الناشران : الناسخ والمصحح الأول .

36 ـ ايقاظ المفتون المغرور ، مما تذم عواقبه يوم النشور ، للحاج محمد بن المدني كنون .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1323هـ .

الكاتب : محمد بن محمد ابن عبد الله .

37 ـ التحرير بمسائل التصيير لابي العباس احمد بن محمد البويعقوبي الشهير بالملوي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1323هـ .

الكاتب والناشر : محمد بن قاسم البادسي سابق الذكر .

38 ـ بيان الغلط وطلب التوبة ، ممن يقول في المقمل الملصق : كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ، لأبي محمد عبد السلام بن أحمد اللجائي الفاسي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1324هـ .

الكاتب : محمد بن قاسم البادسي المتكرر الذكر .

39 ـ مفاكهة ذوي النبل والاجادة ، حضرة مدير « جريدة السعادة » لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني .

ط . مطبعة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1326هـ .

الكاتب : أحمد بن محمد الحضري سابق الذكر .

40 ـ نوازل ، لابي الحسن علي بن عيسى العلمي السابق الذكر ، (جزآن) .

ط . بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1332هـ .

المصحح : عبد الكريم بن العربي بنيس .

* * *

3 ـ المطبعة الجديدة لابن عبد المولى

وهي مطبعة حجرية ثالثة ، وتسمى في عدد من منشوراتها : « المطبعة الجديدة » .

وفي بعض مطبوعاتها جاء ذكر صاحبها هكذا : منشئها ومديرها وقيمها : احمد بن عبد المولى بن المأمون العلمي اليملاحي ، وكانت وفاته عام 1322هـ ، وقد وصف في بعض المطبوعات الفاسية الاخرى بالفقيه العدل ، ولا يزال مركز هذه المطبعة غير معروف بمدينة فاس .

وحسبما عثرت عليه فإن منشوراتها تبتدىء في الظهور من سنة 1310هـ : « مفيد الراوي لماء العينين » ، ثم تختفي بعد سنة 1318هـ : « شرح نظم اوضح المسالك لابن هشام » : النظم والشرح لمحمد بن حمدون ابن الحاج ، وقد تعددت منشورات هذه المطبعة وتنوعت ، ولكنها كانت أقل بكثير من مطبوعات أبناء الازرق .

وقد خلت منشورات هذه المطبعة الجديدة من أسماء الخطاطين ، وانما ورد في عدد منها ذكر المصححين والناشرين الذين سنعرف أسماء بعضهم من خلال استعراض جملة من تلك المنشورات فيما يلي :

1 ـ « **الزواهر الافقية في شرح الجواهر المنطقية** » للمولى عبد السلام القادري ـ تأليف أبي العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي المتقدم ، سنة 1313هـ .

المصححان : الحاج محمد بن عبد السلام كنون ، وأحمد بن الجيلاني الامغاري .

2 ـ « **زهر الافنان ، من حديقة ابن الونان** » ـ شرح القصيدة الشمقمقية ـ لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي ـ (مجلدان) سنة 1314هـ .

المصحح : أحمد بن المأمون البلغيثي .

الناشران : الحاج ادريس ابن جلون مع قيم المطبعة .

3 ـ **سنن المهتدين ، في مقامات الدين** ، لمحمد بن يوسف العبدوي المعروف بالمواق الغرناطي ، سنة 1314هـ .

المصحح : عبد العزيز بناني .

الناشران : محمد بن ادريس بو طالب ، وعبيد الله بن المفضل أفيلال التطواني .

4 ـ **الازهار العاطرة الانفاس ، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس** .

لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، سنة 1314هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

5 ـ **شرح الفقهية الفاسية** لمحمد بن قاسم جسوس سنة 1315هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

6 ـ **ديوان** للشيخ ماء العينين المتقدم ، سنة 1316 .

المصححان : جعفر الكتاني ومحمد بن رشيد العراقي .

الناشر : بأمر الوزير أحمد بن موسى السوسي .

4 ـ المطبعة الجديدة للذويب

أنشأها عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي سابق الذكر بين الخطاطين المطبعيين ، وبخطه كان يكتب مطبوعاتها ، وكان تأسيسها بتوجيه من الشيخ أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وبها وقع طبع مؤلفاته وأوضاعه الأخرى .

وأول ما عثرت عليه من منشوراتها : « الايضاح لبعض الاصطلاح » تأليف الشيخ ماء العينين المتقدم ، وقد تم طبعه في 22 جمادى الاولى سنة 1312هـ . الثاني : « مجموعة قصائد في المديح النبوي » لثلاثة أدباء : الأولى لابن وهيب ، الثانية للحاج مالك ماجور الاندري ، الثالثة لمحمد مولود بن أحمد الجواد ، وقع الفراغ من طبعها زوال الاربعاء 14 جمادى الثانية سنة 1321هـ ، بتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ، وهي مكتوبة بخط الذويب صاحب المطبعة .

وآخر ما وقفت عليه ـ مؤرخاً ـ من منشوراتها : « ختم صحيح البخاري » للشيخ أبي الفيض الكتاني الآنف الذكر سنة 1323هـ ، وقد كتب على الصفحة الأولى منه : « محل مبيعه : المطبعة الجديدة قرب ضريح سيدي احمد الشاوي من فاس ، على يد كاتبه : عبد السلام الذويب » .

وهكذا نستفيد هنا مركز هذه المطبعة التي كانت منشوراتها تقل عن المطابع الحجرية الاخرى ، ونذكر ـ أخيراً ـ أن لصاحب هذه المطبعة ترجمة في « الاغتباط بتراجم أعلام الرباط » لمحمد بوجندار[1] .

5 ـ المطبعة الحفيظية

أسسها السلطان عبد الحفيظ العلوي ، وجعل مركزها في نفس مكان المطبعة الحجرية الاولى ، بزنقة جزاء « برقوقة » من فاس الادريسية ، واندمج في العمل بها عملة مطبعتي العربي الازرق وعبد السلام الذويب ، ولهذا لم تظهر ـ في فترة هذه المطبعة الحفيظية ـ منشورات باسم المطبعتين القديمتين ، والغالب أن نفس السلطان جهزها تجهيزاً جديداً ، حيث كان قد مضى على انشاء المطبعة الاولى ما يزيد على الاربعين عاماً ، وكان المشرف عليها هو أبو العباس أحمد بن محمد الشامي المتوفي سنة

---

(1) مخطوط خ ، ع ، د 1287 ـ ج 2 ص 178.

1364هـ[1] ، وقد استمر نشاطها أعوام 27 — 28 — 1329هـ ، نشرت خلالها مؤلفات مهمة وعديدة على نفقة مؤسسها ، ونذكر من هذه المؤلفات :

1 ـ « **نشر البنود ، على مراقي السعود** » ، تأليف عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الشنجيطي ، مهمش بـ « **الضياء اللامع ، في شرح جمع الجوامع** » تأليف أحمد ابن عبد الرحمن القيرواني الشهير بابن حلولو ، في ثلاثة أجزاء ، سنة 1327هـ .

2 ـ « **مشرب العام والخاص ، من كلمة الاخلاص** » لأبي علي الحسن ابن مسعود اليوسي المتقدم ـ 5 حجة سنة 1327هـ .

3 ـ « **مفتاح الاقفال ، ومزيل الاشكال ، عما تضمنه مبلغ الآمال من تصريف الافعال** » ، لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي المتقدم ـ 10 ربيع النبوي سنة 1328هـ .

4 ـ « **شرح نظم الخريدة** » في المنطق لابي الفيض حمدون ابن الحاج ، تأليف الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ، مهمش **بشرح عليها** ـ أيضاً ـ لمحمد بن حمدون ابن الحاج ـ 20 محرم سنة 1329هـ .

5 ـ « **فيض الفتاح على نور الاقاح** » ـ في علوم البلاغة ـ المتن والشرح لعبد الله بن الحاج إبراهيم الآنف الذكر ، جزآن ـ 25 رمضان سنة 1329هـ .

ولم يذكر اسم كاتب هذه المنشورات الخمسة ، أما مصححها ـ جميعاً ـ فهو أبو زيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني المتوفي سنة 1334هـ ، وهذه الخمسة هي التي ورد فيها اسم المصحح بين هذه المنشورات التي وقفت عليها .

وأخيراً فمن الواضح أن هذه المطبعة الحجرية غير المطبعة السلكية الفاسية التي طبع بها هذا السلطان مؤلفات كثيرة ومهمة ، وسنتحدث عنها ـ على حدة ـ باعانة الله تعالى في موضعها الذي هو الطور الثالث .

---

(1) تعيين هذا المشرف مع مركز المطبعة : عن المؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة المري .

6 ـ مطبعة أحمد بن عبد الكريم القادري

الشريف الحسني الشهير الذي لا يزال بقيد الحياة .

7 ـ مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس

وقد جاء الاعلان عن تأسيس هذه الشركة آخر رسالة « **كمال الاعتراف بالعمل بالتلغراف** » ، لمحمد بن عبد السلام الطاهري المكناسي ، ويحمل هذا الاعلان تاريخ 2 صفر عام 1335هـ/ 28 نونبر سنة 1916 م .

ولا تزال المعلومات عن هذه وسابقتها غير مكتملة ، وسنتوسع في الحديث عنهما عند الطور الثالث ، وانما ذكرتا هنا مع المطبعتين : 4 — 5 ليتناسق حديث المطبعة الحجرية .

والآن : نذيل بثلاث تتمات ، لتأتي ـ بعدها ـ نصوص الملاحق :

أولاً : أن الطباعة الحجرية خضعت الى قانون تنظيمي صدر في شكل ظهير من جهة السلطان عبد العزيز ، بتاريخ 4 رمضان عام 1314هـ/1897 م ، وهو يسمي المطبعة بآلة انتشار العلم ، ويسند الى محتسب فاس مراقبة أشغال الطبيعين ، على أن يسيروا في مزاولة مهنتهم حسب الشروط التالية :

ـ التزام الاتقان والجودة في منشوراتهم .

ـ العناية بالتصحيح على يد العلماء المختصين .

ـ أن لا يزيدوا على العدد الذي وقع الاتفاق على طبعه .

ـ أن لا يطبعوا كتاباً سبق نشره الا بعد مرور عامين اثنين من تاريخ الطبعة الأولى .

ـ ان لا يقدموا على طبع كتاب الا بعد اشعار مسبق لقضاة فاس ، تفادياً من نشر ما يخل بالآداب المرعية .

وبعد هذا : فان الظهير يحظر على الكتبيين أن يشتروا من الطبيعين منشوراتهم ،

حتى لا يضايقوا الملتزمين للنشر .

وأخيراً : فان من خالف هذه التوجيهات يعاقب ، ويصادر ما بيده من النسخ ، ويوقف عن الاشتغال بالطباعة ، انظر الملحق رقم 11 .

ثانياً ـ كانت آخر مطبعة حجرية مغربية هي مطبعة القادري الآنفة الذكر ، وقد حطمتها السلطات الفرنسية سنة 1944 م[1] .

ثالثاً ـ أن منشورات المطبعة الحجرية الفاسية قد ورد كثير منها ضمن :

أ ـ «تقويم المطبوعات الفاسية» الذي اشترك في وضعه ـ بالفرنسية ـ كل من الأستاذين محمد بن شنب الجزائري ، وليفي بروفنسال ، ونشر في « المجلة الأفريقية » سنة 1922 م .

ب ـ «معجم المطبوعات المغربية» الذي يشتغل باخراجه الأستاذ بالمدرسة الأدريسية الثانوية بفاس : ادريس بن الماحي الأدريسي القيطوني[2] .

وقد كانت اللائحتان حافزاً لعدم تذييل هذا الموضوع بفهرس للمطبوعات الفاسية ، التي اكتفيت منها بنماذج توضيحية تخللت مباحث هذه الدراسة ، والله ـ سبحانه ـ ولي التوفيق .

ملاحق حول المطبعة الحجرية

أن الملاحق الأربعة الأولى مأخوذة من سجل كان للسيد الطيب بوعشرين وزير السلطان محمد الرابع ، وهو ـ الآن ـ في حوزة العالم الأستاذ ادريس بن الماحي الأدريسي القيطوني الفاسي .

---

(1) تحطيم آخر مطبعة حجرية مغربية : رواه مؤلف كتاب « فاس قبل الحماية » .

(2) توفي ـ رحمه الله ـ أثناء الاشتغال بتنسيق هذه الدراسات ، عام 1391هـ / 1972هـ .

ملحق رقم 1

نفقـات الطبيـع المصري والمـطبعة في الأربعـة الأعوام الأولى ، وهي واردة في السجل هكذا :

الحمد لله ، تحصل من زمامات نظار فاس وأمنـائها ، أنـه صير عـلى المصري صاحب المطبعة من مستفاد أحباس القرويين ، في مدة مبلؤ ها ربيع الثاني عام 1282 ، وآخرها متم رجب عام 1285 في :

صائر مطبعة ومئونته اليومية	«31»
والشهرية	200
وكراء دار للمطبعة	180
وأجرة النساخ (مياومة)	12 /
والمصحح مياومة	12 /

حسبما هو مفصل في زمامهم ـ الجميع هذا : وهو اثنا عشر ألف مثقال ، ومائة مثقال ، وأربعة وستون مثقالاً ، وثمان أواقي 121648 [1] .

وصير عليه أمناء فاس في المدة المذكورة : في كساويه ومئونة أصحابه : «20» ، وكساويهم وكراء دار سكنـاه وفي تسفير كتب ، حسبـما هو مفصـل في حسابهم الأول والأخير هذا : الجميع عشرون ألف مثقال ، وستمائة مثقال ، وستة وسبعون مثقـالاً هكذا : 206760

يضاف له ما كان صيره عليه أمناء الصويرة في شعبان عام 81 : في : مئونته	150
وزاده	270
وكراء سفره	1160
وصائر مطبعته	874
الجميع هذا	2454

---

(1) الرقم الاول من جهة اليمين للاواقي ، وما بعده للمثاقيل .

وما صيره عليه نظار مكناسة ، من 28 شعبان عام 81 . الى 17 ربيع الأول عام 82 . في :

كسوته	836
ومئونته	4000
وصائر مطبعته	1268
الجميع هذا	6104
وما صيره عليه أمناء طنجة في مسائل المطبعة على يد الحاج سعيد كسوس[1] الى أوائل ذي الحجة عام 1283. هذا	32576
يصير الجميع أربعة وعشرين ألف مثقال ، وسبعمائة وتسعة وثمانين مثقالاً ، وأربع أواقي هكذا	247894

ملحق رقم 2

مرتبات موظفي المطبعة

الحمد لله، المصري يقبض في مئونته اليومة من الأحباس، هذا	31
كان يقبض هذا : «31» أولاً، ثم صار يقبض ـ الان ـ هذا : كل يوم	26
ويقبض ـ أيضاً ـ مشاهرة من الأحباس : عشرين مثقالاً	200
والنساخ له يقبض من الأحباس كل يوم : هذا	12
والمصحح يقبض من الأحباس كل يوم : هذا	12
والمتعلمون ـ عددهم «20» ـ يقبضون كل يوم من الأمناء	56
كانوا يقبضون هذا : «56» في اليوم ، فصاروا يقبضون الآن	
هذا كل يوم ، حسبما بزمام أهل فاس	67

---

(1) كان قنصلاً للمغرب بجبل طارق ، أخذا من « اتحاف أعلام الناس » ج 5 ـ ص 59 .

ملحق رقم 3

ويتضمن العقد الواقع بين القاضي الروداني والطبيع المصري ، في شأن عمل الأخير بالمطبعة ، وهو محرر بخط المصري الشرقي على ورقة خاصة كتب بأعلاها :

ورقة ضمان وشروط ومقادلة : « مقاولة » وما أشبه ذلك من السندات الخالية عن وضع مبلغ ، ثمنها قروش «6» ، وأسفل هذا ـ بعد مقدار أربعة أسطر ـ جاء نص العقد هكذا :

« أنه لما كان في يوم الأربعاء المبارك 14 يوم خلت من شهر ربيع الأول سنة 1281 : اتفق حضرة العمدة الفاضل السيد الطيب الروداني ، ابن المرحوم السيد محمد الروداني ، من أهالي مدينة رودان « مغرب » ، مع الفقير الى الله تعالى كاتب الأحرف : الفقير محمد القياني المطبعي ، ابن المرحوم ابراهيم ، من أهالي مصر المحروسة ، على أنه يتوجه برفقته الى مدينة رودان بأرض المغرب ، ويشتغل عنده على مطبعة حجر لو عدة سنة كاملة ، ابتداها « كذا » شهر ربيع الأول سنة 1281 ، وانتهاها « كذا » شهر الخير « كذا » سنة 1282 ، وله في نظير ذلك راحته مما جميعه « كذا » من أكل وشرب وكسوة على طبق مراده ، وفي كل شهر يعطي له مائتان فرس مصروف لجيبه ، وقد رضي الفقير محمد القياني بذلك ، ومن بعد وفاء السنة المذكورة إذا أراد الفقير حمد القياني بأن يرجع الى بلده مصر المحروسة ، بأن يرحله العمدة السيد الطيب الى حد بلده على طرفه ، وقد رضي السيد المذكور بذلك .

وأيضاً الفقير محمد القياني استلم من حضرته تسعة بينتو سلف الله تعالى ، لأجل يوفي « كذا » بهم ما عليه من الديون الذي عليه بالمحروسة ، وفي محل الاقامة يوفيهم لحضرته ، مع التدارك : بعد انقضاء السنة المذكورة في دفعة واحدة ان أراد الرجوع الى بلده ، ما على أمر « كذا » ان أراد القيام مع السيد المذكور .

وقد رضي كلاهما بذلك على يد من حضر من المسلمين ، والاسماء « كذا » ، والختم في 14 ربيع الأول سنة 1281 ، كاتبه الفقير محمد القياني المطبعي ، العمدة الفاضل

السيد الطيب الروداني » .

وأسفل هذا ـ في نفس الورقة ـ بخط القاضي الروداني :

« الحمد « كذا » ، أخذ الكاتب أعلاه من كاتبه «9» بنتو ، ومسمى بنتو بمصر : الشخص المسمى بالغرب باللويز ، الرائج بأربع ريالات من سكة الفرنسيس ، وبمائة وخمسة وثلاثين قرشاً بالحساب المصري ، قيده ـ بياناً ـ محمد الطيب ابن محمد التملي ، غفر الله له ولطف به » .

ملحق رقم 4

حساب لوازم موجهة للمطبعة من جبل طارق .

وقد قدرت أثمنتها حسب العملة الانكليزية :

« الحمد لله وحده ، حساب لوازم المطبعة للجانب العالي بالله :

وجهنا في الرفقة الأولى ما تخلصنا فيه من الأمناء ،

كما أخبرنا سيدنا بذلك :

ثم في الرفقة الثانية ـ أيضاً ـ وجب	4 = 4 = 8
ثم ـ أيضاً ـ بعده هذا	33 = 3 = 0
الجميع خلصنا فيه الأمناء ، وقدره هذا	37 = 7 = 8

ثم ثمن «150» رزمة كاغيد ، ومداد ، وأحجار الطبع ، وكاغيد من غير نشا ، وبدر ، ومس ، ومنضار ، وصابون أبيض ، وغير « كذا » وجب 367 = 2 = 3

ثم صابون مصري وصاير عليه الى طنجة	5 = 1 = 2
الجميع ، وجه لنا الأمناء ثمنه وقدره هذا	372 = 3 = 5

ثم ثمن صابون ، وجفافة البحر ، وماء قاطع ، وماء لغسل

الخروق ، وجه الأمناء ثمنه	17 = 7 = 8
جميع ما وجه لنا الأمناء ثمنه هذا	441 = 9 = 5

ثم ـ أيضاً ـ ما طلبنا من الامناء ثمنه يوم تاريخه كما هو مبين أسفله : أوله ثمن صندوق الذي قدم من عند السيد الحاج محمد أفروخ ثمنه = 20 / ، فيه لوازم المطبعة التي أمر سيدنا ـ نصره الله ـ بجلبها من مصر ، صائر عليه هذا 01 = 6 = 0

الجميع هذا /21 = 6 = 0

ثم اثنان أرطال من غرا السمك بهذا /11 = 6 = 0

ثم اثنان أرطال صوفة البحر ، يجب 10 = 9 = 0

الجميع هذا 22 = 3 = 0

ثم ثمن ستة شناديل «كذا» وصاير عليهم، يجب هذا 21 = 4 = 6

ثم 10 صناديق كاغيد كتابي، داخلهم مائتين «كذا» وعشر رزمات : 210

ـ سوم الرزمة ـ 4 = // = 1 / . يجب هذا 406 — 10 = 8

ساير « كذا » عليهم في كراء البابور لطنجة وكراء فلوكة 3 = 6 = 0

جميع ثمن الكاغيد هذا / 410 = 4 = 8

جميع لوازم المطبعة الذي طلبنا ثمنه من الأمناء يوم تاريخه هذا / 475 = 6 = 0

الجميع كما ذكر أعلاه هذا ، مفصلا كل رفقة وحدها 5 = 3 = 917 قيد في جبل طارق في 5 من ذي الحجة الحرام ، عام 1283 .

مجموع القائمة أعلاه : تسعمائة ريال ، وسبعة عشر ريالاً ذهباً ، وثلاث بلاطات ، وخمسة أكوارط .

ملحق رقم 5

رسالة في شأن قيام الطيب الازرق بالمطبعة بعد سفر الطبيع المصري :

« الحمد لله وحده » ، محبنا الفقيه الأديب ، اللبيب ، الحاجب ، الوزير الاعظم ، والملاذ الأفخم ، سيدي موسى بن أحمد ، سلام عليك ورحمة الله تعالى

وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فبعد تقديم الاهم من تجديد العهد بكم ، والسؤال عن أحوالكم ، واستجلاب صالح الدعاء منكم ولكم ، لا سيما في أوقات الانابة ، ومظان الاجابة .

فليكن في كريم علمكم أن المطبعة الشريفة التي كان سيدنا المقدس بالله احدثها في هذه البلاد المباركة ـ جعلها الله في ميزان حسناته ـ لما بقيت مهملة بتوجه المصري الذي كان قيماً عليها لحال سبيله ، ورد طلبة العلم الشريف على حامله المعلم الطيب الازرق الذي كان تخرج في معرفة كيفية الطبع على يد المصري ، وطلبوا منه القيام فيه مقامه ، فلم يجد بدا من مساعدتهم ، وأنهى مطلوبهم لمولانا قدس سره ، فأجاب اليه برد الله ضريحه لما رأى فيه من نشر العلم الشريف ، بعد أن التزم المعلم المذكور بدفع العشر من الكتب التي يطبع فيها ، لجانب المخزن في مقابلة احجاره ومطبعته التي يقع الطبع فيها .

وحيث مضى العمل على هذا وكانت يده فارغة ، طلب مني المعلم الطيب مشاركته في المطبعة المذكورة اعانة له على تحصيله بالصائر ، لانه لا بد منه ، فأجبته اليها باشارة من مولانا الوالد رحمه الله ومتعنا برضاه ، لما رأيت فيها من النفع والبر الذي أمر الله بالمعاونة عليه ، ولا زلنا على هذه الحالة ، الى أن قام السيد الطالب الشامي ناظر مسجد القرويين ، يطالبنا باعطاء ثلاثة كتب من كل ما طبعناه زيادة على العشر المذكور ، مع انه لا مدخل[1] لجانب الحبس في هذا العمل ، ولا تعلق له به الا ما كان الزمه لنفسه المعلم المذكور ، وبسبب ذلك لما ورد الامر المولوي من سيدنا المرحوم باعطائه للمطبعة والاحجار امتنع الناظر من ذلك الا بالتزامه ما ذكر ، ولما رأى امتناع الناظر من ذلك ، الزم نفسه ما وصلكم ، فدفع الناظر بعض حوائج المطبعة وترك البعض تحت يده ، فاستظهر الناظر بالاشهاد المذكور ، ورام قبضه مني ، مع انه لا مدخل للحبس في ذلك ، وانما النظر لمولانا المؤيد المنصور بالله ، وقد التزم له بالعشر وصار يدفعه لامنائه ، فلم يبق لقائل ما يقول ، ولا لمريد الزيادة ما يزيد .

---

(1) في الاصل لاخل ، ولا معنى له .

فنحب من الله ثم منك : ان تنهي لسيادته هذه القضية ليأمر أعزه الله بكف الناظر عن خطابه اياناً بما زاد على ما يدفعه للجانب العالي بالله . كما نحب أن تخبر جنابه العالي بالله بأن الاحجار المشار اليها فسدت ، ونظره السديد أوسع في اصدار أمره الشريف بأمر الناظر بدفع ما بقي تحت يده من الاحجار والمطبعة ، لتبقى هذه الحسنة جارية على يده الشريفة .

وسلم منا على محل الاخ نجلك سيدي أحمد ، بارك الله لنا فيكم ، والسلام ، في 21 شوال الابرك عام 1291 . الحسين بن محمد الدباغ ، كان الله له ولوالديه آمين » ، صح من أصله بواسطة المرجع التالي :

النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية للمؤرخ ابن زيدان ـ خـ .

ملحق رقم 6

وهذا مع أرقام 7 — 8 — 9 بعده : أربعتها تشتمل على وثائق حول نشر « اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين » . للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، وهذه الوثائق تتسلسل ابتداء من رسالة رئيس العلماء بمكة المكرمة الشيخ أحمد دحلان للسلطان الحسن الأول ، حيث كان هذا الشيخ يحاول طبع شرح الاحياء بالشرق ، وكاتب نفس السلطان يطلب منه احدى نسختي هذا الشرح المحفوظتين بالمغرب ، ليقع الطبع عليها . وهذا نص الرسالة :

« اللهم انا نسألك بأسمائك الحسنى ، ونتوسل اليك بنبيك الاسمى ، ان تلحظ بعين رعايتك الربانية ، وتحفظ بحفظ وقايتك الصمدانية ، من ملكته زمام السلطنة السنية ، وأقمت بدولته منار الشريعة المحمدية ، السلطان بن السلطان بن السلطان ، الملك المظفر المعان ، مولانا السيد الشريف في النسب الحسن ، مولانا السلطان حسن ، أيد الله بدولته الاسلام والمسلمين ، وقمع بسيف صولته الكفرة والملحدين ، آمين .

أما بعد تقبيل الاقدام ، والدعاء لدولتكم ببلوغ المرام ، فالداعي لتسطيره ،

والموجب لتحريره ، التشريف بالسؤال عن ذاتكم السنية ، لا زالت آمنة محمية ، فان أوصافكم الحميدة أوجبت على محبكم محبتكم الاكيدة ، وما زال داعياً لكم تجاه البيت الحرام ، والركن والمقام ، والمشاعر العظام ، بالحفظ والنصر وبلوغ المرام ، جعل الله ذلك في حيز القبول ، بجاه سيدنا الرسول ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه .

ثم المعروض على مسامعكم الكريمة ، وعواطفكم الرحيمة ، أن شرح العلامة السيد مرتضى على احياء علوم الدين من الكتب التي يحصل بها النفع العام ، لجميع الاسلام ، وهو مفقود من الحرمين الشريفين ، مع أنه ينبغي وجوده في كل من البلدتين ، ومفقود أيضاً من اليمن ومصر والشام ، مع الاحتياج اليه لاهل الاسلام ، وهو موجود في خزانة كتب سلطنتكم السنية ، وفي خزانة كتب القروية .

فالمرجو من مراحم دولتكم العلية ، ومكارم همتكم المرضية ، صدور أمركم الكريم ، بالتفضل بنسخه من فيض احسانكم العميم ، بأن يصدر الامر من دولتكم بنسخ نسخة من إحدى النسختين ، ليحصل النفع بها في الحرمين الشريفين ، أو تأمر بارسال احدى النسختين ليحصل نسخها بالحرمين ، ثم تعاد لمقرها المصون ، وموطنها المبارك الميمون ، واذا حصلت نسخة باحدى الحرمين ، يحصل ان شاء الله طبعها من غير مين ، فينشر بطبعها الوف من الشرح المذكور ، ويكتب الله لكم بذلك أوفر الأجور ، والدال على الخير كفاعله ، ومن دل على هذا فله مثل أجر من عمل به ، ومن سن سنة حسنة فله مثل أجر من عمل بها .

لا زلتم موفقين للخيرات ، فائزين بأعلى الدرجات ، واقدامكم الكرام ، مقبلة على الدوام ، في غرة ربيع الأول ، سنة 1300 .

الداعي لدولتكم : رئيس العلماء ، ومفتي الشافعية ، بمكة المحمية : أحمد بن زيني دحلان » .

« النهضة العلمية . في عهد الدولة العلوية »

ملحق رقم 7

كتاب السلطان الحسن الأول لقاضي فاس ، في شأن ما وجد من شرح الأحياء بخزانة القرويين ، وهو مؤرخ في 25 ربيع النبوي عام 1301هـ :

« القاضيين بمحروسة فاس : السيد حميدة بن محمد ، والسيد أحمد ابن عبد الرحمان ، وصل جوابكما عما أمرناكمابه من البحث في خزانة القرويين عن شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، ومراجعة كناش كتبها : بأنكم الفيتم ثلاثة أرباعه : الثاني والثالث والرابع في أحد عشر جزءاً ، كما الفيتم من الربع الأول سبعة أجزاء ، وبينتم ما فيه من البتر من المحال التي سميتم ، فكان جميع الأجزاء الموجودة في الخزانة ، المقيدة في الكناش الحادث ثمانية عشر ، ذاكرين أن الكناش القديم لم تعثروا عليه ، وان نحو النصف من كتب الخزانة متلاش غير ممكن الاصلاح ، وفي بقائه بها ضرر على الباقي ، طالبين ما يكون عليه العمل فيه ، وفي المتلاشي الممكن الاصلاح ، وصرنا من ذلك على بال .

فأما ما عثرتم عليه من الاجزاء الثمانية عشر بخزانة القرويين فقد عرفناه ، وحيث تعين البتر في الربع الأول فليكمل كتابة بالمواجرة عليه من النسخة التي بالخزانة الملوكية ، فقد أمرنا المكلفين بها بدفع المنتسخ منه لكم من محل البتر الذي عينتم ، فلتطلبوه منهم بعد تعيينه لهم ، واشرعوا في العمل من الآن على بركة الله ، وقد أمرنا ناظر القرويين بالصائر على ذلك ، كما أمرنا المكلفين بالخزانة الملوكية بأن يكملوا ما خص من النسخة التي بها من آخرها على يدكم ، والصائر على ذلك أمرنا به أمناء دار عديل ، وعليه فلتقوموا على ساق في وصل البتر من كلتا النسختين .

وأما الكناش القديم فلتبحثوا فيه عند من كان حتى تعثروا عليه ، فان في اخفائه دسيسة واضحة ، واعلمونا . . . » .

« **سجل مكاتيب حسنية** » م.م. **348**

ص 271

ملحق رقم 8

جواب السلطان الحسن الأول عن رسالة الشيخ دحلان ، وهو مؤرخ في 25 ربيع النبوي عام 1301هـ :

المحب في الله ، الخير الاحظى ، فقيه الشافعية ومفتيها ، العلامة المرتضى ، السيد أحمد دحلان ، المكي ، الشافعي ، سددك الله ، وكنفتك مرضاته . .

أما بعد : فقد وصل كتابك سائلا عن الأحوال ، المرجو من الكريم سبحانه دوام اجرائها على أصلح منوال ، وداعياً لجانبنا تلقاء البيت الحرام ، والركن والمقام ، بما يرفع لمواطن القبول ، ويتأرج بنفحات اجابته الجنوب والقبول ، بجاه مولانا الرسول ، عليه وعلى عثرته وأسرته الصلاة الكاملة والسلام الموصول ، وراغباً في توجيه نسخة من الشيخ مرتضى على الاحياء ، للتوقف هنالك عليه ، لكونه بذلك الاقليم مفقوداً ، مع احتياج أهل الاسلام اليه ، كي يحصل بطبعه المقصود من ايقاظ البواعث الوسنة ، فتكون دالاً على الخير ويثبت به في صحيفتنا اجر من سن السنة الحسنة ، الى آخر مسطوركم السعيد ، المتلقى بالاجلال والترحيب المزيد .

فأما ما اسفر عنه ثغر محبتك ، ودل بالمطابقة عن صدق مودتك ، من اتسامك بعنوان موضوعها ، وروايتك من أحاديثها المتصلة غير مقطوعها ، فحكم مسلم الثبوت بقوى الاستدلال ، وامر بحول الله قاض ـ يوم لا ظل ـ بمزية الاستظلال .

وأما ادمانك لجانبنا على صوالح الادعية ، فمن مزيد التوفيق والتأييد والظفر بقصارى الامنية ، لا سيما في ذلك المقام الاكبر ، الكفيل بسرعة الاجابة ومنال الحظ الاوفر ، فهو من شأن الهداة المرشدين ، ومن أداء النصيحة التي هي معظم أركان الدين ، فليجعل المحب ادمانه على ذلك أمراً أكيداً ، وليستوجب بمزيده من مذخر المثوبة عند الله مزيداً ، جزاك الله عنا خيراً ، ورضى سعيك المشكور بفضله العميم ذخراً ، آمين .

وأما شرح الاحياء المذكور فقد تيسر ، وعما قريب يوافيك بحول الله ، والسلام .

« **سجل مكاتيب حسنية** » ، م،م، 348 ـ ص 270 .

ملحق رقم 9

وهو يتضمن العقد النهائي الواقع مع الطبيعين ابني الازرق في شأن طبع شرح الاحياء بالمطبعة الحجرية الفاسية .

« الحمد لله ، لما أن صدر أمر مولانا المعتز بالله ، أدام الله نصره وتأييده وعلاه ، على أمناء صائره السعيد بدار عديل وفره الله ، بأن يصيروا مع جانب حبس مسجد القرويين عمره الله بدوام ذكره ، على طبع مائتي نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، للامام الغزالي نفع الله بهما ، بالمطبعة الفاسية ، ذات المحاسن الفاشية ، التي هي من جملة مفاخر مولانا المنصور بالله الفاخرة ، وحسنات سلفه الجارية المتواثرة ، قدس الله أرواحهم في عليين ، وأعاد بركتهم على مولانا أمير المؤمنين ، وأحيا به معالم الدين آمين ، وأمر ـ أعز الله أمره ـ بأن يكون نصف الصائر على جانب الحبس المذكور ، والنصف على جانب بيت المال السعيد ، وذلك على يد الفقيهين الجليلين النزيهين العالمين المتقنين القاضيين حينه بمحروسة فاس ، اعزهما الله وحرس ولايتهما من كل سوء ويأس .

فحضر لذلك ـ أولاً ـ المعلمان المباشران لطبع الكتب بفاس في حينه ، وهما : الحاج الطيب بن المرحوم سيدي محمد الازرق الفاسي ، وأخوه للاب المعلم العربي ، وكان الفصل وقع معهما ـ أولاً ـ في ذلك بأن يطبعا ـ معاً ـ ملزمة واحدة في اليوم ، أي مائتي ورقة وعشر ورقات ، بأجرة قدرها لهما معاً على الملزمة عشرة مثاقيل ، وللمتعلمين معهما خمسون أوقية ، وللمصححين أربعون أوقية ، ومثلها للكاتبين ، وللقيم خمس عشرة أوقية ، وكراء المحل ثمان أواقي في اليوم ، وذلك دون الاقامة وغيرها من الصائر اللازم للمطبعة ، وكان الاشهاد وقع عليهم بذلك .

ولما طولع بها أمناء الصائر المذكورين وسئلوا من قبل من يجب سدده الله وأرشده هل سلموا ذلك فيقع عليهم الاشهاد به ، أو ظهر لهم خلافه مما فيه مصلحة لجانب المخزن وجانب الحبس فيبينوه ، فجددوا البحث والنظر في عمل المطبعة وقاعدتها ولوازم صنعتها ، فاقتضى نظرهم أن لا يقتصر المعلمان معاً على طبع ملزمة واحدة في اليوم لقلة عملها وكثرة الاجرة المقدرة لها ، ولما يقتضيه ذلك من طول المدة لكمال الكتاب ، بل يطبع كل واحد منهما ملزمة في اليوم ، فيكمل الكتاب في نصف المدة المقدرة له أولاً ، وأن تكون أجرة الملزمتين ـ معاً ـ خمسة عشر مثقالاً : لكل ملزمة خمس وسبعون أوقية ، فينتقص لكل ملزمة خمس وعشرون أوقية ، وأن تكون أجرة المتعلمين على ملزمتين ستين أوقية ، يجب لملزمة واحدة ثلاثون أوقية ، فانتقص عما كان أولاً عشرون أوقية ، وأن تكون أجرة المصححين مثقالين لكل ملزمة، ولهما على ملزمتين اللتين هما خدمة اليوم أربعون أوقية في اليوم ، فانتقص من كل ملزمة عما كان أولاً مثقالان ، وأن يكون ثمن القطران الذي يصنع من هبائه مداد الطبع داخلاً في الخمس والسبعين أوقية التي هي أجرة المعلم على الملزمة ، وقدر ثمنه مثقال واحد لكل ملزمة ، فتوفر منه ألف مثقال بالافراد ومائتا مثقال ، كما توفر من كراء المحل عن نصف المدة التي انتقصت بسبب طبع ملزمتين في اليوم نحو الستمائة مثقال ، فاجتمع فيما انتقص من الاجرة والاقامة وتوفر لجانب الحبس والمخزن بسبب ما ذكر : عشرة آلاف مثقال وخمس مائة مثقال ، واجتمع في أجور المعلمين والمتعلمين والمصححين والكاتبين وكراء المحل على ما وقع به الفصل ثانياً : سبعة عشر مثقالاً بموحدة ، وسبع أواقي ونصف الأوقية لكل ملزمة تطبع ، وهي مائتا ورقة وعشر ورقات ، وهي اثنان وأربعون كراساً في القالب الكبير ، وهي خدمة معلم واحد من المعلمين ، فهما معا يطبعان أربعة وثمانين كراساً في اليوم ، واجتمع في ثمن الكاغد الواجب لخدمة الملزمة عشرة مثاقيل وثلاث أواقي ، وفي الاقامة لكل ملزمة تسع عشرة أوقية وربع الاوقية ، كما ذلك مبين ومفصل بالزمام طرته ، فاجتمع في صائر كل ملزمة أجرة واقامة وكاغيدا تسعة وعشرون مثقالاً وتسع أواقي وثلاثة أرباع الاوقية ، فاذا ضرب هذا العدد فيما في الأصل المنتسخ منه من الملازم ، وأضيف للخارج ما توقف عليه الخدمة

من الاقامة في بعض الاحيان عن المدة كلها ، وقسم المجتمع على عدد الكتب المراد طبعها ، يخرج ثمن الكتاب الواحد ، وقدره أربعة عشر ريالا ، وتسع وعشرون أوقية ، ونصف الأوقية ، كما فصل وبين آخر الزمام يمنته .

وبعدما استوعب المعلمان المذكوران الصائر المبين بالزمام المذكور ، من أجرة واقامة وغيرهما ، أشهدا معا أنهما رضياه وقبلاه ووافقا عليه ، والتزما طبع الكتاب المذكور بالاجرة والاقامة المذكورة ، وعلى أن يطبعا ملزمتين اثنتين في اليوم : ملزمة لكل واحد منهما ، طبعا جيداً متقناً لا عيب فيه ولا محو ولا تقطيع في حروفه ، غير ناقصة من المداد ، مع ما يجب لها من اقامة الطبع ، كما التزما ـ أيضاً ـ بدرك ما عسى أن يفسد من يد الكاتبين الذين عيناهما لذلك ، لكونهما اختبرا خطهما في الطبع فوجداه صالحا لعمل المطبعة ، التزاما لازما لما لهما وذمتهما ، واتفقا معاً على أن يختص كل واحد منهما بطبع نصف الكتاب المذكور ، وأن يختص كل واحد منهما بكاتب يكتب له ، ليكون نصف الكتاب بخط كاتب ، والنصف الآخر بخط كاتب آخر ، وليتميز عمل كل منهما من الآخر .

حضر أمناء الصائر المذكورون ، ووافقوا على ما ذكر كله الموافقة التامة ، عرفوا قدره ، شهد به عليهم بأكمله وعرفهم ، وفي حادي وعشري شعبان الابرك ، عام واحد وثلاثمائة وألف ، فلان بشكله ودعائه ، وفلان بشلكه ودعائه » ، صح من أصله .

وبطرة هذا العقد بيان تكاليف طبعه وفيه فوائد : منها معرفة ما كان يحتاج اليه يومئذ في الطباعة الحجرية ، وأجرة المواد والعمال :

« الحمد لله ، هذا بيان الصائر على طبع مائتين نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين للغزالي ، نفع الله به ، وهي التي صدر الامر الشريف بطبعها ، مع زيادة عشر نسخ لجبر ما عسى أن يتمزق حال الطبع ، أو يخرج غير صالح .

ففي الأصل المنتسخ منه على ما قدره المعلمان المباشران للطبع اثنتي عشرة مائة ملزمة ، والملزمة عبارة عن صفحة من الكاغد يكتبها الكاتب وتطبع في الحجر ، ثم يطبع منها أوراق بعدة ما يراد من الكتب ، ثم يكتب الكاتب التي تليها وتطبع في الحجر كذلك

بعد محو الاولى ، وهكذا الى انتهاء ما في الأصل من الملازم ، ولذلك اذا أريد ثمن الكتاب الواحد قبل الأخذ في طبعه ، يحسب صائر ملزمة ويضرب فيما في المنتسخ منه من عدة الملازم ، يخرج صائر الكتب كلها ، فيقسم على عدتها يخرج ثمن كل كتاب منها .

« بيان أجرة ملزمة واحدة أعني مائتي ورقة وعشرة » :

فللفقيهان المصححان « كذا » على كل ملزمة	20
وللكاتبين لكل ملزمة	40
وللمعلمين لكل ملزمة بادراج القطران كما وقع به الفصل	75
وللمتعلمين عدتهم خمسة للملزمتين ، وأجرتهم على واحدة هذا :	30
أجرة القيم حيث تطبع ملزمتين في اليوم هذا : 15 وعلى واحدة هذا	/07
كراء المحل لكل ملزمة بحسب 240 في الشهر وزيادة يسيرة	
لمقابلة ايام البطالة في اليوم عن ملزمة واحدة	05

ج / 177

« ما قدر من الاقامة لكل ملزمة بموافقة المعلمين »

فمن زيت الكتان 10 ، وزيت الزيتون 1 ، وليم / 2 ، مع ماء قاطع ، وفحم 2 ، ودلاكة1 ، ومداد الأصل 3 /19

بيان الكاغيد الواجب للملزمة 210 وميزانه وثمنه

يجب في المائتين والعشرة المذكورة من الكراريس 42 ، ويزاد كراسان على كل ملزمة في مقابلة الاوراق التي يكتبها الكاتبان وما تغطى به الاوراق حال الطبع ، مع ما عسى أن يتمزق بذلك : نصف رزمة غير كراس ، وميزانها من العينة التي اشتراها أمناء الصائر الآن : أرطال 7 عدى ثلاث أواقي ، سوم 15 للرطل يجب : 103

اجتمع في صائر ملزمة أجرة واقامة وكاغيدا /299

وهي بكرايس 42، وهي خدمة معلم واحد في اليوم، وضعفها: 84 للمعلمين، فاذا ضرب الصائر « /299 » المذكور في عدة ما في الأصل المنتسخ منه من الملازم : وذلك

1200 بتقدير المعلمين : يخرج 359700 يضاف له ثمن بعض الاقامة الباقية المحتاج لها في بعض أوقات مدة الخدمة ، وذلك ثمن شحمة : 1200 لترطيب الجلود التي بالمرمتين ، وثمن صابون : 3000 ، 1500 لغسل الزيوف وأيدي الخدمة :

وثمن جفائف البحر 1000 لمباشرة الخدمة عن المدة ، وثمن رملة مكناسية لحك الحجر ومحوه 600، وثمن فتائل 1800 حياتي لوقود القطران واستعمال الهباب منه للمداد عن المدة كلها : 3400

« اجتمع في الاقامة الثانية هذا ما رفع » 004900

اجتمع في صائر المائتين والعشرة كلها هذا / 364899

يقسم هذا المال المجموع على مائتين وعشرة ليتبين صائر كل كتاب على الانفراد . يخرج هذا 1737/8 عنه ريال بصرف 122 هذا : 14 مع أواقي 29/8 » .

« النهضة العلمية . في عهد الدولة العلوية »

ملحق رقم 10

ظهير حسني بتوقير :

الطبيع الطيب الازرق .

« جددنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ لماسكه : الطيب الازرق الفاسي معلم مطبعة الكتب العلمية ، بفاس الادريسية ، صانها الله ، على ما بيده من كتاب مولانا الوالد قدسه الله ، المتضمن سدل أردية التوقير والاحترام عليه ، وحمله على كاهل المبرة والاحترام . وفي 29 ربيع الثاني عام 1291 » ، صح من أصله بالخزانة الملكية .

ملحق رقم 11

ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز ، في تنظيم المراقبة على الطبيعين بالمطبعة الحجرية الفاسية :

شكل — 15

لمهير تنظيم المراقبة على المطبوعات الحجرية

« يعلم من شريف كتابنا هذا أعز الله أمره ، وخلد في الصالحات ذكره ، اننا ـ بحول الله وقوته ـ كلفنا خديمنا المحتسب محمد بن حفيد الشامي ، بحرفة المعلمين الذين يطبعون الكتب العلمية بمطبعة فاس ، المحمية من كل بأس ، وتفقد شغلهم وعملهم فيها ، على أن يلزمهم التمشي في ذلك على شروط مخصوصة ، ووجوه منصوصة .

منها أن لا يطبعوا كتاباً الا بعد اتقان صنعته وجودتها .

ومنها أن يبالغوا في تصحيح أصله على يد المصححين العارفين بالفن المطبوع كتابه ، بحيث لا يكون في النسخ المطبوعة محو ، ولا حذف في الحروف والكلمات ، ولا لحن في الالفاظ والتراكيب .

ومنها أن لا يزيدوا على العدد الذي أوجروا عليه نسخة : لا لهم ولا لغيرهم ممن عدا المؤجر .

ومنها أن لا يطبعوا لأحد كتاباً تقدم طبعه الا بعد مضي عامين اثنين من تاريخ طبعه .

ومنها أن لا يقبلوا المؤاجرة على طبع كتاب الا بعد أن يعلموا به القضاة ، خشية أن يقدموا على طبع ما لا يأذن الشرع فيه .

كما نأمره أن يلزم المشترين الذين يروجون في بيع الكتب بحوانيت الاسواق عدم شرائها من المعلمين المباشرين للطبع .

بحيث من وجد بيده من المعلمين او المشترين المذكورين نسخة من الكتاب المطبوع ، او نسخ على خلاف الشروط المذكورة ، يعاقب العقاب الشديد ، ويحاز ما وجد بيده من النسخ لجانب المخزن مجاناً ، وترفع يده عن طبع الكتب ، لتبقى حرفة المطبعة ـ التي هي آلة انتشار العلم ـ متقنة العمل ، مصونة الجانب من عوارض

الخلل ، فعلى المكلف المذكور أن يتحرى الصواب في ذلك ، وأن يقف فيه عند الحد ولا يتعداه .

صدر به أمرنا المعتز بالله ، في 4 رمضان المعظم عام 1314 » .

ملحق 12

إجازة عبد القادر الشفشاوني لطبيعين من فاس ومراكش

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

لما من الله علينا بأن أهلنا مولانا أمير المؤمنين ، أعز الله ببقائه الدين ، وخلد ملكه وذكره الجميل إلى أبد الأبدين ، مع أوليائه المتقين ، السلطان الأمجد ، المعظم الأسعد : سيدنا محمد بن مولانا عبد الرحمن بن هشام نصره الله : للتوجه لتعليم (كذا) صناعة الطباعة البهية ، بمطبعة الكتب ببولاق مصر المحمية ، فتعلمنا والحمد لله ، وأجازنا الأشياخ ـ بها ـ بذلك ، وأحطنا بما هنالك .

وكان ـ سابقاً قبل توجهنا ـ نصب أيده الله الشيخ محمد المصري لطبع الكتب ، فعلم الطالب الناسك المعلم : السيد الطيب بن السيد محمد الأزرق الفاسي ، والشاب الأنجد ، المعلم الأرشد : السيد محمد الهفروكي المراكشي : صنعة الطبع ليس إلا ، ولم يمنحهما من مبادىء الصنعة وخواتمها غير ذكر بعضاً ولا كلاً ، فامتحنا فاعترف كل منهما أنه لا يحسن غير ما ذكر .

فاصطنعنا بين يديهما جميع ما يحتاجان إليه ، ثم أمرناهما بالعمل والامتحان ، فاصطنعا ذلك وأتقناه غاية الإتقان ، وبه صار يطلق على كل منهما إسم « المعلم » ، وخرجا من ربقة سيمة المتعلم ، ويدور ـ بنفسه ـ المطبعة ، وحصلت النتيجة والمنفعة

من غير توقف علينا ، ولا على أحد غيرنا ، وأنس منه الرشد في جميع ما ذكر ، كما رمز وسطر .

اللهم اجعل حسناتنا وحسناتهما في صحيفة مولانا أمير المؤمنين ، لكونه سن هذه السنة ، وأسدل أردية هذه المنة ، بهذه المزية التي لا تنقطع ، ويعم نفعها الأول والأخر وينتفع .

هذه شهادتنا وإجازتنا لهما بجميع ما ذكر ، فالله ـ تعالى ـ يوفقنا وإياهما لما فيه رضاه ، بمنه ، آمين ، آمين ، آمين .

وفي ثالث ذي القعدة الحرام ، عام خمسة وثمانين ومائتين والف .

طابع مستدير بداخله : « عبد القادر الشفشاوني ، الله وليه » .

من وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط .

ملحق 13

رسالة من الطبيع العربي الأزرق إلى الوزير الأكبر في شأن الإنعام السنوي بالكسوة والصلة

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .
سيدنا الوزير الأمجد ، العالم العلامة الأسعد : سيدي الحاج المختار بن سيدي عبد الله ، سددك الله وأرشدك ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : فالمطلوب من سيادتك ـ أبد الله سعادتك ـ مباشرة أمر عادتنا السنوية ـ من الكسوة والصلة من مولانا أيده الله ونصره ـ عند أمناء دار عديل هنا بفاس ، كما هي العادة ، لما نحن فيه من خدمة العلم الشريف بدار المطبعة ، عمرها الله بحياة مولانا ودوام بره ، ولك الأجر والثواب .

أسس الله مجدك ، وخلد في الأفواه حمدك ، وعلى الخدمة والمحبة ، والسلام .

خادم العلم الشريف : العربي بن محمد الأزرق ، لطف الله به » .

من وثائق الخزانة الملكية .

ملحق 14

طريقة إعداد الكاغد والمداد بالمطبعة الحجرية ، في مقيدة تستخدم ـ أحياناً ـ تعابير فنية وعامية

« الحمد لله ، كيفية تنشئة الكاغد الذي يكتب قبل الطبع :

تجعل ما تيسر من غرا السمك وتطلقه في الماء ، ثم أطلق ما تيسر من النشا خفيفاً ، وصفه مما يجتمع فيه من الدرن والأوساخ ، ثم أجعل طنجرة على نار الفحم القوية ، وأطلق فيه الغرا المذكور حتى يذوب ، ويغلي الماء كثيراً ويضع عليه النشا من القمح ، ويكون ضعيفاً رقيقاً ، ثم حركه والنار تحته وهو يطيب ، وكلما ازداد تطييباً وتحريكاً كانت في غاية الحسن ، ثم تمر بها على الكاغد مرا جيداً بحيث لا تترك مقدار إبرة بغير النشا ، والسلام .

كيفية اصطناع مداد الأصل الذي يكتب به في الكاغد المنشا :

أوقيتان ونصف إلا ثمن : شحم صافي ، أوقيتان ونصف وثمن : شمع خم من العسل ، ثلاث اواق إلا ربع : صابون مصري ، أوقيتان إلا ثمن : جمة[1] لكة ، أوقية هباب ، إجعل طنجرة من نحاس على نار الفحم القوية ، واجعل ـ أولاً ـ الشحم ـ بعد تصفيتها ـ في الطنجرة المذكورة ، ثم أتبعه بالشمع الخم الصافي ، ثم أتبعه بالصابون المصري ، إلى أن يذوب الجميع .

---

(1) وضع المقيد فوقها كلمة « كذا » .

واحذر قيام النار في الطنجرة ، فإن قامت فأحضر غطاء للطنجرة وغطها ، وأنزلها على الأرض إلى أن تنطفي ، ثم ردها على النار وارجمها بجومة لكة والمصطكي وأنت تحرك ، وبعد فراغك منهما أتبعهما بالهباب .

ثم اتركه على نار متوسطة مع إدامة التحريك وأنت تجربه حتى ينعقد ، واحذر احتراقه ، ثم خذ شيئاً من زيت النفض واطل بها الرخامة ، وصبه عليها ، وعند جموده قطعه بسكين ، واجعله في إناء ، واحفظه من الغبرة ، وإن اراد الكاتب أن يكتب به يجعله في غطار، ويصب عليه ما تيسر من الماء ويدعكه بيده الى أن ينحل ، ويكتب به ، وقد تم والحمد لله .

كيفية مداد الطبع :

خذ أربعة رطال من زيت الكتان ، وأوقيتين من حصا لبان بعد دقه ، وأوقيتين رجينة ، وأوقد تحته النار القوية ، وعندما يغلي كثيراً اجعل فيه خبزة بعد تقطيعها أرباعاً : وكذلك أربع بصلات ، إلى أن يحترق الخبز والبصل ، وخذهما حتى لا يبقى في الزيت المذكورة شيء ، ثم حط عليه رطلاً من الهباب المستعمل من القطران ، وأدم تحريكه حتى يصير في قوام العسل ، ثم أنزله ، فإن جاء فيه بياض زده الهباب ، وإن جاء غليظاً رطبه بشيء من زيت الزيتون ، والسلام » .

مقيدة بخط العالم الفاسي احمد بن محمد المهدي
البوعزاوي ، تلقيا لها من إملاء الطبيع المعلم
العربي الأزرق

18 الطباعة السلكية

وقد تأخر ظهورها بالمغرب المستقل عن الطباعة الحجرية ، وكان نشاطها محدوداً ، وفي مدينة طنجة بالخصوص ، حيث كان يطبع بها ـ في هذا الطور الثاني ـ جريدة « المغرب » ، التي صدر أول عدد منها عام 1306هـ/1889م ، وقد جاء في نفس العدد : « وانا قادرون على طبع ما يطلب منا في اللغة العربية على أتم ما يكون من الضبط والاتقان بأسعار معتدلة » .

غير أنه لا تزال هوية هذه المطبعة مجهولة ، كما لا يعرف ـ لحد الآن ـ من منشوراتها سوى جريدة المغرب ، وسنتوسع في الحديث عن نشاط هذا الجهاز عند الطور الثالث ، حيث تأسست مطابع سلكية جديدة في مدينتي طنجة وفاس .

* * *

ونسجل ـ الآن ـ أنه لمع في الطور الثاني الذي ندرسه ، أسماء مغربية استخدمت المطابع السلكية المصرية ، في نشر مجموعة مهمة من المؤلفات المتنوعة ، وهذه نماذج من الناشرين المغاربة ومطبوعاتهم .

١ ـ الحبيب البلغيثي الحسني[1] .

---

(1) هو عم العلامة الشهير ، القاضي أحمد بن المأمون البلغيثي ، وكانت وفاته في ربيع الثاني عام 1323هـ ، عن سن ناهز الثمانين فأعلى ، قضى نصفها فأكثر في قاهرة مصر للمتاجرة ، ثم كانت وفاته بفاس ، حيث أقبر خارج باب الفتوح عند مطرح الخلة ، هكذا عرف به بعضهم ، وقد بدأ هذا الناشر بالمساهمة في عمل الطبع =

2 ـ عبد القادر الشفشاوني[1] .

3 ـ الحاج أبو بكر ابن موسى .

4 ـ محمد يزرور .

نشر ـ أربعتهم ـ بالمطبعة الكبرى بالقاهرة : التصريح لخالد الأزهري ، مهمشاً بحاشية ياسين عليه ، عام 1294هـ ، في جزأين .

5 ـ الحاج محمد الازرق .

6 ـ عبد الملك العلمي[2] .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : شرح الشمائل الترمذية لمحمد بن قاسم جسوس ، مهمشاً بشرح الهمزية البوصيرية لمحمد بن أحمد بنيس ، عام 1296هـ ، في جزأين :

ـ الحبيب البلغيثي الآنف الذكر .

7 ـ عبد الوهاب لوقش التطاوني[3] .

8 ـ علي زنيبر السلاوي[4] .

9 ـ أحمد بن عبد السلام اللجائي ثم الفاسي[5] .

نشروا بمطبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة ، وبمباشرة وملاحظة رابعهم : شرح التحفة العاصمية للتسولي ، وبهامشه شرح نفس المنظومة للتاودي ابن سودة ،

= بمصر من وقت مبكر في المطبعة الحجرية المصرية ، والمعني بالأمر «شرح المكودي على الخلاصة لابن مالك» ، فيأتي في خاتمته أنه نشر بإحدى مطابع الحجر (بمصر) ، على نفقة السيد الحبيب بن الطيب العلوي الحسني ، والشيخ محمد بن الطيب الطوبي المغربيين ، في غرة جمادى الأخرة ، سنة 1279هـ .

(1) هو المترجم في « الاعلام » لخير الدين الزركلي ـ ج 4 ص 165 .

(2) من علماء فاس ، وبها كانت وفاته عام 1320هـ .

(3) علامة جليل ، خلف تفسيراً للقرآن الكريم في عشرة أسفار لا تزال مخطوطة ، وتوفي عام 1341هـ .

(4) الاديب السلوي الغيور ، صاحب القصائد الوطنية المتنوعة ، رحل الى الشرق واستوطن بمصر مدة من 23عاماً ، ثم عاد الى المغرب ، وكانت وفاته ببلدته سلا عام 1332هـ .

(5) توفي عام 1346هـ .

عام 1304هـ ، في جزأين .

ـ الحبيب البلغيثي المتكرر الذكر .

10 ـ الحاج محمد بن قاسم لحلو .

نشرا بمطبعة محمد أفندي مصطفى المساهم الثالث في النشر :

أ ـ التصريح للأزهري مهمشاً بحاشية ياسين عليه ، عام 1305هـ ، في جزأين .

ب ـ الشرح الصغير للخرشي على المختصر الخليلي ، مع حاشية عليه للصعيدي ، عام 1306هـ ، في خمسة أجزاء .

11 ـ الحاج علال الازرق التاجر بفاس .

12 ـ الحاج عبد الواحد التازي قنصل المغرب بمصر .

ساهما في نشر شرح صحيح البخاري للقسطلاني ، مهمشاً بشرح صحيح مسلم للنووي ، بالمطبعة الاميرية بالقاهرة ، عام 1306هـ ، في عشرة أجزاء .

13 ـ الحاج محمد بن حمادي الازرق .

14 ـ أخوه الحاج فضول .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : حاشية الرهوني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي ، مع اختصارها بالهامش ، عام 1307هـ ، في ثمانية أجزاء .

ـ الحبيب البلغيثي .

ـ الحاج محمد لحلو آنفا الذكر .

نشرا ـ مع الغير ـ بمطبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة .

أ ـ شرح المختصر الخليلي للزرقاني ، عام 1307هـ ، في ثمانية أجزاء .

ب ـ انسان العيون للحلبي ، عام 1308هـ ، في ثلاثة أجزاء .

ـ الحبيب البلغيثي المتكرر الذكر .

شارك في نشر الاستقصا للناصري ، بالمطبعة البهية المصرية ، عام 1312هـ ، في أربعة أجزاء .

ـ الحاج محمد بن قاسم لحلو المتكرر الذكر .

نشر بالمطبعة البهية المصرية : الشرح الكبير لميارة على المرشد المعين ، عام 1313هـ ، في جزأين .

15 ـ الحاج الطيب التازي .

نشر بالمطبعة الاميرية بالقاهرة عام 1318هـ :

أ ـ الشرح الصغير للخرشي على المختصر الخليلي ، مهمشاً بحاشية عليه للصعيدي ، في ثمانية أجزاء .

ب ـ شرحا بناني وقصارة على نظم السلم للاخضري ، مع التعليقات على الشرحين ، في جزء واحد .

* * *

وستكون هذه الطباعة السلكية ثامنة الابواب التي يغلب عليها الطابع العلمي ، بعد المواضيع التي كان يغلب عليها الطابع الحكومي ، ومن الواضح أن هذه الدراسات كلها تساير الطور الثاني من ملامح اليقظة المغربية الجديدة ، وكما رأينا : كانت المبادرة في هذه المعطيات تأتي من الدولة أو من الافراد ، وتارة بصفة مشتركة .

* * *

والآن ، وفي نفس الطور : ستأتي المبادرة من جهة الشعب خاصة ، وتجسم آفاق يقظة المغرب الحديث ، في تفكير المثقفين من العلماء والأدباء ، وعلى مختلف المستويات ، وهذا ما سنتناوله بعد : حسب الأبواب التالية :

ـ مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة .

ـ مواقف ضد الامتيازات الاجنبية .

- توجيهات حول تنظيم الجيش .
- الدعوة الى الجهاد .
- توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب .
- ظهور الصحافة العربية .
- صدى حرب تطوان في الأدب المغربي .
- طلائع المعارضة الشعبية .
- كلمة ختامية .

* * *

19 مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة

ونقدم منهم نموذجين اثنين :

1 ـ أبو اسحاق التادلي :

ابراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي ، المتوفي بها عام 1311هـ/1894م .

وكان من علماء المغرب الكبار المشاركين مشاركة واسعة في العلوم التي كانت موجودة بالمغرب في وقته : دينية ، وأدبية ، ورياضية ، قرأ هذه العلوم وأقرأها بالمغرب والمشرق ، وألف فيها تآليف مهمة ، وهذا كله مبسوط في ترجمته[1] وليس من موضوع بحثنا ، وانما الذي يهم هذه الدراسة من حياته ، انه من علماء المغرب الذين تأثروا ـ بعض التأثر ـ بالثقافة الغربية في هذا الطور ، اكتسب هذا من اقامته ببعض جهات أوروبا المجاورة للمغرب ، ومن جولاته الواسعة براً وبحراً في الشرق الإسلامي : الحجاز ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، وتركيا ، ومن اطلاعه على بعض العلوم والكتب الحديثة ، ووقوفه على كثير من المخترعات التي درس بعضها دراسة دقيقة .

وان كل هذا كيف نفسية الرجل تكييفاً خاصاً ، فعلى خلاف الشائع بين كثير من

---

(1) من مراجع ترجمته « الاغتباط بتراجم الرباط » للمؤرخ محمد بوجندار ، خ ، ع ، د 1287 ، والمترجم ممن تكرر ذكره في هذه الدراسة .

أهل طبقته ، كان يستطيع ـ ولو الى حد ـ التحدث بعدد من اللغات الاوروبية الحية : الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، تعلمها بجبل طارق ، الذي تلقى فيه أيضاً بعض علوم البحر والبوصلة ، وأطلع فيه ـ لأول مرة ـ على صورة الكرة الأرضية الحديثة وعرف اصطلاحها .

وكذلك تعلم عدداً من اللغات الاسيوية : التركية ، والفارسية ، والهندية ، أخذها عن بعض أهل بغداد .

وقد ساق تلقيه لهذه اللغات الاسيوية والاوروبية في بعض مؤلفاته [1] مساقاً لا يخلو من فائدة في الموضوع ، وهذا ما يهمنا منه :

« هذا وقد كنا قبل رحلتنا الأولى أخذنا بعض اللغات عن بعض أهل بغداد ، وكان عارفاً بالسن : خصوصاً التركي ، والفارسي ، والهندي ، فقيدت عنه منها ما لا بد منه في تأليف مرتباً لها ، اذ هذه اللغات هي المعروفة بالمشرق اليوم : عام 1285 ، خصوصاً بالحجاز ، اذ سكن به جمهور هذه الامم لما استولى الكفر على بلادهم ، خصوصاً لسان الترك ، فقد كان يعرفه جميع أهل مكة حتى نساؤهم وصبيانهم ، لان الدولة منهم ، وعمال الحجاز منهم . . .

كما قيدنا بجبل الطر [2] من بلاد الروم أيام اقامتنا به بعض السن الروم ، كاللنكليزية ، والفرنصيصية ، والاصبنيولية ، وقيدتها عن بعض المسلمين هناك ، لاضطرارنا الى السفر مع النصارى ومخالطتهم ، فيعرف الانسان لا أقل أسماء الماء للوضوء ، والحجر للتيمم ، والماء البارد ، والحار ، والنار ، والفحم ، والطبخ ، ونحو ذلك من ضروريات الانسان ، فقد ندب لذلك عليه السلام سيدنا زيد بن ثابت لما كثرت عليه الوفود من كل جهة بألسن مختلفة ، قال له : تأتيني كتب لم يعلمها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم السريانية ؟ فقلت نعم ، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة ، فكان يترجم عنه

---

(1) في اختصاره لتذكرة الانطاكي ، حسب قطعة مخطوطة منه تكرر ذكرها في هذه الدراسة .

(2) جبل طارق .

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحضرته بالفارسية والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، وتعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الالسن ، وكان يكتب الى الملوك ، وكان من أشهر كتاب الوحي ، ولذا اختاره أبو بكر رضي الله عنه لجمع القرآن أولاً ، وعثمان لجمعه ثانياً ، فكان هو رئيس الجمع مع الصحابة ، مع فرط ذكائه رضي الله تعالى عنه .

وقد أشار شراح خليل لحكم التكلم بالعجمية لكن مع القدرة ، كما لو كان في بلاد الاسلام ، كبلادنا ، كالرباط وفاس ، في قوله في كتاب الصلاة : أو بعجمية لقادر ، فان اللسان العربي أفضل الالسن اليوم ، كيف وهو لغته عليه السلام ، ولغة القرآن أشرف الكتب ، فمن أكرمه الله تعالى بمعرفة العربي ـ ولا ضرورة تحوجه لغيره ـ لا يتكلم بغيره ، أدباً مع كتاب المسلمين : « القرآن العظيم » ، وقد قيل : من علم لسان قوم أمن من مكرهم ، وكان شيخنا الفقيه المرنيسي يقول : لا أقل في البربرية لمن خالطهم : أن يعرف آلة حربهم كالمكحلة والسكين ، خوفاً منهم . . . » .

بعد هذا نذكر أن تأثر المترجم بهذه النهضة ظهر أيضاً في عدد من مؤلفاته ، ومنها :

أ ـ تأليف في تفسير بعض اللغات مثل لغة الفرس ، والترك ، والفرنسية ، والانكليزية ، والبربرية .

ب ـ اختصار أقوم المسالك ، في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي .

ج ـ رسالة في علم الجغرافيا .

د ـ رسالة في البوصلة التي تكون في السفن .

هـ ـ زينة النحر ، بعلوم البحر .

والمؤلفات الأربعة الأولى لم أقف على واحد منها ، ولا تعرف الا من خلال ذكرها في ترجمته ، ووقفت على خامسها : وهو « زينة النحر ، بعلوم البحر » قال في خطبته :

« . . لما من الله علي بالتوفيق لاداء فرض الحج ، وزيارة بيت المقدس والشام وأرض الروم ، فاضطرت الى ركوب البحر مراراً ، تارة في سفن الشراع ، وتارة في سفن النار المسماة بالبابورات ، وتلاقيت مع أهل العلم والخبرة بسفر البحر من المسلمين

والنصارى ، فاقتطفت منهم ما أمكنني من حكم سفره ، لما ورد : « الحكمة ضالة المومن يلتقطها ولو من كافر » ، كما أشار له ما ورد : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، مع أن الصين في ذلك الوقت للكفار ، قيدت ذلك في هذه الرسالة لينتفع بها من اضطر لركوب البحر ان شاء الله تعالى » . . .

وقد رتب هذه الرسالة على مقدمة وبابين : الباب الأول في سفينة النار المسماة بالبابور وهي الحديثة ، تكلم فيه على أنواع هذا البابور ، وآلاته ، وأدواته ، وقدم بعض الارشادات لركابه ، ثم أتى بمسائل من الجغرافية ، وأخيراً تحدث عن التلغراف .

أما الباب الثاني الذي موضوعه سفينة الشراع القديمة ، فقد ذكر فيه بعض أنواعها وأسمائها وآلاتها ، فرغ من تأليف هذه الرسالة عام 1305هـ/1887م .

ولا تزال مخطوطة ، ومنها نسخة بمكتبة كاتب السطور تقع في 16 ص ، مسطرة 23 ، حجم متوسط ، وأخرى بالمكتبة الصبيحية بسلا ، ضمن مجموع يحمل رقم 1640 .

2 ـ أبو العباس الناصري :

وبعد أبي اسحاق التادلي يأتي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي ، المتوفي بها عام 1315هـ/1897م .

وهو ـ أيضاً ـ من أعلام المغرب الكبار ، الذين اقتبسوا من الحضارة الحديثة وتأثروا بها ، فقد جاء في ترجمته أنه كان متشوفاً دائماً الى الاطلاع على المعارف الحديثة ، والوقوف على حقائق العلوم العصرية ، والمخترعات الاوروبية ، معجباً بما يصدر منها ، ومعطياً لذلك حظه من النظر ، معتنياً بمطالعة المجلات العلمية ، مولعاً بالجرائد السيارة ، وترجمتها ان كانت بغير اللغة العربية ، واقتباس ما فيها من الفوائد والشوارد ، وتقييدها والتمعن فيها وانتقادها ، وكانت تأتيه من مصر والشام واسبانيا وفرنسا ، وما زال الكثير منها محفوظاً بخزانته بسلا .

وان هذه اللفتة نحو الحضارة الحديثة أثرت في عقلية الرجل تأثيراً واضحاً ، فكان يحب تعلم اللغات الاجنبية ، ويخالط رجالات أوروبا للاقتباس من معارفهم ، وكان يهم بارسال بعض أنجاله الى أوروبا بقصد أخذ العلم في مدارسها .

وان المترجم أول مؤرخ مغربي حديث اقتبس من المصادر الأوروبية ، وترجم منها الى العربية ، كما نراه متكرراً في تاريخه : « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » ، الذي تضمن ـ نصفه الثاني بالخصوص ـ معلومات كثيرة استقاها مؤلفه من مصادر اسبانية ، وبرتغالية ، وانجليزية ، ونقلها الى العربية بواسطة ترجمان خاص اتخذه لهذه الغاية .

وسوى كتاب « الاستقصا » فقد ظهر تأثر المترجم بالنهضة الحديثة في آثار أخرى ذكرت أسماؤها في ترجمته[1] .

(1) لابي العباس الناصري ترجمة حافلة استقيت منها ما كتبته عنه هنا ، وقد نشرت في مقدمة الجزء الاول من « الاستقصا » : الطبعة الثانية ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ 1954.

20 مواقف ضد الامتيازات الاجنبية

تعددت مظاهر اليقظة الوطنية في هذا الطور ، ومن أروعها ما كان لعلماء المغرب من مواقف وطنية صريحة ضد أصحاب الحمايات المغاربة ، وهم الذين كانوا يدخلون تحت حمايات الدول الأجنبية ضدا على الدولة المغربية .

ومن المعروف أن مقاومة هذه الحمايات كان موقفاً اجماعياً من طرف كل علماء المغرب ، وقد حملوا راية معارضتها بروح اسلامية قوية ، وحمية وطنية مثالية .

ومن بين هؤلاء أفراد عارضوها بالتأليف ، وبواسطة الخطب الجمعية ، حتى يخلدوا هذه المواقف الوطنية المبكرة ؛ ونذكر ـ الآن ـ منهم سبعة نماذج حسب التسلسل التاريخي لوفياتهم ، وهكذا سيكون :

الأول : هو أبو محمد المأمون بن عمر الكتاني الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1310هـ/[1] 1892م .

وهو مؤلف كتاب « هداية الضال المشتغل بالقيل والقال » ، حيث شرح فيه بيتي ابن فارس اللغوي :

اذا كنت في حاجة مرسلاً . .

---

(1) ترجمته في « النبذة اليسيرة النافعة ، التي هي لاستار جملة من أخبار الشعبة الكتانية رافعة » ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، مخطوطة الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني .

وقد استطرد في هذا الشرح ذكر أصحاب الحمايات ، وأعلن بالنكير عليهم ، في نفس طويل استوعب أربع صفحات : ص 26-29 ، حسب مخطوطة الشرح الواقعة أول مجموع : خ ، ع ، ك 320 .

الثاني : أبو حامد الحاج العربي بن علي المشرفي الحسني المعسكري ثم الفاسي ، المتوفي بها عام 1313هـ/[1]1895م ، كتب في الموضوع عجالة سماها « الرسالة في أهل البصبور الخثالة » ، قال في أولها :

الحمد لله ، وبعد فقد توجه سؤال لاهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة ، وحشرنا في زمرتهم آمين ، عن حادثة حدثت في قرننا هذا في حدود السبعين والمائتين والالف ، وهي دخول المسلمين تحت كلمة الكفر ـ أعاذنا الله منه ـ ويعبرون عنها بالحماية ، معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم ، مع انهم يجعلون حظاً وافراً لمن يحميهم باذلال وطيب نفس ، فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة مسلماً عاصياً ، أو خرج عن دينه بالكلية ، وللامام أن يحكم فيه باجتهاده ؟

ألفها في حدود 1290هـ/1873م، ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة كاتب السطور ، تقع في 8ص ، مسطرة 24 ، في حجم متوسط .

الثالث : أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري المتوفي عام 1314هـ/[2]1896م، له عدة خطب ضد أصحاب الحمايات ، أشهرها الخطبة المعنونة بـ « ايقاظ السكارى ، المحتمين بالنصارى » ، أو « الويل والثبور ، لمن احتمى بالبصبور » ، خطب بها بمحضر السلطان المولى الحسن الأول في ابتداء دولته ، ويوجد بالمكتبة الفاسية بفاس نسخة منها بخط محررها ضمن مجموعة خطب أبي الحسن المذكور في سفر ضخم ، تقع هذه النسخة في 14 ص ، مسطرة «23» ، حجم متوسط ، وقد

---

(1) ترجمته عند ابن زيدان في أحد تعاليق النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية ، مع « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » : القسم المخطوط ـ ج 6.

(2) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 302.

اطلعت عليها بواسطة حفيد محررها العلامة المتضلع محمد العابد الفاسي الفهري ، أمين الخزانة القروية الكبرى بفاس .

الرابع : أبو محمد جعفر بن ادريس الكتاني الحسني الفاسي المتوفي عام 1323هـ/[1]1905م ، وتأليفه « الدواهي المدهية ، للفرق المحمية » أجمع وأكبر تأليف في هذا الباب ، ألفه جواباً عن سؤال في الموضوع ، وبناه على خمس عشرة آية قرآنية ناطقة بتحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، وأتى في كل آية بكلام المفسرين عليها ، مضيفاً لذلك ـ في كثير من الآيات ـ كلام المحدثين وأئمة الفروع وأهل التاريخ والصوفية والأدباء ، وقد أطال النفس في الكلام على بعض الآيات ، ولا سيما آية ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . . ﴾ : أولى الآيات التي استدل بها .

وبعدما أتى على الآيات الخمسة عشر ، نقل الكلام الى الحديث ـ بتوسع ـ عن مفاسد موالاة الكفار التي أوصلها الى عشرين مفسدة ، وسار في شرحها سيره في الآيات القرآنية الى تمام العشرين ، حيث انتهى الكتاب الذي وافق الفراغ من اخراجه من مبيضته 14 ربيع الثاني عام 1303-1885 .

يقع هذا الكتاب في مجلدة صغيرة ، ومنه نخسة بخط المؤلف لدى حفيده الاستاذ الجليل محمد المنتصر الكتاني ، الاستاذ بكلية الشريعة بالجامعة السورية ، وهي تحتوي على صفحات 119 ، مسطرة 19 ، في حجم متوسط .

الخامس : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم السباعي الحسني المراكشي ، المتوفي عام 1332هـ/[2]1914م ، ألف « كشف النور ، عن حقيقة كفر أهل بصبور » ، وصدره بسؤال عن النازلة يشتمل على ثلاثة فصول ، ثم عقب عليه بالجواب ، يقع هذا التأليف في ورقات 12 ، ومنه نسخة ـ غير معزوة لمؤلفها ـ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1326 د ، وأخرى خاصة .

---

(1) ترجمته في « فهرس الفهارس » ج 1 ص 131 -132.

(2) ترجمته في « معجم الشيوخ » للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ج 1ص 55 -61.

السادس : أبو عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الوزاني الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1342هـ/[1]1924م ، له فتوى في الموضوع رد فيها على من أفتى - من غير المغاربة - بجواز الاحتماء بالاجنبي ، وهي مثبتة في « المعيار الجديد »[2] ، ويوجد في هذا المصدر أيضاً فتويان آخريان بمنع الاحتماء بالاجنبي ، احداهما لبعض معاصري أبي عيسى الوزاني ، أنظر « المعيار الجديد »[3] .

السابع : محمد بن جعفر الكتاني الحسني ، المتوفي عام 2927هـ/1345م ، وقد وضع - في الاحتماء بالاجنبي - رسالة لا تزال مخطوطة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3204 ، في ست صفحات من الحجم المتوسط .

ومرة أخرى انشأ - في نفس الموضوع - « خطبة » مطولة خطب بها بجامع أبي الجنود من فاس ، في يوم الجمعة 18 قعدة عام 1317هـ ، ومنها نسخة مخطوطة بالخزانة الحُسنية بالرباط ، وأخرى خاصة مستخرجة منها في ست صفحات من الحجم المتوسط ، وقد كان لهذه الخطبة صدى كبير لا في فاس ، ولكن في كثير من جهات المغرب ، حسب افادة فقيد العلوم الحديثية وما اليها : الشيخ محمد المدني ابن الحسني ، في منزله ضحوة يوم الاثنين 9 ربيع الثاني عام 1374هـ/6 دجنبر سنة 1954م .

ومن الجدير بالذكر أن المترجم من المخضرمين بين هذا الطور الثاني والذي بعده ، وقد تأخر تأليف كتابه : « نصيحة أهل الاسلام » الى الطور الثالث ، ولهذا سيكون تقديمه من مواضيع هذه الفترة الثالثة بمشيئة الله سبحانه .

فهذه ثمان موضوعات مما حرره علماء المغرب - في هذه الفترة - ضد الحمايات الاجنبية ، وان هذه الموضوعات لتفتح لقارئها نافذة يطل منها على مدى الغيرة والايمان

---

(1) ترجمته في المصدر الاخير ج 2 ص 48 -51.

(2) ج 3 ص 47 -50.

(3) ج 3 ص 50 -53 ، مع ص 60 -61.

(4) كتب لنفسه ترجمة موسعة آخر مؤلفه : « النبذة اليسيرة » الآنفة الذكر .

الذي كانت تتسم به مقاومة الامتيازات الاجنبية اذ ذاك ، وانها لتزخر بصفحات لامعة تصور الوطنية الحقة ، والحمية الاسلامية التي كان القوم يتوفرون عليها .

هذا ولاجل أن يطلع قارىء هذه الدراسة على قبس من تلك الصفحات الناصعة ، نذيل هذا الموضوع بمقتسبات من صرخات بعض أولئك الاعلام ، فمن صرخات أبي المواهب جعفر الكتاني في تحريم الاحتماء بالاجنبي ومفاسده هذه النفثة الواردة في « الدواهي المدهية » :

« . . فثبت بهذه الآيات القرآنية التي هي الدلائل اليقينية ، وما نقلناه عليها من كلام الائمة وأهل التفسير ، صحة ما ذكرناه من تحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، وبلوغ ذلك الغاية في القبح ، وانه من العظائم الموذنة بكل رذيلة ، اذ هي نص صريح في ذلك ، وتكرار الآي وجريها على وتيرة واحدة مؤكد له ، ورافع للاحتمال المتطرق اليه ، فان المعنى اذا نص عليه وأكد بالتكرار ارتفع الاحتمال فيه ، وهل بعد بيان الله بيان ، أو بعد حكمه حكم ، ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، واذا تعاضدت هذه الآيات على هذا التحريم ، فلا تجد في تحريمها مخالفاً من أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز ـ الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴾ في جميع معمور الارض الاسلامية من مطلع الشمس الى مغربها ، فهو تحريم قطوع به كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق ، واخواته من الكليات الخمس التي أطبق أرباب الأديان على تحريمها . .

ومن خالف الآن في هذا التحريم أو رام الخلاف ، فهو مارق من الدين ، ومنخرط في سلك الملحدين ، ومخالف لجماعة المسلمين ، ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم أبد الابدين . . » .

وإلى هنا ينتهي المراد من الشق الأول من صرخة أبي المواهب الكتاني ، ثم ها هو يأخذ في ذكر مفاسد الاحتماء بالأجنبي وما الى ذلك في العبارات التالية :

« والمفاسد الدينية والدنيوية المترتبة على موالاتهم الواقعة والمتوقعة ، ويأباها الاسلام

ومن فيه عذوبة طبع ، وانقياد للشريعة المطهرة : كثيرة جداً لا حصر لها ، ولا عد ولا احصاء ، فسحقاً لاهلها ولها ، منها ظهور شعائر الكفر . . ومنها الركون الى العدو . . ومنها الرضى بحكمه . . ومنها التحريض على الضلالة واستنان الشر ، وذلك ان كثيراً من الموالين له لم يقتصروا على تلطيخ أنفسهم بذلك ، بل زادوا الى تحريض من لم يواله عليها وتحسينها له . . ومنها اعانة العدو وتقويته . . ومنها تكثير سواده ولو من غير حلول معه أو اقامة ببلده ، لان الموالين له من جملة رعيته . . ومنها الدخول تحت قهره وغلبته ، وينبو منصب الاسلام عن اعلاء غيره عليه ، بل يعلو ولا يعلى عليه . ومنها مفارقة جماعة المسلمين . . ومنها نبذ العزة الاسلامية ، والطاعة الامامية ، والبيعة السلطانية ، وظهور السلطان النصراني عليها ، واذلاله اياها . .

واذا علمت هذا فاحتجاج الموالين للعدو لجواز موالاتهم له : بظلم الولاة لهم وتعديهم عليهم باطل ، ويكفي في رده مصادمته للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وكلام ائمة الملة الحنيفية ، ودلالته على ضعف الايمان ، وقلة الايقان ، بترجيح عرض دنيوي محتقر ، على بهاء دين أخروي يذخر ، أو ليس للانسان الا دينه ، اذ به نجاحه وسعادته ولينه ، وعليه يبذل نفسه ، فضلاً عن جملة ما له الا أن فقد حسه ، فهي حجة شيطانية نفسانية ، وركوب للهوى وترك للنظر الى الشريعة . . وما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالصبر على ظلم الولاة وتعديهم ـ ما لم نر كفراً بواحاً ـ الا لذرء مثل هذه المفسدة العظيمة ، التي لا مفسدة أعظم منها سوى الكفر صراحة أعاذنا الله منه ، ومعلوم أنه اذا التقى ضرران ارتكب اخفهما ، وبالله عليك ايها الموالي للعدو أي الامرين أخف ؟ أضرب ظهرك وأخذ مالك وقتلك بالكلية ، ويقتص الله لك من ظالمك يوم القيامة ، أو اذلال الدين بانحياشك للعدو الكافر ، وتكثير سواده بك وتقويته ، وتسلطه على هذا الجم الغفير من المسلمين ، ﴿ فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ .

رب ان الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء .

أترى ما يوليه من الاحسان اليك محبة فيك أو عدلاً منه ، لا والله ، بل حيلة

ومكيدة ليستجلب قلوب كثير من الضعفاء اليه، فيتمكن بذلك من مرامه، ولو وجد عدو الله السبيل الى نبذ العزة الاسلامية من الدنيا بأسرها ، وقتل المسلمين واستئصالهم عن آخرهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، والتمكن من بلادهم وأوطانهم ، والاستمتاع بحورهم وقصورهم ، لكان ذلك غاية مطلوبة ومناه . . .

وانظر الى حال الصحابة والسلف الصالح والعلماء وائمة الدين المقتدى بهم ، والمهتدي بهديهم ، وما قاسوه من شدة الأهوال والامتحانات ، وعظيم الأذى ، وهتك الحريم ، والضرب والسجن والقتل ، وغير ذلك من أنواع العذاب التي لا يسع شرحها المجلدات العديدة ، أيام اليزيد والحجاج وغيرهما من ولاة الجور الى هلم جرا ، هل حصل لهم من ذلك شك وريب ، أو ما زادهم الا ايمانا وتثبيتا ، أو بلغك عنهم انهم راموا شيئاً من هذه الجريمة الفظيعة ، حاشا منصبهم الجليل ، ومقامهم المرفع الاثيل ، من شيء منها أو ما يحوم حولها ، أأنت أعرف منهم بدين الله ، أو وصل اليك من الظلم ما لم يصل اليهم ؟ كلا ولا عشر عشره ، ولكن قلة الدين ، وضعف اليقين ، والانهماك في دواعي النفس الامارة ، والغرور اللعين ، يوذن بهذا وأكثر منه . .

نعم لو راقب الولاة الله تعالى ، وتذكروا الوقوف بين يديه ، والعرض عليه ، ومحاسبته لهم على كل جليل وحقير ، وكفوا عن المسلمين وعدلوا فيهم ، وحكموا بحكم الله تعالى ، ووقفوا عند أمره ونهيه ولم يتجاوزوا حدوده ، لكان ذلك خيراً لهم في دينهم ودنياهم ، ومحياهم ومماتهم ، وأزكى عند مليكهم ، وأرضى لنبيهم ، وأقرب لانحياش رعيتهم اليهم ، وانقيادهم لهم ، وعونهم ونصرهم .

فلم أر مثل العدل للمرء رافعاً ولم أر مثل الجور للمرء واضعا . .»

هذه نفثة أبي المواهب الكتاني مقتضبة اقتضاباً ، وبعدها نقرأ صرخة « رسالة » أبي حامد المشرفي ـ التي تنادي بمقاطعة أهل الحماية ـ في الكلمات الآتية :

« . . . فواجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ، ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم ، وأن يوصي كل من لقيهم

بمجانبتهم ومباعدتهم وترك معاملتهم ردعاً لامثالهم ، لان هذا المنكر ـ وهو التعلق بالعدو ـ من أعظم المفاسد في الدين ، التي يتعين فيها الزجر والتغليظ ، ولا يسمح فيه بوجه ولا حال ، وحيث لم يكفهم من له الكلمة من أهل العقد والحل ، زادهم ذلك غلظة وفضاضة ، وربما شارك المحتمي مسلم آخر ، فقوى العدد ، وانتشر المدد ، واتسع الخرق على الراقع ، وعظمت المصيبة ، وفسد اعتقاد العامة ، حتى ظنوا أن ذلك الدين الفاسد هو الدين الحق ، وأساءوا الظن بدين الإسلام والعياذ بالله ، ومن أعان المحتمي أو عاشره أو خالطه أو أرضته حالته ، فهو فاسق ملعون . . » .

والآن ـ وقد استعرضت هذه الدراسة صرخات بعض المؤلفين في الموضوع ـ نقفي على ذلك بالزواجر والقوارع ، والتحذيرات والانذارات ، التي كانت توجه من علياء المنابر ضدا على المحتمين بالاجانب ، ها هي فقرات من خطبة أبي الحسن الفاسي : « ايقاظ السكارى المحتمين بالنصارى » :

« . . . فكيف يا أهل لا اله إلا الله ، يسعكم جحود هذه النعم العظام ، أم كيف تقومون بواجب شكرها على ممر الليالي والايام ، وقد أصبح سفهاؤكم بها كافرين ، ولما رضي الله سبحانه لجميعكم مبدلين ومغيرين ، الى أن أفضى بهم الحال ، فارتكبوا أحلولك الاوحال ، واستفزهم الشيطان ، وقيدهم بأشطان ، حتى صاروا يتخذون دين الله هزؤا ولعبا ، ويميلون لمن عنه من أهل الشرك والضلال أبى . ويرضون بهم أولياء وأعواناً ، وجيرانا وأحباباً وأخدانا ، ويعلنون باتخاذ حمايتهم ، ويجهرون بالانقاء بموالاتهم ، كأنهم ما علموا انه لا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتخذ صاحباً أو صديقاً أو ولياً منهم ، ولا تحققوا أن ذلك يحزنهم ، يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم ، وقد حذر الله ورسوله المؤمنين من ولايتهم والاستعانة بهم عليهم ، وأوعد على ودهم ومصافاتهم ولو كانوا من قرابتهم ، بالنص الصريح ، في غير ما آية وحديث صحيح . . » .

وبعد الخطبة الفاسية ، فان محمد بن جعفر الكتاني يفتتح خطبته بتمجيد الشريعة الإسلامية ليتخلص الى الموضوع ويقول :

« وإن كثيراً منا ـ يا عباد الله ـ قد دنسوها بالركون لأعداء الدين ، وموالاة الكفرة الأشرار المعتدين ، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم ، أو الكون في خدمتهم ومن جملة أعوانهم،والتردد إلى أبوابهم ، والتملق بين أعتابهم ، نابذين بذلك الغيرة الاسلامية ، والطاعات الامامية ، جهلاً منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا ، وما يترتب عليه من المفاسد العظيمة والرزايا ، وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى ، وطريق لهدم الاسلام وخراب أساس التقوى . . » .

21 توجيهات حول تنظيم الجيش

وقد علمنا ـ سالفاً ـ[1] أن السلطان محمد الرابع استفتى عشرة من العلماء حول مشروعية تنظيم الجيش المغربي على الطريقة الحديثة ، وكانت أسماؤهم كالتالي :

ـ القاضي محمد بن عبد الرحمن العلوي المدغري .

ـ الشيخ أحمد المرنيسي الفاسي .

ـ القاضي محمد الصادق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري .

ـ الشيخ عبد السلام بوغالب الفاسي .

ـ القاضي محمد المهدي بن الطالب ابن سودة.

ـ أخوه الشيخ عمر ابن سودة.

ـ الشيخ محمد بن محمد بن حمادي الحمادي المكناسي.

ـ الشيخ محمد مسواك بن محمد التازي.

ـ القاضي الحاج محمد بن محمد الفيلالي .

ـ الشيخ أحمد كلا بن أحمد بناني الفاسي.

والمعروف ـ لحد الآن من فتاوى هؤلاء ـ هي الأجوبة التالية وعددها خمسة :

ـ جواب المرنيسي ، بالمكتبة الزيدانية ضمن مجموع[2] .

---

(1) ص 80 .

(2) « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ـ رقم 2065.

ـ جواب محمد الصادق العلوي : في كناشة خاصة .
ـ جواب محمد المهدي ابن سودة .
ـ جواب أبي حفص ابن سودة.
ـ جواب القاضي الفيلالي .

وهذه الأجوبة الثلاثة الأخيرة يجمعها ـ حسب ترتيب ذكرها ـ كراسة صغيرة مخطوطة بالمكتبة الأحمدية[1] ، وأكبرها هو جواب أبي عيسى ابن سودة ، حيث صاغه في شكل رسالة سنقدمها من بعد : ضمن آثار أخرى .

وبالاضافة الى هؤلاء العشرة ، ساهم ـ بالكتابة في نفس الاتجاه ـ ثلاثة من العلماء في دراسات موضوعية مطولة ، وهذه هي التي سنعرضها مع الرسالة السودية ، لنرى ـ من خلالها ـ لوناً جديداً من يقظة المغرب الشعبية في هذا الطور ، فيعلن الفقهاء حماسهم للتنظيمات العسكرية الحديثة ، ويرفعون أصواتهم بالمطالبة بتحقيقها ، ويشرحون آراهم في طرق تطبيق هذا الاصلاح الجديد ، والآن : سنقدم هؤلاء المؤلفين الأربعة حسب تسلسل وفياتهم :

الأول : الغالي بن محمد الحسني الأدريسي العمراني المعروف باللجائي ، نزيل فاس والمتوفى ـ بها ـ عام 1289 هـ / [2]71 — 1872 م .

ألف : « مقمع الكفرة بالسنان والحسام ، في بيان ايجاب الاستعداد وحرب النظام » ، وضعه ـ حسب افتتاحيته ـ مساهمة في الجواب عن الاستفتاء الملكي المشار له في صدر هذا الباب ، ورتبه على خمسة عشر باباً وردت عناوينها هكذا :

---

(1) كما أن جواب كل من أبي حفص والفيلالي ، يوجدان ـ معاً ـ ضمن أوراق « خاصة » ، بخط أبي حفص ابن سودة المتكرر الذكر .

(2) له ترجمة مقتضبة عند المشرفي في « نزهة الابصار » : المخطوطة المتكررة الذكر ، ص 448 ، وترجمة أخرى بقلم المؤرخ المعاصر : عبد السلام ابن سودة المري ، حسب مجلة « البحث العلمي » ، السنة التاسعة ، العدد التاسع عشر ـ ص 103 - 108.

الأول : في ايجاب صرف الهمة للاستعداد ، وجبر الامام الرعية عليه لكون العدو الكافر بالمرصاد .

الثاني : في عقوبة من أعرض عن الاستعداد ، بعدما عينه الامام لأمر الجهاد .

الثالث : في ايجاب حرب النظام ، وزجر من رغب عنه بعد التعيين من الامام .

الرابع : في حرمة ترك الرعية على قبيح فعلها ، ووجوب زجرها على عصيانها وغيها .

الخامس : في الجند والعلم الواجب عليه وأمرائه ، والوصايا المختصة بعرفائه ونقبائه .

السادس : في موجبات الظفر والهزيمة ، وشرح أحوالهما وصفاتهما المحمودة والذميمة .

السابع : في ايجاب الصبر والجهاد على الرعية ، وان لم يحز المتولي الصفة السنية .

الثامن : في مدح الشورى ، وفضل عاقبتها في الدنيا والأخرى .

التاسع : في جواز المهادنة والصلح مع العدو الكافر ، وذلك لما يعرض من المصلحة والغرض الظاهر .

العاشر : في الخصلة التي يفزع الملك اليها عند الشدائد ، وما فيها من المحاسن والفوائد .

الحادي عشر : في محاسن العفو ومناقبه ، وسمو قدره ومحمود عواقبه .

الثاني عشر : في الخصلة التي يسترق بها كل موجود ، وهي السخاء والكرم والجود.

الثالث عشر : في العدل وعدم الثقة بالولاة والعمال ، ليصفو الأمر للامام ويزول عنه الخبال .

الرابع عشر : في ذكر الشجاعة والشجعان ، وعظيم قدر الخصلة المحمودة بين الأقران .

الخامس عشر : في مطلوبية تسهيل الحجاب ، لأن به يدوم الملك ويحصل الأجر والثواب .

يقع الكتاب في مجلد مخطوط بالمكتبة الملكية التي تتوفر على ثلاث نسخ تحمل أرقام : 965 ، 1030 ، 1443 ، وتمتاز النسخة الثانية بوجود خط المؤلف بها ، وهي تشتمل على 485 ص ، مسطرة 19 مقياس 185/225 .

خط مغربي مستحسن ملون مجدول ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ووافق الفراغ من اخراجه من مبيضته أواسط شعبان ، عام 1282 هـ .

ومن صفحات الكتاب ، هذه الفقرات الواردة أثناء الباب الأول :

« . . والآلة والاستعداد المطلوبان في هذا الزمان ، هما ما يقاتل العدو الكافر ـ دمره الله وأهلكه ـ بهما المسلمين ، من حرب النظام ومدفع ومتعلقاتهما ، ليقابل بمثل ما كافح به وقابل ، ويقاتل بنحو ما حارب به وقاتل ، لأن من لم يقاتل بما ذكر في هذا الزمان ، فقد وقع في الاخلال بالاستعداد والسلاح ، فيلحقه الوعيد المتقدم في الآيات القرآنية .

فالشأن كل الشأن الاكثار من المدافع والمهاريس في هذا الوقت ، ومن يرمي بهما مع احسانه واتقانه للرمي أي معرفة الاصابة فيه ، مع أمر صاحب الخيل بضرب الصفوف والركوب،والموكل بالمدافع والمهاريس بالرمي بها لتتدرب على الحروب، لأن خيل المغرب لم تعتد قتالاً بالمدافع الصغار ، فأحرى أن تحضر قتالاً بالمدافع والانفاض الكبار ، فمهما عاينت ذلك استعملت الفرار ، ولم يقع منها صبر ولا وقوف واستقرار ، والغرض ثباتها وصبرها وعدم انجفالها ، ولا يحصل ذلك الا بمشاهدتها للرمي بالمدافع والمهاريس مراراً ، فعند ذلك تصير معودة للصبر والثبات ، وبصبرها وثباتها يقع العز والنصر المطلوب ، ويظفر الامام ـ أيده الله ـ

بالمرغوب ، واذا لم تشاهد الخيل قتالاً بما ذكر انجفلت بأهلها ، وان حاولوا الجامها وثباتها وصبرها ، وبانجفالها ينهزم الجيش ويختل النظام ، فتقع الدائرة على الإسلام .

فالمخاطب بهذا : الأمير أعزه الله ونصره ، وأظهر جنوده وعساكره ، لأن بيده الحل والعقد فليأمر بذلك ، ثم بعده فليحرض رعيته على مقاتلة العدو ـ دمره الله ـ بالحرب الذي يقاتل به المسلمين وهو حرب النظام الآتي ، بعد معرفتهم له ، فاذا لم تستعد الرعية بهذا الاستعداد ، فقد وقعت في الاخلال به والسلاح في الجهاد » .

وبعد هذا يأتي في خاتمة نفس الباب الأول :

« اذا تقرر هذا ظهر أن الامام ـ أحسن الله اليه ومنحه ما يبتغيه ـ عليه المدار ، في الجبر على الاستعداد والاستنفار ، وأن الاستعداد بثالة المدافع والمهاريس وعسكر النظام ، أمر حتم قطعاً على الامام ، يجبر عليه الرعية ، وبه يحصل قمع وقهر أعداء الملة المحمدية ، ولا جرم أن مضادة الكفرة ، ومدافعة أعداء الدين الفجرة ، لا تحصل في هذا الأوان الا بذلك ، دون غيرها من الحروب والمعارك ، فحقيق على الامام أن يسلك بالرعية تلك المسالك ، والا وقعت في الردى والمهالك ، فان الروم ـ أذلهم الله ـ داكت عقولهم في استنباط واستخراج حرب لا تطاق محاربته ، ومن قاتلهم ودافعهم دونه لم تغنه مدافعته ، فأحدثوا عسكر النظام ، وأطبقوا على أن به يحصل المرام ، ثم أضافوا له ما أحدثوا قبله من الرمي بالمدفع والمهراس ، وأجمعوا على أن بهما يحصل الفزع والرعب للناس ، فتمت حيلتهم ، وأمنت بذلك هزيمتهم ، الا من رام الحرب المذكور من بابه ، واتخذ النظام بمتعلقاته وأسبابه ، وحينئذ فيتعين الاتخاذ ، ويجب بالنظام وما أضيف اليه الاستعداد » .

الثاني : محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، المتوفي عام 1294هـ/1877 م .

استهل رسالته بتمهيدات موضوعية ، بنى عليها اعلان الرغبة في اتخاذ تلك التنظيمات الحديثة ، ثم استخرج أصول ذلك من صميم التشريع الاسلامي : آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ليعلن ـ بعد ذلك ـ أن « النظام » ـ اليوم ـ يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، وبعدما أفاض في الاستدلال لهذا الوجوب ، ختم الرسالة بتوجيهات ضمنها آراءه في طريقة تنظيم الجيش المغربي الحديث .

تقع هذه الرسالة في ست صفحات وثلاثة أسطر من السابعة ، وهي مكتوبة بخط مؤلفها ضمن كراسة صغيرة بالمكتبة الأحمدية ، في حجم متوسط ، وسنذيل هذا الباب باثبات النص الكامل للرسالة السودية .

الثالث : محمد بن محمد الفلاق السفياني الأمغيطني العبدلاوي ، المتوفي عام 1312 هـ / [1]1894 م .

وضع ـ برسم السلطان محمد الرابع ـ كتابه : « تاج الملك المبتكر ، ومداده من خراج وعسكر » ، ورتبه على مقدمة من فصلين ، وعشرة أبواب :

الأول : في الملك ، من ثلاثة فصول .

الثاني : في الجند ، من فصلين .

الثالث : في المال ، وفيه فصلان .

الرابع : في الخراج ، من فصلين .

الخامس : في العمارة ، وفيه فصلان .

السادس : في العدل .

السابع : في اصلاح العمال ، وبه فصلان .

الثامن : في استقامة الوزراء ، من فصلين .

التاسع : في افتقاد الملك .

العاشر : في اقتدار الملك .

---

(1) له ترجمة مقتضبة عند المشرفي في « نزهة الابصار » : المخطوطة المذكرة الذكر ـ ص 488.

منه نسخة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2502 ، بها 71 ورقة ، مسطرة 22 في الغالب ، مقياس 180/230 ، خط مغربي ملون جميل في الأكثر ، ومصحح بخط قد يكون للمؤلف نفسه، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

ووقع الفراغ من التأليف في ربيع النبوي عام 1279 هـ .

ورد ذكره عند ابن زيدان في « العز والصولة »[1] ، ومنه نسخة أخرى في خزانة القرويين .

4 ـ وممن كتب في هذا الموضوع : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي المار الذكر ، فقد خصص في كتابه « الاستقصا »[2] فصلاً ضافياً ضمنه آراء تقدمية في تنظيم الجيش وبعض آدابه .

وسيكون الناصري رابع المؤلفين الذين استعرضت هذه الدراسة كتاباتهم حول اصلاح الجيش المغربي .

والآن سنذيل هذا الباب باثبات نص الرسالة السودية نقلاً عن مبيضة مؤلفها :

« الحمد لله ، ولكاتبه مجيباً مولانا الامام ، المنصور بالله المظفر سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان بن هشام ، لما سأل ائمة العلم : «10» من فاس ، عن حكم اتخاذ النظام ـ لما كان الطاغية اصبنيول استولى على تطوان وأخذها وقهر الناس ، بعدما دام الحرب نحو الخمسة أشهر ، واعياً الناس النظام الذي كان مع الطاغية ، وكان المسلمون انما يقاتلون بكيفية الحرب القديمة ـ وذلك في رمضان عام 1276 ما نصه :

« الحمد لله الذي أمر خصوص عباده المؤمنين بنظم عموم كلمة المسلمين ، وصرف جيش القوة في الكافرين ، والصلاة والسلام على امام المتقين ، وسيد

---

(1) ج 2 ص 215 -216.

(2) ج 4 ص 222 -225.

المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المؤيد بصحاح الآيات وباهر المعجزات وقواطع الحجج والبراهين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الخيرة المنتخبين ، الدالين على سنته وطريقته ، والناصرين لشريعته ، والبائعين أنفسهم وأموالهم في جهاد أعداء الدين ، واخماد نار الكفرة الضالين .

هذا وإن مما بلغ حد الاشتهار ، وتقرر في مسيرات الافكار ، أن البارود لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولا زمان الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين ، حتى كانت أواخر المائة الثامنة ، فحدث البارود وظهرت فيه مزيد قوة على الرمي بالوتر والمنجنيق ، فعلم أهل الاسلام أن غيظ الكفار لا يكون الا باتخاذ البارود والقتال به ، اذ الشيء لا يقابل الا بمثله أو أقوى منه ، فاتخذوا ـ بدل السهام والمنجنيق ـ رصاص البارود والمدافع ، فقاتلوا العدو بهذا المتخذ فصانوا وحفظوا دينهم وبلدانهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم من الكفار بذلك ، بل فتحوا ـ جزاهم الله ـ به مدن الكفار وأرضهم ، ولم يروا ـ رحمهم الله ـ في ذلك بدعة مذمومة ، وأفتى علماؤهم بأكل المصيد ببندق الرصاص ، كمصيد السهام الذي هو محل النص فقيل :

وما ببندق الرصاص صيدا جواز أكله قد استفيدا

بل هي بدعة محمودة ، قال الأبي : « ما شهد الشرع بأصله من البدع هو محمود ، كالتحضير للصلاة وزيادة الأذان » انتهى . فان أصله الذي هو الأذن والطلب لاظهار القوة على الكفار ـ بحسب الاستطاعة ـ هو موجود ، قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ .

ثم أن الكفار ـ لعنهم الله ـ أحدثوا قبل تاريخه ـ الذي هو سنة 1276 : ستة وسبعون ومائتان وألف ـ بنحو الأربعين سنة : عسكر النظام ، فنسوا وأنسوا به كيفية الحرب الماضية ، لما فيه من غاية الترتيب ، وشدة الحزم ، وتمام مراعاة الحذر ، وعموم القتال براً وبحراً ، قربا وبعدا ، فما قابلوا به محلا الا نالوا وأضروا بأهله ،

فقد قابلوا به الجزائر سنة 1246 ، وأضـروها واقليمهـا على التمام ، واستـولوا على النساء والصبيان وكافة من بها من أهل الاسـلام ، فقام عنـد ذلك ملوك الاسـلام : ملوك مصر والشام وتونس وقسطنطينية العظمى على ساق الجد ، فأحدثوا في بلدانهم جيوش النظام ، والتزموه بجميع وجوهه وترتيب كيفيات معروفة على التمام ، فحمى الله بذلك دينهم ودنياهم : بلدانهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم وصانها ، فاستـراح الناس وأمنوا على دينهم ودنياهم ، وكثرت أموالهم وتجارتهم ، ولم يبق لعدو الدين طمع فيهم ولا التفات الى صوبهم وجهتهم حينئذ .

فالمطلوب من سيدنا الهمام ، المنصور بالله المظفر بالقصد والمرام ، المنتظم بخلافته شمل الأمة من خاص وعام ، فأفاض الله على رعيته ـ بساعد طلعته ـ سجال الخيرات والاكرام ، وأنام بعدله وحلمه جميع الانام ، في ظل الأمن والأنام ، أدام الله لنا وجوده ، وخلد في صفحات الدهـر نصره وعـزه وسعوده : هـو اتخاذ جيش يكون ردءاً لأهل الاسلام ، وحفظاً لشريعة جده عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيقاتل به أهل الخزي والآثام ، ويسقي الكفـرة كؤوس الحمام ، فـانه لا وجـه في الشرع يمنعه ، لأن النظام ـ كما علم وربما أشعر لفظه بمعناه ـ هو عبارة عن نظم أمور في الجيش راجعة لتقوية فائدته ونتيجته :

منها أن الجيش يكون في الحرب مرتباً على طوائف أتت على جميـع وجوه الحـرب الممكنة ، قـال تعالى : ﴿ واذ غـدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقـاعد للقتال ﴾ ، حتى أن كل طـائفة منهن مكلفـة بأمـور في الحرب بحـسب استـطاعتها وقدرتها ، حتى يكون كل في خدمته لا يشغل باله غير خدمته ، فقـد قال تعـالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ .

ومنها أن الجيش يكون على غاية الامتثال والانقياد لأميره ، حتى ان تدبيرهم هو تدبيره ، وارادتهم هي ارادته ، فقد قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنـوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ، وورد في حديث المقداد بن الأسـود ـ رضي الله عنه ـ « والله لو خضت بنا يا رسول الله هذا البحر لخضناه » .

ومنها: أن المقاتلين يكونون في الحرب صفاً كالبنيان أو الجبال ، قال تعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ الآية ، ولذا قيل في الصحابة رضي الله عنهم :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم .

الى آخره ، ومنها أنه لا ادبار ولا فرار ، وقد قال تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ الآية .

ولا يخفى أن التدبير في الحرب أكيد ، وتحصيل الحيل والخديعة فيه محمود ، وفي الحديث : « الحرب خدعة » ، اذ « رب حيلة أنفع من قبيلة » ، وفي الصحيح : أنه كان صلى الله عليه وسلم : لا يريد غزوة الأوري بغيرها الا في غزوة تبوك ، فانه لما كان الزمن زمن الحر والسفر بعيداً جلا للناس أمرهم .

وكذا المشاورة مطلوبة في الحرب لاظهار وجه نافع ، وقد قال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، فقد شاور صلى الله عليه وسلم في الحديبية فقال أبو بكر : « يا رسول الله نرى أنك خرجت لبيت الله » ، الى آخره ، وشاور صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقال لما لبس لامته : « ما كان لنبي اذا لبس لامته أن ينزعها حتى يحكم الله » ، وإن كانت مشاورته صلى الله عليه وسلم انما هي تطييباً لخواطرهم ، وتعليماً للأمة ، لا لاستخراج أمر من عندهم محتاج اليه لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم ، بل هو أعلم الناس .

على أن النظام اليوم يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، لما شاهده الناس من عدم مقابلة العدو بكيفية قتال سواه ، كما اتضح ورأى الناس هذه الآية ، فقد قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ الآية ، وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « ألا إن القوة الرمي » قالها ثلاثاً ، قال الأبي : « هو نحو حديث : « الحج عرفة » ، وانما كان الرمي أقوى عمل الجهاد ، لأنه أنكى للعدو ، ويستوي فيه الجبان والشجاع ، وأما السلاح فلا

يقاتل به الا الشجاع ، ولأن الرمي ربما يصيب رئيس العدو فينهزم الجيش » انتهى ، وقد قال تعالى : ﴿ قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ﴾ الآية ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءا أراهم من نفسه قوة » ، وقال تعالى : ﴿ ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون ﴾ إلى آخره ، وقال تقدست أسماؤه وصفاته : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ، الى غير ذلك من الآيات والأحاديث ، فذلك مفيد للوجوب ، ومنتج لتعين اتخاذه ، ألا ترى الى بسط الدليل من الآية الأولى في قياس من الشكل الأول ، نظمه هو أن يقال : اتخاذ النظام اليوم قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار ، وكل قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار تجب عليهم ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم يجب على المسلمين ، وهذا هو المدعي المطلوب ، أما دليل صدق المقدمة الصغرى فضروري أو كالضروري ، وأما صدق المقدمة الكبرى فمن الآية ، اذ الأمر هو ـ كما عند الأصوليين ـ للوجوب حقيقة ، وكذا يقال في بسط الدليل من الآية الثانية في قياس من ذلك الشكل ، فيقال : اتخاذ النظام اليوم هو غلظة على الكفار ، وكل غلظة على الكفار واجبة ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم واجب ، وهو المراد المطلوب ، ودليل صدق مقدمتي القياس هو على نحو ما تقدم في القياس قبل .

هذا وان الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟فقال لله ولرسوله ولكتابه وعامة المسلمين وخاصتهم ، وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو من الأحاديث التي عليها مبنى الفقه والشريعة ، فلا بأس بذكر أمور أربعة :

الأول : أنه لا بد من حكم العسكر حتى لا يضر بابضاع المسلمين وأموالهم وأولادهم ، لأنه انما كان لمضي الحكم ورفع الضرر ، ومن كان فاسداً في نفسه ، مفسداً لغيره ، فكيف يرتفع به الفساد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « انهوا جيوشكم عن الفساد ، فانه ما فسد جيش قط الا سلط الله عليهم الرجلة : أي موت دوابهم وخيلهم ، وأنهوا جيوشكم عن الغلول ، فانه ما غل جيش قط الا قذف الله

الرعب في قلوبهم ، وأنهوا جيوشكم عن الزنى ، فانه ما زنى جيش قط الا سلط الله عليهم الموتان : أي الوباء العام » ، فالحدود واضحة مقدرة ، وأما التعازير في المعاصي فهي موكولة لاجتهاد الامام ، قال خليل : « وعزر الامام لمعصية الله » الى آخره .

الثاني : انه يوسع عليه أكلاً وشرباً ولباساً ودراهم لقضاء بعض حاجاته المباحة ، لانه قد سلم نفسه للمسلمين في جميع الاوقات ، ليس له خدمة الا في معنى الحرب : ان أمر ائتمر ، وان استنفر الآن كان جوابه الفعل والسير ، وان حضر صف القتال لا يفر الا إن مات ، فالتوسعة ـ حينئذ ـ هي في مقابلة ما بذله وباعه ، وقد قال الامام الطرطوشي ـ رضي الله عنه ـ ما معناه : الجيش حصن الملك ، وجنوده ،ومعاقله ، وحماة البيضة ، والدافعون عن العورة ،وحصون الثغور ، وأمن السبيل ، إلى غير ذلك ، ومن تمام التوسعة عليه والبرور أن من مات منه أو قتل وله اهل ، ينفق على اولاده ، قال صلى الله عليه وسلم : « من ترك كلاًّ او ضياعاً فإليَّ وعليّ » .

الثالث : انه بعد مدة ليس عليه فيها كبير ضرر ، يخير بين الخروج فيستبدل خلافه ، أو البقاء ، لأن ما عقد عليه هو كالاجارة : فلا يبقى الى الموت ، لأنه جهل ، بل يوقف بعد المدة المذكورة ويخير ، والبقاء في ربقة الحجر والرقية الى الموت ضرر ، والضرر يزال ، وأيضاً فإن التخيير المذكور هو استيلاف به ، فيكثر الداخلون ، ويشحون بالخروج ويبخلون به .

الرابع : ان كل واحد من تاجر وحراث ومحترف ومكتسب بالغنم واليقر وغير ذلك : هو داخل في النظام وساع في أمره ، لان تلك هي أسباب للعمارة وتكثير الاموال ، فتكثر حينئذ الجباية والاعشار الأموال ، فإن الاموال هي مدد جيش النظام وقوامه ، اذ لولا المال ما دام نظام ، بل ولا كان ، ومن كلام الحكماء : « لا ملك الا من جند ، ولا جند إلا من مال ، ولا مال الا من جباية ، ولا جباية الا من عمارة ، ولا عمارة بلا عدل » ، فالعدل أساس الجميع .

فالعدل إذا انتشر في الرعية مات البـاطل ، ونمت التجـارة والزرع والانعـام ، وامتلأت الايدي بالخير ، وحصلت المروءة حتى للعامة ، وحفظ الدين ، وكثر الداخل على الملوك ، واستراح الرئيس والمرؤوس ، والله اعلم ، وكتبـه ـ راداً العلم الى العلي الكبير ـ عبد ربه ، وأسير ذنبه : محمد المهدي بن الطالب ابن سودة ، لطف الله به في الدارين ، وفي 28 رمضان عام 1276 » .

22 الدعـوة إلـى الجهـاد

وهذا مظهر آخر من ملامح يقظة المغرب في هـذا الطور الثـاني ، ويتجسم في الدعوة إلى الجهاد لمقاومة المد الاستعماري داخل التراب المغربي ، ولم يكن هذا الاتجاه موضع اجماع المهتمين بالأمر ، وانما برز أكثر عند بعض قادة تافيلالت ، كرد فعل ضد الوجود الاجنبي في بعض المواقع الشاطئية او التخوم المغربية .

وفي مقابل هذا الاتجاه كان فريق من المفكرين يجنحون الى الحلول السلمية ، متأثرين بواقع المغرب سياسياً وعسكرياً واجتماعياً ، وكان من هـذا الفريق المؤرخ الناصري السلوي، وهو يشرح وجهة نظره في هذا المذهب ويقول أثناء كلام[1] :

« . . فهذا القطر المغربي ـ تدارك الله رمقه ـ على ما ترى من غاية الضعف وقلة الاستعداد ، فلا تنبغي لاهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر ، مع ما هو عليه من غاية الشوكة والقوة . . بل لو فرضنا أن أهل المغرب ـ اليوم ـ مماثلون للعدو في القـوة والاستعداد لما كان ينبغي لهم ذلك ، لأنه ليست العدة ـ وحدها ـ كافية في الحـرب ، ولا كثرة الرجال والمقاتلة ـ وحدها ـ بالذي يغني فيهـا شيئاً ، بـل لا بد مـع ذلك من اجتماع الكلمة ، وكون الناس فيها على قلب رجل واحد ، ولا بد ـ مع ذلـك ـ من ضابط يجمعهم ، وقانـون يسوسهم ، حتى تكـون الجماعـة كالبـدن الواحـد ، يقوم جميعاً ، ويقعد جميعاً ، وهذا معنى ما صح في الحـديث ، من قولـه ـ صلى الله عليـه

(1) « الاستقصا » ج 4 ـ ص 269.

وسلم ـ « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً »[1] ، فإن لم يكن ضابط وقانون فلا بد من نفاذ البصيرة في الدين ، وقوة اليقين ، والألفة فيما بين المسلمين ، والغيرة على الوطن والحريم ، وجودة الرأي ، والتمرس بالحروب ومكايد المشركين .

وأهل المغرب ـ اليوم الا القليل ـ منسلخون من هذا كله أو جله ، فقد توالت عليهم الاجيال في السلم والهدنة ، وبعد عهد أسلافهم ـ فضلاً عنهم ـ بالحرب وشدائدها ، ومعاناة الاعداء ومكايدها . . فكيف يحسن في الرأي المسارعة إلى عقد الحرب مع أجناس الفرنج . . » .

* * *

ونعود ـ بعد هذا ـ للفريق الأول الذي يمثله بعض القادة الصحراويين ، وهو يصمم على أن الجهاد هو الحل الوحيد للمأساة المغربية ، ولا يكتفي بالرد على دعاة الحلول السليمة ، وانما يسخر منهم سخرية لاذعة ،وهذا ما يسجله ناطق بلسان القوم[2] في هذه الفقرة :

« . . ومن استبصر وتبصر ، رأى انحطاط همة ولاة الامور ، مع استيلاء العدو على كثير من بلاد المسلمين ، واشتغالهم بالملاهي ، ولعمري انهم لو أنفقوا أقل القليل مما يصرفونه على فضول الشهوات ، لما بقي بلد من بلاد الاسلام الا استردوه ، ولما أبقوا للكافر حصناً الا استخلصوه للدين ومهدوه ، وقد عللوا تقاعدهم بضروب من العلل كلها مكسوفة الانوار ، مهتوكة الاستار . . » .

1 ـ والآن : نقدم ثلاثة من قادة الدعاة للجهاد في هذه الفترة ، وقد كان زعيم

---

(1) الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، حسب السيوطي في الجامع الصغير ج 3 ص 365 من شرحه للعزيزي ، غير أنه لم ترد فيه كلمة المرصوص ، ولهذا يقال في هذا الصدد : ادراج المرصوص ، غير منصوص .

(2) هو الحبيب بن عمر بن الحسن في تقريظه على كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر .

هذه الفئة هو محمد العربي بن محمد الهاشمي الحسني العلوي المدغري ، المتوفى ـ بها ـ عام 1309 هـ[1] / 1892 م ، من الأشياخ البارزين على رأس الطريقة الدرقاوية ، ومن مواقفه في هذا الصدد نذكر نموذجين اثنين :

الأول : عام 1280هـ/1863م ، حيث وزع منشوراً مطولاً للتحريض على الجهاد ، وخاطب فيه كافة المؤمنين بأرض المغرب : عامتهم وخاصتهم ، وهو يؤكد ـ في لهجة حازمة ـ أن الذي حفزه لهذا الموقف ، ما وقع في المدن المغربية الساحلية من تهافت الاجانب على السكنى فيها ، وأخذهم في البناء بها ، وانتشارهم في بواديها : بالزراعة وتربية الماشية وغير ذلك ، مما ينذر بالاستيلاء الكلي على المغرب والمغاربة ، وهنا يقول المنشور[2] :

« . . . والمسلمون لا مندوحة لهم عن القتال : اما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله ، واما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال اخوانهم قهراً ، ولا بد لنا من أحدهما ، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة ـ التي بها صلاح الدنيا والدين ـ مقاتلتهم ومنازلتهم ، واغزاء طائفة منا في كل سنة الى بلدهم : تدعوهم الى الاسلام ، وترغبهم فيه ، وتكف أذاهم . . . » .

وبعد هذا يعقب المنشور[3] هكذا : « . . . ولا يخلصنا ويخرجنا من عهدة الوجوب ، وما أتانا به الرسول الطاهر المحبوب ، سماع أخبار اجتماع أجناس الكفرة ومظاهرتهم على قتالنا ، والوعد بأنهم يد واحدة على منازلتنا : ان لا نستعد لقتالهم ، ولا نظهر القوة والعدة والاستعداد لمحاربتهم ، اذ المتوقع منهم هو الواقع ، وتحصيل للحاصل ، أليست الملتان متضادتان اسلاماً وكفراً ؟ فلو قوتلت شيعة منهم ، وبفضل

---

(1) ورد ذكره في « سلوة الأنفاس » ج 1 ص 261 ، وترجمته عند الفضيلي في « الدرر البهية » ج 1 ص 274-275 ، حيث أرخ وفاته بعام 1310 هـ .

(2) ص 61 من المجموع الذي يحتوي على المنشور .

(3) ص 62 من نفس المجموع .

الله انهزمت وانكسرت شوكتها ، وفلت حدتها ، ما عادت شيعة أخرى لحربنا ، لنصرنا بربنا . . » .

ومرة ثالثة يقول نفس المنشور[1] : « . . . ومقدمة البوار الامن من عدو الدين ، وعدم المبالات بما يفعله في أرض المسلمين ، وترك التفطن اليه حتى يصير يأمر وينهي ، ويمتثل أمره في سواحل أهل الايمان والدين ، ولا يتفطن ويتنبه اليه حتى يتفاقم الواقع ، ويتسع الخرق على الراقع . . » .

وكما علمنا ـ سالفاً ـ فإن المنشور مطول ، وتحتفظ الخزانة العامة بمخطوطة منه ضمن مجموع يحمل رقم د 3353 ـ ص 57 — 81 .

وبعد هذا نقدم الموقف الثاني للمترجم من الدعوة إلى الجهاد ، وقد برز حين أخذ الزحف الاجنبي يهدد صحراء تافيلالت ، وهنا يندب الزعيم الصحراوي المسلمين الى القيام بالدفاع عن حوزة الوطن بما أمكن ، حيث فاجأهم العدو ، وصدع كثيراً من قبائلهم ، وأجلاهم عن أراضيهم[2] .

وفي عام 1305هـ/1888/87م . بعث بالرسل الى سائر الجهات المغربية يستنفرون الناس إلى الجهاد ، ويندبون قبائل الصحراء والمغرب الى جعل عامين هدنة بينهم ، حتى يكونوا أمة واحدة ، ويداً متحدة على من سواهم من المغيرين المعتدين ، فأجابوا الى ذلك ، واستعد أهل الجد منهم بما يحتاجون له من عدة وخيل وسلاح ، وأنست أنفسهم بالظفر والنجاح ، وهنا يعقب المصدر المهتم بالأمر[3] على هذه الاجراءات ، ويقول عن المترجم :

« . . . فلما رأى ـ رضي الله عنه ـ من الحزم أن يشارك مولانا السلطان بالرأي السديد ، أرسل له بعض أصحابه الملحوظين عنده بالتأييد ، بعد أن عول على الخروج

---

(1) ص 70 من المجموع .

(2) تقريظ الحبيب بن عمر بن الحسن على كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر وشيكاً .

(3) هو مؤلف كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر قريباً .

في فصل الربيع ، فأضاف السلطان الرسول نحو شهرين ، ولم يرجع من عنده الا بخف حنين ، والناس ـ من أهل الجد ـ يتحسسون الاخبار ، وينتظرون : البدار البدار ، والشيخ ـ رضي الله عنه ـ يأمرهم بالتأني وانتظار الفرج » .

2 ـ ومن أصداء هذا الموقف الجهادي ظهور شخصية ثانية في الميدان ، لتعزز هذه الدعوة بالمقال والتأليف ، وكان هذا هو أبو العباس أحمد بن الهاشمي (بن صالح) الغالبي الادريسي الحسني الفيلالي ، المتوفي ـ بها ـ عام ـ 1327هـ[1] / 09-1910م ، من تلاميذ الشيخ محمد العربي المذكور قبله .

وقد كان موقف شيخه الجهادي ، هو الذي حفزه ـ عام 1305هـ ـ إلى تعزيزه بتأليف كتاب موضوعي سماه بثلاثة أسماء ، أولها : « تحفة الراغب في السعادة ، في الترغيب لطلب الشهادة ، وآداب الغزو وحكمه وفضل الشجاعة » .

وهو مرتب لاعلى : مقدمة من ستة فصول .
ـ وكتابين في كل منهما ثمانية عشر باباً .
ـ وأخيراً خاتمة تشتمل على ستة فصول .

يقع مجموع الكتاب في سفين : الأول به 280 ص ، والثاني به 465 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، ووقع الفراغ من تأليفه صبيحة يوم الاثنين فاتح شوال ، عام 1305هـ .

وهو مذيل بتقريظين اثنين : الاول بامضاء الحبيب بن عمر بن الحسن ، بتاريخ 11 جمادى الثانية عام 1306 هـ ، والتانسي بامضاء ادريس بن سعيد الحسني ، بتاريخ 5 رمضان عام 1307 هـ .

وتوجد مخطوطته الاصلية في حوزة ولد المؤلف : الفقيه الفاضل السيد الحاج أحمد نزيل مكناس ، وبالخزانة العامة بالرباط مصورة منه على شريط يحمل رقم 475 .

---

(1) ترجمته في المعسول ج 16 ص 357 -360.

والآن : نذكر الثالث والأخير ، وهو الشريف المصطفى بن الحنفي الحسني العلوي المحمدي[1] ، وكان من مواقفه الجهادية الرسالة التالية :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طابع مكتوب بداخله

لا اله الا الله محمد رسول الله

أحباؤ نا وخدام أسلافنا كافة قبيلة بني امكيلد : كل واحد باسمه ، نخص منهم كبراءهم وأعيانهم وأهل الحل والربط منهم ، والقائد حمو ، والقائد علي ، والقائد الحسين ، وفقكم الله وأعانكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فموجبه اعلامكم انه ورد علينا كتاب عند أهل تفلالت كافة ، مضمنة أن العدو دمره الله وشتت شمله ، جيش جيوشه ، وجمع عساكره وجنوده ، ونزل بها على بلد اتوات ، وحارب أهله وتقاتلوا معه قتالاً شديداً ، فصنع لهم مكيدة عظيمة كما هو دأبه وعادته ، فانهزم المسلمون ، وسبى منهم رجالاً ونساء عديدة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودخل على قصور وسعى فيهم فساداً عظيماً ، ولا زال القتال قائماً بينه وبين المسلمين ، وقد خرجت منه فرقة أخرى ونزلت بأكلى قرب وادي كير ذوي منيع .

وها أهله يستغيثون بالمسلمين ، وهم في كل يوم يبعثون الرسل يطلبون الاعانة من أهل تفلالت ونواحيها ، وعليه فنحبكم ـ أحبكم الله ورسوله ـ أن تقفوا على ساق الجد ، وتكونوا مشمرين للجهاد الذي أمرنا به مولانا في كتابه ، وتأهبوا للعدو الذي حرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتاله ، ولا تقصروا ، وكونوا عند الظن بكم ، واياكم والتراخ ، فإن عدو الله طمع ببلادنا ، ولتعلموا أنكم ان تأخرتم فقد تعرضتم لهلاك المسلمين ، ويخاف علينا وعليكم أن يحل بنا ما حل باخواننا أهل اتوات ، فالله الله في اخوتكم المسلمين ، فأغيثوهم فإنهم يستغيثون بكم ولا تهملوهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

---

(1) ورد ذكره في « الدرر البهية » ج 1 ص 280.

يحقره ولا يسلمه ، الحديث ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، وكيف لا وقد أمرنا الله تعالى بالجهاد في غير ما آية ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرضنا عليه في غير ما حديث ، وها أهل تفلالت كلهم قائمين (كذا) على ساق الجد ، فيجب عليكم أن تحضروا معهم ، وقد حذرناكم وأنذرناكم ، وهذا ما وجب به اعلامكم ، وعلى المحبة والسلام ، من الشريف الضعيف : المصطفى ابن الحنفي الله وليه .

وها المسلمون اتفقوا على النهوض في الحادي عشر من عاشوراء ان شاء الله (1312) .

خزانة خاصة

23 توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب

ويتعلق الامر برسالة لعالم مغربي تتضمن أفكار اصلاحية ، ويحاول مؤلفها أن يستخدم هذه الافكار لانقاذ المغرب من الأزمة الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي كان يتخبط فيها خلال هذا الطور ، ومن سوء الحظ أن لا يتيسر الوقوف على نفس الرسالة ، وانما المعروف منها ـ لحد الآن ـ هو برنامجها الذي أثبته فقيد التاريخ المغربي محمد بن أحمد الكانوني العبدي ثم الاسفي في احدى مقيداته التي وقف عليها العلامة السلفي البحاثة محمد ابراهيم الكتاني أمين قسم المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ، وهذا نص ما في المقيدة عن المؤلف والتأليف المذكورين :

ـ « أبو عثمان سعيد بن عبد الله الخليفي المحمدي الدكالي ، الفقيه المشارك ، النبيه ، الذكي ، السريع الحفظ ، السيال الذهن ، ولد بثغر الجديدة ، وجال بالمغرب ، ورحل للمشرق ، فمكث في رحلته نحو « 20 » سنة قرأ فيها العلم ، ورجع يتأبط علماً جماً ، ويتوقد ذكاء وفهماً . . .

وكان ـ رحمه الله ـ من نبغاء دهره ، وناهيك به من رجل رحل من بلده دكالة ، ودخل الجزائر ، واستوطن صحراء الزاب ، ودخل مصر وغيرها من الديار المشرقية ، واستفاد معلومات جمة ، ورأى نهضة أوروبا في علومها واستفاد منها ، ولما رأى خطرها محدقاً بالمغرب ، ورأى المولى الحسن يحيط به أصحاب علم الجدول والتنجيم ، كتب له تأليفاً في السياسة الرشيدة التي ينقذ بها المغرب ، سماه : « وردة الناشق ، وروضة العاشق » ثم سماه : « التحفة الدكالية ، الى الحضرة العلية » ، أوله :

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، وأمره بالعدل والاحسان . . رتبه على خمسة أبواب ، في كل باب ثلاثة فصول :

الباب الأول : في المغرب وأحواله ، ورجوع صحته بعد اعتلاله .

الفصل الأول منه : في « النقد » أي السكة وما وقع فيه من النقص .

الثاني : في ثغور البحور المغربية ، وما تحتاج اليه من الأمور الحربية .

الثالث : في العساكر والاجناد ، وما تحتاج اليه من مؤونة وزاد .

الباب الثاني : في الدين ومكانته ، وكيف دخل الوهن على أركانه .

الفصل الاول منه : فيما اعتادته النفوس ، من الترفه في المأكول والمشروب والملبوس .

الثاني : في الأمور الداعية ، الى تعطيل الحدود الشرعية .

الثالث : في الأمور الداعية الى الفجور ، الحاملة على الكذب وشهادة الزور .

الباب الثالث : في حال دول الروم واستفحالها ، واقتدائها بكتب الاسلام وانتحالها .

الفصل الأول منه : فيما يستحسن من أمورهم الدنيوية ، وبيان الخصلة التي أصبحت قلوبهم بها متساوية .

الثاني : في خبر الجنس الجائر ، وما أدخل من المظالم والمكاره على عرب الجزائر .

الثالث : في الاسباب الداعية الى فساد الملك واختلاله ، المبشرة بانقضائه وزواله .

الباب الرابع : في خبر صاحب هذه الخطبة وترجمته وتاريخ ولادته ورحلته .

الفصل الاول منه : في نشأته يتيماً ومحنته ، واغترابه الى صحراء الزاب ورحلته .

الثاني : فيما له من المحفوظات التي لا يشك في حفظها ، ولا يتوقف في سردها .

الثالث : فيما له من الرسائل ، المشتملة على ضروب المدح والوسائل .

الباب الخامس : في خبر الامير المؤيد ، مولانا الحسن بن محمد .

الفصل الاول منه : في تاريخه ونسبه ، وحسن سيرته ومذهبه .

الفصل الثاني : في أحواله المرضية ، وشفقته على الرعية .

الثالث : في سيرته مع أجناس الروم ، وكيف قاومهم مقاومة الترياق للسموم .

وكان تأليفه له بمصر سنة 1304 ، وقدمه للسلطان مولاي الحسن ارشاداً له وتنبيهاً .

وقد اجتمع به العلامة ابن التهامي الوزاني الفاسي بدكالة ، وصادف ـ أيضاً ـ فقهاء دكالة مجتمعين عليه ، فلما اختبره ورأى فهمه وحفظه قال : « لو أن السلطان بنى له مدرسة بأبي يفور لاستغنى الناس به عن فاس ومصر » ، وناهيك بها شهادة من مثله .

توفي ـ رحمه الله ـ بأسفي في العشرة الاولى من القرن الرابع عشر الهجري » .

هذا كلام المؤرخ الكانوني عن هذه الشخصية ومؤلفها[1] ، واذا كان لي ما أعلق به على هذه الترجمة ، فهو الرغبة في أن تتظافر جهود الباحثين للعثور على هذا الكتاب القيم ، وأخيراً : أدى البحث إلى أن نسخة من هذا المؤلف توجد في خزانة العلامة المحقق الثبت ، سيدي عبد الكريم ابن الحسني الحسني ، ثم حال مرضه ـ شفاه الله ـ دون الوقوف على الكتاب .

---

(1) وقفت ـ بعد هذا ـ على هذه الترجمة ملحقة بهامش قطعة من كتاب « جواهر الكمال » للمؤرخ الكانوني ، وهي بخط مؤلفها ضمن خزانة المرحوم الاستاذ ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني .

24 ظهور الصحافة العربية

لم تظهر الصحافة العربية ـ في هذا الطور ـ على يد المغاربة ، وانما كان يتولى ادارتها أفراد من الجالية الغربية بالمغرب ، والجريدة الوحيدة التي صدرت ـ اذ ذاك ـ هي : « المغرب »[1] .

ويتناولها هذا البحث باعتبارها أول جريدة عربية صدرت بالمغرب المستقل ، وباعتبار أنها كانت تمهيداً لنشأة صحفيين مغاربة أسسوا جرائد مغربية ، كما هو الواقع فيما بعد هذا الطور .

فلهذين الاعتبارين يكون من حق هذا البحث أن يقدم عن جريدة المغرب المعلومات التالية :

ان هذه الجريدة كانت تحمل ـ كما عرفنا ـ اسم « المغرب » ، وتعتبر نفسها اول جريدة عربية طبعت بمراكش ، كما تكتب هذا بجانب عنوانها ، وكانت تصدر بمدينة طنجة مرة في الأسبوع .

ويرجع تاريخ صدور أول عدد منها إلى يوم الأربعاء 14 رمضان عام 1306 الموافق 15 مايو سنة 1889 ، وقد ثبت في خاتمة العدد الأول منها أسماء : عيسى ـ

---

(1) ورد ذكرها ضمن دراسة عن نشاط الصحافة بطنجة في القرن 19 وأوائل 20م ، مجلة « هيسبريس » سنة 1954.

كلارجي ـ كسباني ـ كأصحاب لجريدة المغرب ، وفي عدد آخر منها كتب ـ في طليعة الجريدة ـ أسماء أصحابها هكذا : عيسى فرج ، وسليم كسباني ، وقد كانت هذه كلها أسماء مستعارة .

وكانت قيمة الاشتراك : في طنجة عن عام خمسين بليوناً ، وعن نصف عام ثلاثين بليوناً ، وفي الجهات الاخرى عن عام ستين بليوناً ، وعن نصف عام خمسة وثلاثين ، وثمن النسخة الواحدة بليون .

حجم العدد الاول من الجريدة : 405 × 257م م . وعدد صفحاتها أربعة ، في كل صفحة ثلاثة أعمدة ، وليس بها رسوم .

أما عن خطة الجريدة فإنها تعلن عن نفسها بأنها : اخبارية أدبية علمية ، وقد وضحت خطتها أثناء الافتتاحية المطولة للعدد الأول التي جاء فيها :

« وإذ كانت هذه البلاد مفتقرة الى جريدة عربية اللغة والمشرب ، لنشر الانباء الحقيقية ، والحقائق العلمية ، والاستنباطات المستحدثة الصناعية التي من شأنها ترقية منزلة البلاد ، بأن تثير في رؤوس أهلها نار الحمية العربية ، وتدب فيهم النخوة الوطنية ، وتنهض همم الرجال ، من حضيض الاهمال : الى التدرج في مراقي الكمال ، لكي يسعوا في اصلاح حالة بلادهم ، باذلين النفس والنفيس في درء المفاسد عنها ، وجلب المنافع اليها ، وكل ما يعود الى رفع رتبتها ، عاملين على مكانتهم في مجاراة بقية البلدان مضمار النجاح والقوة ، ومجال العلوم والصناعات ، وتوسيع دائرة التجارات ، حتى ينتصر فيها أناس ذوو غيرة وطنية ، يذبون عن مصالح بلادهم ، ويحومون عن حقوقها ، يدافعون عن الحق ولا يرهبون فيه لومة لائم ، وتذكرهم أيضاً بما حازوا من قصب السباق في ميدان التقدم والرفعة فيما سلف من العصور ، وأحرزوا من المجد والشرف فيما كر من الايام ، وغبر من الأعوام . . . » .

ثم جاء في ختام هذه الافتتاحية :

« واننا قد اعتضدنا على بذل وسعنا في خدمة البلاد ، ونشر فوائد العلم ،

والله يعلم أن قصدنا بهذه الجريدة نصرة العلم وخدمة الانسانية على الاطلاق ، وجل غرضنا خدمة السلطان ، والذود عن حقوق جلالته ، والانتصار لمصلحته اذا اقتضت الحال ، ناشرين فيها ما يسر رأيه الكريم ، ويظهر حكمته الفائقة ، وسياسته القويمة ، ويعلن فضله العميم ، وخيره الجسيم ، على الرعية التي قد ملكه الله من أمرها ، حريصين على توسيع دائرة المعارف ، وامتداد نطاق العلم ، متجنبين كلما يخل في سياسة البلاد وخير العباد ، أو يرجع الى اختلاف الأهواء والمشارب ، بل مما يؤلف بين القلوب ، ويجمع بين الأفكار ، فان أحسنا فانا قصدنا الاحسان ، وان أخطأنا فالانسان موضع الخطأ والنسيان » .

وقد تممت هذه الجريدة الحديث عن خطتها في خاتمة مقالة أخرى من نفس العدد جاء فيها :

« أننا قد عزمنا على اصدار هذه الجريدة يوم الأربعاء في كل أسبوع ، متخذين لها ما هو أقرب تناولاً من الكلام ، وأدنى لتقرير المعاني في الافهام ، متنزهين عن جانب المبالغة والاطراء ، غير متصدين للعبارات الوعرة المسالك ، التي لا يدرك كنهها الا نفر قليل من الناس ، محاولين على بسط ما رق من الألفاظ ، في عبارات سهلة الأسلوب والمأخذ .

وقد اخترنا لها هذا النوع من الترتيب والتبويب ، مشتملة على المهم من أخبار السياسة ، والأنفع من مباحث العلم والأدب ، حتى اذا رأينا اقبال الناس عليها ، ورغبتهم فيها ، لا نلبث أن نزيد حجمها ، ونوسع دائرتها ، ونعمم فوائدها ونعظمها ، آملين أننا لا نحرم من اعانة ذوي الفضل من أهل الحلم والعدل ، راجين أنهم يتحفوننا بما يسنح لهم من الآراء السديدة ، ويقفون عليه من الأخبار المفيدة ، والحوادث التي تعود بالنفع العميم ، فان المغرب لا يعدم عدداً ليس بقليل من أولياء الأدب ، الذين يعززون التعاون على المصلحة العمومية .

فعلى كل من يرغب الاشتراك معنا في هذه الخطة ، ويروم الحصول على

شكل — 16

المغرب

السنة الاولى

عدد ١

جريدة اخبارية ادبية علمية اسبوعية

طنجة يوم السبت في ذي الحجة سنة ١٣٠٦ الموافق ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩

حوادث

الصفحة الأولى من جريدة « المغرب » اول صحيفة عربية بطنجة .

هذه الجريدة ، أن يعرفنا كتابة باسمه وألقابه ومكانه ، حتى نرسل له الجريدة في حينها ، وأنا ـ وان كنا بادىء بدء ـ بعيدين عن درجة الكمال ، قاصرين عن ارضاء بعض العالمين ، فاننا نعرف من أنفسنا سلامة النية ، ونبالة القصد ، ونجهد جهد من يفوته بعض ما يروم الحصول عليه ، ولو كان مشروعنا هذا مما تبيض منه وجوه وتسود منه وجوه ، وما تسود منه الا وجوه الظالمين ، ولا يأباه الا ذو الطبع اللئيم .

ولئلا يتوهمن أحد أنا من ذوي الغايات والأغراض السياسية[1] آراء ذوي السياسة من أهل الحل والعقد ، غير متعرضين لبث ما يبدو لنا فيها ، مراعين جانب الاعتدال في كل الأحوال ، حذراً من أن نرمي بأسهم الشكوك والظنون ، ودفعاً للتمويه عن أفكار المريبين ، ولكنا في بعض الأحيان لا نرى مندوحة عن كشف الحقيقة واظهار الحق للعيان ، لا نخاف فيه لوماً ولا نخشى وعيداً .

وقد فتحنا باباً للاعلانات لتسهيل أمور التجارة والمعاملات ، لكي يجد كل من يروم من التجار والشركات أشهار محل تجارته وما يتعاطاه من الأصناف لجمهور الناس في الأقطار المغربية ، وسيلة تبلغه من نيل مأربه في وقت وجيز ، فعلى كل من يرغب في ذلك أن يخابرنا بشأنه ، وأنا مستعدون لادراج كل ما يصل الينا من أخبار جهات بلاد المغرب المختلفة ، بشرط أن تكون الرسالة الواردة الينا خالية عن كل ما يشوش الأذهان ، حسنة الخط ، مذيلة بامضاء كاتبها ، ومن قصد مراسلتنا فعليه بمخابرتنا كتابة وله الفضل ومزيد الشكر .

وأنا قادرون على طبع ما يطلب منا في اللغة العربية على أتم ما يكون من الضبط والاتقان ، بأسعار معتدلة ، ونسأل الله أن يدخلنا مدخل توفيق ، ويخرجنا مخرج توفيق ، والسلام » .

والى هنا تنتهي الفقرات الخاصة بخطة الجريدة ، والواردة في عددها الأول ،

---

(1) تعبير غامض .

وقد تعمدت أن أثبتها على طولها ، لنقرأ تلك الفقرات من ظواهرها وبواطنها ، ولنستشف من وراء ذلك خطة الجريدة ومقاصدها ، وأيضاً لنعرف طريقتها في الكتابة ، والأسلوب الصحفي بالمغرب المستقل اذ ذاك .

وبعد ، فان الذي وقفت عليه من هذه الجريدة عددان اثنان لا غير : العدد الأول الذي تكرر الحديث عنه في هذا الباب ، وهو محفوظ ضمن المجموعة القيمة للصحف العربية التي تنفرد بها مكتبة مؤ رخ تطوان العلامة الجليل سيدي محمد داود حفظه الله ، أما العدد الثاني فهو محفوظ بمكتبة كاتب السطور ، ويحمل تاريخ السبت 4 ذي الحجة عام 1306 = 3 غشت 1889 وهو العدد « 11 » ، وما سوى هذين العددين لم أقف عليه .

25 صدى حرب تطوان في الأدب المغربي

تعددت مظاهر اليقظة في أدب هذا الطور ، وتقدمت أمثلة منها في ثنايا هذه الدراسة ، ونأتي هنا بقبس آخر مما يتصل بمأساة حرب تطوان ، وقد خلفت وراءها مجموعة لا بأس بها من أدب اليقظة المغربية ، وكنماذج من تلك المجموعة ، نقدم ـ أولاً ـ قطعتين من عبرات المغاربة على تطوان ، وصرخاتهم ضد الاسبان[1] :

الأولى : خطبة ألقيت ـ في احدى الجمع ـ من منبر جامع القرويين بفاس ، بعد الاعتداء على تطوان ، وهي من انشاء والقاء أبي محمد عبد الكبير ابن المجذوب الفهري الفاسي المتوفي عام 1295 = 1877 .

الثانية : قصيدة السيد مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال التطواني المتوفي بها عام 1304 = 1886 .

فمن الخطبة الفاسية :

عباد الله : أخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

---

(1) في « تاريخ تطوان » ، لمؤرخها الاستاذ الكبير محمد داود : نماذج أخرى من عبرات المغاربة على مأساة تطوان : ج 5 ص 238 — 244 ، مع ص 255 — 274 ، ووردت الاشارة لنفس النماذج في : « مختصر تاريخ تطوان » ـ ص 188 — 190 ، يضاف لذلك قصيدتان في نفس الموضوع من شعر أدبيين من مكناس : محمد ابن محمد ابن فقيرة، ومحمد التهامي بن المهدي المزوار ، ووردتا ـ معاً ـ بخط ناظميها ضمن كناشة : خ ، ع ، د 3736 .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء ، فعلى غربة الدين يا عباد الله فليبك دماً من كان باكياً ، وعلى ضعف أهله فليتمن المومن الموت لنفسه رائحاً وغادياً ، روى الامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ، وفي رواية الديلمي عن أبي ذر : « لا تقوم الساعة حتى يرى الحي الميت على أعواده فيقول يا ليته كان مكان هذا » ، وفي أخرى يأتي على الناس زمان .

وقد أظل المومنين ذلك الزمان ، الذي أظلم جوه وليس اخبر كالعيان ، لا يأتي يوم الا والذي بعده شر ، ولا ساعة الا وما بعدها أدهى وأمر ، ونحن غافلون نعساً ، نعلل أنفسنا للخير بلعل وعسى ، كما كنا هذه مدة نعللها بأخبار الواردين ، وأن النصر والغلبة لحزب الله المجاهدين ، وأغفلنا ذلك عما نعلمه من أن الحروب سجال ، فتارة وآونة ندال ، وأن من ظن في الحروب أن لا يصاب ، فقد أخطأ وما أصاب ، الى أن دهينا بأمر يروع الأفئدة ويذهل العقول ، ويفني الحيل ويكل فيه المقول ، وقويت فينا أطماع الخبيث ، ومنه الينا يساق الحديث ، وشن علينا الغارة ، وأنشب فينا أظفاره ، وأعلق بنا أطماعه ، ومد الينا ذراعه وباعه ، مع ما بنا من التغافل عنه والتهاون ، الى أن فاجأ بالمكر يتيمة عقد مدائن المغرب تطاون ، دار اسلام من لدن نشأتها ، على حسنها وبهجتها ، وما بها من العلم والدين ، وشعائره وعدة الجهاد وذخائره والفضلاء والصالحين ، وضعفة عباد الله المومنين ، باتت دار اسلام ودين ، فأصبحت مثوى كفرة متمردين ، كانت في مدائن الاسلام تاجاً واكليلاً ، فصارت مقر المردة يعبدون الأوثان ولا يهجعون الا قليلاً ، فما أعظمها من مصيبة طامة ، أصابت الخاصة من المومنين والعامة ، وما أفزعها من رزية ، فتت أكباد المومنين من البرية ، هل يأسف المومن على خصوص دينها واسلامها ، أو على ذلك مع ضعفة أهلها وذراريها وحريمها وأيتامها ، أنستنا مصيبة الجزائر وأعمالها ، وذهاب دينها وملكها ومالها ، ولم يقع منا بذلك اتعاظ واعتبار ، بل اتخذناه قصصاً

وخبراً من الأخبار ، حتى سرى شؤم ذلك الينا ، وطمحت نفس العدو الكافر للهجوم علينا ، كما قال بعضهم : إن من الناس من لو مات نصف أحدهم ما اتعظ النصف الآخر ، ولا أحسبني الا منهم . .

فانهضوا ـ رحمكم الله ـ لاعلاء كلمة الله سراعاً ، وكونوا لقتال أعداء الله أطول الناس باعاً ، وتداركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، وبادروا عليل الاسلام قبل أن يموت ، فها هو ينظر اليكم نظر السقيم الى الطبيب ، ويتشوف اليكم تشوف المحب للحبيب ، فاجعلوا ـ أعانكم الله ـ يد الاسلام واحدة على جهاد أعدائكم ، وخيبوا مطمعكم (كذا) الفاسد في نيل بلادكم ، ولا تقتصروا على نصر كنصر النساء بالبكاء والتحسر ، والتأوه والتشكي والتضجر ، عسى الله أن يهيىء للمسلمين فرجاً ، ويجعل لهم من أمرهم مخرجاً ، فان انتظار الفرج مع الصبر عبادة ، والتضرع بين يدي الله سبب يرحم الله به عباده . . »[1] .

وقال السيد مفضل أفيلال :

« يا دهر قل لي على مه ... كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهي ... ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام ... للرفع كان علامه
ملكته لاعاد ... ليست تساوي قلامه
فالدين يبكي بدمع ... يحكيه صوب الغمامه
على مساحد أضحت ... تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولى ... تلوح منه الكرامه
علق فيه رهيب ... صليبه ولجامه
ومنزل لشريف ... وعالم ذي استقامه
صار كنيفاً لعلج ... ولم يراع احترامه

---

(1) يوجد النص الكامل لهذه الخطبة ضمن كناشة بمكتبة جامع هذه الدراسة .

وكم وكم من أمور ... للدين فيها اهتضامه
تبكي عليها عيون ... كآبة وندامه

تطوان ما كنت الا ... بين البلاد حمامه
أو كخطيب تردى ... من بعد لبس العمامه
بل كنت روضاً بهيجاً ... زهرك أبدى ابتسامه
أو كمحيا عروس ... علاه في الخد شامه

فقت بهاء وحسنا ... فاسا ومصر وشامه
رماك بالعين دهر ... ولا كزرقا اليمامه
ففرق الأهل حتى ... لم يبق الا ارتسامه
ما كان أحلى زمانا ... وما ألذ غرامه

مضى لنا مع بدور ... دوي نهي وفخامه
ما بين انشاد شعر ... وبين انشا مقامه
وشملنا في التئام ... والبسط يهوى التئامه
حن السرور اليه ... شوقاً ورام التئامه

ساعده السعد حتى ... نال المنى ومرامه
يا حسنها من ليال ... لو لم تصر كالمنامه
تطوان يا دار أنس ... وخيس أهل الزعامه
هل للوصال سبيل ... فالهجر أكمل عامه
والقلب ذاب اشتياقاً ... وحسرة واستهامه
والوجد أضعف جسماً ... وكاد يبري عظامه
يا هل تطوان صبرا ... فما لخطب ادامه
دوام حال محال ... وهل لظل اقامه
ان غاب نجم سعود ... ولاح نجم شآمه
فوسف يطلع بدر ... يمحو سناه ظلامه

فـاعـتـصـمـوا بـرجـاء وارعـوا بـصـدق ذمـامـه
وحـسـنـوا الـظن تـنـجـوا دنـيـا ويـوم الـقـيـامـه
وفـوضـوا الأمـر لـله يـكـف عـنـا انـتـقـامـه
مـا فـاز الا ذكـي قـدم خـيـراً أمـامـه
حـيـث أقـامـه يـرضـى ولـو بـقـصـر كـتـامـه
ولا يـزل ذا انـتـظار فـي كـل وقـت خـتـامـه
يـراقـب الـله سـراً وجـهـرة بـاسـتـدامـه
يـطلب حـسـن خـتـام وحـل دار الـمـقـامـه[1]

ومن ذيول أدب مأساة تطوان ، هذه الرسالة التي كتبها أحد أعلام سوس : يندب المومنين الى الدفاع عن تخوم القطر السوسي ، بعدما يتوقع أهلها غارة اسبانية ، والرسالة من وضع عالم جزولة : العربي بن ابراهيم الأدوزي السملالي المتوفي عام 1289 هـ ، وهي مؤرخة في 12 من ذي القعدة عام 1278 هـ ، ونصها :

« كافة المسلمين ، المتدينين بدين سيد المرسلين ، عليه أفضلا صلاة المصلين ، السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد استغاث بكم اخوانكم من أهل « وادي نون » و« بني بعمرانة » ومن جاورهم في تلك الجهات ، من هجوم العدو الكافر عليهم ، وأرادوا أخذ بلدهم وغيره مما وصلوه من أرض المسلمين .

فأغيثوهم عاجلاً بلا توان ولا تراخ ولا اشتغال بأشغال، فالأمر أشد من ذلك ، ﴿فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾، كما قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم ﴾ ، ولا عهد ولا رأفة ولا حنانة .

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 217 — 218 .

فاسمعوا وأطيعوا لأمر الله تعالى ، فلا يسعكم التكاسل والتهاون ، والأخذ بالقال والقيل ، واحذروا أقوال المطبئين ، ﴿ وان منكم لمن ليبطئن ﴾ قال : اذا استنفرتم فانفروا .

واعلموا أنه قد ورد علينا كتاب من الفقيه : سيدي محمد بن صالح البعمراني ، وكتاب آخر من سيدي الحسين بن هاشم ، في أن نأمر الناس بالنفير ، والتبريح في أسواقهم بتعجيل الخروج للجهاد . . .

فعلى من وقف عليه من هشتوكة وهوارة وهلالة وغيرهم : من خاصة المسلمين وعامتهم شدة الحزم ، وتعجيل المسير والنفير ، وقد قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ ، ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ ، ونسألكم الدعاء »[1] .

* * *

وبعد هذا فان مأساة تطوان ، أثارت ـ من جهة أخرى ـ مشاعر الأدب الشعبي في قصيدة زجلية باكية ، من نظم الحاج ادريس بن الحاج على السناني سابق الذكر ، وهي مطولة وتعرف بـ « التطاونية »[2] ، ونقدم نصها فيما يلي :

---

(1) الرسالة واردة عند مؤرخ سوس المرحوم محمد المختار السوسي ، في كتاب « المعسول » ، ج 17 ص — 227 228 ، ويعلق المؤلف عليها هكذا : « قد كانت رسائل لأبي علي الحسن بن أحمد التيمكيدشتي وغيره تفرق في الناس يوم هوجمت تطوان ، ذكرناها في محل آخر » .

(2) من املاء المرحوم الشيخ العربي الزهراني المكناسي ، المتوفى ـ بها ـ عام 1383هـ/ 1963م : من كتاشته .

القسم الأول

نبدا باسم الجبار

واسم المولى ربحي مع اتجارا

أخيار ما يقول القايل . مفتاح كل قول أو تذكارو

وصلاة الله أجهار

والتسليم على بازع لمنارا

أصلا مشرفا مكمولا . وسلام ما ينتهي تكرارو

وعلى آل المختار

واصحابو من هزمو أهل ادسارا

اضراغم اضراغم من خربو . أبليمان للكفر أديارو

فبواديها وأمصار

صبروا للبرد وغايت لحرارا

باعوا نفوسهم للمولى . بنعيم جنت الخلد وسارو

كانوا بيزان احرار

يصطادو على لعداة فلقطارا

حتى وضحوا دين أمام . لنبيا وخبرو بسرارو

بفضلهم يا حضار

نسأل مول الملك واقتدارا

يهدي قلوبنا ويتبتنا . بليمان حتى ننصارو

اللازمة

« من دار نفديو التار

ويفدنا رب مع النصارا

نسعو النصر والفتح من الله بالمفضل وانصارو »

عروبي :

نسعـاو الله فـالنصـــر نعم الـرحمـــان والفتـح الا يـزول والــظفـر والتمكين
وجـب نتـــوجـــه ونـحـتـــال بـبيـــان لقتـــال الكـــافـــرين ونســـأل المعيـن
فلوفق مـــع ليمـــان وينصـــر السلطان نعم المنصـور سيـدنـا سبط الحسنين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثاني

يا ساهي خذ أخبار

وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك يا غفيل احتال . لأمر الجهاد والعدا جارو

مهما سكنو فديار

تطوان بلحيلت واشطارا

حازوا حوازها وامنازه . كيتانها وغلات اشجارو

ما تستهل لغيار

ما لحقتها من قومها ايغارا

وعد الكريم كيتصرف . ولا بيدينا ما نختارو

ويلا راد الستار

ايفج عل لسلام ذلكدارا

يرحم ضعفنا ويعملنا . بالفراج فعسى نجبارو

وانغزر فلكفار

حتى يرضو الغلب بلجهارا

ويبدد الكريم شملهم . وسفونهم لهم يكسارو

تكمل لنا لوطار

ونلبسوا ثوب العز واتيارا

ويعود المغربي صايل . في كل فج عانى بخبارو

اللازمة

عـــروبي :

كف ايكن لعمال يا ناس الديوان الأمر اشتد لا غنا يالمسلمين
الغرب بلا خفا لبس كسوت لحزان وضياق لجون كيف سارو عاد احزين
وشهاونـاد هـونـا على الحتـلان واعـدانـا بلجميـع لنـا محتـالين

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثالث

حارت لنا لفكار

من هاذ الأمر عقولنا احيارا
وحنا غافلين أولعدو . مشغول كيحصن فجدارو

بلجهد مع الكدار

وانوا يسقي لقلوبنا مرارا
والبعض غابطين فالدنيا . وهل ليمان بالغصا حارو

والبعض نسي ما صار

ما يعرف بين الروم أهل لكارا
مهبول كل من يتغر . أفهذا الزمان والكافر جارو

الرومي مثل النار

قالوا ناس التشبيه والعبارا
الى ما طفتها فساعا . تزيد هذا تحكارو

ليس بحالو غدار

طامع فمدون الغرب بتمارا
لهلا يوصلو ولا يوفي . ليه ظن هو وأنظارو

يا رب بالمختار

وأصحابو أهل لكرايم لبرار
وبحق من تزهد واخلص . لعمال لك ليلو وانهارو

شتت لعدو يدمار

واقطع دابرو يلتق مرارا

كيدو خرجو فنحرو . يا رافع السما واطف نارو

اللازمة

عـــروبي :

يـا عيني بـدلي منـــامـك بـــالسهـران وابك عن غربت لسـلام بدمـع اهتين

مـــا يستهـل غـــربنـا هـــذا الختـلان أمـــع كثـــر لجنـــود والمـــال ولـبنـين

خلفنـــا قـول بـــه أمـــرنـــا الـــديـــان واغبـــطنـا فلهتـــوف عن أمـــر المبين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الرابع

فحديث بن عمار

ايلي التهات الناس باتجارا

والغو لجهاد أغشاهم ذلن . اكثير ويعم اديارو

هذا لقول أفلسفار

مروى فلحلي حق بليمارا

نقل الشيخ أبو نعيم . موضح لحدايث فاسفارو

أيأولي لبصار

اعتبرو أونظرو فذى العبارا

واتأملوا فهاد القول . اللي بان يا سيادي عتبارو

التهينا بالدينار

واغبطنا فالدنيا بخود وارا

وقوي الحسد والبغض . فهذا لجيل فاكبارو واصغارو

لا ناهي على المنكار

لا توقير الشياب اتمارا

وقليل من تصيب . فهذا الجيل ليس كياذي جارو

رب يشفي لضرار

ويفرج هم الغرب بلبشارا

سلطانا يشعشع نور . في من اعصاه يظهر عتبارو

اللازمة

عـرويي :

ميزت يا من تسـال بلعقـل أولـدهـان فـالأمـر اللي عم فـالغـرب بتبيـن

وانصب الغرب فيه يـا صـاح قـومـان واقبـايـل قهـريـن شتـى معـلومين

بـالمال والخيـل والسناح اللي مـزيـان اخـطانـا غيـر صبـر حق أو ليقيـن

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم الخامس

فلغرب جنود اكثار

ما يرضاو التذمام أو لحزارا

فيهم أبطال . اللي لو صاب الجهاد يوقع لوسارو

فرسان ليوث أحرار

والرملت هل الصيد أولشارا

داب غربن يتعافا . ويفرج المهيمن تكضارو

لا يجعلنا فرار

بل يجعلنا كرار للغزارا

نمشو كف كان يمشو . الفايزين من كايذكارو

ونصيرو بالادكار

وكلام الخير اللي بلا قجارا

والدين والصلا والمحنتا . تكن بها نشكارو

ونكونوا فالمقدار

قد واحد الا من اتوارا

فالحرب بازعم هذك . اشرفنا ايعل مقدارو

والمونا كل نهار

ما يقهر جوع انفس بختصارا

لجهاد ما يكون بغير التقويم . كيف جانا بشارو

اللازمة

عـــروبي :

احـــديث فشـرح النـــواوي بتضمـــان عـن أبي ذر قـــال طـــه زيـن الـــزين

لـيس يقـــوم لجـهـــاد يلمـت لخـــوان دون تقـويم مـع الصبـر هـذو بـاثنين

أمثيـــل لســـاس للذي رايـــد بـنيـــان أش من بنيان دون يساس يكن احصين

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم السادس

يا من رايد يحشار

في زمرة طه طيب لمزارا

احض ايمانك أو دينك . واصبر فازمان لمداق مرارو

الوقت قرب باجهار

والنجم اللي بديل بان شارا

هذو علايم الفرج . كيف انضرت صح لخبار فاجفارو

ما بقي لك توخار

عن تعليم التلحيق والعمارا

والرمي ما خفا . واحساب البارود كيف وجب عبارو

واجميع ما يذكار

ونحتالو لحروب انصارا

ويدير كل مسلم سكين . أوجج دلمكحل فدارو

اعتبروا يا لابرار

من غرناط وامدن فلقطارا

باتو اسلام صبحو كفار . جميع أو ندمو عن ما دارو

كيف مدينت لجدار

من قصتها نجلاتي اسهارا

بقعا ونعم بقعا . شيد فيها الشرك بنيان اسوارو

اللازمة

عـــروبي :

أيـــا حمـــات ديننـــا لعنـــو الشيـــطان هـــذ الغفـــلا على عـــداكم حتى لين

مـــا تتفكـــرو نهـــار دخـــل لـــتـــطوان وخـــرج منهـــا الكـــافـــر لمـــسلمين

وابقت النـاس حـايـرا بين الـطرقـــان وهـــل ليمـان كتقـــول بصـوت حنين

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم السابع

خرج فالليل ابكار

والصبيان ونسوان بلجهارا

فالباب كينوحو على المدينا . أو كل جار أفرق جارو

كم من شياب أكبار

واعكايز صاروا فلخلا حيارى

واشحال من المرضى يبك . عنها شفيق بدموع أبصارو

يا حسرا عن ادبار

واجوامع بادوا بعد العمارا
وامساید للقراي بالواح . مسطرين جاحوا واهجارو
هذا حكم القهار
من نسعوه لعفو مع الطهارا
ينصر ديننا على ملة العدا . بجاه طه مختارو
ببا بكر وعمار
وعثمان وعلي أو بلبكارا
وبحق أمهم الزهر. وأزواج لمفضل واصهارو
قال الناظم لشعار
عربي من هل لجحاف لخيارا
ادريس بن علي حج لبت . أوشف قبر لحبيب وزارو
انمجد خاتم لبرار
من جا لنا مبعوث بلبشارا
أعليه أصلي ما لمعت لرماح . أو لخيول أو ما غارو
وما جاهد غزار
أو قتل لكشط اخنازرا نصارا
أو ما دع أديب اللجهاد . أو قال بلفصاح فاشعارو
اللازمة
مدر نفديو الثار
ويفادينا ربي مع النصارا
نسعو النصر والفتح . من الله بلمفضل وانصارو

26 طلائع المعارضة الشعبية

ويتعلق الامر بموقف المغرب ـ على مختلف المستويات الشعبية ـ من ضريبة المكس ، وكان الذي نظم هذه الجباية في المغرب العلوي هو السلطان محمد الثالث ، ويشرح مؤرخ معاصر[1] أبعاد هذه الضريبة ضمن أحداث عام 1176هـ حسب الفقرة التالية :

« وفي هذه السنة ترتب على فاس من الامكاس نحو ألف مثقال عن كل شهر ، ووظف ذلك على الموازين والاسواق وأبواب المدينة ، وكان ـ قبل ذلك ـ على القشينة والجلد والكبريت فقط ، ثم صار عاماً في كل شيء ، حتى ان أهل الوزيعة بسوق الخميس جعل عليهم المكس » .

ويعلق نفس المؤلف على هذا الحدث ويقول : « وضاق الامر بالناس غاية الغاية ، والحول والقوة بالله » .

وفي صفوف العلماء : يحافظ التاريخ على اسمين ممن أعلنوا بالمعارضة لهذا النظام الجبائي الجديد ، وكان أولهما : هو محمد بن الحسن الجنوي التطواني[2] ، والثاني :

---

(1) « تقاييد تاريخية » ، لأحمد بن محمد ابن ابراهيم المشترائي الفاسي ، مخطوطة الاستاذ المرحوم ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني ، بواسطة الاستاذ عبد القادر زمامة الباحث المعروف .

(2) « نزهة الاخوان ، في أخبار تطوان » ، لعبد السلام سكيرج التطواني ، مخطوطة المكتبة الداودية بتطوان ـ ص 56 .

محمد التاودي ابن سودة المري الفاسي[1] .

وعند مبايعة السلطان العلوي : المولى سليمان ، كان الغاء هذه المكوس من بين الشروط التي انعقدت عليها ولايته ، وهذا ما يسجله الجبرتي[2] : المؤرخ المصري المعاصر ، بمناسبة ترجمة محمد التاودي ابن سودة ، وهو يقول في هذا الصدد :

« ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر ، بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعده على ذلك ، وعلى نصرة الدين ، وترك البدع والمظالم ، والمكوس والمحارم ، وكان كذلك » .

* * *

والآن : نصل إلى الفترة التي ندرسها ، حيث كان علماء المغرب لا يزالون يستنكرون استمرار هذه الجبايات المكسية ، ونقدم النموذج الاول من فاس ، ومن خلال مواقف أحد أعلامها الكبار : محمد بن المدني كنون ، المتوفي عام 1302هـ ، وقد جاء في ترجمته[3] :

« . . . وكان يقول في الملوك عند تعرض الكلام عليهم في قراءة ميراث بيت المال ، وأخذ الزكاة وتفرقتها ، والاستعداد لفريضة الجهاد ، وتحريم المكوس ، ونحو ذلك من تغيير السنن والفرائض ، ما هو معلوم في محله من أقوال الائمة ، من غير شعور بأحد . . » .

---

(1) « السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ـ ج 1 ص 94 ، أثناء ترجمة الحكيم عبد الله بن عزوز . . .

(2) « عجائب الآثار . . » ، الطبعة المصرية الاولى ـ ج 2 ص 244 .

(3) « الدرر المكنون ، في التعريف بشيخنا سيدي محمد كنون » ، تأليف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، ط . ف ـ ص 25 .

وفي الرباط : فإن شيخ علمائها أبا إسحاق ابراهيم التادلي المتكرر الذكر ، كان يجاهر بالتنديد بالمكوس ، ويبعث للسلطان الحسن الأول ـ بواسطة المتصلين به ـ بالنكير ضد هذه الضريبة ، وله ـ في هذا الصدد ـ كلام طويل[1] نقتطف منه ما يلي :

« . . . وفي ليلة 27 رمضان عام 1302 ، طلب مني السلطان : مولاي الحسن نصره الله وأصلحه ، أن أحضر معهم بمسجده بالرباط ـ على العادة عنده في تلك الليلة ـ بواسطة قاضي الرباط حينه : السيد أحمد ملين ، فامتنعت ، واعتذرت له بأني غير صحيح ، ونويت أني غير صحيح مما يفعلونه من المظالم : **كالمكوس** . . » .

وبعد هذا يقول عن الحاجب : أحمد بن موسى :

« . . . وقد كان السيد أحمد المذكور ـ قبل ذلك ـ طلب الاذن في زيارتنا ، فأذنا له . . . فلما أراد الانصراف وضع ـ بيدي ـ ضبلونين ذهباً ، فقلت له : زيارتكم عندنا ، أن ترغبوا سيدنا ـ نصره الله ـ حتى يعطف الله قلبه **لزوال المكس** . . » .

ويتابع نفس العالم حديثه في هذا الموضوع حسب الفقرة التالية :

« وقد كنت ـ قبل تاريخ رمضان 1302 المذكور بنحو ست سنين ، لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش ـ أغلظت له القول في المكس ، وقلت له : **المكس حرام** نحو مرتين او ثلاث بحال عظيم ، حتى هم بالخروج من حينه ، ثم أعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى ﴾ ، وذلك بمحضر ولده : الحاج محمد ، فأثر ذلك فيهما .

ثم ـ بعد نحو سنة ـ أراد ولده المذكور السفر من الرباط لفاس عند السلطان المذكور وفقه الله ، فأكدت ـ عليه مراراً ـ في أن يكلم السلطان في **ازالة المكوس** إن

---

(1) في مقيدة له في نفس الموضوع ، وقد وردت ـ بنصها ـ عند محمد بوجندار في كتابه : « الاغتباط » ، حسب مخطوط الخزانة العامة المتكرر الذكر ـ ج 2 ص 18 — 20 .

تلاقي معه ، ولا يقصر في ذلك ، فامتثل وقال له : الى متى تسود صحيفتك بأخذ المكوس وتعطيها للناس يأكلونها . . » .

* * *

وعلى المستوى الشعبي جاءت مبايعة السلطان الحسن الاول فرصة مواتية ، وقد اثيرت قضية المكس بفاس من طرف الحاضرين ـ لهذه المناسبة ـ من الشعبيين ، وبالخصوص فريق الدباغين ، وطالبوا أن تنعقد البيعة على أساس الغاء المكس عنهم ، قال في « الاستقصا »[1] : « فيقال : ان بعض من أراد جمع الكلمة من العلماء والاعيان ، تكفل لهم بذلك عن السلطان » .

وسيبرز نفس المصدر[2] ـ ـ بعد هذا ـ من بين هؤلاء : اسم العالم الغيور : المولى عبد الملك «الضرير » بن محمد العلوي المدغري ثم الفاسي[3] .

وقد بدأ الوضع يتأزم بعدما تمت البيعة ، فتبين للمعنيين بالأمر أن مطلبهم صار مرفوضاً ، حيث استمر المشرف على الامكاس بفاس في متابعة الترتيبات الجبائية ، وكان رد الفعل قيام ثورة شعبية ضد الامين الحاج محمد بن المدني بنيس عام 1290هـ/1873م ، وهو الذي كان يشرف على هذه الجباية ، وبعدما هدأت الثورة نصب أمين جديد ، واستقر الجباة بمراكزهم من نفس المدينة .

وأثار هذا التصرف الجديد استياء الدباغين ، حيث قصدوا المولى عبد الملك الضرير ، وحملوه مسؤولية التزامه باسقاط المكس ، واقترحوا للخروج من المأزق : اما الغاء المكس ، أو ابعاد بنيس حتى لا تدول له دولة عليهم .

---

(1) ج 4 ص 235 ، وقد تتبع نفس المصدر سير هذه الاحداث التي نعرضها ـ ج 4 ص 235 – 237 ، مع ص 239 — 240 .

(2) ج 4 ص 239 .

(3) ترجمته في « معجم الشيوخ » المتكرر الذكر ـ ج 2 ص 96 — 97 .

وبهذه المناسبة قام نفس الفقيه بزيارة السلطان الحسن الاول ، وكان آنذاك بفاس ، وقرر له تذمر الدباغين ومطلبهم ، فأعرض السلطان عن ذلك وقابل بالجميل ، وهنا صارحه المولى عبد الملك الضرير ، وقال ان لم يتحقق شيء مما ذكرت ، فإن الاولى بي أن أنتقل إلى تافيلالت ، ولا أستمر بين أظهر هؤلاء ، فأسعفه السلطان وهيأ له وسائل انتقاله .

ولما علم الدباغون نتيجة المقابلة ، حالوا دون رحيل الفقيه ، وعمدوا الى الحمارين فطردوهم ، وهكذا : تدهورت الحالة مرة أخرى ، وأفضى الموقف الى نشوب ثورة جديدة عام 1291هـ/1874م ، وتطورت المأساة الى صدام مسلح بين الدباغين والقصر .

ولسنا هنا بصدد تقديم تفاصيل عن سير هذه الثورة والتي سبقتها[1] ، وانما يهمنا من هذا العرض المقتضب ، أن تسجل الموقعتان أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث .

ومما يزيد في أهمية هذا الموقف ، أن السلطان الحسن الاول أخذ بعين الاعتبار مطلب الدباغين ومعهم العلماء ، واستجاب جزئياً ولو بعد حين ، وألغى المكوس الموظفة على سائر الابواب والقرى المغربية كلها ، وقد أثبتت في « الاستقصاء »[2] نص الامر الصادر في ذلك إلى عامل سلا ، ويحمل تاريخ 2 ربيع الأول ، عام 1303هـ ، « 1885 » م .

ومن الجدير بالملاحظة : أن طبقة العلماء لم يقتنعوا بهذا الالغاء الجزئي للمكس ، ولهذا يعلق أبو إسحاق التادلي على الأمر السلطاني في هذا الصدد بقوله :

---

(1) من بين المصادر التي فصلت أحداث الثورتين : نذكر ـ بعد الاستقصا ـ « اتحاف أعلام الناس » ، ج 2 ص 134-143 ، مع ص 152-153 ، غير أن الذي استوعب تفاصيل هذه الأحداث هو أحمد ابن الحاج في « الدر المنتخب المستحسن . . . » .

(2) ج 4 ص 264 .

« . . . تمم الله نعمته علينا بزوال باقي المكوس عن قريب . . »[1] .

كما أن مؤلف « الاستقصا » يعقب ـ بدوره ـ على نفس الأمر السلطاني هكذا : « . . . نطلب الله تعالى أن يتمم نعمته على المسلمين بتسريح ما بقي موظفاً من مبيعات الاسواق ، ويريح الناس من شؤمه ، فإنه لا شيء أشأم من هذه المكوس على الدول ، نسأل الله « العافية »[2] .

وأستدرك هنا لاذكر أني وقفت ـ أخيراً ـ على ثلاثة أسماء جديدة كان أصحابها ـ بدورهم ـ وراء ثورة فاس ، وهم ـ حسب السباعي[3] ـ العلماء : احمد بن الطالب ابن سودة المري ، وعبد الله بن ادريس البدراوي الحسني ، وعبد الواحد ابن المواز السليماني الحسني ، وقد صار ثلاثتهم يحرضون عامل فاس : ادريس بن عبد القادر السراج ، ويفتونه لصالح مساندة الثورة .

---

(1) وردت هذه الفقرة الصغيرة : ضمن مقيدة أبي إسحاق التادلي المشار لها ، وشبكا ، وبالضبط في : ج 2 ص 19 من مخطوط « الاغتباط » .

(2) « الاستقصاء » ، ج 4 ص 264 .

(3) « البستان الجامع . . » : المخطوط المتكرر الذكر .

كلمة ختامية

إلى هنا ينتهي عرض ما طالت اليه اليد من معطيات الانبعاث المغربي انطلاقاً من سنة 1830 حتى نهاية القرن التاسع عشر م ، ومن الواضح أن ما يقدمه هذا الجزء الاول لا يعد وبعض الجوانب من ملامح الانبعاثة المغربية الاولى ، اعتباراً بما تمليه مجموعة من العوامل :

فإن عدداً من المؤلفات الموضوعية لم يتأت الوقوف عليها ، واكتفت هذه الدراسة بالاشارة لها ، ومن المؤكد أن هناك أوضاعاً اخرى في نفس الاتجاه لا تزال مجهولة ، وقد تكتشف من بعد .

وبخصوص اعضاء البعثات المغربية : رأينا في ثنايا الكتاب أن بعضهم خلف مؤلفات أو شبه مذكرات أو ابتكارات ، كما هو واقع :

الحسين الزعري : ص 178-188 .
ومحمد بن المفضل ابن كيران : ص 215-217 .
وعبد السلام العلمي : ص 237-244 .
ومحمد ابن الكعاب : ص 244-246 .
والزبير سكيرج : ص 246-247 .
والطاهر الاودي : ص 247-248 .
وأحمد شهبون : ص 251-252 .

ومن المتوقع أن يكون زملاؤهم الآخرون أو بعضهم على الأقل ، خلفوا ـ بدورهم ـ آثاراً لم نطلع عليها .

وبالنسبة الى الوثائق التي تهتم بهذه الفترة ، يلاحظ أن مجموعات منها تحتفظ بها جهات خاصة من أسر الذين كانوا يقومون بمهمات رسمية خلال نفس الحقبة ، وفي أكثر الحالات لا يتيسر الاطلاع على هذه المستندات .

أما الوثائق الاخرى التي تحتفظ بها المؤسسات العامة ، فإن كثيراً منها لا يزال بحاجة الى تنظيمها لتسهل الاستفادة منها على الوجه المطلوب .

ومن جهة أخرى : فإن مستندات خارجيات الدول التي اتجهت لها البعثات المغربية ، ستضم ـ هي الأخرى ـ معلومات جديدة في هذا الصدد ، وهو موضوع لا يزال بحاجة الى دراسة كاشفة .

هذا بالاضافة إلى ما سينشره كتاب البلاد المشار لها عن تلك البعثات ، ولحد الآن لا يعرف من ذلك الا اقل القليل .

فلهذه الاعتبارات وسواها ، سيكون المجال لا يزال فسيحاً لتوسيع دراسة معطيات هذه الانبعاثة وتعميقها .

* * *

وبعد هذا : أود أن أتساءل عن الاسباب التي أدت الى فشل هذه المحاولات الاصلاحية، وقد كان في طليعتها حركة البعثات التي اتجهت للدراسة في أوروبا بالخصوص ، وكان من المتوقع أن أعضاء هذه الارساليات ، يقومون ـ بعد عودتهم للمغرب ـ بنشاط على نطاق واسع ، ويضطلعون بمسؤوليات رئيسية ، أو يؤسسون طليعة حركة سياسية .

وسنتخذ من مصير هذه البعثات نموذجاً للظروف التي قضت عليها نفسها ، وعلى المحاولات الاصلاحية الاخرى ، وقد كان من بين الاسباب التي أدت بهذه

النخبة الى مصيرها المؤسف ، أن مشروع البعثات لم يكن يخضع الى تصميم ثابت ، وهذا ما يشير اليه الناصري[1] بمناسبة ذكر الطلبة الذين وجههم السلطان الحسن الاول الى أوروبا ، وهو يقول تعليقاً على هذه البارقة :

« . . الا ان ذلك لم يظهر له كبير فائدة ، اذ كان ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات ، وتمهيد اصول ، ينبني الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها » .

يضاف لهذا : أن حاشية نفس السلطان كانت لا تنظر بعين الارتياح الى حركة البعثات ، وهذا ما يسجله أحد طلبتها وهو الطاهر ابن الحاج الاودي ، فقد نصح الحكومة المغربية بالاستعداد لمواجهة التدخل الاجنبي ، ولكن الوزراء والكتاب رموه بالالحاد[2] .

ومرة أخرى قالوا للسلطان الحسن الاول : ان اعضاء البعثات بعدما اقاموا بأوروبا سنين ، عادوا منها جهالاً منتصرين[3] .

ومن هذا الموقف ـ على المستوى العالي ـ نتبين أحد الاسباب الرئيسية لركود المحاولات الاصلاحية بعد وفاة الحسن الاول ، حيث وقفت ـ بالمرة ـ مسيرة البعثات الى الخارج ، وفترت حركة المنشآت الدفاعية والاقتصادية ، ويشرح محمد السائح[4] ابعاد هذه الظاهرة في فقرة مطولة هكذا .

« . . ولما مات المولى الحسن وخلفه ابنه المولى عبد العزيز على العرش ، قام بتدبير الملك حاجبه با احمد وذلك لصغر الملك ، وهذا الحاجب سياسي محنك ، ولكن في خصوص سياسة البلاد التي درسها ـ من قديم ـ على عتبة القصر ، أما المدينة الجديدة والتطور العصري فلم يكن نضج في فكره .

---

(1) « زهر الافنان » ج 2 ص 304 .

(2) « الاستبصار » : المخطوط المتكرر الذكر ـ ص 38 .

(3) « نفس المصدر » ص 96 .

(4) مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني، السنة الثالثة ـ ص 31 .

ولما ورد عليه بعض المتعلمين من تلك البعثات ـ وقد أتموا دروسهم ـ لم يجعل لهم قيمة ، ولم يقدر لهم قدراً ، وألقاهم في زوايا الاهمال ، فضاعت معارفهم ، وخسرت صفقة المغرب .

وقد عرفت (يقول نفس المصدر) كثيراً منهم يستعين على معاشه ببعض الحرف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد » .

وسبب رابع لفشل هذه المحاولة التعليمية ، ويلوح له كل من الناصري والسائح ، حيث لم يقع اعداد شعبي لتقبل حركة البعثات ، وهكذا يترجم محمد السائح[1] هذه الحقيقة ضمن المامته بالاصلاحات الحسنية ، وهو يقدمها حسب الصياغة التالية :

« . . لان الشعب المغربي ! اذ ذاك ـ لم يدرك ما كان يدركه سلطانه ، وما كان الناس يبعثون أولادهم لاوروبا عن رغبة » .

وأخيراً : لا ننسى واقع المغرب ـ في هذا الظرف بالذات ـ أمام التدخل الاجنبي ، وقد كان له آثار بعيدة في شل المحاولات التقدمية أياً كان نوعها ، ثم كان خاتمة المطاف وضع المغرب تحت الحماية ، ليتبخر ـ في ظلها ـ ما تبقى من معالم الاصلاحات المغربية الأولى .

* * *

وبعد : فأرجو أن أكون قد بذلت جهدي ـ ولو الى حد ـ في الكشف عن آفاق يقظة المغرب في تجربته الاصلاحية الاولى ، والله ـ وحده ـ ولي التوفيق .

---

(1) المصدر الاخير : في نفس العدد والصفحة .

المَلاحِقْ

وعددها سبعة

ملحـق أول

وهو تابع لباب : « تشريع لموظفي الديوانات » رقم 9 ، ويتصل بالصفحة 122 بعد السطر 16 ، حيث يتعلق الأمر بقانون تنظيمي يرجع الى عهد السلطان محمد الرابع ، وهو يشتمل على 28 فصلاً ، ويتناول الأنظمة التي يتبعها أمناء المراسي في تسيير مهامهم ، وهذا نصه على بتر فيه يتدىء خلال الفصل 18 :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ، والدعاء بالنصر والتمكين ، والظفر والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين .

وبعد : فهذا تقييد يشتمل ـ بحول الله ـ على كيفية خدمة أمناء المراسي مرتباً على ثمانية وعشرين فصلاً :

الفصل الأول

تكون للديوانة مفاتيح بعدد الامناء ، ولا تفتح الا بمحضر الكل والعدول ، وان وقع عذر لأحد الامناء أو العدول يقيم من ينوب عنه فيما كلف به ، ويطلع العلم الشريف ـ أسماه الله ـ بذلك .

والعدول حسبهم التقييد ومعاينة الداخل والخارج والصائر ، والاطلاع على المكاتب الشريفة والاجوبة عنها ، وغير ذلك مما يرجع لضبط الكنانيش .

وفتح الديوانة يكون في الساعة الثامنة من النهار ، وسدها يكون في الساعة الثالثة بعد الزوال ، ون لم يكن لهم شغل بالديوانة فيجعلون الجلوس بها شغلاً لعمارة محل المخزن ، اللهم ان كان يوم عيد او وقت صلاة جمعة .

الفصل الثاني

عند دخول الامناء للخدمة بالمرسى ، يحوزون من الامناء قبلهم ما بقي بالخزين هناك : ما كان منه لجانب المخزن يكون بتقييد خاص : ما هو بالعد فليعد ، وما هو بالوزن فليوزن ، وما هو من السلعة لجانب التجار يكون له تقييد خاص :

يبين فيه عدد القطع ، واسمها ، ومماركتها ، ونمرها ، ومع أي بابور وردت ، لتكون على عمل المانفيسط[1] ، ويكون هذا أول العمل عندهم ، وبه تبرأ ذمة من قبلهم ، ثم يوجهون نسخة ما حازوه من أمور المخزن الى الحضرة الشريفة بشهادة عدول المرسى بذلك ، بعد اثبات جميع المحوز في آخر كناش الامناء قبلهم الوافدين به على الأعتاب الشريفة .

الفصل الثالث

بمجرد وصول البابور أو المركب وملاقاة رئيس المرسى معه أو خليفته لا تنزل منه سلعة حتى يحاز منها المانفيسط ، طبق ما هو منعقد بين الجانب الشريف وبين الاجناس ، حسبما هو مقرر في الشرط التاسع والعشرين من شروط النجليز ، وفي الرابع والثلاثين من شروط الصبنيول ، وكذا مانفيسط السلعة الموسوقة يحاز بعد تمام وسقها .

والامناء يقيمون من ينوب عنهم ساعة نزول السلعة من البحر او وسقها ، وهذا النائب يكون يقيد كلاً من الموضوع والموسوق : بالماركة ، والنمرة ، واسم القطعة ، ثم

---

(1) Manifiesta تعبير اسباني عن التصريح المكتوب .

يقيد على ظهر القطع الموضوعة ـ بفور نزولها ـ اسم البابور أو المركب الواردة معه ، وتاريخ وروده ، لتعرف كل قطعة عند التعشير مع أي بابور وردت .

وهذا الفصل تعلق به تفقد أحوال القوارب والمقاديف وما تقوم به الخدمة ، بحيث اذا وقع تعطيل في شيء من ذلك يكون دركه على الامناء .

الفصل الرابع

وبعد تمام نزول السلعة من البابور او المركب يحوز الامناء من رئيس المرسى تقييداً باسم البابور أو المركب ، وجنسه ، وتاريخ وروده ، وما وجب في مخطافه على حسب جرمه ، وهل ورد خاصاً بأحد التجار هناك أو لجملتهم ؟ وكم حمل من الأوطان[1] الى تلك المرسى ؟ وعدد ما أنزله بها من القطع مفصلة باسمها : من فرود[2] وصناديق وبراميل وغير ذلك .

وكذا يكون العمل في الوسق ، يحوزون ـ أيضاً ـ من رئيس المرسى تقييداً بعدد الموسوق صحبة البابور او المركب : من خناشي الحبوب أو البراميل أو غير ذلك على نهج ما ذكر ، بعد تعليم رئيس المرسى بخط يده على ذلك كله ، ويبقى هذا التقييد تحت يد الأمناء ، حتى يدفعونه « كذا » بالحضرة الشريفة مع الكناش بعد انفصالهم عن الخدمة الشريفة .

الفصل الخامس

يكون لخزين المرسى واقف خاص ، ويتخذ كناشاً يقيد فيه جميع الداخل للخزين من السلع بالماركة والنمر ، ولا يخرج لاحد من التجار سلعة حتى يأتيه بالتقييد المسمى عندهم بالبليسة ، ويتحقق عنده وعند الامناء أن السلعة المقيدة بتلك البليسة هي لمن أتى بها ، أو مسلمة له من قبل صاحبها ، لأنه كثيراً ما يأتي بعض التجار ببليسة

---

(1) تصحيف عن الاطنان .

(2) قطع من السلعة على حدة .

غيره زاعماً أنها له ، وبعد اخراج التاجر ماله من السلعة بالخزين ، يضع ختمه أو خط يده على البليسة بأنه حاز جميع ما فيها أو بعضه ، ثم يسلمها للواقف على الخزين بعد أن يتوصل بجميع ما فيها من السلع ، فتبقى محفوظة بيد صاحب الخزين الى وقت الحاجة اليها .

الفصل السادس

عند فتح السلعة بقصد التعشير ، يكون الامناء من عد ما بداخل الفرود على بال ، لما يرتكبه بعض التجار من اخفائه سباني الحرير ونحوها في داخل أنصاص الملف ، ومن جعل شقتين طي شقة واحدة ، وما يقيدونه على أنصاص الملف وغيره من عدد اليرضات أو المتر ناقصاً عما هو فيها .

وينبغي رد البال لاثمان السلع المعشرات ، ليقع التعشير على حسب ما تساويه في الوقت ، والعمل في تعشير الملف والتوبيت ونحوهما يكون باليرضات أو المتر ، ولا يرد عند التعشير الى حساب القالة ، حذراً مما يقع في ذلك من التهور .

وما يعشر بالوزن ـ موضوعاً كان أو موسوقاً ـ يكون دخوله كله أو جله للميزان ، ولا يكتفى بوزن أقله ، ويجب رد البال للميزان لما يقع فيه من تساهل الواقف عليه ، مع أن جل القطع الواردة من بر النصارى يكون وزنها مقيداً عليها ، ولا يعشر الامناء من سلع السوق الا ما هو حاضر منها بين أيديهم ، ولا يقيسون وزن ما حضر منها على ما يأتي بعده ، بل يعشرون كلاً منهما على حدته بعد حضوره ومعاينته ، لما يقع بين القطع من التفاوت في الوزن ، وميزان الحبوب يكون في رده لنسبة الفنيكة ، موافقاً لما في الشروط التي بين الجانب الشريف والاجناس .

ومن صدر منه خلاف ذلك من الأمناء يكون دركه عليه .

الفصل السابع

كيفية وصول ذلك للكناش لتسهيل مقابلته بالمانفيسط :

يذكر ـ بعد نص الافتتاح ـ اسم أول يوم من الشهر ، واليوم الموافق له من

العجمي ، وتكـون أيام الشهـر العربي هي المعتمـد عندهم في التقييـد ، وانمـا ذكـر العجمي لاجل مقابلة المانفيسط لكون تاريخه عجمياً ، ثم يقول : في تاريخ كذا أخرج فلان ما ورد له من البابور أو المركب الفلاني بتاريخ كذا ، ويكون تفصيله على ثمانية اضلاع :

الضلع الاول : الماركة .

الثاني : النمر .

الثالث : عدد القطع .

الرابع : وزنها بالطارة .

الخامس : وزنها صافياً من الطارة .

السادس : عدد ما بداخل الفرود .

السابع : السوم .

الثامن : الواجب .

ويكون تقويم السلع بالبليون ، ليحاز واجب الاعشار بليوناً ، ويقيد الموضـوع على حدة ، ويليه الخارج من الموسوق ، نعم ما هو منه بسكة البليون يكون لـه ضلع خاص ، وللمثقال ضلع آخـر ، وفي آخر الشهـر يرد مـا تحصل من المثقـال بليونـاً ، بحسب ثمانية دراهم وثمن الدرهم للريال ، ويزاد عليه ما دخل من البليون في الوسق والوضع ، ثم يضاف الى ذلك ما تحصل في المخاطيف وغيرها مفصلاً ، ثم يرد الجميع ريالاً .

الفصل الثامن

ومن جلب شيئاً من سلع البحر للجانب العالي يجوزها الامناء منه على شدها ، ويطبعون عليهـا بمحضره ، ثم يـوجهونها لشـريف الحضرة بعـد تقييدهـا في حسـاب يومها : بالماركة ، والنمر ، واسم القطعة ، والميزان ، وفي محل الواجب يضع صفراً ، ليكون الكناش مطابقاً لما في المانفيسط .

والكنانيش التي يتخذها الامناء لتقييد الداخل والصائر وغيرها من أمور المخزن ، تكون من المقيد عليها النمر في جميع أوراقها احتياطاً من البتر ، وهذا الفصل تعلق به تنبيه العدول على جعل البرنامج في أول ورقة من الكناش ، ليسهل البحث فيما اشتمل عليه من الحجج : كنسخة كتاب شريف بتنفيذ ، أو جواب وفر وصل للحضرة الشريفة ، أو دين .

الفصل التاسع

ومن أراد من نواب الاجناس اخراج شيء من حوائجه ، لا بد من دفع خط يده بذلك على مقرر الشروط معهم فيه ، ويقيد ذلك في اليومية من جملة السلع المعشرات ، غير أن محل الواجب يضع فيه صفراً لتتم بذلك مقابلة المانفيسط ، ثم تبقى خطوط يد النواب المذكورين محفوظة عنه الامناء ، حتى يدفعونها بالاعتاب الشريفة مع الكنانيش بعد تمام خدمتهم .

الفصل العاشر

السلعة الواردة من بر النصارى مثل البراميل وشبهها ، لا بد أن يفتح منها عند التعشير نحو العشرة (في) المائة، وتعيين ما يفتح منها موكول الى اجتهاد الأمناء ، وان كانت مما يسفد كالابازير وشبهها فلا يغفل عن تسفيدها ، وتفرغ قطع الخردة عن آخرها ، ولا يكتفى بما هو على وجه ظرفها احتياطاً من الكنطربنضوا[1] ، ومن عثر على شيء من الممنوع منها بيده فيحاز لجانب المخزن موسوقاً كان أو موضوعاً ، ويطلع به العلم الشريف ، بعد وزنه ان كان مما يوزن، أو عده .

ولا بد من المساواة بين التجار في تقويم السلع ، ولا يؤخذ شيء منها الا اذا وقع الخلاف في التقويم بين الامناء والتاجر ، فحينئذ يحاز الاعشار من عين السلعة ، ويقيد في حساب يوم تعشيرها بالثمن الذي قومت به ولم يرضه التاجر ، وبعد انسلاخ

---

(1) تعبير اسباني عن عملية التهريب .

الشهر تباع تلك السلعة على الوجه المسمى عندهم بالمرتليو ، فإن كان في ثمنها زيادة على التقويم الاول الحقت مع المضافات في آخر حساب الشهر ، والغالب عليها الزيادة ، ومن طلب من الامناء تقييداً بما عشروه له من السلع ، يعطاه بخط العدول وتعليم الامناء عليه .

الفصل الحادي عشر

أمناء مرسى طنجة عند انتهاء كل سنة يحوزون من نائب مولانا ما دخل عليه من مستفاد المرجان الذي يستخرج من سواحل البحر هناك ، بحسب مائة وخمسين ريالاً لكل مركب من المراكب التي تصطاد المرجان ، وفق ما هو في الشرط الموفى ستين من الشروط المنعقدة بين الجانب الشريف أسماه الله وبين جنس الصبنيول[1] .

الفصل الثاني عشر

يكون الامناء يوجهون مضمن مدخول كل أسبوع بمجرد انتهائه ، ويكون ذلك مفصلاً على ثلاثة أضلاع :

الضلع الأول : الداخل مثقالاً من الموسوق .
الثاني : بليوناً من القطاني وغيرها .
الثالث : الداخل بليوناً من معشرات الموضوع .

ومكاتب الاسبوع تكون توجه مع البوسطة ، واصلة بيد أمناء مرسى العدوتين فقط ، وأمناء العدوتين عند انتهاء كل اسبوع ينهضون رقاصاً يتوجه بالمكاتب المذكورة للحضرة الشريفة ، ومن أخر من الأمناء كتاب أسبوعه عن وقت وروده يعلمون به حضرة مولانا صحبة الرقاص المذكور ، ليكون الكلام معه في ذلك .

---

(1) من هنا ـ فقط ـ استفدنا أن الوثيقة من عهد محمد الرابع ، حيث جاء في هذه الفقرة الدعاء للجانب الشريف بأسماه الله ، لتشعر باستمراره على قيد الحياة ، مع ملاحظة أن الشرط الستين المشار له وارد بالمعاهدة المغربية الاسبانية ، وقد انعقدت بين الطرفين أيام نفس السلطان ، حسب « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 516 .

الفصل الثالث عشر

جميع المدخول والصائر وأمور المخزن التي بالخزائن وسلعة التجار : كل ذلك في عهدة الامناء ، لا يستقل به واحد منهم دون الآخر ، والصندوق الذي يوضع فيه مال الوفر يتخذونه من الحديد ، وتكون له اقفال ومفاتيح مختلفة الاشكال ، يكون منها لكل من الامناء مفتاح خاص به .

وما يترتب بذمة التجار من واجب الاعشار يقبض فوراً ، ومن أخر من الامناء شيئاً من ذلك حتى ادى إلى الضياع فدركه عليه ، وتعلق بهذا الفصل رد البال لما هو بذمم التجار من السلف والدين القديم ، فمن له منهم أملاك يكون الامناء منها على بال ، ليلا يقع فيها تفويت .

الفصل الرابع عشر

السلع الموسوقة من بعض المراسي الى أخرى من مراسي سيدنا ـ أعزه الله ـ يتخذ لتقييدها كناش خاص ، يقيد فيه اسم السلعة ، والماركة التي عليها ، والنمر ، والميزان ، واسم صاحبها ، واسم البابور الموسوقة معه ، وتدفع لصاحبها بطاقة مقيد فيها ما ذكر بخط احد العدلين ، وعلامة الامينين معاً .

وان كانت هذه السلعة مما يجب فيها الاعشار ، فيحاز قدر الواجب في أعشارها وثيقة ، ويضرب لصاحبها من الأجل بقدر ما يأتي فيه بجواب الامناء بوصول تلك السلعة الى المرسى الموجهة اليها ، بحيث اذا انصرم الاجل ولم يأت بجواب الوصول ، فيعمر ما حيز منه في جملة الداخل في الاعشار ، ولا يقبل من صاحبها كلام بعد ذلك ، ثم لا بد من حيازة الامناء مانفيسط هذه السلعة من جملة مانفيسطوات غيرها من السلع ، الى أن يدفعوا الجميع بالاعتاب الشريفة بعد تمام خدمتهم .

الفصل الخامس عشر

الأمور الممنوع وسقها يكون الامناء (منها) على بال ، ولا يوسق منها قليل ولا

كثير الا بالأمر المولوي أسماه الله ، وذلك مثل الزرع ، والشعير ، والخيل ، والبغال ، والحمير ، والغنم ، والابل ، واناث البقر ، وادامها ، وكذلك الامور التي وسقها غير معتاد : كخشب العرعار ، والفرشي ، والدوم . ومن تساهل من الامناء في وسق شيء من ذلك فتلزمه عقوبة المخزن .

الفصل السادس عشر

أمر البحرية موكول الى نظر رئيس المرسى .

والواردیات بها الى الامناء .

والعسة الى نظر عامل البلد .

وتبدل العسة في آخر كل شهر ، لما يقع من المداخلة بينهم وبين أصحاب الكنطربنضو عند طول مدتهم .

وأمناء المرسى لهم البحث في المركب عند وصولها ، وساعة سفرها ، ولهم أن يجعلوا العسة بالمركب لمنع الكنطربانضو ، حسبما هو مقرر في التاسع والعشرين من شروط النجليز ، وفي الرابع والثلاثين من الصبنيول .

ويمنع الرقيق من ركوب البحر ، وكذا العمال وأبناؤهم ، الا بالأمر الشريف أسماه الله .

الفصل السابع عشر

ولا يتعاطى الامناء التجارة بالمرسى المستخدمين بها ، ومن ثبت عليه شيء من ذلك تلزمه عقوبة المخزن ، ويبدل من حينه ، ولا يستعلمون أصحابهم في شيء مما يرجع لخدمة المرسى .

الفصل الثامن عشر

كيفية تقييد الصائر بالكناش :

يكتب ـ بعد الحمدلة ـ ما نصه : بيان ما صيره الامينان : فلان ، وفلان ،

ويذكر اسم اليوم الاول من الشهر المصير فيه ، وعدد أيامه ، وعام تاريخه ، ثم يجعل الصائر مرتباً : كل جنس منه في ترجمة خاصة به .

ويصدر بترجمة المئون اليومية مفصلة ، مقدماً منها الاكد فالأكد ، الى أن يكمل صائر المئون في اليوم الاول ، ثم يضرب المجتمع من ذلك في عدد أيام الشهر ، ويضع خارج الضرب في ضلع الواجب .

وتليها ترجمة الرواتب الشهرية مفصلة على الترتيب المذكور ، ويضع ما تجمل فيها بمحله تحت جمع المئون .

ثم ترجمة كراء الدور المنفذة مفصلة كذلك .

ثم ترجمة الحوادث : يصدر منها بعمل المنجرة ملخصاً : بذكر العود المشتري في جميع الشهر ، واقامة الحديد وما يلحق بها ، مفصلاً جميع ذلك ثمناً ومثموناً ، يذكر عدد المعلمين على مراتبهم ، وعدد أيام خدمتهم في الشهر ، وما يعطى كل واحد منهم من الاجرة عن كل يوم ، ويخرج مجموع ذلك الى محله ، وكل ما يشترى من المقاديف وشبهها مما يرجع لخدمة القوارب ، يصير في ترجمة المنجرة ليكون صائر القوارب . . »[1] .

والى هنا ينتهي الموجود من القانون الذي ينظم تسيير أمانة المراسي في المغرب الحديث .

وبعد الجانب الموضوعي من هذا النص ، سيمدنا ـ مرة أخرى ـ بملامح عن طبيعة السجلات المخزنية التي أحدثت بهذه المناسبة ، وهي نقطة تفيد ـ أكثر ـ في تبويب فهارس الوثائق العلوية في هذه الفترة .

---

(1) اعتمدت في عرض هذا القانون على نسخة خاصة منه ، بخط يبدو من ملامحه أن كاتبه من خطاطي مدينة الرباط .

ملحق ثان

وهو تابع لترجمة الطبيب : أحمد التمسماني ، ويتصل بالصفحة 256 بعد السطر 15 ، حسب رسالة صادرة عن النائب بطنجة محمد الطريس ، الى وزير الحربية محمد الجباص ، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وصل كتابكم ـ الأعز ـ جواباً عما كتبناه اليكم في شأن الطالب احمد التمسماني : بأن مولانا ـ أيده الله ـ سأل عمن عينه لقراءة الطب ، لنجيب بما عندنا في ذلك ، الى آخره .

فليكن في كريم علمكم : أن سيدنا المقدس كان أمر بتعيين ستة أناس لقراءة ما ذكر فعينوا لذلك ، وكان التمسماني المذكور من جملتهم ، ثم انه لم ينجح من الستة الا اثنين : أحدهما المشار اليه ، وقد نجب في الطب ، وهو قائم بمداواة العسكر كما تقدم ، فينبغي أن يدرج في قائمة العسكر السعيد لاهمية مهنته .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 15 رمضان المعظم عام 1324 ، محمد بن العربي الطريس ، لطف الله به »[1] .

(1) « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » . خ . ع . ك 2720 ـ ص 210 .

ملحـق ثالـث

ويتنـاول سير التعليم الحـديث في أوساط اليهـود المغاربـة ، خلال الفتـرة التي ندرسها وبعدها حتى سنة 1912م ، وقد عني بهذا الموضوع احدى المجلات الفرنسية سنة 1937م . في عدد خاص عن التعليم بالمغرب ، وعنها عربته جريدة المغرب التي كان يديرها الاستاذ المرحوم سعيد حجي : السنة الأولى ، العدد 88 ، بتـاريخ فـاتح شعبان عام 1356هـ . 17 أكتوبر سنة 1937م ، وهذا نص التعريب :

« منذ سنة 1862 بنت جمعية الاتحاد الاسرائيلي صرح التعليم بالمغرب ، اسست هذه الجمعية بباريز على يد (أوجين مانويل . ونرسيس لوفان) وبعض أصدقائها من أساتذة ومحـامين وأطبـاء وأحبار ومهنـدسين وتجـار ، فأخـذوا على أنفسهم أن يـرفعوا الشعوب اليهودية في الشرق والشمال الافريقي من حضيضهم ، اذ كانوا يعيشون في حالة سيئة .

كانت مهمة التعليم اكبرهم جمعية الاتحاد ، فأخذت تقوم بها بعد عامين مضيا على تأسيسهـا ، ففتحت مدارس لـلابناء بتـطوان سنة 1862 ، ومنحت ادارتهـا لم . كوهين أول مدرس فرنسي علم بالمغرب .

وكـانت المواد تـدرس باللغـة الافرنسيـة ، وكان الاسـاتذة يعلمـون العبـرانيـة والاسبانية والانكليزية .

لكن الجمعية في أول عهدها اعوزتها بعض المواد لمواصلة رسالتها، وبالرغم عن

كل شيء حددت برنامجاً لعملها ، وعملت على نشر التعليم المدرسي حسب الظروف السياسية والمادية الموجودة في ذلك الحين .

وهكذا اسست شيئاً فشيئاً :

مدرسة للبنين بطنجة سنة 1864 .

مدارس للبنات بتطوان وطنجة سنة 1865 .

مدارس للبنين بالصويرة وأسفى سنة 1867 .

مدرسة للبنات بالصويرة سنة 1869 .

بلغ عدد التلاميذ في سنة 1869 : 765 من البنين ، و 230 من البنات ، كلهم يذهبون للمدارس الموجودة حينذاك ، فتعلموا قراءة الفرنسية وكتابتها، وتعودوا النظام والنظافة وحياة جديدة .

وفي سنة 1873 اسست مدرسة مختلطة بالعرائش ، وكذلك أخرى بالقصر سنة 1879، وبفاس أسست مدرسة للبنين سنة 1889: تلك المدينة التي تفخر بانفرادها بالحضارة القديمة المخالفة لكل ما هو أجنبي .

وكان من المحتم مد النفوذ في عاصمة الجنوب : مراكش ، ولكن بعد مضي احد عشر عاماً على التأسيس الاول ، ففتحت مدرسة للبنين وأخرى للبنات سنة 1892 ، فأقبل الاساتذة الشبان وأصبحوا يعيشون بالملاح ـ دون أن يهتموا بخطر اقامتهم ـ حيث الفقر المدقع والوسخ والامراض التي تنتاب الصغار والكبار .

وفي هذه المدة كان النصر حليف جمعية الاتحاد الاسرائيلي ، فعم مجهودها جميع الكتل اليهودية بالمدن التي هي على الثغور ، ففتحت عدة مدارس أبوابها .

في سنة 1897 مدرسة للبنين بالدار البيضاء .

في سنة 1899 مدرسة للبنات بفاس .

في سنة 1903 مدرسة للبنين بالرباط .

في سنة 1906 مدارس للبنين والبنات بالجديدة .

في سنة 1907 مدرسة للبنات بأسفى .

في سنة 1910 مدرسة للبنين بمكناس .

في سنة 1911 مدارس مختلطة بأزمور وصفرو .

في سنة 1912 مدرسة بسلا .

وهكذا عند بسط الحماية بالمغرب كانت جمعية الاتحاد قد أوجدت عشر مدارس للبنين ، ومثلها للبنات ، وخمس مدارس مختلطة ، ومجموع التلاميذ بها 5442 : منهم 3414 أبناء ، و 2028 بنتاً » .

ملحق رابع

ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة إلى الإصلاح في القرن 19 ، من خلال وثيقة موضوعية

بعد عام 1860/1276 صار من ذيول أزمة تطوان : ظهور أشكال من الأقتراحات الإصلاحية « المزعومة » الواردة من الخارج ، وكان من أغربها طرح إشكالية « حرية العقيدة بالمغرب » . وهو مطلب ظهر ـ للمرة الأولى ـ بواسطة اليهودي ذي الجنسية الانجليزية : السير موسى مونتفيوري ، فوفد على المغرب عام 1864/1280 ، وحظي بمقابلة السلطان محمد الرابع ، حيق قدم له مطلب الحرية ليهود المغرب .

وقد عقب الناصري[1] على هذا الاقتراح ، حتىً انتهى في انتقاده إلى هذه القولة : « واعلم أن هذه الحرية التي احدثها الفرنج في هذه السنين : هي من وضع الزنادقة قطعاً . لأنها تستلزم إسقاط حقوق الله ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الإنسانية رأساً » .

وبعدما حلل هذه الأمور عقب قائلاً : « وضابط الحرية عندهم (الفرنج) لا يوجب مراعاة هذه الأمور ، بل يبيح للإنسان أن يتعاطى ما ينفر عنه الطبع ، وتأباه الغريزة الإنسانية : من التظاهر بالفحش والزنا وغير ذلك إن شاء ، لأنه مالك أمر نفسه ، فلا

(1) « الاستقصا » دار الكتاب ـ البيضاء 9/114 -115 .

يلزم أن يتقيد بقيد ، ولا فرق بينه وبين البهيمة المرسلة إلا في شيء واحد ، هو إعطاء الحق لإنسان آخر مثله ، فلا يجوز له أن يظلمه ، وما عدا ذلك فلا سبيل لأحد على إلزامه إياه . . . » .

* * *

وإلى هذا : عرف مؤتمر مدريد (1880/1297) تدخلاً مماثلاً ، وجاء ـ في هذه المرة ـ بمبادرة الكاردينال نينا كاتب الدولة في الفاتيكان ، فوجه للمؤتمر ـ بواسطة سفير النمسا ـ مذكرة بشأن حرية العقيدة في المغرب[2] .

ومع غياب نص مذكرة الفاتيكان : يترجح أنها نفس الكتاب الذي تعقب عليه الوثيقة المغربية التي نقدم لها بهذا المدخل ، حيث يبدو أن أعضاء مؤتمر مدريد تبنوا هذه المذكرة ، وبعثوا بها ـ باسمهم ـ إلى السلطان الحسن الأول ، فكانت ضمن المراسلات المتبادلة بين النائب محمد بركاش والسلطان حين انعقاد المؤتمر ، ثم عهد الحسن الأول إلى قاضي فاس : محمد (بن عبد الرحمن العلوي المدغري)[3] بكتابة مشروع للجواب عن المذكرة ، فحرره هذا بعد استشارة العلماء المعنيين بالأمر دون الإشارة لأسمائهم .

ونشير ـ استقبالاً ـ لهذا الجواب ـ بـ « الوثيقة المغربية » ، ولرسالة المؤتمر بـ « المذكرة » .

* * *

وتبتدىء الوثيقة المغربية ببيان مصدر المذكرة ، وتلخص نقطها كالآتي :

« الحمد لله ، اجتمع أجناس النصارَى ، وكتبوا كتاباً أجابهم عنه قاضي الجماعة مولانا محمد عام 1297 » .

فتشير هذه الفقرة إلى مؤتمر مدريد : « إجتمع اجناس النصارَى » ، ويؤكد ذلك تاريخ « عام 1297 » : نفس تاريخ انعقاد المؤتمر الذي يوافق سنة 1880 .

---

(2) « مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب » للأستاذ عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ص 102 .

(3) ترجمته في « سلوة الأنفاس » 1/205 -206 .

وبعد هذا تأخذ الوثيقة المغربية في تلخيص نقط المذكرة كالآتي :

1 ـ ان البابا يطلب اجراء حرية الأديان في المغرب ، وبين قوسين : جاء التعبير عن البابا بـ « البابص » : حسب الاستعمال الدارج الذي كان يطلق على رئيس الأساقفة .

2 ـ تستند المذكرة في مطلب حرية العقيدة إلى ظهير السلطان محمد الرابع لمن تسميه الوثيقة المغربية بموشي ، وهو السير موسَى مونتفيوري سابق الذكر ، والظهير ورد نصه عند الناصري[4] .

3 ـ إن هذا الظهير لم يتحقق تطبيقه بتمامه ، ولم تقع مساواة جميع الرعية في الحقوق والتشريع .

4 ـ إن السلطان العثماني منح الحرية لغير المسلمين في بلاده[5] ، مما يدل على أن هذا المبدأ موافق مع الدين الإسلامي .

5 ـ إن أعضاء مؤتمر مدريد متشوقون إلى أن ينتهج الحسن الأول نهج السياسة العثمانية ، وينتظرون ما يصدر عنه في هذا الصدد بالنسبة للمتساكنين الآن في المغرب وفيما يستقبل ، حتىً يكون التشريع في المغرب جارياً على مقتضَى الكتاب الحسني الذي يتوقعون صدوره ، وبذلك يتحرر اليهود ، ولا يمنعون من الحقوق السياسية . . .

* * *

ومن هنا تبدأ الوثيقة المغربية في مناقشة نقط المذكرة ، فعن النقطة الأولى تشير إلى استشارة العلماء في مطلب حرية الأديان في المغرب ، وتستخلص النتيجة في هذه الفقرة :

---

(4) « الاستقصا » 9/113 -114 .

(5) إشارة إلى التنظيمات التي أعلنها السلطان العثماني عبد المجيد الأول ، ونص فيها على المساواة بين أفراد الرعية ، وهي التي تعرف باسم « خط كولخانة » .

« . . . فحرية الأديان بالمعنى المعروف عند من قال بها ، والحالة المقررة الشهيرة عند أربابها : خارجة عن الدين بالدليل والبرهان ، مضادة له كما يختلف فيه اثنان ، فلا سبيل إلى العمل بها ، والا تبطلت الشريعة ولم يبق تعويل عليها » .

وعن مبادرة السلطان : العثماني ، ومحمد الرابع : كان من جواب العلماء عن ذلك : « إن العلماء حكام على الملوك ، والأمراء حكام على الناس ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع ، فما وافقه منها يقبل ويعتمد ، وما لا فلا ، إذ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، كما ورد » .

وبعد هذا تجيب الوثيقة عن نقطة أخرى هكذا : « وأما ما ذكرتم من أن حضرة والدنا المقدس أعطى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه لغير المسلمين ، وانكم طامعون في جانبنا أن يكون لنا حرص على ذلك مثل العثماني : فالأمر كما حكيتم وطمعتم ، إذ لا نحب لهؤلاء إلا الخير التام . . . . فنظرتكم فيهم ووصيتكم عليهم : تراعى ولا تهمل . . . » .

وعن المساواة في الحقوق والتشريع : تقول الوثيقة : « وأما أمر المساواة أمام الشريعة : فإن كان المراد من ذلك التسوية أمام الشريعة : بحيث لا يفضل أحد ـ أياً كان ـ على واحد ، ولا يلحق البعض من البعض ظلم ولا جور : فهذا أمر جاءت به شريعة الإسلام ، ولم يزل معمولاً به من أول الإسلام حتى الآن . . .

وان كان المراد غير ذلك من أوجه التسوية : كتناكح أو شهادة أو لباس أو مركب أو غير ذلك ، فهو أمر فيه بيننا وبينهم شروط . . . » .

ومن هذه الفقرة والنماذج قبلها : يمكننا أن نستنتج طابع التفكير الوطني خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبالضبط لدى جماعة العلماء .

فيوجهون الوطنية وجهة إسلامية صرفة ، ويدافعون التدخلات الأجنبية بمصادمتها لواقع التشريع الاسلامي .

كما يدعمون سياسة الدولة بأفكار منتزعة من السياسة الإسلامية .

وفي هذا الاتجاه يحالفهم النجاح أحياناً ، كواقع هذه الوثيقة لما تعلن أن الملوك مسؤولون أمام العلماء ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع . . .

وأيضاً : كواقع موقفها من عرض « حرية العقيدة » .

وإلى هذه الصرامة في عدد من الأحكام ، تجنح الوثيقة إلى الليونة واللباقة عند الاقتضاء : « ومما تواتر واشتهر بين الناس ، أنكم معاشر الأجناس ، لا تسعون في هدم قاعدة لإصلاح أخرى ، ولا توافقون على ذلك ، إنما المسموع عنكم المذكور ، سيما عند صدور هذا الجمع المشهور ، أنكم تحافظون على إبقاء كل دين على قواعده الأصلية ، وسير أهله على شروطه المقررة المرعية . . . » .

* * *

والآن ، ستكون خاتمة هذا المدخل : الإشارة إلى أن الوثيقة التي تقدم لها لا تزال مخطوطة في نسختين : خاصة ، والثانية بالخزانة الملكية ضمن مجموع رقم 11,322 .

نص الوثيقة

الحمد لله، اجتمع أجناس النصارَى ، وكتبوا كتاباً أجابهم عنه قاضي الجماعة مولانا محَمد عام 1297 ، ونص الجواب :

وبعد : فقد وصل كتابكم صحبة خديمنا باركاش ، ووقع منا بالبال ما تضمنه من أن البابَّص الكبير يطلب إجراء حرية الأديان في المغرب .

وأن حضرة والدنا السلطان سيدي محمد أعطَى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه للرعايا غير الإسلام عام كذا وكذا ، وأنعم بكتاب التحرير عام كذا على موشي ، وفي هذا الكتاب توضيح أن جميع رعية المغرب تكون لهم المساواة أمام الشريعة ، بحيث لا يقع لأحد منهم ظلم في نفس ولا مال .

وان الظهير المذكور أبطل كثيراً من الأوامر عن غير المسلمين .

لكن إلى الآن لم تبطل بتمامها ، إذ لا زال البعض منها يستعمل في بعض الأماكن داخل الإيالة ، فلم يحصل لهم حرية التصرف في دينهم ، فخولف المقصود من الظهير الشريف والقاعدة العامة ، وهي مساواة جميع الرعية في الحقوق وأمام الشريعة .

وأن السلطان العثماني وافق على ذلك ، وكتبه في شريعة بلاده عام كذا، وأثبته من بعده عام كذا ، مع أنه ـ لا شك ـ موافق مع الدين المحمدي .

وانكم طامعون في جانبنا أن نكون لغير المسلمين كالسلطان العثماني ، إذ لا يمكن الواجب إلا بذلك ، وتنتظرون ما يصدر في الأمرين :

الأول جميع المستقرين ـ الآن ـ في المغرب وفيما يستقبل : لهم اتباع دينهم بلا تعرض .

الثاني وقوع الأذن من الدولة أن تكون نصوص الشريعة الثابتة في المغرب جارية على مقتضى نص الكتاب الشريف ، وحينئذ لا يكون فرق أمام الشريعة بين الرعية المسلمين وغيرهم ، ولا يكلف اليهود بتلك الأمور ، ولا يمنعون من الحقوق السياسية ، وتكون لهم الحرية في جميع الاشغال كغيرهم من المسلمين ، وأنه إن وقع ذلك يظهر نفعه للكرسي الشريف وإيالته ، ويفتح بذلك باب جديد من السعادة ، إلى آخره .

* * *

فاعلموا ان ما ذكرتم من أن والدنا المقدس أعطى دلائل كثيرة من سماحته واحسانه لغير المسلمين ، وأنكم طامعون أن يكون لكم حرص على ذلك ، مثل ما طلبه البابص الكبير من إجراء حرية الأديان في المغرب : هو في هذا الوقت متعسر بل متعذر ، وقد عرضنا ذلك على أعيان الدولة : علماء ديننا فنفروا منه وأنفوه ، إذ لم يعتادوه في دينهم ولا عرفوه ، وقالوا إن العمل بذلك على الإطلاق ، يؤدي إلى كثرة الفتن والهرج والشقاق .

واحتجوا بأن الأمر الشائع المشهور ، المقرر لدى الخاصة والجمهور ، أن دين الاسلامية : الأمة المحمدية منقول بالسند الصحيح المتواتر ، من أوله إلى الآن رواية الأكابر عن الأكابر ، خصوصية تفضل بها الحق سبحانه حسبما اقتضته حكمته ، وأبرزته عن سابق علمه وارادته قدرته ، يريد به كتابه القرآن العظيم ، الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم﴾ ، تكفل الله به فهو محفوظ على ممر الأزمان ، لا يلحقه تبديل ولا تغيير ولا يطرق ساحته بهتان .

وعليه فحرية الأديان بالمعنىَ المعروف عند من قال بها ، والحالة المقررة الشهيرة عند أربابها ، خارجة عن الدين بالدليل والبرهان ، مضادة له كما لا يختلف فيه إثنان ، فلا سبيل إلى العمل بها ، والا تبطلت الشريعة ولم يبق تعويل عليها .

وما ذكرتم من أن السلطان العثماني وافق على ذلك وأثبته من بعده ، وأن السلطان سيدي محمد أنعم على موشي بكتاب التحرير : أجابوا عنه بأن ذلك ـ على فرض وجوده وصحته ـ لا يلزم الأمة ، لما تقرر من أن المدار على ما ثبت بطريقته المعلومة وخصوصيته ، والأمر في هذا بخلاف ذلك ، فلا سبيل إلى العمل بما هنالك .

وأيضاً قد تقرر أن من قواعد دين الاسلام ، وأركانه الشهيرة عند الخاص والعام ، ان العلماء حكام على الملوك ، والأمراء حكام على الناس ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع ، فما وافقه منها يقبل ويعتمد ، وما لا فلا ، إذ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، كما ورد ، على أن كتاب التحرير المشار إليه ـ إن لم يصرح فيه بشيء خاص ـ يمكن حمله على التحرير من أمور العمل بها غير مناف للدين ، ولا خارج عن سنن المهتدين .

ومما تواتر واشتهر بين الناس ، أنكم معاشر الأجناس ، لا تسعون في هدم قاعدة لاصلاح أخرى ، ولا توافقون على ذلك ، إنما المسموع عنكم المذكور ، سيما عند صدور هذا الجمع المشهور ، أنكم تحافظون على ابقاء كل دين على قواعده الأصلية ، وسير أهله على شروطه المقررة المرعية ، إذ بذلك يكمل التوافق ويقع الانتظام ، ويقل الهرج في الأقطار بين الأنام .

وأما ما ذكرتم من أن حضرة والدنا المقدس أعطى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه لغير المسلمين ، وأنكم طامعون في جانبنا أن يكون لنا حرص على ذلك مثل العثماني ، فالأمر كما حكيتم وطمعتم ، إذ لا نحب لهؤلاء إلاّ الخير التام ، والاحسان العام ، وعلى ذلك كان عملنا معهم فيما فات من الزمان ، وعليه يكون عملنا فيما يأتي ، بل نريد معهم في الخير بحول الله على ما كان ، فنظرتكم فيهم ووصيتكم عليهم تراعي ولا تهمل .

غير أن ذلك يناسب أن يكون فيما لا يتفاقم فيه الأمر ، أما ان أحدث على الرعية الأمر الذي لا يألفوه فيرد ولا يقبل ، والتأني في الأمور ومباشرتها بالرفق ، هو مجمع الخير ، وضده : في العجلة والخرق .

وأما أمر المساواة أمام الشريعة ، فإن كان المراد من ذلك التسوية أمام الشريعة بحيث لا يفضل أحد أياً كان على واحد ، ولا يلحق البعض من البعض ظلم ولا جور : فهذا أمر جاءت به شريعة الاسلام ، ولم يزل معمولاً به من أول الإسلام حتىّ الآن ، فمن خالفه حاد عن الحق وتعرض للملام ، وان كان المراد غير ذلك من أوجه التسوية كتناكح أو شهادة أو لباس أو مركب أو غير ذلك ، فهذا أمر فيه بيننا وبينهم شروط ـ من ابتداء عقد الذمة من خليفة نبينا سيدنا عمر رضي الله عنه ـ ثابتة الدعائم محكمة الربوط ، لا يمكن أن يفعل فيها ما يخالف الدين ، وإلا كان فاعله في ديننا من الملحدين ، وعلى ذلك كان لهم السكنىَ معنا والاستقرار ، والمعاملة والمخالطة في الأسواق والطرق والديار .

وما ظلم من أبقى ما كان واتبع ، وإنما الظالم من خالف ما كان وابتدع .

وأما ما يتعلق بالرواتب وانها لا زالت لم تبطل بتمامها، وان البعض منها لا زال : فجوابه أن من يستعمل منهم أياً كان في أمر كيف ما كان ، فإنما يستعمل بأجرته وعن طيب نفسه ، وحيث كان الأمر كذلك فلا معنىَ للتشكي به ، ولا للتظلم بما هنالك ، فالسير مع جميعهم : اليهود المراكشية وغيرهم على مقتضى الحق والعدل هو أصل شريعتنا ،

وعليه عمل أهل ملتنا ، وان وقع لأحد خلاف ذلك فمن غير شعور منا ، ولو رفع ذلك إلينا لأنكرناه ورددناه ، وما أقررناه .

بل جل اليهود في هذه الأزمنة هم الذين خرجوا عن طورهم ، وصاروا يتطاولون على المسلمين بالقول والفعل ، فرفعوا أنفسهم فوق قدرهم ، وأكثروا من التعامل بالأموال الكثيرة مع الأخلاط من غير تمييز بين من يصلح لذلك ومن لا ، مع أن التمييز هو حق ذوي التثبت والاحتياط ، وزادوا أنهم كثيراً ما يعاملون من ليس بذي درهم فضلاً عن دينار ، فإذا حل الأجل أتوا بكتاب حميّتهم الخاصة ظناً منهم أنهم مظلومون ، فيفعل ذلك تقليلاً للهرج ، وميلاً لحسن الجوار ، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى اقتضائه من بريء لكونه قريب المدين في القبيلة والدار ، وكنا بصدد شرح هذا الأمر لكم ، لعلمنا أنكم لا توافقون عليه عند مراجعتكم ، واجتماعكم في ناديكم ، لما فيه من الظلم الكثير ، والفساد الكبير ، إذ ما بين المسلمين واليهود في ذلك إلا سلوك طريق شرعنا ، والمعسر أنظره الله كما هو ثابت بنص كتابنا ، على أن ذلك مضربهم في الحال والمثال .

أما الأول فلكون الذي أخذ منه ذلك وهو بريء قضاءاً عن غيره،ربما أوقع باليهودي رب الدين مكروهاً : قتلاً أو غيره على وجه لا يشعر به أحد ، وقد وقع شيء من ذلك وشاهدوه ، وها هم بين أظهركم يخبرونكم بذلك ان لم يكتموه ويجحدوه .

وأما في المثال فلأن المغرب كثير التقلبات ، فإذا وقعت فترة أوقع البعض بالبعض منهم ما لا يليق من فظيع التصرفات ، ومرادنا نفعهم وارشادهم لحسن الجوار مع المسلمين ، ليكونوا بخير معهم فيما يحدث وما يأت ، كما كانوا كذلك فيما مضى وفات ، وهذا أمر ضروري لا ينكره عاقل ، فضلاً عن فاضل .

وبالجملة لو أطلعتم كل الاطلاع على ما يدافع عنهم المخزن ويقاسيه في شأنهم لعذرتم من يحاول أمرهم ، وتعجبتم من فعلهم ، ولا يعرف حق النعمة الا عند فقدها ، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها .

وقول الكتاب انهم ليست لهم حرية التصرف في دينهم ، وها هم في كنائسهم في

مواضع سكناهم يفعلون ما أرادوا ، ولم نسمع أن أحداً قط تعرض لهم في أمر دينهم : أعيادهم وأنكحتهم ومعاملتهم مما عوهدوا على عدم التعرض لهم فيه ، ولا مشوش عليهم في شيء من ذلك .

نعم ان كان المقصود رفاهية خاصة عوهدوا على تركها ، فهذه في احداثها ضرر ، إذ ذاك يؤدي إلى التفاقم وكثرة الهرج في الرعية ، وهم بأنفسهم يعترفون بذلك إن صدقوا اللّه وأحسنوا الطوية ، ولا حيف ولا عار على أحد في حمله على سبيله المعروف ، وشكله المعتاد له المألوف ، انما الحيف والعار في إحداث ما لم يعهد ، والإقدام على قواعد مؤسسة من قديم بالنقض والهد ، وترك كل قوم في مثل هذا وما اعتادوه : هو أولى ، بل الواجب في باب السياسة الذي ينبغي اعتماده .

وقول الكتاب : يقع الإذن من الدولة إلى آخره : جوابه إن الجاري على ما تقدم من أن من قواعد ديننا ان العالم حاكم على الملك لا العكس : أن يكون ما تضمنه الظهير الشريف معروضاً على نصوص الشريعة الثابتة ، فيرد الظهير للنصوص ، ولا ترد النصوص للظهير إلا لو كان الملك حاكماً على الشرع ، والأمر بالعكس ، ولو قيل بذلك لبطلت الأديان جملة ، وصار المدار على الملك، وهو خلاف الواقع .

وبالجملة فالمعهود منكم والمنقول بالتواتر عنكم انكم تتأملون حق التأمل في النوازل ، ولا تسرعوا ولا تعجلوا في أمر حتىً تبحثوا ويتبين الحق من الباطل .

وهذا شأن كل من يتولى بين الناس أمر الفصال ، لا بد أن يسمع من الجانبين ، ثم يتأمل الجواب بعد تأمل الدعوَى والمقال، فيرجع حينئذ ما قواه الدليل والبرهان ، ويلغي ما ظهر ـ بالنظر الصحيح ـ تلاشيه وبان .

وها هي النازلة والدعوَى وجوابها بيد ناقد بصير، فليبالغ في التأمل والتحرير .

ملحق خامس

مقيدة عن دراسة العلوم الرياضية والفلكية بمكناس خلال القرن 19

عرض الكتاب بين ملامح يقظة المغرب الحديث موضوع دراسة العلوم الرياضية والفلكية عبر تسع مدن ، وبعد نشره ـ في الطبعة الأولى ـ ظهرت إضافات جديدة عن نشاط هذا الاتجاه في مدينة مكناس ، والمعني بالأمر مقيدة دونها أحد الذين أفادوا من هذه المبادرة : محمد العلمي بن أحمد بن رحال البخاري .

ولحسن الحظ فإن المؤلف يسجل معلومات عن حياته لما يعرض اسمه بين الأسماء الواردة بالمقيدة ، وبالضبط عند الترجمة التي تحمل رقم 40 ، فيشير إلى نسبه وأساتذته الذين درس عليهم ، وبعدد وظائفه بالبلاط الحسني ثم العزيزي ، كما يذكر اشتغاله بتدريس بعض فروع الرياضيات والفلك بمكناس وغيرها ، مع لائحة بأسماء الآخذين عنه، فضلاً عن ارتسامات أخرى عن نشاطات حتى فترة تحرير المقيدة التي نقدم لها، حيث يبدو أن تاريخ تأليفها كان عام 1341هـ أو بعده بقليل .

وخلال هذا التاريخ وقبله انطلاقاً من بدء فترة الحماية : يقع الاستغناء عن معظم الإطارات المخزنية القديمة ، فينزوي المترجم ، ويشتغل بخطة العدالة ـ مع قاضي أحواز مكناس ـ في دكان بحي بريمة : مضيفاً لذلك ـ أحياناً ـ إلقاء دروس في الحساب والفلك بمسجد عودة وغيره ، إلى أن أدركته وفاته ـ بنفس المدينة ـ عام 1937/1356.

* * *

والآن نشير إلى أن هذه المقيدة كتبها برسم ابن زيدان : مؤرخ مكناس الرائد ، حسب إشارة من المترجم لما يذكر اسمه عند رقم 40 .

وقد جاءت صياغتها ضعيفة تعبيراً وإعراباً وهلهلة في التراكيب ، غير ان مضمونها يوثقه اعتمادها من جهة ابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » ، فهو يفيد منها ـ دون أن يشير لها ـ عند ترجمته للأسماء الواردة بالمقيدة ارقام 5 ، 12 ، 38[1] وسواها ، كما اعتمدها في أخبار «بعثة طرفاية »[2] ، ثم حلاّ المؤلف ـ مرتين ـ « بالعدل الرضي »[3] ، ومن هنا يمكن الاطمئنان ـ الى حد ـ إلى أخبار هذا التقييد .

وهو يتناول ـ أصالة ـ ذكر طلبة الجيش البخاري ـ بمكناس ـ المرشحين لدراسة العلوم الرياضية والفلكية بمبادرة من أربعة سلاطين علويين : المولى عبد الرحمن بن هشام ، ومحمد الرابع ، والحسن الأول ، والعزيز ، فيبرز أسماءهم ، والأساتيذ الذين درسوا عليهم ، ووظائفهم ، ودرجة ثقافتهم ، وأحياناً تلاميذهم .

وإلى هذا : يستطرد المؤلف إفادات جديدة عن الثقافة الرياضية والفلكية لعدد من الشخصيات : السلطان محمد الرابع ، والقائد الجيلاني بن حم البخاري ، وعبد الله بن احماد ، ومولاي احمد الصويري ، وغيرهم .

وأيضاً : يفصل الحديث عن بعثة طرفاية ، حيث كان أحد أعضائها ، وكذلك تفاصيل الأشغال الكثيرة لحنطة أفْرَاكْ ، ولما كان هذا الموضوع الأخير وسابقه يبتعدان عن ملامح يقظة المغرب الحديث : لم أثبتها ، واقتطعتها من المقيدة التي نمهد لعرضها ، ثم نشرت القسم الموضوعي منها .

---

(1) قارن مع « إتحاف أعلام الناس » 4/313-314 .
. 388/4
. 355/5

(2) « المصدر » 380/1 وما بعدها .

(3) « المصدر » 392/1, 465 .

وقد جاء كتاريخ لنشاط العلوم الرياضية والفلكية بين اوساط نخبة البواخر في مكناس خلال القرن 19 ، حيث كانت هذه الطبقة تتوزع السكنى في مناطق معينة من هذه المدينة ، وخصوصاً في أحياء الزيتون ، والحصيني ، وروى مزين ، كما يتميزون في شاراتهم وعاداتهم ونخوتهم ، قبل أن يندوج أبناؤهم مع عامة السكان في العصر الحاضر .

* * *

إن هذه المقيدة أصلها بخط مؤلفها ، وتشتمل على 48 ص ضمن دفتر ـ مستطيل قليل العرض ـ كان في خزانة الأستاذ المرحوم إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني بفاس ، وعن هذا الأصل استخرجت مصورة منه على الورق ، غير ان أماكن قليلة منها جاء تصويرها غير واضح ، مما جعل مواضع قليلة من هذه المستخرجة يتخللها بياض يسير ، وقد طال انتظاري للفرصة المواتية للوقوف ـ مرة أخرى ـ على نسخة المؤلف دون جدوى ، ولما كانت البياضات يسيرة ولا تؤثر في مساق المضمون : بادرت ـ الآن ـ إلى نشر القسم الموضوعي من المقيدة ، بعد مقارنته بالمصورة والتعليق عليه ، ليكون ذيلاً متمماً لنشاط الدراسات الرياضية بمكناس خلال القرن 19 ، حسب ص 138 ، 139 ، 140 من هذا الجزء الذي نذيل عليه بهذا الملحق .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان أسماء بعض طلبة الجيش السعيد البخاري الذين كان انتخبهم المقدس مولانا عبد الرحمن لتعليمهم علم الحساب وعلم الوقت ، بقصد الإعانة له على الأوقات المفروضة وغيرها من أوقات العبادات الليلية والنهارية الخ(*) .

وما انتخب ـ أيضاً ـ ولده بعده : المولى سيدي محمد المقدّس .

وكذا ما انتخبه ـ أيضاً ـ ولده : المولى سيدنا ومولانا الحسن قدس سره . وكذا ما انتخبه منهم ـ بعده ـ سيدنا ومولانا عبد العزيز الخ .

(*) هذه الإشارة هنا وفي مواضع أخرى : اختصار لكلمة « إلى آخره » .

فجلهم أبناء أكابر هذا الجيش المبارك ، وجلهم أساتيذ ، وبعضهم له الحظ في علم العربية والفقه .

فمنهم من كان ملازم الخدمة الشريفة سفراً وحضراً .

ومنهم من كان بها حضراً فقط كالأمناء والعلافين بالأرحى الخ .

ومنهم من تعلموا الحساب فقط .

ومن تعلم التوقيت هم الذين يسافرون صحبة الركاب الشريف ، بقصد ما ذكر أعلاه من مهمات أمور الدين . . .

وأعيانهم يعرفون علم التعادل (كذا) بالأزياج[4] لحركة الكواكب السبعة[5] السيارة في البروج ، وما يعرض لها عند حركتها بذاتها : استقامة ، أو رجوعاً في الخمسة المتحيرة للخنوس والكنوس[6] ، والنيرين : لهما الخسوف والكسوف ، وما ينشأ عنها من الأحكام النجمية ، وعلم الزيارجة[7] وأحكامها ، ويلحق ذلك علم الأشكال الرملية[8] ، والكل يسمى نصبة فلكية[9] ، وهم الماهرون في التوقيت وعلم الأرصاد بالآلات المعروفات عنهم (كذا) ، وهم الحيسوبيون الخ .

---

(4) الأزياج جمع زيج ، وهو إسم للجداول الموضوعة لتعديل الكواكب ، فينقسم كل جدول ـ طولاً وعرضاً ـ إلى مربعات يرسم بداخلها الأعداد المعنية بالأمر ، ووظيفة هذه الجداول أن تستخرج ـ بواسطتها ـ الحركات الطولية والعرضية للكوكب المرصود ، حتى يعرف موضعه في دائرة فلك البروج لأي وقت فرض ، كما يعرف منها زمن حصول الكسوف للشمس والخسوف للقمر وما إلى ذلك .

(5) الكواكب السبعة هي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .

(6) الخمسة المتحيرة هي عطارد والكواكب المذكورة بعده وشيكا ، والكواكب ـ على العموم ـ تارة يكون سيرها مستقيمًا : من المشرق الى المغرب ، وهو واقع الشمس والقمر : « النيرين الأعظمين » .

والخمس المتحيرة يختلف سيرها : سرعة وبطأ وتوسطاً ، فتسير تارة مستقيمة ، وتارة راجعة إلى الوراء بعد وقفة قصيرة تسمى « الكُنُس » ، أما الخنس فهو حركة هذه الكواكب عند رجوعها إلى الوراء .

(7) يرجع في التعريف بهذا العلم إلى كشف الظنون نشر مكتبة المثنى ببغداد : ع 948 -949 .

(8) يرجع في التعريف بهذا العلم الى المصدر الأخير : ع 912 .

(9) من مقدمات علم الأحكام النجومية .

وأما أصحاب علم الحساب أجلهم وأفضلهم من يحسن علم الفرائض ، والماهرون منهم أعني الحيسوبيون (كذا) هم الذين يعرفون علم الهندسة وأشكالها ، ودوائرها وخطوطها المتصلة كالمربعات والمثلثات، والمساحات والأرصاد والمقادر وعلم المسطرة وغيرها .

والمنفصلة كالأعداد المبسوطة والمركبة ، ومنه تسيطر صفائح سطرلاب والربع المجيب والمقنطر ، وتسيطر الرخامات المبسوطات والمنكوسات الخ .

وهذا القسم اشتركا (كذا) فيه الماهرون في علم الميقات والماهرون في علم الحساب .

وفريق من أصحاب الحساب يعرفون علم تمبيجيت ، وهو علم ا رتفاع المهاريز والمدافع للرمي ، وعلم الرياسة البحرية وسير مراكبها ، وهذا الفريق شارك رصاد الكواكب الثابتة للاهتداء بها ليلاً ، وقل منهم من اجتمعت فيه معرفة ما ذكر أعلاه . . .

* * *

وسبب ما ذكر يمته هو أن المولى عبد الرحمن كان تخالف مع جيش الوداية وما صدر له منهم . . .[10]

إذ ذاك بسط لهم اليد في أمور المخزنية ، وجعل منهم الخناطي الداخلين والخارجين ، وأسكنهم بإزاء الدار العالية من فاس العليا ، ولما شقوا العصا وأخرجهم منها ، أسكن بها مكانهم قبيلة شراكة وأولاد جامع ، ونهض ركابه الشريف لمكناس .

ولما أقام بها أمر وصيفه الباشا القايد محمد بن العواد البخاري الخلطي البوجنوبي[11]

---

(10) عن واقعة الودايا يرجع الى الاستقصا نشر دار الكتاب باليضاء سنة 1956 : 9/32-41 .

وللشيخ عبد الكبير بن المجلوب الفاسي الفهري تقييد في شرح هذه الواقعة ألفه في شكل مقامه ، وسماه « إعراب الترجمان عن قضية الأوداية مع مولانا عبد الرحمن » ، منه نسخة ـ بخط مؤلفه ـ في الخزانة الملكية : قسم المجموعة الزيدانية رقم 3305 .

(11) هو ابن العواد الكبير : القائد ، الطالب : محمد بن عبد الله ، ثم كان باشا بمكناس أيام نفس العاهل : القائد الجيلاني إبن العواد ، ويوجد بنفس المدينة زنقة تحمل إسم « درب ابن العواد » أسفل حي الكدية قريباً من سوق الدقاقين وسوق الجزارين .

أن ينتخب من الجيش السعيد عشرة من الطلبة أولاد أعيانهم ، يقرأون علم الحساب وعلم الوقت للمهمات وأمور الدين ، وإعانة لأمير المؤمنين : بمقابلتهم الأوقات النهارية بالأعمال المعروفة ، والليلية بإعلامه بأوقاتها المعينة ، والأحزاب القرآنية .

ولما مثلوا بين يديه عين لتعليمهم الفقيه البركة العلامة البحر الزاخر ، المشارك الماهر : سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد فتحا بصري المكناسي[12] ، وكانت له معرفة بثمانية عشر علمًا كان يدرس جلها ، عدا ما لا يمكن إلا للخواص من الطالبين ، نفع الله المسلمين بعلومه وأسراره رحمه الله آمين ، وأمر لهم بالكسوة والصلة ، ونهض ـ بالسلامة ـ قاصداً ما هو بصدده من أمور المسلمين .

ولما رجع ـ بالسلامة ـ وجد أربعة من العشرة نجبوا في علم الحساب والتوقيت ، والباقون في علم الحساب فقط ، فأمر مولانا باشاه المذكور أن يجعلهم علافين في الأرحي[13] الستة المعلومة : الذين هم[1]- رحى عبيد الزنقة ،[2]- ورحى الجوارم ، [3]-ورحى سعادة ، [4]-ورحى سعود ، [5]-ورحى الزمراني ، وزاد سيدنا[6]- رحى تافللت ، فجعل كل واحد منهم على رحى الخ .

والأربعة النجباء صحبهم ـ سيدنا معه ـ بقصد الخدمة الشريفة كما ذكر ، وهم .

1 ـ الفقيه الوجيه ، الأستاذ السيد بوسلهام بن سي علي بن المؤذن الخلطي البوجنوني[14] ، وهو أنجبهم ، وكان يحسن قراءة السبع ، قرأ على الفقيه الأستاذ البركة السيد محمد بن الخليفي ، كان يدور بمكتب حمام الجديد ، ونفع الله (كذا) ، ولما قرأ زوجه شيخه ابنته ، فأتى منها بولده السيد محمد الآتي ذكره أمام[15] ، وكان مولانا يأمره أن

---

(12) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 5/287-288 .

(13) جمع رحى : فرقة من الجيش تشتمل على ألف جندي بين فارس وراجل .

(14) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 2/76-77 .

(15) عند الترجمة رقم ٢٢ .

يقرأ أمامه قراءة السبع في وقت معين مدة من الزمان ، وعند ختم كل سلكَةَ يجعل له الختام ، ويحتفل له بأنواع المأكولات والمشروبات ، ويحضر به أعيان دار المخزن : من وزراء وحجاب وأمناء وكتاب وغيرهم الخ ، بعد مواساته وإكرامه له ، ولا زال عند مولانا في مكانة إلى أن مرض بفاس ، وطلب أن يقدم لداره بمكناس ، وبقي ملازماً الفراش إلى أن توفي عام خمسة وستين بعد المائتين والألف .

2 ـ وثاني النجباء الأبيع : الفقيه البركة العلاف : السيد محمد ضما بن عب البخاري[16] ، كان رحمه الله في غاية ما يكون فيما ذكر عنهم ، وقد اشتهر بالكرم عند الخاص والعام ، حتى إن دخل بيديه ما يساوي جرمه وزناً ذهباً لأنفقه في سبيل الله حالاً ولا يبالي ، وكان كثيراً ما يتعاهد مكاتب المذررين لإدخال السرور على الصبيان بإكرام مؤدبهم، وهذا حاله: التعرض للنفحات الدنياوية والأخروية بالسعي على قدميه مع كبر سنه ، لأنه عمر ، ولما كان تقاعد على الخدمة الشريفة لما ذكر من عدم القوة ، جعل علافاً بأحد الأراحي الستة المذكورين ، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ بمكناس في أيام مولانا الحسن الخ .

3 ـ وثالثهم : الفقيه الأديب الحسيب الحيي : السيد محمد ضما بناصر النسب ، يعرف بمولى الدور ، بلغ الغاية في الخدمة والنباهة ، ولا سيما فيما ذكر عنهم ، ولما تقاعد عن الخدمة كان علافاً كبيراً برحى الجوارم المعروفة ، وكان ذو (كذا) همة عالية وسمت حسن ، ولا يمر بداخل المدينة إلا راكباً على بغلة السريجة المعتبرة ، وكان هذا حاله في جميع الأوقات ، ولا يرى ـ غالباً ـ إلا بعد مرات ، توفي ـ رحمه الله ـ بمكناس في أيام المولى الحسن الخ .

4 ـ ورابعهم : الطالب الأجل ، المبجل الأمثل : السيد الطاهر بن القائد محمد

---

(16) يستعرض الحاج العربي المشرفي قواد الجيش أيام س محمد 4 إلى أن يقول : « ومنهم ـ أيضاً ـ الذين يقبضون مؤونات الجيش كل يوم . . . الفقيهان : السيد ابن عب ، والسيد صالح » ، حسب « الحسام المشرفي » خ ، ع ، ك 2276 : ورقة 148 .

الرغاي النسب ، وكانت له ثلاث رتب : علافا ، مع التوقيت ، والأذان لأنه كان له صوت حسن ، وسمت مستحسن ، في غاية ما يكون من اللطافة والصولة ، توفي رحمه الله .

وقد كانوا في غاية ما يكون من القيام في أعمالهم ، ومقابلة أوقاتهم الدينية حضراً وسفراً الخ ، وكان المولى عبد الرحمن معتنياً بهم ، مموهاً بقدرهم ، بالغ في الإحسان اليهم كما ينبغي لأمثالهم ، وعين لهم بنيقة ـ جيدة ـ بالدار العالية ، وأطبق حيطانها بالملف ، وخامية لبابها معلقة بأخراص من فضة ، وجعل لهم فيها فروش (كذا) وزرابي وغطاء ، وحسكة ومنار وسامرة بالزيت ، وطبلة وقمقوم نحاس وصطلة للوضوء ، ومجانات معلقة بداخلها ، ومجانات الطوق الرافعات (كذا) ، وأعطاهم جميع ما يحتاجون اليه من آلات التوقيت المعروفة عند أربابه ، والكساوي الفاخرات (كذا) ، والسروج الجيدة ، والخيول المسمومة ، والمعينة من الأروى السعيد : يركبونها في السفر ، ووقت نزولهم ترد لمرابطها ، وعين لهم الطعام من الكشينة السعيدة : من جميع مأكله من الكشينة البرانية ، وكذا يوجه لهم (كذا) كشينة العيال بعض ما يأكله منه ، وكذا الشمع والسكر والأتاي ومواعنه : من المجمر والنقرج (كذا) وغير ذلك ، وعين لهم من يقابلهم فيما ذكر ومما يحتاجون إليه : من حنطة الفرايجة : أصحاباً لهم ، وفي السفر تضرب لهم قبة جيدة بإزاء الأفراج السعيد : يحملها كبير الأفراك بما فيها مما ذكر الخ ، وهكذا ينبغي للملوك القائمين بالدين وحقوق العباد ، عاملهم الله بفضله ، وفي هذه المبالغة زيادة نكال ونكاية لمن لم يشكر النعم ، والله عزيز ذو انتقام ، وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمة وأصلح الآية .

5 ـ ثم الطالب المبجل ، الناسك الأفضل ، التالي كتاب الله عز وجل: السيد المعطي بن العناية النسب ، الغرباوي السفياني المعتكي أولاد علال[17] ، كان يحفظ رواية ابن كثير ويحسنها ، وكان ـ إذ ذاك ـ في حنطة الفراش السعيدة ، وهيوالتوقيت خطة واحدة ، وكان وقع بينه وبين كبيرها مناوشة ، فتشكى على سيدنا وطلب منه أن يجعله من

---

(17) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 4/313-314 .

جملة الموقتين ، فقال له ـ رحمه الله ـ ألك معرفة بعلم الوقت والحساب ؟ فقال نعم سيدي : أتقنهما غاية الإتقان ، فأمر مولانا بامتحانه لدى الفقيه الماهر ، العلامة النحرير ، موقت القراويين الحبابي الفاسي[18] ، فوجده كما ينبغي ، فأخبر سيدنا بأنه يعرف ما ذكر معرفة تامة ، ويحسن طرقه ومواده ، فأنعم عليه سيدنا بالكسوة ، وأعطاه مجانة الطوق من ذهب ، ولم تتقدم لمن قبله .

وهذا كان قبل الأربعة النجباء المذكورين ، وحسنت خدمته ، وكان عند سيدنا في مكانة ورفعة إلخ ، ولما وقعت المكيدة المعلومة بكُبكَب مع الوداية وعظم الأمر : إختفى سيدنا وفر بنفسه مع ثلاثة نفر وهو رابعهم ، وفي هذه الحالة وهو يعلمه بالأوقات والساعات إلى أن وصل للغرب الأيسر ، فنزل عند خادمه الأفلح ابن يش ، واجتمعت عليه تلك القبائل : سفيان وبني مالك وطليكْ والخلط ، إلى أن لحقوا (كذا) به مسخرو جيشه الأسعد بجميعهم ، وقدم مع الجميع وتوجه لفاس ، وأوقع بهم أعني الوداية ، وأخرجهم من فاس الجديد عن آخرهم للبادية ، وأسكن بها قبيلة شراكة إلى هذا العهد ، كما تقدم في السبب الموجب لانتخاب من ذكر من الطلبة بعد الانتقام من الظلمة ، ولا زال بالخدمة الشريفة إلى أن وجهه مؤدباً للشريفات بنات سيدنا للعرائش .

6 ـ وبعد ما تقاعد على الخدمة نفع الله به عدد (كذا) كثير من طالبي هذا الفن : فمنهم الفقيه البركة الخير الناسك ، الأمين الكبير بالاعتاب السعيدة : السيد بوعزة بن العربي يعرف بالفشر النسب[19] ، وكان تقدمت له الخدمة بحنطة الفراش السعيد ، وكان ملازم (كذا) لصلاة الخمس مع سيدنا ، والحزب مع الموقت ، فلما رأى مولانا ملازمته

---

(18) القصد إلى الحاج محمد بن الطاهر الحبابي ، المترجم في « سلوة الأنفاس » 360/2 .

(19) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 79-77/2 ، وقرأت بخط ولده عبد السلام آتي الذكر : « توفي والدنا رحمه الله . . . سيدي بوعزة ، بن المرحوم المنعم : القائد العربي ، بن المرحوم المقدس بالله : سيدي بوعزة السفياني : يوم السبت 11 حجة عام 1300 ، ودفن بالزاوية الدرقاوية التي كانت ـ في القديم ـ بجامع الأقواس بابن العراصي المجاورة لداره ، رحم الله الجميع . . . » .

كلف به من يقرأ معه الحساب : وهو الفقيه البركة السيد محمد بن عب المتقدم الذكر، ولما نجب جعله سيدنا علافاً بالأعتاب الشريفة هنا بمكناس ، إلى أن أمر أمره رحمه الله .

7 ـ وقرأ أيضاً مع الفقيه العدل البركة الأفضل : السيد صالح النسب الحلموني[20] ، وكان تقدمت له الخدمة بالحنطة ، وهو عدل ببريمة[21] ، وكان آخر عمره ملازم مجلس العلامة السيد المفضل السوسي بين العشائين ، ومهما سمع اسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا قال : الله ، وارتفع من محله وسقط على الأرض مغشياً عليه ، وظهر ذلك بعده في أحد أولاده الاربعة الذكور ، وبنتيه : إحداهما كانت تحفظ قراءة البصري ، والثانية تحفظ ورش[22] ، وتوفي رحمه الله .

8 ـ وقرأ عليه ـ أيضاً ـ الطالب الخير الأمثل : السيد العناية بن صالح الحلموني النسب ، البركة الخير ، كان مقدماً بالمقام السعيد : بضريح مولانا إسماعيل رضي الله عنه ، إلى أن توفي رحمه الله .

9 ـ وقرأ عليه ـ أيضاً ـ العلاف الطالب الأجل سيدي قاسم النيار ، الملازم تلاوة القرآن العظيم في جميع أوقاته ، وكان مقدم (كذا) بمقام ولي الله تعالى المشهور البركة : سيدي عمرو الحصيني نفع الله به ، وبضريح مولانا إسماعيل ـ أيضاً ـ إلى هذا العهد ، وتوفي رحمه الله .

وقرأ مع عدد كثير من الطلبة غير المذكورين ، توفي ـ رحمه الله ـ في ربيع الثاني عام ستة وسبعين ـ بموحدة ـ ومائتان (كذا) وألف ، ودفن بروضة سيدي أحمد الضاوي بسوق الغزل ببريمة .

* * *

وقد أمر مولانا أعزه الله باشا مكناس أن ينتخب له ـ أيضاً ـ عدد (كذا) آخر من

---

(20) ترجمة في « إتحاف أعلام الناس » 387/4.

(21) سيذكر المؤلف عند الترجمة رقم 40 : أن هذه الناحية هي المعهودة لجلوس العدول من البواخر .

(22) إحدى البنتين تسمى « فضيلة » ، وكانت بقيد الحياة عام 1307 هـ .

أعيان جيشه السعيد ، فمنهم من وجههم لفاس وتطوان والعرائش وغيرهم ، فنجب منهم عدد في الحساب والتوقيت والتعديل ، وطلعوا للخدمة الشريفة صحبة الركاب السعيد .

10 ـ وهم الفقيه الأجل ، المبجل الأفضل : السيد محمد ، بن المنعم البركة الأستاذ المنرر المتقدم الذكر : السيد محمد ابن الخليفي ، ولازم الخدمة إلى هذا العهد ، وكان علافاً لمسخري البخاري ، وكان كبير الموقتين ، توفي بمكناس رحمه الله .

11 ـ والطالب البركة الأمثل : السيد محمد يدعي شَطْر النسب المالكي[23] ، قرأ علم الحساب والتوقيت : بعمل الربع وبعمل الحساب ، وروضة الأزهار ، والتعديل ، وكان يحفظ قراءة البصري ، توفي رحمه الله ، قرأ على الفقيه السيد التهامي الزرهوني بالعرائش ، وقرأ أيضاً ـ بذكره ـ على السيد عبد الخالق الأودي وعلى بريط النسب بثغرَ طَنجة .

12 ـ ثم الفقيه الجهبود الماهر ، السيد صالح بن يوسف النسب[24] ، كان قرأ مع المذكورين أعلاه ، مع شطر المذكور قبله ، وكان يحفظ قراءة العشرين : الكبير والصغير ، ويحسنها ، ولما تقاعد على الخدمة كان علافاً بأحد الأرحى الستة ، ونفع الله به .

13 ـ ومن جملة من قرأ عليه السبع والعشرين : الفقيه الحسيب ، الناسك المبجل الأفضل ، المنرر العدل : السيد علال يدعى أبا علال ، بن السيد صالح العدل الحلموني[25] المتقدم الذكر ، كان منرراً ، نفع الله به ـ أيضاً ـ عدد كثير (كذا) من أولاد المسلمين ، قرأ عليه عدد من الأساتيذ وغيرهم مع صغر سنه ، حتى كان تضرب به الامثال ، وتَرد عليه الوفود من الجبال بقصد القراءة عليه ، . . . رحمة الله علينا وعليه .

---

(23) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي : عند الترجمة رقم 38 .

(24) ترجمته في « إتحاف اعلام الناس » 388/4 .

(25) ترجمته في « نفس المصدر » 5/480-481.

وأخويه (كذا) اللذين هما أكبر منه : كبيرهم الطالب الأستاذ العدل السيد العربي ابن صالح[26] ، رجل من أهل الخير والكرم ، ومحباً (كذا) لآل البيت وحمله القرآن العظيم ، ولعباد الله الصالحين ، كان قوي الطبع ، درب اللسان ، مهذار كلام (كذا) ، حتى لا يسوغ للحاضرين أمامه كلام ، وكثيراً ما يتفاخر بالثناء على هذا الجيش السعيد ، وذكر قوتهم وبسالتهم وكرمهم وحيائهم ومحاسنهم وأعيانهم وخدمتهم على قدر محبتهم الخ .

وكانت (كذا) غبطة ومحبة في الشيخ الكامل مولاي محمد بنعيسى رضي الله عنه ، وكان يلهج بها في جميع المحافل ، وكان مقدماً على الطلباء ، ويلزمهم الحزب بالمقام السعيد بعد صلاة العصر ، ويجعل لهم في بعض الليالي الإكرام بالضريح المبارك ، ولا سيما في الليالي المعتبرات ، وكان يلزم بعض أعيان المدينة بالطعام والطيب والشموع : الذين فيهم محبة أهل الله ، ومن تأخر صاكّ له بخيله ورجاله حتى يودي ما وظف عليه ، وكان يسمى عند الطلباء بالباشا .

ومن محاسنه أنه كان يجعل للطلباء (لگّمَ وقرّد) في الليالي العظام ، بمقام الشيخ الهمام : أعني ماعوناً كبيراً من الطوس مملوء (كذا) بالطوبة ، ويجعل فيه ما ينيف على الثلاثة أرطال من السمن المذاب ، وما يزيد على الأربعة أرطال من غبرة السكار ، ولا يبقى أحد من تلك الجموع إلا أكل منها وهم أكثر من المائة .

وإن كانت عنده وليمة أو عقيقة أفرط في أنواع الأطعمة ، ويختم بالمذكورة ، وذلك دليل على خيارته وحسن نيته ، وإن رأى بمجلس حلوة مصنوعة أو عسل (كذا) خرج عن حاله ، وهو الذي خلف والده المرحوم فيما أخبر عنه آنفاً : من كونه إن كان بمجلس من مجالس العلم والأفاضل ، وسمع حديثاً أو معجزة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاح وخر مغشياً عليه .

---

(26) كان بين معلمي الأميرات في قصر المدرسة بمكناس ، حسب « العز والصولة . . . » 79/1 .

وكان تقدمت له خدمة بالحنطة السعيدة ، ولم تتقدم له معرفة في الفن ، وتقاعد ملازماً للشهادة ، كان طالباً ذلك من مولانا الخ .

14 ـ وأخوه المذرر الأستاذ العدل ، الحيي الخير الأمثل : السيد الحاج المحجوب ، كان خيراً ذاكراً ذو مروة وأخلاق حسنة ، توفي ـ رحمه الله ـ قبل السيد العربي أخاه (كذا) ، وكانوا يدعون النسب ، كأولاد بوجنون المتقدمين الذكر .

15 ـ هذا ومن جملة المنتخبين من الطبقة الثالثة من هذا الجيش المبارك السعيد : الطالب الأمجد السيد المجذوب بن القائد العناية النسب[27] ، كان جدياً ، قوي النفس ، حسن السمت ، كان يحسن الحساب والتوقيت ، كان والده كبير مسخري البخاري ، ولما تقاعد عن الخدمة كان علافاً بالأرحى المعلومة ، وكاتباً مع صهره الباشا القائد حم بن الجيلاني ، توفي رحمه الله بمكناس .

16 ـ وأخوه : الأستاذ سي عبد السلام : حاد قافي علم الحساب .

17 ـ وثانيهم الطالب الأجل ، الأستاذ السيد العربي بن السيد بو عزة الفشر ، وتمادى على الخدمة إلى آخر أيام المولى الحسن ، توفي رحمه الله بمكناس .

18 ـ وباقي الطلبة المنتخبين لما ذكر : جلهم قرأوا علم الحساب ونجبوا فيه فقط ، وجلسوا بمكناس : فمنهم من كان يذرر : كالطالب النبيه السيد المحجوب بن عبد الرحمن النسب ، كان حيسوبياً صرفاً ، وكان يحسن رواية البصري ، وكان إماماً ومذرراً بمسجد روي مزيل قرب سيدي علي منون نفع الله به .

19 ـ وكذا الطالب الأديب ، الحيسوبي : السيد محمد بن رابح النسب .

20 ـ وكذا الطالب البركة النجيب في فن الحساب : السيد محمد بن عمرو النسب الفلالي ، كان علافاً برحى تافللت .

---

(27) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي : عند الترجمة رقم 38 .

21 ـ وكذا الطالب الخير الأمثل ، البركة : السيد محمد بن يش النسب ، كان عدلاً ببريمة ، وكان لا يفارق السيد بناصر المتقدم الذكر في الأربعة النجباء : بقصد العمل والمذاكرة معه .

وعدد كثير منهم لم نجد و (كذا) من يخبرنا بهم ، رحم الله الجميع .

* * *

ولما توفي المولى عبد الرحمن قدس الله سره ، وتولى الإمارة بعده خليفته وولده الأسعد الأرشد : سيدي محمد . . . ضابطاً بلغ الغاية في علم الحساب وما يتفرع منه من علم الأرصاد وأحوال الفلك ، ويحسن علم الهندسة والهيئة والتعادل بالأزياج لحركة الكواكب ، وعلم الميقات والنصبة الفلكية ، والأحكام النجمية .

قرأ ـ رحمه الله ـ على عدد من أكابر علماء هذه الفنون : منهم الداهية الأكبر الطالب : القائد الجيلالي بن حم البخاري[28] ، كان ماهراً فيما ذكر عدا علم الهندسة : يعرف منه ما يحتاج إليه ، وكذا له معرفة تامة بالأوفاق وأسرار الحروف والأعداد ، كان كبير المشور السعيد وقته ، ولما كبر سنه تولى باشا بفاس الادريسية مدة ، ثم ولي ـ أيضاً ـ باشا بثغر طنجة ، إلى أن توفي ـ بها ـ رحمه الله ، وتولى مكانه ـ بفاس ـ الفقيه الماهر الأمثل ، النبيه : السيد عبد الله بن أحمد .

وكذا سيدنا المولى سيدي محمد بن عبد الرحمن : أخذ عن الطالب الأفضل ، الماهر في علم الفلك :

السيد الحاج عبد السلام يدعي الفلكي[29] : كان بالخدمة السعيدة إلى أن توفي رحمه الله .

---

(28) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 2/110-111 .

(29) انظر عنه « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : الطبعة الأولى 1/168-169 .

وكذا أخذ علم الهندسة والهيئة وتمبنجيت : عن الماهر سي عبد الله العلج ، أو سي عبد الرحمن العلج[30] الخ .

وكان يقرأ معه وصيفه الفقيه السيد عبد الله بن أحماد النسب ، وأخوه الفقيه سي موسى : نشأوا معه ولازموه إلى أن توفي قدس الله سره ، وسي عبد الله هذا لازم معه قراءة ما ذكر من هذه العلوم ، حتى حاز منها الحظ الوافر ، وكان من أمرهما ما هو مسطر لكل منهما صدر هذا المقيد الخ .

وقد ألف تأليفاً في علم المسطرة لم يأت أحد بمثله[31] .

ولما تمهد ملكه،وحسنت سيرته وسياسته: أمر على عدد نحو الأربعين من جيشه السعيد ، وغيره من سكان فاس العليا والمنشية بمراكش والصويرة وأسفي والجديدة ومولاي أبي شعيب أزمور و. . .وأصيلا والرباط وسلا وغيرهم،وعين لهم العالمين بهذه الفنون بفاس ، بعد ما أعطوا الكساوي والصلات والمؤونة المياومة،فمن نجب منهم في الحساب والتوقيت طلع للخدمة مع الموقتون (كذا) ، ومن علم الحساب طلع لخدمة طلبة الهندسة صحبة الركاب الشريف الخ .

22 ـ فمن جملتهم الطالب الماهر المتقدم الذكر : السيد محمد ، بن بو سلهام الخلطي[32] الأستاذ المذكور صدرا للطلبة النجباء الأربع المنتخبين أولاً .

قرأ القرآن العظيم ورواية سما : على خاله الفقيه البركة السيد محمد بن الخليفي المذكور كبير الموقتين ، كان تأخر عن الخدمة لما وقع بينه وبين الفقيه شطر المتقدم ، ورجع ـ أيضاً ـ للخدمة بعد وفاة مولانا عبد الرحمن قدس الله سره .

---

(30) الواقع أن اسمه عبد الرحمن ، انظر عنه « المصدر الأخير » 1/105 ,167 .

(31) عن هذا التأليف ونشاط مؤلفه في بعث دراسة الرياضيات والفلك بمغرب ق 19 : يرجع إلى « نفس المصدر » 1/145-150, 164-165.

(32) أنظر عنه « المصدر ذاته » 1/99-100 ، وهناك ست وثائق تتصل بمهماته التوظيفية ، وهي الواردة نصوصها بملحقات هذه المقيدة عند الأرقام 1-6 .

وقرأ من علم الهندسة ست مقالات من قلدس المعروف ، وكان يحسنها غاية ، ويتقن علم الحساب بمنية الإمام ابن غازي ـ رحمه الله ـ على الشريف الأجل ، العالم الماهر : مولاي ادريس البلغيثي الفاسي[33] ، وكذا علم الميقات والتعديل على أربابه .

وطلع للخدمة الشريفة ولا زال ملازماً للخدمة إلى أن تقاعد عن الخدمة في هذا العهد أيام المولى يوسف لما كبر سنه ، ولا زال قيد الحياة إلى الآن ، أطال الله عمره .

وفي أيام المولى الحسن كان عنده في مكانة ، لأجل خدمته وضبطه وتحقيقه للأمور ، ولصدقه وجده ، وكان يوجهه للمراحل التي ينزل بها سيدنا عند سفره وانتقاله في جميع أقطار المغرب من إيالته السعيدة : من سوس إلى وجدة إلى سجل ماسة وإلى وادي نون .

وأمره أن يجعل له كناشاً يجمع فيه تلك المراحل بسوائعها ودقائقها ومقامه بها وما وقع فيها من الأمور المهمات وعدد الحركات : كل واحدة بتاريخ العربي والعجمي كما هو مبين صدر هذا المقيد عنه مشافهة من كناشة ، لأنه كان جعل نسختين : إحداهما دفعها لمولانا المقدس ، والأخرى بقيت تحت يده إلى هذا العهد الذي نقلت فيه .

ومن نجابته أنه كان وجهه سيدنا لثغر العرائش وأمر باشاها سي التهامي بن (بياض) .

أن ينتخب له عدداً من الطلبة من أبناء أعيانها ، لأنها كانت في القديم دار سكنى هذا الجيش السعيد ادالة ، ولا زالوا (كذا) أحفادهم يعرفون إلى الآن ، فعين له عدد كثير ، وقرأ معهم علم الحساب والميقات إلى أن نجبوا في مدة قريبة .

ثم أيضاً رشحه المولى عبد العزيز لتعليم جيش قصبة المنشية من مراكش ، فاجتهد في تعليمهم ما ذكر إلى أن نجبوا وامتحنوا بأبي الخصيصات بالدار العالية ، بمحضر الفقيه

---

(33) « المصدر ذاته » 105/1 .

العالم السيد الاخصاصي[34] ، كان يحسن علم ما ذكر ، وكان قاضياً بمدينة تازة ، ثم صار من أعيان الكتاب ، ويحضر سي المصطفى بن موسى وكاتبه الآتي ذكرهما بعد ، فنجبوا بعدما أنعم عليهم مولانا بالمونة ، وبعد الامتحان خرجت لهم الكسوة ، وطلع البعض منهم للخدمة بالحنطة السعيدة ، وحاصله نفع الله على يده أناساً سفراً وحضراً ، ولا زال ينتفع منه إلى الآن ، جزاه الله بالإحسان .

23 ـ وكذا الطالب الأجل السيد ادريس بن القائد محمد الفيضي النسب الفلالي[35] ، كان حاذقاً فيما ذكر .

24 ـ وكذا الطالب اللبيب السيد العباس الرغاي .

25 ـ وكذا الطالب الخير الذاكر : السيد الجيلاني بن بلخير النسب ، يلقب ـ عند الطلبة ـ بطمطام ، كان مكلفاً عند سيدنا يخبره في الطريق يوم الرحيل بكل ساعة مضت ، إلى أن يصل في تلك المرحلة للدار الذي ينزل بها ، وكان سيدنا يلقبه بالبحري ، لأنه كان سأله عن مرحلة فقال ذهبت منها إلى شاطيء البحر ، وهذا سبب ما لقبه به الخ .

26 ـ وكذا الطالب الخير الأمثل ، التالي كتاب الله عز وجل : السيد محمد يدعي خرويو النسب ، كان على فترة ، وكان يجود القرآن ، ومن خيارته كان أمره سيدنا أن يحضر معه بعد الفجر وفراغه من قراءة الحزب بدويرة بمسجده بالدار العالية بجامع الرملة ، ويتلو معه القرآن العظيم ، ويختم معه سلكة بعد سلكة مدة مقامه بمراكش في تلك الحركة ، وأخبر أن سيدنا يحفظ القرآن حفظاً متقناً كما ينبغي الخ .

---

(34) إسمه محمد بن محمد ، وتوفي عام 1354هـ ، حسب « إتحاف المطالع » .

(35) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 31/2 .

27 ـ وكذا الطالب العلاف في محل والده السيد محمد بناصر النسب المذكور ، وكان لا يحسن مما ذكر إلا التوقيت والحساب . . .

28 ـ هذا وغير من ذكر فيهم من نجب في علم الحساب والهندسة إلى آخره : فمنهم الطالب الأديب الحيي : السيد قاسم بن محمد يدعى الدامي النسب[36] ، كان في غاية ما يكون فيما ذكر ، وكان المولى الحسن وجهه مكلفاً بالمدفع وغيره مع ادالة العسكر والطبجية لخنفرة ببلاد زيان ، وطال جلوسهم هناك سنين حتى تأهلوا ، ولخيارته ومروءته جعلوه هناك قاضي ، إلى هذا العهد أيام المولى يوسف وقدم بأولاده وعياله وأقام هنا بداره ببريمة نحو العام ، وتوفي رحمه الله .

29 ـ وكذا الطالب النجيب السيد قاسم السلاوي النسب ، كان جده باشا بمكناس ، وكان في غاية ما يكون في الحساب والتوقيت وتسيطر الرخائم ، ولا زالت رخامة من عمله مكسرة على أحد المقابر بمولاي عبد الله بن أحمد المكاوي خارج البلد ، رحمه الله .

30 ـ ومن جملتهم الطالب الخير الأمثل : السيد إدريس بن المرحوم الطالب السيد أحمد البرنوصي[37] ، كان مكلفاً عند العلاف الكبير بكتب قائمة المؤونة المياومة : أعيان وحناطي ومخزن وعسكر ، يتلقى ذلك من علافين (كذا) المذكورين ويثبتهم فيها ، ويدفعها وزير الحرب : العلاف الكبير لسيدنا يوقع عليها بتنفد ، وبعد هذا يعلم العلاف الكبير ـ بيده ـ كل بطاقة مثبتة في القائمة على حدتها ، فيحوزونهم (كذا) العلافة ، وكل واحد يدفع بطاقته لأمين الصائر ، فيمكنه من مشونة المكلف لهم بذلك الخ .

وأما والده المذكور سي أحمد رحمه الله : كان أسود اللون ، وكان توجه بمكاتب للمكلفين لأحد قبائل جبالة ، فمر على جماعة وسلم عليهم فردوا عليه ، والحالة هذه

---

(36) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 5/530-535 .

(37) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 2/29 .

وفرسه أدهم ، وسلهامه أسود ، فقال أحدهم : ظلمات بعضها فوق بعض ، فسمع ذلك فحمل عليهم بفرسه وأخرج سيفه بيده ، وكمل لهم الآية بقوله : إذا أخرج يده يفتك بهم ، فعلموا أنه طالب ، ورحبوا به غاية الخ .

توفي سي ادريس المذكور بسايس كان مريضاً ، ودفن بروضة الشيخ الكامل رضي الله عنه في . . . .

ألحقنا الله به مسلمين .

31 ـ ومنهم الطالب الحسيب السيد أحمد بن القائد محمد الشاذلي[38] ، كان نجيباً غاية في علم الحساب ، ومناسب (كذا) في الهندسة ، وكان يكلفه كبيرهم بتعليم الطلبة الذين يتخلفون بحنطتهم : الحساب ، حتى يكون في مجلسه ما يزيد على العشرين من الطلبة بمسجد مولاي اليزيد بقصبة المنشية الخ .

وكبير المهندسين ـ إذ ذاك ـ الشريف الأجل ، الفقيه المبجل : مولاي أحمد الصويري ، وكان عند المولى سيدي محمد في مكانة ، لأنه كان شيخ الجماعة وقته في جميع الفنون المتعلقة بعلم الحساب والهندسة وما يتعلق بأحوال الفلك والهندسة وغير ذلك ، وهو الذي علم الشريف مولاي ادريس البلغيثي ـ المذكور ـ الهندسة وغيرها ، وكان بارعاً فيما ذكر عنه ، وكذا المولى سيدنا الحسن : كان يلاحظه ويجله ، وكان جلوسه وقت المخزنية مع وزير الحرب ، حتى انه طلب من مولانا الحضور بالحديث الشريف بمجلس سيدنا فأذن له ، وكان يجلس خلف الستر مع العلماء، وهذه أعظم مزية مكانة عنده ، توفي ـ رحمه الله ـ بمراكش أيام المولى عبد العزيز .

32 ـ ومن النجباء المذكورين : الطالب النبيه : السيد الحسين النسب الترجي ، كان يحسن الهندسة ، لأنه قرأ مقالاتها الثلاثة عشر ، ويعرف علم الوقت ، وكان كلفه كبيرهم بالمدافع والمهارز يباشرهم ، وكذا بالخزائن التي هناك ـ بالدار البيضاء ـ لإقامة

---

(38) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 467/1 .

المدافع المذكورة والبارود هنا بمكناس ، إلى أن توفي رحمه الله .

33 ـ وكذا معينه الطالب الخير : السيد الطيب بن سي الفاطمي النسب البخاري ، كان حيسوبياً فقط ، وكان بعد ذلك تأخر بزاوية سيدنا ومولاي أحمد التجاني ، قائم (كذا) بتنظيفها ومباشرتها غاية ، إلى أن توفي رحمه الله أيام المولى يوسف .

34 ـ وكذا من أعيانهم الطالب الخير المبارك ، الذاكر : السيد سليمان بن السيد الطاهر الرغاي[39] المذكور في الطبقة الأولى .

35 ـ وكذا ابن أخيه الطالب الأجل ، الخير الذاكر الأمثل : السيد عبد الرحمن النسب ، ابن الطالب البركة السيد العربي[40] ، كانت تظهر له كرامات ، وكان من جملة طلبة الهندسة ، وبعد ذلك انتقل لحنطة التوقيت ، ولا زال هو وعمه سليمان المذكور قيد الحياة الخ .

36 ـ وكذا الطالب الأجل ، الحيسوبي : السيد عبد السلام النسب التروجي ، كان مكلفاً بتطوان بسقالاتها ومدافعها ما يزيد على العشرين سنة فأكثر ، الى أن قدم أيام المولى عبد الحفيظ ، وأقام بمكناس نحو العامين الى أن توفي رحمه الله .

37 ـ وكذا الطالب الشجاع الأجل : السيد الجيلاني النسب التروكي ، حيسوبياً (كذا) ، وكانت له معرفة في ارتفاع المدفع والمهراز ، ولا زال قيد الحياة الى الآن الخ .

* * *

ولما توفي المولى سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن بمراكش قدس سره ، وتولى بعده خليفته وولده الأسعد : الملك سيدنا ومولانا الحسن ، الذي حاز من المحاسن كل وصف

---

(39) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي ، آتي الذكر عند الترجمة رقم 38 .
(40) صار مقدم المشهد الإدريسي بزرهون ، إلى أن توفي أواخر الستينيات هـ ..

حسن ، ولما تمهد ملكه وحسنت سيرته وسياسته : أمر وصيفه باشا مكناس : القائد حم بن الجيلاني النسب السرغيني[41] ؛ أن ينتخب له من الجيش السعيد عشرة من الطلبة ـ أولاد الأعيان ـ عند رجوعه من حركة سوس الأولى ، فحضروا لديه وهو جالس على سرير ملكه بداخل قبة الزاج التي تشرف على غرسة البحراوية بطرف مدرسة الدار العالية ، وكبير مشوره الطالب القائد ادريس بن العلام النسب[42] ، يقدم الطلبة واحداً بعد واحد ، وكبير الموقتون (كذا) السيد محمد الخليفي ـ صدر الطبقة الثانية العبد الرحمانية ـ يعرف بهم ، فصدر بنحو الأربعة منهم الذين كانوا يقرأون السبع ، فقال له سيدنا أكلهم أساتيذ ؟ فقال لسيدنا : لكنهم كلهم طلباء كما ينبغي ، وفيهم ثلاثة يعرفون الميقات والحساب ، فأجابه سيدنا بقوله : يقدم لهم ، ومراد المكلف المذكور أن يلزمهم سيدنا الخدمة في ذلك الوقت لاعانة من قبلهم في الخدمة والحزب ، فقال سيدنا أعزه الله : الجيلاني الرحالي موقت المسجد الأعظم يقرأون عليه الخ ، ونهض ركابه الشريف متوجهاً وقاصداً لما هو بصدد (كذا) ، وهي حركة سوس الثانية ، ولما رجع منها وحل ركابه الشريف مكناس : أمر بطلوع من نجب من الطلبة المذكورين للخدمة ، فطلع منهم الثلاثة المشار عليهم أعلاه ، فصلوا مع سيدنا العصر بمسجده بالدار العالية : بالمدرسة ، ولما خرج الامام والمؤذنون والموقتون وسيدنا أمام المحراب ، فالتفت بوجهه السعيد مقبلاً عليهم ، فجلسوا بين يديه حذو ركبتيه ، وابن الخليفي قائم على رؤوسهم أمام سيدنا ، وسيدنا يبحثهم ويتذاكر معهم ، حتى بحثهم على علم التعديل فأخبروه أنهم ما قرأوا غير عمل التسهيل ، فقال ـ رحمه الله ـ لا بد من قراءتهم التعديل بعمل المنهاج ، وهو الامام بن البناء رحمه الله ، عليه شيء من الأزياج ، فأجابه ابن الخليفي : سيدي نطلب اعانتهم لنا الآن على الأوقات ، وهم يقرأون ما ذكر سيدنا ، فساعده على ذلك ، وأنعم عليهم بالكسوة والمؤونة وملازمون للأعتاب الشريفة ، ويعين لهم وقتاً لقراءة ما ذكر على شيخهم الرحالي مدة مقام سيدنا بمكناس ، فأقام به عام واحد (كذا) داخل فيه

---

(41) توفي في تارودانت أوائل عام 1318 هـ .

(42) كان والده العربي السفياني قائد المشور أيام السلطان أبي زيد بن هشام ، وتوفي أواخر عام 1317 هـ .

الخروج لحركة بني مجلد ورجوعه منها بالسلامة لمكناس أيضاً .

وشيخهم هو الفقيه الجهبود الماهر في هذه الصناعة : السيد الجيلاني النسب الرحالي[43] ، كان رجل (كذا) ذاكر زاهد موصوف بالكرم ، وهو مقدم الطائفة الكنتية[44] ، وكان من أهل السر ، وكان مولاي أحمد الصويري يلازمه في مستودع المسجد الأعظم في غير أوقات المخزانية متى أم سيدنا بمكناس ، الى أن توفي ـ رحمه الله ـ عام ثمانية بعد الاثنا عشر مائة[44ك] ،ودفن بزاوية شيخه سيدي المختار الكنتي بمكناس.

قرأ ما ذكر على الفقيه العالم الفاضل : السيد المكي الجنان المكناسي[45] ، وكان رجل (كذا) صاحب أحوال ، وكان الفقيه الحبابي الفاسي يقول للطلبة : هذا ابن غازي وقته ، وقرأ على غيره من علماء هذا الفن في كل أرض .

كان علافاً على حنطة الأفراج السعيد ، وكاتباً مع كبيرها القائد المدني ، ومهما سمع بأحد في الغرب والحوز الا يذهب إليه ، ولا يحتاج لمشورة القائد المذكور حتى يرجع في الوقت الذي يرجع فيه ـ أيضاً ـ لحنطته ، وهذا سبب خدمته معهم . وكانت له معرفة بالفقيه السيد عبد الله بن أحماد المذكور ، وتسبب له في التوقيت بمكناس بعدما زوجه بنته ، ولم يعقب ، وبقي إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ في الوقت المذكور أعلاه الخ .

38 ـ والطلبة الثلاثة الذين طلعوا للخدمة هم الطالب الأجل الأستاذ : السيد عبد القادر ، بن المنعم السيد المعطي بن العناية[46] المتقدم الذكر ، الذي كان ميقاتياً قبل

---

(43) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس»2/112-114 ، وعن المزاول الشمسية التي خططها : يرجع الى « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 162/1 .

(44) من الوثائق التي تتصل باعتناقه للطريقة الكنتية : رسالة كتبها لصهره عبد الله بن أحمد عن أشغال بناء الزاوية الكنتية بمكناس ، حيث سيرد نصها عند الملحق رقم 7 .

(44ك) الصواب في تاريخ وفاته عام 1309هـ .

(45) ذكره أبو اسحاق ابراهيم التادلي ضمن أشياخه ـ بفاس ـ في الميقات والتعديل ، انظر « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 96/1 .

(46) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 5/355-356 .

الأربعة المذكورين النجباء أيام المولى عبد الرحمن ، وولده هذا يحسن علم الحساب والتوقيت من طرقه ، قرأ هو والمذكورين (كذا) بعده ، ـ قبل تعيينهم ـ على الفقيه الماهر ، العالم المشارك : سيدي أحمد بن العربي العرائشي المكناسي[47] ، تقدم التعريف به في غير هذا المقيد ، قرأ عليه التوقيت والتعديل هو والثالث ، والثاني قرأ عليه معهما علم الوقت فقط ، وقرءا عليه ما شاء الله من الفقه والنحو ، كما قرأوه على الفقيه المبجل ، الجهبود المدرس المحقق : سيدي الطاهر يدعي باحد المكناسي ، وكذا على الفقيه العدل : السيد محمد بن حلام المكناسي ، وعلى الفقيه الأديب الكاتب العدل : السيد الغالي الستتيسي ، رحم الله الجميع ، وعلم الحساب كان قرأه على السيد سليمان الرغاي المذكور مهندساً ، وقرأ المقنع هو ومرافقه الثالث على الطالب الحادق المتقدم : السيد المجذوب بن العناية ، وكذا قرءا الربع المجيب وروضة الأزهار على الفقيه البركة السيد محمد شاطر ، كما قرءا ـ معاً ـ روضة الأزهار على العرائشي المذكور ، وكذا قرءا عليه الستينية في علم الوقت بالحساب الخ ، ولما نهض مولانا لحركة بني مجلد تأخر الأول لضرر كان به ، والثاني والثالث توجها صحبة الركاب الشريف لفاس الخ .

39 ـ والثاني : الطالب السيد المصطفى بن القائد محمد بن موسى ، أخ الطالب الأجل : القائد الجيلاني بن موسى النسب ، كبير مشور مولانا عبد الرحمن وقته ، كان خيراً ديناً ، وكان يقوم الثلث الأخير من الليل لتلاوة القرآن وللتهجد به منذ نشأ ، وكان هذا وصفه حضرا وسفرا إلى أن لقي الله ، فهنيئاً له ، ألحقنا الله به مسلمين ، كان في غاية ما يكون في علم الحساب ، كان تقدم له من جملة الطلبة الذين تعينوا للقراءة أيام المولى سيدي محمد ، وقرأ علم الوقت على الفقيه الرحالي والفقيه العرائشي ، وكان يحسن عمل الربع المجيب والستينية .

ولما تولى الوزارة الفقيه النزيه ، النجيب الحادق ، السياسي : السيد أحماد بن

---

(47) ترجمه ابن زيدان باسم أحمد بن الحاج عبد القادر ، حسب « اتحاف أعلام الناس » 1/455-456 .

الفقيه الوزير السيد موسى بن أحماد بعد الحجابة : حسنت أخلاقه وسياسته ، واستقم (كذا) أمره الخ ، وقد تقدم الكلام عليه لما توفي والده رحمه الله الخ : عين له محلاً يكون به مع الطالب الأديب ، الأستاذ السيد حمان بن عزيز النسب الفلالي[48] ، وهو أمين الداخل عنده بداره ، كان ذو (كذا) مروءة وجد وصدق وديانة ، فأنزله معه ليعينه على الأوقات الليلية ، وكذا بالنهارية ، ويقيم الصلاة في الأوقات الخمس ، والحزب في وقتيه مع المكلفين عنده من الطلبة والأصحاب الداخلين والوصفان المقابلين الخ .

40 ـ والثالث وصيفكم محمد العلمي ، ابن وصيفكم الطالب الحيي أحمد بن رحال[49] : كان أديباً أليفاً عفيفاً ، لطيف الخلق والخلق ، هيناً ليناً عاقلاً ، يؤثر على نفسه من غلبة الكرم عليه ، متأدباً بآدابكم ، متخلقاً بخلقكم ، نشأ بالأعتاب الزيدانية ، كان محباً لهم ومحبوباً عندهم ، ولا يفارق مجالسهم ، حتى كأنه أخاً صادقاً لهم ، كان يجالس سيدنا جدكم مولانا عبد الرحمن ، وأخوه (كذا) مولانا أحمد ، ومرافق (كذا) لعمكم مولانا عبد القادر[50] ، لأوصافه المحمودة الجميلة ، ولعلمه وأدبه وذكائه وفصاحته وفطنته .

وكان لا يجالس إلا الأكابر من ذوي الرياسة وأهل العلم والفضل ، حتى انتخب وكان من جملة الكتاب بالأعتاب الشريفة ، لنجابته ونباهته ، وخطه الرفيع ، وقلمه البريع (كذا) ، إلى أن لازم مراقبة مقام جده والتنبيه لما لا بد له من الاصلاحات ، والزيادات المستحسنات ، وذلك بإذن مولاي حسني .

فاجتمع شمله مع مرافقه هذا أحمد بن رحال : كان ـ قبل ـ في أيام المولى عبد

---

(48) له ذكر ـ عرضي ـ بالمصدر الأخير 393/1 .

(49) ترجمته « بالمصدر ذاته» 1/ 465-466، وعنه يتحدث المؤلف في الفقرات الموالية ، فيوجه الخطاب للمؤرخ ابن زيدان المقترح لكتابة هذه المقيدة .

(50) ترجمته « بنفس المصدر » 5/353-354 ، والأوصاف التالية إليه تشير .

الرحمن مذرر بمكتب سيدي النجار ، لأنه كان يحسن تجويد القرآن بصوت حسن ، وكان علافاً برحى الكَوارم ، وكان عدلاً بباب بريمة المعهودة لهذا الجيش ، وما تخلف عنها ـ إلى أن لقي الله ـ ما ينيف على الستين سنة ، وكان نائباً على الأمين العلاف الكبير : الفقيه السيد بوعزة الفشر : أبي الموارث ووكيل الغياب ، لصدقه وأمانته .

وشقيقه الطالب الضرير ، الأستاذ السيد عياد : كان يحسن قراءة السبع ، وكان يؤدب الشرفاء والشريفات أبناء الملوك : كأولاد مولاي المهدي بن عبد المالك ، وأبناء مولاي عمر ومولاي عبد المالك ، وكان مولانا عبد الرحمن يلاحظه ويصله ، وإن قدم لهذه الحضرة السعيدة يكسيه ويكرمه ، وكان نفذ له مصرية بالتوتة داخل درب القطوط ، مراعة (كذا) لخدمة والدهما مع مولانا سليمان ، قدس الله سره .

كان عنده كبير حنطة المحفة ، وتأخر مكلفاً بها في أول أيام المولى عبد الرحمن ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بروضة الولي الأشهر ، العالم الأكبر : الامام السهيلي بمراكش بازاء باب ضريحه ، وهناك نخيلة على رأسه .

وهو القائد الحاج رحال بن عياد النسب ، الحسناوي المختاري : من الكبارتة أجعانته ، ينتسبون لسيدي لحسن يعرف بعريان الرأس وجبان الماء . . . كان ينتسب إدريسياً ، وجدهم سيدي عبد القادر بولقرنات ، ولا أدري من والد أحدهما أوجده ، نفع الله بهما .

وأما والدتهما الخيرة البركة دفينة زاوية مولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه : من ذرية الولي الكامل : يعرف بسيدي محمد فتحا بن بوزيان بالقنادسة بوادي الساورة من أعمال توات ، ومن جملة خدامه آل تولال ، وكان رجل من ذريته يتلاقى مع والدنا على أنه قريبه يسمى سيدي الماحي ، كان عدلاً سكناه بقصبة تلال ، توفي رحمه الله . . .

هذا : وثالث الطلبة المذكورين محمد يدعى العلمي بن رحال : كان مدررا بالمسجد المرفوع بباب عيسى ، ينتسب لمولاي عبد الله بن حمد المكاوي ، كان يصلي فيه

الجماعة في المغرب والعشاء إلى الآن ، كانت طلبته الشريفة الفاضلة لآل مليكة بنت مولانا عبد الرحمن لتأديب ولد أخوها (كذا) مولاي عمر وأخته ، ولأجل ذلك اجتمع عليه عدد كثير من حمام الجديد وغيره مدة تزيد على الخمسة أعوام .

الى أن طلع للخدمة الشريفة عام أربعة وثلاثمائة وألف . . . وكان ينزل عند الفقيه الحاجب السيد أحماد بن موسى ، وكان وجهه سيدنا مع أحد أشياخه : السيد محمد ابن بوسلهام لاستيعاب المراحل من مكناس إلى مهدية ، الى العرائش ، الى أصيلة ، الى طنجة ، الى تطوان ، ورجعا ـ معاً ـ الى القصر الكبير ، وافترقا كما أمر سيدنا : فتوجه ابن بوسلهام المذكور على وزان الى فاس الى أن رجع لمكناس ، والثاني : رجع من القصر على وسط الغرب إلى مكناس ، وكان وافق خروجهما من مكناس اليوم الأول من الليالي ، ولم يروا شمساً في تلك المدة عدا أربعة أيام من كثرة الأمطار ، ويوم الأخير من الليالي دخل فيه الثاني لمكناس .

وكان قبل هذا كلفه الحاجب المذكور بالدخول لمحل قراءة مولاي عمر نجل مولانا الحسن ، وهو وأخويه مولاي أحمد ومولاي اسماعيل الزيداني رحمهم الله ، وأمره أن يكتب بلوحة مولاي عمر سطرين في ابتداء هذه الجهة ، وسطرين في الأخرى ، ويقرأ معه ما تقدم له من المرشد المعين ، وذلك في صباح كل يوم ، ولما رجع من الكلفة أمره ـ أيضاً ـ بالدخول لأنجال سيدنا للمباشرة المذكورة ، إلى أن نهض مولانا متوجهاً لحركة بني مجيلد ، وقطع النظر عن حركة المراسي ، وذلك عام الخمسة . ولما رجع منها لمكناس بالسلامة ، ونهض منه لفاس وأقام بها ما شاء الله ، ونهض منها قاصداً زيارة القطب الكامل : مولانا عبد السلام بن مشيش ، رضي الله عنه ، والتبرك برجال تلك الجبال ، نفع الله بهم ، وذلك عام 6 ، الى أن حل ركابه الشريف بمدينة تطوان ، الى طنجة وأصيلاً والعرائش ، ومنها رجع على وسط الغرب ، ودخل لمكناس وأقام به يوم 1 (كذا) ، ورجع لفاس بالسلامة والعافية وأقام بها ، الخ .

ومنها وجه هذا الثالث لمراكش بقصد الخدمة مع نجله الأمجد ، سيدي مولاي

محمد فتحاً : موقتاً وعلافاً على جميع الحناطي المنتخبة له ، وكبير المشور ابن يط الشرقي ، والفقيه العلامة الجهبوذ المشارك : سيدي الحاج المختار بن عبد الله النسب : هو الوزير ، وذلك كله بقصد خلافة النجل المذكور ، وأمر جميع عمال الحوز والدير وسوس بالحركة معه بقصد القدوم على مولانا للغرب ، وأمرهم بالتخييم برباط الفتح إلى أن تلاقى مع سيدنا هناك . . .

وهذا بعد ما نفد للميقاتي المذكور أعلاه : فرس جيد من الأروى السعيد بسرجه ، وبغلة ، وأمة ، وتيْدا طرّاحية ، ومجانة الطوق في أحسن ما يكون ، وشكلها غريب ، على وجهها إثنا عشر حجرة . . .

وكذا كان كلفه سيدنا الفقيه العلامة الوزير سيدي الحاج المختار بن عبد الله بكناش المضمن معه ، وكان من جلسائه بعد الفراغ من المخزنية . . .

وفي عام تسعة وجهه ـ أيضاً ـ مع نجله الفقيه المنعم مولاي عمر لوجدة وأنكاد ميقاتياً وعلافاً على الحناطي مع الشريف ، وكلفه الشريف بمقابلة روائه وهو ير بغال الحمارة لحمل أثقالها ، وكان عند الشريف في مكانة وصدق وجد .

وفي اليوم الذي كان الشريف متوجهاً وقدم لوداع سيدنا بأبي الخصيصات : وجه سيدنا على القائد محمد بن الحفيان كبير الأفراج السعيد ، وقال له : هافلان علاف عندكم على الحنطة من هذه الساعة ، لكن حتى يرجع من الكلفة مع مولاي عمر إن شاء الله . . .

وأقمنا بخدمتنا بالاعتاب الشريفة إلى أن وجهوا عليّ من جملة العلافة ، فدفعوا لنا مكاتب تسراد العدائر السعيدة : من خيل وبغال وإبل بالغرب ، لأن القاعدة بعد رجوع مولانا من الحركة : يوجه جميع هوائر البغال والخيل المضافة للأروى السعيد وإبل الأثقال ، فحوزت مكاتب الغرب الأيسر : الحباسي ، وابن عودة ، والرمش ، وقواد قبيلة شراردة ، ودخلت لمكناس وأقمت بها ثمانية وعشرين يوماً ، وتوجهت لمراكش وحللت بها في متم حجة الحرام عام 1314 .

وفي غده فاتح عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف وبعد ما مضت منه خمسة أيام : وجه علي الفقيه الوزير السيد أحماد ، وألزمني الجلوس بداره نيابة عن السيد المصطفى بن موسى الميقاتي المتقدم الذكر ، كان مقابلاً له بداره في جميع الأوقات النهارية والليلية ، وكان وجهه صحبة أخيه الفقيه السيد محمد فتحاً لجنس الأبروص لغرض شريف ، فأقمت مقام المنوب عنه بعدما أنزلني بالدويرة التي يقرأون بها أنجاله[2] بداره : منهم الطالب الأرضي الأفلح ، السيد العباس الحيسوبي الأنجح ، وأولاد[4] أخيه السيد محمد المذكور ، وأولاد [3] أخيه وزير الحرب وقته : السيد سعيد ، وكذا نزول الفقيه النحرير ، الأستاذ العلامة المدرس بالقرويين : سيدي محمد الغمري أصلاً ، الفاسي قراراً .

ولما قدم السيد المصطفى من الغرض المذكور وتلاقى مع الفقيه : قال له قل لحمان : فلان النائب يبقى هنا مع أولادنا بالمحل ، وفي جميع الأوقات يحضر معنا ، ويكون جلوسكم واحد (كذا) : أعني الميقاتيين ، والطالب الأستاذ السيد حمان بن عزيز النسب : كان أميناً مصدقاً عنده ، ومكلفاً بجميع أموره وخزائنه وبداره ، وجميع الداخل عليه وعلى المخزن تحت يده ، ولا يخرج من الدار عدا لصلاة الجمعة ، ويرجع حالاً ، لأن الفقيه ـ رحمه الله ـ كان يحتفل في كل جمعة لبعض الأشراف والعلماء وجميع الكتاب في روض معتبر له بالدار ، وفي دويرة أخرى له هناك بالدار ، الى أن خرج لحركة الشاوية عامة ، بعدما كان قدم أمامه أخاه الطالب السيد البشير خليفة سيدنا في محلة قاهرة ، كما ذلك مبين في محلة بمراحل تلك الحركة مع سيدنا ، إلى أن ظفر برعاة الأعشاش وبغاتهم وطغاتهم ، وقبض على ألوف منهم ، ووجههم للأحباس بمراكش ومكناس وفاس وتطوان ، كما كان فعل قبل بقبيلة الرحامنة لما سعوا في الأرض الفساد مع كبيرهم الطاهر ابن سليمان ، وفرقهم على الأحباس الخ .

ولما رجع سيدنا مظفراً مسروراً من الشاوية لمراكش ، وأقام بها مدة واستقامت الأمور وتمهد ملكه وانتشر الأمن في جميع أقطار المغرب : توفي الفقيه المذكور السيد أحماد ، ولم يترك بعده من أصحاب السياسة أحد (كذا) في ذلك الوقت مع المولى عبد العزيز الخ .

ثم قام معه أتم قيام الشجاع الدرغام : القائد المهدي المنبهي ، لأن له عصابة وقوة بإخوانه ومن انحاش إليه من جل قبائل الحوز ، واستولى على الأمور كاستواء بشر على العراق ، إلى آخر ما حدث في ذلك حتى استوى الماء والخشب ، والكل مبين في محله بحوادثه : كظهور أبي حمارة الخ ، وذلك مثبت ـ أيضاً ـ بمحلة بتاريخه الخ .

وهذا الفقيه الوزير المذكور ـ رحمه الله ـ كان في غاية القيام في أمور الرعية والاهتمام بها ، لا سيما حقوق الضعفاء والأرامل ، لأن المولى عبد العزيز ـ لصغاره (كذا) ـ كان خالي الذهن من السياسات ، ولا يعرف دسائس الناس وأحوالهم وما هم عليه من الحيال ، فاستولى عليه كي لا يطلع عليه أحد من الكبراء والوزراء ، ولا يتلاقون به إلا في الأعياد ، وكل واحد منهم يدفع ما هو واظفه (كذا) بيد الفقيه ، والفقيه يمكن سيدنا من ذلك ، ويبصره في الأمور وكيفية العمل بما يوقع عليه : بالتنفيذ ، أو صار بالبال ، وكيف تكون ملاقاته مع خدامه ، وبما يجيبهم به عن مقاصدهم ، أو توبيخ من أوجب عليه التوبيخ ، حتى ثبت واستيقظ من غفلته ، ومن غلبة الحياء المانع للتصرف ، وكان مانعاً له من التكاسل والركون للراحة الخ .

ومع هذا لم يشغله شيء ، ومع هذا لم يشغله ما ذكر عن أوقات الصلاة النهارية ـ مع الجماعة ـ بداره ، حتى مع الوصفان الصغار من جملة أصحابه ، ويسوي الصفوف بيده ، وكذا صلاة العشاء والفجر ، وأما المغرب فإن وجده الحال بدار المخزن فيصلي مع كتابه وبعض من حضر من الحناطي ، وإن خرج من دار المخزن قبلها فيصليها معنا بداره ، وكان طلب منا التأخر على صلاتها بنحو ثلث ساعة ، وإن لم يظهر فنصلوها ، ومهما قدم يحضر معنا بالحزب ، وحين يبقى ربع الحزب يقول : إقرأوا بالفلالي ، لأنكم ـ أهل مكناس ـ تحسنون ذلك ، وهم السيد حمان بن عزيز المذكور ، والميقاتيين ، والسيد ادريس أجانا المكناسي ، مع من حضر من الأئمة ، وذلك بعد المغرب والفجر .

وفي شهر رمضان المعظم يقوم غاية القيام بالتراويح ، وكذا في العشرة الآخرة منه : يحيي ويختم السلكة ليلة بعد ليلة على العادة ، وطلب مني أن أنتخب له عشرة من طلبة

هذا الجيش السعيد بقصد ما ذكر ، فيصلي معنا ما قدر عليه بعد العشاء ويدخل لداره ، وعند السحور يخرج الطعام والأتاي ، ويأمرنا أن نؤخر خمسة أحزاب الأخرة من السلكة ليحضرها معنا ، وحين يبقى للفجر نحو الساعة فأقل : يخرج ويحضر الختام ، وبعد قراءة الحزب يدفع سي حمان ريالاً لكل واحد بيده ، إلى أن يخرج رمضان الخ ، وكذا إن وجدنا الحال بالحركة كحركة الشاوية : لا تكون فيها عدا التراويح بعد العشاء وقبل الفجر للاشفاع : السيد المصطفى قائم بسلكة التراويح بعد العشاء ، وإني والسيد ادريس أجانا قائمين بعد السحور : كل واحد منا يقوم في ليلة ، هذا ما شهدناه منه .

وأما عمله بداره : فقد أخبرنا عنه أنه حين يفرغ من حقوق النفس والأهل والعيال : يتوجه للقيام والأوراد والأذكار والأدعية ،وربما كانت طريقته كنتية .

وكانت له صحبة وغبطة في الشيخ ما العينين وفي أولاده وتلامذته ومن هو متعلق به ، حتى إن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ جعل فيه تأليفاً سماه بالمسائل ـ أو المطالب أو ما في معناها ـ الأربعين الاحمدية الخ ، لأنه ـ رحمه الله ـ كان طلب من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أربعين مطلباً يمن الله بها عليه ، فمدحه الشيخ في هذا التأليف المذكور ، وأثنى عليه ، ويذكر كل طلب بلفظه ويجيبه عنه ، ويقول : أنظر هذا الرجل وما هو عليه من التكاليف ومع هذا لم يغفل عن الله ، وأعظم مطالبه الختم بالحسنى ، والالهام لما فيه مصالح العباد ، والقيام بحقوقهم قدر الطاقة ، وكذا وكذا ، إلى آخره .

وقد ختم الله له بالخير وبالحسنى والحمد لله ، بشهادة من أخبرنا بذلك عنه ، وهو سيدنا الفقيه العالم العلامة ، المشارك الماهر الأكمل : سيدي محمد بن مبارك الغيغائي[51] ، كان ملازماً له ، ومحل نزوله معه بداره ، وكان مكلف (كذا) عنده بمباشرة الكتب التي تنسخ ، ومن جملة من يؤم به الخ ، فلما حضرته الوفاة وجه عليه ، فلما دخل عليه وجده جالس (كذا) بالفراش ومتكئاً على الوسادات من الجانبين ، فأمره بقراءة القرآن العظيم وهو يسمع ، لأنه كان له صوت

---

(51) ترجمته في « الإعلام » المراكشي : المطبعة الملكية 7/168-170 .

حسن نحيف ، وكان يجوده غاية ، وسي حمان بباب القبة في مقابلته ، فأمره أن يحضر له ماء زمزم فأتاه به ، فصار يضع الماء في كفه ويمسح به وجهه وهو يحرك شفتيه وهو متجلد ، حتى غلب عليه الحال ، فأشار للفقيه أن يتم القراءة ، ونادى سي حمان فأمره أن يضعه على يمينه ، فخرج الفقيه ودخلوا على سي حمان الإماء المكلفين بالدار ، فأشار لهم يغطون وجهه ففعلوا ، ظناً منهم غلبة النوم ، وأشار لهم يخرجون عنه فخرجوا ، وأقاموا بباب القبة ، وحيث رأوه غبط في النوم دخلوا يتجسسون عليه ، فنادوه فلم يجبهم ، فوجدوه صار إلى عفو الله ، رحمه الله وألحقنا به مسلمين ، وقد كنت بداري ووجدني الحال شكياً ، فسمعت الصياحة والنياحة فقمت وخرجت إلخ ، حتى لحقت باب الدار داخلاً إلى أن أخرجوه الإماء على النعش ، فحملناه للباب الثاني : الفقيه المذكور الذي باشر غسله ، والسيد حمان ، وسي المصطفى الميقاتي المتقدم ، فدخلوا الصحافة وأخذوه وأخرجوه للباب الثالث الذي فيه جميع من حضر لتشييع جنازته في الوقت الفلاني من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني عام كذا ، ودفن بكذا ، رحمة الله علينا وعليه آمين ، والوقت واليوم والتاريخ مقيد تحت سيادة صاحب الكناش الخ .

* * *

وأما من قرأوا عليه من الطلبة : أولهم الطالب الأجل ، الحيسوبي الأمثل ، الميقاتي المعدل الأكمل : السيد قاسم بن الأستاذ السيد عبد القادر الحسناوي النشواني[52] المذرر ، قرأ معه ـ أولاً ـ الحساب بالقلصادي ، ونظم ابن سعيد : « المقنع » ، والتوقيت برسالة الماردينى على الربع المجيب ، وبعض أمور تتعلق بذلك ، وأما عمل التعديلات قرأه على شيخينا : سيدي الجيلاني الرحالي ، وسيدي أحمد العرائشي ، رحمهما الله بمنه ، وأفاض علينا من بركاتهم آمين ، وذلك عام 1302 بمسجد الزيتونة . ثم قرأ عليه ـ أيضاً ـ الفقيه العلامة قاضي الجماعة بمكناس : سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري

(52) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 5/535-536 ، وهو والد الطالب الحجي السيد عبد السلام ، المؤدب بمسجد حاموش في حي القنوط بمكناس .

الحسني[53] ـ تغمده الله برحمته ـ بعض أبواب من القلصادي والمقنع وعمل الربع بالخيط : ببيته بالمدرسة الفلالية[54] بمكناس ، عام أعلاه .

ثم قرأ ـ أيضاً ـ مع البركة العلامة قاضي الأحواز : سيدي أحمد بن يوسف الناصري[55] نظم المقنع والربع عام 1307 .

وقرأ مع الشريف العدل الفقيه سيدي حسن المنوني[56] الحساب والمقنع والربع وبعض أعمال التوقيت عام 1312 .

وقرأ ـ أيضاً ـ مع الشريف العدل سيدي مولاي محمد ـ فتحاً ـ الموقت بجامع النجارين[57] ، بن الفقيه المنعم سيدي محمد المنوني[58] ، كان ميقاتياً بالمسجد المذكور وكاتباً بالاعتاب الشريفة رحمه الله ، وذلك عام 1335

وكذا قرأ مع الطالب الأديب الحيي السيد العباس ابن المنعم الفقيه الوزير السيد أحماد بن موسى بن أحماد : عمل الحساب بالقلصادي فقط أعلاه .

وكذا قرأ عليه الشريف الطالب سيدي المهدي يدعى أب هدي بن سيدي محمد ابن المهدي الإسماعيلي[59] مؤدب الشرفاء بمسجد الشاوية خارج باب الستينية : الحساب بالقلصادي . . . يحسن جزأي الصحيح والكسور الخ : عام 1340 .

---

(53) ترجمته في « نفس المصدر » 4/299-300 .

(54) بيته هو الملاصق لمصلى هذه المدرسة يسار الداخل له .

(55) ترجمته عند عبد الحفيظ الفاسي في « معجم الشيوخ » 1/146-147 ، وكانت وفاته ليلة 22 شعبان عام 1355 هـ ، ومن غده دفن في الزاوية الناصرية بحي باب البرادعين .

(56) ترجمته عند محمد المنوني في « وثائق ونصوص . . . » ص 146-183 .

(57) من صدور الشهود بمكناس ، وبها توفي عشية الأربعاء 23 شوال عام 1371 هـ ، حسب « المصدر الأخير » ص 203 .

(58) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 4/277 .

(59) توفي يوم الجمعة 11 شعبان عام 1362 هـ .

وكان تقدم له آخر عام 1309 : كان أمره الفقيه السيد أحماد بن موسى وهو حاجب بإذن من سيدنا : أن يحضر القراءة مع أنجال سيدنا ، وهو مولاي عمر ومولانا عبد العزيز ومولاي جعفر ومولاي عثمان ومولاي يوسف بمسجد بوطويل بالدار العالية بفاس ، كانوا يقرؤون علم الحساب على مولاي أحمد الصويري المتقدم الذكر ، وأمر هو بالمطالعة معهم قبل القراءة ، ويحضر معهم وقتها ، وبعد فراغهم منها يراجع معهم ، وبعده يأتي الفقيه الماهر موقت المسجد الأعظم بالعليا : السيد أحمد التواتي[60] يقرأ معهم التوقيت ويحضر هو معهم قبله والقراءة والمراجعة ، وهذا كان برمضان المعظم عامه ، وانتهى العمل حين عوشروا بعد العشرين منه الخ .

* * *

هذا : ونرجع لباقي الطلبة الموقتون (كذا) .

41 ـ السيد بن عيسى بن محمدا السحيمي الحسناوي الميقاتي ، وتقاعد على الخدمة ، وكان من أصحاب الباشا الحاج بْنعيسَى بن حم ، ولا زال ـ إلى الآن ـ مرافق لأولاده .

42 ـ والطالب السيد بوسلهام بن الخلطي ، يحسن علم الوقت ، ويرفع بالقوس ، ويعدل ببعض الأزياج إلى الآن .

43 ـ والسيد العربي بن المسن البركة الطالب السيد محمد الشريدي ، كان والد والده باشا هنا بمكناس ، كان ميقاتياً ، ويصلح الماجانات ، وهي حرفته .

44 ـ ثم السيد عبد الوهاب بن سي ادريس الفيضي ، يحسن عمل الحساب والوقت .

45 ـ وكذا الطالب السيد محمد الخليفي بن القائد محمد قرمودة : كان يعرف علم الحساب قرأه على الفقيه السيد الجيلاني الرحالي ، وتولى قائد المائة بمسخري البخاري .

---

(60) ترجمته عند عبد الكبير بن هاشم الكتاني في « زهر الأس في بيوتات فاس » : خ ، ع ، ك 1281 : ج 1 عند ذكر بيت بني التواتي .

46 ـ وكذا الطالب الأستاذ سي محمد بن بو عزة الفشر ، كان مذرراً ، وقدر الله عليه وضرب أحد تلامذته كان ساء عليه الأدب فمات من حينه ، وبقي بالسجن نحو العام ، ولما تسرح رجع للخدمة .

47 ـ وأخوه الفقيه الحيسوبي الأمين بالاعتاب الشريفة : السيد محُمد بن بو عزة الفشر[61] .

48 ـ وكذا الطالب الخير السيد محمد بن الخليفي ابن الحاج بو سلهام : ولد الحنة ، كان في حنطة الهندسة ، ويعرف علم الوقت ، كان قرأه على كاتبه ، ووالده سي الحاج بو سلهام كان علافاً على عسكر الآغا الخوجة أيام المولى سيدي محمد . . . (ولما) تقاعد على الخدمة وجه عليه الوزير السيد محمد المفضل غريط ، وكلفه في الحركة بجميع قشة وكما نيته ، وفي الحضر يجلس بباب قبتة للمشورة ، وبقي معه إلى أن عجز لم يقدر على الخروج من منزله ، إلى أن توفي هنا الخ .

49 ـ والطالب الحيسوبي الحادق سي الجيلاني يدعى لبحر النسب الجبوري ، كان قايد المايا بمسخريهم .

50 ـ وابن عمه سي الميلودي الجباصي من أولاد إبن موسى ، كان حيسوبياً وفي حنطة الهندسة ، وحين تقاعد على الخدمة صار محترفاً : جبابدي وخياط .

51 ـ وكذا السيد ادريس يدعى ولد الحرة ، كان حيسوبياً ، وكان مكلفاً بملزومة الدقيق المياومة للدار العالية بالله ، بوصلها بنفسه الخ .

52 ـ والطالب الميقاتي السيد محمد بن سي العربي بن القائد المعطي الزعري ، كان كبير المسخرين ، يدعي ابّ عزيزي .

---

(61) هناك ظهيران حسني وعزيزي يقران محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس ، وثانيهما يشرك مع المذكور ـ في الأمانة ـ أخاه الأستاذ الحيسوبي السيد عبد السلام الفشار ، المتوفى صبيحة الإثنين 5 ربيع الثاني عام 1356 هـ ، والظهيران سيرد نصهما عند الملحقين رقم 9,8 .

الملحقات لهذه المقيدة

ملحق 1 :

رسالة من الحاجب موسى بن أحمد
إلى محمد بن بوسلهام بالإذن له بالرجوع
من العرائش بعد تعليم طلبتها الحساب والتوقيت

محبنا الأعز الأرضي ، الموقت : السيد محمد بن بوسلهام البخاري ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فقد وصلنا كتابك مخبراً بقضائك الغرض الذي كلفت به من تعليم طلبة العرائش الحساب والتوقيت ، وانهم حصلوا ما قرأت معهم من الكتب التي ذكرت ، وظهرت نجابتهم ، واشتقت للرجوع لمحل خدمتك .

وقد كتب بذلك العامل ، وأجيب بأن يحسن إليك ويوجهك ، ليتوجه من يقرأ معهم الهندسة إن شاء الله ، فأقدم على بركة الله ، وقد دعا لك مولانا ـ نصره الله ـ بخير ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 29 جمادى الأولى عام 1294 .

موسى بن أحمد لطف الله به .

« العز والصولة . . . » 2 /149

ملحق 2 :

رسالة من س الحسن 1
توصي بمساعدة محمد بن بوسلهام في مهمة مخزنية

كافة خدامنا الأرضين : أعيان آيت عطه : وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فنأمركم أن تستوصوا خيراً بحامله الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي الموجه لاختبار طريق تافلالت ، وتقفوا معه فيما يعرض له من جهتكم من كل ما يرجع لعمله الموجه بقصده،وقوف حزم واعتناء به وبمن معه،وتوجهوا من يصاحبهم حتى يخرجوا من تراب إيالتكم ، والسلام .

23 رمضان المعظم عام 1310 .
صح من أصله

ملحق 3 :

رسالة من الوزير الصدر
أحمد بن موسى توصي بمساعدة محمد بن
بوسلهام في مهمة مخزنية

أحبتنا وخدام سيدنا الأرضين : كافة قواد الشاوية،أمنكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله ، بوجود مولانا نصره الله .

وبعد : فيأمركم سيدنا ـ أعزه الله ـ أن توجهوا مع الطالب الميقاتي السيد محمد بن بوسلهام الموجه لاختبار الطريق : من يدله عليها ، ويبصره بغثها وسمينها ، إلى أن يقضي

الغرض الذي توجه لأجله ويرجع ، واستوصوا به خيراً ولا بد ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 24 جمادى 2 عام 1313

صح من أصله

ملحق 4 :

رسالة إلى باشا مراكش في شأن ترشيح محمد بن بوسلهام لتدريس الحساب والتوقيت بجامع المنصور مع بعض طلبة الجيش

الباشا علال ولد احمد أمالك ، وبعد فالإثنا عشر طالبا من اولاد الجيش السعيد الذين عينوا لقراءة التوقيت بجامع المنصور : قد عين لتعليمهم الميقاتي الطالب محمد بن بوسلهام البخاري ، وبيّن له كيفية العمل في القراءة معهم .

وهو أن يجعل معهم نصاب من القلصادي في الحساب صباحاً ، ونصاب من المقنع بين الظهرين ، وبعد الفراغ من نصاب المقنع يقرأ معهم الربع .

ونفذ لكل واحد من الطلبة خمس أواقي من الأحباس ، وخمس أواقي من المستفاد : مياومة ، وأمر الناظر وأمين المستفاد بدفع ذلك على يدك ويد مولاي المصطفى القاضي .

وأعلمناك لتكون على بال ، حتى لا يقع تراخي في القراءة ولا في أوقاتها المعينة ، ولا في المرتب ، والسلام .

26 رجب عام اعلاه : (1316) .

سجل مكاتب عزيزية

بالخزانة الحسنية رقم 439

ص 179

ملحق 5 :

ظهير عزيزي بتعيين
محمد بن بوسلهام مؤقتاً بمنار جامع
المنصور بمراكـش

يعلم من كتابنا هذا أسمى الله مقداره ، وأجرى على فلك الإسعاد مداره ، أننا ـ بحول من له الحول والقوة ، والطول والمنة ـ كلفنا وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام البخاري بأمر التوقيت بمنار جامع المنصور بالمنشية ، بالحضرة المراكشية السمية ، وطوقناه القيام بوظيفة على العموم والإطلاق ، والشمول والاستغراق .

على أن يسلك فيه مسلك المعتبرين من الموقتين ، ذوي الإصابة في تعديلهم وتوقيتهم المحققين ، حتى يجعل ذلك في حصن التحصين ، ويقوم بواجبه قيام عارف حازم ضابط أمين ، وأذنا له في جعل النائب عنه من أهل الفن العارفين به لعذر من الأعذار ، كسفر أو شبهه .

فنأمر ناظر أحباس المسجد الجامع المذكور أن يعلمه ، وينفذ ما هو معد لميقاته ، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله تعالى ـ في 24 ربيع الثاني ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق 6 :

ظهير عزيزي بالإنعام على
محمد بن بوسلهام بدار بمراكش

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وجعل فيما يرضي الله ورسوله طيه

ونشره : أننا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ أنعمنا على وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي : بالدار المعروفة لولد سيدي عياد ببو طويل بالمنشية السعيدة ، التي كانت بيد عياد الجمال وبيد النزق بعده ، وسوغنا له الانتفاع بها من غير كراء يلزمه فيها .

فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ، والسلام .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله تعالى ـ في 24 ربيع الثاني ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق 7 :

رسالة الجيلاني الرحالي
عن أشغال بناء الزاوية الكنتية
بمكناس ، حسب اشارة لها عند التعليق رقم 44

سيدنا وعوض والدنا ، الفقيه العلامة الأمجد، السميدع النحرير الأرشد : سيدي عبد الله بن القائد أحمد ، أمنك الله ورعاك ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

هذا : وقد وصلنا كتابك الأعز ، مخبراً بما أخبرك به الولد الصالح البار ، الفقيه سيدي الحاج المختار ، من عدم نيلنا للجير لبناء الزاوية المختارية ، نفعنا الله وإياك بصاحبها ، آمين .

وكتاب آخر للباشا ، القائد حم بن الجيلاني : بما ينهض عزمه ويقويه ويشد العضد .

وأمرتنا فيه بالقدوم إليه وتمكينه من كتابه، فقد امتثلنا الأمر، فلما قرأه وأطلعناه على كتابنا ، أجاب بما يسرنا ، وأظهر الفرح والنشاط ، وانفصلنا على انه يقدم بعد غد للزاوية

حتى يراها ، فترصدنا له فقدم علينا موفياً بالوعد ، ثم اقتضى الحال أن ندخله لدارنا حين قدم علينا للمسجد الأعظم ، فأدخلناه وأكرمناه بما يناسب قدره ، فخرجنا قاصدين الزاوية المباركة ، فلما رآها فرح ودعا لك هو والحاضرون بخير ، تقبل الله آمين .

ثم قال : كم فرض عليّ ؟ فأجبته بألفي مثقال ، فقال اللحم والدم لشيخنا سيدنا ومولانا المختار ، ثم إنه أمر أصحاب الجير أن يصنعوا لنا كوشة ، وقال : كلما احتجتم إليه من الجير وغيره يصلكم ، واحسبوا علينا ثمنه ، إلى أن تستوفي العدة ، وإن يسر الله الزيادة فنزيد ، فأجبناه بالدعاء الصالح ، وذهب بسلام .

وها نحن أجبنا سيادتك بما صدر منه بالقول ، وسنجيبك ـ بحول الله ـ بما يصدر منه بالفعل ، فجزاك الله عنا خيراً ، آمين ، فلقد أفصحت وبينت على المراد ، وأعربت عما كان منا يراد ، أبقاك الله لنا ذخراً ولجميع العباد ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 5 ربيع النبوي الأنور ، عام 1303 .

كناشة بالخزانة الحسنية رقم 3916 .

من المجموعة الزيدانية : ورقة 267 .

ملحق 8 :

ظهير حسني بإقرار محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس

اقررنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ حاملة وصيفنا الأرضي ، الطالب ، محمد بن بوعزة الفشار ، على ما كان مكلفاً به والده ـ رحمه الله ـ من أمور جانبنا العالي بالله بهذه الحضرة المكناسية صانها الله : من كل ما يحدث بالمدرسة والمحنشة حرسهما الله بعزه وعنايته ، وألبسهما رداء نصره وهيبته : من الزيادة أو النقصان في المؤنة

الشهرية ، وتقييد ضحية العيد الموجهة لهما ، والوقوف عليها حتى تصل ، والخليع في وقته ، وتنفيذ ضروریاته على حسب العادة فيه ، وتنفيذ ما يدفع لهما عادة في المواسم ، مع الشرفاء والشريفات خارجها ، وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات دارنا السعيدة ، فهو الواسطة في جميعه ، والمتولي الكتابة فيه .

ومنها مطالعة الأمناء له على قائمة صائر الدار العالية بالله ليعلم عليها باسمه .

ومنها مفاتح خزائن جانبنا العالي بالله ، وما يجعل فيها يكون على يده .

ومنها ما يفرض على البرابر من الحطب والبياض ، يكون قبوله منهم وإخراجه من محل خزنه على يده .

ومنها تنفيذ الزيادة أو النقصان في قائمة راتب الجيش البخاري ومن في حكمه ومؤنته كذلك .

ومنها تقييد وصفان جانبنا ـ العالي الله ـ بباب مراح ، وتفريق رواتبهم عليهم ، وغير ذلك مما ينفذ لهم من زرع وغيره .

ومنها أمور بوابة أعتابنا الشريفة وما أضيف إليها ، مما يقبضونه من الكسوة والزرع والصلة وغير ذلك : فعلى يديه .

ومنها ما هو بأچدال السعيد من الغنم وتقييده ، مع ما زاد وما نقص ، وجزه في وقته ، ودفع صوفته لمن تدفع له عادة ، والبقر الحلوب الذي يكون بالزريبة ، وتقييد عدده ، مع نتاجه ، وتوجيهه ـ بعد جفافه وإحصاء عدده على من يجعل ـ عادة ـ في ذمته ـ لعزيب العرائش ، على يد خديمنا الأمين الحاج أحمد المسعودي وأمناء مرسى العرائش وعاملها ، وليكن يوجه لنا نسخة من خطوطهم بوصوله إليهم ، ويبقى الأصول تحت يده ، والخيل : الذكور والإناث ثمة أيضاً ، وتنفيذ علفها ، وضبط أمورها : من زائد وناقص : فكل ذلك على يديه ، وهو الواسطة فيه .

إقراراً تاماً ، شاملاً عاماً ، نأمر الواقف عليه من عمالنا ، وولاة أمرنا ، أن يشدوا عضده على ذلك ، والسلام .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله ـ في رابع قعدة الحرام ، عام 1301 .

صح من أصله

ملحق 9 :

ظهير عزيزي بإقرار محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس

جلدنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ لما سكه وصيفنا الأرضي ، الطالب محمد بن بوعزة الفشار ، حكم ما بيده من ظهير سيدنا الوالد قدس الله ثراه ، المتضمن إقراره على ما كان مكلفاً به والده المذكور من أمور جانبنا العالي بالله بمحروسة مكناسة الزيتون ، التي من جملتها تنفيذ ما يحدث من الزيادة أو النقصان في المؤن الشهرية لدارنا العالية بالله ثمة : المدرسة والمحنشة صانها الله برعايته ، والبسهما رداء عزه وعنايته ، وكذا تقييد ضحية عيد النحر الموجهة لها ، والوقوف عليها حتى تصل محلها ، والخليع اللازم لها ، ودفعه في وقته بجميع ما يلزم من ضروریاته ، مع تنفيذ ما عهد دفعه لها من عوائد مواسم الليالي الكبار ، ولمن في حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدار ، وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات دارنا السعيدة المذكورة : فهو الواسطة في جميعه ، والمتولي الكتابة فيه .

ومنها مطالعة الأمناء له على قائمة صائر دارنا العالية بالله ، ليعلم عليها باسمه .

ومنها مفاتح خزائن جانبنا العالي بالله ، وما يجعل فيها يكون على يده .

ومنها ما يفرض على البرابر من الحطب والبياض ، يكون قبوله منهم وإخراجه من محل خزنه على يده .

ومنها تنفيذ الزيادة أو النقصان في قائمة راتب الجيش البخاري ومن في حكمه ومؤنته كذلك .

ومنها تقييد وصفاف جانبنا ـ العالي بالله ـ بباب مراح وتفريق رواتبهم عليهم ، وغير ذلك مما ينفذ لهم من زرع وغيره .

ومنها أمور بوابة أعتابنا الشريفة وما أضيف إليها : مما يقبضونه من الكسوة والزرع والصلة وغير ذلك فعلى يده .

ومنها ما هو بأكدال السعيد : من الغنم وتقييده ، مع ما زيد فيه وما نقص ، وجزه في وقته ، ودفع صوفه لمن تدفع له عادة ، والبقر الحلوب الذي يكون بالزريبة ، وتقييد عدده مع نتاجه ، وتوجيهه ـ بعد جفافه وإحصاء عدده على من يجعل ـ عادة ـ في ذمته ـ لعزيب العرائش ، على يد خديمنا الأمين المسعودي وأمناء مرسى العرائش وعاملها ، وليكن يوجه لنا نسخة من خطوطهم بوصوله إليهم ، ويبقي الأصول تحت يده ، والخيل : الذكور والإناث ثمة أيضاً ، وتنفيذ علفها ، وضبط أمورها من زائد أو ناقص ، فكل ذلك على يده ، وهو الواسطة فيه .

تجديداً وإقراراً تامين ، نافذين عامين .

وعززناه في ذلك كله بأخيه وصيفنا الطالب عبد السلام ، وجعلنا يده معه فيه يداً واحدة ، لما ثبت عندنا من صدقهما .

نأمر الواقف عليه من عمالنا ، وولاة شريف أمرنا ، أن يعمل بمقتضى ذلك ، ويشد عضدهما عليه ، والسلام .

في 14 جمادى الثانية ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق سادس

16 وثيقة عن استشارة السلطان الحسن الأول لنخب من مدينة فاس وما إليها في نازلة اقتصادية

شهدت سنة 1886/1303 ظاهرة استشارية انطلقت من مبادرة السلطان الحسن الأول ، وجاءت في موازاة إلحاح نواب الدول بطنجة في الترخيص لهم باستيراد السلع المغربية الممنوع وسقها في القانون المغربي آنذاك : كالحبوب والأنعام والبهائم وما إليها .

ونظراً لظروف المغرب جنح السلطان الى حل يرخص لتجار الدول المعنية في وسق ما طلبوه ، غير أنه علق ذلك على قصد الاختبار والتجربة ، وقيده بشروط ، وحدد مدته في ثلاث سنين .

ثم رأى أن يطرح هذا الحل لاستشارة شعبية استمرت تفاصلها دفينة بين مجموعة من الوثائق الموضوعية ، والآن : عرف من مستندات هذه المبادرة طائفة مهمة كانت أولاها هي رسالة الاستشارة السلطانية الموجهة إلى فاس ، ونظيرتها إلى سلا ، وهذه الأخيرة يحتفظ بنصها الناصري في « الاستقصا »[1] ، أما رسالة فاس فهي تتصدر مجموعة وثائق يصل عددها الى ستة عشر نصاً عن استشارة نفس المدينة .

---

(1) نشر دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1956 : 9/182-184 .

فيأتي بعد الوثيقة الأولى جوابها من طرف عامل فاس : عبد الله بن أحمد البخاري .

الوثيقة الثالثة : شهادة عدلية بمحضر الاجتماع الأول والثاني بجامعي القرويين والأندلس لسماع تلاوة الرسالة الملكية والجواب عنها .

الرابعة : جواب العلماء .
الخامسة : جواب الشرفاء العلويين .
السادسة : جواب الشرفاء الأدارسة ومن إليهم .
السابعة : جواب الحاج عبد السلام المقري .
الثامنة : جواب شرفاء أهل تلمسان .
التاسعة : جواب المرابطين .
العاشرة : جواب عامة أهل فاس .
الحادية عشرة : جواب التجار .
الثانية عشر : جواب الحاج أحمد المراكشي .
الثالثة عشر : جواب أهل قصبة النوار .
الرابعة عشر : جواب أولاد الحاج .
الخامسة عشر : الجواب الحسني لعلماء فاس .
السادسة عشر : الجواب الحسني لباقي أصناف المجيبين .

ويعود الفضل في الاحتفاظ بمجموع هذه الوثائق إلى مؤرخ الدولة الحسنية : أحمد ابن محمد بن حمدون ابن الحاج[2] .

* * *

(2) « الدرر الجوهرية . في مدح الجلالة الحسنية » : ج 2 مخطوط خ . ح رقم 512 : في نسخة غير مرقمة الصفحات ، وهذا المصدر غير تاريخ المؤلف للدولة العلوية باسم « الدر المنتخب المسحس . . . » .

والمهم من هذه النصوص هو طبيعتها الاستشارية ، فالوثيقة الأولى تحلل أبعاد الاختيار الحسني للخروج من الأزمة ، ولا تراه حلاً غير قابل للمناقشة ، وإنما تأخذ بعين الاعتبار القرار النهائي الذي يصير إليه المستشارون ، وهكذا يأتي أواخر الرسالة السلطانية : « . . . ولتعلموا أنكم لن تزالوا في سعة ، فإن ظهر لكم ذلك فالأمر يبقى بحاله ، وإن ظهر لكم ما هو أسد وأحوط في الدفاع عن المسلمين فاعلمونا به ، اذ ما نحن إلا واحد من المسلمين » .

وطبقاً لتعليمات هذه الرسالة : قام كل من عاملي فاس وسلا بحشد الناس ـ خاصتهم وعامتهم ـ إلى المسجد الجامع ، لسماع الكتاب الحسني ومناقشته ، وفي فاس ـ حسب الوثيقة الثانية ـ « جمع عموم الناس والخصوص بجامع القرويين لسماع تلاوة الخطاب المنوه به ، وقرىء على المنبر قراءة تفهيم لما تحت عباراته ، حتى أدركه الأمي والقاري ، والمستوطن والطاري » .

ثم انعقد الاجتماع الثاني ـ بجامع الأندلس ـ لتلقي أجوبة المستشارين حسب أصنافهم ، فكان أغلب هؤلاء واقعين في مناقشاتهم ، إنطلاقاً من العلماء ، إلى الأشراف ، الى المرابطين والعامة والتجار .

ولما رفعت الأجوبة الى السلطان ـ حسب الوثيقتين 15 ،16 ـ نوه بالمستشارين الذين كانوا صرحاء في أجوبتهم ، ثم عتب على الذين وافقوا على الاختيار الملكي دون تعقيب .

ومن هنا : فإن الوثائق التي نقدم لها تكشف عن لون من الديمقراطية في مبادرة السلطان ، وفي التجاوب معه من جهة أكثر المستشارين .

* * *

ومما يعمق آفاق هذه البارقة الديمقراطية : موقف بعض الحاضرين لسماع الخطاب الملكي بفاس وسلا ، فقد جهروا بمعارضتهم للحل السلمي ، ونادوا بالدعوة للجهاد لحل الأزمة ، وذلك ما تقدمه رسالة عامل فاس ـ بالوثيقة الثانية ـ في هذه الصياغة :

« . . . حتى انتدب في القوم رجل ـ أبله ذو أحوال ـ ينادي بالجهاد ، وتابعه على ذلك بعض الصبيان والأخلاط الذين لا مقر لهم ولا مهاد . . . » .

وعن سلا يقول الناصري[3] بعد عرض الرسالة السلطانية : « ولما قرىء هذا الكتاب على خاصة الناس وعامتهم أجابوا كلهم بأن الرأي ما رآه السلطان وفقه الله ، إلا ما كان من بعض العامة الأغمار ـ الذين لم يجربوا الأمور ، ولا اهتدوا إلى النظر في العواقب ـ فانهم قالوا : ما نعطيهم إلا السيف ، لكن لم يلتفت إليهم » .

* * *

ومن جهة أخرى : فإن من مؤشرات ترحيب العلماء بظاهرة الاستشارة الحسنية : أن فقهاء فاس حرروا في النازلة جوابين احتفظ بأحدهما ابن الحاج[4] ، ثم نشرهما ـ معاً ـ محمد المهدي الوزاني في « النوازل الصغرى »[5] ، وأثبت ابن زيدان[6] مصورة عن أصل أحدهما .

كما أن الناصري كتب جواباً ـ عن الموضوع ذاته ـ في رسالة مطولة أثبتها بنصها في « الاستقصا »[7] .

ومن جهة أخرى فإن بيعة فاس الحفيظية : استغلت الاستشارة الحسنية في هذه النازلة وسواها ، فنظرت بها وهي تطلب من الحفيظ بعث هذه الظاهرة ، فتقول البيعة ضمن مطالب الأمة :

« . . . وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية : فلا

---

(3) الاستقصا 184/9 .

(4) هي التي تحمل رقم 4 بين الوثائق التالية .

(5) ط . ف 321/1-325 .

(6) « إتحاف أعلام الناس » 2/ : أمام ص 390 .

(7) 184/9-192 .

يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة ، كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة » .

* * *

والآن : ينتهي بنا المطاف إلى عرض نصوص الوثائق الستة عشر ، استناداً الى سياق ابن الحاج في الدر الجوهرية ، وقد تبينا أنه أثبتها جميعها ، مع مقابلة الرسالة الأولى بنظيرتها الواردة في « الاستقصا »[8] ، ومعارضة الوثيقتين ـ 16,15ـ بنصيهما في « إتحاف أعلام الناس »[9] ، وعدا ذلك حافظت على سياق إبن الحاج كما عرضه في تاريخه المنوه به ، وفيما يلي نص ذلك :

---

(8) 9/182-184 .

(9) 2/389-393 .

- 1-

ظهير شريف في شأن طلب بعض الروم تسريح بعض المسائل الممنوعة الوسق

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

« الحسن بن محمد الله وليه ومولاه »

وصيفنا الأسعد الأرضي ، الطالب عبد الله بن أحمد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد كان طلب بعض نواب الأجناس بطنجة على وجه الخير والمحبة ـ فيما سلف من أعوام ـ تجديد شروط التجارة بقصد تسريح المسائل الممنوعة الوسق : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ، ونحو ذلك ، ونقصان صاكة الخارج ، ذاكرين أن تسريح ذ لك فيه النفع لبيت المال وللرعية ، وهذه مدة من خمسة أعوام ونحن ندافع ونسادد ونقارب بما يقتضيه الوقت والحال ، عملاً بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في وقائع وقضايا : « سددوا وقاربوا » ، حرصاً على ابقاء ما كان ، إذ لا أقل منه سيما في هذا الزمان ، الذي أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله : « يأتي على الناس زمان يمر فيه الحي على قبر الميت فيقول ليتني مكانك » ، وحاشا لله أن نتسبب للمسلمين في غلاء ، أونوافق لهم على ضرر ، وكفى بالله شهيداً ، وكيف والله سبحانه قد استرعانا عليهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » .

والآن اشتد حرصهم على ذلك وتمالئوا فيه على كلمة واحدة وصمموا عليه، ولما أفضى الحال الى ما أفضى اليه مما لا ينبغي ، ولم يكن (إلا) الاعلان بذلك والمشاورة فيه

مع من يعتد به : استشرنا فيه مع جميع من يشار له بالخير والفضل والدين والعقل والذكاء والدهاء ، موثوقاً بديانته وأمانته ، فلم يشيروا فيه بخير ، واتفقوا (على) أن لا مصلحة في تسريح ذلك أصلاً ، وبينوا ما يترتب على الكل من المفاسد .

ففصل الحيوان أول ما يترتب على تسريحه من الضرر غلاؤه على ضعفاء الرعية ، بل يؤدي الى فقده بالكلية من هذه الايالة ، وأشياء أخر لا يفي بها التعبير هنا .

وفصل النقص من صاكة المراسي يترتب عليه ضعف المدخول الذي منه يقوم المخزن الجيش والعسكر ومصالح الرعية ، وأعظمها تضعيف الرعية بالقبض منهم : كتضعيف المكوس وضرب الخراج عليها تقوية لبيت المال والجيوش .

وما أبداه بعض نواب الأجناس الراغبون في تسريح ذلك من المصالح المالية العائدة على رعيتنا السعيدة على مقتضى ما ظهر لهم : ردوه ما يطول شرحه ولا يفي به قرطاس .

ولما رأينا الأمر استحال إلى أسوأ حال أو كاد ، تداركنا هذا الخرق بالرفْء ، وجنحنا الى السلم ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ الآية ، وارتكبنا اخف الضررين .

فاقتضى نظرنا الشريف ـ إن ظهر لكم درءاً لتلك المفاسد المقدم على جلب المصالح ـ أن يساعدوا على تسريح مسائل بقصد الاختبار ، من تلك الأمور الممنوعة الوسق : كالقمح والشعير وذكر ان البقر والغنم والمعز والحمير ثلاث سنين فقط ، على شرط الاختبار في المنفعة التي ذكروها في تسريحه ، الكل بأعشاره المعلوم في مثله ، على أن يكون تسريح ذلك ـ في وقت غلته مع وجود الخصب ـ مدة ثلاثة أشهر ، وبعد مضيها يثقف ، ولا يسمع من أحد كلام في تسريحه ، ولا يقبل منه عذر فيه ،وفي العام القابل ـ إذا كان صالحاً ـ يسرح ثلاثة أشهر بقصد الاختبار أيضاً ، وإذا كان ناقصاً لا يقع اختبار بتسريحه المدة المحدودة ، ويبقى مثقفاً ، على أن ذلك ليس بشرط ، وإنما هو على سبيل الاختبار حتى يظهر .

ولتعلموا أنكم لن تزالوا في سعة : فان ظهر لكم ذلك فالأمر يبقى بحاله ، وإن ظهر لكم ما هو أسدّ وأحوط في الدفاع عن المسلمين فاعلمونا به ، إذ ما نحن إلا واحد من المسلمين .

وأعلمناكم بما كان ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، وتأسيساً بالشارع ، وإلا « قُلْ ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » ، والسلام .

في : 6 رجب الفرد عام 1303 هـ .

- 2-

جواب السيد عبد الله عن الظهير أعلاه إجمالاً وأولاً لمولانا

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

يعلم مولانا ناصر ملة الاسلام ، وحامي البيضة التي لا زالت ـ بوجوده ـ خافقة الأعلام ، المستفرغ في المدافعة عنها نفائس أوقات الليالي والأيام ، المعتصم في مجاهدته بعزة الله وعناية جده عليه الصلاة والسلام ، أبقى الله خالص أعماله محقق النتائج ، وحاصل أمله في تزايد لا يقاوم برمل عالج :

إنه ورد عليّ شريف كتابه الهائل أمره ، المعنون عن تحمل مولانا في الدفاع عن المسلمين ما لا يستطاع شكره ، معلمًا بما كان طلبه بعض نواب الأجناس من تجديد شروط التجارة بقصد تسريح ممنوعات الوسق التي بها قوام الأنفاس : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ، والنقصان مما يترتب على الخارج من قدر الصاكة اللازم ، محسنين مطلبهم بما في ذلك من النفع لبيت المال ، والرعية المستغنية بعزة المتعال ، وطول أمد مدافعة مولانا عن ذلك ، واهتمامه في نصيحة المسلمين جميع الطرق والمسالك ، إلى أن اشتد منهم ذلك التمالؤ والحرص والتصميم ، وأفضى الحال إلى ما لا يمكن معه إلا المشاورة مع من له في مقامها أهلية وتقديم ، فلم يشر أحد ممن يعتد به في ذلك بمصلحة ، وأبدوا ما يترتب عليه من المفاسد الواضحة : كالغلاء وضعف مدخول الخراج ، الى غير ذلك من المضار التي لها تحت ما ذكر انطواء واندراج ، وردهم ما وجه به الراغبون من المصلحة المالية بما يطول .

(*) مولانا ما استحال اليه الأمر برفـء خرقه ، وارتكاب أخف الضررين جرياً على ما عهده المسلمون من شفقته ورفقه، وهو ما اقتضاه النظر الشريف من مساعدتهم على تسريح القمح والشعير وذكر ان البقر والغنم والمعز والحمير : ثلاثة أشهر في كل عام من ثلاثة أعوام ، على شرط اختبار المنفعة التي ذكروا ، ووجود الخصب ووقت الغلة وأداء الأعشار المعلومة الإلزام ، واستأشر ـ أيده الله ـ رعيته في هذا الوجه إن ظهر ، أو إبداء ما رأوه أسد وأظهر .

فليعلم سيدنا أني لما قرأت الكتاب، وجولت النظر في بداية إفشائه لمن توجه إليهم الخطاب ، ترجح عرضه ـ أولاً ـ على أهل الأنظار : كالقاضي وبعض العلماء والمحتسب والنقباء والنظار ، فعرض عليهم بمحل مخصوص ، واتفقت آراؤ هم على تأخير الجواب حتى يمعن النظر ويعاد عرضه على عموم الناس والخصوص .

فجمع الناس بجامع القرويين لسماع تلاوته ، وقرىء على المنبر قراءة تفهيم لما تحت عباراته ، حتى أدركه الأمي والقاري، والمستوطن والطاري، وانهملت العيون بمدرار الدموع ، وانفطرت القلوب بالزفرات الثائرة بين الأحشاء والضلوع ، وظهر في الناس اضطرار عظيم ، وابتهال بسؤال المعونة والتأييد من الله لمولانا بقلب صميم ، والتصريح بالخروج فيما يأمر به لو يجري على النفس والمال ، ابتغاء مرضاة الله وطاعة خليفة سيد الأرسال .

حتى انتدب في القوم رجل أبله ذو أحوال ينادي بالجهاد ، وتابعه على ذلك بعض الصبيان والأخلاط الذين لا مقر لهم ولا مهاد ، ومبلغهم من العلم أن ذلك عين الطاعة ، وأربح تجارة وبضاعة ، فأخرج الرجل المنادي إخماداً للهرج والترويع ، وانفصل المجلس على إعادة الجمع بجامع الأندلس لتلقية جواب الجميع .

(*) هكذا في المخطوط الوحيد الذي يحتفظ بهذه الوثيقة ، وكأنه سقط هنا كلمة « فتدارك » .

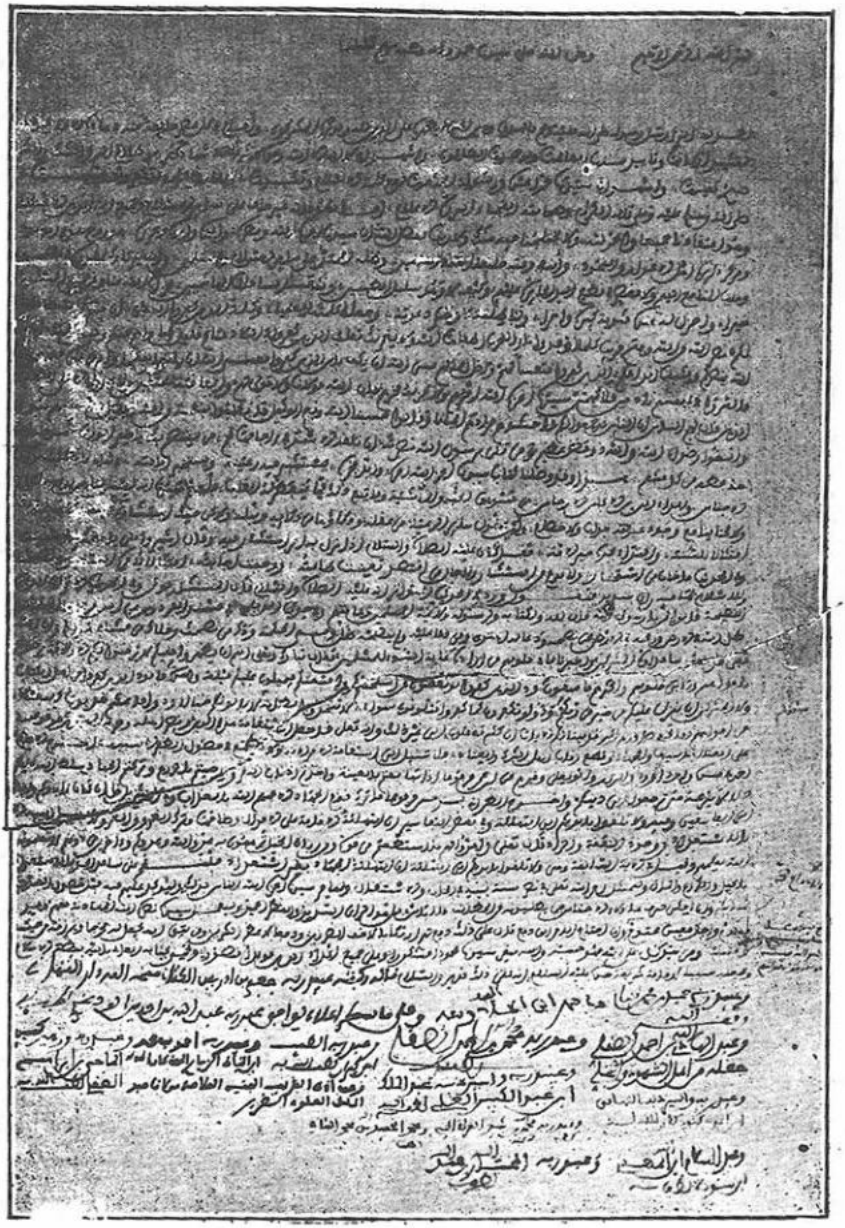

جواب علماء فاس لمولاي الحسن في قضية الوسق ، وهو الجواب الثاني الذي تشير له الوثيقة الثانية « اتحاف أعلام الناس » ج 2

ثم وقع الجمع به في اليوم المعهود ، وذكرت كل طائفة ما تلقاه منهم الشهود ، حسبما بالرسم الواصل لسيدنا حاوياً لذلك ، وبمحوله خطوط القاضي والعلماء بما اختاروه في الجواب عما هنالك ، مع تقييد خاص من عندهم خارج عن الجواب(*) ، طلبوا إنهاءه ـ أيضاً ـ لشريف الأعتاب .

كما وجهت الكتاب الشريف للزاوية الإدريسية بزرهون ، وسمع تلاوته ـ بجامع خطبتها ـ العلماء والأشراف والمرابطون ، ومن حضر من الزراهنة أهل المداشر ، وكل طارق وعابر ، فأجابوا ـ أيضاً ـ بما يصل سيدنا طيه .

وكل من أجاب استحسن ما ارتضاه نظر مولانا وأمضاه ، والتزم العمل بمقتضاه ، معترفين بكون سيدنا لا يختار للمسلمين إلا ما كان خيراً ، وأن الإدراكات لو اجتمعت على قلب واحد ما بلغت شأوه تجربة وسبراً ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا ، وما زاده بعضهم في جوابه هو قيد فيما اقتضاه إن سلمه ، وعلى(**) لمولانا ، والسلام .

20 شعبان عام 1303 هـ

(*) التقييد المشار له هو الذي أثبت إبن زيدان مصورة من أصله في « إتحاف أعلام الناس » ج 2 قبالة ص 390 ، كما نشر نصه محمد المهدي الوزاني في « النوازل الصغرى » 1/321-323 ، ط . ف .

(**) بياض بالأصل .

- 3 -

شهادة عدلين بالجواب الأول

الحمد لله ، لما ورد كتاب مولانا امير المؤمنين ، الموجه عنان العناية لحماية المسلمين ، ذي المفاخر التي شهد بفضلها الخاص والعام ، والمآثر المكاثرة للغمام ، الذاب عن حرم الإسلام ، القائم بشريعة جده عليه الصلاة والسلام ، الحاوي كل وصف بسَن ، فخر الملوك ابي علي مولانا الحسن ، أطال الله وجوده ، وأبقى في الصالحات افعاله المحمودة ، على خديمه الناصح في خدمته ، القائم بامتثال شريف أمره في سره وعلانيته ، الفقيه العالم البركة : سيدي عبد الله بن أحمد .

بأن بعض نواب الاجناس بطنجة طلب ـ فيما سلف من أعوام ـ تجديد شروط التجارة بقصد تسريح المسائل الممنوعة الوسق : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ونحو ذلك ، ونقصان صاكة الخارج ، ذاكرين أن تسريح ذلك فيه النفع لبيت المال وللرعية ، وأنه ـ نصره الله ـ لما رأى الأمر استحال إلى سوء حال أو كاد ، جنح للسلم بارتكاب أخف الضررين .

فاقتضى نظره الشريف مقدماً لدرء المفاسد المقدم على جلب المصالح : ان يساعدوا على تسريح مسائل بقصد الاختبار من تلك الأمور الممنوعة الوسق : كالقمح والشعير وذكران البقر والغنم والمعز والحمير : ثلاث سنين فقط ، على شرط الاختبار في المنفعة التي ذكروها في تسريحه ، الكل بأعشاره المعلوم في مثله ، على أن يكون تسريح ذلك ـ في وقت غلته مع وجود الخصب ـ مدة من ثلاثة أعوام ، وبعد مضيها يثقف ولا يسمع من أحد كلام في تسريحه ، معلمًا ـ نصره الله ـ أن الأمر لا زال في سعة ، ومستشيراً ـ أيده الله ـ فيه مع أهل الإشارة من رعيته ، مقتفياً في ذلك بجده صلى الله عليه وسلم ، بحيث إن ظهر ذلك بقي الأمر بحاله ، وإن ظهر ما هو أسد وأحوط في الدفاع عن المسلمين فليكن الإعلام به .

أمر الباشا المذكور ـ رعاه الله ـ ولديه الفقيهين الجليلين الأفضلين : الخليفة الأسعد ، سيدي محَمد ، والفقيه المدرس العالم : سيدي المختار : بالنيابة عنه بالقيام بذلك ، لما قام به من العذر المقبول ، وأحضر العلماء والشرفاء ، والأعيان والتجار والنبلاء ، وأهل الرأي والدهاء ، وعامة الناس ، بجامع القرويين عمره الله بذكره ، وقرىء عليهم الظهير الشريف حتى استوعبوا ـ فهمًا ـ الخطاب المنير ، وطلبا ـ رعاهما الله ـ ممن يعتد برأيه ممن ذكر الجواب عما ذكر بما يظهر لهم بعد التأمل وإمعان النظر ، وفق ما أمر به مولانا المنصور بالله .

ثم اجتمع المشار لهم بعد فسحة الإمهال ، ورجوع ما جمح من العقل والبال ، بجامع الأندلس عمره الله ، وانتظم كل ذي وصف بصاحبه ، وتشاوروا فيما بينهم في ذلك ، فأجابت كل فرقة ممن بين أسفله بما قيد عنهم بالإشهاد عليهم به ، أو بخط اليد ، والسلام .

فمن حضر لما ذكر كما ذكر ، قيده في حادي عشر شعبان المبارك ، عام ثلاثة وثلاثمائة وألف .

- 4 -

جواب العلماء وفر الله جمعهم بمحول شهادة العدلين

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بعدما ورد الظهير الشريف ـ المكتوب بمحولة ـ على الباشا الأسعد ، السيد عبد الله بن أحمد ، في شأن ما طلبه بعض نواب الأجناس بطنجة من تسريح ما طلبوه من الوسق إلى آخر ما تضمنه حسبما حوله ، مشيراً ـ ايده الله وسدده ـ أهل الإشارة من رعيته ، واطلعنا عليه وفهمنا مضمنه .

أجبنا بمثل ما أجاب به أهل الصلاح والخير والدين المشار لهم بالظهير الشريف : من أنه لا خير في تسريح ما ذكر لهم بوجه ولا حال ، لا ظاهراً ولا باطناً ، لما يترتب على ذلك من المفاسد التي لا تحصى ، مع أن المسلمين والحمد لله ـ ببركة مولانا المنصور بالله ـ في شدة القوة مالاً ورجالاً ، وسيدنا ـ نصره الله وأدام عزه ـ لا نشك نحن ولا جميع المسلمين في شدة حرصه على جلب المصالح ودفع المضار عن الاسلام وأهله ، ومن المقرر المعلوم أنه إذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما ، ولا ريب في كون مولانا ـ المنصور بالله ـ اختار الأخف فيما اقتضاه نظره السديد من تسريح بعض ما طلبوه على الوجه المبين بالظهير الشريف بقصد الاختبار ، لكن لما شاور مولانا ـ دام مجده وفخره ـ فيما اقتضاه نظره السديد ، تأسياً بالرسول عليه الصلاة والسلام ، إذ شاور ـ عليه السلام ـ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ـ لما أحاطت القبائل بالمدينة ـ في أن يبذل للمشركين ثلث الثمار لما خاف أن تكون الأنصار ملت القتال ، فقالا : إن كان هذا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ سمعنا وأطعنا ، وإن كان رأياً فما أكلوا منها في الجاهلية ثمرة إلا بشراء او قرى ، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام ، فلما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عزمهم على القتال ترك

ذلك ، إبن عرفة عن المازري : « فلو لم يكن الإعطاء عند الضرورة جائزاً ما شاور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

اقتضى نظرنا أن لا ينفذ لهم من الحيوانات شيء أصلاً ، لما فيه من عظيم الضرر الفادح ، لأنه يؤدي إلى قطعها بالكلية ، وإنما يسرح لهم القمح والشعير لاختبار دعواهم النفع على الوجه المذكور في الظهير الشريف .

وعلى شرط أن يتسوقوه من المراسي فقط ، لا من غيرها ، لأن التسوق بغيرها يؤدي إلى انقطاعه من المغرب بالكلية ، وينشأ عند مفاسد عديدة : كادعائهم نهب أموال كثيرة ، وقتل نفس ، وإذايتهم الحاضري والبادي بدعوى ذلك ، ويتعذر الجبر .

وعلى شرط أن لا يسلموا فيه لأحد : لا من أهل الحاضرة ولا من اهل البادية .

وعلى أن يتسوقوا عدداً لا ضرر فيه على المسلمين .

وإن أمكن أن يعين مولانا ـ المنصور بالله ـ أمناء ثقات في المراسي يكون التسوق ـ على الوجه المذكور ـ على أيديهم فحسن .

ونظر سيدنا ـ نصره الله ـ مع هذا أوسع ، والمولى ـ سبحانه ـ يديم عز مولانا المؤيد بالله ، ويحيي به سنة جده عليه الصلاة والسلام ، وفي التاريخ حوله .

حميد بن محمد بناني وفقه الله .

وعبد ربه : جعفر بن ادريس الكتاني ، منحه الله دار التهاني .

وعن اذن الشريف العلامة مولانا عبد الملك العلوي الضرير .

واحمد بن محمد إبن الحاج .

وعبد ربه : عبد الله بن إدريس الودغيري ، لطف الله به .

وعبد الهادي بن أحمد الصقلي ، جعله الله من أهل الشهود والتجلي .

وعبد ربه : محمد بن احمد الصقلي ، لطف الله به .

وعبد السلام بن المهدي إبن سودة ، لطف الله به .

وعبد ربه : الطيب إبن كيران ، لطف الله به .

وعبد ربه ورهين كسبه : الماحي بن إبراهيم الصقلي ، لطف الله به .
وعبيد ربه وأسير ذنبه : التهامي بن المدني كنون ، لطف الله به .
وعبد ربه ورهين ذنبه : عبد الملك بن عبد الكبير العلمي ، لطف الله به .
وعبيد ربه : احمد بن محمد ابن الخياط الزجاري الحسني ، كان الله له آمين .
ومحمد الحفيد بن محمد الشامي ، لطف الله به .
ومحمد بن رشيد العراقي الحسيني ، كان الله له بمنه .
وعبد ربه واسير ذنبه : المكي بن احمد الحسني الوزاني ، لطف الله به .

- 5 -

جواب الشرفاء العلويين المذكورين اسماؤهم يمنته أسفل شهادة العدلين

بالجواب الإجمالي

الحمد لله بعد أن فهم الشرفاء العلويون المسطرة أسماؤ هم بالطرة يمنته ما أشار به مولانا المنصور بالله مما قيد مضمنه أعلاه : أجابوا جواب اتفاق بأنهم اختاروا ما اختاره ـ نصره الله ـ من السلم أو غيره ، بحيث إن رجح بنظره السديد أحد الأمرين فقد اختاروه والتزموا الوقوف عنده .

فمن استوعب ما ذكر ممن ذكر ، قيده عنهم في غد التاريخ أعلاه ، مع معرفته لهم .

الشرفاء العلويون

النقيب مولاي المأمون بن مولاي الطيب .
النقيب مولاي محمد بن مولاي علي .
النقيب مولاي عبد القادر .
مولاي قاسم بن الحسن الصوصي
مولاي محمد بن أحمد العلوي .
مولاي ادريس بن الطايع البلغيتي .
مولاي ادريس بن الشريف النسب .
مولاي بو بكر بن مولاي أحمد الشريف العلوي .
مولاي بن عبد الواحد النسب (كذا) .
مولاي رشيد بن علي بن سلمان (كذا) .
مولاي علي بن سعيد النسب .
سيدي محمد بن عمر بن اليزيد النسب .

- 6 -

جواب الشرفاء الأدارسة بعده

الحمد لله بعد أن فهم الشرفاء المسطرة أسماؤهم بالطرة بمنته مضمن الظهير المنيف :

أجابوا بمثل الجواب أعلاه حرفاً حرفاً .

فمن استوعب منهم ما ذكر كما ذكر قيده عنهم ، وهم عارفون قدره ويأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

الشرفاء الأدارسة

مقدم الروضة الشريفة سيدي فضول الرامي .
مولاي الكبير بن عبد السلام الادريسي .
مولاي أحمد بن العربي الصقلي .
مولاي الحسن بن سيدي حفيد الطاهري .
سيدي الحسن بن سيدي المكي العراقي .
سيدي العباس بن سيدي جعفر العمراني .
سيدي أحمد بن علي المسفر .
سيدي عبد الله بن عبد السلام الوزاني .
سيدي الكبير بن سيدي محمد الكتاني .
سيدي محمد بن سيد حفيد الدباغ .

- 7 -

جواب الأمين الحاج عبد السلام المقري ومن معه

الحمد لله .

أجاب الأمين الأرضي : السيد الحاج عبد السلام بن الفقيه سيدي مُحمد المقري والخليفة الحاج أحمد الرائس وأرباب البصر : الحاج الطاهر بناني والسيد العربي الصفار : بمثل الجواب أعلاه حرفاً حرفاً .

فمن سمع منهم ما ذكر كما ذكر قيده عنهم ، وهم عارفون قدره وبأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

ومنه وكذا أجاب الناظر السيد الهادي صفيرة بمثل ما أجاب به الحاج عبد السلام المقري والحاج أحمد الرائس ومن ذكر معهما ، صح به في تاريخه .

- 8 -

جواب شرفاء أهل تلمسان

الحمد لله .

بعد أن فهم شرفاء تلمسان الظاعنون بهذه الحضرة الادريسية ـ المسطرة أسماؤ هم بمنته ـ مضمن الظهير الشريف صدره : أجابوا بأنه لا نظر يوازي مولانا المؤ يد ، ولا رأي يداني رأيه المسدد ، غير أن تسويق الروم لما ذكر فيه على كل الناس ، من الضرر ما لا يحويه قرطاس ، لكن ما أنتجه مولانا ـ نصره الله ـ هو أحوط لِلرّعية ، وأجنح لهم من شدة البلية .

على أن يكون التسويق المدة المذكورة على الوجه المشار له من المراسي فقط ، لا يتعدونها لسواها ، ولا يتجاوزون غاية منتهاها ، فلا يكون لهم تسويق عند أعراب أو في مدن ، ولا يمكنون من سلم لأحد فيها يسرح ، وإنما يُضرب لهم الحد المحدود بتسويقهم من المراسي من غير افتيات ولا مجاوزة ، وإلا لو مكنوا على الإطلاق ، لعم الناس آفة الجوع وخسروا واختل الميثاق ، والنظر التام ، لمولانا الإمام ، أبقى الله وجوده للأنام .

في التاريخ أعلاه .

شرفاء تلمسان

النقيب مولاي أحمد بن سيدي عبد الله بن منصور .
مولاي أحمد بن مصطفى بن دلة .
سيدي الحسن بن سيدي محُمد مسواك .
سيدي محمد بن أحمد الفرْوي .
سيدي محُمد بن محمد المليانى .
سيدي المختار بن الصديق العام .
سيدي الحسن بن حساين القيسي .
سيدي قدور بن سيدي محمد بو عبد الله .
سيدي أحمد بن محمد النسب .
سيدي يوسف المعسكري .

- 9 -

جـواب المـرابـطين

الحمد لله .

أجاب المرابطون المسطرة أسماؤهم بالطرة يمنته بمثل الجواب أعلاه يليه حرفاً حرفاً ، وزادوا أنه لو كان مولانا ـ المنصور بالله ـ ينصب وكيلاً عنه بالمراسي هو الذي يتولى التسويق لما أشير اليه ، وهو الذي يباشر المعاملة معهم ، بحيث لا يكون لهم إذن في مباشرتهم ذلك بأنفسهم أصلاً .

فمن استوعب منهم ما ذكر قيده عنهم في التاريخ أعلاه .

المرابطـون

سيدي الحسن بن سيدي أحمد العبدلاوي .
سيدي علال بن عبد المجيد الفاسي .
سيدي الطيب بن سيدي البدوي زويتن .
سيدي حساين بن علي الحمومي .
سيدي عثمان بن سيدي عبد المجيد .
من آل الولي سيد أحمد إبن يحيى .

- 10 -
جواب عامة أهل فاس

الحمد لله ، بعد أن بُين لعامة هذه الحضرة الإدريسية المسطرة أسماؤهم بمنته مضمن الظهير الشريف صدره ، وتأملوه وأمعنوه : أجابوا بمثل الجواب أعلا أعلاه يليه : من أنه لو حد التسويق من المراسي أيام تسريحه في المدة التي جنح مولانا المنصور بالله لكان أسلم ، وللمصيبة أهون ، على أن لا يمكن واحد من الروم من السلم لأعرابي أو مدني في حب أو أنعام أو دواب .

فمن استوعب منهم ما ذكر قيده عنهم في التاريخ أعلاه .

أهل عدوة الاندلس

سيدي عبد الوهاب بن علال الشامي .
بوعزة بن علال التازي .
سيدي المهدي ابن العباس .
سيدي محمد بن عبد الواحد المشاط .
الحاج عبد الرحمن الرندة .
سيدي عبد الرحمن بوخريص .
الحاج عبد الكريم ابن حدُّ .
الحاج المكي بن حفيد بوزيع .
الحاج محمد بن قاسم بريشة .
الحاج محمد بن الحاج محمد الجرندي .

اللمطيون

الحاج أحمد بن إبراهيم فرج .
الحاج العربي بن البدوي البواب .
الحاج أحمد بن علي الجرندي .
الحاج محمد بن عبد السلام الغماد .
الحاج محمد بن عبد الواحد السقاط .
سيدي محُمد بن محَمد مَنْطرس .
سيدي محمد بن عبد الكريم بناني .
عبد السلام بن عبد الرحمن يزرور .
أحمد بن علال البيطار .
الحاج حمان بن الحسن ابن المجدوب .
قدور بن عبد الغني ابن كيران .

أهل الاندلس

(كذا)

الحاج عبد السلام بن العياشي ابن زكري .
سيدي محمد بن السيد العربي الندلسي .
الحاج عبد الله بن الحاج التهامي بوزيع .
الحاج حرازم بن الحاج محمد العلج .
محمد بن الحاج محمد عباد .
الحاج أحمد بن السيد برادة .
الحاج الطيب بن الحاج حرازم جسوس .
الحاج حماد بن الحاج محمد الشادلي .
الحاج محمد بن قاسم ابن عبد الجليل .
الحاج ادريس بن سيدي محمد ابن سالم .
سيدي محمد بن الشاوي ابن مولود .
سيدي محمد بن قاسم البغدادي .
الحاج محمد بن السيد العربي بنيس .

- 11 -
جـواب التجـار

الحمد لله .

بعد أن فهم التجار بهذه الحضرة الادريسية ، المحفوفة السنية ، مضمن الظهير الشريف صدره، وأيقنوه وعلموه ، وهم المذكورون بالطرة يمنته : أجابوا بأن الرعية بها ضعف حال ، وما طُلب يأتي على جميعها باستيصال الهلاك العام ، وما رآه مولانا المنصور بالله من تسريح الحبوب ـ المدة التي رآها المبينة أعلاه ـ ذاك أسد رأياً وأحوط .

على أن يكون مسواقها من المراسي فقط لا يتجاوز المتسوق دونها ، ولا يجاوزها في حين ، ولا يسلمون لأحد ، ولو مُكنوا من ذلك على عمومه لادعى أقوام منهم الانتهاب ، وانه ضاع له عدة أموال ، ونحو ذلك يلزم في تمكينهم من السلم ، وفي كل يلزم الغُرم لبيت المال عمره الله .

وأما فصل الحيوان فإنهم لو مُكّنوا منه ـ خُصوصاً أو عموماً ـ لعم الناس البلاء ، ونزل بهم ـ مدة العمر ـ الغلاء ، وانقطعت عوامل الحرث .

وزاد النفر الخمس أسفل يمنته : بأنه لا تنقطع مادة الضرر إلا إذا حُد لهم القدر الذي يتسوقونه من الأوسق ، وإلا استأصلوا هذا المغرب قحطاً .

فمن استوعب ما ذكر ممن ذكر قيده عنهم وهم عارفون قدره وبأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

التجـار

الحاج علال بن عبد الرحمان ابن زاكور

الحاج محمد بن الحاج بن محمد النسب

الحاج ادريس بن الحاج محمد بنيس
سيدي محمد بن عبد السلام جسوس
الحاج محمد بن عبد المجيد ابن كيران
الحاج محمد بن الحاج قدور النسب
الحاج المدني بن أحمد التازي
الحاج محمد بن العربي القباج
الحاج محمد بن الحاج عبد الكريم بناني
المحتسب الحاج المهدي بن الحاج محمد النسب
أحمد بن الحاج محمد السميرس النسب
الحاج عبد المجيد بن الحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون
الحاج علال بن الحسن النسب
الحاج محمد بن المعطي ابن يعيش
عبد الرحمن بن الحاج عبد الغني الكوهن
الحاج محمد بن الحاج عزوز بنونة
الحاج محمد بن محمد بن الطيب برادة
الحاج العربي بن الحاج عبد الكريم ابن موسي
سيدي عبد الوهاب بن عبد السلام التازي
الحاج محمد بن المدني القباج
الحاج محمد بن الحاج العساوي برادة
الحاج محمد بن الحاج محمد بن المدني بنيس
الحاج عبد القادر بن الحاج محمد النسب
الحاج المعطي بن الحاج البرنوصي ابن مليح
الحاج عثمان الحاج عبد الكريم التويمي ابن جلون (كذا) .
الحاج العربي بن الحاج محمد بنيس

- 12-
جواب الحاج أحمد المراكشي

الحمد لله ، أجاب التاجر الحاج أحمد بن الحاج محمد المراكشي بأن ما اقتضاه نظر مولانا المنصور بالله من مساعدة بعض الأجناس في تسريح ما بكتابه الشريف أعلاه : سديد ، غير أن الإطلاق فيما ذكر يتوقع منه ضرر كثير ، إذ المباشرون لما ذكر تجارهم ، وإذا سُلطوا على حب المغرب وذكر ان ما ذكر : ربما استأصلوه في أقرب مدة ، لكثرة ما بأيديهم ، وعدم مبالاتهم بارتفاع الأسعار ، وتركوا الرعية جائعة لهفانة ، والمعهود من عقال الأجناس أنهم لا يرضون هلاك أمة بالجوع .

فإن ظهر لمولانا أن يعين لهم قدر ما يتسوقونه في أشهر العام ، بحيث يكون غير مجحف بالرعية : فهو أحوط ، ونظر مولانا أسد وأتم .

فمن استوعب منه ما ذكر كما ذكر قيده عنده بعد معرفته ، في غد التاريخ أعلاه .

- 13-
جواب أهل قصبة النوار

الحمد لله، بعد أن اطلع أهل قصبة النوار المسطرة أسماؤهم بالطرة يمنته على ما تضمنه الظهير الشريف مما أشير اليه صدره : أجابوا بأن مالهم ورقابهم لمولانا المنصور بالله ، لأنهم من جملة جيشه المنصور المؤيد ، وجنده الظافر المعضد ، ولأجل ذلك كان اختيارهم فيما اختاره مولانا نصره الله ، عارفين قدره وبأكمله ، وعرف عين البعض وعرف بمن عداه ، في ثامن عشر الشهر أعلاه .

أهل قصبة النوار

المقدم سيدي محمد بن الحاج محمد الفلالي
الحاج عبد الله بن الحاج العربي النسب
القائد الحاج محمد بن عبد الله النسب
الحاج الصديق بن مبارك النسب
الصديق بن المكي النسب
سيدي محمد بن عمر النسب
الحاج أحمد بن بوشتة النسب

- 14-
جواب أولاد الحاج

الحمد لله ، بعد أن بُين لجماعة أولاد الحاج المسطرة أسماؤهم بالطرة يمُنته ما تضمنه الظهير الشريف صدره : أجابوا بأن ما أجاب به أهل فاس هو جوابهم ، لأنهم في حكم أهل فاس ، معدودون في حومة من حومها ، عارفون قدره وبأكمله ، شهد به عليهم في حادي وعشري الشهر أعلاه .

أولاد الحـاج

الشيخ قدور بن بزيان الجرّاري
الشيخ الجلاني المعروب
الحاج علي بن السبع
عبد الله بن العياشي العشي
محمد بن عبد الله الحميدي الحافي
مبارك بن قدور العشي
أحمد بن عيسى الناصري
قدور بن سليمان المجاني
علي بن الطيب الناصري
قدور بن الأخضر الجلاني
الجلاني بن يعگوب الحميدي
محمد بن عيسى العجالي
قدور بن عبد الكريم العجلالي
لكبير قدور الزناتي

محمد بن سعيد القفيري

الحاج محمد بن قدور الزناتي

محمد بن دحمان النسب

الطالب مبارك بن أحمد الحميدي

البقال بن علي القفيري

سعيد بن عبد الكريم العشي

محمد بن عبد القادر الحميدي

- 15-

جواب مولانا عما كتب به الفقهاء خصوصاً

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

الحسن بن محمد الله وليه ومولاه

الفقهاء الأرضين المبرزين من القضاة والعلماء بفاس ، الحماة الهداة الذين للعامة من مصباحهم اقتباس ، وفر الله جمعكم ، وصان من كدر الحوادث نبعكم ، وشكر سعيكم ، وأدام لصالح العمل هديكم ، وسلام الله عليكم ورحماته وتحياته وبركاته .

أما بعد : فقد وصل ما قيدتموه فيما استشرتم فيه من تسريح ممنوع الوسق وذكر ان الحيوان لبعض الأجناس ، المقررة لكم شروطه المبنية من الاختبار والاحتياط على أساس ، ناهجين في ذلك منهج حكم الكتاب وصحيح الأخبار على سبيل الاطلاق ، الذي لا يخلو فيه لقيود المصلحة اعتبار ، مستظهرين كون منعهم من ذلك ـ إن اقتضاه النظر ـ أولى من الإسعاد ، ولو أفضى لعقد مدة تنقضي لتمام حُصول القوة والاستعداد ، لصدور ذلك منكم عن عقائد أمسك الإيمان زمامها ، وعزائم جردت بيد التوكل حُسامها ، فأوريتم بذلك زناداً ، وناجيتم به في مسرح الضمائر مراداً ، إذ هو في الحقيقة إفصاح بالواجب ، وصدع بأمر الله الذي ليس للعزائم عنه حاجب ، فقمتم فيه بلازم الوظيف ، وتخلصتم ببثه من وعيد الكتمان المقرر بالذكر المحكم والحديث الشريف ، وأديتم بذلك واجب النصيحة التي هي عنوان صدق العقيدة ، وعضد الايمان الذي به يُمنح المفاز مقليده ، على أن النصيحة شرط في البيعة وفرض على كل مسلم ، فكل قلب خلا من كوكبها المُنير مظلم ، كما أخرجه الشيخان عن جرير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أبايعك على الاسلام ، فشرط عليّ : والنصح لكل مسلم ، الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الطبراني : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس

منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » .

وتنبيهكم على الحمل على موافقة الدين ، والتفصي مما ينافي سنة سيد المرسلين : أتيتم فيه بحق التذكير والموعظة ، وطرد سوام التواني عن الهمم المستيقظة ، إذ التساهل في اتباع السنة رأس المهالك ، وداعية النوائب التي تضيق بها المسالك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «لكل عمل شِرّة ولكل شرّة فترة ،فمن كانت شِرّته إلى سنتي فقد اهتدي، ومن كانت شِرّته الى غير ذلك فقد هلك » ، على أن من صلح فبهداية الله ، ومن أساء فذلك في الحقيقة ابتلاء بطريق العدل من مولاه ، فكلا العملين بإلهامه وتوفيقه ، وكل يعمل على شاكلته وطريقه ، لقوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الطبراني : « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له » ، من خلقه الله لواحدة من المنزلين وفقه لعملها .

وإننا ـ لمزيد عنايتنا بالرعية وشفقتنا عليهم ـ لنتحمل السهر لتنام أجفانهم ، ونرضى بطول الكد لتستريح في الأجل ولدانهم ، ولا نالوا في إرادة الخير بهم جهداً ، وإقامة معالم السنة فيهم هدياً ورشداً ، حيث استودعنا الله إياهم ، واسترعانا صغراهم وجلاهم ، وفيما أخرجه الإمام مسلم « ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة » ، فلا نُهمل في تدبيرهم نصحاً ، ولا نهمل ـ بحول الله ـ ما يثمر لهم نجحاً ، ونمرد لهم من قوارير العزة صرحاً ، وقد أخذتم في اهتمامكم بالمتعين أحكاماً لعمل وظيفكم المعتاد ، وأداء لما طوقتموه من شد عضد الهداية والإرشاد .

هذا ولما كانت المصلحة في هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه ، وأوجبت ـ بطريق النظر ـ تسكين ما ينافيه : قدمناه ريثما تقترن طوالع العزم ـ إن شاء الله ـ في بروج سعده ، ويأتي الله بالفتح من عنده ، وما زلنا ولا نزال ـ بحول الله ـ نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح،ونذود عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح،والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد ، ويغنينا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد .

والسلام في 22 رمضان عام 1303 هـ .

- 16-

جواب مولانا أيده الله تعالى لكل من أجاب مولانا ممن عين قبل الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

وصيفنا الأرضي الأنجح ، الطالب عبد الله بن أحمد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : وصل جوابك عما أصدرناه استشارة لأهل فاس ، فيما استظهرنا المساعدة عليه لبعض الأجناس: من تعليق وسق بعض ما طلبوه على ما قرر لكم من الشروط، التي اعتبار المصلحة فيها بقيْد الاختبار منوط ، شارحاً ما ظهر منهم عند عرضه عليهم من الاضطرار ، الدال على تخليص مناهلهم من كدر الاغترار ، ومعلمًا بتوجيه الرسمين المتضمن أحدهما لجواب كل عُصبة من طوائفهم المتيامنة ، والآخر لجواب أهل الزاوية (الكبرى مع الزراهنة)(*) ، مع تقييد في ذلك خاص لعلماء فاس .

فأما تقييد العلماء فوصل ، وبإقبال نظرنا السديد اتصل ، وقد أدوا فيه الواجب تذكيراً ونصحاً ، وصدعوا من الحق بما شيدوا به في منهج الهداية صرحاً .

وأما الرسمان فطولع بهما علمُنا الشريف كذلك ، واستُوعب النظر فيهما بطريق الاستقراء ما هنالك ، فأعربا عن مضمن المشهود عليهم بوجه يستوفيه ، وقررا حكم اهتمامهم بنتيجة الاستشارة مع تفاوتهم فيه .

فأما أهل تلمسان فقد أحسنوا في إشارتهم بكون تسويق ما أشير له من المراسي فقط ، دون المدن والبوادي ، مع عدم التمكين من السلم لأحد ، وأدوا بذلك واجب

(*) هذا الجواب لم يرد نصه في « الدر الجوهرية » .

النصيحة ، عن عزائم صحيحة ، ولا غرابة في ذلك ، إذ ليس من رأي كمن سمع : فجزاهم الله خيراً .

وكذلك المرابطون والتجار ، مع من خُص إحضاره من أهل الحومات الذين نحوا نحو أهل تلمسان ، مع استظهار المرابطين نصب وكيل بالمراسي وعدم الضرب على يده ، وزيادة التجار عدم التمكين من الحيوان مُطلقاً ، واستدراك البعض منهم تحديد ما يوسق من الحَب بمقدار لا يتجاوز حده ، وتنبيه الحاج أحمد المراكشي على تقييد التسوق في أشهر العام ، بحيث يكون غير مجحف بالرعية ، فجزى الله الجميع خيراً ، وعاملهم بمقتضى نياتهم سراً وجهراً .

وأما الشرفاء العلويون ومن بعدهم من أهل النسبة ، مع المقدم الرامي ومن تلاهم من الأمين المقري والحاج أحمد الرايس وأرباب البصر ومن نحا نحوهم : في رد الأمر إلينا فيما أبدينا استظهاره ، والموافقة والاقتصار عليه من غير نتيجة استشارة ، فقد أدّوا في ذلك من الواجب بعضه ، حيث لم يشيروا بمقتضى سبر الأمر بعد مسهم نبضه .

وأما أهل زرهون فمن قبيل هؤلاء ، غير أنهم معذورون ، إذ لم يبلغوا مبلغهم في الذكاء ، والحذق والدهاء .

على أننا ما زلنا ولا نزال ـ بحول الله ـ نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح ، ونذوذ عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح ، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد ، ويغنينا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد .

وها جواب العلماء عما كتبوا به يصلك صحبته .

والسلام في 22 رمضان المطهر عام 1303 هـ .

ملحق سابع

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى عامل فاس حول الإعلان لمن أراد الانخراط في الجيش النظامي ، وهي ملحقة بنهاية الباب الثاني ص 87

وصيفنا الطالب عبد الله بن أحمد ، وبعد فنأمرك أن تطلق النداء بالمدينة على أن من أراد الدخول لنظام العسكر السعيد عن طيب نفس من غير اكراه عليه ، ويحرر ويوقر ما دام في الخدمة ، وتكون له الكسوة الكاملة والمؤونة الكافية بحول الله ، وعلى أن لا يكون استعماله إلا في أطراف المدينة وما قاربها ، بحيث لا يجاوز عدوة الرباط ، نعم إلا إذا كان رباط في سبيل الله ، ويخدم ثلاث سنين ثم يسرح .

فلتصرف وجه اعتنائك لذلك ، وقم على ساق الجد فيه ، واجعله من أهم أمورك ، أصلحك الله ، والسلام .

في 11 محرم عام 1302 .

دفتر التسجيل للمكاتب الحسنية :

في خزانة خاصة

دليل المنشور من الأبحاث والمؤلفات التي أنجزها المؤلف

أولاً ـ في تاريخ المغرب الحضاري

1 ـ « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » . . . نشر معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1950 ـ ص 294 .

نشرة ثانية بالأوفسيط سنة 1977/1397 .

2 ـ « ركب الحاج المغربي » . . . نشر معهد مولاي الحسن بتطوان ، سنة 1953 ـ ص 104 .

3 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : الجزء الأول ، مطبعة الأمنية بالرباط ، عام 1392-1973 ـ ص 347 : من منشورات وزارة الثقافة والأوقاف .

ـ نشرة ثانية ومعها الجزء الثاني بمبادرة دار الغرب الإسلامي في بيروت عام 1984/1405 .

4 ـ « وثائق ونصوص » : عن أبي الحسن علي بن منون وذريته ، المطبعة الملكية بالرباط ، عام 1396 = 1976 ـ ص 315 .

5 ـ « ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين » من منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية بالرباط 376 ص .

2/5 ـ « المصادر العربية لتاريخ المغرب » من منشورات كلية الآداب بالرباط ، الجزء الأول : 272 ص .

* * *

6 ـ « استقرار كثير من أصول القومية المغربية ، في الفترة المرينية والوطاسية[1] » ، مجلة دعوة الحق : العدد الثامن ، السنة الحادية عشرة ، عام 1388 = يوليوز 1968 ، ص 107 -111 .

7 ـ ترجمة نفس المقال إلى الفرنسية ، مجلة هيسبريس سنة 1968 ، الجزء 2 ص 219 - 227.

* * *

8 ـ « معرض المخطوطات العربية بمكناس » . . . مجلة تطوان : العددان الثالث والرابع « مزدوج » ، سنة 1958 - 59 ، ص 97 - 108 .

9 ـ « مكتبة الزاوية الحمزية » . مجلة تطوان . . العدد الثامن ، سنة 1963 ، ص 67 - 177 .

10 ـ « المخطوطات التونسية بالمغرب » ، مجلة المغرب التي تصدر عن وزارة الممثل الشخصي : العددان 6 و 7 «مزدوج»، دجنبر 1965، ص 50-62 .

11 ـ « ترجمة مغربية لفهرس الاسكوريال » ، مجلة البحث العلمي : العدد السادس ، السنة الثانية ص 16 - 23 ، سنة 1385 = 1965 .

12 ـ « معطيات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الرابع ، السنة 17 ، ص 117 - 121 .

13 ـ « المصادر الدفينة في تاريخ المغرب[2] » ، مجلة « البحث العلمي » ، السنة الثالثة ، العدد الثامن 1966/1386 ، ص 117 - 135 .

ـ نشرة ثانية منقحة ومزيدة : نفس المجلة : السنة الرابعة : العدد العاشر 1967/1387 ، ص 9 - 29 .

---

(1) أعد برسم ندوة جمعية تاريخ المغرب : 12 — 13 ماي 1967 بالرباط .

(2) أعد برسم « ندوة جمعية تاريخ المغرب » : 20 — 23 ماي 1966 بالرباط .

14 ـ « مجموعات المصادر التاريخية » ، مجلة البحث العلمي . السنة العاشرة ، العدد 20 - 21 مزدوج ، ص 83 - 95 .

15 ـ « الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما اليها[1] » ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 29 - 1398/1978 ـ ص 150 - 187 .

16 ـ « الكناشات المغربية » ، مجلة « المناهل » : العدد الثاني ، صفر ـ مارس 1395/1975 ، ص 196 - 232 .

17 ـ « وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس » ، مجلة دعوة الحق : السنة العاشرة ، العدد الثاني ، شعبان ـ ديسمبر 1386/1966 ـ ص 104 - 106 .

18 ـ « شهادات باستمرار السيادة المغربية على الصحراء الغربية » ، مجلة « الاعتصام » : السنة الثانية ، العدد الثالث ـ ص 20 - 22 ، 1396/1976 .

19 ـ « وثيقتان جديدتان من ذيول موقعة وادي المخازن » : مجلة « الايمان » : السنة الثامنة ، العدد 77 ، شعبان ـ يوليوز 1398/1978 ـ ص 69 - 73 .

ـ نشرة ثانية : مجلة « دعوة الحق » ، السنة التاسعة عشرة ، العدد الثامن ، رمضان ـ غشت 1398/1978 ـ ص 30 - 32 .

***

20 ـ « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » . . مجلة اللسان العربي : العدد الأول صفر 1384 = يونيو 1964 ، ص 52 - 66 .

ـ نشرة ثانية مزيدة لنفس المقال ، « صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في

---

(1) أعد برسم « الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية » ، حيث أنعقد بالرياض 23 — 28 أبريل 1977 .

مدريد » : المجلدان 11 ، 12 ص 329 - 358 ، سنة 1963 - 1964 .

ـ نشرة ثالثة لنفس المقال مزيدة أكثر ، « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ص 74 -91 ، يناير سنة 1967 .

21 ـ « أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة دعوة الحق : العدد الثاني ، السنة التاسعة ص 101 - 104 ، شعبان 1385 = ديسمبر 1965 .

* * *

22 ـ « فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي » . . مجلة « البحث العلمي » : العدد السابع ، السنة الثالثة ، ص 241 - 266 سنة 1385/ 1966-86 .

23 ـ « مدخل الى تاريخ القرويين الفكري » . . الكتاب الذهبي لجامعة القرويين سنة 1379 -1960 ، ص 182 -187 .

24 ـ « كراسي الاساتذة بجامعة القرويين » . . . مجلة دعوة الحق : السنة التاسعة، العدد الرابع ص 91 - 97 ، مع العددين الخامس والسادس : ص 91 - 97 وص 117 - 119 ، سنة 1385 = 1965 .

25 ـ « موضوعات مغربية عن نظم التعليم الأصيل » مجلة « الرسالة التربوية » : العدد الأول ، محرم ـ يناير 1396/1976 ـ ص 74 - 77 .

26 ـ « وصية تعليمية لأبي حامد الفاسي » : بالعدد الخامس من مجلة « كلية الشريعة » بفاس ، ص 17- 30 .

* * *

27 ـ « ترجمة فقيد الاسلام محمد المدني ابن الحسني » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد العاشر، السنة الثالثة ، ص 76 - 82 ، صفر 1380 = يوليوز 1960

28 ـ « حياة فقيد المغرب محمد المختار السوسي » ، « مجلة الايمان » : العدد الخامس، السنة الأولى ، ص 42 - 52 ، قعدة 1383 = أبريل 1964 .

29 ـ « حياة الفقيد محمد ابن الفقيه » . . . جريدة الميثاق » : العدد 53، السنة الثالثة ، العدد 54، السنة الثالثة ، سنة 1384 = 1964 .

30 ـ « الشريف الأدريسي » مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثامن ، ص 75 - 86 ، صفر 1386 ـ جوان 1966 .

31 ـ « مؤرخ مكناس ابن زيدان » . . . مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الأول ، ص 93 - 99 ، رجب 1386 = نوفمبر 1966 .

32 ـ « محمد بن الحسين العرائشي شيخ الجماعة بمكناس » ، نفس المجلة : العدد التاسع والعاشر « مزدوج » ، السنة الحادية عشرة ، جمادى I ، 1388 = غشت 1968 ، ص 108 -115 .

33 ـ « جوانب من حياة الفقيد : عبد الكريم ابن الحسني » ، المجلة ذاتها : العدد الأول ، السنة 16 ، ص 182 -183 .

34 ـ « الترجمة العلمية لقاضي مكناس : محمد بن أحمد السوسي » ، نفس المجلة : العدد السابع ، السنة 16 ، ص 80 - 92 .

35 ـ « محمد السائح : في منهجية تدريسه للحديث . ومن خلال أوضاعه المنوعة » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الخامس ، السنة 17 ـ ص 108 - 114 .

36 ـ « شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته » : مجلة « المناهل » : العدد السابع ، ذو القعدة ـ نوفمبر 1976/1396 ، ص 241-261 .

37 ـ حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار » : نفس المجلة : العدد العاشر ، ذو الحجة ـ نوفمبر 1977/1397 ـ ص 367 - 372 .

38 ـ « ترجمة ابن بطوطة » : مجلة « دعوة الحق » : السنة 19 ، العدد 5 ، رجب ـ ماي 1978/1398 ـ ص 13 - 20 .

* * *

39 ـ « ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر «مزدوج» ص 97 - 111 ، ربيع الأول والثاني ـ يوليوز ـ غشت 1966/1386 .

40 ـ « المولديات في الأدب المغربي » ، مجلة دعوة الحق : السنة الثانية عشرة ، العدد السابع ، ربيع الأول ـ يونيه ، 1969/1389 ـ ص 62 - 65 .

41 ـ « مجموعات مغربية في المدائح النبوية » ، مجلة الثقافة المغربية : العدد 4 ص 87 - 102 ، صفر ـ أبريل 1971/1391 .

42 ـ « مدائح نبوية مغربية » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع والعاشر « مزدوج » السنة 15 ، ربيع الأول ـ ماي 1973/1393 ، ص 157 -161 .

43 ـ «تاريخ حفلات الشموع بالمغرب »، مجلة «الفنون» : السنة الأولى، العدد السادس والسابع « مزدوج » ، ربيع الثاني ـ جمادى الأولى / مايو ـ يونيه 1974/1394 ، ص 34 - 38 .

44 ـ « مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة 18 العدد 4 ، جمادى الأولى ـ ماي 1977/1397 ، ص 20 - 31 .

* * *

45 ـ « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » ، نفس المجلة : السنة الحادية عشرة ، العدد الرابع ، قعدة 1386 = فبراير 1968 ، ص 51 - 62 .

46 ـ « ثلاث رسائل من المغرب الى ليبيا » ، نفس المجلة : السنة الثانية عشرة ، العدد الرابع ، ذو الحجة 1388 = مارس 1969 ، ص 42 - 47 .

47 ـ « اربع وثائق علوية ضد بدع الثورة والافراح » ، نفس المجلة : السنة الرابعة عشرة ، العدد الثالث ، عام 1391 = 1971 ، ص 51 - 59 .

48 ـ « التربية والتثقيف للأمراء العلويين » ، استجواب نشر في مجلة التعاون الوطني عام 1968 ، ص 14 - 15 .

49 ـ « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الأول » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الخامسة عشرة ، العدد الأول ، محرم 1392 = مارس 1972 ، ص 82 - 89 .

50 ـ « عبد الرحمان الجامعي الفاسي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير » ، نفس المجلة : العددان الرابع والخامس « مزدوج » ، السنة 16 ، ص 77 - 89 .

51 ـ « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثاني » ، المجلة نفسها : العدد الثامن ، السنة 15 ، ص 84 - 87 .

* * *

52 ـ « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الحادية عشر ، العدد الثالث ، ص 71 - 77 .

53 ـ « تاريخ المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة : المجلد الخامس عشر ، الجزء الأول ، مايو 1969 ، ص 3 - 47 .

نشرة ثانية : مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 من السنة 22 ، ص 9 - 29 .

54 ـ « صحيح البخاري في الدراسات المغربية » ، « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » : ج 3 مجلد 49 ، ص 500-549 .

ـ نشرة ثانية مزيدة : مجلة « دعوة الحق » : العـدد الأول ، السنة 17 ، ص 56 - 79 .

55 ـ « ذيل وتكملة لموضوع صحيح البخـاري في الدراسـات المغربيـة » ، مجلة دعوة الحق : العدد الثاني والثالث مزدوج ، السنة 17 ، ص 113 - 115 .

* * *

56 ـ « مناقشة أصول الديـانات في المغـرب الوسيط والحـديث[1] » : مجلة « البحث العلمي » ، السنة الخامسة ، العدد الثالث عشر ـ ص 23 - 32 .

57 ـ « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبيـة » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الثالثة عشرة ، العدد الثالث ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 - 61 .

* * *

58 ـ « المـوسيقى الأندلسيـة بالمغـرب » ، مجلة «البحث العلمي»: السنـة السادسة العدد 14 و 15 « مزدوج»، سنة 1969، ص 147-177، وقد فاز بجائزة المغرب سنة 1969 .

ـ نشرة ثانية مزيدة في مجلة « التراث الشعبي » العراقية ، العدد 6 . السنة 10 ص 31 -64 .

59 ـ « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » مجلة « دعوة الحق » : السنة الثالثة عشرة ، العدد الثامن ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 - 61 .

60 ـ « التصـوير بـالمغرب الاسـلامي في القديم » ، نفس المجلة : السنـة الرابعة عشرة ، العدد الأول والثاني « مزدوج » عام 1390 = 1971 ، ص 83 - 92 .

* * *

---

(1) أعد برسم « الموسم الثقافي » 1968 بالرباط .

61 ـ « الورقة المغربية » ، القسم الأول : مجلة « البحث العلمي » : السنة السابعة ، العدد 16 ، 1970 ، ص 37 - 65 .

ـ القسم الثاني : نفس المجلة ، السنة الثامنة ، العدد 18 ، 1391 = 1971 ـ ص 17 - 47 .

ـ القسم الثالث : مجلة « دعوة الحق » : العدد 10 السنة 16، ص 80 -92.

ـ القسم الرابع : مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني ، السنة 18 ، ص 45 -56 ، ربيع الأول ـ مارس 1977/1397 .

* * *

62 ـ « ملامح عن الحياة المغربية في رمضان » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع ، السنة الرابعة عشرة ، شوال 1391 = نونبر 1971 ، ص 136 -138 .

63 ـ « مشاهد عمالية من واقع مغرب الأمس » ، نفس المجلة : العدد الرابع ، السنة الخامسة عشرة ، جمادى الثانية 1392 يوليوز 1972 ، ص 113 - 115 .

64 ـ « لمحات عن سير الرياضة البدنية في التعليم المغربي القديم » ، نفس المجلة : العدد الخامس والسادس « مزدوج » ، السنة الخامسة عشرة ، رمضان 1392 = أكتوبر 1972 ، ص 139 - 143 .

65 ـ « قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي » ، مجلة « الباحث » : السنة الأولى ، المجلد الأول ، 1972 ، ص 107 - 136 .

66 ـ « أضحية العيد في أدب الغرب الاسلامي » : مجلة « المناهل » : العدد 5 ، ص 216 - 227 .

* * *

67 ـ « دليل القصبة الاسماعيلية بمكناس » : مجلة «دعوة الحق » ، السنة العاشرة ، العدد الرابع ، ذو القعدة ـ مارس 1386/1967 ، ص 107 -120 .

68 ـ « التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور » : مجلة « الثقافة المغربية » : العدد السابع ، ص 21 - 56 : القسم الأول .

69 ـ « حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني ، السنة 16 ، ص 130 - 153 .
مع العدد الثالث من السنة نفسها ، ص 153 - 163 .

70 ـ « الحصون والقلاع العسكرية . كفن أصيل في العمارة المغربية » : مجلة « الفنون » ، السنة الرابعة ، العدد الثاني ، ص 107 - 110 .

***

71 ـ « ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة[1] » : « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » ، ج 4 : المجلد الحادي والخمسون ، 1396/1976 ـ ص 827 - 882 .

نشرة ثانية مزيدة : مجلة « دعوة الحق » ، السنة 18 ، عدد 7 — 8 مزدوج ، شعبان ـ رمضان ـ غشت ـ شتنبر 1397/1977 ، ص 75 — 82 .

مع العدد التاسع من السنة نفسها : ص 68 — 84 .

نشرة ثالثة ضمن سجل « أشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته » : 75/2 — 113 .

72 ـ « الطابع الخاص للحضارة المغربية في العصر الوسيط »[2] ، « مجلة كلية

---

(1) أعد برسم « المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته » ، المنعقد بتونس : 24 — 29 ديسمبر 1974 .
(2) أعد برسم « ملتقى أبي لبابة » في مدينة قابس أيام 27 — 30 أفريل 1978 ، وبهذه المناسبة نشرت المحاضرة في =

الاداب والعلوم الانسانية » : جامعة محمد الخامس : العدد الثالث والرابع مزدوج ، سنة 1978 ، ص 81 — 96 .

73 ـ « خطة الحسبة في المغرب » : مجلة المناهل ، ، العدد 14 ، ربيع الثاني ـ مارس 1979/1399 ، ص 209 — 234 .

74 ـ « عادات مغرب الامس بمناسبة حلول السنة الهجرية » : مجلة « الارشاد » ، العدد السادس من السنة العاشرة ، 1978/1399 ، ص 12 — 15 .

75 ـ « ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس » : مجلة « المناهل » : العدد 6 ، رجب ـ يوليوز 1976/1396 ، ص 224 — 257 : القسم الاول .

76 ـ « الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية[1] : مجلة المناهل : العدد 17 ، ص 47 — 99 .

77 ـ « نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب بالمقدمة الخلدونية »[2] : منشور ضمن سجل « أعمال ندوة ابن خلدون » .

= شكلها الأول ودون تعاليق : باعتناء مجلة جوهر الاسلام التونسية : السنة العاشرة ، العدد 7 — 8 مزدوج ، 1978/1398 ، ص 6 — 13 .

(1) أعد برسم الندوة العلمية بتونس : 25 محرم ـ 2 صفر 15/1400 — 21 ديسمبر 1979 : بمناسبة ذكرى مرور ثلاثة عشر قرناً على تأسيس الزيتونة .

(2) أعد برسم ندوة ابن خلدون ، التي نظمتها كلية الآداب بالرباط : 14 — 17 فبراير 1979 .

ثانياً : دراسات اسلامية

78 ـ « مقاصد التشريع الاسلامي » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الثامن ، السنة الثانية ، ص 26 -33 ، قعدة 1378 = ماي 1959 .

79 ـ « اسرار الصيام الروحية والمادية » . . . مجلة دعوة الحق : العدد الخامس ، السنة السادسة ، ص 34 -37 ، رمضان 1382 = فبراير 1963 .

وعن هذه المجلة نشرته مجلة ، « الخرطوم » ، التي تصدرها وزارة الاعلام والعمل لجمهورية السودان ، عدد يناير 1966 ، الموافق 9 رمضان 1385 ، ص68 -71 ، في باب : « من صحافة العالم » .

وقد كان نفس المقال ـ أيضاً ـ أول مجموعة أحاديث رمضان الاذاعية لعام 1381هـ ص 2 -7 ، نشر وزارة الاوقاف المغربية .

80 ـ « هدى الاسلام في التربية والتعليم » ، مجلة الايمان ، العدد 7 و 8 « مزدوج » : السنة الاولى ، ص 81 -85 ، محرم وصفر 1384 = يونيه ـ يوليوز 1964 .

81 ـ « موقف الاسلام ازاء الضوائق العامة » . . . مجلة « دعوة الحق » السنة الثالثة ، ص 15 -17 ، شوال 1379 = أبريل 1960 .

82 ـ « طابع الاسلام بين الاديان » ، وهو الموضوع الذي تقدمت به الى « المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية » المنعقد في باكستان ، من 1 الى 12 ربيع النبوي 1396هـ/3-14 مارس 1976م : مجلة « دعوة الحق »السنة 17، العدد 8، شوال ـ أكتوبر 1976/1396 ، ص 87 -106 .

83 ـ « باكستان وطن المنجزات والمشاريع الاسلامية » : « نفس المجلة » السنة 17 ، العدد 9 ، ذو القعدة ـ نوفمبر 1976/1396 ، ص 113 -123 .

84 ـ « ارتسامات عن المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية بباكستان » المجلة ذاتها ، السنة 17 ، العدد 10 ، محرم ـ دجنبر 1976/1397 ، ص 10 -16 .

85 ـ «هدى الإسلام في القصد إلى يسارة التكليف» : مجلة كلية الشريعة بفاس، العدد 2 ، السنة الاولى ، ربيع الثاني ـ مارس 1977/1397 ، ص 40 -46 .

86 ـ « منهجية التعليم في الاسلام » : مجلة « دعوة الحق » ، السنة 19 ، العدد الاول ، محرم ـ يناير 1978/1398 ، ص 13 -17 .

87 ـ « هدى الاسلام في تنظيم الاقتصاد المنزلي» : نفس المجلة ، السنة 19 ، العدد التاسع ، شوال ـ شتنبر 1978/1398 ، ص 26 -38 .

88 ـ « الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان » : المجلة ذاتها » ، السنة 20 ، العدد الأول ، صفر ـ يناير 1979/1399 ، ص 35 -41 .

89 ـ « وظيفة المدرسة في المجتمع الاسلامي المعاصر »[1] : « نفس المجلة » ، السنة 20 ، العدد 6 -7 « مزدوج » ، رجب ـ شعبان/ يونيه ـ يوليوز 1979/1399 ، ص 78 -82 .

90 ـ «منوعات عن تلاوة القرآن الكريم بالترجيع والنغم» مجلة «الهداية» التونسية ، السنة 6 ، العدد 4 ، ربيع الثاني . جمادى الاولى ـ مارس ـ أفريل 1979/1399 ، ص 12 -14 .

ـ نشرة ثانية مزيدة في مجلة « دعوة الحق » : السنة 21 ، العدد 2 ، جمادى I ـ 1400/ أبريل 1980 ص 33-36 .

---

(1) أعد برسم الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان : 6 — 10 ربيع النبوي 14/1398 — 18 فبراير 1978 .

ثالثاً : فهارس مكتبية على حدة

91 ـ لائحة المخطوطات المحفوظة في خزانة تمكروت باقليم ورزازات : جزآن مطبوعان بالآلة الراقنة : الاول سنة 1973/1393 .

الثاني : سنة 1974/1394 .

205 ص تستوعب 4184 مخطوطاً .

92 ـ فهرس المخطوطات المحفوظة ، في الخزانة العامة بالرباط : قسم حرف كـ : الجزء الاول : بالآلة الراقنة ، سنة 1974/1394 .

132 ص تستوعب 404 مخطوطات .

93 ـ منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط عدا المقدمة : في جزء منشور بمطبعة فضالة 1978/1398 .

213 ص تستوعب 252 مخطوطاً ووثيقة .

94 ـ الجزء الاول من « الفهرس العام للخزانة الملكية » : مطبوع بالآلة الراقنة . سنة 1983/1403 : 314 ص تستوعب 438 مخطوطاً .

ومن المنشورات القديمة :

95 ـ « أول مدرسة أسست بالمغرب » . . . « ملحق جريدة المغرب للثقافة المغربية » : العدد 8 ، الخميس 3 ربيع الآخر عام 1357 = 2 جوان 1936 ، ص 120 ، وهو أول مقال نشرت في هذا الصدد .

96 ـ « تاريخ الراية المغربية » ، نشر ـ تباعاً ـ بجريدة الرأي العام : اعداد : 31 و 34 و 35 عام 1367هـ = 1947 .

97 ـ « علاقات المغرب بالشرق » ، نشر طرف يسير منه في جريدة الرأي العام . . . السنة الخامسة ، أعداد : 219 -220 -221 -222 ، عام 1371 = 1951 ، ومعظمه ضاع أثناء سنة 1954م ضمن أبحاث أخرى مخطوطة .

98 ـ « مركز المغرب في الشمال الافريقي » . . . جريدة الرأي العام » اعداد : 662 و 664 و 667 ، عام 1377 = 1957 .

* * *

أبحاث جد نشرها

99 ـ « رواية مشرقية لكتاب الشفا من طريق الرحالة الأندلسي أبي الحسين بن جبير » مجلة « المناهل » : العدد 19 ، ص 392 -399 .

100 ـ « صداقة اربعين سنة مع مؤرخ فاس عبد السلام إبن سودة » ، مجلة « المناهل » : العدد 20 ، ص 195 -205 .

101 ـ « كتاب الشفا للقاضي عياض : من خلال رواته ورواياته ومخطوطاته الأصيلة » ، مجلة « المناهل » : العدد 22 ، ص 305 -423 .

102 ـ « لوحة عن تاريخ الخط العربي » ، مجلة « المناهل » : العدد 24 ص 238 -266 : القسم الأول .

103 ـ « الوراقة العلوية عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشر » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 ، السنة 23 ص 10 -24 : القسم الأول .

104 ـ « لمحة عن تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 228 ص 8 -17 .

105 ـ « مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث » ، « مجلة دار الحديث الحسنية » : العدد 3 ص 53 -122 .

106 ـ « دور اثنين من مؤلفات إبن سينا في الدراسات الطبية بمغرب العصر الوسيط[1] ، « مجلة التراث العربي » : العددان 5- 6 . السنة الثانية ص130- 149 .

---

(1) أعد برسم ندوة « الفكر العربي والثقافة اليونانية » التي نظمتها كلية الآداب بالرباط : 7 — 10 مايو 1980 .

107 ـ « ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة الى الإصلاح في القرن 19 : من خلال وثيقة موضوعية »[1] .

« مجلة كلية الأداب » بالرباط : العدد 9 ص 145 -153 .

108 ـ « دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين »[2] ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 230 ص 27 -35 .

109 ـ « وثيقة إسماعيلية تهتم بتثقيف الوصيفات » ، مجلة « الارشاد » : العدد الثاني : السنة الرابعة عشر ، ص 35 -36 .

110 ـ «إرتسامات عن المؤرخ الرائد محمد داود»: «الملحق الثقافي» لجريدة العلم : السبت 29 شوال 1404/28 يوليوز 1984: العدد 703 . « انوال الثقافي » 2 بتاريخ السبت 7 يوليوز 1984 .

---

(1) مساهمة في الجلسات الرشدية بكلية الأداب بالرباط .

(2) أعد برسم « ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والاسلامي » بالرباط ، نظمها معهد البحوث والدراسات العربية عام 1983/1403 .

فهرس الموضوعات

كلمة افتتاحية 5
تصميم الكتاب 7

حالة المغرب في النصف الأول
من القرن 19 م

مركز المغرب في هذه الفترة 9
كارثة الاسطول المغربي القديم 10
مأساة الجزائر وأثرها على المغرب 16
تدهور الاقتصاد المغربي 19

الطور الأول

وضع المغرب من سنة 1830 الى سنة 1860 م 22
الكردودي ومؤلفه : «كشف الغمة ، ببيان ان حرب النظام حق ، على هذه الأمة » ... 23
ابن عزوز ورسالته في تنظيم الجيش المغربي 25
التسولي ومؤلفه حول مأساة الجزائر 27
محمد ابن ادريس وقصائده في الدعوة الى الدفاع عن الجزائر 31
محمد غريط وقصيدته في نفس الموضوع 34
محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي وقصيدته في الدعوة الى الاستعداد لمقاومة المد
الاستعماري 36
الكردودي وقصيدته ضد تصرفات بعض المحميين والاجانب 38
المحاولات الأولى لتجديد المغرب 39
شكوى شعرية 39

وضع المغرب من سنة 1860 الى سنة 1900 م 40

1 ـ تنظيم الجهاز الحكومي

ملامح التنظيم الجديد 43
اصلاحات في الخارجية المغربية : 49
1 ـ الحدود المغربية 50
2 ـ مقاومة التدخل الأجنبي 56
3 ـ تطوير علاقات المغرب
مع مصر وتركيا وتونس 61

2 ـ تجديد الجيش

ملامح تجديد الجيش المغربي وصداه في الأدب
والوثائق المعاصرة 76

3 ـ احياء الاسطول

قطع الاسطول المغربي الحديث ووثيقة موضوعية 87

4 ـ بناء المعامل الحربية

معمل البارود بمراكش 92
معمل القرطوس بمراكش 92
معمل السلاح بفاس 99
دار السلاح بفاس 99

5 ـ اصلاحات بالشواطىء

برج الفنار بطنجة 101
تحصينات شاطئية بطنجة والرباط والجديدة 102
تفتيشات شاطئية 103

6 ـ محاولات لتطوير بعض الصناعات

معمل السكر بمراكش 105
معمل القطن بمراكش 107
طاحونة بخارية بمراكش 108

7 ـ تقدم نسبي في التجارة الخارجية

نشاط المغاربة في الاسواق الخارجية 109
مشاركة المغرب في معرض باريس الثاني 111
مشاركة المغرب في معرض باريس الثالث 111
مشاركة المغرب في معرض باريس الرابع 112
وثيقة موضوعية 113

8 ـ تجديد العملة

تجديد العملة المغربية في عهد محمد 4 115
تجديدها في عهد الحسن الأول 116

9 ـ تشريع لموظفي الديوانات

121

10 ـ تنظيم البريد

النص الاساسي لتنظيم البريد المغربي القديم 123
تحليلات لتنظيم البريد 129

11 ـ انبعاث في ميدان التعليم

الخطوط الرئيسية لظاهرة الانبعاث التعليمي الحديث 135
ملامح من نشاط محمد 4 لتشجيع هذا الانبعاث 136
1 ـ احداث دروس للرياضيات والفلك :
أولاً : الحساب والفلك والهندسة 137

ثانياً : الموسيقى 141
2 ـ مدرسة المهندسين بفاس 143
3 ـ المدرسة الحسنية بطنجة 147
4 ـ دراسة بعض الفنون العسكرية .....
أولاً : دروس تعليمية 149
ثانياً : موضوعات عسكرية 152
5 ـ بعثات الى مصر وأوروبا : .....
أولاً : الى مصر 156
نص اجازة المدرسة الطبية المصرية لعبد السلام العلمي 160
لائحة اساتذته بنفس المدرسة 164
ثانياً : البعثات إلى أوروبا 166
مذكرة طالب مغربي درس بايطاليا 178

12 ـ الترجمة الى العربية

مدخل موضوعي 191
« الجامع المقرب ، النافع المعرب » : ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية 192
ترجمة مغربية في الأعمال اللوغاريتمية تعريب محمد
التطاري الفاسي 198
ترجمة مغربية لرسالة في العمل بآلة حسابية 199
ترجمة مغربية في موضوع تطبيق الجبر على الهندسة 200
ترجمة مغربية في العمل بالجداول اللوغاريتمية 201
ترجمة مغربية في وصف قوس الزجاج وطريقة العمل به 202
ترجمة مغربية لرسالة في موضوع ربع هدلي 202
ترجمة مغربية لقطعة في مبادىء الكيمياء والطبيعيات 203
ترجمة مغربية لقطعة في التنظيم العسكري 204
ترجمة برنامج كتاب في فن المدفعية 204
الترجمة الادارية 205

13 ـ موضوعات فلكية جديدة :

ملامح نشاط الفلكيات بالمغرب الحديث 206
تنقيحات لحصص ميقاتية مغربية 207
تخطيط المزاول الشمسية 208
تجاوب أدبي ووثائقي مع واقع النشاط الفلكي الجديد 212
السلطان محمد الرابع يخترع جهازاً فلكياً ويضع رسالة لشرح
طريقة استعماله 213
محمد الأشخم الزرهوني يساعد محمد الرابع في انتاج الجهاز
المبتكر 214
محمد بن المفضل ابن كيران الفاسي وأوضاعه الخمسة،
ومن بينها اختراع ثمن الدائرة 215
عبد الرحمان العلج ومؤلفاه الاثنان 216
الحسن المشيشي المراكشي ومؤلفه في اللوغاريتم 218
عبد السلام الأودي ومؤلفه الذي تناول فيه العمل
باللوغاريتم 219
السعيد المراكشي مؤلف رسالة في اللوغاريتم 220
أحمد الصويري ورسالته في اللوغاريتم 220
اثباته أن الرياضيين العرب ـ وبينهم المغاربة ـ مهدوا لاكتشاف اللوغاريتم 222
استدراك على بعض المؤلفين في اللوغاريتم 223
الحسن المزميزي المراكشي ومؤلفه في اللوغاريتم 224
الطاهر الحمري المراكشي ومؤلفه في اللوغاريتم ، مع كتابه الآخر : الدستور ، في
أوقات المعمور 225
عمر بن السعيد المراكشي ومؤلفه : شد الرحلة 225
محمد الاغزاوي الفاسي ومؤلفه في اللوغاريتم 227
الحسن ابن جلون المراكشي ومقدمته في اللوغاريتم 228
نص لمحمد المفضل ابن كيران في موضوع التقنيات القديمة والحديثة، ونهضة
الفلكيات في مغرب القرن 13 هـ وفي مدينة وزان بالخصوص 229

14 ـ موضوعات جديدة متنوعة

عبد السلام العلمي وأوضاعه الفلكية والطبية وفي الشطرنج ، وبينها جهازان فلكيان مبتكران 237
محمد ابن الكعاب ورحلته ، مع اثبات نص الرسالة عن تطورات دراسته بأوروبا 244
الزبير سكيرج يبتكر جهازاً فلكياً ويضع رسالة في مبادىء الهندسة 246
الطاهر الاودي وأوضاعه الثلاثة 247

15 ـ خرط وتقنينات حديثة

دفتر تصميمات سكنية من انتاج بعض أعضاء البعثات 249
أربعة أسماء من واضعي تصميمات متنوعة 250
أحمد شهبون وخرائطه الجغرافية 251
محمد بن لحبيب الفيلالي صانع ساعات حديثة 252

16 ـ أطر حديثة من أفراد البعثات ومن اليهم

254

17 ـ الطباعة الحجرية الفاسية

نشأة الطباعة وشيوعها 257
ظهور الطباعة الحجرية 259
تطلع مغربي للطباعة 260
وصول المطبعة الحجرية للمغرب 261
المطبعة الحجرية الأولى مؤسسة حكومية 263
المطبعة الحجرية الأولى مؤسسة فردية 272
مطابع حجرية جديدة :
1 ـ مطبعة الحاج الطيب الازرق 276
2 ـ مطبعة العربي الازرق 277
الخطاطون بمطبوعات أبناء الازرق 279
جملة من منشورات أبناء الازرق 281

3 ـ المطبعة الجديدة
لاحمد بن عبد المولى 289
4 ـ المطبعة الجديدة للذويب 290
5 ـ المطبعة الحفيظية 291
تذييلات موضوعية 293
ملحقات وثائقية وعددها : 14 294

18 ـ الطباعة السلكية

316

19 ـ مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة

1 ـ أبو اسحاق ابراهيم التادلي 321
2 ـ ابو العباس أحمد بن خالد الناصري 324

20 ـ مواقف ضد الامتيازات الاجنبية

فقرةضد الامتيازات الأجنبية لمحمد المأمون الكتاني 326
الحاج العربي المشرفي ورسالته ضد الامتيازات الاجنبية 327
أبو الحسن علال الفاسي وخطبته : ايقاظ السكارى
المحتمين بالنصارى 327
أبو المواهب جعفر الكتاني ومؤلفه : الدواهي المدهية
للفرق المحمية 328
محمد بن ابراهيم السباعي ورسالته : كشف النور 328
المهدي الوزاني وفتواه ضد الاحتماء بالاجنبي 329
محمد بن جعفر الكتاني ورسالته في نفس الموضوع 329
خطبة موضوعية لنفس المؤلف 329
مقتبسات من بعض الموضوعات السابقة 330

21 ـ توجيهات حول تنظيم الجيش

فتوى لابي العباس المرنيسي 335

فتوى لمحمد الصادق العلوي 336
فتوى لابي حفص عمر ابن سودة 336
فتوى للحاج محمد الفيلالي 336
تحليل كتاب للغالي بن محمد اللجائي 337
تحليل رسالة محمد المهدي ابن سودة 340
تحليل تأليف محمد بن محمد الفلاق السفياني 340
أبو العباس الناصري وما كتبه في الاستقصا في نفس الموضوع 341
نص رسالة محمد المهدي ابن سودة في تنظيم الجيش 341

22 ـ الدعوة الى الجهاد

نظرية الناصري في الموضوع 348
موقف محمد العربي العلوي المدغري 350
تأليف في الدعوة الى الجهاد لاحمد بن الهاشمي الادريسي 352
منشور في نفس الموضوع بامضاء المصطفى بن الحنفي
العلوي المحمدي 353

23 ـ توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب

تحليل مؤلف موضوعي باسم التحفة الدكالية الى الحضرة
العلية ، تأليف سعيد بن عبد الله الدكالي 356

24 ـ ظهور الصحافة العربية

358

25 ـ صدى حرب تطوان في الأدب المغربي

خطبة عن مأساة تطوان لعبد الكبير الفاسي 364
قصيدة المفضل أفيلال 366
رسالة العربي الادوزي 368
القصيدة التطوانية للحاج ادريس بن علي السناني:
« زجل » 370

26 ـ طلائع المعارضة الشعبية

مدخل موضوعي 378
موقف العلماء من ضريبة المكس 379
أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث 381

كلمة ختامية

بيان أن ما يقدمه الكتاب لا يعدو بعض الجوانب الموضوعية 384
الاسباب التي أدت الى فشل المحاولات الاصلاحية 385

ملاحق 7

1 ـ قطعة من قانون لتسيير أمانة المراسي المغربية 391
2 ـ رسالة في شأن الطبيب احمد التمسماني 401
3 ـ سير التعليم الحديث في أوساط اليهود المغاربة 402
4 ـ ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة الى الاصلاح
في القرن 19 من خلال وثيقة موضوعية 405
5 ـ مقيدة عن دراسة العلوم الرياضية والفلكية بمكناس خلال القرن 19 415
6 ـ 16 وثيقة عن استشارة س الحسن I لنخب من فاس في نازلة اقتصادية 458
7 ـ رسالة من س الحسن I الى عامل فاس حول الإعلان لمن أراد الانخراط
في الجيش النظامي 492

دليل المنشور من الابحاث والمؤلفات التي أنجزها المؤلف

508- 493
فهرس الموضوعات 509
مقدمة الكتاب بالفرنسية 519

فهرس الرسوم

شكل (1) 90
شكل (2) 110
شكل (3) 119
شكل (4) 128
شكل (5) 130
شكل (6) 162
شكل (7) 190
شكل (8) 217
شكل (9) 243
شكل (10) 264
شكل (11) 268
شكل (12) 268
شكل (13) 271
شكل (14) 275
شكل (15) 310
شكل (16) 361
شكل (17) 468

PREFACE

Avec l'avènement du 19è siècle, le Maroc a connu un courant innovateur, courant qui bien que de portée limitée, diverses couches populaires y participèrent à côté des dirigeants.

Aussi, je me suis astreint d'exposer dans ce premier tome tous les renseignements épuisés à travers ma documentation relative à ce courant, et ceci sans aucune discrimination entre les partis ayant contribué par le biais de ce dernier, en vue de donner naissance à un Maroc moderne.

C'est ainsi qu'après s'être largement influencé du modèle turc et de l'Orient arabe, le rôle du pouvoir à cette époque visait des tentatives d'introduction de certaines réformes quant à la situation générale que vivait le Maroc du 19è siècle.

Aussi a-t-on vu des réformes officielles toucher l'appareil administratif, la défense, l'économie et les communications à quoi il faut ajouter un foisonnement d'Etudes de certaines sciences tels que les mathématiques, l'astronomie, l'art militaire, ce mouvement culturel a donné lieu au départ de délégations marocaines en vue de poursuivre des études soit en Egypte, soit en Europe. A côté de ce développement des sciences précitées, d'autres activités culturelles ont vu le jour voire des essais d'interprétariat et de traduction dans la langue arabe, l'invention de nombreux appareils astromiques, l'apparution d'ouvrages en matière d'astronomie et de sciences mathématiques, basés sur les théories modernes de raisonnement, l'imprimerie arabe fut introduite pour la première fois au Maroc.

Par ailleurs un autre courant ayant revêtu un aspect moderne fit son apparition dans le rang des savants et érodits, c'est ainsi que certains d'entre eux se sont lancés dans la création littéraire - afin

de rivaliser les apports étrangers - et ceci tantôt en matière d'organisation militaire et administrative, tantôt pour faire l'appel au combat; d'autres furent fortement influencés par les connaissances et les sciences modernes. Cette activité n'était pas l'exclusivité des hommes de sciences, mais fut accompagnée d'un début de presse arabe pour la première fois au Maroc, et d'une participation massive des hommes de lettres au renforcement d'un tel courant, notamment à la suite d'une initiative de l'opposition populaire.

C'est pourquoi j'ai accordé une importance à un tel sujet en le cernant de près, d'autant plus que j'ai déjà publié un certain nombre d'articles - à ce propos - dans des revues marocaines en langue arabe, je n'ai d'ailleurs point modifié le fond de ces derniers, par contre j'ai introduit quelques modifications dans le contenue et l'ordre des idées en les enrichissant d'éléments dépassant ainsi le tiers de ce premier tome; j'ai aussi porté beaucoup d'intérêt quant à la suite et l'harmonie des études publiées dans les revues et reprises dans ce premier tome et ceci afin de leur donner l'aspect d'un ouvrage.

En outre j'ai veillé à ce que certaines recherches faites auparavant par d'autres auteurs, ne constituent pas l'importance majeure de cet ouvrage, je me suis contenté d'en faire une source de références pour le lecteur. Par contre j'ai déployé le maximum d'efforts afin de mettre en vedette - après être restées longuement ignorées - des études nouvelles qui constituent d'ailleurs la quasi-totalité des matières traitées dans ce tome.

En ce qui concerne la documentation, j'ai été amené à consulter des bibliothèques aussi bien privées que publiques et quelquefois même - à défaut d'ouvrages - certaines transcriptions et gravures figurant sur des monuments historiques. Et pour le besoin j'ai justifié le contenu et la validité du texte, soit par le biais des archives, soit par d'autres textes à travers lesquels j'ai complété mon étude, afin que le lecteur ou le chercheur soit aussi satisfait que possible et disposera des références qu'il jugera nécessaires.

Rédigé à Rabat, le Vendredi 29 Choual 1392 – 1er décembre 1972.

L'Auteur,
Traduit de l'Arabe au Français par
MENOUNI Fouzia.

kitabweb-2013.forumsmaroc.com

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني

المدارس
شركة النشر والتوزيع
المدارس
٥٥ شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

مظاهر يقظة
المغرب الحديث

الخزانة العامة للكتب والوثائق ــ الرباط
رقم الإيداع القانوني 1 ــ 1985

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني

الجزء الثاني

شركة النشر والتوزيع
المدارس
47 شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

حقوق إعادة الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

طبع بالاشتراك

دار الغرب الإسلامي
ص.ب 5787/113 بيروت ـ لبنان

شركة النشر والتوزيع
المدارس
٥٥ شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

رقم 56 / 2000 / 2 / 85

التنضيد : سامو برس

الطباعة : مطبعة المتوسط ـ بيروت ، لبنان ـ تلفون 811373 / 811385

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

عرفت العشرة الأولى من القرن العشرين حركة بعث مغربي جديد انطلق من مبادرات المستوى الرسمي ، ثم ساهم فيه نخب من طبقات المفكرين الوطنيين ، وهدفت هذه الانتفاضة إلى محاولات إصلاحية مست سير الإدارة والاقتصاد والأشغال العمومية والدفاع والاجتماع ، ومن جهة أخرى وقفت الحكومة والشعب على السواء ضداً أعلى التدخلات الأجنبية وتحرشاتها بالواحات والحدود المغربية .

وتبتدي هذه الفترة من سنة 1318 هـ / 1900 م ، لتقف عند سنة 1330 هـ / 1912 م ، وتبعاً لتطور الأحداث تفرعت الحقبة ذاتها إلى ثلاث مراحل :

الأولى : تمتد من بداية هذه الفترة ، ثم تنتهي أواخر عام 1322 هـ / 1905 م .

والثانية : من تقديم مقترحات فرنسا الإصلاحية في التاريخ المشار له ، حتى نهاية عهد السلطان العزيز عام 1325 هـ / 1908 م .

الثالثة : من بداية عهد السلطان الحفيظ ، إلى إعلان الحماية عام 1330 هـ / 1912 م ، وستكون هذه موضوع دراسة على حدة .

* * *

وأولاً : نشير إلى تركيب الحكومة التي سيرت نفس الفترة في عهد السلطان العزيز [1] ، وهكذا بعد وفاة الصدر أبا حماد صار تأليف الحكومة على الشكل التالي :

1 ـ مصدر لائحة أغلب الوزراء في هذه الفترة هي « مذكرات » المفكر المغربي : محمد الحجوي بعنوان « إنتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » . خ . ع . ح 123 . وستذكر ـ استقبالاً ـ باسم « المذكرات الحجوية الأولى » .

1 ـ الحاج المختار بن عبدالله بن أحماد : رئيس الوزارة ووزير الداخلية ، وهو ابن عم الوزير السابق ، وتقلب ـ من قبل ـ في عدة مناصب ، من بينها الوزارة للخليفة السلطاني بفاس[2] .

2 ـ المهدي بن العربي المنبهي : وزير الحربية والبحرية ، والمستشار الخاص للسلطان ، وبهذا صار له الإشراف على سائر الوزارات ، وكان قبل الوزارة قائداً على قبيلة المنابهة حوز مدينة مراكش ، مع حظوة لدى الوزير السابق أحمد ابن موسى

3 ـ عبد الكريم ابن سليمان الفاسي : وزير الخارجية ، بعد ما كان كاتباً في هذه الوزارة أيام الوزارة الأحمدية[4] .

4 ـ الحاج عبد السلام بن محمد « موخ » التازي الرباطي ، وزير المالية ، وهو يشغل هذا المنصب من عهد السلطان الحسن الأول[5] .

5 ـ محمد المختار بن علي المسفيوي : وزير الشكايات : « العدلية »[6] ، بعد ما كان والده يشغل هذه الوزارة أيام السلطان الحسن الأول وصدر الدولة العزيزية .

وقد نجح المنبهي في التخلص من منافسين له في هذه الحكومة ، فإن وزير المالية طلب من السلطان إقالته وقبلت بتاريخ 20 ربيع الأول النبوي عام 1318 هـ /[7] « 1900 م » ، ثم خلفه في وظيفته الشيخ التازي : محمد بن عبد الكريم الفاسي ،

---

2 ـ توفي ـ بمكناس ـ عام 1335هـ /1917م ، وترجمته في « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 306–308 .

3 ـ توفي ـ بطنجة ـ عام 1358 هـ /1939 م ، ووردت معلومات عنه في « مذكرات » محمد الحجوي الأنفة الذكر .

4 ـ توفي ـ بفاس ـ عام 1326 هـ /1908م ، وترجمته في « فواصل الجمان » ص 92–109 .

5 ـ توفي ـ بالرباط ـ عام 1325 هـ /1908م ، وترجمته في إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 363–370 .

6 ـ « مذكرات » ثانية لمحمد الحجوي بعنوان : « الخبر عن دولة السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي الحسني » ؛ خ . ع حـ 128 ؛ وتوفي المسفيوي ـ بالرباط قادماً من مراكش ـ عام 1330/1912 .

7 ـ إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 364 .

بعدما كان يشغل منصب أمين الصائر[8] .

كما أن الحاج المختار عزل من منصبه أواخر حجة عام 1318 هـ /[9] «1900م» ، وتولى محمد المفضل غريط الصدارة والداخلية ، وهو الذي كان وزيراً للخارجية في العهد الحسني[10] ، وبادر هذا فعزل المسفيوي وزير الشكايات ، وعين مكانه المهدي (بن محمد) غرنيط[11] بتاريخ 26 جمادي الأولى 1319 .

وأثناء ثورة الجيلاني الزرهوني « بو حمارة » : عقب موقعة « سهل بو عيان » . حمي الوطيس بين المنبهي ورفقائه الوزراء بأنواع الانتقادات ، فطلب وزير الحربية السفر لأداء فريضة الحج ، وبارح المغرب في رمضان عام 1321 هـ / « 1903 م » ، وإذ ذاك خلفه في منصبه محمد بن محمد الجباص[12] (السفياني ثم الفاسي) .

هؤلاء هم الوزراء الذين سيروا المغرب في الفترة الممتدة من وفاة الصدر باحماد حتى نهاية الدولة العزيزية ، وسيضاف إلى لائحة الوزراء اسم قائد المشور ابن يعيش : إدريس بن القائد الحاج محمد بن بنعيسى البخاري ، وكان له دور في بعض مشاكل هذه الفترة[13] .

* * *

8 – « الحلل البهية » لمحمد بن مصطفى المشرفي ، مخطوطة خ . ع د 1463 . وكانت وفاة الشيخ التازي – بطنجة – عام 1333 هـ / 1915 م . حسب جريدة « السعادة » عدد الأربعاء 9 جمادي الأولى 1333 هـ / 24 مارس 1915 م ، وهو أخ محمد التازي المندوب المخزني السابق بطنجة .

9 – « الحلل البهية » ، مع « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 307 .

10 – الحلل البهية ، وفواصل الجمان ص 191–192 . وكانت وفاة محمد المفضل غريط عام 1344 هـ / 1925 م .

11 – المذكرات الحجوية الثانية ، وتأخرت وفاة المهدي غرنيط إلى عام 1363 هـ ، وهو أخ محمد المفضل غريط ، ووالدهما – معاً – هو الوزير محمد بن محمد بن عبدالله غريط ، المترجم في « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 248–254 ، مع « فواصل الجمان » ص 63–70 ، وأجرى المصدر الأخير ذكره – أيضاً – ص 168 .

12 – « المذكرات الحجوية الأولى » ، وتوفي الجباص – بمدينة الجديدة – عام 1352 هـ /1934 م ، وله ترجمة وجيزة عند محمد الحجوي في فهرسه « مختصر العروة الوثقى » المنشور بمطبعة الثقافة بسلا ، ص 17 .

13 – أنظر كتاب المسألة المغربية تأليف محمد خير فارس . مطبعة نهضة مصر بالقاهرة . ص 165 .

أما مقر الدولة في الفترة ذاتها فكان ـ أولاً : بمدينة مراكش ، ثم انتقل السلطان العزيز منها إلى فاس ، وبارح عاصمة الجنوب أواسط رجب عام 1319هـ / « 1901م) ، واجتاز بمدينة الرباط ، حيث استمر بها إلى ما بعد انصرام شهر رمضان ، ثم تابع الرحلة عبر طريق بني حسن فزرهون ، ووصل إلى فاس أوائل ذي الحجة من العام نفسه[14] ، الموافق سنة 1902م ، وقد حالت ثورة بو حمارة دون رجوع السلطان إلى مراكش ، واستمر بفاس إلى قيام الانتفاضة الحفيظية .

* * *

ومن الجدير بالملاحظة أن المسؤولين في هذه الفترة وجدوا أمامهم ـ مع مر الزمن ـ مشاكل داخلية ، وهي قليلة بالنسبة إلى المشاكل الخارجية التي بلبلت أفكارهم[15] .

وقد صور واقع المغرب في مبادي هذه الفترة ثلاثة من المؤرخين المغاربة[16] ، ونجتزي بذكر ارتسامات أحدهم ، وهكذا يقول السليماني[17] : « وبالجملة فبموت الحاجب أحمد بن موسى عمت الفوضى سائر البلاد ، وطغى حاضرها والباد ، ووقع الإنقلاب المحسوس في هيأة الحكومة » .

وعن أبعاد ثورة بو حمارة يقول محمد الحجوي[18] إثر ذكر عام 1320هـ : « وفي هذه السنة بدأ انقلاب الأحوال بالمغرب بثورة أبي حمارة ، التي سببت فقر مالية المغرب ، والسلف الأوربي ، ثم سقوط المالية بيد إدارة السلف ، وفناء

= 248 ، وتوفي ابن بعيش ـ بالرباط ـ عام 1326هـ / 08ـ1909 ، حسب محمد دنية في « مجالس الانبساط ... » مخطوط الخزانة الملكية 779 ، ج 2 ص 163 .

14 ـ « الحلل البهية » ، مع المذكرات الحجوية الأولى .

15 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

16 ـ اثنان منهم هما : المشرفي في « الحلل البهية » ، وابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » ، ج 1 ص 396 .

17 ـ « اللسان المعرب . عن نهافت المعمرين حول المغرب » ، مخطوط الخزانة الملكية رقم 297 : الجزء الأول .

18 ـ « الفكر السامي » ج 4 ص 205 .

حماة المغرب وأبطاله في الحروب الداخلية ، وقد اختل النظام ، وضاع الأمن ، وفسدت الأخلاق ، وضاعت الفضيلة والأمانة ... » .

وقد تسلسلت أحداث هذه الفترة كالتالي :

ـ مأساة الواحات المغربية .
ـ مأساة الحدود المغربية : الشرقية ثم الجنوبية .
ـ حدة إلحاح أوربا لإجراء الإصلاحات بالمغرب حسب مخططاتها .
ـ ثورة المغرب الشرقي بقيادة بو حمارة .
ـ سياسة القروض الأجنبية .
ـ الاتفاقات الأجنبية الثنائية .
ـ مقترحات فرنسا الإصلاحية .
ـ مؤتمر الجزيرة الخضراء .
ـ ثورة الشريف الريسوني .
ـ احتلال وجدة والبيضاء .
ـ البيعة الحفيظية وما تلاها من أحداث حتى إعلان الحماية .

وليس من موضوعنا تحليل هذه الأحداث ، ويهمنا ـ فقط ـ أن نستخلص ـ من ماجريات بعضها ـ ملامح يقظة المغرب في مطالع القرن العشرين . حتى نستجلي معطياتها على بعض المستويات الشعبية أو في سياسة الحكومة .

وقد استبد بتفكير المعنيين بالأمر في هذه الفترة قضايا الواحات والحدود ومشاريع الإصلاحات ، وعلى هذا الترتيب سنعرض ـ في هذا المدخل ـ الملامح الأولى للمشاكل الثلاث .

* * *

ونذكر ـ أولاً ـ أن الواحات المعنية بالأمر تشمل منطقة فجيج ووادي الساورة ، وإقليم توات بما فيه كرارة وتيدكلت وما إليهما .

وقد كانت قضية الواحات أول مشكلة واجهت المسؤولين في هذه المرحلة ،

حيث وجدوا الفرنسيين أتموا احتلال إقليم توات ، وشرعوا في الاستلاء على واحة فجيج .

ولمواجهة هذا الوضع سلك المسئولون الطرق الديبلوماسية ، ورفضوا ـ بتاتاً ـ تحركات المواجهات العسكرية . إستناداً لأوضاع المغرب المتخلفة أمام قوة المتغلب . انظر الملحق رقم1 ، وقد سارت سياسة الحكومة السلمية في مرحلتين :

الأولى : على عهد وزارة الحاج المختار .

والثانية : في عهد وزارة المفضل غريط .

* * *

وكانت الوزارة الأولى تحاول ـ في قضية توات ـ أن تسير في خط سياسة الوزير المتوفي : أحماد بن موسى ، حيث كان هذا الأخير بعث إلى طنجة مندوباً عن الحكومة للاسترعاء لدى ممثلي الدول ضد تصرفات فرنسا في إقليم توات ، وكان احتلالها ـ إذ ذاك ـ لا يزال في بدايته[19] .

وقد أعاد النائب محمد الطريس نفس المحاولة على عهد هذه الوزارة الأولى ، وكتب إلى نواب الدول بطنجة باحتجاج المغرب ضد عمل فرنسا في منطقة توات : حسب إشارة سجلتها رسالة ملكية إلى نفس النائب ، بتاريخ فاتح ربيع الثاني عام 1318 هـ / «1900 م» : الملحق رقم 2 .

وسوى هذا فكر الوزير الحاج المختار في إثارة قضية توات على مستوى سفارتين مغربيتين إلى الخارج ، وفي هذا الصدد ورد في رسالة من نفس الوزير إلى النائب الطريس ، بتاريخ 29 ربيع الثاني عام1318 هـ / «1900 م» .

« ... فإني استشير معك في تعيين سفيرين معتبرين ، من طرف مولانا ـ نصره الله ـ لجنس النجليز والبروسيا أو غيرهما مما تشير به علينا : برفع أمر قضية توات والكلام فيها حينما تعلمنا به ، نحبك تجعل هذا من مهماتك ، وتجيبني ـ سراً ـ صحبة هذا الرقاص ولا بد ... » : الملحق رقم 3 .

---

19 ـ انظر « الحلل البهية » ، مع « المذكرات الحجوية » الأولى .

ومن المؤكد أن هذه المحاولة لم تتحقق في هذه المرحلة . وسنرى ـ وشيكاً ـ أن السفارات إنما ذهبت لأوربا على عهد الوزارة الثانية .

* * *

وعن موقف الوزارة الأولى في موضوع تتميم خط الحدود الشرقية ، كان السلطان العزيز كتب رسالة شخصية إلى الملكة الإنجليزية فيكتوريا سنة 1900 . وطلب من الوزير البريطاني المفوض بالمغرب ،أن يسلمها ـ مباشرة ـ إلى الملكة نفسها .

وقد اقترح سلطان المغرب في هذه الرسالة على الملكة ، أن تقنع الحكومة الفرنسية بوجوب تعيين الحد النهائي بين المغرب والجزائر ، بحيث تتعهد فرنسا أن لا تتعداه .

ووصل طلب السلطان إلى الحكومة الفرنسية ، وأكد ديلكاسيه وزير خارجيتها للسفير البريطاني ، بأن حكومته لا تنوي مهاجمة المغرب ، ونفي كل الإشاعات حول خطط سرية أو غير قانونية [20] .

* * *

بيد أن مجرى الأحداث ـ سواء في الحدود الشرقية أو بمنطقة توات ـ أسفر عن عدم جدوى الرسالة الملكية والمحاولات الوزيرية ، فلذلك قامت الوزارة الثانية ـ التي يترأسها غريط ـ بمساعي جديدة في هذا الصدد ، وقررت إثارة قضية توات وإتمام خط الحدود على نطاق دولي .

ومن هنا فإن الوزارة الغريطية هيأت ـ لهذا الغرض ـ سفارتين . إلى أوربا خلال عام 1319 هـ / 1901 م ، حيث كان السلطان لا يزال بمراكش ، ومن هذه المدينة توجهت السفارة الأولى إلى لندرة وبرلين . وكان على رأسها المنبهي وزير

---

20 ـ تاريخ المغرب في القرن العشرين . تأليف روم لاندو . تعريب د . نقولا زيادة ... نشر دار الكتاب بالدار البيضاء . ص 71-72 .

الحربية ، وذهبت السفارة الثانية إلى باريس وبطرسبورغ برئاسة ابن سليمان وزير الخارجية[21] .

وقد فشلت السفارة الأولى سواء في لندرة أو برلين فيما يتعلق بالموضوعات السياسية التي كانت تهدف إلى إثارتها ، وإنما تلقت توجيهات من انجلترا للمحافظة على استقلال المغرب ، ومنها إصلاح الطرق ، وإجراء العدل ، ونشر الأمن ، وفتح المراسي للوسق والإتجار ، وإصلاح أحوال السجون ، وتجنب التبذير[22] .

وبالنسبة إلى السفارة الثانية فإنها لم تنجح في إثارة أي من موضوعي مهمتها ، وفي فرنسا رفض وزير خارجيتها مناقشة نقطة الواحات ، كما ظل متمسكاً بسياسة عدم تتميم خط الحدود[23] ، وألح نفس الوزير في شأن التنظيمات ودخول الإصلاحات للمغرب .

ولسوء الحظ فإن السفارة البارسية تورطت في توقيع وفق 20 يونيه سنة 1901م / 3 ربيع الثاني 1319 هـ ، وهو الذي انعقد ـ في باريس ـ بين وزير خارجية المغرب عبد الكريم بن سليمان ، ووزير خارجية فرنسا ديلكاسي ، ثم تلاه الوفق التطبيقي للمعاهدة الأولى بتاريخ 20 أبريل 1902م / 12 محرم 1320 هـ ، وكان انعقد بالجزائر بين محمد الجباص الكاتب الأول لوزارة الحربية ، والجنرال كوشمير[24] .

ومن هنا تسنى لفرنسا أن تدعي إعتراف ابن سليمان بشرعية وجودها في إقليم توات وبعض واحة فجيج ، إنطلاقاً من معاهدة باريس ، وشجعت هذه الوثيقة نفس الدولة لتقوم ـ من جديد ـ بالإستيلاء على جهات لم تكن محتلة من

---

21 ـ الحلل البهية والمذكرات الحجوية الأولى ، ويعلق كاتب هذه المذكرات على سفارة ابن سليمان قائلاً : « وأما قول صاحب اتحاف أعلام الناس : إنه توجه سفير إلى ألمانيا ـ أيضاً ـ فهو محض غلط ، والذي توجه لألمانيا هو المنبهي مع وفده مستقلاً » .

22 ـ الحلل البهية ، مع المسألة المغربية ص 144 و 213 ـ 214 .

23 ـ المسألة المغربية ص 145 .

24 ـ أنظر النص العربي للوفقين معاني كناشة لمحمد الحجوي خ . ع ، ح 125 ، وفي كتاب المسألة المغربية وردت خلاصة العقد الأول ص 145 ـ 147 ، بينما جاءت خلاصة العقد الثاني ص 149 ـ 152 .

قبل ، ومنها القنادسة ، ومنطقة أولاد جرير وذوي منيع ، وبشار ، وقصر بني ونيف بفجيج[25] .

وسيأتي رد الفعل الأول ضد وفق باريس من جهة بعض أعضاء الحكومة المغربية نفسها ، وهكذا صار كل من رئيس الوزراء غريط وقائد المشور ابن يعيش ، يحملان هذه المعاهدة تبعة الأخطار التي حاقت بالمغرب من بعد[26] ، مما سنرى له رد فعل شعبي عنيف .

* * *

والآن يصل بنا المطاف إلى موضوع الإصلاحات ، وقد كانت تستهدف ـ من ذي قبل ـ المجال العسكري ، وإعداد طائفة من الموظفين والمترجمين ، وهي السياسة التي نهجها كل من العاهلين : محمد الرابع وابنه الحسن الأول ؛ وبعد وفاة هذا الأخير إستبد بالدولة الصدر ابّا احماد ، فجمد ـ تقريباً ـ سير هذه التجربة .

حتى إذا توفي هذا الوزير أثيرت المسألة على مستوى الإصلاحات الكبرى ، لتلج ميادين الإدارة والاقتصاد والأشغال العمومية والدفاع والاجتماع ، وتبني هذا الاتجاه ـ من داخل المغرب ـ بعض أعضاء الحكومة الغريطية وكبار الموظفين والتجار ، وفي تقديرهم ـ جميعاً ـ إن ذلك هو الذي سينقذ المغرب من الاحتلال .

وهكذا يتبين أن المغرب ـ مع مطلع القرن العشرين ـ بدأ يحاول توجيه الإصلاحات وجهة جديدة تساير التنظيمات الحديثة ، وهو الطابع الرئيسي الذي يميز هذه الفترة عن سابقتها ، ومن طبيعة مثل هذه المرحلة في حياة الأمم أن تكون مجالاً لاقتراحات نخبوية تنظيمية ، ومحاولات على مستوى الحكومة .

وبهذا سنواجه نقطتين رئيسيتين :

ـ مشروعات تنظيمية تطرحها النخبة .
ـ محاولات إصلاحية حكومية .

---

25 ـ المذكرات الحجوية الأولى .
26 ـ المسألة المغربية ، ص 248 .

ومن خلال سير النقطتين ـ معاً ـ نلمس بعض مظاهر اليقظة المغربية في الفترة الواقعة بين وفاة الوزير با أحماد حتى نهاية الدولة العزيزية .

كما سنواجه ـ في الحقبة ذاتها ـ معطيات أخرى لهذه اليقظة ، تتبناها الحكومة وبعض طبقات الشعب : في مواقفها حيال قضايا الواحات والحدود والتدخل الأجنبي .

يضاف لذلك عرض بعض النماذج من تجاوب المغرب مع الشرق في إطار البعث الإسلامي الجديد .

فهي أربعة مواضيع سيتدرج عرضها حسب المرحلتين المشار لهما سلفاً .

الأولى : من عام 1318 هـ / 1900 م ، إلى أواخر عام 1322 هـ / 1905 م .

ومن هذا التاريخ الأخير تبدأ المرحلة الثانية لتنتهي عند عام 1325 هـ / 1908 ،

وهكذا تتفرع العروض إلى الأبواب التالية :

المرحلة الأولى

الباب الأول : مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود .

الباب الثاني : مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري .

الباب الثالث : نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق في إطار البعث الحديث .

المرحلة الثانية

الباب الرابع : الموقف الرسمي من أزمة الصحراء .

الباب الخامس : الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .

الباب السادس : محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .

الباب السابع : ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين .

الباب الثامن : دور العلماء في التوعية .
الباب التاسع : مشروعان دستوريان .
الباب العاشر : نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي .
الباب الحادي عشر : البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف .
الباب الثاني عشر : المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت .

ملحق 1

رسالة تشير للموقف الرسمي
إزاء تحركات شعبية للدفاع عن إقليم توات

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا ومولانا الشريف ، وأداء ما يناسب المقام العالي بالله من التعظيم والتشريف ، ينهى لشريف علم سيدنا ـ أيد الله أمره ، ورفع قدره ـ أن كتاب مولانا ـ أسماه الله ـ وصلنا مضمنه ، فبعدما أطلعنا علم مولانا الشريف بالطائفة من الفرسان التي وجهناها لرد إخوانهم ، آيت عطه وبني محمد الذين توجهوا لناحية توات ، وأصدر لنا مولانا جوابه الشريف عن ذلك في غيره بما فيه كفاية :

تجددت أخبار متواترة بالوقعة الشنعاء التي وقعت بتميمون من طرف بلاد توات بين ءايت عطه وبني محمد : مع النصارى .

وحيث لم يرد إعلام منا بشيء مما ذكر للأعتاب الشريفة : طير لنا سيدنا ومولانا الكتب بما بلغ لحضرته العالية بالله ، لنعجل بشرح الواقع وبما آل إليه الأمر في ذلك ، ونقوم على ساق الجد في رد من عسى أن يتشوف لشيء من هذا التهور الذي لا يجر إلا العطب ، ونجعل ذلك ـ سيدي ـ من أهم المهمات ، حتى يظهر من سيدنا ما يكون عليه العمل .

فلينه لشريف علم سيدنا ـ متعنا الله بطول حياته ـ أننا بنفس مجرد سماعنا هذه الواقعة طيرنا الإعلام لسيدنا المنصور بالله بما تحقق لدينا في ذلك ، ووجهنا المكاتب صحبة المخزنيين اللذين كانا توجهاً لرد المذكورين ، بقصد الإعلام بما شاهداه مشافهة .

وهذا ماوجب به إعلام سيدنا ، وعلى الخدمة والسمع والطاعة ، والسلام .

في 10 حجة من عام 1318

الخديم المدني بن عبدالله المزواري
أمنه الله

– من وثائق وزارة الخارجية المغربية .

ملحق 2

رسالة عزيزية تتضمن الإشارة لاحتجاج الطريس لدانواب الدول بطنجة ضد عمل فرنسا في إقليم توات

خديمنا الأرضي : القائد عبدالله ابن سعيد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : وصل جواب خديمنا الحاج محمد الطريس مطوياً على ما أجاب به رئيس الدولة الجمهورية الفرنسوية ـ عن الحوادث التي أوقعتها جنود الإيالة الجزائرية بقصور القطر التواتي وما والاه ـ بما تضمن عدم الإنصاف ، وعلى نسخة مما كتب به النائب المذكور لنواب الأجناس بقصد رفع ذلك لدولهم ، وصار الكل بالبال .

لاكن إعلامه بما ذكر تقدم قبل التاريخ بأربعين يوماً ، ولا زال لم يظهر منه إعلام بمآل الأمر فيما كتب به للنواب .

والحالة أن الأخبار قد تكاثرت بكون الجنود الجزائرية لم تقف حتى عند مقتضى الجواب الوارد من رئيس الجمهورية الفرانصوية ، بل لا زال انتشارها بناحية الصحراء في الزيادة ، حتى إنهم صاروا يوجهون السرايا للتحويم على قبائل تافيلالت ثم يرجعون ، وهذا عين التهديد على داخل الإيالة البعيدة عن نقط الحدود ، بل هو صريح السعي في أسباب ترويع القبائل المذكورة ، واستنهاضها للدفاع عن أنفسهم ومحارمهم ، ليرتب الخصم على ذلك ما يرتبه من إدعاء هجوم القبائل الغربية عليهم ، إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تخفى ، وكيف يمكن مع هذه الحالة دوام كف أولئك القبائل عن مقابلة الهاجمين عليهم ، أو تثبيطهم عن بواعث الغيرة على أرضهم وبلادهم .

وحيث كان الانتظار لمثال ما كتب به هذا الخديم للنواب ـ والحالة على ما هي عليه من ضيق النطاق عن السكوت لتزايد امتداد يد الترامي ، وتكاثر التظاهر بما هو

في معنى التهديد على قبائل تافيلالت ـ تعين تطيير الكتب لكم بما ذكر ، لتعجلوا بالإعلام بمثال كلام الدول في هذا الموضوع ، وبما تستروحونه من بعض الجوانب على وجه السر فيما يرجع لنتيجة المثال ، ليكون المخزن على بال ، لأن انقطاع الخبر في هذه المدة كلها ، يورد على الفكر كثيراً من التوقعات ، ولا أقل في مثل هذا الموضوع من تعاهد الكتب بالمسموع ـ رسمياً أو سرياً ـ ولو مرة في الجمعة .

وأما ما أجاب به رئيس الجمهورية فإنه وإن كانت ألفاظه كلها خارجة عن طرفي الإنصاف ، فلا بد من إمعانكم النظر فيه هل يناسب إصدار جواب عنه أم لا .

وقد أمرنا الخديم المذكور بأن تحضر لديه أنت والخديم الطالب بناصر غنام ، وكذلك الطالب عبد السلام أحرضان إن اقتضته المصلحة ، لتتفهموه مع ما يتعلق به من المكاتيب ونسخ الحجج التي عندكم في هذا الشأن ، وتتفاوضوا في ذلك ، وإن ترجح عندكم مناسبة إصدار جواب عنه فبينوا كيفية المنوال المناسب الذي يجتمع عليه رأيكم في هذا الجواب ، أو غيره من الوجوه الموصلة لكف يدي الترامي ، والتوافق بين الجانبين على تتميم المحاددة بين الإيالتين من جميع الجهات كلها ، وعقد شروط في ذلك بما أمكن ، ولو بجعل سداد مناسب خفيف ، إرتكاباً لأخف الضررين ، وحتى إن لم تكن عندك نسخة من تعريب جواب البريزدان ، فها هي تصلك بطيه .

وها نحن في انتظار جوابكم بمثال كلام الدول ، وبما حررتموه فيما يوصل لإتمام المحاددة مع الخصم ، وتسكين الترويع الواقع في الرعية ، لننظر في ذلك ، ويظهر ما يتعين الإقدام عليه ، والله غالب على أمره .

وقد كتبنا للأمين الطالب بناصر غنام بمضمنه ، والسلام في فاتح ربيع الثاني عام 1318 .

ـ من وثائق خبة مدينة سلا الفيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

1 - مصورة الملحق 2

ملحق 3
رسالة استشارية من الحاج المختار
إلى الطريس في موضوع أزمة توات

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

محبنا الأعز الأرضي ، النائب السيد الحاج محمد الطريس ، رعاك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا أيده الله .

وبعد فإني أستشير معك في تعيين سفيرين معتبرين من طرف مولانا ـ نصره الله ـ لجنس النجليز والبروسيا أو غيرهما : مما تشير به علينا برفع أمر قضية توات والكلام فيها حين ما تعلمنا به ، نحبك تجعل هذا من مهماتك ، وتجيبني ـ سراً ـ صحبة هذا الرقاص ، ولا بد .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 29 ربيع الثاني عام 1318 .

المختار بن عبدالله
لطف الله به

ـ محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 106/35 .

المرحلة الأولى

وكما تبينا وشيكاً : فهي تمتد من عام 1900/1318 ، حتى أواخر عام 1322 / 1905 ، ويسير طرح مواضيعها عبر ثلاثة أبواب :

الباب الأول : مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود .

الباب الثاني : مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري .

الباب الثالث : نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق في إطار البعث الإسلامى الحديث .

الباب الأول
مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود

بعد المدخل التمهيدي لملامح الإنبعاث المغربي في مطالع القرن العشرين : نلتقي ـ في نطاق المرحلة الأولى ـ مع رد الفعل الشعبي إزاء أزمتي الواحات والحدود ، وقد صار يطغى عليها ـ أكثر ـ عمليات المقاومة المسلحة .

غير أنه لا يعرف ـ لحد الآن بين المؤرخين المغاربة ـ من اهتم بشرح أبعاد هذه المواجهة ، ولذلك سنلتجي إلى بعض الوثائق الوطنية والأجنبية ، حتى نستجلي منها ملامح من النضال المغربي ضد واقع الاعتداء على الواحات والحدود الشرقية .

* * *

وقد جاءت المبادرة الأولى من منطقة تافيلالت ، فإن سكانها لما علموا بالانباء المزعجة ، سارعوا إلى توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ، ثم عقدوا مؤتمراً عاماً ضم قبائل هذه الجهات وزعماءها ، وقرروا على إثره المناداة بالجهاد للدفاع عن عين صالح وقبائل ذوي منيع ، إبتداء من أواخر عام 1317هـ / 1900 ، حسب الملحق الرابع .

وسيأتي بعده الملحق الخامس في رسالة تحمل تاريخ 21 محرم عام 1318هـ ، وهي موجهة إلى مدينتي فاس ومكناس وما إليهما ، وتتضمن شبه بلاغ عن سير العمليات في موقعة حربية للدفاع عن بعض حصون واحة توات ، حيث اجتمع من مقاتلة المسلمين خمسة وتسعون ألفاً بين سكان الواحات ومن وفد لنجد تهم من

تافيلالت والسواحل . وقد حاصروا جيش الاحتلال واستولوا عليه بكامله ، واستشهد من المسلمين زهاء ألفي شخص .

وبعد هذا تتحدث الرسالة عن واجهة ثانية بوادي الساورة ، وكانت تضم المجاهدين من سائر قبائل تافيلالت : الأشراف والأمازيغيين والعرب ، وهم في عدة قوية استعداداً لوقف زحف المعتدين على التخوم المغربية .

وحسب رسالة بتاريخ 10 حجة عام 1318هـ كانت قبيلتا آيت عطاوبني محمد توجهوا بدورهم للدفاع عن ناحية توات[1] .

* * *

وبعد إقليم توات وما إليه : يظهر على المسرح السياسي وفقاً سنتي 1901 و1902م ، وقد قوبلت الاتفاقيتان بمعارضة شعبية عنيفة ، وانتقدهما ـ بشدة ـ كل المفكرين المغاربة[2] ، وعلى مستوى القبائل المغربية ورد في دائرة المعارف الإسلامية[3] :

« وقد بدا لقبائل البربر أن اتفاقيتي عام 1901 ، 1902 بين فرنسا ومراكش يهددان استقلالهم ، فقلقت خواطرهم مرة أخرى .... »

وجاء في مصدر آخر[4] : « ولم يكن لدى القبائل ـ التي أوجست خيفة من هذه الاتفاقيات ، والتي رأت فيها تهديداً لاستقلالها ، سواء من جانب السلطان أو من جانب فرنسا ـ الرغبة في الخضوع لأحكام هذه الاتفاقيات ، فاستمرت حوادث الحدود كما كانت ، وأظهرت القبائل مقاومة مسلحة لهذه الاتفاقيات »

* * *

وقد كان للمقاومة الشعبية للدفاع عن منطقة توات وما إليها ، وضد الإتفاقيتين : أصداء واسعة في الأوساط الفرنسية : بباريز وطنجة والجزائر ، وفي هذا الصدد

---

1 ـ هذه الرسالة هي نفس الملحق السابق الذي يحمل رقم 1 .

2 ـ المذكرات الحجوية الأولى بعنوان : « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .

3 ـ النص العربي 9/204 .

4 ـ « المسألة المغربية » ص 152 .

يترك لنا المسئولون الفرنسيون إنطباعات نعرض منها خمسة نماذج :

1) وسنجد النموذج الأول في رسالة صادرة عن وزير الخارجية الفرنسية إلى الوزير المعتمد بطنجة ، وتحمل تاريخ 3 مارس 1901م ، وجاء فيها :

« ـ .... كما ستعلمون ذلك : هاجم نحو ألف من الأمازيغيين ـ أتوا من تافيلالت ـ مركز تيميمون ، وصدوا على أعقابهم بعد قتال دَعَوِي . وهكذا إستبدفت جنودنا فوق « أراضينا » لاعتداء من طرف من « النهابين » الرحل الذين شكلوا عصاباتهم في البلاد المغربية ، والذين يظهر أن بعض السلطات المحلية قد جارتهم في أعمالهم[5] .

2) أما النموذج الثاني فهو عبارة عن ملحق رسالة رفعها الوزير الفرنسي بطنجة إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 23 مارس سنة 1901م ، وورد فيه :

« .... لكن واقعة أكثر خطراً حدثت : ذلك أن نحو ألف أمازيغي ـ أتوا من تافيلالت وشكلوا عصابتهم في المغرب ـ دخلوا إلى « ترابنا » وهاجموا ـ بالليل ـ الجنود الفرنسيين في مركز تيميمون ، ورغم التأديب « العادل » الذي قامت به جيوشنا نحوهم ، يحضر تشكيل عصابة جديدة في تافيلالت ، وتتجدد الهجمات في ناحية جنان الدار ، ووصلنا ـ أيضاً ـ خبر يقول : بأن القبائل ـ نواحي ثنية الساسي ـ تستعد لمحاربتنا[6] ... »

3) وبعد هذا سيأتي النموذج الثالث في رسالة من الوالي العام للجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 9 فبراير ستة 1903م ، وهي تبتديء هكذا :

« نقلت التقارير التي وجهتها ـ أخيراً ـ السلطة العسكرية ، أن عدداً لا يستهان به من الاعتداءات : قد وجهت ضدنا في ناحية زوسفانا من طرف أشخاص أصلهم من المغرب ... وتؤكد هذه الحوادث خطورة الحالة المنتظرة في زوسفانا[7] ... » .

---

5 ـ جريدة « صحراء المغرب » : السنة الأولى . ع 11 ص 8 .

6 ـ نفس الجريدة والسنة . ع 10 ص 5 .

7 ـ الجريدة والسنة . ع 11 ص 8ـ9 .

4) وهذه رسالة من الوالي العام للجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 20 ماي سنة 1903 م .

« حمل إلينا أهلي ثقة غادر القنادسة يوم 13 ماي الجاري الأنباء التالية مِنْ جنان الدار :

لا زال رجال الحركة الذين شاركوا في المعركة يوم 5 ماي ضد القافلة الحرة مجتمعين ببشار . وقد انضمت إليهم جنود جاءوا من كثير الأعلى . ومن قصور الموغل . وبوقيس . وعين الشعير .

ويقول الأهلي : إن رجال الحركة يقتاتون بالمؤون التي استحوذوا عليها خلال غزوة يوم 5 ماي .

ويقول هذا الرجل ـ أيضاً ـ إن رجال الحركة توجهوا يوم 5 ماي إلى ضريح سيدي محمد بن بوزيان بالقنادسة وذبحوا جملاً . وبعدما انتهت الحفلة . كان من المقدر أن يقوموا بالتهيء الضروري ، ويتوجهوا نحو طغيت ليغزوها »[8] .

5) وأخيراً : رسالة من وزير الخارجية الفرنسية إلى الوالي العام للجزائر بتاريخ 19 ديسمبر سنة 1903 م ، وتبتديء هكذا :

« طالما رغبتم في عدة مناسبات أن تزودوني بمعلومات استطعتم الحصول عليها في موضوع الهجوم الحديث ، الذي تم على يد القبائل المغربية ضد « مراكزنا » وقوافلنا بجنوب وهران : تلك المعلومات التي تفيد أن المخزن لم يكن أجنبياً عن منظمة « الغرفاس » الذين هاجموا ـ مؤخراً ـ جنودنا في الناحية الصحراوية .... [9] » .

* * *

وإلى هنا ، وفي نطاق هذه المرحلة الأولى : ينتهي عرض نماذج من ملامح المقاومة الوطنية المسلحة ، ضد ضياع اقليم إلتوات وما إليه ، وضد اتفاقيتي باريس والجزائر ، حسب اعترافات الوثائق الأجنبية بعد شهادات الوثائق الوطنيـة .

---

8 ـ الجريدة والسنة . ع 13 ص 8 .

9 ـ الجريدة والسنة . ع 12 ص 3 .

ونحاول ـ بعد ذلك ـ أن نستجلي دور الأدب في هذه المعركة ، غير أنه لا يعرف ـ لحد الآن ـ في نفس الإتجاه ـ سوى أرجوزة وحيدة يتحسر فيها ناظمها[10] على ما مني به مغرب مطلع القرن العشرين من اغتصاب أجزائه ، وتقلص حدوده ، ويحرض على الاستعداد للجهاد ، والأرجوزة تحمل إسم « إيقاظ أهل الغفلة والمنام ، والنيابة عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام » ، وعلى هلهة بعض أبياتها ، فقد صيغت في لهجة صريحة وصارخة وهذه مطالعها :

دع عنك داعي السرور والمزاح
واسْلُكْ سبيل من بكى الدين وناح
واحك نساء الحي في لطم الخدود
وضربهن الفخدين والصياح
وارثه واسمعن جميل وصفه
واندب وغرد في الغدو والرواح
وإن حزنت أو بكيت فوق ذا
مما أصاب ما عليك من جناح
وقم على ساق محرضاً وقل
دون قتال وطن الإسلام جاح
والدين بالكفر يعالج الضياع
وقد خلا الجو لأولاد السفاح
غابت بواكيه وعز ناصره
ليتني ممن مات قبل فاستراح

والأبيات الثلاثة الأخيرة تلمح إلى ضياع الواحات ، والاجتزاء بعرض مشكلتها على الدول الأوربية الأربع .

---

10 ـ نشرت هذه الأرجوزة ـ كاملة ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية خالية من اسم قائلها ، ونسبها لنفسه محمد بن مصطفى المشرفي في « الحلل البهية ... » بمناسبة إثباته لنصها ، غير أن نَفْسها لا يتجاوب مع سياق هذا المؤلف لمأساة الواحات والحدود لما يحللها في كتابه المشار له ، وذلك ما يبدو ـ واضحاً ـ عند المقارنة بين النصين ، وقد سمعت ـ أكثر من مرة ـ من يقرأ هذه القصيدة وينسبها للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .

وبعد هذا تشير الأرجوزة إلى مأساة الوجود الأجنبي بالمغرب ، وعمليات اقتطاع الحدود ، وسياسة الاقتراحات الأجنبية ، مع المقارنة بين واقع المعتدي وحالنا :

كيف وقد خيم أرضنا العدو
وباض فيها طيره قهراً وصاح
خلاله الجو فمد رجله
وحط رحله ونام في البطاح
وقد بدا النقصان من أطرافها
واطمأنت به الفيافي والمراح
مال علينا ميلة واحدة
حيث غفلنا جملة عن السلاح
واستضعف الإسلام طرًّا فدنَا
من أرضه وعمها بالاقتراح
ونحن في ظل الغرور نائمون
على بساط الذل نرجو الإفتضاح
همتنا مصروفة إلى البنا
والشهوات والملاهي والمزاح
همته مصروفة في أخذنا
وأرضنا وما حوت من القراح
ولا يفيد الحددون قوة
فالعهد منه كسراب في بطاح
وكم مكيدة له نال بها
ما لم ينله بالسيوف والرماح

والبيتان الأخيران إشارة إلى اتفاقية الحدود ، لتنتقل الأرجوزة ـ بعدهما ـ إلى التحريض على الجهاد ، والحض على احتذاء السياسة الإسلامية ، حسبما يتبين من نصها ـ كاملاً ـ عند الملحق 6 .

ملحق 4 ◦

رسالة تذكر استعداد منطقة تافيلالت
للدفاع عن عين صالح وقبائل ذوي منيع

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سيدنا الوزير الأعظم الأمجد : سيدي أحمد ، بن الوزير المرحوم سيدي موسى إبن أحمد ، سلام على سيادتك يعم ..... الحضرة ، ورحمة الله ، عن خير سيدنا أيده الله .

وبعد فليعلم سيدي أن هذا القطر السجلماسي لما ورد خبر ما وقع ..... مضاربة أهل توات مع النصاري ، وأخذوا لهم القصر المسمى « عين صالح » ، بعد أن مات من المسلمين مئة وأربعين .... الخ ، راج التاس هنا فيما بينهم ، وصاروا يجتمعون مع بعضهم ، ويتفاوضون فيما يكون عليه أمرهم ، حتى ..... إلى أمس تاريخه ، عقدوا جمعاً من نحو مئتين رجل بالبيعة ، حضر فيه المحمدي والخباشي ..... وبعض أهل الغرف ووفلا له وأعراب الصباح : من تزيمي والجرف وغيرهم ، واتفقوا بينهم على ..... الهناء بينهم عامين ، وأنهم تائبون إلى الله فيما كان بينهم من العداوة ، وأنهم الآن إخوان ..... وعدوهم هو الرومي الذي هو بقرب « يكُلي » .

فبينما هم كذلك وإذا بمكاتب ذوي منيع وردت عليهم من ..... يخاطبون كل قبيلة بكتاب مخصوص ، مضمنه أنهم في غاية ما يكون من الضيق ، ويستغيثون ..... المذكورة . فإن عدو الدين الفرنصيص أحاط بهم ، ولا زالت لم تقع مضاربة بينهم ، فإن وردت ..... علينا بذلك ، وإلا فلتركوا البلد ، فحينئذ كتبوا القبائل الذين لم يحضروا معهم في الجمع المذكور ..... كآيت يزدف وآيت عبسي وآيت مرغاد وأهل الرتب وغيرهم من القبائل ، كما كتبوا المولى ..... بن الحنافي ، ولشرفاء الدويرة ، ولمولاي أحمد الذي ببو ذنيب ، وسيدي العربي بن الهواري

بفركلة ، يزعَمّون ..... الناس للورود عليهم بقصد الجهاد ، ثم افترقوا على أن يقع الجمع المذكور بالسوق القديم قرب ..... عام .

واجتمعوا يوم تاريخه وهو يوم الأحد ، وبعد اجتماعهم بالسوق المذكور طلقوا النداء في ..... المداشير بوادي يغلى وبقرب الإعلام بالجهاد ، وقامت الناس على ساق في قضاء مآربه .

وقبل ..... اجتماعهم في الجمع الأول كتبت للفريقين بأن لا يحضرون في الجمع المذكور ، وأن لا يفعلون شيئاً إلا بالأمر الشريف إذا ورد عليهم بذلك ، أما أهل وادي يغلي فلم يجبوني كتابة ، إنما قدم علينا مقدم مولانا على الشريف نفع الله به ومعه بعض الشرفاء ، وحذرتهم من أن يحضروا فيما ذكر لربما يقع فيه ما يخالف غرض مولانا المؤيد بالله ، فأجابوا بقولهم إنهم ممتثلون ، ثم به لما وقع النداء بسوق أبي ..... وقع حتى بسوقهم مثل ذلك بالجهاد ، ولم يلتفتوا لما حذرناهم منه ، وأما أهل أبي ..... والسفالات فلم يجيبوا لا كتابة ولا مشافهة ، وبهذا وجب الإعلام ، وعلى محبة سيدي وطاعة ، والسلام .

وفي 22 حجة الحرام عام 1317 : نعم سيدي إننا كنا وجهنا عسكرين من عسكر امبارك الهواري بتجسس أخبار توات ، والإتيان به على سبيل السر ، ولما رجعا أخفاهما عنا بعد العلم بهما ، فسألناه عنهما فقال إنهما لا زالا ما وردا ، وترك ما أمر به من المفاوضة ، أعلمنا سيادتك لتكون منه ببال ، وأن لا تظن بنا التقصير والتكاسل في أمر المخزن ، وشغله معنا الاستبداد برأيه دون مفاوضة في شيء ، وأمر كبراء العسكر بأن لا يصلنا أحداً ، وأن كل كلامهم عنده ، وأن لا يتعدون ، وكثير لما وردا عليه الكتابين الشريفين قبضهما ، وطاف بهما على القصور يطلعهم على ما فيهما ، وأذاع أسرار المخزن ، وعلى محبة سيدي ، والسلام .

من وثائق وزارة الخارجية المغربية .

ملاحظات :

أ ـ باعث الوثيقة هو السداتي عامل تافيلالت ، حسب إشارة ملحق الوثيقة الذي يلخص مضمونها .

ب ـ يتبين من أواخر الوثيقة أنها كتبت بعد 22 ذي الحجة 1317 هـ : قبيل وفاة الوزير بّا أحماد ، وقريباً من بداية الفترة التي نعرضها .

ج ـ بالأصل المنقول عنه عدد من الفراغات ، فضلاً عن اللحن وضعف بعض التعابير .

ملحق 5

رسالة عن سير العمليات في موقعة للدفاع عن بعض الحصون بإقليم توات ...

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

من كاتبه محمد الأمين بن محمد[1] ، وجماعة الشرفاء أهل القصبة الجديدة ، وكافة أهل المدغرة ، المؤملين من فضل الله إعلاء كلمة الله ، المتوسلين برسول الله ، المتبركين بأولياء الله .

إلى كافة المسلمين من أهل فاس وحواليها : من مكناسة ونواحيها ، خصوصاً الأشراف أهل نسبة الطين والدين ، والعلماء العاملين ، الحاملين لواء أعلام الشريعة في كل حين ، وكاملي الإيمان ، والتابعين المحبين .

وبعد : فوجبه رجاء دعائكم الصالح لنا على ظهر الغيب ، فإنه مستجاب بلا شك ولا ريب ، واهتمامكم لهذا الأمر المهول الذي حل بالمسلمين ، وإعلامكم بما فيه بشارة للمسلمين ، ونكاية للمردة أعداء الدين : الله ورسوله ، والمنافقين .

بأن العدو اللعين ، الذي لجأ بظلمه على ضعفة المسلمين بأتوات ونواحيها : بغشهم وغدرهم ـ دمره الله ـ حتى هجم بعض قراهم ، وتقاتلوا معه حتى بلغ من المسلمين نحو السبعمائة ، وبقي معهم في القتال مدة وهو في حصن من حصونهم .

فاجتمع المسلمون : من تلك النواحي ، وقبائل البربر والعرب وأهل السواحل ، حتى اجتمعوا **بخمسة وتسعين ألفاً** ، وحصروه ، فظفرهم الله به ، فلم يفلت منه ولو واحد ، وبلغ من المسلمين ما يقرب من الألفين من الشهداء ، والحمد لله ، وغنموا غنيمة كثيرة .

---

1 ـ يبدو أنه المذكور في « فتح القدوس القاهر » : باسم الأمين بن محمد بن الطيب بن محمد بن العربي ابن علي بن عبدالله بن علي بن طاهر .

وأما الطائفة الخاسرة التي بوادي الساورة ، فإن المسلمين ـ أعانهم الله ونصرهم ـ مجتمعون عليه من كل قبائل الصحراء : الشرفاء والبرابر والعرب ، وهم في قوة شديدة : من الخيول والسلاح والشجعان والعدة والعدد : ما يكسر الله به شوكته وصولته ، ويهلكه بأيديهم هلك الاستيصال ، إن شاء الله .

وهم عازمون على الخروج ، فإن المسلمين في « عين الشعير » وبلاد « بوذنيب » و« السهلي » وغيرها من تلك الجهات ، وكل قبيلة تقول : أنا له وحدي ، واحتبسوه بـ « النواحس » غير ما مرة فوجدوه غنيمة للمسلمين المجاهدين .

والعرب ـ الذين معه ـ يرسلون للمسلمين بالقدوم وبالعزم ، ويحرضونهم ، ويقولون : إنهم يجاهدون وحدهم ، وما خصهم سوى جمعهم مع المسلمين ، والاستناد عليهم .

رزقنا الله التوفيق والظفر والنصر ، بجاه النبي الكريم ، بفضله وكرمه ، آمين .

وكتب عن فلق صبيحة 21 محرم ، عام 1318 .

في خزانة خاصة .

ملحق 6

ارجوزة إيقاظ أهل الغفلة والمنام ...

دع عنك داعي السرور والمزاح ... واسلك سبيل من بكى الدين وناح
واحك نساء الحي في لطم الخدود ... وضربهن الفخذَين والصياح
وارثه واسمعني جميل وصفه ... واندب وغرد في الغدو والرواح
وإن حزنت أو بكيت فوق ذا ... مما أصاب ما عليك من جناح
وقم على ساق محرضاً وقل ... دون قتال وطن الإسلام جاح
والدين بالكفر يعالج الضياع ... وقد خلا الجو لأولاد السفاح
غابت بواكيه وعز ناصره ... ليتني فمن مات قبل فاسترتاح

* * *

كيف وقد خيم أرضنا العدو ... وباض فيها طيره قهراً وصاح
خلا له الجو فمد رجله ... وحط رحله ونام في البطاح
وقد بدا النقصان من أطرافها ... واطمأنت به الفيافي والمراح
مال علينا ميلة واحدة ... حيث غفلنا جملة عن السلاح
واستضعف الإسلام طرا فدنا ... من أرضه وعمها بالاقتراح
ونحن في ظل الغرور نائمون ... على بساط الذل نرجوا الافتضاح
همتنا مصروفة إلى البنا ... والشهوات والملاهي والمزاح
همته مصروفة في أخذنا ... وأرضنا وما حوت من القراح
ولا يفيد الحددون قوة ... فالعهد منه كسراب في بطاح
وكم مكيدة له نال بها ... ما لم ينله بالسيوف والرماح

* * *

أه على الأسد من نسل قريش ... أه على الأمير من أل رباح
أه على الأنصار أبكي فقدهم ... من وضعوا الكفر بنصرهم فراح
لو حضروا ما كنت في ضيم ولا ... كان لأولي الكفر شبه الاقتياح

وقـــل لأولي الأمر ما هـــذا الفشل ... والمسلمون في نهايـــة الصـــلاح
فـا بهـم قلـة لا ولا جبـــــان ... ولا بهم ضعف تسوءهم جـــراح
فكم من الأبطال في العرب وكـم ... من الليوث في البرابـــر صحاح
وكـــم من الخيل السوابق العتاق ... على العـــدا بهم يضيق الإنفساح
وكم رجال صابرين صادقـــين ... في الزحف يخشى باسهم يوم الكفاح
لو كان منهم عسكر لخضعـــت ... له الرقاب وخشاه ذو الوقـــاح
ولرعـى الفرنج يومـاً بأســـه ... ولتضعضع إيـوانـــه وطـــاح
وجوده بشرطـه وضبطـــــه ... عز لديننا وغاية المـــــراح

* * *

تركتم الجهاد في العدو واغـتنمتموه ... في الإمـــاء بالسفـــاح
ولو كانت لكـم قلـوب تفقهون ... بها لحرمتم عليكـــم المبـــاح
لا خـير في العيش مـــع الذل ولا ... عيش لروح في الفنادون إرتيـاح
والسنة الغـراء صارت بدعـــة ... وأحمق عندكم من بها بـــاح
وهي أساس كل خير يرتجـى ... وهي السياســة العظيمـــة النجاح
ما خـاب قـوم سلكـوا منهاجها ... ولا استقام دونها أمـر صـلاح
ولم يُفِدْ شيئاً من العـدو مـا ... زخرفتموه ويحكـم عند التشاح
والأمر سهـل لو نصرتم ربكـم ... نصركم بوعد جـاء كالصبـاح
فارتقبـوا إنجـاز وعـــده إذا ... قمتم عـلى استعـداد في كل رواح
فإنه الحـق وذاك شرطـــــه ... والشـك فيـه بعد ذا كفر صراح
فانتصحـوا وراجعـوا كتابكـم ... وامتثلوا نص الأحاديـث الصحاح
من حـاد عن نهجهمـا ضـل وزل ... وخسران الداريـن من فعلـه لاح
فشمروا لأخـذ ثاركـم عسـى ... تهب بالنصر عليكـم الريـاح
أمالكـم اسـوة فيمـن قبلكـم ... أهكذا المغرب كـان مستبـاح

* * *

وقل لأهل العلم ما هذا الشجا ... أموتي أم نيام أم بـه شُحـاح
أنتـم أحق بالبكـا لأنكـم ... أنصاره أنتـم له نعـم الوشـاح
وهـذا بحـر الكفـر قد غشيكم ... عم البريـة بموجـه وسـاح
فلـو نهضتـم لاستقـام الاعوجاج ... ونلتـم من صاحبـه كل الرباح
وكنتم النصحا لله ولـ ... ـرسوله ولأئمـة السمـاح
وإن تماديتـم عـلى غفلتكـم ... هلكتم وما أرى لكـم فـلاح
وقـد رأيتـم فعلـه بغيركـم ... ونقضـه العهود من بعـد الصلاح
لا بد من وثبتـه دون شعـور ... كما العقور فعلـه دون نبـاح
لا عذر ما تخشونـه أهـون من ... مصابكم إذا طلبتـم الفـلاح

* * *

هذا وإني عارف بأنـني ... أخاطـب الموتـى بهـذا الاقتراح
وإنما بكـاي من شوق الـوطن ... كتغريد الحمام مقصوص الجنـاح
وأسأل الله باسمـه العظيـم ... أن يلهم الكـل لما فيه صـلاح
وأن يقينا شر ذلك العـدو ... وينصر الذين بأهلـه المـلاح

القصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية .

الباب الثاني
مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري

الفصل الأول
محاولات وزارة الحاج المختار

مقدمة :

في ظل الحكومة الأولى التي يرأسها الحاج المختار . ظهر ـ داخلها ـ تياران لتصميم الإصلاحات .

تيار تبناه الوزير الأول ومعه الوزير الحاج عبد السلام التازي وقائد المشور ابن يعيش ، وكانوا يميلون لاحتذاء الخطة التي سار عليها كل من محمد الرابع والحسن الأول : سياسة التجديد العسكري ، وإعداد طائفة من الموظفين والمترجمين ، بمساهمة مجموعة من الدول الأوربية .

ولهذا صار الحاج المختار ينصح السلطان العزيز أن يشتغل بدراسة التراث الإسلامي وكتب التاريخ ، ويطلع على سيرة الأسلاف ، حتى يستوحي من سلوكهم المباديء التي ينبغي أن توجهه في إجراء الإصلاحات الجديدة .

أما التيار الثاني فكان على رأسه الوزير المنبهي ، وهو يدفع السلطان إلى مشاريع الإصلاحات الكبرى ، ويؤثر الاعتماد على انكلترا لمجابهة مطامع الفرنسيين ، كما كان يحاول أن ينمي في نفس السلطان الميول الأوربية ... وسنعرف أن هذه المشاريع استهدفت إصلاحات أولية في ميادين الإدارة وتنظيم الجبايات وطرق المواصلات والجيش ، مضافاً لذلك بعض الإصلاحات الإجتماعية .

وكما رأينا في مدخل هذه الدراسة ، فإن المنبهي نجح في إقصاء منافسيه عن الوزارة ، وبهذا وقفت أعمال حكومة الحاج المختار عن الاستمرار ، بينما أخذ برنامج وزير الحربية يشق الطريق إلى الظهور في ظل وزارة المفضل غريط .

* * *

والآن بعد هذه المقدمة يأتي عرض محاولات وزارة الحاج المختار ، وقد كان قصر أمد هذه الوزارة حال دون ظهور برنامجها كاملاً ، ولهذا لا يعرف ـ لحد الآن ـ من مبادراتها سوى ثلاث تنظيمات تحتفظ بها أربع وثائق :

الأولى : في موضوع التنظيمات التي تناولت دار النيابة بطنجة ، حيث مقر النائب السلطاني للنظر في القضايا التي يعرضها النواب الأجانب .

ويتبين منها أن هذه الدار خضعت إلى تنظيمات جديدة ابتداء من رابع جمادي الأولى عام 1318/1900 .

وقد أحدث بها مجلس صار يتألف من مجموعة من الأعضاء برئاسة النائب السلطاني ، وألحق بهم فقيه المجلس ، وعدلان معه ، زيادة على ثمانية من الكتاب ، وترجمان واحد أو اثنين بحسب الاحتياج ، وباستثناء سلك الترجمة ، كانت أسماء أغلب الباقين مع مرتباتهم كالتالي ، والحساب بالريال المغربي :

1 ـ النائب : الحاج محمد الطريس وهو رئيس المجلس 300
2 ـ ابنه الحاج أحمد : عضو 150
3 ـ القائد عبدالله بن سعيد السلوي : عضو 200
4 ـ الأمين بناصر غنام الرباطي : عضو 200
5 ـ الأمين عبد السلام أحرضان الطنجي : عضو 150
6 ـ الأمين الحاج عبد الحفيظ برادة الفاسي : عضو 200
7 ـ الطالب الطاهر بن الحاج التهامي بناني سميرس الفاسي : عضو 200
8 ـ فقيه المجلس : عبد القادر بن قاسم الدكالي المراكشي 150
9 ـ الطيب ابن كيران المراكشي : عدل 75

10 ـ محمد بن محمد بن علي الهواري الفاسي : عدل 75
11 ـ 18 الكتاب وعددهم ثمانية 600

ولضبط سير هذا المجلس وضعت ـ برسمه ـ مسطرة تنظيمية من أربعة وأربعين فصلاً ، وتحمل تاريخ 4 جمادي الأولى عام 30/1318 غشت 1900 ، وسيرد نصها عند الملحق السابع ، ونقتبس هنا المواد التالية مع تهذيب لبعض التعابير :

الفصل الأول

تفتح دار النيابة في الساعة التاسعة صباحاً ، ومنها إلى الساعة العاشرة تطالع المكاتب الواردة على الدار .

الفصل الثاني

من الساعة العاشرة إلى الساعة 12 ، تسمع الدعاوي وتسجل ...

الفصل الخامس

في الساعة 12تغلق دار النيابة ...

الفصل السادس

في الساعة الثانية بعد الزوال تفتح دار النيابة ، ولا تقبل الدعاوي حينئذ ، للاشتغال بتقييد المكاتب والأجوبة عنها ، وترتيب الأمور ، والمفاوضة بين أعضاء المجلس ، والتأمل في القضايا ...

الفصل السابع

يكون فقيه المجلس مع عدليه بمحل خاص بهم ، لتعرض عليه القضايا الشرعية

ورسوم الدين ، ويتصفح المقبول والمردود منها .

الفصل الثامن

في الساعة الرابعة بعد الزوال تغلق دار النيابة ...

الفصل التاسع

لا تفتح دار النيابة يوم الجمعة بتمامه ، وفي المواسم ، والأعياد وثلاثة أيام بعدها .

الفصل الحادي عشر

يتخذ طابع لختم المكاتب نقشه : « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

الفصل الثاني عشر

جميع المكاتب الخارجة من دار النيابة ، تسجل بالدفتر الخاص بها ...

الفصل الثالث عشر

جميع المكاتب الموجهة للمغاربة تكون مطوية طياً مخزياً . ومكاتب الأجانب توضع في غلاف مختوم .

الفصل الحادي والأربعون

يتخذ لكل دولة دفتر خاص بها ، ليحفظ به نسخ ما يروج معها في كل قضية ...

* * *

وإلى هنا ينتهي عرض المواد المقتبسة من هذه المسطرة ، حيث تبينا أنها في موضوع التنظيمات الجديدة التي تناولت دار النيابة بطنجة .

ويلفت النظر في هذه اللائحة : أنها يبرز فيها ـ إلى جانب الطابع الوطني ـ ملامح المرونة والخبرة التنظيمية :

فتوقيت أمسية الدوام بدار النيابة يعتمد الإصطلاح المغربي ، فيأتي تحديده بالساعة الثانية بعد الزوال إلى الساعة الرابعة بعد الزوال ، مع العدول عن مسايرة حساب التوقيت الحديث : الساعة الرابعة عشرة إلى السادسة عشرة .

أما أيام عطل المؤسسة : فهي يوم الجمعة . والمواسم . والأعياد وثلاثة أيام بعدها ، والمواسم في العرف المغربي : كانت هي يوم عاشوراء واليوم السابع والعشرين من رجب ، ويوم الخامس عشر من شعبان ، ويوم السادس والعشرين من رمضان ، ويوم عرفة : عند التاسع من ذي الحجة .

ومن مظاهر المرونة المزدوجة في هذا التنظيم : إن الرسائل الموجهة للمغاربة من طرف دار النيابة تكون مطوية طياً مخزنياً ، ويقصد به أن الرسالة تشد بإدخال أطرافها بعضها في البعض على شكل خاص يقوم مقام الغلاف .

أما المكاتب الموجهة للأجانب فتوضع داخل ظرف مختوم ، بمعنى مطبوع عليه ـ في موضع فتحه ـ بمشمع أحمر يعرف باسم « اللك » حيث ينقش عليه « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

ومن التنظيمات الأخرى لدار النيابة : أن هذه إنما تستمع للدعاوى في جلسات الصباح ، ومن الساعة الثانية إلى الرابعة لا يقبل عرض الدعاوى حينئذ ، لاشتغال الأعضاء بالنظر فيما يروج بجلسات الصباح .

هذا إلى أن جميع المكاتب الخارجة من دار النيابةتسجل بالدفتر الخاص بها .

فضلاً عن دفاتر أخرى : كل واحد خاص بدولة ، حتى تودع به نسخ ما يروج معها في كل قضية .

* * *

والآن : بعد تنظيمات دار النيابة بطنجة ، نشير إلى أن وزارة الحاج المختار وضعت النواة الأولى لمشروع إسعاف المرضى بالدار البيضاء ، حسب رسالة عزيزية

بتاريخ 6 قعدة عام 1318 / 1901 .

وهي تأمر ناظر أوقاف الدار البيضاء بجمع المرضى من الأفاقيين والبلدين الذين لا مأوى لهم . وإسكانهم بدلاً من مرضهم في الطرقات وإهمالهم . على أن يختص كل فريق من الرجال والنساء ببيوت على حدة ، مع تموينهم بخبزتين في اليوم ، ومن مات منهم يقوم ناظر المواريث بتجهيزه ، ومن حصل له الشفاء يتوجه لحال سبيله ، وتسقط نفقته ، ومن زاد تزاد له مئونته .

ومن المؤكد أن هذا المشروع دخل في حيز التنفيذ ، وهو ما تشير له رسالة عزيزية في الموضوع ذاته ، بتاريخ 15 قعدة عام 1319/ 1902 ، أي بعد ما يزيد على عام من توقيت الرسالة الأولى .

أنظر الملحقين الثامن والتاسع .

* * *

وبعد هذا فإن نفس الوزارة فكرت ـ أواخر عام 1318 هـ / 1901 م ـ في تعديل التنظيمات الخاصة باستخدام المحجر الصحي في كل من طنجة وجزيرة الصويرة ، ووضعت ـ في هذا الصدد ـ مشروع قانون من مقدمة وسبعة فصول ، حسب نصه الذي سيرد عند الملحق العاشر .

ملحق 7 ◦

لائحة التنظيمات الجديدة
في دار النيابة بطنجة

الحمد لله وحده

ترتيب أمور القسينة السعيدة بطنجة في جمادي الأولى عام 1318 .

الفصل الأول

فتح القسينة السعيدة يكون في الساعة 9 من النهار ، ومنها إلى الساعة 10 تطالع المكاتيب الواردة عليها .

الفصل الثاني

ومن الساعة 10 إلى الساعة 12 تتلقى الدعاوي وتقيد ويذهب أربابها ، إلى أن ينظر فيها وتتصفح وجوهها .

الفصل الثالث

ثم بعد تمام النظر فيها يوجه على أربابها ، إما لإمضائها أو سؤال .

الفصل الرابع

لا تقبل الدعاوي من القسينات إلا كتابة .

الفصل الخامس

في الساعة 12 تغلق القسينة ، ويذهب كل واحد لقضاء أغراضه ، إلى أن تبلغ الساعة 2 من الزوال .

الفصل السادس

في الساعة 2 من الزوال تفتح الفسينة السعيدة ، ولا تقبل الدعاوي حينئذ ، للاشتغال بتقييد المكاتب والأجوبة عنها ، وترتيب الأمور والمفاوضة بين أعضاء المجلس ، والتأمل في القضايا ، إلا ما يذكر في الفصل 10 .

الفصل السابع

يكون فقيه المجلس مع عدليه بمحل خاص بهم ، لتعرض عليه القضايا الشرعية ورسوم الدين ، ويتصفح المقبول والمردود منها .

الفصل الثامن

في الساعة 4 من الزوال تغلق الفسينة ، وتعطى مفاتيحها لمن يجتمع الرأي عليه ، عليه ، ولا تفتح إلا إلى الغد .

الفصل التاسع

لا تفتح الفسينة يوم الجمعة بتمامه ، والمواسم ، والأعياد وثلاثة أيام بعدها .

الفصل العاشر

وإذا كانت الدعوى مشافهة فتقيد ، ويطالب المشافه بها بالذهاب لنائبه ليكتب له بما شافه به .

الفصل الحادي عشر

يتخذ طابع لختم اللَّك ، نقشه : « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

الفصل الثاني عشر

جميع المكاتب الخارجة من الفسينة يقيد ما بنمرتها بكناش الكمبيا وعدد الخارج منها .

الفصل الثالث عشر

جميع المكاتب الموجهة لأحد إيالة سيدنا أعزه الله من العمال وغيرهم تكون مطوية طياً مخزنياً ، ومكاتب الأجانب في غشاء السوبرتي .

الفصل الرابع عشر

إذا أحد من الكتاب أو الترجمانين أو المخازنية : ظهر عليه إفشاء سر للغير مما يروج في الفسينة : يؤخر من الخدمة الشريفة ، وتطلع الحضرة الشريفة بجريمته وتأخيره .

الفصل الخامس عشر

وهو مأخوذ من الكتاب الشريف كالفصول بعده :

أن يكون خديم المقام العالي بالله النائب السيد الحاج محمد الطريس هو كبير المقام ورئيسه .

الفصل السادس عشر

أن تختم بعلامته جميع المكاتب الصادرة من هنا للجانب العالي بالله ولولاته ولنواب الأجانب .

الفصل السابع عشر

يزاد الواضعون أسماؤهم عقبه ليكونوا أعضاء المجلس ، على نحو ما يبين في الفصول بعد .

الفصل الثامن عشر

يزاد على المذكورين فقيه المجلس السيد عبد القادر بن قاسم المراكشي ، ومعه عدلان : الطالب السيد الطيب إبن كيران المراكشي ، والطالب السيد محمد ابن محمد بن علي الهواري الفاسي .

الفصل التاسع عشر

يكون في المجلس كتاب ثمانية بنظر أعضاء المجلس .

الفصل العشرون

ينتخب ترجمان أو ترجمانان بحسب ما يكفى ، له معرفة بأهم الألسنة : خطاباً وجواباً وقراءة ، ذو تمارة وكتمان أسرار .

الفصل الحادي والعشرون

إن اقتضت المصلحة إبدال الترجمان أو أحد الكتاب فالنظر للأعضاء .

الفصل الثاني والعشرون

هو أن يكون الاجتماع وقت الخدمة ، ليعرض على الجميع كل ما يرد على الفسينة السعيدة من مكاتيب المخزن وولاته ، ومكاتيب الأجانب ، والكلام الشفاهى ، بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة إلا وتعرض على الجميع ، ويمعن كل واحد النظر في ذلك المعروض ، ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة ، وفق ما يأتي بعد .

الفصل الثالث والعشرون

ثم إن اتفق الجميع على رأي واحد فواضح ، وإن تكلم البعض بكلام لم يسلمه

بقية أهل المجلس : فيبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بياناً شافياً حتى يفهمه ، ويسلم وجه رده .

الفصل الرابع والعشرون

تكون المراجعة للبعض المتقدم بليونة وتنزل ، لا بتعنيت وتزييف جزافي ، لتبقى القلوب سليمة ، مجموعة على قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد ، إن شاء الله .

الفصل الخامس والعشرون

إن كان المعروض عليهم من دعاوي الأجانب يقتضي البحث وسؤال العامل ، وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مدريد : فيكتب الخديم النائب المذكور لأمناء المرسي القريبة من محل الدعوى : بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفق عليه في كيفية الكتابة لهم .

الفصل السادس والعشرون

إن كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي : فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك ، ويكتب للعامل أيضاً بما يقتضيه المقام من حيث السؤال .

الفصل السابع والعشرون

إن كانت الدعوى متعلقة بالرعية فيما بينهم ولا تعلق لها بالعامل نفسه : فيقتصر فيها على البحث على يد الأمناء .

الفصل الثامن والعشرون

إن ظهر لهم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على من يعلمون له مزيد الاطلاع في القضية ، فلينصوا لهم عليه ، ليستعينوا به على تحرير البحث .

الفصل التاسع والعشرون

يكون البحث بتوجيههم من لهم الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى ، ودرايته بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه ، وبحثه من لا غرض له من الجانبين .

الفصل الثلاثون

إذا ورد عليهم جواب الباحث بنتيجة البحث ، فليتفاوضوا في ذلك ،وفيما يحتج به المدعى .

الفصل الحادي والثلاثون

إن ثبت عندهم بطلان الدعوى فيجاب به المتكلم فيها ، وإن ثبتت صحتها ـ كلا أو بعضاً وكانت متعلقة بالرعية دون العامل ـ فيكتب الخديم النائب المذكور بما أنتجته المفاوضة لذلك العامل : من تقرير الدعوى ، وبيان حجة ثبوتها ، ليستخرج الحق الثابت ممن تعلق به ، ويدفعه لأربابه على يد المكلف بالبحث ، ويبقى الفعال متبوعين بما يقتضيه النظر الشريف في الأدب .

الفصل الثاني والثلاثون

إن أجاب العامل بالإعتراف بالواقع وتسليم ما كتب له به الخديم المذكور ونفذ مقتضاه : فالأمر واضح ، ويجاب المتكلم بالمقتضى ، ويطلع العلم الشريف ـ حينئذ ـ بضرورة الدعوى بدءاً وتماماً ، وإن أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم : فيطلع العلم الشريف بذلك ، ليصدر الحكم المتعين فيه .

الفصل الثالث والثلاثون

إن كانت الدعوى متعلقة بالعامل نفسه : فيعجل بإطلاع العلم الشريف بها ،

وبحجة المدعى فيها ، وبما حرره البحث المعمول فيها ، ليؤمر فيها بالمقتضي ، إن شاء الله .

الفصل الرابع والثلاثون

إن عرض عليهم ما هو مخصوص بالأحكام الشرعية : فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعى ، ويبين حكم الله في النازلة ، ويبينون هم ما يظهر لهم فيها من جهة الأعراف البلدية ، والاعتبارات السياسية ، ويكتب بشرح الجميع للجناب الشريف ، ليؤمر فيه بالمتعين ، بحول الله .

الفصل الخامس والثلاثون

إن كان المعروض عليهم راجعاً لقضايا الديون : فيحضر المدعى حججه فيها ، وتعرض ـ أولاً ـ على فقيه المجلس ليتصفحها . ويبين التام المقبول شرعاً منها . وغير المقبول ، ويعرف الأعضاء بوجه عدم قبوله .

الفصل السادس والثلاثون

أما غير المقبول فيجاب به المدعى في الحين ، وأما المقبول فيكتب الخديم النائب بما توافق عليه رأيهم معه لعامل الغريم ، إن ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصمه ، فإن فاصله العامل في حقه فذاك ، وإلا بأن ظهر منه عدم سلوك الإنصاف ، فيعجل بإطلاع العلم الشريف بذلك .

الفصل السابع والثلاثون

صدرت الأوامر الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه ، ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي : بمقتضى ما ذكر ، وحذروا عاقبة التراخي في الأجوبة ، أو الجواب بغير مفيد .

الفصل الثامن والثلاثون

إن ورد عليهم كتاب من شريف الأعتاب أو من أحد من الولاة في حق لجانب المخزن أو لأحد من الرعية السعيدة على رعية الأجانب أو أهل حمايتهم : فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن ورعيته .

الفصل التاسع والثلاثون

إن كان المعروض مما يرجع لمطالب الأجانب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم ، أو مما يبديه بعض النواب من الإشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو برعيته : فليتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام ، ويطلع العلم الشريف بما ظهر فيه .

الفصل الأربعون

إن ورد عليهم أمر مخزني في بعض القضايا ، وظهر لهم فيه ما يقتضي مراجعة الجانب الشريف لمصلحة ، فيؤخر تنفيذه ، ويطير الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه ، ليرى فيه ، ويصدر الجواب بالمتعين ، بحول الله .

الفصل الحادي والأربعون

يتخذ لكل جنس من الأجناس كناش مخصوص به ، ليرتب فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية ، مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية : بتواريخها .

الفصل الثاني والأربعون

جميع ما يصدر عن محل الأشغال من كتابة أو مشافهة : تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين ، وتوضع خطوط يدهم عقبه ، ليكون عمل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها .

الفصل الثالث والأربعون

جميع الشروط والأوفاق بمحل أشغال المخزن هنا : تجرد أسماؤها في تقييد ببيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله ، ويوجه التقييد لشريف الأعتاب ، لينظر فيه ، ويقابل بالتي بالحضرة الشريفة ، فما كان نظيره موجوداً بها فأمره ظاهر ، وما لم يوجد توجه نسخة منه ، وإن وجد ثمة ما ليس هنا توجه من هنالك نسخة منه ، بحول الله .

الفصل الرابع والأربعون .

يكون الشروع في ذلك من رابع جمادي الأولى عام 1318 .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

– مع محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 20/ 35 .

ملحق 8

رسالة عزيزية في موضوع إسعاف المرضى بالدار البيضاء

خديمنا الأرضي ، ناظر الشيخ أبي الليوث بمحروسة ثغر الدار البيضاء ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضى من الأفاقيين وأهل البلد الذين لا مأوى لهم يمرضون في الطرقات ، وينقلون لبيوت خارج المدينة ، ويبقون هنالك حتى يموتوا جوعاً وعطشاً ، وقد اقتضى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التي قرب ضريح الشيخ المذكور .

فنأمرك أن تجمعهم فيها ، وتخص الرجال ببيوت منها ، والنساء ببيوت منها كذلك ، بعد أن تصلح ما لا بد من إصلاحه منها ، وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت .

وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما في كل يوم ، ومن توفي منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث ، ومن حصلت له العافية يتوجه لحاله وتسقط مئونته ، ومن زاد تزاد له مئونته أمثاله ، وهكذا .

وقد أمرنا الخديم أحمد المديوني بالوقوف في ذلك وشد العضد فيه ، حتى ينفذ شريف أمرنا على مقتضاه ، والسلام .

في 6 قعدة عام 1318 .

. « إتحاف أعلام الناس » 1/436 .

ملحق 9 «

رسالة عزيزية في موضوع
إسعاف المرضى بالدار البيضاء

خديمنا الأرضي ، ناظر أبي الليوث وأحباس الدار البيضاء : الطالب إدريس الفلالي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيذ الخبز للمرضى والأفاقيين وجعل البيوت لهم : بأنك نفذت ترتيب الخبز لهم من مستفاد الضريح المذكور ، غير أن العامل أطلعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشيخ ، مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسي والقاضي ، ويفرق ما يوجد فيها : فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ ، والباقي يصير في ختان اليتامى وأبناء الضعفاء ، وتعين عليك أن تصير على المرضى مما تحت يدك من المستفاد ، مبادرة لامتثال ما أمرناك به ، والعمل على ما يصدر لك في المستقبل .

وعليه فإن الذي يكون عليه عملك هو أن الصائر يكون ثلثاه من وفر الأحباس الكبري ، والثلث الواحد هو الذي يكمل من فتوحات الولي المذكور ، وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ في مصالحه ووظائفه المعهودة فيه ، فليجر عملك عليه ، وقد كتبنا للقاضي والأمناءوالعامل بمثله ، والسلام .

في 15 قعدة عام 1319 .

« إتحاف أعلام الناس » 1/437 .

ملحق 10

مشروع قانون تنظيمي
للمحجر الصحي بطنجة والصويرة

الحمد لله وحده

صورة الضابط

مقدمة : كل مركب قدم لمرسي من مراسي الإيالة السعيدة بقصد حمل الحجاج يلزمه تقديم بيان عدد الحجاج الذين يحملهم : لنائب السنيدة ، فيقع فيه البحث عن تجهيز داخله ، إذ لا بد من كون هذا التجهيز موافقاً لقوانين وفق فندق .

1 ـ الفصل الأول : إذا لم يثبت وقوع مرض الطاعون بالحجاز الثبوت الرسمي : فإن المراكب الحاملة لأكثر من 25 حاجاً توجه لجزيرة الصويرة ، بشرط إنهاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وأنه لم يقع بها الطاعون أو الهيضة حال سفرها وورودها .

وإذا ثبت وقوع الطاعون بالحجاز الثبوت الرسمي : فإن المراكب المذكورة لا توجه إلى جزيرة الصويرة إلا بعد قضاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وبعد قضاء كرنطيلة ثانية في محجر من محاجر البحر المتوسط .

2 ـ الفصل الثاني : كل مركب الحجاج الذي فيه أقل من 25 حاجاً : يلزمه على كل حال قضاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وكرنطيلة أخرى بمحجر من محاجر البحر المتوسط ، فيقبل ـ حينئذ ـ بطنجة فقط ، على شرط أنه لم يثبت وقوع الطاعون أو الهيضة في داخله ، وبعد إجراء البحث الطبي به ، وتنقية الحجاج وملابسهم وأثقالهم بالبرمة التي بطنجة ، نعم مجلس الصحة له أن يحتم على المركب بكرنطيلة الترصد بطنجة أو بالصويرة .

3 ـ الفصل الثالث : كل مركب حدث فيه الطاعون أو الهيضة منذ قضائه الكرنطيلة الأخرة : يطرد إلى محجر آخر من محاجر البحر المتوسط ، ويقضي

هناك كرنطيلة أخرى ، وبعدها فإنه يقدم لطنجة ، ويحكم مجلس الصحة بشروط قبوله .

4 ـ الفصل الرابع : لا يقبل في مرسى من المراسي السعيدة ـ عدا طنجة ـ كل مركب ـ غير المراكب المبينة بالفصلين المذكورين أعلاه ـ قدم من خارج الإيالة حاملاً للركاب المسلمين : في خلال المدة التي يكون محجر الصويرة محلولاً فيها : يعني مدة الأشهر الخمسة الأولى من السنة الهجرية .

5 ـ الفصل الخامس : يجب على الركاب المسلمين القادمين في مركب من المراكب المذكورة بالفصل الرابع : أن يثبتوا بشهادات صادرة ممن يجب وبرضاء مجلس الصحة : كونهم كانوا يوم العيد الكبير ـ الموافق لتاريخ 31 مارس هذا العام ـ ببلاد غير موبوءة ولا مظنون فيها الوباء ، أو قضوا تنقية ملابسهم وأثقالهم في محجر أورباوي ، وإلا فلا يقبلون إلّا بعد البحث الطبي بالمركب وتنقية ملابسهم وأثقالهم بالبرمة .

6 ـ الفصل السادس : من توجه من المسلمين في خلال شهور مدة الحج التي ابتداؤها 15 أبريل ـ من طنجة وتطوان ـ إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء وقالص وسبتة ومليلية : يدفع له نائب السنيدة بطاقة تصح لنفسه ولمدة السفر ذهاباً وإياباً فقط ، فيردها له عند إيابه .

7 ـ الفصل السابع : هذا الضابط يبطل جميع التنظيمات المتقدمة المتعلقة بإياب الحجاج والركاب المسلمين في خلال شهور مدة الحج ، إنتهى .

هذا بيان ما يتعلق باستخدام المحجز في العام 1901 :

يكون المحجر مفتوحاً من تاريخ أول أبريل إلى تاريخ 31 غشت .

	فرنك
فيجب ـ حينئذ ـ تقدير الصوائر اللازمة لخمسة أشهر وهي	
أجرة الطبيب كبير المحجر بألفي 2000 فرنك عن كل شهر :	10.000
أجرة معاونَيه بألف 1000 فرنك عن كل شهر :	5.000

تكون مونة الأشخاص الثلاثة المذكورين أعلاه على أنفسهم مدة الإقامة بالمحجر .

صوائر السفر والإقامة والمونة خارج المحجر وهى ألف 1000 فرنك للطبيب ، وألف 1000 فرنك لكل من المعاونين : 2.000

صوائر لتجهيز زائد لا بد منه بالصويرة حسبما بإخبار الطبيب الكبلير فرنتز الموجه على يد جناب منسطر دولة الألمان الفخيمة .

وعلى جانب المخزن الفخيم صوائر ترجمان للطبيب ، وجلب الماء ومونة الحجاج ، وأجرة العسَّة ومونتها ، والأدوية وتجهيز الأخبية .

ومعلوم أنه إذا حدث وباء بمحجر الصويرة فإن الطبيب يتخذ جميع التدابير الظاهر له لزومها ، الغير مقرر ثمنها في هذا التقدير ، وبموافقة أولات المخزن هناك .

وصار المقرر من الفرنك : 17.000

هذا بيان ما يطلب مجلس الصحة تنفيذه من الصوائر المتقدمة وهو صوائر الطبيب الجبلير رينو ومعاونيه من السفر وغيره الغير مضافة إلى أجرهم .

من الفرنك	5.176.46
وثمن البرمة	6.001.10
صار في الجميع فرنك	11.177.56

من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

الفصل الثاني
تنظيمات وزارة المفضل غريط

تمهيد :

قدم العرض الأخير ثلاثة نماذج من المبادرات الإصلاحية لوزارة الحاج المختار ، والأن : نحن على موعد مع وزارة محمد المفضل غريط ، وقد طرحت مشروع لائحة من أحد عشر فصلاً تستهدف إقتراح إصلاحات جبائية ، وتنظيمات إدارية وإجتماعية :

فتتناول الفصول الأربعة الأولى أحكام ضريبة الترتيب المزمع إحداثها ، بينما يشير الفصل الخامس إلى وضع تشريع لتصرف الولاة أياً كانوا ليسيروا على نهجه ، ومن حاد عنه يعاقب .

ويقترح الفصل السادس سن زواجر مالية وبدنية في إطار القواعد الإسلامية . حتى يواخذ بها من يستحقها من أصحاب المخالفات والجرائم .

الفصل السابع : في موضوع التنظيف لأزقة المدن ، وترصيف طرقها المفتقرة لذلك ، مع ذرء المضار العامة المتوقعة ، كالمبادرة لهدم جدار تداعى ، وما شابه ذلك

الفصلان : الثامن والتاسع : في تنظيم مرتبات الموظفين على تفاوت درجاتهم .

الفصل العاشر : في شكل صياغة الظهير الذي يشرح للأمة ماهية الإصلاحات الجديدة .

وأخيراً : ينصح الفصل الحادي عشر بالتزام جانب المخزن بتحقيق هذه الإصلاحات ، وإصدار ظهائر متضمنة لذلك .

انظر النص الكامل لهذه اللائحة عند الملحق رقم 11 .

وقد كان هذا المشروع موضوع استشارة ملكية لبعض كبار الموظفين ، حيث يعرف ـ لحد الآن ـ من ملامح ذلك رسالتان اثنتان : الأولى : بتاريخ 17 محرم 1319/1901 ، وفيها يستدعي وزير الخارجية إبن سليمان : عضو دار النيابة بطنجة القائد عبد الله بن سعيد : ليتوجه ـ عن الأمر السلطاني ـ إلى الحضرة العزيزية لغرض أكيد ، حسب الملحق رقم 12 .

وفي مراكش حضر المستشار السلوي اجتماعات عقدت في وزارة الخارجية مع المعنين بالأمر من رجال الحكومة ، وتبادلوا أوجه الرأي في شأن الإصلاحات المقترحة ، ثم صدر أمر ملكي بأن يسجل كل واحد من المجتمعين تصوره لطرق هذا الإصلاح الجديد ، ويرفع ذلك إلى ولي الأمر ، وفي هذا الإتجاه قدم القائد ابن سعيد مشروعه الإصلاحي ، حيث سيكون تحليله هو موضوع الفصل الرابع .

ونشير ـ الآن ـ إلى الرسالة الثانية التي تحمل تاريخ 7 جمادي الأولى 1319/ 1901 ، وهي صادرة عن العزيز إلى الطريس ، فترد بها الإشارة إلى عرض اللائحة ـ المعنية بالأمر ـ على النائب السلطاني ليدرسها ، ويجيب بما يظهر له من الزيادة أو الحذف بصدد محتوياتها ، حسب الملحق 13 .

غير أنه لا يعرف ـ الآن ـ وثيقة جواب الطريس ، كما لا يعرف عن هذه الإستشارة سوى المعلومات التي عرضها هذا المدخل .

* * *

وبعد هذا : ينتهي المطاف إلى الوزارة الغريطية ، لنرى ما حققته في إنجازات المشروعات الإصلاحية التي طرحتها ، والواقع أن العراقيل المنوعة التي واجهت المسئولين : جعلت الإصلاحات المقترحة تقف عند البداية ، وعلى هذا الأساس يسير تحليل المحاولات التجديدية لوزاره محمد المفضل غريط ، حيث مست

جملة من القطاعات : إنطلاقاً من الجهاز الإداري ، إلى الجباية والمواصلات ، إلى الدفاع والإجتماع .

* * *

أ ـ في الجهاز الإداري :

كانت الظاهرة الأولى لتنظيم الجهاز الإداري أن السلطان العزيز ، أحدث مجلساً للوزراء صار ينعقد ـ يومياً ـ للتداول في القضايا المهمة ، وكل من عرض له أمر في وزارته قدمه إلى ولي الأمر ليأمر بعرضه على مجلس الوزراء ، قصداً للتشاور وإبداء النظر فيه ، وأطلق على هذا الإجتماع اسم « الجمع » .

وقد حاول الوزراء أن يضفوا على هذا المجلس الوزاري نوعاً من الجدية ، فاتفقوا ـ بينهم ـ على أن لا يختص أحد منهم بإبرام شيء أو نقضه إلا بعد اجتماعهم عليه ، ومصادقتهم على وقوعه أوعدم وقوعه ، وحظروا على أي منهم قبض رشوة أو قبول هدية أو ما شابه ذلك ، ومن خالف هذا يطرد من الحكومة ، ويعاقب ، وعزز الوزراء اتفاقهم بالحلف منهم في المصحف على عدم ارتكاب شيء من ذلك .

كذلك سنوا قانوناً بأن كل من تقلد ولاية يقسم يميناً مغلظة ـ بالمصحف الشريف ـ أنه لا يخون فيما تولاه ، ولا يطلع على كتمان شيء عن ولي الأمر ، ولا يغشه ، ولا يقبل رشوة ولا هدية .

ومن كان متولياً يحلف على أنه لا يعود لإرتكاب شيء من ذلك .

وقد أقسم ـ فعلاً ـ سائر الوزراء والولاة والأمناء والقضاة بناحية مراكش[2] ،

---

1 ـ « المذكرات الحجوية الأولى » ، على أن محمد بن المفضل غريط يرقى بتنظيم هذا المجلس إلى عهد وزارة الحاج المختار ، ويحدد إختصاصه في النظر في قضايا الأجانب ، وهكذا يقول وهو يتحدث عن هذه الوزارة : « ..ث فصدر الأمر السلطاني بتنظيم مجلس للنظر في القضايا الأجنبية في كل يوم اثنين ، ورئيسه الوزير الصدر المذكور ، وأعضاؤه : وزير الحرب : الحاج المهدي المنبهي ، ووزير الخارجية : الفقيه الأديب السيد عبد الكريم ابن سليمان ، ووزير المالية : الشيخ محمد التازي ، والمترجم له بصفة مستشار » .

ويقصد بالمترجم له والده المفضل غريط ، حيث كتب ابنه ـ المشار له أول هذا التعليق ـ تقييداً في ترجمة والده ، فوردت به هذه الفقرة ، حسب مخطوطته : خ . م 12763 : أول مجموع .

2 ـ الحلل البهية » مع « المذكرات الحجوية الأولى » ، ثم « فواصل الجمان ... » لمحمد غريط : المطبعة الجديدة بفاس ص 95 .

وكانت هذه المدينة لا تزال ـ آنذاك ـ مقراً للحكومة قبل انتقالها إلى فاس .

وبعد ذلك ـ في باقي جهات المغرب ـ أقسم الموظفون على اختلاف درجاتهم « يمين الخدمة » .

وفي الملحقات ذوات الأرقام 14، 15، 16 : مزيد من التفصيل لهذه النقطة ، مع صيغ « يمين الخدمة » التي أقسمها موظفوا دار النيابة بطنجة ، ثم أمناء المراسي وعدولهم بتطوان .

ب ـ التنظيم الجبائي :

وقد كان يهدف إلى إصلاح أوضاع البادية بالدرجة الأولى ، كما اهتم بتنظيم جباية المراسي .

* * *

وفي موضوع النقطة الأولى صدر ـ في تنظيم ضريبة الزراعة والماشية ـ ظهير يحمل تاريخ 10 جمادي الآخرة عام 1319/1901 ، وهو يسجل ـ في مقدمته ـ تظلم الرعية في تنوع شكاياتها ، ونسبة الحيف إلى أشياخها وولاتها ، ودعوى الإضرار في استخراج جباياتها .

وذرءاً لهذا يعلن القانون الجديد توظيف مقدار محدود ، يدفع سنوياً ـ على أنواع البهائم والأنعام والمواشي ، وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني والأشجار : على اختلاف أنواعها .

وبعد هذا يقرر نفس الظهير أن هذه الجباية عمومية يستوى في أدائها الشريف والمشروف ، والقوي والضعيف ، وحتى من كان عاملاً أو شيخاً أو خليفة أو نحوه : يكون فيها كسائر الناس ، بحيث لا يستثنى أحد من شمولها .

ولذلك يقرر القانون لزوم إحصاء سائر الذكور الخاضعين لهذا الأمر : بأسمائهم ، وأنسابهم ، وبيان فرق كل قبيلة ، زيادة في الضبط .

والظهير يقرر إلغاء كل ضريبة أخرى يفرضها العمال ، ويقول في هذا الصدد :

« وأما العامل فلم يبق له سبيل على فرض شيء عليكم ، أو قبض شيء منكم ولو قلامة ظفر » .

كما يقرر ـ مرة أخرى ـ أنه حدد للعمال مرتب من بيت المال .

وأخيراً : يسند استخلاص هذه الضريبة إلى الأمناء ـ الذين حدد المخزن لهم ولعدولهم مرتبات على هذا العمل .

هذه خلاصة الظهير الذي يضع اللبنات الأولى لمشروع التنظيم المالي في هذه الفترة .

وبهامش هذا القانون أثبتت لائحة بالأنواع التي تشملها الضريبة الجديدة ـ مع بيان المقادير الواجبة على كل نوع ، ويوجد نص الظهير بالملحق رقم 17 .

يضاف له لائحة تكميلية لهذا الظهير بالملحق 18 .

وهكذا سنرى في هذا القانون المالي ـ إلى جانب تقرير ضريبة الترتيب ـ تنظيمات أخرى جديدة لم تكن معروفة من قبل :

1 ـ فالترتيب ضريبة عامة يستوى في أدائها سائر الطبقات دون تمييز .
2 ـ إلغاء الضرائب التي يفرضها العمال على الرعية .
3 ـ تقرير مرتبات لكل من العمال وجباة الترتيب ، يتقاضونها من خزينة الدولة .
4 ـ إسناد مهمة استخلاص الضرائب إلى الأمناء بدلاً عن العمال .
5 ـ إلغاء السخرة والتموين للمكلفين بجباية الترتيب .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الضريبة صارت تعرف باسم « الترتيب » . وقد طبقت بالتدريج ، ووقع الشروع في عملياتها لما كانت الحكومة لا تزال بعاصمة الجنوب ، ولهذا ابتديء بنواحي مراكش : فعين بكل قبيلة من قبائلها أمين ومعه عدلان ، ليسجلا ـ بدفتر ـ ما يتملكه كل واحد مما يجب فيه الترتيب ، وكانت الأجور يومياً : للأمين ستة ريال ، ولكل من العدلين ثلاثة ريال .

وهكذا انتشر الأمناء والعدول بنواحي مراكش لإحصاء ما لقبائلها كلها حتى فرغوا من ذلك ، وسجلوا ما لدى كل قيادة في دفتر على حدة .

ولما انتقلت الحكومة إلى فاس : وقع الشروع في متابعة عمليات الترتيب بنواحي هذه المدينة[3] ، ومن وثائق ذلك رسالة عزيزية إلى قائد منطقة فشتالة بتاريخ 15 ربيع الثاني 1320/1902 ، حسب الملحق رقم 19 .

ولتسهيل أداء هذه الضريبة ، تقرر أداء نصف ما على كل فرد لمضي ستة أشهر ، والنصف الآخر لإنتهاء سنة من يوم تقدير الواجب[4] .

وقد عارض السلك الدبلوماسي ـ أول الأمر ـ في الخضوع لأحكام هذا القانون الجديد بالنسبة للأجانب والمحميين ، وبعد مفاوضات طويلة ، أقر ممثلوا الدول الأجنبية هذه الضريبة مقابل تعديلات جبائية كانت موضوع قانون تنظيمي من 11 فصلاً ، حيث سيرد نصه عند الملحق رقم 20 .

ونذيل على ضريبة الترتيب ، بالإشارة إلى أنه سبقت محاولات لتنظيمها من عصر السلطان الحسن الأول باسم « الترتيب » أيضاً[5] ، غير أن تطبيق ذلك لم يسر بانتظام ، وبمناسبة مبادرات الإصلاحات الجديدة التي نعرضها ، أعيد بعث هذا المشروع بالظهير العزيزي المنوه به ، حيث جاء في تقنينه أكثر وضوحاً وشمولية .

* * *

وظهر بعد ضريبة الترتيب : قانون لتنظيم الجباية الجمركية بالمراسي ، وقد صيغ في لائحة مطولة من أربعة وثلاثين فصلاً .

وهو يهتم بتنظيم عمليات تعشير الواردات والصادرات : إبتداء من الإطلاع على لوائح الموضوعات أو الموسوقات ، بالنسبة للمراكب والقوارب .

إلى تفتيش المراكب ، للتأكد من عدم اشتمالها على سلع محظورة .

إلى حفظ البضائع ـ الواردة ـ بمخازن المرسي ، وطريقة تسليمها إلى أصحابها .

إلى إتخاذ الاحتياطات اللازمة حين التعشير ، تفادياً من التدليس في السلع .

إلى مصادرة الواردات المحظورات .

---

3 ـ « الحلل البهية » مع « الملحق » رقم 18 .

4 ـ « الحلل البهية » .

5 ـ انظر « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/132ـ133 .

ويتناول القانون ـ مع هذا ـ شرح اختصاصات موظفي المراسي ، مع ذكر أصناف الدفاتر التي يستخدمها الأمناء ، وشرح طريقة التسجيل بكل واحد منها : اعتماداً على الشهر العربي في تسلسل الحسابات اليومية ، وذكر ما يوافقه في التقويم الميلادي .

وبالقانون فصول أخرى باختصاصات إضافية لأمناء المراسي ، ومنها مهمة استخلاص ضريبة المرجان الذي تستخرجه المراكب من البحر .

مع السهر على الاهتمام بالمنشئات والمواد الدفاعية الموجودة ببلدان أمناء المراسي .

بينما يسند الفصل التاسع والعشرون إلى أمناء المراسي مهمة تموين المساجين المعتقلين بالمدن التي يضطلعون بأمانتها ، فيعين الأمين ثقة ينوب عنه في الحضور كل يوم بسجن مدينته ، حتى يتوصل كل واحد من مساجين عمال البوادي بالخبزتين المرتبتين له في كل يوم ، وعند انتهاء الشهر يحضر إلى السجن نائب الأمين ، ومعه نائب عن عامل البلد ، وعدلان من محكمة القاضي ، ثم يقع استعراض المساجين ، ومن وجد منهم مضطراً إلى الكسوة ينفد له ما يستر به عورته ، حسب تعبير القانون الذي نحلله .

وقد أضيف لهذا القانون ثلاث ملحقات : الأول في تقدير المرتبات الشهرية لموظفي المراسي ، ومنه يستفاد شكل تركيب هذه الإدارة ، حيث وردت لائحة العاملين بها ومرتباتهم هكذا :

أمينا التعشير	:	مائة وخمسون ريالاً للواحد .
العدلان معهما	:	خمسة وسبعون ريالاً للواحد .
الناسخان لهم	:	عشرون ريالاً للواحد .
أمين القبض	:	مائة وخمسون ريالاً .
العدل معه	:	خمسة وسبعون ريالاً .
الناسخ معه	:	عشرون ريالاً .
ترجمان المانفسط وغيره	:	ثلاثون ريالاً .

رئيس المرسي : خمسة عشر ريالاً .
خليفته : سبعة ريال .

وبعد هذا يعرض الملحق الثاني نماذج لأشكال الرسائل التي يحتذيها أمناء المراسي في مراسلاتهم إلى السلطان أو وزير المالية ، وعدد هذه النماذج ثمانية :

1 ـ رسالة موجهة إلى الملك في موضوع ملخص دخل مرسي طنجة ، عن الأسبوع الذي ينتهي بيوم 7 صفر عام 1322 هـ .

2 ـ رسالة ملكية بملخص دخل وخرج مرسي طنجة . عن شهر صفر عام 1322 هـ .

3 ـ رسالة ملكية بملخص دخل مرسي طنجة في الأسبوع الذي ينتهي بيوم 16 صفر عام 1322 هـ .

4 ـ رسالة إلى وزير المالية : في نفس الموضوع والتاريخ .

5 ـ رسالة ملكية : في موضوع تقديم أوراق مرسي طنجة : دخلاً وخرجاً : عن شهر ذي الحجة من عام 1321 هـ .

6 ـ رسالة لوزير المالية في الموضوع والتاريخ ذاته .

7 ـ رسالة ملكية : في موضوع ورقة تلخيص حساب مرسي طنجة : دخلاً وخرجاً عن شهر واحد .

8 ـ رسالة لوزير المالية في الموضوع ذاته .

ومن الجدير بالاعتبار : أن التواريخ التي تحملها أكثر هذه النماذج . هي التي أرشدت إلى فترة وضع القانون الذي نعرضه ، بعدما جاءت وثيقته خالية من التاريخ بالمرة .

وأخيراً : نشير إلى أن الملحق الثالث يشتمل على لائحة مطولة لتعريفة المعشرات .

أنظر نص القانون الجمركي بالملحق رقم 21 .

ج ـ تنظيم طرق المواصلات .

بعد التنظيم الجبائي ، نشير إلى محاولات أولى للبدء في تنظيم طرق المواصلات ، لربط أجزاء البلاد بوسائل النقل الحديثة .

وفي هذا الصدد فكر المسؤولين في مد خط حديدي وآخر للتلفون بين فاس ومكناس ، وقد كان الوزير المنبهي هو الذي اشترى قضبان السكة الحديدية بمبلغ مالي جسيم ، ثم نقلت ـ على ظهور الجمال ـ من مرسي العرائش إلى فاس[6] .

كما فكر السلطان العزيز أن يضرب المثل بنفسه للشعب ، واعتزم أن يسافر بالسيارة من فاس إلى مكناس[7] .

ولتحقيق هذه المحاولات : توجه مهندس انجليزي لإصلاح الطريق الرابطة بين المدينتين ، وشرع في نصب العلامات إنطلاقاً من الطريق الأتية من فاس ، وهنا ثارت قبيلة بني مطير عام 1902/1320 ، وهاجموا العلامات وكسروها ، وأعلنوا بالثورة ومعارضة نصب شيء من ذلك في أرضهم ، حيث عاينوا المباشرين لهذا العمل من الأجانب ، وهكذا توقفت هذه المحاولة عند نقطة البداية[8] .

د ـ تنظيم الجيش :

وفيما يرجع لتنظيم الجيش ، تقررت متابعة سياسة الحسن الأول في تقوية أجهزة الدفاع بالاعتماد على ضباط أجانب ينتمون إلى أكثر من جنسية .

ولهذا طلب السلطان العزيز ضباطاً انجليزيين ليساعدوا « ماك لين » في تدريب فرق الجيش ، كما طلب ضباطاً فرنسيين يتكلمون العربية لتمرين فرق المدفعية[9] ، زيادة على مدربين آخرين من إيطاليا[10] .

---

6 ـ « المذكرات الحجوية الأولى » .

7 ـ « المسألة المغربية » ص 120 .

8 ـ « المذكرات الحجوية الأولى » مع « الحلل البهية » .

9 ـ « المسألة المغربية » ص 120 .

10 ـ المصدر ص 255 .

وقد أحدثت زيادات في مرتبات الجيش . على أن الجديد في هذا الصدد ، انتظام توزيعها على يد أمناء محلفين ، بدلاً من توزيعها بواسطة الرؤساء .

كذلك صار اللباس العسكري على نمط الزي الأوربي بالنسبة إلى الكسوة والأحذية[11] .

وقد جاء وصف لباس فرقة من هذا الجيش أواخر عام 1902/1319 : في ارتسامة سجلها مراسل جريدة « الحاضرة » التونسية[12] حسب الفقرة التالية :

« ... هذه أول مرة شاهدنا فيها العساكر النظامية المغربية بملابس رسمية منتظمة : فقد لبسوا كسوة مصنوعة بإنكلترا من الجوخ الأحمر : يشتمل على سروال تركي واسع ، وسترة مقفولة بخمسة أزرار من النحاس تصل إلى الفخد وعلى محزمة معلق بها سنكّي ، وعلى رأسهم طربوش عثماني . وبعضهم لبسوا جوارب بيض (كذا) ، وانتعلوا بأحذية متينة ، وغالبهم منتعلون بالبلغة .

وقد لبس هذه الكسوة نحو الألفين جندي ، ولا يلبث ألفان آخران أن يلبسوها » .

هذا ويوجد بالملحقين 22، 23 : رسالتان عزيزيتان في موضوع إحياء الجند النظامي : بواسطة فرض حصص من أفراده على بعض القبائل ، فتحمل الرسالة الأولى تاريخ 28 جمادي الثانية 1902/1320 ، بينما يرجع تاريخ الرسالة الثانية إلى 24 شوال 1904/1321 .

هـ ـ اصلاحات اجتماعية :

وقد مس الإصلاح الإجتماعي تنظيف المدن وتفقد السجون ، وكانت المهمتان ـ سلفاً ـ من توابع اختصاصات العمال ، غير أن حركة الإصلاح التي برقت في هذه الفترة ، فصلت هذه الأشغال عن العمال نسبياً ، وأسندتها إلى جهة أخرى ، ثم أدخلت عليها تحسينات جديدة :

---

11 ـ « المذكرات الحجوية الأولى » .

12 ـ عدد الثلاثاء 3 قعدة 1319/11 فيفري 1902 : ص 2 .

I ـ تنظيف المدن :

لدينا الآن ـ في هذا الموضوع ـ رسالتان عن السلطان العزيز : لمحتسب فاس بتاريخ 28 حجة عام 1902/1319 ، ثم لمحتسب العرائش : 26 جمادي الثانية عام 1902/1320 ، وسيرد نص الرسالة الأخيرة عند الملحق رقم 24 ، بينما لا يوجد ـ الآن ـ النص العربي للرسالة الأولى ، وإنما بقيت ترجمتها إلى الفرنسية[13] .

حيث تذكر تكليف محتسب فاس بقبض المكس عن الذبائح ، ليستخدم المحتصل منه في تنظيف مدينة فاس العليا من الأزبال والنفايات والجيف والقاذورات ، مع إصلاح العطب الواقع بالطرق العمومية .

وإذا دعت الضرورة يرتب لهذه الغاية ـ في كل يوم ـ عشرة أو عشرين من الحمر ، وسبعة من السائقين .

كما ينبغي للمحتسب أن يكون على بصيرة من كل ما يمكن أن يقع من الأضرار بالأزقة : مثل طرح التراب وفاضل مواد البناء ، أو وقوع ثقب أو مستنقع في الطريق ، أو ترك الأزبال في الأروية والفنادق وما شابه ذلك مما ينجم عنه ضرر للعموم ، حتى إذا حدث شيء من ذلك يخبر الباشا ، ليلزم مرتكبه بالكف عن سبب المضرة في الحين ، أو يلزمه بأداء ما يترتب عن ذلك .

وليقم المحتسب بمثل هذا في المياه الجارية على الطريق العمومية ، حيث يتسبب عنها ثقب الأرض ومضار أخرى ، وعند حدوث ذلك يخبر الباشا ، ليجبر مرتكبه على إصلاحه .

II ـ إصلاح وضعية المساجين .

وفي هذا الصدد نشير إلى رسالتين عزيزيتين : الأولى : بتاريخ 21 ربيع الثاني عام 1902/1320 ، وتتعلق بسجني فاس الجديد . والثانية : 9 جمادي الأولى عام 1902/1320 ، وتتعلق بسجن طنجة .

---

13 - Georges SURDON «La France en Afrique du nord» Ce manuscrit figyre avec huit decrets de p 22, à p 227.

ونستفيد من الرسالتين ـ معاً ـ أنه أحدث لتفقد هذه السجون مصالح محلية يشرف عليها أمين ، يساعده عدلان أو عدل ، ووضع هذه المهمة قانون يحدد أشغالها كما يلي :

1 ـ العناية بتنظيف بناية السجن وإصلاحها .

2 ـ تسجيل المساجين القدامى بأسمائهم وأنسابهم وقياداتهم ، مع بيان الجهة التي اعتقلتهم ، وسبب ذلك وتاريخه .

3 ـ التعريف بوضعيتهم من جهة السكن والكسوة والتموين .

4 ـ السهر على توزيع الخبز يومياً ، والكسوة المعتادة سنوياً : للمفتقرين إليها ، بحيث لا يترك أحد بالسجن جائعاً أو عرياناً .

5 ـ تسجيل من أطلق سراحه من المساجين ، ومن دخل للسجن من جديد ، وعلى يد من ، وجريمته ، مع تاريخ تسريحه أو سجنه .

6 ـ العمل لإزاحة ما عسى أن يلحق بالمسجونين من الضرر : من جهة العامل أو السجان أوأي أحد .

7 ـ يتخذ الأمين ومن يساعده دفتراً لتسجيل أشغال مهمتهم ، وعند رأس كل شهر يستخرجون لائحة عن الأعمال الشهرية ، ويوجهونها للحضرة السلطانية .

يضاف للرسالتين المنوه بهما : رسالة إلى أمناء الصائر وأمين المستفاد بمكناس بتاريخ 27 شعبان 1322/1904 ، فتسير ـ على العموم ـ في نفس الإتجاه ، وترد بها الإشارة إلى القانون الموضوع في إصلاح السجون ، حسب نصها الذي سيرد ـ ومعه رسالتا فاس طنجة ـ عند الملحقات 25، 26، 27 .

* * *

وبالنسبة إلى مساجين البوادي المحبوسين بمدن المراسي : وضعت لهم بعض تنظيمات ، وأدرجت ضمن قانون الجباية الجمركية بالمراسي : عند الفصل 29 ، حسب الملحق رقم 21 .

ملحق ١١

مشروع لائحة باقتراح
إصلاحات على مستوى الحكومة

الحمد لله

فيمقتضى ما أريد إحداثه من اصطلاحات (اقرأ إصلاحات) جديدة، وترتيبات قريبة مفيدة، يعود نفعها على جانب المخزن ـ أعزه الله ـ وعلى جميع الرعية: يكون تصرف الولاة وجميع المكلفين مع من إلى نظرهم بالتمشي عليها وعلى قانونها، ويحصل ـ بحول الله ـ الأمن في النفس والمال والأهل، ويرتفع الظلم والجور والغصب والقتل، وينمو المال والمتمول: من حرث وكسب وتجارة، ويترتب على ذلك كثرة المدخول لبيت المال عمره الله. ويصل على حقيقته، ويستوي ـ في الضرائب التي ستقدر، والعطاء على الوجه الذي يسطر ـ جميع الناس: المشروف والشريف، والقوي والضعيف، والمتولي كيفما كان، والكبير والغني والفقير، ومن بالمغرب من تجار الأجانب، ومن في حمايتهم من مسلمين ويهود، ويرتب ذلك على فصول:

الفصل الأول

في بيان المسائل التي يعطى عليها.

الفصل الثاني

في كيفية تقييد متمولات الرعية بالبادية والحاضرة، وقدر ما يعطى على كل نوع منها.

الفصل الثالث

في كيفية تحصيل ذلك، وترتيب المكلفين به في كل بلد.

الفصل الرابع

في نتيجة ذلك التي هى رفع الظلم والتعدي على الرعية ، وحصول الأمن لها في النفس والأهل والمال .

الفصل الخامس

في كيفية ضابط تصرف الولاة من حيث هم ، وإلزامهم العمل بمقتضاه ، ومن ثبت أنه خالفه أو تعداه يعاقب بما يستحقه ، وتسقط رتبته .

الفصل السادس

في إحداث زواجر مالية وبدنية تتوجه على من يستحقها من ذوي الجنايات والجرائم وغيرهم من المترافعين لدى الحكام : كل على قدر جريمته الثابتة عنه ، من غير مخالفة للقواعد الشرعية .

الفصل السابع

في صرف وجهة ولاة المدن لتنظيف أزقتها من الأزبال والعفونات والجيف ، وترصيف ما يحتاج إليه من طرقها ، ورفع ضرر الأوخام الناشئة عن ذلك .

وكذا المضار العامة المتوقعة : كالمبادرة لهدم جدار تداعى ، وردم بئر أو حفرة يخشى الوقوع فيهما ، إلى غير ذلك من الحوادث التي يجب رفعها .

الفصل الثامن

في تقدير ما تقوم به كفاية المتولي من حيث هو ، والقائمين بجباية تلك الضرائب

الفصل التاسع

فيما يرجع للكلام في تقدير وظائف ذوي الرتب المخزنية من وزراء وكتبة

2 ـ مصورة الملحق 11

وكبراء ، ومن جملتهم القضاة والأمناء ، وما تقوم به كفاية كل منهم بحسب مراتبهم ، حتى لا يبقى له تشوف لغير ما قدر له في ماهيته . ومن ثبت عنه ذلك : فتسقط رتبته ، ويعاقب بما يستحقه .

الفصل العاشر

في كيفية عمل الظهير الشريف الذي ينشر بجميع الأفاق من هذه الإيالة السعيدة ، وإحكام ألفاظ فصوله الوجيزة المفيدة ، مع مزيد التنبيه ، لكونه تسافر به الركبان ، ويصير متداولاً بدفاتر الولاة والكبراء في جميع البلدان .

الفصل الحادي عشر

في إلتزام جانب المخزن ـ أعزه الله ـ جميع ما ذكر ، والعمل بمقتضى ما سطر وحرر ، وإعطاء الظهائر الشريفة متضمنة لذلك ، وأنه ـ أعزه الله وأبد نصره . وأشرق في سماء السعادة شمسه المنيرة وبدره ـ سالك في ذلك مسلك رعيته .

انتهى ، وبه الختام .

. من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

ملحق 12

رسالة وزير الخارجية باستدعاء القائد عبدالله بن سعيد ليحضر إلى القصر الملكي بمراكش

... محبنا وخادم سيدنا الأرضي : القائد السيد عبدالله بن محمد بن سعيد ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فبوصوله إليك يأمرك سيدنا ـ دام علاه ـ أن تقدم على شريف أعتابه لغرض أكيد : بحراً من ذلك الثغر الطنجي إلى الثغر الجديدي .

والكتاب الشريف لأمناء مرسى طنجة بتزويدك وإركابك من ثمة للجديدة بحراً : تقدم توجيهه لنائب سيدنا : الأجل السيد الحاج محمد بن العربي الطريس ، مع كتاب أمناء الجديدة : بتزويدك وإكراء الظهر لك لشريف الأعتاب ، وقد كتبنا لنائب سيدنا المذكور ـ عن الأمر الشريف ـ بالتعجيل بتوجيهك ريثما يرد عليه الكتاب الشريف بمضمن هذا .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 17 محرم عام 1319 ، عبد الكريم بن سليمان لطف الله به .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي ابن سعيد .

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خديمنا الذي رضي الله به الحاج محمد الحكي بسر وفقك الله وسلام
عليك ورحمة الله وبعد فقد شرح الله صدرنا إلى الانتقال
لما يعود نفعه على من إلى عبيدة الحي وسنة وينتفع به أهلها
ويستقيم به شأنها وتخيم به مادة النفع والانتفاع و
يحصل به الرفق بالبشر والأموال ومما خولنا به تغيير ما
يتغير بتبديل ما يطلب بشأنه من الحصول المطلق
بالمعرفة التي بكفيه ومبنى الحصول فيما أريد من ذلك وتحتمها
في وحتمها التي سيرد عليك تفصيلها إلا أن شاء الله فعلى كل
أن تشمر به ذلك وتعنى النظر فيه وتجتهد عنه بما يقتضيه
الحال وإن كنت مصلحا زيادة على ما أوجبناه عليك فيما وضعنا
ذلك فلما بالاعتماد عواقب الأمور بكفيك لتكونوا على بال منه وتعلموا
به ولهم التحسين إن شاء الله ومن المسئول بالإعانة والنجاح والتيسير
بمحمد وآله وصحبه وسلم

ملحق 13

رسالة استشارية من العاهل العزيز
إلى النائب الطريس

خديمنا الأرضي ، النائب : الحاج محمد الطريس ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد شرح الله صدرنا إلى الالتفات لما يعود صلاحه على هذه الرعية المحروسة ، وينتظم به أمرها ، ويستقيم به شأنها ، وتنحسم به مادة التعدي والتطاول ، ويحصل به الأمن في الأنفس والأموال .

وها نحن أمرنا بتقييد ما يتعين في ترتيب ذلك ، فقُيِّد ما يصلك بيانه من الفصول المسطرة في الورقة التي بطيه ، وهي الأصول فيما أريد من ذلك ، وتحتها فروعها التي سيرد عليك تفصيلها في الأثر ، إن شاء الله .

فنأمرك أن تستوعب ذلك وتمعن النظر فيه ، وتجيب عنه بما يقتضيه الحال ، وإن ظهرت مصلحة في زيادة شيء أو إسقاطه بينه لنرى فيه .

وبعد ذلك نأمرك بإعلام نواب الدول بطنجة ليكونوا على بال منه ، ويعلموا به دولهم المحبين ، إن شاء الله .

وهو المسئول في الإعانة والنجاح ، والسلام ، في 7 جمادي الأولى عام 1319 .

من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

ملحق 14

رسالة من العزيز في شأن حلف موظفي دار النيابة بطنجة مع صيغة قسم يمين الخدمة

وبعد : فإن مما شرح الله صدرنا إليه لمزيد حصول الإطمئنان ، وتأكيد نصيحة خدامنا الوزراء والرؤساء والنواب وسائر المكلفين عندنا بالأعمال التي قلدوها ، والخدمة التي طوقوها : تعميم الحكم عليهم باليمين على التحري فيما هو مطلوب منهم شرعاً وعقلاً : من التزام الحق والصدق والنصح في الخدمة ، والتفصي من إتباع غرض أو طمع أو غلول أو قصد إضرار بالغير أو منافسة أو محاباة أو تكاسل في شيء من الأشياء التي يروج فيها كل مكلف بنوع من أنواع خدمتنا الشريفة .

توخياً للتحفظ على حقوق الرعية التي استرعانا الله إياها ، والتأمين على أعراضها وأموالها من أن تنتهك حرمتها ، أو يطرق ـ بلا موجب ـ حماها .

على أن هذه الشرائط كلها من الخصال الحميدة الملحوظة فيهم ابتداء ودواماً ، فكل متصف بها لا يأبى اليمين عليها تعييناً والتزاماً ، لكونها من المدخول عليها في صفات المؤمن ديانة وإسلاماً ، ولورود الأدلة في الترغيب فيها والتوكيد ، وحض الولاة على التمسك بها حذراً من لحوق الوعيد ، فما اقتضى شريف نظرنا الأخذ بها إلا تتميماً لأمر هو ـ في الحقيقة ـ واجب متعين ، وبراءة استظهار من تخيل الإتهام بشيء وإن لم يكن بمحقق ولا متبين ، « قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

وقد تبادر المكلفون بأوامرنا الشريفة ـ المشار لهم ـ لامتثال ما أمرناهم به من ذلك ، وتلاهم من عداهم من الولاة والمستخلفين : طائفة بعد طائفة ، واستوفيت اليمين من جميعهم بنياتهم على تلك العهود : بنية غير مخالفة .

وتعين الكتب لكم ـ حينئذ ـ باقتفاء هذا الأثر العام ، واستيفاء اليمين من جميع من يحضر في الجمع هناكم : على منهاج من شملتهم خدمتنا الشريفة من أهل الالتزام ،

حيث كان هذا الوصف مطلوباً من الجميع ابتداء ، وكان حكمه على الخاصة من أهل التكليف سواء ، وقد ثبت في الحديث الشريف : أنه ـ ﷺ ـ كان يقول : « إحلفوا بالله وأبرو وأصدقوا ، فإن الله يحب أن يحلف به » .

وهنا نحن وجهنا كاتبنا الطالب الحسن الود غيري للحضور معكم على استيفائها منكم في المصحف الكريم ، على ما تضمنه التقييد الواصل إليكم بطيه ، وعدم الخروج عنه بحال ، فنأمركم بالحضور معه على ذلك ، والجريان على مقتضى ما قرر لكم فيه ، مثابين عليه ماجورين ، سددكم الله وسدد بكم وأعانكم ، والسلام .

في 5 جمادي 1 عام 1320

* * *

كيفية الحلف

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، المنزل هذا المصحف الكريم ، على نبيه الصادق الأمين ، وبجميع الأيمان : أنه لا يألو جهداً في بذل النصيحة لمولانا الإمام ، والذب عن رعيته فيما يعرض لهم من القضايا والأحكام ، أو يسند إليهم من بحث ومباشرة وخصام ، أو نظر أو تتعين مصلحته مدافعة قبل تطيير إعلام ، أو يرفع إليهم للمفاوضة فيه وإظهار ما يقتضيه الحال والمقام ، من غير تباغض ولا تحاسد ولا مشاحنة ولا تنافس ولا تشاجر ولا مداهنة ولا تشوف لشيء من الطمع فيما بيد الغير : كقبول هدية ولو بيضة طير ، بل لا يدخل عليه من قبل تكليفه شيء زائد على ما قدر له في ماهيته ، عدا ما يكون إنعاماً مولوياً لإقتضاء داعيته .

وأنه يعاهد الله ـ تعالى ـ على الأخذ بحقيقة ما تضمنه هذا التقييد ، ولا يخرج عنه حالاً وإستقبالاً ولا يحيد ، ومن الله الهداية والتوفيق ، والهداية لأقوم طريق .

كتاشة قاضي الرباط وعامله : المرحوم أحمد بن محمد بناني . بمبادرة كريمة من إبنه الأديب الشاعر المحاضر السيد أبي بكر : بتاريخ الأحد 4 شوال 1397/18 ستنبر 1977 : ص 395 .

ملحق 15

رسالة من العزيز لقاضي تطوان باستيفائه يمين الخدمة من أمناء المرسي وعدولهم

نأمر الفقيه القاضي الأرضي بثغر تطوان حرسه الله : أن يستوفي يمين الخدمة من أمناء المرسي وعدولهم الجدد ، عدا الأمين الحاج العربي بنونة لتقدمها منه .

وليكن ذلك بمحضر الأمناء الأقدمين وعدولهم ، على وفق ما هو مقرر في تقييد اليمين بكناش المرسي : بلفظه وكيفيته ، وقد أصدرنا لهم شريف أمرنا بذلك .

ولتوجه لشريف حضرتنا العالية بالله رسم استيفائها منهم .

والسلام في 25 حجة عام 1322 هـ .

تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 16

رسالة وزيرية لقاضي تطوان باستيفائه
يمين الخدمة من أمناء وعدول المرسي ، مع صيغتين لقسم الموظفين

محبنا الفقيه القاضي الأرضي : السيد التهامي أفيلال ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : فيأمرك سيدنا ـ أيده الله ـ أن تستوفي يمين الخدمة من أمناء وعدول المرسي بمحضر عامل البلد وعدلين من عدول السماط : على مقتضى التقييد الواصل إليك طيه ، وقد كتب له ولهم بذلك .

ووجه لشريف الحضرة ـ على يدنا ـ رسم الشهادة بذلك .

وعلى المحبة والسلام ، في 29 محرم الحرام عام 1325 .

محمد التازي لطف الله به .

* * *

الحمد لله ، بيان صورة اليمين الذي أقسم به أمناء المراسي السعيدة وعدولهم :

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، المنزل المصحف الكريم ، على رسوله الصادق الأمين ، وبجميع الأيمان : أنه لا يخون جناب المخزن في جميع ما أمنه عليه من مال ومتمول ، وقبض ودفع .

وأنه لا يعلم ضياع شيء من متاع المخزن ولا يوافق عليه .

وأنه لا يحابي أحداً في تعشير سلعة وتقويمها .

وأنه لا يالو جهداً في بذل النصيحة لجانب المخزن فيما أسند إليه من بيع وابتياع ، ومباشرة قضية أو نزاع .

وأنا لا يالو جهداً في الخدمة وتعمير أوقاتها ، ولا يكسل عما طوقه من أشغلتها .

وأنه لا يعلم أحداًمن أقاربه أو خدامه يتوصل لشيء من متاع المخزن ولو قل بدون استحقاق .

وأنه لا يستعمل أحداً في عمل لخاصة نفسه من المستخدمين في أمور المخزن . ولو ردع مسمار .

وأنه لا يدخل عليه من هذه الخدمة الشريفة المباركة ومما هو راجع إليها شيء زائد على أجرته المقدرة : لا له ولا لأقاربه ورفقائه : لا في الحال ولا في الاستقبال .

* * *

وكيفية يمين العدول :

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، وبجميع الأيمان ـ ويده بالمصحف الكريم ـ أنه لا يعلم ضياع شيء لجانب المخزن ولا يوافق عليه .

وأنه لا يالو جهداً في الخدمة وتعمير أوقاتها ، ولا يكسل عما طوقه من أشغلتها .

وأنه لا يعلم أحداً من أقاربه أو خدامه يتوصل بشيء من متاع المخزن ولو قل بدون استحقاق .

وأنه لا يستعمل أحداً في شغل لخاصة نفسه من المستخدمين في أمور المخزن ، ولو ردع مسمار .

وأنه لا يدخل عليه من هذه الخدمة الشريفة المباركة ومما هو راجع إليها شيء زائد على أجرته المقدرة : لا له ولا لأقاربه ورفقائه : لا في الحال ولا في الاستقبال .

- تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 17

ظهير العزيز في تنظيم ضريبة الزراعة والماشية

وبعد فقد علمتم أننا منذ استرعانا الله ـ تعالى ـ إياكم ، وكلفنا أن نسوق إلى مسالك الصلاح والطاعة مطاياكم ، ونحن ننظر فيما يكون أساساً لحفظ مصالحكم . وتزكية لأموالكم ومكاسبكم ، وجبراً لأحوالكم ، وعلاجاً لاعتلالكم . ودفعاً للتعدي من بعضكم على بعض ، وتأميناً على نفوسكم من تخوف الإذاية في مال أو عرض ، قياماً بما أوجبه الله من النصيحة والإرشاد ، والإهتمام بمصالح العباد ، وعملاً بقوله ﷺ : من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به .

وطال ما تروينا في ذلك بحسب ما يبدو تارة من اضطراب أحوالكم . وبحسب ما تنسبونه لعمالكم ، فإذا نظرنا لجهة جرائم العامة ومواقع انحرافها ، وتقاعدها عن الحقوق وعدم إنصافها : يكون عذر العمال واضحاً في إجراء الأحكام عليهم بما عهدوه ، واستخراج الفرائض والحقوق منهم على الوجه الذي تعودوه . وإذا نظرنا إلى تظلم الرعية في تنوع شكاياتها ، ونسبة الحيف إلى أشياخها وولاتها ، ودعوى الإضرار بها في استخراج جباياتها : يكون لكلام الرعية وجه يقتضي استكشاف حال العمال ، وكفهم عما ينسب لهم من هذه الأعمال ، صرفاً لكل عامل عن شهوته ، ومراقبة لقوله ـ ﷺ ـ إن من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته .

ولم نزل ـ مع هذا كله ـ نتأنى لإصابة المراد ، عملاً بمقتضى قوله ـ ﷺ ـ من تأنى أصاب أوكاد ، وأخذاً بأدب سليمان ـ عليه السلام ـ فيما حكى عنه في الكتاب المبين حيث قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .

إلى أن شرح الله صدرنا لترتيب قواعد سياسية ، وقوانين بحفظ المصالح وافية ، وفي رفع الضرر كافية ، على الوجه الذي يعود نفعه على بيت المال الموفر بالله : وهو توظيف مقدار محصور يكون منكم عطاؤه ـ سنوياً ـ على أنواع البهائم والمواشي ، وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني ، وكذلك الأشجار على اختلاف

أنواعها ، وتفاوت منافع ثمارها ، حسبما بين ما يعطى على كل نوع بإزائه في الطرة يمنة .

ويكون حكم هذا العطاء عام الاعتبار ، في سائر القبائل والأقطار ، بحيث يستوي فيه المشروف والشريف ، والقوي والضعيف ، وحتى من كان عاملاً أو شيخاً أو خليفة أو نحوه : يكون فيه كسائر الناس ، بحيث لا يستثنى أحد من شمول هذا الضابط وعموم هذا القياس .

وذلك منا ارتكاب لما له أصل في الشرع من نوع السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم ، وتدفع كثيراً من المظالم ، وتكشف الضرر عن الرعية ، ويتوصل بها إلى المقاصد الشرعية ، لأن المفاسد إذا أمكن رفعها بالأخف لا يعدل عنه إلى الأعلا ، ولبناء مذهبه المالكي على إتباع المصلحة العامة . حتى قال الأيمة ـ رضي الله عنهم ـ ينبغي أن يراعى فيها إختلاف الأحوال والأعصار ، وإنها من القوانين السياسية التي شهدت لها قواعد الشرع بالاعتبار ، وإنها جارية على مقتضى ـ قوله ﷺ ـ لا ضرر ولا ضرار ، ويشهد لذلك ما ثبت عنه ـ ﷺ ـ من مصالحة أهل سبا بتوظيفه عليهم سبعين حلة من القطن سنوية ، وثبت عن معاذ رضي الله عنه نحو ذلك على أهل اليمن عوضاً عن زكاة الحبوب ، لاقتضاء الحال والمصلحة لذلك على الوجه المطلوب ، مع ما صح عنه ـ ﷺ ـ من أن في المال لحقاً سوى الزكاة ، وقوله : إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم .

وها نحن عينا حملته من الأمناء والعدول الواردين عليكم لمقابلة هذا الترتيب في قبيلتكم ، وكلفناهم بإحصاء جميع ما عند كل واحد منكم من الأنواع المشار إليها ، ليكون العطاء المفروض كل سنة على نحو ما رتبناه عليها .

ومن أخفى من متاعه شيئاً ولم يطلع عليه المكلفين . ثم ظهر بسبب البحث الذي من ورائه : فإنه يعاقب بسلبه من جميع ما ستره باخفائه .

وأما العامل فلم يبق له سبيل على فرض شيء عليكم أو قبض شيء منكم ولو قلامة ظفر ، لأننا عينا له ما يكون يقبضه راتباً من بيت المال عمره الله ، على أن لا يعود لمد اليد في متاع أحد من القبيلة ، أو يتطاول لأخذ شيء بطمع أو حيلة ،

وإنما حسبه رد البال . وتأمين الطرق . وإجراء الأحكام . وشد العضد على الصلاح والطاعة . وحفظ النظام . وإجلاس كل طائش عند حده . وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

عسى الله أن يحقق فراستنا فيكم بحمد هذه النعمة وشكرها . والتزامكم الهناء وعمارة البلد المنتجة لعموم خيرها . لأن العلة التي كانت سبباً في بسط أيدي العمال فيكم وفي غيركم سالفاً : إنما هي ركون العامة لكثرة التنافر والاختلاف . والتقاعد عن الحقوق والإنحراف . وإلا فلو كان التوافق من أول الأمر حاصلاً فيكم . من الهناء وتأمين السبل في نواحيكم : لكنتم أحق بهذا الترتيب من قديم . ولا كنناءاثرناكم به من الآن بقصد إصلاحكم والرفق بكم . لعل الله يهديكم إلى صراط مستقيم .

وعليه فتأمركم أن تتمشوا مع الأمناء والعدول المذكورين على ما قرر من غير تفريط ولا تكاسل ، حتى ينفذوا ما أمرناهم به من غير توان ولا تساهل .

ولا كلفة عليكم بشيء من مئونتهم أو لوازمهم ، لأننا نفذنا لهم رواتبهم على العمل المذكور الذي توجهوا لأجله .

وكتبنا لخدامنا الأنجاد قوادكم ببيان هذا كله ، وأمرناهم بشد العضد لهم على التمكن من ترتيب ما أسمناه ، حتى يتم تنفيذه وإحصاؤه على مقتضاه .

والله المسؤل أن يجعل هذا القصد الحميد سبباً لجبر أحوالكم ، وصلاح أعمالكم ، وتنمية أولادكم وأموالكم ، وموجباً لإلهامكم شكر ما أردناه ، وثباتكم على تأسيس الخير الذي قصدناه ، فهو ـ سبحانه ـ ولي التدبير ، نعم المولى ونعم النصير ، والسلام .

في 10 جمادي الثانية عام 1319 .

- « فواصل الجمان » ص 95ـ98 . مع الرجوع إلى مخطوطة من نفس الوثيقة .

ملحق 18

لائحة تفسيرية للظهير بالملحق 17 .
وضمنها تحديد المواشي والمزروعات الخاضعة لضريبة الترتيب

الحمد لله . فبمقتضى ما أريد إحداثه من اصطلاحات « اقرأ إصلاحات » جديدة ، وترتيبات قريبة مفيدة ، يعود نفعها على جانب المخزن أعزه الله . وعلى جميع الرعية ، يكون تصرف الولاة وجميع المكلفين مع من إن نظرهم بالتمشي عليها . وعلى قانونها . ويحصل ـ بحول الله ـ للجميع الأمن في النفس والمال والأهل ، ويرتفع الظلم والجور والغصب والقتل ، وينمو المال والمتمول : من من حرث وكسب وتجارة . ويترتب على ذلك كثرة المدخول لبيت المال عمره الله ، ويصل على حقيقته ، ويستوي في الضرائب التي ستقدر ، والعطاء على الوجه الذي يسيطر ، جميع الناس : المشروف والشريف ، والقوي والضعيف ، والمتولي كيفما كان ، والكبير والغني والفقير ، ومن بالمغرب من تجار الأجانب ، ومن في حمايتهم من مسلمين ويهود ، ويترتب ذلك على فصول :

الفصل الأول

في بيان المسائل التي يعطى عليها

منها الأبل والبقر والغنم بنوعيها ، والخيل والبغال والحمير : المركوب منها والمستخدم ، وأشجار الزيتون واللوز ، وأشجار الجنات والبحائر ، وسواني الحناء ، وجميع ما يزرع بالبلادات الحرائية باعتبار أزواج الحرث .

الفصل الثاني

في كيفية تقدير متمول الرعية وبيان قدر ما يعطى عن كل نوع منها

فيعين لتقييد ذلك بكل قبيلة أو خمس من القبائل الكبار : كدكالة والشاوية :

ميناء وعدلان من المراسي والمدن الموالية لكل قبيلة . ويؤمر كل عامل بالوقوف معهم وقوف جد وثمرة في جميع ما ذكر على وجهه وحقيقته . ويتوعدون ـ أجمع ـ على التساهل في ذلك . ويسترعي كل منهم على من إلى نظرة : بأن من أخفى شيئاً من متاعه ـ ولو قل ـ فإنه يعاقب على ذلك .

ويتخذون كناشاً لما ذكر : فيبتدئون ـ أولاً ـ فيه بإحصاء ما للعامل وأقاربه . ثم ما لغيره من عامة الناس وخاصتهم : بأن يقيد أمام أسماء المالكين عدد مالهم من المتمول : كل نوع بضلع مرقوم بأعلاه قدر عطائه الآتي بيانه . وبأخر الأضلاع يكون مجموع الواجب في أنواع المتمول . ويدفعون لكل واحد بطاقة مؤرخة بعلامة العدلين والأمينين وطابع العامل . مقيداً فيها إسمه . وأنواع متموله . والواجب السنوي . ليكون الأداء عليها . وهكذا إلى تمام العمل . وعندما يختم كل منهم كناش عمله يوجهه لشريف الحضرة . مع نسخة منه للأمين المكلف . ونظيرتها للعامل . ثم يذهبون لحالهم .

وهذا الترتيب يكون يجدد في كل عام مرة . على نسق ما سيبين في الفصل بعد هذا .

ومن تمام هذا الموضوع : الكلام في مؤنة المعينين لما ذكر من الأمناء والعدول : فينفذ لكل أمين من يوم خروجه في مقابلة أجرته ومؤنته ومؤنة أصحابه وكراء بهائمه وعلفها : ست ريالات مياومة . ولكل عدل فيما ذكر : ثلاث ريالات في اليوم أيضاً . وجميع ذلك يكون من بيت مال المسلمين عمره الله : بأن ينفذ ذلك لكل منهم على صائر البلد أو المرسى الخارجين منها .

ويؤمر الأمناء بأن يكونوا يدفعون لنوابهم واجب نصف شهر تسبيقاً . وعند رجوعهم يتحاسبون معهم على جميع المدة . ولا يلزم القبيلة أو العامل شيء من ذلك . بل يحذر كل من المعينين والعامل من ارتكاب أدنى شيء من أوجه الطمع .

بيان قدر العطاء السنوي

على ما ذكر من المسائل بالفصل قبله

فعل كل رأس من الإبل : ريال واحد .

وعلى كل رأس من أبكارها الداخلة في السنة الثالثة : نصف ريال .

وعلى كل رأس من البقر : نصف ريال .

وعلى الضرائب منها ذكوراً وإناثاً : للرأس ربع ريال .

وعلى كل مائة رأس من الغنم البيضاء : عشرة ريال .

وعلى المائة من السوداء : خمسة ريال .

وعلى الخيل والبغال : نصف ريال للرأس .

وعلى الحمر : بسيطة للرأس .

وعلى كل مائة من شجر الزيتون واللوز : خمس ريالات .

وعلى كل مائة من شجر الجنات : اللتين بأنواعه ، وكذا النخيل : ريالان ونصف.

وعلى كل مائة من بقية شجر العود الرقيق : ريال واحد وربع ريال .

وأما البحائر وسواني الحناء : فيقوم ما يحرث منها كل سنة . ويعطى عليه نصف العشر .

وأما المزروعات بالبلادات الحرائية باعتبار أزواج الحرث : فعلى كل زوجة من الإبل والخيل والبغال : عشرة ريال .

وعلى كل زوجة من البقر : خمسة ريال .

وعلى كل زوجة من الحمر : ريال ونصف .

. من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

4 - مصورة اللوحة الأولى من الملحق 18

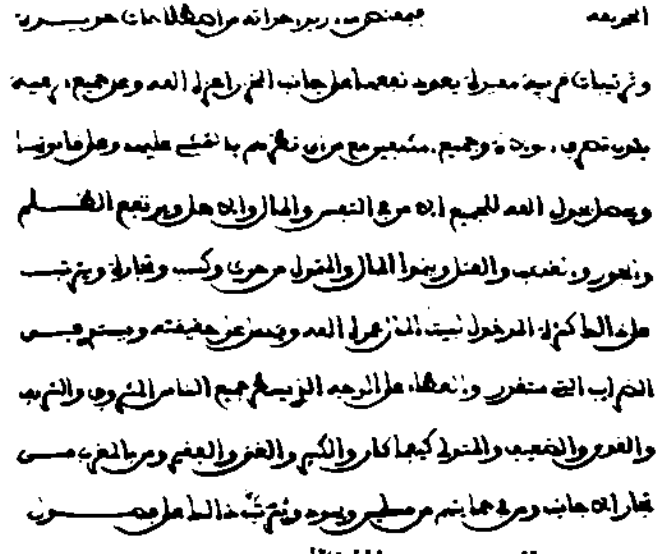

5 - مصورة اللوحة الثانية من الملحق 18

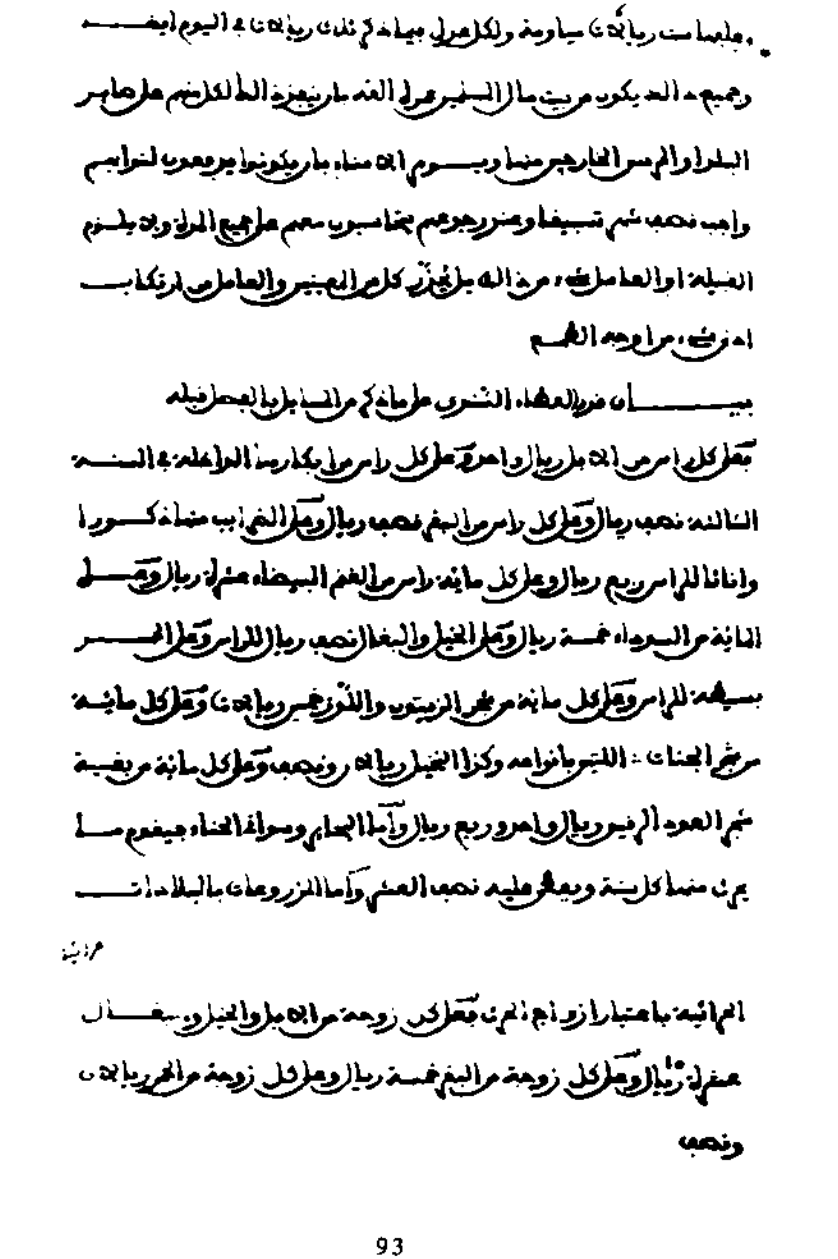

ملحق 19

رسالة عزيزية بشأن إجراء عملية الترتيب بنواحي فاس

خديما الأرضي : القائد محمد بن طلحة الفشتالي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد :

فقد شرح الله صدرنا لترتيب وظيف سنوي على إيالتك فشتالة كغيرهم من من سائر رعيتنا السعيدة المحوطة بالله ، إيثاراً للمصلحة ، ومراعاة للرفق ، وصوناً للأنفس والأموال من الحيف والعدا .

وعينا ما يعطى على كل نوع من أنواع المواشي والمزروعات ـ ما بين طرته ـ في كل سنة .

ووجها حملته لإحصاء ذلك على يدك أو يد خليفتك إن لم يتيسر لك الحضور بنفسك ، مع إحصاء جميع الأنفس الذكور بأسمائهم ، مبيناً إزاء إسم كل واحد منهم ماله من الأولاد والإخوان الذين على مائدته ، والمتمولات بأنواعها ، مفصلاً كل فرقة على حدتها .

وأصدرنا شريف أمرنا لهم بذلك في كتابنا الشريف الواصل إليك صحبته ، فنأمرك أن تقرأه عليهم حتى يفهموه ، وتقوم على ساق الجد والنصيحة في ترتيبهم من غير استثناء أحد منهم ، إذ لا فرق في هذا الوظيف ، بين مشروف وشريف ، ومتولي وغيره .

ومن ثبت أنه أخفى شيئاً من متمولاته بسبب البحث الذي من ورائه ، فإنه يعاقب بسلبه ، ويزجر زيادة على ذلك .

والعهدة ـ على كل حال ـ إنما هي عليك ، أو على خليفتك إن قام فيه مقامك .

وإذا استوعبت تقييد ما عندك وما عند كل واحد من إيالتك في كناش على

الكيفية المبينة للمكلفين بذلك : عجل بتوجيهه صحبتهم .

ولا كلفة عليك في مؤنة الأمناء والعدول المذكورين ولوازمهم ، فإنا نفذنا لهم ذلك من صائرنا السعيد .

إذ لم يبق لك سبيل على فرض شيء على إيالتك أو قبض شيء منهم .

وسنعين لك ما تقبضه ـ راتباً ـ من بيت المال عمره الله ، حتى لا تطمح نفسك لمد اليد في متاع أحد من القبيلة ، أو التطاول لأخذ شيء بطمع أو حيلة ، وحسبك إجراء الأحكام على كل طائش ، وإجلاسه عند حده ، وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

والسلام في 15 ربيع الثاني عام 1320 .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 20

تعديلات للظهير بالملحق 17 .

« الحمدلله وحده . ضابط أداء واجب الترتيب المبارك بحول الله .

الفصل الأول

على الأجانب وأهل الحمايات ـ الذين لهم ما سيذكر في الفصول الآتية : من أنواع الأنعام والدواب والفلاحة والأشجار والحراثة وسائر المزروعات ـ أن يؤدوا عليها لجانب المخزن الشريف مثل ما تودي رعيته في كل سنة على الكيفية الآتية » :

الفصل الثاني

الإبل المعدة للكسب والحراثة أو الحمل : يؤدي على كل رأس منها عشرة دراهم سكة عزيزية ، أو عشرون بليوناً سكة صبليونية .

وعلى أبكارها الداخلة في السنة الثالثة : خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين .

وعلى كل رأس من البقر ـ ذكوراً وإناثاً ـ خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين .

وعلى الضرائب منها : درهمان ونصف ، أو خمسة بلايين .

وعلى كل مائة رأس من ذكور الغنم البيضاء : مائة درهم ، أو مائتا بليون .

وعلى الإناث منها : ثمانون درهماً ، أو مائة وستون بليوناً .

وعلى المائة من السوداء أي المعز : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وكل ما نقص عن المائة من الغنم ـ بأنواعها ـ يعطى عليه بنسبة المائة » .

» ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

« ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه جار حتى على الرعية .

الفصل الثالث

الخيل والبغال والحمير ـ سواء كانت معدة للكسب أو للحراثة أو للحمل ـ يعطى على كل رأس من الخيل والبغال : خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين ، وعلى كل رأس من الحمير : درهمان ، أو أربعة بلايين * .

الفصل الرابع

الأشجار : فعلى كل مائة من شجر الزيتون المستغلة ، واللوز : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وعلى المائة من أشجار الجنات : الليم بأنواعه ، وكذا النخيل : خمسة وعشرون درهماً ، أو خمسون بليوناً .

وعلى المائة من بقية الأشجار المثمرة ، ومنها الصيفية والخرفية والدالية : إثنا عشر درهماً ونصف ، أو خمسة وعشرون بليوناً * .

الفصل الخامس

الحراثة في بلادها أو في الأرضين بين الأشجار ، يعطى عليها باعتبار أزواج الحرث :

فعلى كل زوجة من الإبل والخيل والبغال : مائة درهم ، أو مائتا بليون .

وعلى كل زوجة من البقر : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وعلى كل زوجة من الحمير : خمسة وعشرون درهماً ، أو خمسون بليوناً .

ومن كانت له حراثة بفرد أو بثالة المكينة ونحوها : يكون عطاؤه على نسبة ما تحرثه الأزواج المذكورة * .

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

الفصل السادس

المزروعات من البحائر وسواني الحناء وغيرها : تقوم نتيجة ما يحرث منها كل سنة . ويعطى عليه خمسة في كل مائة » .

الفصل السابع

المرتب للعطاء السنوي في الفصول أعلاه يستوي فيه جميع الناس من ولاة وغيرهم . باستثناء أهل الامتيازات والحقوق المقرر(ة) في المعاهدات ، ولا يطالبون بعطاء آخر غيره . عدى الديون التي في ذمم أهل القبائل المراكشية من قبل هذا الترتيب فيتعين أداؤها . وأما ما هو مرتب للعطاء في أسواق البادية والمدن على المبيعات والحافر . يبقى جارياً على ما أسس فيه بمقتضى وفق مدريد ، المنبرم في 24 رجب عام 1297 ، الموافق 13 يليه سنة 1880 » .

الفصل الثامن

جانب المخزن ـ أعزه الله ـ يعين لكل مدينة أو قبيلة أميناً وعدلين لتجديد الإحصاء في كل سنة ، فقبل فاتح شهر فبراير من كل سنة ، يدفع كل واحد من الأجانب وأهل الحمايات والسماسرة لقنصل جنسه تقييداً ببيان ما هو له مما ذكر ، ومن كان منهم متوظفاً في خدمة القنصلية فيدفع تقييداً بذلك لكبيره من نائب أو قنصل ، وهو يدفع في 15 فبراير ما اجتمع لديه من التقاييد بذلك لعامل البلد ، ليوجهها للمكلفين من قبل المخزن ليحققوا ما قيد فيها .

وفي انتهاء أجل قدره أربعة أشهر من يوم توجيه التقاييد للعامل : يوجه له المكلفون تقييد كل شخص من المذكورين بنمرته ، وتاريخه ، مذكور فيه إسمه ،

• ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

• ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية ، نعم تختص الرعية بشيء آخر : وهو زيادة أداء خمسة في المائة على الواجب الذي تضمنته بطاقة الإحصاء ، وذلك في مقابلة أجور المكلفين بالقبض .

ومحل سكناه ، وعدد ماله من الأشياء المقدر عليها ، وما وجب عليه فيها بعلامة الأمين والعدلين ، ويبقى مثله في الكناش عندهم .

ثم إن عامل البلد ـ بعد طبعه على التقاييد ـ يوجه لكل قنصل تقييد كل من هو إلى نظره ، وبعد إمضائه التقاييد يمكن أربابها منها ، ليؤدوا واجبها على يد القنصل في نحو 15 ينيه من كل سنة قبل العنصرة .

وبعد الأداء على يد العامل وتوصل الأمين بالواجب : يعلم هو والعدلان على كل تقييد بأن صاحبه أدى الواجب عليه في تاريخ كذا ، ويردها للعامل ليتوصل بها أربابها على يد القناصل .

الفصل التاسع

كل من أخفى شيئاً ولم يظهره حين الإحصاء ، ثم تبين عليه بالبحث الذي يجعله جانب المخزن الكاشف عن تحقيقه ، فإنه يضاعف عليه القدر المقدر فيما أخفاه ، وإن عاد للإخفاء يضاعف عليه مجموع ذلك ثانياً .

الفصل العاشر

إذا وقع خلاف مع أحد من رعية الأجانب أو ممن في حمايتهم في الإحصاءات ، يعين من المدينة القريبة من المحل الواقع فيه الخلاف شخصان : أحدهما من قبل العامل ، والآخر من قبل قنصل المنازع ، ويتوجهان لتحقيق الواقع ، فإذا تبين الحق لجانب المخزن فالمنازع هو الذي يؤدي صوائر خروجهما من أجور وكراء ، وإن كان الحق للمنازع فالمخزن يؤدي ذلك .

وأما إن وقع الخلاف فيما أحصى على القناصل الذين يتعاطون الكسيبة أو الفلاحة ، فتوجه بطائق الإحصاء لكبيرة من نائب أو قنصل ، ليجري في تحقيق ذلك مجرى غيرهم .

نعم : يتعين تقديم الإعلام على يد العامل للقنصل بالخلاف الواقع فيما

أحصى على الملتزمين بالأداء من أي صنف كانوا ، قبل انتهاء الأجل المذكور في الفصل الثامن ، وإن تأخر الإعلام حتى انصرم الأجل فإنه لا يقبل كلام في ذلك ، ولا يؤدي المنازع إلا ما قدره في تقييده المدفوع للعامل .

كما أن من لم يأت تقييده للمكلفين المذكورين عن أداء الواجبات عليه في وقتها المبين في الفصل الثامن ، ولزم إجراء القوة الجبرية عليه ، فقنصله ـ فقط ـ هو يلزمه بالأداء .

وإن كان إثنان فأكثر من أجناس مختلفة مشتركين في الكسيبة أو في الفلاحة ، وامتنعوا من أداء واجبها أو الذعائر حسبما بالفصل التاسع : فلكل قنصل أن يعين وكيلاً لإلزامهم بالأداء .

وليس للقناصل أن يقبضوا شيئاً على الإعانات ، مما تقتضيه التعريفات القنصلية في الداخل لجانب المخزن على يدهم .

الفصل الحادي عشر

إن وقع اختلاف في إجراء هذا الضابط ، فلا بد من حسم مادته على يد الأمين المكلف بالإحصاء ويد القنصل * .

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل خاص بالأجانب وأهل الحمايات .

ـ سجل وثائق خ . م 451 ص 252 : ورقة ملحقة .

ملحق 21

قانون تنظيم الجباية الجمركية بالمراسي وشؤون أخرى

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا تقييد يشتمل ـ بحول الله ـ على كيفية خدمة الأمناء بالمراسي السعيدة . بوجود مولانا أدام الله عزه ونصره مدا الأيام . ورتب على فصول .

الفصل الأول

تكون للديوانة مفاتيح بعدد الأمناء : عند كل أمين مفتاح . ولا تفتح إلا بمحضر الكل والعدول . وإن وقع عذر لأحد الأمناء والعدول يقيم من ينوب عنه فيما كلف به .

والعدول حسبهم التقييد ومعاينة الداخل والخارج والصائر . والإطلاع على المكاتب الشريفة والأجوبة عنها ، وغير ذلك مما يرجع لضبط الكنانيش .

الفصل الثاني

عند دخول الأمناء للخدمة بالمراسي يحوزون من الأمناء قبلهم ما يجدونه بها على يدهم : فما كان منه لجانب المخزن يكون بتقييد خاص : ما هو بالعد فليعد ، وما هو بالوزن فليوزن ، وما كان من السلعة لجانب التجار يكون له تقييد خاص : يبين فيه عدد القطع وأسمها ومباركتها ونمرها ومع أي بابور وردت لتكون على عمل المنفشط ، ويكون هذا أول العمل عندهم ، وبه تبرأ ذمة من قبلهم ، ثم يوجهون نسخة مما حازوه من أمور المخزن إلى الحضرة الشريفة ، ويدفعون نسخة مما حازوه من سلعة التجار لأمين الداخل بالمرسي ، والنسختان بشهادة عدول

المرسي ، بعد إثبات جميع المحوز في آخر كناشي الأمناء قبلهم : الوارد أحدهم للأعتاب الشريفة ، والآخر الأمين المكلف .

الفصل الثالث

إذا ورد بابور أو مركب يدفع رئيسه لأمناء الديوانة منفشط الوضع التي تنزل منه . وقد جعل على مفتضى الوفق فيه أجل توسعة أربع وعشرون ساعة من وصوله . ويدفع المنفشط الأصلي ، وكذا منفشط السلعة التي توسق : يدفعه في الأربع والعشرين ساعة مطبوعاً بطابع قنصل جنسه بتلك المرسي .

ولمنع ما يقع من الغلط في عدد قطع السلعة عند وسقهـا أو وضعها : يكون رئيس البابور أو المركب يدفع لكبير القارب أو كبير الفلوكة ريسبو فيها بيان عدد القطع المحمولة إليه من سلع الوسق . وأما سلع الوضع من المركب أو البابور للمرسي . فيجعل رئيس البابور أو المركب بطاقتين بما حمله كبير القارب أو الفلوكة منه للمرسي يعلم كل منهما عليهما ، ويحوز أحدهما إحداهما ، ويحوز الآخر الأخرى .

الفصل الرابع

لما يحوز أمناء الديوانة منفشط الوضع والوسق من رئيسه : يدفعونه ـ على الفور ـ لأمين الداخل بها . فيترجمه بالعربي . ويكتب عليه تعريبه . ويأخذ منه منه نسخة باللفظ ويرده لهم .

وأما بطائق كبراء القوارب أو الفلائك بما حملوه كل يوم من عدد القطع : فيحوزها رئيس المرسي منهم في يومها ، فإن كانت بطائق المحمول من المرسي للبحر من قطع الوسق فيدفعها على الفور لأمين الداخل بها ، ولا يبيتها عنده . وإن كانت بطائق المحمول من البحر للمرسي من قطع الوضع فيدفعها له ـ أيضاً ـ بعد أن يعلم أمناء الديوانة على كل بطاقة أنه وصل للمرسي ما فيها من عدد القطع .

الفصل الخامس

يعين الأمناء واحداً منهم أو من ينوب عنهم يطلع للمركب أو البابور ساعة وصوله وساعة خروجه ، ليبحثوا عن الكنطربانض ، ثم يجعلون فيه وردية ثقة عند الوضع وعند الوسق ، كما يقيم الأمناء ساعة نزول السلعة من البحر من يقيد على ظهر القطع الموضوعة بفور نزولها : إسم البابور أو المركب الواردة معه وتاريخ وروده ، لتعرف كل قطعة ـ عند التعشير ـ مع أي بابور أو مركب وردت .

الفصل السادس

إدخال السلع للخزين بفور نزولها من القوارب ، مع رد بال الأمناء لما يقع فيها من الضياع بين الخَدَمة والبحرية ، ومن ظهرت عليه خيانة من الفريقين يعاقب ولا يعود للخدمة .

وتعلق بهذا الفصل والذي قبله : النظر في أمور المرسى من جميع ما تحتاج إليه من القوارب والمجاديف والكمن وغير ذلك مما تعذر الخدمة بفقده ، بحيث يكون العدد الكافي من القوارب بالمرسي دائماً ، مع زيادة إقامة أربعة قوارب من عود وغيره تحت اليد احتياطاً ، وكلما أخذ منها شيء احتيج إليه يعوض على الفور .

والنظر أيضاً في أمر البحرية والخَدَمة بالوقوف على أجورهم حتى يتوصل كل بنصيبه ، ولا يسهم لأحد معهم . هذا من حيث الأجور .

وأما البحرية من حيث الخدمة فالنظر فيهم للرئيس ، والكلام في الخدمة معه لا معهم ، كما أن أمر العسة ـ ليلية أو نهارية ـ موكول إلى نظر العامل ، إلا في أجورهم فيدفعها لهم الأمناء يداً بيد ، وتكون تبدل في آخر كل شهر ولا تزيد عليه ، وأما أمر ورديانات المرسي فالنظر للأمناء فقط ـ لا لغيرهم .

الفصل السابع

لا يخرج السلعة من الديوانة إلا من أتى لأمنيها بالبليسة في اسمه ومسلمة له بعلامة

صاحبها ، ليعرف الأمينان عدد قطع سلعته ومماركتها وغيرها ، ثم يوجهان تلك البليسة لأمين الداخل : يأخذ منها نسخة بكناشة ، ويضع عليها علامته ، ثم يردها لهم . وهما يردانها لصاحبها ، بعد أن يعشروا له ما فيها ، ويعلم هو أو صاحبها باسمه على أنه حاز ما فيها .

الفصل الثامن

من جلب شيئاً من السلع للجانب العالي بالله يحوزها الأمناء منه أو من نائبه على شدها ، ويطبعون عليها بمحضره ، ثم يوجهونها لشريف الحضرة ، ويقيدونها في حساب شهرها بعد ختمه وإمضائه على حدتها باسم من وردت على يده ، وعدد قطعها ونمرها ووزنها ، ويكتب عليها في المنفشط أنها وردت لجانب المخزن على يد فلان ، ويكتبون بطاقة بها لأمين الداخل .

الفصل التاسع

ما يرد من حوائج نواب الأجناس الذين لا يتجرون ، يدفع صاحبها خط يده بما ورد له ، ويخرج من غير أعشار ، وفق الشرط معهم فيه ، ويقيد جميع ما أخرج لكل منهم في شهر إخراجه بعد ختم حسابه كذلك : قطعاً وغيرها ، ويكتبون عليها في المنفشط ـ أيضاً ـ أنها إن وردت لفلان وفلان ، ويدفعون خطوط أيدي أصحابها لأمين الداخل يأخذ نسخة منها ويردها لهم ، فيحفظونها إلى أن تدفع مع المنفشطوات .

الفصل العاشر

عند فتح السلعة بقصد التعشير يكون الأمناء على بال من عد ما بداخل الفرود ، لما يقع من إخفاء سباني الحرير ونحوها في داخل بسات الملف ، ومن جعل شقتين طى شقة واحدة ، ومن المقيد على بسات الملف وغيره من عدد اليرضات أو المطر ناقصاً عما هو فيها .

وعلى بال من أثمان السلع المعشرات ، ليقع التعشير على حسب ما تساويه في الوقت ، مع وجوب المساوات بين التجار في التقويم ، ومن لم يقبل ذلك التقويم وطلب دفع عشر السلعة من عينها يحوزه الأمين مساعدة له ، ويقيدون واجب تقويمه في محله ، ويبيعون ما حازوه فيه على ذمتهم .

وعلى بال من تعشير الملف والتوبيت ونحوهما باليرضات أو المطر . لا بالقالة . ومن وزن ما يوزن موسوقاً كان أو موضوعاً إن كان قليلاً . وإن كان كثيراً فيكتفى بوزن عشره يوخذ مما يظهر لهم من وسطه أو غيره .

ولا يعشر الأمناء من سلع الوسق إلا ما هو حاضر منها بين أيديهم . ولا يقيسون وزن ما حضر منها على ما يأتي بعده ، بل يعشرون كلا على حدته ، بعد حضوره ومعاينته .

الفصل الحادي عاشر

السلعة الواردة من بر النصارى مثل البراميل وشبهها : يفتح منها عند التعشير نحو عشرها ، والنظر فيما يفتح منها للأمناء ، وإن كانت أبازير وشبهها تسفد ، وقطع الخردة تفرغ عن آخرها ، ولا يكتفى بما هو مقيد على ظهرها .

الفصل الثاني عشر

ما يعثر عليه عند التعشير من الممنوع جلبه : مثل السلاح والبارود وملحه والكبريت والرصاص ، وغير ذلك من آلات الحرب والأفيون : يحوزه الأمناء لجانب المخزن أعزه الله ، موسوقاً كان أو موضوعاً . ويطلعون العلم الشريف به ، مع بيان وزنه وعدده .

وكذلك ما يقبضه الورديانات والعسس من الكطربانض بغير الديوانة من الممنوعات المذكورة وغير الممنوع : فيحاز لجانب المخزن ، ويعطى لقابضه ربع قيمته إن كان ممنوعاً ، وربع ثمنه إن كان غير ممنوع ، ويعلمون به أيضاً .

الفصل الثالث عشر

يكون الأمناء يحوزون مستفاد المرجان الذي تصطاده المراكب على يد الجانب العالي بالله هناك : بحساب مائة وخمسين ريالاً في العام لكل مركب ، وفق الشرط الستين مع الاسبنيول .

الفصل الرابع عشر

ما يعشر الأمناء في اليوم يقيده كل واحد من العدلين بتقيدته ساعة تعشيره ، وعند ختم اليومية ومقابلة كل واحدة من تقييدتهما بالأخرى يعلم عليهما كل من العدلين بنصف علامة ، فيدفع الأمناء إحداهما ـ بعينها لا نسخة منها ـ لأمين الداخل ، وإن لم يبيتوها عنده فلا يقبلها منهم في الغد ، ويبقون الأخرى عندهم . يكتبون منها نسخ الحساب الذي يوجهونه لشريف الحضرة وللأمين المكلف لا غير . ولا يتركون منها بالديوانة نظيراً .

الفصل الخامس عشر

كل من عشر له الأمناء من سلعة الوسق أو الوضع يعطون بطاقة ـ ببيان ما عشروا له قليلاً أو كثيراً : مثل ما في اليومية بلفظها وتاريخها ، وتكون بعلامتهم ـ لأمين القبض ، فيأخذ نسخة منها ، ويقبض واجبها من صاحبها ، ويدفعها له بعد وضع علامته ـ أيضاً ـ عليها : على أنه توصل بما فيها .

الفصل السادس عشر

يكون الأمناء يجمعون مدخول كل أسبوع عند انتهائه : مفصلاً في أيامه على ضلعين : أحدهما الداخل الموضوع . والآخر الداخل الموسوق . ولا ينهضون من محل الخدمة في ذلك اليوم حتى يختموا كتابه ، ويدفعونه لأمين الداخل ببطاقتهم

له ويجيبهم عنها بوصوله ، وإن لم يدفعوه له في اليوم الآخر منه فلا يقبله منهم بعد ويعلم ، ولما يحوزه بوجهه بِبُوسطى المخزن أعزه الله .

الفصل السابع عشر

تقييد حساب المعشرات وضعاً ووسقاً كل شهر عربي :

فيذكر بعد نص الافتتاح : إسم أول يوم الشهر ، ويسمى الشهر والعام ، وموافقه من العجمي ، ثم تاريخ كذا أخرج فلان ما ورد له مع البابور أو المركب الفلاني ، بتاريخ كذا ، وبرسم في أضلاع : أولها لعدد القطع ، والثاني لنمرها ، ثم إن كانت مما يعشر بالوزن فالثالث لوزنها بالطارة ، والرابع لوزنها صافياً ، وإن كانت مما يعشر بالعد ، فالخامس لعدد ما بداخلها ، والسادس للسوم بحساب البليون ، والسابع للواجب ، ويقيد حساب الموضوع على حدته متتابعاً بأيامه في الشهر كله ، ويجمع بليونه ويرد ريالاً ، ويليه حساب الموسوق على حدته كذلك ، وبرد بليونه ـ أيضاً ـ ريالاً ، ويجمعان ، ويضاف لجمعها ما تحصل في المخاطف وغيرها مفصلاً .

الفصل الثامن عشر

كيفية تقييد الصائر بالكناش :

يكتب بعد الحمد له ما نصه : بيان ما صيره الأمينان فلان وفلان ، ويذكر اسم اليوم الأول من الشهر المصير فيه ، وعدد أيامه ، وعام تاريخه ، ثم يجعل الصائر مرتباً في تراجم : كل جنس منه في ترجمة خاصة به .

ويصدر بترجمة المؤن اليومية مفصلة ، مقدماً منها الأكد فالأكد ، إلى أن يكمل صائر المؤن في اليوم الأول ، ثم يضرب المجتمع من ذلك في عدد أيام الشهر ، وتضع خارج الضرب في ضلع الواجب .

وتليها ترجمة الرواتب الشهرية مفصلة على الترتيب المذكور ، ويضع ما تحمل

فيها بمحله تحت جميع المؤن .

ثم ترجمة كراء الدور المنفذة مفصلة كذلك .

ثم ترجمة الحوادث : يصدر منها بعمل المنجرة ملخصاً : بذكر العود المشترى في جميع الشهر ، وإقامة الحديد وما يلحق بها . مفصلاً جميع ذلك ثمناً ومثمنا : بذكر عدد المعلمين على مراتبهم . وعدد أيام خدمتهم في الشهر . وما يعطى كل منهم في الشهر عن كل يوم ، ويخرج جميع ذلك إلى محله . وكل ما يشترى من المجاذيف وشبهها مما يرجع لخدمة القوارب : يصير في ترجمة المنجرة . ليكون صائر القوارب مجموعاً في ترجمته الخاصة به .

ثم تليها ترجمة البناءات الجديدة : مبيناً ما تصير في كل محل منها على الترتيب المتقدم .

وبعدها ترجمة بناءات الإصلاح على التفصيل المذكور .

ثم ترجمة الوفر الموجه للحضرة الشريفة ، وما تصير على حمله من كراء وغيره .

ثم ترجمة صائر الخيل والمخازنية الواردين من الحضرة الشريفة ، ويتعرض ما وردوا لأجله ، وفي هذه الترجمة تصير أجرة الرقاقيص الموجهة للحضرة الشريفة وغيرها ، مبيناً سبب توجيهها .

ثم ترجمة صائر ما يتوقف عليه من القبض : من كنانيش وكاغد ومداد ولك وأجرة رقاص أن احتاجه ، ورقاص الحساب الذي ينهض على يده ، وغير ذلك مما يعرض .

ثم ترجمة الشعير والتبن المشترين لبهائم المخزن ، مع ما يحدث من صائر الجنات مبيناً ، وفي هذه الترجمة تصير زيت الأبراج إن لم يكن في الأبراج صائر غيرها ، وإلا فتصير في ترجمة صائر الأبراج الخاصة بها .

ثم ترجمة الكسوة مفصلة بذكر أنواعها ، ثم يفصل ما دخل في الكسوة الواحدة من المنف والإقامة وأجرة الخياطة ، ويضرب واجبها في عدد نوعها ، وما خرج

في ذلك يضعه بمحله في ضلع المجموع ، وهكذا إلى آخر ما عنده من أنواع الصائر .

والمقصود أن يكون لكل نوع منها ترجمته تخصه على الترتيب المذكور ، ثم لا يحتاج إلى تلخيص الصائر ، لأن هذا الترتيب هو عين التلخيص ، كما لا يحتاج في الشهر الذي يليه إلى تفصيل المؤن ، بل يقتصر منها على مجموع أيام الشهر قبله . فإن حدثت فيها زيادة أو نقصان نبه على ذلك في تاريخه : بأن يقول بزيادة كذا أو نقص كذا بسبب مغيب فلان أو مئونة . وما تحمل في الشهر كله من المئون يخرج به إلى ضلع المجموع ، وكذلك يكون عمله في الرواتب وكراء الدور المنفذة ، ولا يحتاج إلى تفصيلها إلا في الشهر الأول من عدة خدمة الأمينين ، وبعد ذلك ينبه على ما وقع فيها من الزيادة أو النقصان كما تقدم ، وبعد انسلاخ الشهر يرد مجموع الصائر ريالاً بحسب ما يروج به في الوقت ، ولا يحدث صائر إلا بأمر مولوي ، إلا إن كان يلحق من تأخيره ضرر فيشرع فيه ويطالع به العلم الشريف أسماه الله ، وجميع ما يتوقفون عليه من الدراهم لذلك يخرجون به البطائق على أمين القبض من أول الشهر إلى انسلاخه ، فيجمعون معه ما في تلك البطائق ويحوزونها ، ويكمل لهم عليها ما يفضل له من داخل ذلك الشهر ، ويحوز خط يدهم بمجموعه في كناشة .

التاسع عشر

يكون الأمناء عند انتهاء كل شهر يوجهون لشريف الحضرة وللأمين المكلف مضمن الداخل في الشهر ، بعد زيادة جملة المضافات عليه ورده ريالاً ، وكذا مضمن الصائر فيه بعد رده ريالاً أيضاً ، في كتاب مختوم يدفعونه لأمين الداخل يوم الثالث أو الرابع من الشهر الذي يليه . وهو يوجهه على يده في بوسطي المخزن أعزه الله ، وبعد ذلك يوجهون حساب الداخل والصائر مفصلاً على الترتيب المتقدم مختوماً ، مع كتابهم به على يد أمين الداخل أيضاً ، ويكتبون نظيره في كناشين ، وعند فراغهم من الخدمة يوجهون أحدهما ـ مع ما يتعلق به ـ لشريف الحضرة ، والآخر للأمين المكلف ، وكناش ثالث يقيدون فيه تفصيل الصائر فقط ، يتركونه بالديوانة لمن بعدهم .

الفصل العشرون

السلع الموسوقة من بعض المراسي إلى أخرى من المراسي السعيدة : يتخذ لتقييدها كناش خاص يقيد فيه إسم السلعة ، والنمر الذي عليها ، والميزان ، وإسم صاحبها ، واسم البابور الموسوقة معه ، وتدفع لصاحبها بطاقة مقيد بها ما ذكر بخط أحد العدلين وعلامة الأمينين معاً ، وإن كانت مما يجب فيها الأعشار فيحاز الواجب في أعشارها وثيقة ، ويضرب لصاحبها أجل بقدر ما يأتي فيه بجواب الأمناء بوصول تلك السلعة إلى المرسي الموجهة إليها ، بحيث إذا انصرم الأجل ولم يأت بجواب الوصول فيعمر ما حيز منه في جملة الداخل في الأعشار ، ولا يقبل من صاحبها كلام بعد ذلك .

الفصل الحادي والعشرون

تفقد الميزان بالمسح وإبدال الوزان كلما أبدل الأمناء ، ورد بالهم له ، بحيث لا يضيع جانب المخزن ولا يتضرر التاجر ، وإن صدر منه خِلَل خدمتهم ما لا يليق بيدل أيضاً .

الفصل الثاني والعشرون

أنواع الحبوب التي توسق : يحضر الأمناء في كل عام من غلتها فيه بقصد اختبار وزن فنكة ، فيوزن من كل نوع منها ملء فنكة محققة بمحضر جمع من التجار بتلك المرسي ، ومعاينة عدولها ، ويعملون موجباً بذالك بثبوته بعلامتهم بكناش خدمتهم ، وتكون نسبة الفنكة منه عند وسقه على مقتضى الموزون فيها في ذلك العام ، إلى أن تختبر قطاني العام الذي يليه فيثبت اختبارها فيه بموجبه أيضاً ، وافق الذي قبله أو خالفه .

الفصل الثالث والعشرون

ما بخزائن المخزن من أمور المخزن ومن سلعة التجار : كل ذلك في عهدة

الأمناء ، لا يستقل به واحدهم دون الآخر .

الفصل الرابع والعشرون

لا يتعاطى الأمناء التجارة بالمرسي المستخدمين بها ، ومن ثبت عليه شيء من ذلك يعاقب ويبدل فوراً ، ولا يستعملون أصحابهم في شيء مما يرجع لخدمة المرسي .

الفصل الخامس والعشرون

يكون الأمناء على بال عند وسق البيض والدجاج ومسالين اللحم والبقر ، فيبينون في البيض عدد سلله وصناديقه كل يوم لمن هي ووزنها ، وسلل الدجاج ومسالين اللحم ، وبيان التيران ، وبطائق النواب بتسريحهما : يدفعونها لأمين القبض يأخذ نسخة منها ويردها لهم .

الفصل السادس والعشرون

زيت الكاز والوقيد وفحم الحجر وما أشبه ذلك من الأمور النارية : بمجرد نزولها من البابور أو المركب يحوزها صاحبها ، ولا يبقيها بالمرسي ، ولا يدخلها للخزين بها ، ومن سكت من الأمناء عن شيء من ذلك حتى أدى إلى ضرر فيكون عليه درك ما ضاع بسبب ذلك .

الفصل السابع والعشرون

الرباع والجنات وغيرهما من أملاك الجانب العالي بالله يجب على الأمناء رد البال إليها ، فما يكرى منها أو تباع غلته . ويكون ذلك بسكة الريال ، ولا يعقد فيه الكراء أكثر من سنة . ولا يحدث المكتري بها شيئاً من بناء أو غيره إلا بأمر مولوي . وما يكتري منها مشاهرة يقبض كراءه عند انسلاخ الشهر . وما كان منها مسانهة فيقبض كراءه عند تمام السنة . ومن أخر شيئاً من الكراء عن وقت قبضه فيكون دركه عليه .

الفصل الثامن والعشرون

المكاتب الشريفة الواردة على الأمناء بقصد تنفيذ مضمنها ، وكذلك أجوبة وصول الوفر الموجه لشريف الحضرة وشبه ذلك مما فيه براءة الذمة : ينسخ كلما ورد منها في كل شهر أمام صائره ، ويقيد جميع لفظ المنتسخ منه ، ويكون ذلك بخط يد عدلي المرسي وعلامتهما ليكون حجة ، وأما الأمور الداخلة للخزائن والخارجة مما لا ترجع إلى الصائر . فمكاتب تنفيذها تنسخ بتأخر كناش الخدمة .

الفصل التاسع والعشرون

العمل في خبز الأسجان : أن يعين الأمناء رجلا ثقة ينوب عنهم في الحضور كل يوم بالسجن ، حتى يتوصل كل واحد من مساجين عمال البوادي بالخبزتين المنفدتين له في كل يوم ، وعند انتهاء الشهر يحضر معه نائب عامل البلد وعدلان من قبل القاضي ، ثم يقع تسراد هؤلاء المساجين بمحضرهم ، وينظرون من هو مضطر فيهم إلى الكسوة فينفد له منها ما يستر به عورته ، ويحسب ذلك على عامله ، زيادة على ما يترتب عليه في صائر خبز مساجين إيالته ، وبعد تمام مدة خدمة الأمناء يجمعون صائر الخبز في المدة كلها ، مع زيادة صائر الأجور ، ويقسمون ذلك على عدد الخبز الخارج من يدهم ، حتى يعلمون ما ينوب الخبزة الواحدة ، ثم يقيدون ذلك في آخر كناش خدمتهم ، ويرتبون حسابه على ستة أضلاع :

الأول اسم العمال .
الثاني مساجين إيالتهم .
الثالث عدد الخبز المنفذ لهم .
الرابع الواجب في ثمن الخبز .
الخامس واجب الكسوة .
السادس مجموع الواجب من ذلك على كل عامل .

وجميع ما تصير في ذلك يردونه ريالاً ، ويصيرونه في آخر خدمتهم ، ويطلعون العلم الشريف بمضمنه ، ليأمر ـ أيده الله ـ بقبض ذلك من العمال .

الفصل الثلاثون

جميع ما يوجهه العمال من الحبوب التي للجانب الشريف بقصد وسقها على يد أمناء المرسي . فينبغي أن يتخذوا لها كناشاً خاصاً يقيدون في أوله نسخة من الكتاب الشريف المأمور فيه بقبض ما على كل عامل ، وبعده عدد الحبوب المحوزة من العمال ، ثم كيفية وسقها ، ولأي محل توجهت ، وبيد من ، ويتحفظ على أجوبة وصولها ، فربما يحتاج إليها ، وعند انتهاء خدمتهم يلخصون ذلك كله ، ويقيدونه بآخر كناشهم الذي يوجهونه للأعتاب الشريفة ، وكذا ما يوجهه العمال من المئون بقصد المحلة السعيدة وقت حلول سيدنا ومروره المبارك ببعض المراسي ، يثبتون ذلك كله مفصلاً في آخر الكناش المذكور .

الفصل الحادي والثلاثون

الأمور الجهادية تكون عند الأمناء من أهم الأمور :

ومن الاعتناء بها أن يتخذو لها كناشاً خاصاً ، يقيدون فيه كل برج باسمه ، وما اشتمل عليه من أنواع المدافع : بفرمتها ، وعدد كورها ، وإقامتها ، وما هو منها خارج الأبراج بالمحل الذي يعبرون عنه بأشبارات . وكذا ما في الأبواب والخزائن ، وما افتقر منها إلى الإصلاح يطلعون به العلم أسماه الله ، ثم يقيدون جميع ما في الخزائن من السلاح مفصلاً ، وكذا البارود ، بحيث لا يهملون تقييد شيء من ذلك ، وما زاده مولانا ـ المؤيد بالله ـ بالأبراج والخزائن من المدافع وغيرها : يقيدون ذلك كله وقت دخوله ، وإن نفذ ـ دام علاه ـ شيئاً منها : يقيدون وقت تنفيذه ، ويبقى هذا الكناش محفوظاً بالمرسي ، ويدفعه الأمناء لمن بعدهم بعد التنبيه عليه .

وهذا الفصل تعلق به رد البال للأمور الحربية كالسلاح والكبريت وملحه الممنوع جلبها إلا بالأمر المولوي أسماه الله . وقد تقدم حكم ما يعثر عليه من ذلك في الفصل الثاني عشر .

الفصل الثاني والثلاثون

العذائر السعيدة القريبة من بعض المرسي : يكون الأمناء منها على بال ، وفي كل ستة أشهر يخرج أحد الأمناء أو نائبهم صحبة عدلين من قبل القاضي ، فيحضرون مع المكلف بالعذير لتسراد جميع ما اشتمل عليه من الخيل والبغال والبقر وغيرها ، بعد وصفها ، وطبع ما يناسب طبعه ، ويتخذ الأمناء لذلك كناشاً خاصاً يقيدون فيه أصلها في العذائر ، وما خرج منه ، وما تحصل من النتاج في مدة ما بين التسراد الأول والذي بعده ، وإن ضاع منها شيء يوتي بجلده ، وفي محرم اللحم يوتي بموجبه ، ويضبطون أمر مدخول الإدام بعد اختباره على الوجه المتعارف في ذلك ، وبعد إحصاء ما في العذائر يطلعون به العلم الشريف أسماه الله ، ثم إذا كملت مدة خدمة الأمناء بالمرسي : يقيدون في آخر كناشهم الذي يوجهون : عدد ما تحصل في التسراد الأخير من مدة خدمتهم ، ويبقى كناش العذير بالمرسي .

الفصل الثالث والثلاثون

عند تمام خدمة الأمناء ودفعهم ما يدفع لمن بعدهم من أمور المخزن حسبما تقدم في الفصل الثاني : يقيدون بآخر كناش خدمتهم الذي يوجهونه لشريف الحضرة ، وبنظيره الذي يوجهونه للأمين المكلف : جميع ما دفعوه من كبريت وخفيف وبارود وغير ذلك : مفصلاً على ثلاثة أضلاع :

الأول الأصل المحوز من الأمناء قبلهم .
الثاني ما خرج من ذلك على يدهم في مدة خدمتهم .
الثالث الباقي وهو المدفوع للأمناء بعدهم .

كما يقيدون بآخر كل منهما ـ أيضاً ـ ما لجانب المخزن من مال السلف والديون القديمة على ثلاثة أضلاع أيضاً : الأصل ، والمقبوض منه في مدتهم ، والباقي ، وكذلك سائر أمور المخزن التي على يدهم بالديوانة ، وكذا سلعة التجار التي لا زالت لم تعشر : مبينة كما بالفصل الثاني ، ونظير ذلك يقيدونه بكناش صائر خدمتهم الذي يبقى بالديوانة .

الفصل الرابع والثلاثون

الأمناء والعدول بعد إعفائهم من الخدمة لا يسافر واحد منهم لبلده حتى يستكمل جمع العمل فيما كلف به ، ويثبته بمحله على الترتيب المتقدم ، ولا يتركون ديناً من مدة خدمتهم ، وإن تركوه فلا يقبله الأمناء المستخدمون بعدهم ، وبعد انتهاء عملهم بالمرسي ينهضون نائباً عن جميعهم بالوفر الباقي من خدمتهم ، وبكناش خدمتهم . مع أصول المنفشطوات . بعد تجريد عددها وتواريخها فيه . وبطائق النواب بما أخرج لهم من حوائجهم ، وبطائق وسق التيران . وكناش الوسق من مرسي خدمتهم إلى أخرى من مراسي الغرب ، مع بطائق الوسق الذي يرد عليهم من المراسي المذكورة : كل ذلك لشريف الحضرة : وبنظير كناش خدمتهم ، وكناش الوسق من مرسي خدمتهم إلى أخرى ، ونسخ بطائق ما يرد عليهم من المراسي المذكورة : للأمين المكلف ، ويكون تقويم الموجه المذكور بذلك ذهاباً وإياباً آخر ما يصيرون ، ويتوجه كل منهم لمحله بسلام .

(تقدير الأجور التي تحاز كل شهر لمن يذكر)

فلأميني التعشير : مائة وخمسون ريالاً للواحد	0150
وللعدلين معهما : خمسة وسبعون ريالاً للواحد	0075
وللناسخين لهم عشرون ريالاً للواحد	0020
ولأمين القبض : مائة وخمسون ريالاً أيضاً	0150
وللعدل معه : خمسة وسبعون ريالاً كذلك	0075
ولناسخ معه عشرون ريالاً	0020
ولترجمان المنفشط وغيره : ثلاثون ريالاً	0030
ولرئيس المرسى خمسة عشر ريالاً	0015
ولخليفته سبعة ريال	00007

في خزانة خاصة .

ملحق 22

رسالة عزيزية بشأن مساهمة
أبناء قبيلة عبدة في العسكر النظامي

خديمنا الأرضي : القائد عيسى بن عمر العبدي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فهذه مدة منذ أصدرنا أمرنا الشريف لقبيلة إخوانك : خدامنا عبدة بفرض العدد الذي بيناه لهم من أبناء قبيلتهم الأصحاء ، الرجال الأقوياء ، وهو خمس عشرة ماية نفر تامة كاملة ، مطابقة كلها للوصف المقرر لهم ، بقصد استخدامهم في عسكرنا السعيد ، وتنظيم جميعهم على ضابطه المؤسس الحميد ، وأمرناك ـ أنت ـ بحوز العدد المذكور منهم ، وتوجيهه ـ فوراً ـ لحضرتنا العالية بالله .

وقد طال الانتظار والتشوف إلى وصوله كله ، فلم يصل منه لأعتابنا الشريفة ـ مع هذه المدة الطويلة ـ إلا إحدى عشرة مائة ، فبقي يخصك أربعمائة .

وبوصول هذا إليك نأمرك بالقيام على ساق الجد بتوجيه الخاص المذكور ـ فوراً ـ من غير تأخير ولا توان .

والسلام ، في 28 جمادي الثانية عام 1320 .

. من وثائق الأستاذ العميد مصطفى الشابي .

ملحق 23

رسالة عزيزية بشأن مساهمة الجيش السوسي في العسكر النظامي

وصيفنا الأرضي : الباشا العربي بن فرجي وأعيان الجيش السوسي بفاس العليا ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد علمتم أنكم من أخص جيوشنا السعيدة ، ومن جناح المخزن قديماً وحديثاً ، إذ المدار عليكم وعلى أمثالكم من جيوشنا ـ الموفرة بالله ـ في الخدمة والنصيحة ، وتعيين فرض العسكر والمسخرين لحفظ النظام المخزني ، وصيانة ضابطه السني .

واقتضى نظرنا ـ الشريف ـ تأسيس العمل بتقرير أصالتكم في الاعتبار ، وإبقائكم مركزاً معتمداً في التنظيم الذي عليه المدار .

فنأمركم أن تقوموا على ساق الجد في فرض عسكركم الذي قدره ثلاثمائة ، وفرض المسخرين 500 ، وانتخابهم من ذوي الأوصاف المطلوبة في الخدمة : قدرة وحزماً وسلامة أعضاء .

وقصدنا بإحياء هذا التنظيم المبارك : أن يبقى عند المخزن أصلاً مؤصلاً ، وضابطاً محصلاً ، وتدوموا به عمدة قوية ، وركناً من الأركان المخزنية ؛ بحيث تكون القبائل النائبة كلها لا تعد إلا إضافة عليكم في التأسيسات النظامية ، والتصريفات الإمامية ، رعياً لمكانتكم القديمة ، وملاحظة لخدمتكم الصادقة القويمة .

فلتعجلوا بتقديم الفرضين المذكورين على الوصف المذكور ، وإحضار الجميع تام العدد لحضرتنا الشريفة ، ويكون لهم الإعتبار والتمييز في المؤنة ، والحظوة والتقريب ـ بحول الله ـ أكثر مما كانوا قديماً ، أصلحكم الله ورضي عنكم.

والسلام في 24 شوال عام 1321 .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

ملحق 24

رسالة من العزيز لتنظيم عملية التنظيف بمدينة العرائش

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

خديمنا الأرضي ، المحتسب بالعرائش : الحاج الراضي بن الطاهر الحراق . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فإن تنظيف البلد من الأزبال والعفونات ، والجيف والقاذورات . ورفع الأضرار من سائر الطرقات ، أمر متعين شرعاً وطبعاً ، فقد ورد : بني الدين على النظافة ، واتفق الأطباء على أن غالب الأعراض والأمراض من تغير الهواء ، الناشيء عن فاسد الأبخرة المتصاعدة من العفونات ، ولتلك المصلحة جعل له مستفاد يقوم به في كل محل يسمى بالجرجومة ، لاكنه هنالك قد عفى رسمه وبقي إسمه ، وصار إنما بحسب الإمكان ، حيث إن مدخوله صار ضعيفاً كما كان ، فتعين رد الوجهة إليه ، وجعل ضابط يكون المدار عليه في ضبط مدخوله الذي يحصل القيام به ، وصرفه في محله على الوجه الأصلح ، والعمل الأنجح .

وذلك بأن يقدر العطاء على الذبائح الكافي للتنظيف ، فيجعل لكل رأس من الغنم البيضاء بليونان ، ولكل رأس من الغنم السوداء بليون واحد ، ولكل رأس من البقر ثمانية بلايين ، ولكل رأس من الفحول أربعة بلايين ، ولكل رأس من الإبل إثنا عشر بليوناً ، ولكل رأس من أبكارها ستة بلايين ، ويسقط ما عدا ذلك مما يؤخذ مجاناً افتياتاً : كالكوارع والطحال والمخاصي والأمخاخ والمصارين والأنصاب وغيرها ، بل يبقى ذلك لصاحبه يفعل به ما يشاء .

وقد كلفنا بقبض الواجب المذكور أمين المستفاد ثمة ، بعد سمسرة المنفعة المذكورة المدة المعتبرة على تلك النسبة . بمحضره وبمحضر أمناء المرسي ، وامضائها لأخر زائد فيها لمدة من عام واحد ، وهكذا عند تمام كل سنة .

كما كلفناه بالقيام بمصلحة التنظيف على الوجه الذي تحصل به الكفاية هنالك ، بعد أن يتفق معهم ومع العامل على ترتيب العدد الكافي لذلك في كل يوم : من الحمر والقطابة . على أن الحمر تشتري ـ أولاً ـ من المدخول بقصد الخدمة عليها . وصائر الأجور وعلف البهائم وتقويمها : يسقط الجميع من داخل اليوم ، والفاضل يكون يقيده عليه إلى أن يؤمر بالعمل فيه .

كما أمرناه بالقيام على ساق بتنظيف البلد من الأزبال والعفونات وطين المطر بداخل الحومات وأبواب الدور ، كترصيف ما دعت الضرورة إليه من الطرقات ، أو تسويته بالتراب أو عقد الرمل ، ونحو ذلك مما فيه مصلحة عامة ، أو رفع أضرار شاملة .

وأعلمناك بذلك لتشد العضد فيما ذكر لأمين المستفاد المذكور ، ومهما وقع تساهل أو تكاسل في التنظيف أو عفونات بمحل ولم تعلم به ، فإن العهدة تكون عليك .

والسلام ، في 26 جمادي الثانية ، عام 1320 .

من وثائق جائزة الحسن الثاني .

ملحق 25

رسالة من العزيز في موضوع إصلاح وضعية المساجين بسجني فاس الجديد

وصيفنا الأرضي : القائد سعيد بن فرجي ، وفقك الله ، سلام عليك ورحمة الله .

وبعد فإن من جملة المصالح التي تتعين المبادرة إليها ، والإهتمام بأمرها : تفقد الأسجان ، وتعاهدها في كل آن ، وقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أمينين لها ، وهما الطالب إدريس برادة . والطالب محمد بن عبد الجليل ، مع عدلين عارفين خيرين يعينهما القاضيان لهما ، ومع نائبك الذي تعينه للحضور معهم على ذلك ، ليجري معهم على الضابط الذي يذكر في سجني فاس العليا .

وهو أنهم يتخذون كنانيش لتقييد ما افتقر إليه كل سجن من التنظيف من الأزبال والعفونات ، وزيادة الماء الكافي في سقايته وميضأته ، وتقويم مسجده ، ليباشر إصلاح ما يحتاج إليه من ذلك ، وتقييد أشخاص المساجين بأسمائهم وأنسابهم وقبائلهم وعمالهم ، وعلى يد من كان سجنهم ، وتاريخه ، وجريمة كل منهم ، وما هم عليه من الضيق وعدمه ، والمفتقر منهم لما يستر به عورته ويسد جوعته ، وسؤال كل منهم عن الخبز المنفذ لهم هل يتوصلون به يومياً أم لا ، وقدر ما لم يصلهم منه ، ومن كان يتقاعد عليَه .

وتقييد ذلك كله بعد أن يأخذوا من شريف حضرتنا كناش عمل من قبلهم ليتمشوا عليه ، ويستعينوا به ، ويأخذوا عند فراغهم من التقييد نسخة منه : كل سجن بكناش خاص يبقونه تحت يدهم ، لما عسى أن يتوقفوا عليه في المستقبل ، ويوجهوا النظائر لحضرتنا الشريفة ، لنرى في ذلك بنظرنا السديد ، إن شاء الله .

ويبقى الأمينان والعدلان مكلفين ـ في المستقبل ـ بالنظر في أمور السجنين المذكورين والمساجين ، ويكون تفريق الخبز المنفذ لكل منهم على يدهم مع الكسوة المعتادة سنوياً للمفتقرين إليها ، بحيث لا يتركون أحداً بالسجن جائعاً أو عرياناً ،

وكذلك ما يفتقر إليه السجنان من تنظيف أوتسريح ماء أو إصلاح كيفما كان : يكون على يدهم ـ أيضاً ـ ويد من هو من وظيفه : الناظر أو المكلف بالتنظيف .

ويكونون يقيدون بالكناش المشار إليه من سرح من المساجين ، ومن دخل للسجن منهم ، وعلى يد من ، وجريمته ، وتاريخ تسريحه أو سجنه ، وعند رأس كل شهر يكونون يجردون قائمة بذلك ، ويوجهونها لشريف أعتابنا . ويكون عملهم على هذا دائماً .

مع الكون على بال مما يحدث بالسجنين المذكورين والمساجين ، وفيما عسى أن يلحقهم من الظلم والتعدي اللاحق لهم من العامل أو السجان أو غيرهما ، ويقومون على ساق في رفعه عنهم ، وإعلام حضرتنا الشريفة ، وإلا فتكون العهدة عليهم .

وأعلمناك لتكون على بال ، وتعين نائبك للحضور معهم على ذلك كله على نحو ما ذكر .

وقد أمرنا الخديم القائد عبد الكريم ولد أبّا محمد بمثله .

والسلام في 21 ربيع ثاني ، عام 1320 هـ .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 26

رسالة من العزيز في موضوع إصلاح وضعية المساجين بطنجة

خديمنا الأرضي : القائد الصديق بركاش ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ،

وبعد فقد بلغ لعلمنا الشريف ما عليه السجن والمساجين هنالك من التفريط من أجل الماء والتنظيف ، وما يقع في الخبز المعين للمساجين وغير ذلك من وجوه الضرر التي لا يسع السكوت عنها .

وقد كلفنا الأمين الطالب أحمد بوصوف الطنجي بالنظر في أمور السجن والمساجين كلها ، وعينا للخدمة معه في ذلك العدل الطالب محمد بن إدريس الطنجي .

وأمرناه بأن يحضر مع نائبك ـ أولاً ـ بالسجن ، ويقيد بكناش خاص ما هو مفتقر إليه السجن من تنظيف الأزبال والعفونات ، وزيادة الماء في سقايته وميضأته ، وتقويم مسجده ، ومباشرة إصلاح ما يحتاجه .

ثم يقيد بالكناش المذكور جميع أشخاص المساجين : كل واحد باسمه ونسبه وقبيلته وعامله ، وعلى يد من سجن ، وتاريخ سجنه ، وبيان جريمته .

ويبحث المساجين عن الخبز المعين لهم هل يتوصلون به يومياً على التمام أم لا ؟ وإن لم يصلهم فمن الذي يتقاعد عليه ؟ ويقيد جوابهم عن ذلك بالكناش أيضاً .

مع بيان ما هم عليه من الضيق وعدمه ، والمفتقر منهم للكسوة الذي ليس له ما يستر عورته .

وعند فراغه من تقييد ذلك يوجه لشريف حضرتنا كناشه ، بعد أن يبقى تحت يده نسخة منه .

ويبقى مقابلاً لذلك بنفسه مع العدل المذكور من غير إتكال على أحد ، ويتولى تفريق الخبز على المساجين يداً بيد ، وكذا الكسوة السنوية التي تنفذ للمفتقر إليها ، ويقوم بما يحتاجه السجن من تنظيف أو تسريح ماء أو إصلاح على يده ويد النظار إن كان من وظيفهم ، أو المكلف بالتنظيف .

ويثبت بكناشه من سرح أو سجن باسمه ونسبه وجريمته ، وعلى يد من سجن ، وتاريخ تسريحه أو سجنه ، ويوجه لشريف أعتابنا قائمة ذلك كل شهر .

ويكون على بال مما يحدث بالسجن ، وما يحصل للمساجين من الضرر ممن كان ، ويعلم به شريف حضرتنا ، لنأمر بالمقتضى فيه .

وعليه فنأمرك أن تعين نائباً عنك للحضور معه على ذلك ، وتشد عضده فيما كلف به ، والسلام .

في 9 جمادي الأولى عام 1320 .

مجموعة تهليل : اللوحة 100

ملحق 27

رسالة من السلطان العزيز في موضوع إصلاح وضعية المساجين بمكناس

خدامنا الأرضين : أمناء الصائر السعيد بمكناس ، وأمين المستفاد به ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فنأمركم أن تعينوا من قبلكم أميناً خيراً ثقة حازماً ضابطاً بأجرة قدرها عشرة ريال في الشهر ، ليكون نائباً عن جميعكم في تفريق الخبز المنفذ للمساجين ، والنظر في مصالحهم ، وما عسى أن يلحقهم من الضرر الذي يتعين رفعه ، ليعلمكم به ، وتعملوا المتعين في رفعه : بأن تعلموا العامل به ، فإن رفعه فذاك ، وإلا فأطلعوا به علمنا الشريف ، ليؤمر بالمتعين فيه .

وأن تكونوا تتعاهدون الأسجان والمساجين بأنفسكم مرتين في الشهر ، لما عسى أن يلحقهم من الضرر في أنفسهم أو في الأسجان .

وليكن عملكم جارياً في ذلك على مقتضى الضابط الممهد فيه .

وقد أصدرنا أمرنا الشريف للعامل بتأخير الأمين والعدلين المكلفين بذلك ، وبتنفيذ ما تكتبون له فيما يتعين رفعه عنهم من الأضرار .

والسلام في 27 شعبان الأبرك عام 1322 .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

الفصل الثالث
إتجاه موظف سام حول تصميم الإصلاحات

في مقدمة الفصل الثاني جاءت الإشارة إلى المشروع الإصلاحى الذي اقترحه العضو في دار النيابة بطنجة : القائد عبدالله بن القائد الحاج محمد بن سعيد السلوي ، ثم قدمه إلى السلطان العزيز ، لشرح وجهة نظره في شأن الإصلاحات التي طرحتها وزارة محمد المفضل غريط ، وسيكون تحليل هذا المشروع هو موضوع الفصل الثالث .

* * *

وقد صنفه في تسعة عشر فصلاً ، فيتناول الفصل الأول شبه مباديء عامة يقدمها هكذا .

يمكن تلافي حالة الإيالة الشريفة بدوام العدل والإستقامة ، وعقد السلم مع جميع الأجانب لأمد كاف ، والأخذ بالإستعداد من جديد .

ويضيف نفس الفصل نقطاً أخري : فيذكر الإطمئنان في السياسة ، والعدل في الرعية ، وإشعارها بمستقبلها مع الأجانب ، وتوفير الجبايات لإفتقار الإستعداد الجديد إلى دخل مهم .

وعن الموظفين الذين يضطلعون بالوظائف الجديدة أو يساعدون الموظفين القدامى ، ينصح المشروع :

بأن يكونوا من أهل المروءة والدين المتين ، ومن المعروفين بالأمانة وسلامة الطوية والشجاعة المهنية ، مع منحهم الأجور الكافية ، وتهديدهم على التلاعب بالعقاب اللازم ، وعزل من يستوجب العزل .

وآخر هذه المباديء العامة : الرغبة في فتح مدارس تهتم بنشر العلوم التي يتوقف عليها التنظيم المرتقب .

* * *

وبعد هذه المباديء العامه تأخذ المذكرة السلاوية في بسط ملامح الإصلاحات المقترحة .

وتبتديء من عمال الأقاليم ، فتوصي بأن تؤسس لهم قوانين تنظيمية مكتوبة ، ليزود كل عامل بدفتر منها ، ويكون تصرفه مطابقاً لها . ومن توابع هذا أن يتوفر كل عامل على دفتر للوصولات ، ليسلم لكل دافع وصلاً مقتطعاً موقعاً عليه بخطه أو طابعه .

وتنتقل المذكرة من العمال إلى مشروع إحداث مجالس بلدية ، ولهذا تقترح أن يكون في كل بلدة مجلس ينتخب من أماثل الناس المجربين للأمور . من أهل العلم والمروءة . والجد والديانة .

على أن تكون مهمة هذا المجلس النظر في مصالح البلد كالأوقاف والأسعار وغيرها .

ويرجع إليه كذلك فيما عسى أن يلحق المواطنين من تعسف عامل البلدة ، أو انحراف القواد المجاورين .

وفي هذه الحالة يقوم المجلس بالتحريات اللازمة في حق الجهة المنحرفة ، حتى إذا تبين له الشطط يكتب للحاكم المعني بالأمر ، وفي حالة إصراره ـ بعد هذا ـ يطالع بتصرفاته السلطة العليا .

ولأجل أن يتفرغ أعضاء المجالس البلدية لمهامهم ، يعين لهم مرتب مرفه ، حتى ينقطع تشوفهم إلى مد اليد للغير إطلاقاً .

وكذلك ينبغي أن يكون الشأن بالنسبة لجميع الموظفين مع الدولة على مختلف المستويات .

وفي صدد تنظيم الجبايات . توصي المذكرة بالعمل على تحديد منطقة كل عامل ومسحها . وإحصاء ما اشتملت عليه من الأراضي : البيضاء والمغروسة . ويسجل ذلك في دفتر يسلم لعامل المنطقة ، بعدما يودع نظيره لدى السلطة العليا ، حتى تكون الجباية حسب نوعية الأرض .

وأيضاً : فإن الغلال التي تنتجها الأراضي تؤخذ جبايتها من دافعيها على الوجه الشرعي ، وتصرف في مصارفها الشرعية ، أما الماشية فتقدر جبايتها بقدر سنوي لكل رأس .

مع مراعاة التسوية بين البادية والحاضرة في هذا العطاء .

وبالنسبة إلى ضريبة المباني : تكون الجباية على نسبة كراء الرباع ، لا على نسبة ثمن رقبتها ، وتكون الضريبة خفيفة ، وعامة لجميع الطبقات : شريفهم ومشروفهم ، والأعيان وغيرهم .

ومن ذيول هذه التنظيمات الجبائية . أن يتخذ بدار المخزن كناشة جامعة : تشتمل علي تحديد المملكة المغربية وتفصيل أقسامها ، وبيان أرض كل عمالة ومساحتها ، وما تشتمل عليه من القطع ، حتى تكون هذه الكناشة أصلاً يرجع إليه .

وقد اهتمت المذكرة السلاوية بقطاع الدفاع ، وأوصت بالتنظيمات العسكرية ، وبضمان التموين الكافي لأفراد الجيش ، وأن يباشر تثقيفهم معلمون من مهرة المسلمين .

وعلى المستوى العام يأذن ولي الأمر جميع من بالمملكة بتعلم الفنون العسكرية ، ويأمر بتدريب الأولاد على الرماية وركوب الخيل ، وفي هذا النطاق تدرب الناشئة على تعلم الرماية والحرب مرة في كل أسبوع : بادية وحاضرة ، أغنياء وفقراء ، ومن كان موسراً يؤمر بشراء الخيل لأولاده بدل البغال .

ومن جهة أخرى لا يستخدم الموظفون مع المخزن في ركوبهم سوى الخيل دون

البغال إلاالضرورة ، ويؤمر كل موسر باقتناء فرس يكون رهن تصرفه ، سواء استخدمه أم لا .

ومن مهمات الخطة الدفاعية أن تستجلب الدولة عدداً وافراً من السلاح من أول درجة ، مع ما يكفيه من ذخيرة القرطوس ، حتى يكون ذلك مدخراً في خزائن السلاح ، والأولى هو العمل لإقتدار المغرب على صنعه بداخل المملكة ، حذراً من تعذر شراء السلاح في بعض الحالات .

والآن : يصل المطاف بالمذكرة إلى وظيفة القضاء ، حيث تقترح أن يكون مع كل قاض في أي جهة . أربعة من أعيان الفقهاء ، وإثنان من الكتبة ، بقصد تدوين جميع القضايا المعروضة ، وتسجيلها بلفظها في كناشة .

ولا يبرم القاضي أمراً ولا يمضيه إلا بمشاورة الفقهاء الأربعة ،

ويكون جلوسهم جميعاً للفصل أربع ساعات يومياً تكون معروفة لدى الخصوص والعموم . وعند نهاية الجلسة يوقع القاضي والعلماء علي المحاضر التي راجت في نفس اليوم .

وفي كل شهر يوجه القاضي نسخة من محاضر الجلسات إلى الدوائر العليا .

وعلى مستوى القضاء العالي : توصي المذكرة بأن يكون بدار المخزن قاض عالم ممتاز محنك ، ومعه عدد من أعيان العلماء ، بقصد مراجعة القضايا التي ترفع للمقام السلطاني .

مع مراجعة دفاتر محاضر الجلسات التي ترد من جهات قضاة المملكة .

وهذا المجلس العالي يسجل ـ بدوره ـ ملاحظاته على القضايا المرفوعة إليه أو على محاضر القضاة ، ويوقع أعضاؤه ذلك ليحتفظوا به في موضع مأموريتهم بدار المخزن .

وأخيراً تأتي التوصية الختامية من المشروع السلاوي ، لتقترح إصدار أمر عال لجميع المعنيين بالأمر ، بأن لا يتركوا أرضاً تصلح للفلاحة خالية من الحرث ،

ومن لم يتوفر لديه مال : فإن ولي الأمر يقدم له ما تقوم به فلاحته من البذور والحيوان ، بثمن يرتفع نحو خمسة وعشرين أو ثلاثين في المائة ، على أن يسدد الفلاح دينه في السنة المقابلة إن كانت مخصبة ، وإلا فإلى السنة التي بعدها ، ويودع رسم العقار رهناً ، أو يعطى كفيلاً .

* * *

وإلى هنا ينتهى عرض خلاصة المشروع الذي حرره عضو اللجنة السياسية بدار النيابة بطنجة : القائد عبدالله بن محمد بن سعيد السلاوي ، وقد تبينا فيه لوناً من اليقظة المغربية الرصينة في مطلع القرن العشرين ، ونعقب عليه بتذييلين :

الأول : نص المشروع السلوي كاملاً ؛ عند الملحق رقم 28 .

الثاني : ترجمة واضعه القائد عبدالله بن سعيد : بالملحق رقم 29 .

ملحق 28

النص الكامل للمشروع الإصلاحي
الذي اقترحه القائد عبدالله إبن سعيد السلوي

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

وبعد : فهذا ما ظهر لكاتبه فيما شرح الله له صدر مولانا أمير المؤمنين ، المحفوف بعناية رب العالمين ، من مصالح رعيته السعيدة ، أبد الله نصره ، وأعلا في الخافقين ذكره ، ووفق لما يزان إليه أمره .

الفصل الأول

إنه يمكن تلافي حالة الإيالة الشريفة بدوام العدل والإستقامة ، وعقد السلم مع جميع الأجانب لأمد كافي ، والأخذ بالاستعداد من جديد على منوال يأتي بيانه :

إن المعارف لدينا أسرع رجوعاً وأجدر عرفاناً بجميع أنواعها في أقرب زمان وأسرع مدة ، لأنها منا أخذت ، وإلينا تعود أشوق ما يكون ، لكن مع اطمئنان في السياسة ، وعدل في الرعية ، وإشعارها بمستقبلها مع الأجانب ، وتوفير الجبايات ، لافتقار الإستعداد الجديد إلى مدخول له بال ، به صلاح تلك الحال ، بعون الله .

إن الأسباب المعينة بفضل الله كثيرة ، منها حسن التربية ، وضعف العوائد ، وجودة الصادرات بأنواعها الثلاثة : الحيوان والنباتات والمعادن ، وكثرتها وقلة الخارج بنسبة دخل الدولة ، حفظها الله .

وإن رابطة الإسلام ـ أعلا الله مناره ـ من أقوى الروابط وأعلا الأسباب وأمتن الحصون على منع سواها من النفوذ في سياستها وحجرها للغير عن سومها بسوء ، وكلما زادت قوة علت سطوتها ، وارتقى نفوذها ، وما بالعهد من قدم ، انظر دولة مولاي محمد بن عبدالله قدس الله روحه .

في اختيار أناس ذوي مروّة ودين متين ، وأمانة نفوس وسلامة صدور ، وشجاعة قلوب ، قصاراهم رفع الدين وأهله ، غافلين عن نفع أنفسهم وعن جاههم ، بقصد القيام بالوظائف التي يحدث تجديدها ، أو تجعلهم إعانة لذوي الأعمال المكلفين حينه ، مع إعطائهم الكفاية ، وتوعدهم على الجناية بالعقوبة ، وإن طرأ عارض بدلوا .

وإحداث مدارس لتعليم مهمات جديدة يتوقف نفوذ النجاح عليها وعلى معرفتها ، وذلك من الاستعدادات المأمور بها .

الفصل الثاني

عامل كل إيالة يدفع له كناش لضبط كيفية تصرفه ، مشتملاً على ما يأتي في أموره وما يذر ، التي من جملتها ما دفعه كل واحد من الرعية ، معلماً عليها بخطه أو طابعه في ورقة من كناش مقتطع .

الفصل الثالث

يكون بكل بلدة مجلس مؤلف من أهل العلم والمروءة . والجد والديانة والمعرفة ، بقصد النظر في مصالح البلد كالأوقاف والأسعار وغيرها ، ويرجع إليه كذلك فيما عسى يصدر من العامل لرعيته ، سواء عامل البلدة أو غيرها من العمال المجاورين لها ، وإذا اثبت عنده جور العامل على الرعية بعد البحث التام ، يكتب له فيه ، فإن أنصف فذاك ، وإلا فيطلع به شريف علم مولانا المنصور .

الفصل الرابع

انتخاب أماثل الناس وأفاضلهم المجربين للأمور ، الذين تطمئن بهم النفس للقيام بهذا الوظيف ، ويعين لهم من الأجور ما يكفيهم الكفاية التامة ، ويقوم برفاهيتهم على ما ينبغي ، لينقطع تشوفهم لمد اليد مطلقاً ، وكذلك يرتب لجميع خدام الحضرة وكبرائها الراتب المعتبر الكافي .

الفصل الخامس

تحد إيالة كل عامل ، ويحصى جميع ما اشتملت عليها من الأراضي والأبنية والجنان وما في معناها ، بفلاحين وتاجرين وعدلين من الحاضرة ، وأربعة من مهرة تلك الإيالة ، بمحضر عاملها أو نائبه ، ويتخذ لذلك كناشاً يشتمل على جميع تلك الأراضي بحدودها وكيلها ، ليكون العطاء على نسبة مقاديرها في الأرض البيضاء ، وعلى نسبة ما تساويه الغلة في ذات الأشجار .

الفصل السادس

عند تمام الكناش على الوجه المطلوب يدفع لعامل الإيالة ، بعدما يوجه نظيره لشريف الأعتاب ، معلماً بعلامة عدلين والعامل .

الفصل السابع

ما تنتجه تلك الأراضي من الغلال ذات الزكاة الشرعية ، يحاز من أربابها على الوجه الشرعي ، ويصرف في مصرفه الشرعي ، وكذلك الماشية ذات الحوافر ، فيكون مقدراً بقدر سنوي لكل رأس ، ويحاز من البوادي والحواضر على السواء .

الفصل الثامن

الرباع : الدور والفنادق والحوانيت وما في معناهما ، يعين لهما تاجران وعارفان وعدلان مع العامل أو نائبه لتقويم كرائهما ، ويكون العطاء على نسبة كرائهما ـ لا على ثمن رقبتهما ـ خفيفاً ، لأن أهل الحاضرة ليسوا كغيرهم من البادية في الضرورية والصوائر .

الفصل التاسع

يكون العطاء عاماً على جميع الإيالة شريفها ومشروفها والأعيان وغيرهم .

الفصل العاشر

يتخذ بالأعتاب الشريفة كناش بتفصيل الإيالة السعيدة ، وتقسيم أقسامها ، وبيان أرض كل عامل ومساحتها ، وما اشتملت عليه من القطع ، ليكون أصلاً وحجة يرجع إليه .

الفصل الحادي عشر

إذا حصل الأمن للرعية تقع الحرية لا محالة في الأخذ والعطاء ، فتنمو سائر أنواع التجارة وأسبابها ، وتسري سريان الماء في العود ، ويسوغ إذ ذاك للمخزن ـ أعزه الله ـ تسريح بعض الأمور الممنوعة الوسق لأجل معلوم عند الاستغناء ، وعند ذلك يتضاعف مدخول المراسي السعيدة وغيرها ، ويعمر بيت المال السعيد عمره الله ووفره ، بوجود مولانا أعزه الله ونصره .

الفصل الثاني عشر

إذا فتح الله تعالى وظهرت النتيجة ، وأراد المخزن أعزه الله وسق عدد من الأمور الممنوعة الوسق ، مثل أناث البقر والغنم وذكرانها ، والقمح والشعير والخيل والبغال ، فتسرح لوقت معلوم ، ويعين القدر المسرح من كل مرسي ، وتعطى به سنوياً . ويكون نصف العدد المسرح لأهل الإيالة . والنصف الآخر للأجانب . ويقسط لهم على التساوي ، ويكون ذلك لأجل محدود .

الفصل الثالث عشر

إذا أراد سيدنا نصره الله بيع شيء مما ذكر في الفصل قبله ، يسقط هذا العدد من القدر المسرح ، ويباع النصف للرعية والنصف للأجانب كذلك .

الفصل الرابع عشر

ترتب قراءة الدعاء الناصرية : (يا من إلى رحمته المفر ، ومن إليه يلجأ المضطر)

في جميع مساجد الإيالة بادية وحاضرة بعد قراءة الحزب ، ويكون يعطى لمعلمي الصبيان ـ على قراءتها كل يوم مرة بجميع المكاتب ـ قدر يسير من الأحباس أو بيت المال لكل معلم ، لأن الأطفال قليلوا الذنوب ، وينظر الله ـ تعالى ـ إلى عبادة العصاة بسببهم ، فلا شك أنه يستجاب دعاؤهم ، ويكفى الله الأمة شر الأشرار بسببهم ، وكذلك يترتب في كل مدينة من المدن ـ في أربع محلات منها ـ الحزب الكبير ، واللطيف الوسط ، والشفا ، ويرتب خراج شهري .

الفصل الخامس عشر

ترتيب العسكر السعيد . وجعل المئونة الكافية له . وجعل حرابة من مهرة المسلمين ، وأن يأذن سيدنا ـ أيده الله ـ جميع من بإيالته لتعليم العلوم العسكرية ، ويأمر بتدريب الأولاد على الرماية وركوب الخيل ، ويأمر الموسرين بشراء الخيل لأولادهم عوض البغال ، وكل من في الخدمة المخرتية يكون يركب الخيل دون البغال إلا لضرورة ، ويكون من جملة تعليم الأولاد تعليم الرماية والحرب مرة في الجمعة : بادية وحاضرة ، أغنياء وفقراء ، ويؤمر كل موسر بشراء فرس يكون عنده سواء ركبه أم لا .

الفصل السادس عشر

أن يتخذ المخزن عدداً وافراً من السلاح الجديد من أول درجة ، وما يكفيه من القرطوس : يكون مدخراً بخزائنه السعيدة ، والأولى هو السعى في الإقتدار على صنعه بالإيالة السعيدة حذر التعذر .

الفصل السابع عشر

أن يكون مع كل قاض من القضاة في كل محل أربعة من أعيان الفقهاء وكاتبان بقصد كتابة جميع الدعاوى التي تروج باللفظ في كناش ، ولا يبرم أمراً ولا يمضيه إلا بمشاورة الفقهاء المذكورين ، وجميع ما كتب في اليوم يضع

عليه علامته ، والعلماء معه خطوط يدهم ، ويكون يجلس للفصل هو ومن معه أربع ساعات في اليوم ، وتكون معينة تلك السوائع للخاص والعام ، وفي كل شهر يوجه نسخة مما دار في مجلسه لشريف الأعتاب ، إذ بذلك تنضبط الأحكام ويقل الجور ، بل يضمحل بحول الله .

الفصل الثامن عشر

يكون بالأعتاب الشريفة قاض عالم كبير محنك ، ومعه عدد من أعيان العلماء ، بقصد مراجعة القضايا التي ترجع للحضرة الشريفة ، ومراجعة الكتانيش التي ترد من الآفاق ، ويكتبون ذلك أيضاً ، ويبقى بمحل خدمتهم في الحضرة الشريفة ويعلمونه .

الفصل التاسع عشر

أن يصدر الأمر الشريف لجميع الإيالة بأن لا يتركوا أرضاً تصلح للحراثة خالية من الحرث ، فمن كانت له أرض يحرثها من ماله إن كان له مال . ومن لم يكن له مال فإن سيدنا أيده الله يعطيه من زرعه ما يزرع به بلده ، ومن العذائر السعيدة الثيران التي تكفيه للحرث ، بثمن مزيد فيه نحو 25 ٪ خمسة وعشرون في المائة أو 30 في المائة ، ويمهله إلى السنة القابلة إن كانت الصابة ، وإلا فإلى السنة التي بعدها ، ويضع رسم البلد رهناً أو يعطى ضامناً ، وهذا ما فتح الله ـ تعالى ـ به مع شرط استعجال ، وعسى أن يمن سبحانه بغيره ويكون ـ بهمة مولانا ـ محمود العواقب في الحال والمال .

ونرجوا الله ـ ببركة مولانا وبركة جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ أن يحصل نجاح الدولة العالية وفلاحها ، وعناية الله تحرس السرح . وتغدو بأعلام النصر والنجاح وتروح ، وكتبه خادم الأعتاب الشريفة .

محمد بن عبدالله بن سعيد ، كان الله له .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد : في نسخة من الأصل .

ملحق 29

ترجمة القائد عبدالله بن سعيد السلوي

نقلاً عن رحلة إلى بعض مدن المغرب الساحلية عام 1328/1910

عبدالله بن سعيد السلوي : هو ابن القائد الشهير محمد بن محمد ابن سعيد ، من ذوي الوجاهة والوقار ، والثروة واليسار ، شب في الرئاسة منذ صباه ، ورضع لبان المعارف والأداب ، عمدة من عمد المغرب وفطاحله ، قل نظيره في الاطلاع على ماجريات السياسة ، وأحوال الدول وقوانينها وحقوقها . ولا سيما عوائد دول المغرب وأحوال ملوكه وأيامهم .

لازم دروس عمه أبي حامد ، وأبي العباس الناصري ، وغيرهما ، وخالط كتب الأدب مخالطة جيدة ، أكسبته إقتداراً عظيماً على الكتابة والنطق وحسن المحاضرة ولطائف المحاورة ، يستحضر نفح الطب ، ويهتف بغيره من كتب المعارف .

وفي سنة 8 عين عدلاً بمرسي الرباط .

وفي عام 10 توفي والده فعينه السلطان مولاي الحسن ـ عوضاً عنه ـ عاملاً بسلا .

وفي حجة من نفس العام : زاد له وظيفة أمين بديوانة طنجة .

وفي أول عهد المخزن السابق عين عضواً بدار النيابة بطنجة ، مع بقائه في وظيفته الأصلية .

ثم انتدب لمباشرة بعض الأشغال مع إسبانيا في سبتة .

وفي سنة 23 عزل عن ولاية سلا ، وبقي بدار النيابة .

ولما زار غليوم طنجة انتدب المترجم لاستقباله ، لكون الطريس كان بفاس ،

وقام بوظيفته أتم قيام ، وأنعم عليه الإمبراطور بنيشان النسر الأحمر .

وفي سنة 26 مات الطريس وعين ـ في النيابة ـ الجباص ، فأقر المترجم على وظيفته ، وما زال فيها إلى أن وقع التنظيم الأخير في دار النيابة في السنة الفارطة : فآخر مع بقية الموظفين .

زرته يوم دخولي لطنجة ، وقد وجدت الرجل ـ مع أدبه وسياسته ـ عظيم الديانة ، شديد الغيرة على دينه ووطنه . محباً في الخير وأهله . ذءوباً على فعل الخير واكتساب المجد ، مع الشهرة الواسعة .

توفي ضحى يوم السبت 24 صفر الخير 16/1342 أكتوبر 1923 ، ودفن بعد صلاة العصر بروضتهم جوار الشيخ أبي محمد عبدالله بن حسون غربي الجامع الأعظم من سلا .

. خطوات وخطرات » : إسم رحلة إلى بعض مدن المغرب الساحلية . تأليف القاضي عبد الحفيظ الفاسي : خ . ع . د 4401 : أول مجموع .

الفصل الرابع
مصير المبادرات الإصلاحية

مقدمة :

عرض الفصل الثاني محاولات إصلاحية ، مست قطاعات منوعة ، ويبدو أن هذه المبادرات كانت ـ في بدايتها ـ تتسم بطابع الجدية ، وقد تبينا في افتتاحية نفس الفصل : أن السلطان ـ وهو لا يزال بمراكش ـ أجرى بعض الاستشارات الوطنية في شأن الإصلاحات .

ولما انتقل العزيز إلى فاس استدعى الطريس ومعه نائبه الأمين بناصر غنام ، وقيل : إن الغاية من ذلك أخذ رأي الموظفين السامين في إجراء الإصلاحات ، واقتراض المال من الخارج لتسديد نفقاتها[1] .

يضاف لِمَخَايِلِ هذه الجدية : مبادرة محمد الجباص أثناء سفارته للجزائر عام 1902/1320 ، وقد استرشد الرئيس ريفوال الوالي العام للمغرب الأوسط ، ورغب في إفادته بالقوانين العصرية التي تسير عليها إدارة الجزائر ، حتى يعرضها السفير المغربي على السلطان العزيز ، ليختار منها ما يوافق طبيعة البلاد ، ولا يعارض القواعد السياسية الإسلامية .

وأسعف الحاكم الفرنسي هذه الرغبة ، فقدم للسفير الجباص قوانين الإدارة

---

1 ـ « الحلل البهية » ، وتصحف ـ غلطاً ـ في المخطوطة المنقول عنها لقب « غنام » بغلاب .

الجزائرية : المدنية والعسكرية ، بعد ترجمتها إلى العربية ، مضافاً لها بعض التنظيمات التونسية .

ثم قام الأديب الجزائري : الكمال محمد بن مصطفى بن الخوجة [2] بمراجعة هذه القوانين وتهذيبها ، ودونها في كتاب صار يحمل إسم : « مجموع مشتمل على قوانين مفيدة ، وتنظيمات سديدة » ، فجاء ينقسم إلى جزأين : الأول : المدني ، والثاني : العسكري ، وكان الفراغ من جمع الجزء الأول في 10 رجب عام 1902/1320 ، وفي العام نفسه وقع نشره بمطبعة قونتانة بالجزائر العاصمة في 237 ص .

وهكذا نتبين من مبادرة الجباص ، وما تقدمها من الاستشارة الملكية : ملامح الجدية في المحاولات التجديدية التي عرضها الفصل الثاني .

يضاف لهذه المخايل الجادة : أن السلطان نفسه استدعى القواد ، وأمرهم بالكف عن الأضرار بالناس . وأن لا يسمحوا ـ من جهة أخرى لأنفسهم ـ بأن يبتزهم أحد[3] .

ولما حاد بعض الموظفين عن هذه التعليمات : جدد السلطان أمره لجميع القواد بالكف عن الإضرار بالناس في أموالهم ، حسب إشارة رسالة سلطانية بتاريخ 8 ربيع الأول 1321/1903 ، حيث سيرد نصها بالملحق رقم 30 .

هذا إلى أن العزيز أعطى من سلوكه نموذجاً رائعاً في هذا الصدد . فقد كانت الرحلات الملكية تتحمل عبء تموينها القبائل التي يمر عليها الموكب السلطاني ، غير أن العاهل المنوه به أراد أن يعلن للملأ إلتزامه لقرار إعفاء الرعية من الكلف المخزنية[4] ، وكان ذلك بمناسبة سفره من مراكش إلى الرباط أواسط عام 1319/

---

2 ـ ترجمته عند عادل نويهض في « معجم أعلام الجزائر » ص 138 ، حيث ذيلها بالإشارة إلى المصادر ، التي يحسن أن يضاف لها جريدة « السعادة » المغربية : عدد 12ـ13 شتنبر 1915 .

3 ـ « جولات في مغرب أمس » : إسم الترجمة العربية التي أنجزها الأستاذ المرحوم عبد المجيد بن جلون لرحلة قامت بها إلى المغرب سنة 1901 : الكاتبة الأنجليزية فرنسيس مكتب . نشر مكتبة المعارف بالرباط : ص 125 .

4 ـ « المصدر الأخير » ص 126 .

1901 ، فقد نقد أثمان جميع التجهيزات اللازمة لذلك خلال الطريق كلها ، دون أن يطالب الجهات التي مر بها كلفة تموين السلطان وحاشيته .

ونتيجة لهذا الإلتزام الذي عرضنا نماذج من شواهده ، فإن بعض المشاريع الإصلاحية بدأت تسير نحو مرحلة التطبيق إلى قيام ثورة المغرب الشرقي ، إنطلاقاً من رجب عام 1902/1320 ، وهذا ما يشهد به المؤرخ السليماني[5] وهو يتحدث عن الإصلاحات الوليدة : « ... وكان السير في ذلك على أحسن ما يرام . لو لم يكدر صفو ذلك السير قيام الزرهوني ... » .

* * *

1 ـ وهكذا نَستنتج من فقرة « اللسان المعرب » : السبب الرئيسي لتعثر هذه الإصلاحات ، وقد توقفت ـ نهائياً ـ مع استفحال الثورة ، على أن هناك أسباباً أخرى لهذه النكسة .

2 ـ ونشير ـ الآن ـ إلى موقف الدول الغربية ـ على العموم ـ من هذه المبادرات . وقد أكدت كاتبة إنجليزية سنة 1901 م « 1319 هـ : « أن الدول النصرانية لا تنظر بعين العطف إلى عودة قيام دولة إسلامية ناهضة ، ولذلك فهي مجمعة على إزعاج السلطان عبد العزيز . بعد أن كانت سياسة الحسن الأول تهددها بقيام دولة على غرار مصر في أيام محمد علي[6] » .

وفي هذا الإتجاه يقول الكتاب العرب الحديثون : إنه لولا التدخل الأجنبي لاستطاع السلطان أن يضمن الإستقرار لبلاده ، وتوجيهها نحو التقدم والإصلاح[7] .

3 ـ ومن الأسباب الداخلية للنكسة ذاتها أن هذه الحركة التجديدية لم تتقدمها توعية للقاعدة الشعبية بمزايا الإصلاحات ، ولم يراع في تطبيقها الشعور العام بالتحفظ إزاء الأجنبي .

---

5 ـ « اللسان المعرب » ص 142 ؛ ونحو فقرة السليماني عند غريط في « فواصل الجمان » ص 94 .

6 ـ « جولات في مغرب أمس » ص 112 .

7 ـ « أزمة المغرب الأقصى » تأليف روم لاندو : الترجمة العربية . نشر مكتبة الانجلو المصرية : ص 29 .

فكان من نتائج إغفال ذلك ، وقوف مشروع مد الخط الحديدي عند البداية ، مع العلم بأن ثورة قبائل بني مطير ليست ضد سكة الوابور البري بالقصد ، وإنما وقعت رداً على الأسلوب المتبع ، حيث عاين الثوار المباشرين لذلك وهم من الأجانب ، فعاد إلى ذاكرتهم ما يسمعونه عن تصرفات حكام الجزائر آنذاك ، وما يروى لهم عن سلوك البرتغال ومن إليهم لما كانوا يحتلون السواحل المغربية ، فكانت معارضة هذه القبائل تأخذ في اعتبارها مقاومة تدخل أجنبي سيعصف ـ مع مر الزمن ـ باستقلال البلاد .

ولو أن توعية معمقة سبقت الحدث ، ولو أخذ بعين الاعتبار مراعاة المشاعر الوطنية ، لما وقعت الثورة ، ولنجح ـ بالمغرب ـ مد الخط الحديدي من ذلك التاريخ .

وقد كان السلطان الحسن الأول على بينة من تحفظ الأمة إزاء التدخل الأجنبي ، ولهذا كان ـ دائماً ـ يعقب على الاقتراحات الأجنبية :

« بأن الحكومة المغربية مقتنعة بضرورة إدخال التنظيمات العصرية للمغرب ، ولكنها مقتنعة ـ أيضاً ـ بأنه يجب أن تكون اليد المتصرفة والمنظمة لهذه الإصلاحات هي اليد المغربية ...[8] » .

وبعد هذه الفترة يدرك العاهل الألماني غليوم الثاني أهمية مراعاة الشعور المغربي إزاء الإصلاحات ، وكانت زيارته لطنجة مناسبة للجهر بهذه الحقيقة ، وهو ما أعلنه في الخطاب الذي ألقاه على الجالية الألمانية بنفس المدينة عام 1323/1905 ، فقد قال وهو يتحدث عن السلطان العزيز :

« أما الإصلاحات التي ينوي جلالته إدخالها إلى بلاده ، فإني أرى أنه يجب عليه أن يتدبرها ملياً ، وأن يراعي ميول شعبه وعواطفه الدينية ، حتى لا يكون إدخال الإصلاحات سبباً للفتن والقلاقل[9] » .

---

8 ـ « تاريخ المغرب » لمحمد بن عبد السلام بن عبود : المطبعة المهدية بتطوان 2/100ـ101 .

9 ـ « الدولة العربية المتحدة » من تأليف أمين سعيد : مطبعة البابي الحلبي وشركائه بالقاهرة 1936 : 2/263 . مع « المسألة المغربية » ص 263 .

4 ـ ومن الأسباب الأخرى لهذه النكسة : أن المباشرين للإصلاحات أهملوا العمل لتطوير التعليم ، ولم يكن اهتمامهم بالتنظيم العسكري إلا سطحياً ، فجاء إتهامهم بأن المشاريع التي يروجونها تخدم المصالح الأجنبية أكثر مما تخدم المغرب ، وهي تهمة ستلصق ـ استقبالاً ـ بمقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لإصلاح الأوضاع المغربية ، فإن بعض ساسة أوربا بعدما درسها علق عليها قائلاً .

« ليس فيها ما يدل على أن الدول قصدت إصلاح المغرب الأقصى وترقية شؤونه : بوضع نظامات دولية تئول إلى ذلك ، بل كل ماهنالك أن مواد هذا الإتفاق تئول إلى ترويج متاجر الأوربيين في ثغور المغرب الأقصى ، وتعزيز نفوذهم وهيبتهم ، وتسهل سبل التدخل في شؤونه لهم ، وشتان ما بين هذه النتيجة والغاية التي عقد لأجلها[10] » .

5 ـ والسبب الخامس لفشل هذه الحركة التجديدية ، يجسمه واقع المشرفين على الإصلاحات ، فكانوا دون مستوى المهمة المنوطة بهم ، وهي الملاحظة التي يبرزها محمد الحجوي[11] : « إن السلطان عهد بالإصلاح لمجلس الوزراء ، وهذا المجلس كان لم ينضج ، وهو نفسه محتاج لإصلاح ونظام ، ومراقبة من السلطان » .

6 ـ هذا إلى ظهور انحرافات في سلوك بعض المسؤولين ، وهي التهمة التي يؤكدها المشرفي[12] بهذه الفقرة :

« ... فانظر هذا مع ما هو عليه الناس اليوم : من ظهور الخيانة التي لا يشك فيها عاقل ، فيكون الرجل لا شيء عنده متوقفاً على السؤال ، فإذا تولى ولاية عَمَل أصبح ـ بمجردها ـ يشيد القصور ويزخرفها ، ولم يكفه شراء الدور وإبقاؤها على بنائها ، حتى يأمر بهدمها وبنائها ـ ثانياً ـ على مقتضى رأيه ... » .

---

10 ـ « الدولة العربية المتحدة » 2/288 .

11 ـ « المذكرات الحجوية » الأولى .

12 ـ « الحلل البهية » .

7 ـ وسبب أخير : وهو ضيق نطاق الاستشارات الإصلاحية ، فكانت مع بعض كبار الموظفين ، وأهمل ـ بالمرة ـ أخذ رأي العلماء والتجار والطبقات المستنيرة ، على خلاف سياسة الحسن الأول : في مناسبات أقل شأناً من مشاريع هذه الإصلاحات الجديدة[13] .

* * *

ومن هذا السبب وما سبقه : نتبين أن العوامل السبعة التي فصلت آنفاً : تظافرت ـ جميعها ـ على إفشال معظم المشاريع الإصلاحية ، ولم يستمر منها سوى ضريبة الترتيب . فقد تعثر تطبيقها أولاً . ثم انبعث العمل بها من بعد واستمر[14] حتى عام 1381/1961 ، حيث استبدلت بضريبة جديدة .

---

13 ـ من نماذج ذلك : نازلة طلب بعض الدول ـ عام 1303/1886 ـ الترخيص في تسويق بعض المواد الغذائية ، فكانت استشارة العاهل المنوه به واسعة ، وشارك فيها ـ من فاس ـ العلماء وأهل تلمسان والمرابطون والتجار والأعيان والأشراف وأرباب البصر . فضلاً عن نخبة سكان زرهون وسواهم . حسب إشارة ظهير حسني في « إتحاف أعلام الناس » 2/389ـ390 وللمزيد من التفاصيل : يحسن الرجوع إلى الملحق رقم 6 آخر هذا الجزء الأول .

14 ـ جدد العمل بها بظهير يوسفي يحمل تاريخ 23 ربيع الثاني 10/1333 مارس 1915 ، مع ظهير ـ في نفس التاريخ ـ يتعلق بالترتيب على الأشجار ذوات الثمار . حيث ثبت نصهما في « الجريدة الرسمية » : السنة الثالثة ص 100ـ105 .

ملحق 30

رسالة العزيز إلى أحد القواد : يحذره من ابتزاز الرعية ، مع الإشارة إلى صدور أمر مماثل إلى جميع القواد

خديمنا الأرضي القائد عيسى بن عمر العبدي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد علمت أن الضابط الذي أسسناه لك ولغيرك من العمال في إيالات رعيتنا السعيدة : ظاهر المصلحة ، وكفيل بتسكين الناس وإقرارهم على الهناء والأمن ، وقطع مواد النزاع والتشويش : بسلامتهم من الأسباب التي ينشأ عنها ذلك : من اتباع أغراض الطمع ، ومد الأيدي في أمتعتهم بلا موجب ، وغير ذلك من التعديات ، وراعينا في ذلك المصلحة العائدة على الناس وعلى عمالهم وعلى جانب المخزن .

ثم إنه بلغ لشريف علمنا أن خلائف العمال عاد والخلاف ذلك ، وصاروا يمدون أيديهم في الإيالة بالفرض والقبض والتعدي ، حتى أفضى الحال بجل الناس إلى الركون للأجانب ، وبيع زروعهم قبل إفراكها ، من شدة ما ثقل عليهم من الإلزامات ، والمخالفة لما صدر به أمرنا الشريف .

ومن العجب أن يخفى عن العامل ما يفعله خليفته ، أو يدعى وجهاً لإلتماس العذر بجهله ، مع علمه بأن الدرك والعهدة في ذلك عليه .

وها نحن جددنا لجميع العمال أمرنا الشريف بالفحص عن أعمال خلائفهم ، وانتقادها عليهم وكفهم عن ذلك ، وتوعدهم على اقتحام المخالفة ، فإن هذا هو السبب في إحياء عرق الفتنة ، وجراءة الغوغاء .

وعليه فنأمرك أن تلزم خليفتك الجريان على الضابط المؤسس لكم ، والإنكفاف عن مد اليد في متاع الناس ، وعدم العود لشيء يخالف المراد . ولا تقبل منه رخصة

فيما يرجع لذلك ، فإن عهدته عليك ، وها نحن من وراء ما نسمعه عنكم بعد غاية الاسترعاء .

والسلام ، في 8 ربيع 1 عام 1321 .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

الباب الثالث

نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق
في إطار البعث الإسلامي الحديث

عرض البابان الأولان ألواناً ـ ولو أنها محدودة ـ من ملامح اليقظة المغربية في المرحلة الأولى التي نبحثها ، وكانت في نطاق الإصلاح الداخلي ، ومعارضة التدخل الأجنبي .

وإلى جانب ذلك فإن علاقات مغرب الفترة ذاتها بالجهات الإسلامية ، عرفت ـ بدورها ـ تطوراً تجاوب ـ إلى حد ـ مع مشاعر المسلمين هنا وهناك .

ويلاحظ ـ أولاً ـ أن هذه المنطقة لم تكن ترتبط مع العثمانيين ـ رمز الخلافة الإسلامية ـ بعلاقات منتظمة ، فلا سفارة عثمانية بطنجة ، ولا سفارة مغربية بالأستانة ، رغماً عن وجود السفارات أو القنصليات الغربية في بلاد الدولتين الإسلاميتين ، ومرد هذه الظاهرة إلى تدخلات أجنبية ، تحول دون تبادل التمثيل الدبلوماسي بين المغرب وتركيا .

ومع ذلك فقد شهدت الحقبة التي نعرضها ، نوعاً من الإرتباط الهادف بين المغرب والمشرق ، وكان مشروع سكة الحجاز فرصة مواتية لتحقيق هذا الإتصال أيام الخليفة عبد الحميد الثاني ، حيث اعتزمت الدولة العثمانية مد الخط الحديدي من الشام إلى المدينة المنورة ، ومنها إلى مكة المكرمة ، فالطائف فعسير فصنعاء ، وتحقق ذلك ـ فعلاً ـ بين دمشق والمدينة المنورة[1] .

---

1 ـ « الارتسامات اللطاف ... » : إسم الرحلة الحجازية من تأليف الأمير شكيب أرسلان ، مطبعة المنار بمصر ص 278 ، وللمزيد من المعلومات عن سكة الحجاز ، وبالخصوص محطاتها من دمشق إلى المدينة المنورة : يرجع إلى « الرحلة الحجازية » تأليف محمد لبيب البتنوني ، مطبعة الجمالية بمصر ص 303 ـ 304 ، غير أن المعلومات الموسعة في هذا الصدد هي التي تقدمها « خطط ـ الشام » تأليف محمد كرد علي ، نشر دار العلم للملايين 5/170 ـ 185 .

وقد أعلنت الدولة المنوه بها عزمها على هذا المشروع إلى جميع الجهات الإسلامية . مما هو داخل تحت نفوذها أو خارج عنه ، واستحثت نخوة المسلمين لتعضيد هذا العمل الإسلامي ، وبدأت الإعانات تتوارد من الجهات الإسلامية ، وألف الهنود ـ وحدهم ـ مائة وستا وستين جمعية لهذا الغرض[2] .

* * *

وبهذه المناسبة كان المغرب بين الدول الإسلامية التي دعيت للمساهمة في تبرعات السكة الحجازية ، وزار المغرب ـ في هذا الغرض ـ مبعوث فاسي الأصل انتقل لجوار البيت الحرام ، وهو الحاج محمد بن مسعود الدباغ الحسني[1] ، الموفد من طرف شريف مكة عون الرفيق باشا : يحمل منه رسالة ـ بهذا الصدد ـ إلى السلطان العزيز .

والغالب أن إعانة السكة الحديدية ، هي التي يشار لها بـ « أشغال تخص الحرمين الشريفين » ، في خطاب شريف مكة إلى النائب السلطاني بطنجة : الحاج محمد الطريس ، ليعمل هذا على تسهيل مأمورية المبعوث المشار له لدى سلطان المغرب ، وهذه الرسالة وسابقتها : تحملان ـ معا ـ تاريخ الأربعاء 11 جمادي الأولى عام 1318/ « 1900 » ، وسيرد نصهما عند الملحقين 31 ، 32 .

وقد أسهم المغرب في هذا المشروع الإسلامي بمبلغ خمسمائة ألف درهم : 500،000 ، وهي تعادل ـ بصرف الفرنك الفرنسي ـ مائة ألف وأربعة وثمانين ألفاً وستمائة وفرنكاً واحداً وخمسين سنتيماً : 50 ـ 184،601 ، بعث بها النائب الطريس إلى الوزير الصدر بالدولة العثمانية : سعيد باشا ، حتى يسلمها هذا إلى صندوق إعانة السكة الحجازية ، حسب الرسالة التي كتبها له النائب بطنجة ، بتاريخ 13 شوال عام 1320 هـ / 1903 م ، وهي الواردة بالملحق 33 .

* * *

---

2 ـ « خطط الشام » 5/171 .

3 ـ ترجمته عند أحمد بن الصديق في فهرسه : « البحر العميق . في مرويات إبن الصديق » : مخطوط الأستاذ الشريف محمد بن الأمين بوخبزة الحسني 1/189 .

ومن ذيول العلاقات المغربية المشرقية في المرحلة ذاتها ، رسالة سترد نصها عند الملحق رقم 34 . وهي في شكل منشور حرره محمد صادق ـ مدير الطباعة العثمانية ـ عام 1319 هـ ، وخاطب فيه المسؤولين في الحكومة العزيزية ، ليحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على حد تعبير المنشور ، وفروا إلى أوروبا ، ومنها إلى البلاد المغربية ، وقصدوا مدينة مراكش العاصمة آنذاك .

ومن الواضح أن الرسالة تعني أعضاء « جمعية تركيا الفتاة » ، الذين تبددوا والتجأ بعضهم إلى المغرب .

كذلك التجأ للمغرب في هذه الفترة بعض الضباط الأتراك ، وكانوا يفرون من مناقبهم في طرابلس الغرب وبنغازي والفزان ، فيستخدمهم السلطان العزيز ويفيد من مواهبهم[4] .

* * *

وإلى جانب الإرتباط على المستوى الرسمي ، نشير إلى لون مواز من العلاقات المغربية المشرقية ، فتجسمه عواطف شعب مصر في توجيهات أو تشجيعات مكتوبة ، ففي أثناء عام 1901 «1319» : يسجل محمد فريد المحامي[5] إشفاقه على وضعية المغرب . وينصح بالمبادرة لإجراء الإصلاحات بالبلاد . في لهجة محتدة يختتمها بهذه الفقرة .

« .... فإذا لم تتنبه الحكومة المراكشية لحالها ، وتفيق من نعاسها ، وتصلح داخليتها ، وتبني لها جيشاً قوياً ، وتوثق روابط الإتحاد بينها وبين الدولة العلية (التي لا سفير لها في تلك البلاد) : فقل على استقلالها السلام » .

وبعد هذا عام 1321 هـ / 1903 م ، تنشر مجلة المنار[6] وهي تذكر السلطان العزيز : « .... ولقد كنا نصحنا لحكومته منذ ست سنين ، كما نصح غيرنا

---

4 ـ « ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم » : تأليف أمين محمد سعيد ، مطبعة البابي الحلبي وشركائه بمصر : ص 384 .

5 ـ في رحلته بعنوان « من مصر إلى مصر » ، مطبعة الموسوعات بمصر ص 53 .

6 ـ المجلد 6 ج 14 ص 609 : بتاريخ الأربعاء 16 رجب 1321/7 أكتوبر 1903 .

من الكاتبين : بأن تعتني ـ قبل كل شيء ـ بتأليف قوة عسكرية منتظمة ، وبنشر المعارف ، وأن تستعين على هذا بأختها الدولة العثمانية ، والمنار يرسل ـ من أول نشأته ـ إلى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ، ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولأمثالنا » .

ومن جهة أخرى وصل إلى مصر أنباء المشاريع الإصلاحية التي اعتزمت حكومة المغرب تحقيقها ، فتفاءل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لهذه التباشير ، وسجل إرتياحه ـ للمبادرة التجديدية ـ في مطالع رسالة يقول فيها عن السلطان العزيز :

« وصل إلى أسماعنا ونحن في ديارنا ، أنباء ما وجه إليه همه ، وشحذ لبلوغه عزمه ، من النهوض ببلاده إلى الإصلاح ، والسير بها في منهج الفوز والفلاح ، وتلونا ما نشر من أوامره الكريمة ، ووعينا ما تضمنه من القواعد القويمة ، فتجددت في سلامة تلك البلاد آمالنا ، واشتغلت بأحاديثها أفكارنا وأقوالنا .

ولما كان الإصلاح الذي يقصده المولى ، إنما يتم برعاية الدين ، والرجوع إليه في كتابه المبين ، وسنة صاحبه الأمين ، ثم النظر في أقوال وأعمال السلف الصالحين ، لتعرض على ذلك كله أعمال الخلف المحدثين :

تعلقت الآمال بأن يكون لمولانا لفتة إلى العلوم الدينية ، وإحياء ما مات منها ، ونشر ما طوي من كتبها ، لتتأدب النفوس بأدبها ، وتحيي القلوب إذا اتصلت أسبابها بسببها ... »[7] .

---

7 ـ « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » : الطبعة الثانية في مطبعة المنار بمصر 1344 : 2/620ـ 621 .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده سبحانه عز شأنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ملحق 31

رسالة شريف مكة عون الرفيق باشا
إلى السلطان العزيز في شأن إعانة السكة الحجازية

إن أحسن ما سارت به سائر الأقلام ، وتراسلت به ـ في الطيف ـ أماني الأحلام ، إهداء شريف سلام يفوح نشره العبيق ، من حما الحرم المحترم والبيت العتيق ، (وتحية) صادرة من مكة دار الحرم ، ومهبط الوحى على سيد الأمم . صلى الله ـ تعالى ـ عليه وآله وسلم .

إلى جانب قدوة الملوك العظام ، وخلاصة ذوي المجد والاحترام . نخبة ذوي الإجلا (ل) ، المتسنم ذروةسناء الكمال : حضرة عبد العزيز بن المرحوم الحسن ملك فاس الأفخم ، حفظه الله ـ تعالى ـ وأبقاه . وحرسة ووقاه .

وبعد : فالداعى إلى تحريره ، والموجب إلى تسطيره ـ أولاً : الاستفسار عن صحة حال حضرتكم ، نرجو الكريم المتعال . أن تكونوا بأحسن حال ، وأنعم بال .

ثم الذي نرفعه إلى مسا (معكم الكريمة) : أنه لما كان جل مقصود ومرغوب مولانا السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم : مولانا السلطان عبد المجيد خان . أطال الله ـ تعالى ـ بقاه ، وحفظه وحرسه ووقاه ، حصول الراحة (التامة) ، والأمنية العامة ، لكافة المسلمين في أقاصي الأرض وأدناها ، لا سيما في أداء فرائضهم الدينية ، وواجباتهم الإسلامية .

وحيث إن حج بيت الله الحرام ، وزيارة روضة نبيه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، هو من أهم الواجبات الدينية ، وأعظم الفرائض المحمدية ، وأحد الأركان الخمسة الإسلامية ، وقد قال ـ عز من قائل ـ « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

فوجه مولانا السلطان الأعظم : عبد الحميد خان آراءه الصائبة . وأفكاره الثاقبة ، فرأى أن من أعظم الخيرات ، وأجسم المبرات ، إجراء طريق حديدية ،

من أسكلة جدة المحمية ، إلى مكة المكرمة ، ومنها إلى المدينة المنورة ، ثم إلى الشام ، وذلك لما فيه من الفوائد العظيمة التي لا تحصى . والتسهيلات الجسمية التي لا تستقصى : لحجاج بيت الله الحرام ، وزوار روضة نبيه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام :

أولاً : سرعة السير لهم ، وحفظهم من أنواع المشقات السفرية التي تحصل ـ دائماً ـ في خلال الطريق ، والمحافظة عليهم من التغيرات الجوية : من حر وبرد ومطر ، وقلة المصاريف ، والمحافظة ـ أيضاً ـ على أمتعتهم وأشيائهم من الضياع في أثناء الطريق ، وترخيص أقوات أهالي الحرمين الشريفين ، والحاصل أن فوائد هذه الطريق الحديدية أمر معلوم لا يحتاج إلى البيان .

ولكن حيث إنه أمر عظيم ، ومشروع ج (سيم) ، فـ (يحتاج) إلى الإعـانة من كافة المسلمين ، وحيث اعتقادنا أن حضرتكم ممن يرغب فعل الخيرات ، والمساعدة في إجراء المبرات ، على الخصوص لحجاج الحرمين الشريفين ، وترخيص أقوات أهالي الحرمين الشريفين ، وبداعي أن حضرتكم من ملوك المسلمين ، فلا شك أن غيرتكم وحميتكم في هذا الشأن ـ في حق حجاج الحرمين الشريفين ـ لا يعاد لها أحد .

بناء على ذلك : حررنا هذا إلى حضرتكم ، وأرسلناه صحبة المأمور الحاج محمد بن مسعود الدباغ مأموراً مخصوصاً من طرفنا ، نؤمل بوصوله إلى ناديكم الأعطر ، تبذلوا غيرتكم الإسلامية ، وحميتكم الدينية ، في تحصيل إعانة نقدية ، وإرسالها إلى هذا الطرف بالتحاويل المضبوطة ببيان الأسماء ، لأجل الدعاء لكم بالخير ، ولا شك أن بهذا الخصوص يحصل لحضرتكم زيادة الدعاء في هذه الأماكن المطهرة ، كما هو جار لكم دائماً ، وبذلك يحصل لحضرتكم مزيد الأجر والثواب ، من الملك الوهاب .

ودمتم محفوظين ، بعون الملك المعين ، والسلام .

تحريراً في يوم الأربعاء المبارك ، الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادي الأولى ، عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف ، من هجرة من له العز والشرف ، صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

7 - مصورة المحفى 32

عمدة ذوي الاجلال المنتسم ذروة سنام الكمال حضرة النائب الفقيه محمد بن العربي الطريس سلمه الله تعالى آمين

وبعد اهداء جزيل السلام الوافي والثناء العاطر عندنا في حضرتكم انا ارسلنا ناقل تحريرنا هذا الحاج محمد بن سعود

الدباغ مخصوصا مرطرفنا في اشغال تخص الحرمين الشريفين لدى حضرة جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى فنوصل من

حضرتكم اجراء المساعدة والتسهيلات اللازمة للمذكور وتدمتم في حفظ الله والسلام تحريرا في يوم الاربعاء المبارك

الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادي الاولى عام الثامن عشر بعد الثلاثمايه والالف من هجرة من له العز الشرف صلى الله تعالى عليه وسلم

تحريرا في يوم الربوع ١١ جمادا اول ١٣١٨ امير مكة المكرمه

ملحق 32

رسالة شريف مكة عون الرفيق باشا
إلى النائب الطريس ، للتوصية بحامل خطابه إلى السلطان العزيز

« عمدة ذوي الأجلال ، المتسنم ذروة سنام الكمال ، حضرة النائب الفقيه محمد بن العربي الطريس ، سلمه الله ـ تعالى ـ أمين .

وبعد إهداء جزيل السلام الوافر ، والثناء العاطر : غير خافي حضرتكم أننا أرسلنا ناقل تحريرنا هذا : الحاج محمد بن مسعود الدباغ ، مخصوصاً من طرفنا في أشغال تخص الحرمين الشريفين لدى حضرة جلالة الملك عبد العزيز ، حفظه الله تعالى .

فنؤمل من حضرتكم إجراء المساعدة والتسهيلات اللازمة للمذكور ، ودمتم في حفظ الله ، والسلام .

تحريراً في يوم الأربعاء المبارك ، الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادي الأولى ، عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف ، من هجرة من له العز والشرف ، صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ...

محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان محفظة 116ـ97 .

ملحق 33

رسالة النائب الطريس إلى الوزير الصدر العثماني
بمقدار المبلغ الذي ساهم به المغرب في مشروع سكة الحجاز

« جناب المحترم المكرم ، رئيس سياسة الدولة العثمانية الجليلة ، وصدرها الأعظم : السيد سعيد باشا ، حفظكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله ، عن خير مولانا الإمام ، ظل الله في أرضه على الأنام .

وبعد : فإن جلالة جانب الحضرة الشريفة دام علاها ، لما بلغها ما شرح الله ـ سبحانه ـ إليه صدر مجادة خديم الحرمين الشريفين . السلطان الأفخم : السيد عبد الحميد خان ـ نصره الله ـ من أنشاء السكة الحديدية الحجازية ، تسهيلاً لإقامة شعائر فريضة الحج .

أنعمت ـ أعزها الله ـ بخمسمائة ألف درهم 500،000 ، إعانة على هذا الإنشاء الجليل ، وصرفت ست إيطاري ، وجب فيها 184،601،50 : مائة ألف فرنك وأربعة وثمانون ألفاً وستمائة ، وفرنك واحد وخمسون سنتيما ، حسبما بيانه مع الأبناك المخرجة عليها بالطرة .

وها البطرات المذكورة توافيكم طيه ، لتأمروا بإرسال واجبها المذكور لصندوق إعانة تلك المشروعية السنية ، راجين من الله ـ سبحانه ـ عموم نفعها لكافة الأمة الإسلامية ، وأن يديمكم في سلامته ، وعلى المحبة والسلام .

وحرر ـ بطنجة ـ في 13 شوال الأبرك ، عام 1320 ، محمد بن العربي الطريس ، لطف الله به » .

ذكر البطرات المشار إليها :

نمر	سنتيم	فرنك	
7254 ـ فعلى كنطوال باريز		40,000	ـ كنطوال
85349 ـ وعلى الكريدي السو في باريز		30,000	ـ ناهون
15060 ـ وعلى انجلو أجيبسيان باريز		50,000	ـ التابوري
9041 ـ وعلى أنكى ماريط أنبين باريز		10,000	ـ حسان
85574 ـ وعلى الكريدي الهون باريز	50 ـ	49,601	ـ ناهون
45204 ـ وعلى أنكلو أجيبسيان باريز		5,000	ـ هسبنير
الجميع	50 ـ	184,601	

« تاريخ تطوان » للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 34

منشور صادر من مدير الطباعة العثمانية محمد صادق في شأن أعضاء جمعية تركيا الفتاة ، حيث التجأ بعضهم للمغرب

إن بعض العثمانيين قد شقوا عصا الطاعة والعصيان ، وقصدوا هدم الخلافة الإسلامية ومحو أثر العثمانيين عموماً ، ويأبى الله إلا نصرتهم ، وفروا من بلادهم التجأوا إلى أوربا ... وأكثروا من الفجور والعصيان والطعن في إخوانهم المسلمين ، فطردهم الأورباويون من بلادهم ، ثم إلتجأوا إلى البلاد المغربية ، وذهبوا بصفة التجسس.والتحيل لمراكش : لحضرة الملك الأعدل : مولانا عبد العزيز نصره الله .

وخصوصاً إن المؤمنين إخوة ، ومثل هؤلاء يجب طردهم بل قتلهم ... فكل من دخل البلاد المغربية يتكلم باللسان التركي ، أو لابس ثوب الأتراك : فهو منهم فاطردوه ، بل واقتلوه ...

وعليه فنستلفت أنظار الوزراء ... نيابة عن جلالة ولي نعمتنا : الغازي عبد الحميد خان نصره الله ، وهم ... السيد المهدي المنبهي و ... السيد الحاج محمد الطريس و... السيد فضول غرنيط ، ووزير بيت المال السيد محمد التازي ، والفقيه السيد عبدالله ابن سعيد ، والوزير الأجل السيد عبد الكريم بن سليمان ، وكل مؤمن مخلص : أن ينبهوا مولانا عبد العزيز ـ نصره الله ـ والرعايا لشأنهم ، حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم ، وانتصاركم هذا لله ولرسوله ﷺ .

محرر مدير الطباعة ، نائب الحضرة الحميدية على الفرقة الطاغية : محمد صادق 1319 .

. من خط القاضي المرحوم عبد الحفيظ الفاسي . في كناشته بالمكتبة التطوانية بسلا . مع بعض إختصار .

المرحلة الثانية

ويأتي تحليلها حسب الأبواب التالية :

مدخل :
الباب الرابع : الموقف الرسمي من أزمة الصحراء .
الباب الخامس : الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .
الباب السادس : محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .
الباب السابع : ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين .
الباب الثامن : دور العلماء في التوعية .
الباب التاسع : مشروعان دستوريان .
الباب العاشر : نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي .
الباب الحادي عشر : البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف .
الباب الثاني عشر : المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت .

مدخل

نحن ـ الآن ـ مع المرحلة الثانية للطور الثالث من مظاهر يقظة المغرب الحديث ، حيث تبتدي مع فترة عروض تاياندييه ، وسنتبين وقائعها بعد عرض قصير . نشير فيه ـ أولاً ـ إلى الإتفاق الودي الفرنسي الإنكليزي : 8 أبريل 1904 « 22 محرم 1322 » ، وهو الإتفاق الذي قضى على التنافس بين الدولتين ، بعدما استمر المغرب يستفيد منه لدعم استقلال البلاد منذ احتلال الجزائر : 1245 هـ / 1830 م ، وهكذا أعطى الوفق الثنائي لفرنسا حرية العمل لهدم استقلال المغرب ، مما جعل المنطقة ميداناً لأحداث خطيرة .

فثورة المغرب الشرقي لا تزال مشتعلة ، دون أن تتمكن الدولة من القضاء عليها .

بينما تضاعف ضغط الحملات الفرنسية على الحدود الجنوبية والشرقية : موريطانيا ، وعين بني مطهر ، ومركز الحاسي الأحمر ، وقصر الأحمر ...[1] .

وعلى الصعيد الإقتصادي : جاءت هذه المرحلة والمغرب يتورط في القروض الفرنسية ، مما أدى إلى تمكين الدائنين من التصرف في الجمارك على امتداد المراسي الثمانية : تطوان ، طنجة . العرائش . الرباط . البيضاء . الجديدة . آسفي . الصويرة ، وبدأ العمل يجري بذلك من 21 يونيو 1904 « 1322 » ، تحت إشراف مراقبين يستخلصون (60/0) من المداخل الجمركية[2] .

1 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

2 ـ « المسألة المغربية » ص 166 ، 424 .

وزاد في خطورة الوضع الاقتصادي تقاعس كثير من النواحي عن أداء ضريبة الترتيب[3] .

* * *

وفي الأفق السياسي جاءت مطالب فرنسا « الإصلاحية » على أن تكون الدولة صاحبة الاقتراح هي المباشرة للإصلاحات ، حيث ستطبق في المجالات العسكرية والمالية والإدارية .

وفي هذا الصدد وصلت إلى فاس بعثة سانت رينيه تايا نديبه 26 يناير 1905 « 20 ذي القعدة 1322 » .

وقد واجه المغرب هذه المطالب باستدعاء مجلس الأعيان ، وانبثق عن هذا مؤتمر الجزيرة الخضراء .

وبعد موافقة المغرب على مقررات هذا المؤتمر ، تصاعدت مظاهر الاستياء الوطني ، فكان مصرع الطبيب الفرنسي ، واحتلال وجدة ، ثم حوادث الدار البيضاء واحتلال هذه المدينة ...

وهكذا أثرت أوضاع هذه المرحلة على سير الإدارة ، وأفضى الأمر إلى التخلي عن الإندفاع في سياسة الإصلاحات[4] ، وبدا ـ واضحاً ـ عجز الحكومة عن مجابهة الموقف .

وهنا برزت نخب على المستوى الشعبي ، فلمعت مشاريع إصلاحية ، وساهم الأدب المغربي ـ من جهته ـ في إذكاء الشعور ضد التدخل الأجنبي ، بينما ظهرت صحف محلية جديدة ، وتقدمت ـ إلى حد ـ أجهزة الطباعة العربية .

ومن جهة أخرى فإن واقع الاعتداءات الفرنسية ، جر إلى فتح واجهات قتالية في نواحي الدار البيضاء ، وفي تافيلالت .

وسيراً مع منهجية « مظاهر يقظة المغرب الحديث : فإن وظيفة هذه المرحلة تبريز ملامح اليقظة المغربية في العمل الرسمي ، وعلى المستوى الشعبي ، وقد كاد هذا

---

3 ـ « المصدر » ص 124 .

4 ـ « المصدر » ص 258 .

القطاع الأخير يأخذ بزمام المبادرة أواخر هذه الفترة ، غير أنه سيرجأ تحليل هذه الظاهرة إلى ما بعد عرض المواقف اليقظة التي استطاعت الحكومة القيام بها في غمرات الأحداث ، على أن يأتي تصنيفها حسب الأبواب التالية .

4 ـ الموقف الرسمي من أزمة الصحراء .

5 ـ الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .

6 ـ محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .

وقد جاءت هذه الأبواب تابعة ـ في تعدادها ـ للأبواب السالفة .

الباب الرابع

الموقف الرسمي من أزمة الصحراء

بدأ التحرش الفرنسي بإقليم شنحيط من أول عام 1318[1] / 1901 ، ولمواجهة التحدي عين العاهل المغربي مندوبين إثنين بمنطقة طرفاية لمراقبة هذه الناحية إلى رأس بوجدور ، والعمل على صيانتها من أي تدخل أجنبي براوبحراً ، انظر الملحقين رقم 37 ، 38 .

وبعد نجاح فرنسا الدولي عام 1322/1904 . أخذ المعتدون يتوغلون في الصحراء : في حملة آتية من الساحل ، وأخرى من جهة السنيغال .

وبالإضافة إلى مقاومة السكان للاعتداءات ، قر رأيهم على إرسال وفد إلى السلطان العزيز ، ووصل الوفد إلى فاس بمعية حسانة بن الشيخ ماء العينين ، فعرضوا على ولي الأمر واقع هذا الجزء من التراب المغربي ، وطلبوا منه العمل لوقف المد الاستعماري : بمقابلة الحرب بالحرب ، أو بطريق التفاوض .

كما ألحوا على إمداد المجاهدين بالسلاح الحديث الذي يفتقدونه بالمرة ، وأكدوا على بعث ممثل للسلطة المغربية ليلتف المناضلون حوله ، انظر الملحقين : 39 ، 40 .

وهنا نسجل أن الحكومة ـ وعلى رأسها ملكها ـ وقفوا موقفاً صارماً ضد الاعتداء ، فأمد العاهل المجاهدين بالبنادق ذات الطلقات السريعة ، وبالذخيرة والمؤنة .

---

1 ـ انظر الملحقين رقم 35 ، 36 .

كما أوفد بعثة لعين المكان قصداً لتنظيم الدفاع ، يرأسها الأمير العلوي : إدريس بن عبد الرحمن بن السلطان المولى سليمان[2] ، وكان مع قائد البعثة رسالة عزيزية تحمل تاريخ 23 صفر 1323/1905 ، غير أنه لا يعرف ـ الآن ـ النص العربي للرسالة ، وجاء في ترجمتها الفرنسية[3] ما نص تعريبه :

« ... بلغ لشريف علمنا ما تشتكونه من محاولات الأمم الأجنبية الإستيلاء على بلادكم ، وأن القبائل المجاورة لكم ـ من مملكتنا الشريفة ـ مستعدون لمساعدتكم في مقاومة الأجنبي ، وأن الإذن الخصوصي والقائد المطاع هما اللذان ينقصانكم ، ومن جهة أخرى : الأسلحة العصرية ، وهذا دليل على حسن نباهتكم .

ونحن نرى أن خوفكم من ذوي المطامع السياسية في بلادكم ، واتفاقكم مع القبائل المجاورة ، برهان قاطع على حسن إيمانكم بالله .

ومن جهة أخرى فإن ما تطلبونه من حكومتنا الشريفة التي تعرف إخلاصكم من قديم هو موجب لقبول مطالبكم ، ودليل على وفائكم في التعلق بجانبنا العالي بالله ، وبذلك ستدافعون عن ملتكم ، وتحتفظون بمكانتكم عندنا .

أما الوسائل التي تخصكم ، والعون الذي تنتظرونه منا ، والمصلحة التي تريدون أن نبلغها إليكم : فذلك كله من الواجبات علينا ، ومن الاهتمامات التي تلزمنا نحوكم ، وإذا شاء الله فستحصلون منا على كل ما تريدون .

وعليه فقد بعثنا إليكم حامله الذي هو ... وهو قادم إليكم للتعرف بأرضكم ، ودراسة حالتها الحاضرة ، وسيتحدث مع رؤساء القبائل في كل ما يهمكم ويهم هذه البلاد .

وكل هذا سيقع بواسطة الشيخ العلامة السيد ماء العينين الذي كتبنا له في الموضوع .

ونحن نأمركم بحسن مقابلة رسلنا ، وتسهيل القيام بما أمورتهم التي طوقوا بها ، ملتزمين كل ما يأمركم به الشيخ وفق مرادنا .

---

2 ـ يرجع إلى الملحقين رقم 41 ـ 42 .

3 ـ جريدة « صحراء المغرب » ع 71ـ72 « مزدوج » : ص 5ـ6 .

ثم نأمركم أن تختاروا ـ بإخلاص ـ من بين أعيانكم من ترونه صالحاً لقيادتكم ، ونحن نبعث له ـ حيناً ـ الظهير الشريف وطابع الحكم ، وهكذا نريد أن نسجل ولاءكم الدائم لنا ، ونفيض الخيرات على بلادكم » .

وإلى هنا تنتهي هذه التوجيهات الملكية للمعنيين بالأمر في المنطقة . وكان العاهل العزيز أوصى ممثله بأن يأمر المعتدين بالجلاء ، وعند الاقتضاء يشهر عليهم الحرب .

وتطبيقاً لهذه التعليمات . كتب أمير البعثة إلى قائد الحملة الفرنسية بتيجيكجا لمطالبته بإخلاء « تكانت[4] » .

وإلى جانب ذلك عقد المبعوث المغربي مؤتمراً بالصحراء ضم نخباً من الممثلين لقبائلهم ، وقد حث جميعهم على الإتفاق والتعاضد ، وحضهم على التمسك بالطاعة[5] ، وسنرى بالملحق رقم 44 نموذجاً لأحد الاستدعاءات لهذه الغاية . ويتعلق الأمر برسالة من الشيخ ماء العينين إلى جماعة إيد وعيش بتاريخ 19 جمادي الأولى عام 1322 .

ونتيجة لهذه الإتصالات ، استطاع الخليفة السلطاني أن يجمع حوله عدة قبائل من أدرار وأولاد أبي السباع .

ومن المعارك الذي قادها ضد جيش الاحتلال ، مهاجمة الفرنسيين بقوة وطنية قوامها 900 مجاهد ، ودامت المعركة من الثامنة صباحاً إلى الحادية عشرة ، حتى اضطر الخصوم إلى التراجع نحو جهة تيجيكجا[6] .

وهكذا يتبين ـ حسب ملاحظة البعض ـ أنه كان لهذه البعثة وللسياسة الحكيمة التي أوحت بها : ما أفاد القضية المغربية في هذه المرحلة ، فإن تقبل الموريطانيين للبعثة ، وتدخلها كممثلة للسلطة الشرعية : أمر مهم ـ بمفرده ـ بالنسبة للقضية ،

---

4 ـ انظر الملحق رقم 43 .

5 ـ « الجأش الربيط .. » تأليف الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين مطبوعات « دار العلم » بالرباط : ص 23 .

6 ـ انظر الملحق رقم 43 .

زيادة على التأثير المعنوي الذي أحدثه وجودها ، إذ أدرك الشناقطة أن ملك البلاد راع أمين ومتيقظ [7].

ومما يسجل للمغرب في هذه المرحلة بالذات . أن المسؤولين لم يتنازلوا ـ أبداً ـ عن تبعية موريطانيا حتى في أحرج الأزمات ، فقد كان بين مطالب فرنسا بعد مقتل الطبيب موشان ، مطلب يهدف إلى تخلي المغرب عن هذه المنطقة ، غير أن وزارة الخارجية المغربية قطعت على السفارة الفرنسية هذا الإتجاه ، وأعلنت أن المخزن قد أجل قضية « الأدرار » حتى اليوم الذي يصبح في الإمكان بحثها فيه [8] .

ونختم هذا الموضوع بملاحظة لمجلة العالم الإسلامي تقول فيها : « إن سياسة الحكومة المغربية الصحراوية كانت واضحة وبينة ، ومبنية على أساس قوي من الحكمة ، إذ في هذه الجهة الصحراوية البعيدة حيث لا يمكن أي عمل مباشر ، كان من العقل أن تكتفي بمبدأ السيادة مثبتة نفوذ المرابط الروحي ، ومفندة ـ بحكمتها وكرمها ـ جميع الدعايات الأوربية .

وهكذا انتصرت ـ دائماً ـ سياسة المخزن ، حيث استعملت لمصلحتها الولاة المحليين الذين تأثروا بدعوة المغرب ، وكان ذلك ـ في الوقت نفسه ـ تعميراً للثغر الجنوبي ، حيث تكون البوليس الصحراوي من القوة الوحيدة للمتطوعة .

وهكذا أصبح المخزن قادراً على أن يحتج ـ باسم الأهالي ـ ضد كل تدخل نصراني » [9] .

---

7 ـ « جريدة صحراء المغرب » ع 71ـ72 « مزدوج » ص 6 .

8 ـ « المسألة المغربية » ص 422 .

9 ـ « جريدة صحراء المغرب » ع 71ـ72 « مزدوج » ص 5 .

ملحق 35

رسالة الشيخ ماء العينين إلى السلطان العزيز يشعره باستعداد فرنسي للتحرك نحو أدرار

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

أمير المؤمنين ، ظل الله على الأرضين ، خليفة جده سيد المرسلين : مولانا عبد العزيز ، نصركم الله وأعزكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، ما دام الكون وحركاته وسكناته .

ثم ليكن في كريم علمكم أن نصارى أندر بلغنا عنهم ـ بخبر التواتر ـ أنهم مشتغلون في النهوض لأدرار ، فلتنظروا ـ حفظكم الله ـ فيما يصلح للمسلمين . لأنهم ـ لعنهم الله ـ مشتغلون في ذلك بشراء الجمال والقرب وغيرهما مما يصلح لأسفار الصحاري ، حفظكم الله وأيدكم في كل أمر جاري .

والكثير من الناس لا يقول إلا هذه البلاد لمولاي الحسن رحمه الله ، وإبنه مولاي عبد العزيز نصره الله ، وما أرسل لنا به مولاي عبد العزيز نفعله ، وما لا فلا .

والله المرجو لنصركم بالتمام ، وعلى المحبة والسلام . في 1 من المحرم عام 1318 .

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

« الجاش الربيط » ص 78 .

ملحق 36

رسالة الشيخ ماء العينين إلى الوزير أحماد يشعره باستعداد فرنسي للتحرك نحو أدرار

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابننا الأبر ، قرة عيننا ثمرة أفئدتنا الأشهر : الوزير أب أحمد ، حفظك الله في كل بلد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما دام الكون وحركاته وسكناته .

وبعد : فليكن في كريم علمكم أنا طرأ علينا من الخبر ما لم يتبين لنا إلا وجوب إنهائه إليكم ، وهو أن النصارى أهل أندر لعنهم الله : ثبت عندنا ـ بالتواتر ـ أنهم مشتغلون بشراء الجمال والقرب ، ومريدون بذلك النهوض لأدرار ، وبقى من في البلاد متحيراً فيما يدخل معهم ، فالبعض يقول نحن في بيعة مولاي الحسن وابنه مولاي عبد العزيز ، ولا نقدر على فعل شيء حتى يخلف لنا مولاي عبد العزيز ، والبعض يقول : إن خرجوا إلينا وقدرنا على قتالهم قاتلناهم ، وإلا فإنا نهاجر عنهم .

والآن إعلموا أنه ليس لأهل هذه البلاد في الحقيقة من الرأي والتدبير إلا ما صدر من جانبكم في الأمر ، وليسرع بما هو مفعول قبل خروج النصارى إلى البلاد ، فإن اقتضى النظر المولوي أن ترسلوا للنصارى من هنالك في المراسي أن البلاد بلادكم ، ومن فيها في بيعتكم ، ويكون ذلك كفاً لهم عن البلاد ومن فيها : فبها ونعمت ، وإن اقتضى النظر أن يرسل لمن هنا من أهل الشوكة والسلاح أنهم يتعرضون لهم ويقاتلونهم : فبها ونعمت أيضاً ، وإن اقتضى النظر غير ذلك فنظركم أوسع .

وأعلم أن النصارى كثيراً ما تأتيني رسلهم طلباً للعهد معى ، وأنا أمتنع لهم من ذلك أيّ امتناع ، إلا إذا كان ذلك على يد السلطان نصره الله تعالى ، وأقول لهم : إن الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الأمر منكم ، ونحن أولوا أمرنا أمير المؤمنين نصره الله تعالى ، فلا يكون بيننا معكم كلام إلا بواسطته .

والأن ما هو النظر عندكم ، أحب أن أكون عارفاً به لأقوله لهم إن أرسلوا لي ، وإلا فلا كلام بيني معهم إلا بشيء صادر لي من جهتكم .

حفظكم الله وأيدكم ، ورزقنا وإياكم التوفيق لما يحبه بالتمام ، وعلى المحبة والسلام ، في سابع المحرم عام 1318 .

ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

« الجأش الربيط » ص 78–79 .

ملحق 37

ظهير عزيزي بتعيين موظفين للسهر على مراقبة شواطيء الصحراء الغربية

خديمنا الأرضي : القائد إبراهيم بن مبارك الشتوكى التكني . وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد أسندنا لك وللخديم محمد بن البلال البو سعيدي : النظر في رد البال بكوشطة رعيتنا السعيدة : من طرفاية إلى رأس بوجدور ، والكون منها على بال .

فنأمرك أن تقوم معه على ساق الجد والاجتهاد في رد البال لها بحراً وبراً ، وصرف الوجهة للاعتناء بصيانتها سراً وجهراً ، ونصب العيون على من يروم إحداث شيء فيها مما يخالف عادتها التي هي عليها أو ينافيها ، وتطيير الإعلام لعلي جنابنا بما عسى أن يروم أحد إحداثه بها : من ناحية البر أو ناحية البحر .

وإياك والتراخي في ذلك ، فإن عهدته عليكما ، وراجعة إليكما .

وبمثله أمر الخديم محمد بن البلال .

والسلام ، في فاتح محرم فاتح عام 1319 .

« الساقية الحمراء ووادي الذهب » 1/323 .

ملحق 38

رسالة عزيزية إلى القائد حمادي الشباني
لإعلامه بمضمون الرسالة بالملحق الأخير

خديمنا الأرضي : القائد حمادي الشباني ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد : فقد كلفنا خديمينا القائد إبراهيم بن مبارك الشتوكي التكني . والقائد محمد بن البلال البوسعيدي : برد البال لكوشطة رعيتنا السعيدة : من طرفاية إلى رأس بوجدور ، وصيانتها من أن يحدث بها أحد شيئاً براً وبحراً .

وأعلمناك لتكون على بال .

والسلام ، في فاتح محرم عام 1319 .

. « الساقية الحمراء ووادي الذهب » 1/344 .

ملحق 39

رسالة ماء العينين إلى العزيز ، يقدم بها رسالة نواب الصحراء الغربية ، ويحدد مطلبهم

الحمدلله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حمداً لمن جعل للمؤمنين مأوى يأوون إليه ، هو من سلالة نبيه المختار ممن لديه .

وبعد : فإلى ظل الله في البلاد ، ومن هو للمسلمين ـ الذين يستندون إليه ـ من أقوى عماد ، أيده الله ونصره وأعزه في جميع العباد ، ذلك الأمير الذي نحن قائلون عليه : الحمد لله بلا تعداد ، هذا وإنه سلام الله ورحمته وبركاته ، ما دام الكون وحركاته وسكناته ، إلى أمير المؤمنين مولانا عبد العزيز .

وبعد : فمن موجبه أنا ـ منذ زمن ـ يبلغنا شيء من الخبر عن هذه النواحي الموالية لنا ، ونتحير هل ننهيه لعلمكم الشريف أم لا ؟ إن تذكرنا ما في براوة عندنا لمن نرجو في الله تنوير ضريحه ، والدكم مولانا الحسن : أنا لا يبلغنا شيء من الخبر إلا وأنهيناه للعلم الشريف : قلنا ننهيه . وإن نظرنا في عدم التحقيق سكتنا ، حتى أتانا من الخبر ما هو مكتوب لكم ، وستجدونه ـ إن شاء الله ـ مع هذا ، وجاءنا معه من التحقيق ، ما لا ينبغي معه إلا التصديق ، فلذلك أنهيناه لكم .

ولما فتشنا عن حقيقة الأمر : إذا حاصله أن هذه البلاد ـ التي هي بلاد الشناجطة ـ فيها من المسلمين الحاملين للسلاح وغيرهم ما لا يحصيه إلا الله ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وقد قال لي مولانا مولاي عبد الرحمان جدكم نور الله ضريحه : إنا متوسمون أن الإيمان الحقيقي اليوم ليس إلا في تلك البلاد .

ولم يكن لهم فيما مضى من الزمن خبر بالنصارى ، ولا أنهم يريدون بلداً بالملك ، بل إنما يظنونهم تجاراً يبيعون اللباس ، ويريدون المعاملة مع الناس ، ولم يعلموا بشيء إلا وإذا هم طالبون ملك البلاد ، والإستيلاء على العباد ، فأراد البعض منهم أن يتلقى لهم بالحرب ، فإذا هو لم يتيسر له ذلك من جهتين : إحداهما : عدم أمير تنقاد له

القبائل كلا ، والثانية : عدم السلاح الذي أتاهم به النصارى : وهو العدة المسماة بالورواز .

فلما نظروا في ذلك إجتمع رأيهم على أنهم لا حيلة لهم إلا رفع الأمر لكم ، مع أنهم ـ أولاً ـ قالوا لهم إنهم في بيعتكم منذ عهد مولاي إسماعيل ، وإنهم جددوها لمولاي الحسن ، فقال لهم النصارى : إن كان ذلك حقاً فأرونا طابعاً واحداً لهم عندكم ، وإذ ذاك أظهر رئيس أدرار طابع مولاي الحسن نور الله ضريحه الذي عنده ، مع طابعكم .

والحاصل أن النصارى أخذوا من بلاد المسلمين مواضع ثمانية ، وهي نزر ـ ولله الحمد ـ بالنسبة لغيرها ، وأرسلوا لكم بما ترون ، فإن اقتضى النظر الشريف أن يساعدوا بما أرادوا فإني لا أظنه إلا فضلاً ساقه الله لكم ، وأرجو الله أن يكون من أوائل إجابة دعائي : فإني أرجو الله أن يعطيكم ملكاً لم يكن لغيركم .

والأمر سهل ـ ولله الحمد ـ إن أخذتم أحداً من خدمتكم سواء من قرائكم وسواء من غيرهم يكون نائباً عنكم ، وشيئاً من العدة التي طلبوا .

والله المرجو أن ينيلكم من فضله ما لا تكيفه العقول ، ولا تحصره النقول ، وغير ذلك لا نرجوه ، كما أنا لا نرجو أن يخيب رجاء من رجاءكم لنصر دينه ، بل نرجوه أن ينصركم وينصر بكم ، ويبلغ لكم ولمن رجاكم بالخير ما تحبونه بالتمام ، وعلى المحبة والسلام .

في 13 رمضان عام 1322 .

« الجاش الربيط » ص 21ـ22 .

ملحق 40

رسالة نواب الصحراء الغربية إلى العزيز
يشرحون فيها واقع بلادهم ، ويحددون مطلبهم

الحمد لله الذي رفع ظلم أهل الظلم والطغيان ، بعدل أهل العدل والإحسان . والصلاة والسلام على خير الأمم ، سيد العرب والعجم .

وبعد فإلى ظل الله في الأرض ، طولها والعرض ، كهف المسلمين ، وملاذ المؤمنين ، وعماد الدين ، وخليفة سيد المرسلين ، ومحط رحال الخائفين ، وغوث الراهبين ، وغيث الراغبين ، ومراعي مصالح المسلمين أجمعين ، أمير المؤمنين : مولانا عبد العزيز بن مولاي الحسن ، أيدك الله ونصرك وأعزك : السلام الأسنى ، والتحيات المباركات الحسنى ، ممن هم في بيعتكم سلفاً عن خلف أجمعون :

قبائل الشناجطة المتبوءون بلاداً لم يكن للنصارى سبيل عليها من قبل . وهذه البلاد فيها كثير من أهل الإيمان الحقيقيين .

فمنها آدرار بلد واسع ، قيم أمره خديمك سيدي أحمد بن عيد الذي عنده طابعك ، وهو في كثر من الرجال الأبطال أهل الحرب .

ومنها بلاد تكانت . وقيم أمرها عثمان بن بكار بن سويد أحمد . ومعه من الرجال أهل النضال ما لا يحصى كثرة .

ومنها الحوض . وفيه من قبائل الإسلام ـ ولله الحمد ـ ما لا تسع الأوراق إحصاءه ، من أوفر ما فيه قبيلة يقال لها مشظوف . وقيم أمرها إسمه محمد المختار ابن محمد محمود بن لمحيميد ، وفيه قبيلة ـ وافرة أيضاً ـ يقال لها أهل سيدي محمود ، وقيم أمرها سيدي المختار بن محمد محمود بن عبدالله بن سيدي محمود ، وفيه قبيلة وافرة ـ أيضاً ـ يقال لها الأغلال . ومنها بلاد يقال لها القبلة ، فيها قبيلة وافرة ـ أيضاً ـ يقال لها التوارز ، وقيم أمرها إبن محمد الحبيب بن بكار .

وهذا الذي سمى من القبائل إنما هو بعض ممن يحمل المكاحل من أهل تلك

البلاد ، وأما قبائل يقال لها الزوايا وما لم يذكر من أهل المكاحل : فالجميع لا يحصى كثرة ، ولله الحمد ، والله يؤيد بكم الإسلام .

وأهل هذه البلاد قرب النصارى من دخول أراضيهم ، بل أخذوا القليل منها وبنوا فيه بناءات متفرقة عددها ثمانية مواضع : أحدها مال ، وميت ، وأنبود ، وأخروف ، الخامس سهوت الما ، السادس أنواكشوط ، السابع بتلميت ، الثامن نودق ، وأذلوا أهل هذه المواضع ذلاً يختارون عنه خراب المرابع ، والكثير من هذه البلاد سالم من البناء ، وسلامته في آخر رمق وذماء ، والآن استغاثوا بك واستنصروك ، واستنجدوك واستعدوك ، والأهم عندهم مسألتان : العدة الوروارية ، وواحد منكم يكون هو النائب عنكم ، ليدفعوا به هؤلاء النصارى عن أراضيهم ، وليس عندهم من الحيلة في دفعهم إلا هذا المثل : (نبه لها عمراً ثم نم) ، والسلام .

« الجأش الربيط » ص 20-21 .

ملحق 41

تقرير عن البعثة المغربية التي زارت الصحراء الغربية عام 1323/1905

الحمد لله وحده .

عندما كان السلطان المولى عبد العزيز يقيم بفاس ، أي حوالي سنتي 1322 ـ 1323 هجرية : وقعت مراسلة بين السلطان والشيخ ماء العينين ، في موضوع الحالة المرتبكة التي أوجدها في الصحراء المغربية الإعتداء المسلح الذي قامت به الجيوش الفرنسية ، فقد طلب الشيخ من السلطان المولى عبد العزيز في إحدى رسائله أحد أمرين : إما أن يرسل الأسلحة إلى سكان الصحراء لتمكينهم من تنظيم الدفاع عن أنفسهم ، (وأما) أن يتخذ التدابير الديبلوماسية مع فرنسا لتوقف نشاطها العدواني ، وبالفعل دخل السلطان في محادثات مع فرنسا ، لكن هذه المحادثات لم تفض إلى نتيجة . لأن فرنسا زعمت أن منطقة الصحراء لم تكن تصل لها السيادة المغربية ، فأرسل الشيخ ماء العينين إلى القصر الملكي بفاس وفداً برئاسة أحد أقاربه الأقربين ، وهو السيد عبدالله بن جنبوب ، وذلك ليطلب من السلطان أن يعين خليفة له في الصحراء ، وقواداً جدداً .

وقد عين السلطان كخليفة له في الصحراء أحد شرفاء تافيلالت ، وهو المولى إدريس بن عبد الرحمن بن سليمان ، وعين الفقيه سيدي المدني وزيراً له ، والفقيه الغرفي كاتباً ، وكانت هاتان الشخصيتان الأخيرتان تعملان في كتابة الخليفة المولى عبد الحفيظ ، وقد وقع الاختيار عليهما من بين سكان تافيلالت بسبب كون مناخ تافيلالت يشبه ـ إلى حد كبير ـ مناخ الصحراء .

وقد أرسلني السلطان لأرافق هذه البعثة ، ولأسلم في عين المكان ظهائر تولية 14 قائد جديداً لأصحابها الذين عينوا عمالاً للملك في الصحراء .

وقد تلقيت الأمر بأن أسلم هذه الظهائر إلى أصحابها بمحضر الشيخ ماء العيْنَيْن .

وفيما يلي وصف الرحلة .

غادرنا فاس في متم شهر ربيع الأول من عام 1323 هجرية ، وكانت مرحلتنا الأولى هي العرائش التي استقبلنا فيها ـ بأمر من صاحب الجلالة ـ من طرف أمناء المرسي الذين أركبونا في سفينة ألمانية توجهت بنا إلى الصويرة .

وفي الصويرة استقبلنا من طرف باشاها السيد عبد الرحمن بركاش ، ومن طرف الأمناء ، وأجرت لنا السلطات المحلية المركب الإسباني « ريوس » ، ليقلنا إلى طرفايا ، وليرجعنا إلى الصويرة .

وعند وصولنا إلى طرفاية ، استقبلنا من طرف القائد حميدة الشرادي ، والأمين السيد الطاهر ابن المليح ، وكوكبة من الجند ، ووفد من قبائل الصحراء على رأسه ممثل الشيخ ماء العينين .

ووجدنا ـ كذلك ـ رهن إشارتنا جمالاً أرسلها الشيخ لتقلنا إلى العاصمة « الصمارة » . وكانت مراحل سفرنا ـ عبر الصحراء ـ هي التالية :

المرحلة الأولى	:	اغراد لعصل
المرحلة الثانية		سبخة لعصل
المرحلة الثالثة	:	اساتف
المرحلة الرابعة	:	الحكونية
المرحلة الخامسة		تواغد
المرحلة السادسة		لميحيين
المرحلة السابعة		اكويرت الحيسن
المرحلة الثامنة والأخيرة		الصمارة

حيث خصنا الشيخ ماء العينين باستقبال حافل ، وسط وفود جميع القبائل الصحراوية التي استقدمت بهذه المناسبة : قبائل تكنة ، وايزركيين ، وآيت لحسن ، وازوافيط ، أيتوسي ، يكوت ، وقبائل نواحي الداخلة وواد الذهب : أولاد دليم ، والعروسيين ، وأولاد تيدرارين ، والرقيبات ، وأولاد أبي السباع ، وآيت يعقوب ،

أهل الحاج ، والكرح ، وأولاد لب ، والصكارنة ، وقبائل أدرار الموريطانية ، أولاد عمني أولاد أكشار ، وأولاد غيلان ، والطرشان ، وإد يشلي ، والسماسيد ، وقبائل شمامة : مثل التارزة ، وأولاد لولب ، أولاد بير ، وأهل بارك الله . وتاكاط ، وايدان بن لحسن ، وقبائل أخرى من تاكانت : كايدا وعيش ، وايدا وعلي ، وتجاكنت ، وقبائل اركيبة : كالاغلان ، وقشومة ، وايد وبوسات ، وايدا وعيش .

وأمام جميع هاته الوفود المجتمعة ، ألقى الشيخ خطاباً قدم فيه الخليفة السلطاني . فبايعته جميع الوفود ، وعبرت له عن ولائها ، ثم قال لهم الشيخ .

يجب عليكم أن تدفعوا لخليفة السلطان الزكاة الشرعية ،فامتثلت الوفود ، وسلمت للخليفة ما مجموعة ألف ومائة جمل .

وإذ ذاك سلمت لكل عامل ظهير تعيينه » .

من إملاء الحاجب محمد الحسن بن القائد إدريس إبن يعيش على شخصية مهتمة .

ملحق 42

رسالة ماء العينين إلى العزيز بشأن وصول البعثة المغربية ...

الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله رب العالمين ، على ظل الله في العالمين أمير المؤمنين ، أيده الله بنصره والتمكين ، وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته ، عليكم ما دام تجري من ربنا على خلقه رحماته .

وبعد : فليكن في كريم علم أمير المؤمنين : أن الوفد الشريف المبارك‌ها هو قد قدم علينا ولله الحمد ، والله يجازيكم‌عنا وعن المسلمين بما تحبونه ، ويجعل مجيئه من أسباب النصر ، والتمكين والظفر .

ثم إنه قد طرأ علينا من الخبر بعدما أرسلنا ما هو بطيه ، ولكن لا بأس إن شاء الله ، بل لقد عددناها من بركتكم وتقديم النصر أمامكم ، جعله الله معكم مصاحباً لكم وقدامكم ، ومع رسلكم وأقدامكم ، وها نحن ـ إن شاء الله ـ ننظر فيما يليق به ويكون به النصر لكم ، ونفعله إن شاء الله .

ونرجوه أن يوفقنا ـ جميعاً ـ لما يحبه ويرضاه ، ويجازيكم عنا بما تحبونه وترضونه ، ويكفيكم شر مخلوقاته ، ويطيل أعماركم في العافية ، ويؤيدكم بنصره بالتمام . وعلى المحبة والسلام .

في 7 جمادي الأولى عام 1323 .

---

* الجامش الربيط » ص 22ـ23 .

ملحق 43

تقرير فرنسي عن النشاط العسكري للبعثة المغربية بالصحراء الغربية

من م ميليس دولاكروا وزير المستعمرات
إلى
م ستيفان شيون وزير الشؤون الخارجية

باريس 23 نوفنبر 1906

إن والي عام افريقيا الغربية الفرنسية وجه لإدارتي بتاريخ 9 نوفنبر الجاري تقريراً عن الحوادث الأخيرة التي جرت بموريطانيا .

ولي الشرف بأن أبعث لكم طيه نسخة من هذه الوثيقة ، وكما ستلاحظون فإن هذا التقرير يثبت مرة أخرى مقدار النفوذ الإسلامي المرتكز على المغرب الذي ليس أجنبياً عن الحوادث الأخيرة .

ميليس دولاكروا

الملحق :

من م مرلان قائم مقام الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية ، إلى السيد وزير المستعمرات .

كوري ـ 9 نوفنبر 1902 : لقد أخبرتكم من قبل بوجود ولد للشيخ ماء العينين إسمه حسانة بايدا وعيشة ، وأنه يوزع السلاح والذخيرة ، وقد إزداد الأمر استفحالاً منذ ذلك الوقت .

والعامل المهم : هو المسمى مولاي إدريس ولد مولاي عبد الرحمان ولد مولاي سليمان قريب سلطان المغرب ، والذي يزعم أنه مرسل من قبله .

والإستعلامات تثبت دخوله لأدرار بتوصية من الشيخ ماء العينين . يصحبه أحد أولاده : حسانة ، ويوجد في أود جفت وشنقيط ، وهو يجمع الزكوات . ويوزع السلاح المستقدم من كاب جوبي ومن الساقية الحمراء .

ولكنه يقترب من بسط دعاوته على القبائل الخاضعة لنفوذنا . وقد أعلن مولاي إدريس أنه جاء لحكم البلاد . ويطالب بملكية الأراضي حتى الوادي باسم السلطان : (يقصد نهر السنغال) .

وفي بداية سبتمبر سنة 1906 عرفني مفوض الولاية العامة في موريطانيا : أن الأخبار التي تصله تؤكد أن سيدي المختار ـ رئيس أهل سيدي محمد ـ يعمل وسيطاً بين المرسلين المغاربة وبين القبائل الموريطانية ، ويصرح ـ علانية ـ بعداوتنا ، ويستعد للسير ضدنا في الوقت المناسب ، مستعيناً على ذلك القصد بتأييد تاجا كانت ، وقد أصبح إقليم كيفة مركز تجمع هذه الطوائف المعادية لنا .

ومن جهة أخرى فإن الشريف مولاي إدريس جمع من حوله خمسمائة محارب ، منها مائة من سكان حوض أكدال ومشظوف .

لقد أخبرتكم بهذه الأشياء في الوقت الذي طلبت من خليفة حاكم السنغال العليا والنيجر ، ومن مفوض الولاية العامة بموريطانيا : أن يضاعفوا حراستهم ، ويتخذوا التدابير التي تجعل مراكزنا في حماية من المهاجمات .

وقد كان لهذه التعليمات ـ بالأسف ـ ما يبررها ، فإن القبطان تيسو حاكم مركز تجيكجة عرفني عن طريق البرق ـ الذي أوصل لسان لويس ، يوم 26 اكتوبر ـ أنه اتصل برسالة من مولاي إدريس يطلب منه إخلاء حصن تاجا كانت ، ويوجد الشريف ـ حينه ـ في كشالة على بعد يومين من شمال اشاريم ، ومعه من آل ايدا وعيشة نحو الخمسين ، وعديد من أولاد بوسبع ومن المشظوف والاغلال ، وقلة من الثوار القادمين من الترارزة ومن البراكنة .

ويرى القبطان تيسو أنه من المصلحة دفع الشريف خارج تاجا كانت قبل أن يصله المدد الذي ينتظره من أدرار . ولكن الإستعلامات التي جاءته بعد ذهاب الكشافة أكدت له أن الجماعة التي مع الشريف عديدة وجيدة التسليح ، فالكشافة

ـ لضعفها ـ يمكن أن تهزم ، وأيضاً فإن المركز الذي أعلن الشريف عزمه على مهاجمته محتاج لرجاله كي يدافع عن نفسه ، ولذلك فإن القبطان تيسو طلب من المرسلين أن يرجعوا إلى تيجيكجة ، وفي أثناء هذا التحرك قابلهم الشريف في نيبميلان على بعد خمسة وعشرين كيلومتر من جنوب غرب تيجيكجا ، وقد هجم عليه تسعمائة محارب أغلبهم مسلح ، ونحو المائتين منهم يملك بنادق سريعة ، وقد استمر الكفاح من الثامنة إلى الحادية عشرة صباحاً ، واضطرت الإرسالية للكفاح متقهقرة نحو تيجيكجا ، بعدما شتتها العدو .

والبرق الأول الذي وصل ، والذي بعثه لكم يوم 30 نوفنبر كان ناقصاً ، وقد أخبر بخسار زائدة على الواقع . ولكنها ـ في الواقع ـ مرتفعة جداً : الأوربيون الأربعة قتلوا . وقد وقع الإضطرار ـ بالأسف ـ لترك أجسامهم للعدو . والحيوانات قتلت أو أخذت ، وخمسة عشر من الأهالي فقدوا ، أما الآخرون ـ الذين جرح منهم 33 ـ فقد رجعوا للمركز ، بعض الأسلحة وقليل من الذخائر وقعت في يد العدو .

أما الموريطانيون فقد خسروا من جهتهم مائة وخمسين رجلاً : منهم ثلاثة رؤساء ، وخمسة من أولاد بكار ، ورئيس أيدا وعيشة .

وقد بقي القبطان تيسو ـ إذن ـ في الحصن مع حراسة ضعيفة ، لا تشتمل على أكثر من 65 مقاتلاً ، وليس له من الإطارات غير سرجان من الأوربيين ، ومعاون من الشؤون الأهلية ، وحول الحصن عدد الموريطانيين يزداد ، ونجاح الشريف وأمل الغنيمة : يجلب له الكثير من السكان .

ميرلان

جريدة « صحراء المغرب » ع 17 ص 8–10 .

ملحق 44

رسالة ماء العينين
إلى قبيلة أيد وعيش الموريطانية

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أحباؤنا الأكرمون ، وأصدقاؤنا الأقربون ، الأحمدون الأطهرون الأطيبون ، الأسياد : جماعة اد وعيش عموماً وخصوصاً ، وطرراً ونصوصاً : كل واحد باسمه ، وخالص وسمه ، لا سيما أهل الحل والعقد منكم : كثال أسويد أحمد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما دام الكون وحركاته .

أما بعد : فليكن في كريم علمكم أن السلطان ـ نصره الله ـ وجه إلينا ابن عمه خليفته نائباً عنه في كل ما أهمكم ـ الآن أو قبل ـ من الأمور كلها ، لا سيما أمر النصارى دمرهم الله ، لأنه ـ ولله الحمد ـ أرسله بالوقوف على ساق الجد ، حتى تعلو كلمة الإسلام ، ويقضي ـ بحول الله ـ كل مرام .

والآن لا بد من إتيان ولاة الأمر منكم ، لتقع المشافهة مع الخليفة على أيدينا ، كما أن السلطان ـ نصره الله ـ كتب لنا بذلك ، ليحصل لكم بها كل غرض ، فيما مضى وما عرض ، لأنا كتبنا لأمير المؤمنين ـ نصره الله ـ أنكم في تلكم البلاد أنتم أهل شوكتها ، وأهل حلها وعقدها ، ونراكم تفوزون بهذه السبقية إن شاء الله تعالى .

كان الله لنا ولكم ولياً ونصيراً ، وعلى سائر الأعداء ظهيراً ، وبلغكم أقصى المرام بالتمام ، وعلى خالص المحبة والسلام .

لإحدى عشر بقيت من جمادي الأولى عام 1323 .

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل ابن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

جريدة « صحراء المغرب » ع 54 ص 16 .

الباب الخامس

الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية

يمكن القول بأن رد المغرب تجاه هذه المطالب كان أشجع موقف اتخذته الحكومة المغربية ، ضداً على التحرشات الفرنسية في هذه الفترة .

وكما أشير له سلفاً : فإن فرنسا تقدمت للسلطان العزيز بمطالب تشرف بموجبها على تسيير الجهاز المغربي : في ميادين الجيش والمالية والإدارة ، وكان الحامل لهذه المطالب هو السفير تاياندييه ، حيث وصل لفاس يوم 26 يناير 1905 « 20 ذي القعدة 1322 » .

ويهمنا ـ أن نسجل ـ هنا ـ أن المسؤولين المغاربة اتخذوا موقفاً صارماً إزاء هذه المناورة الجديدة ، ورد المخزن ـ بواسطة وزارة الخارجية ـ أن السلطان يرغب في عرض المشاريع المقترحة على مجمع وطني يضم الهيئة الوزارية ، ومعها مجلس من الممثلين للمدن والقبائل .

ومبالغة في الاحتياط للأمر ، كان العاهل العزيز ، قد بعث بالدعوة للممثلين بمجرد ما علم بهدف السفارة وقبل حلول السفير بفاس بأكثر من شهر ، وهكذا وجه السلطان ـ بتاريخ 12 شوال 1322 « 20 ديسمبر 1904 » ـ مكاتب إلى عمال مدن المملكة وقبائلها ، ليرسلوا مبعوثين عن جهاتهم إلى فاس ، حتى يساهموا في دراسة المطالب الفرنسية .

ولحسن الحظ فإن هذه الإستدعاءات يعرف منها ـ لحد الآن ـ ستة نصوص : واحد منها إلى قبيلة دكالة .

والثاني : لقبيلة غيغاية وتدارة ...
والثالث : لقبيلة فطواكة .
والرابع : لقبيلة بني مسكين .
والخامس : لقبيلة الزيايدة .
والسادس : لقبيلة الخلط والطليق .

ويتبين من جميعها أنها حررت في شكل منشورات موحدة الصيغة . غير أن النص الأول معظمه منشور ، والخمسة الباقية مخطوطة ضمن وثائق الخزانة الملكية .

وقد ورد بهذه الاستدعاءات : « ... وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم : تأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم ... ممن تعتقدونهم في الأمانة والديانة . وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم ، وتأتمنوهم على نفوسكم ، وتوجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بقصد الحضور مع غيرهم ـ من أعيان جميع القبائل ـ على المفاوضة في الأمر العارض المذكور .. » انظر النص ـ كاملاً ـ عند الملحق رقم 45 .

واستجابة للدعوة الملكية توارد الممثلون إلى فاس من كافة جهات البلاد ، باستثناء المغرب الشرقي الذي تقوم فيه الثورة ، حيث لم يقع استدعاء نواب عنه[1] ، وانضم إلى الوافدين قضاة فاس الثلاثة . ونخبة من أعلامها وأعيانها . فصار مجموع أعضاء مجلس الأعيان أربعين ممثلاً ، وسترد أسماء المعروفين منهم آخر هذا العرض

ولتنظيم مسطرة العمل . طلب السلطان من السفير أن يبدأ بدراسة تمهيدية لمطالب دولته مع بعض أعضاء المجلس ، وأمام معارضته لهذا الاقتراح ، اتفق الجانبان على أن يناقش مجلس الوزراء ـ فقط ـ مع تاياندييه المشاريع الفرنسية ، على أن يحضر هذه الجلسات خمسة عشر مندوباً يمثلون المدن الرئيسية وأشهر القبائل ، ليكونوا كمستمعين يحتفظون بإبداء آرائهم حتى ينتهي السفير من عرضه العام ، وكان يتخلل هذه الجلسات اجتماعات خاصة بين الحكومة وكافة أعضاء مجلس الأعيان[2] .

وقد اتبعت هذه المسطرة في المرحلة الأولى للمباحثات ، فانعقدت خمس

---

1 ـ المذكرات الحجوية الأولى بعنوان : « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .
2 ـ « المسألة المغربية » ص 259ـ260 . مع المذكرات الحجوية الأولى .

جلسات في خمسة أيام متفرقة ، حيث ابتدأت بعد عطلة العيد الكبير يوم الأربعاء 17 ذي الحجة عام 1322/ « 22 فبراير 1905 » ، ثم استمرت إلى يوم الخميس 7 محرم عام 1323/[3] « 14 مارس 1905 » . وكان الاجتماع يقع في متنزه روض الوزير الأول المفضل غريط[4] ، في جلسات تعقد في الصباح والمساء ، تحت رياسة قائد المشور إدريس إبن يعيش .

ويحضر من الجانب المغربي الوزراء ، مع كل واحد كاتبه ، وخمسة عشر من المندوبين . ووزير فرنسا يرافقه دوسانت أولير ، وكايار ، وقدور ابن غبريط ، وهذا يقوم بدور الترجمة ، وكان ترجمان الجهة المغربية هو الطاهر بن محمد بن الحاج الأوديي[5] .

وقد اقتصرت هذه المرحلة الأولى على الاستماع لعرض عام للمقترحات الفرنسية من تاياندييه دون الدخول في التفاصيل ، مع العلم بأن الأعضاء الخمسة عشر سيدلون بأجوبتهم من بعد[6] .

ويذكر ابن زيدان أنه وقف على عدة دفاتر حاملة لمطالب السفير وأجوبة الأعضاء[7] ، غير أن هذه الدفاتر لا تزال في مكنونات الغيب ، والمعروف ـ لحد الآن

---

3 ـ « مقدمة » كتبها الطاهر بن الحاج الأوديي . وصدر بها عرض الترجمة التي عرب بها ميثاق الجزيرة الخضراء ، حيث يوجد ذلك في مخطوطة مبتورة الآخر ضمن وثائق خ . م . انظر التعليق 14 .

4 ـ « الاستبصار في عجائب الأمصار . والجبال والأنهار ... » : إسم مذكرات سجلها ـ بالدارجة المغربية ـ الطاهر بن الحاج الأوديي ، حسب نسخة « خاصة » بخط مؤلفها : ص 97 ، حيث يضيف أن الروض يقع بـ « الوريية » (من حي المخفية) .

5 ـ من ملف وثائق بعثة تاياندية ضمن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية : الوثيقة رقم 13 ، وسنشير لهذا المصدر ـ استقبالاً ـ بعنوان « ملف وثائق البعثة الفرنسية » .

وعن الترجمان المغربي : يرجع إلى إشارة وردت في كتابه « الاستبصار » ص 95–96 .

6 ـ « المسألة المغربية » ص 260 .

7 ـ « العلائق السياسية للدولة العلوية » لابن زيدان : شذرات مخطوطة منها : خ . م 11774 ص 58 : هامش .

وأستدرك الآن فأشير إلى أنه بعد تقديم الكتاب للطبع عثرت على واحد من هذه الدفاتر ضمن وثائق الخزانة الحسنية رقم 777 ، فترد في بعض فصول الأجوبة إشارة إلى أنها صادرة عن ممثلي مكناس ، مما قد يدل على أنه كان لممثلي كل منطقة دفتر تسجل به مقترحات السفير وأجوبة الأعضاء المعنيين . غير أن هذا الدفتر ليس به سوى عروض السفير في الجلسات 2 . 3 . 4 . 5 . وذلك ما سيرد عند الملحق 83 .

من وثائق الجانب المغربي ـ مجموعة من الأوراق الموضوعية يمكن تصنيفها في خمس وثائق :

1 ـ رسالة كتبها شاهد عيان من فاس إلى بعض أصدقائه ، ليخبره باجتماع عقده السلطان بدار المخزن يوم الأحد 21 ذي الحجة 1322 هـ . وحضره أعضاء مجلس الأعيان بكاملهم ، حيث تلقوا من العزيز تصريحاً مشجعاً ، ضداً على مطالب السفير في جلسة سابقة يتأكد أنها هي الأولى .

2 ـ عرض السفير في الجلسة الثانية .

3 ـ ورقة مبتورة من أولها يترجح أنها عن عروض الجلسة الختامية .

4 ـ النص الكامل للرد على المشاريع الفرنسية ، حرره ممثل من مدينة الرباط لم يذكر إسمه .

5 ـ قطعة بخط الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، تتناول الرد على عرض الجلسة الثالثة ، على بتر بأولها .

فهي خمس وثائق من تسجيلات الجانب المغربي عن مداولات هذه المرحلة الأولى من المباحثات في شأن المشاريع الفرنسية المقترحة على المغرب . وسترد نصوصها عند الملحقات ذوات الأرقام من 46 إلى 50 .

ونحاول ـ هنا ـ الإستفادة منها في استجلاء الموضوعات العامة لعروض السفير في جلسات المرحلة ذاتها .

وهكذا تشير الوثيقة رقم 1 إلى الجلسة الأولى ، حيث قدم السفير ثلاثة مطالب ألح في تنفيذها :

ـ وضع جيش فرنسي بمنطقة الحدود الشرقية .
ـ مد خطوط التلغراف والسكة الحديدية .
ـ جلوس مراقبين فرنسيين مع الحكام المغاربة .

وحسب الوثيقة رقم 2 : فقد طرح السفير في الجلسة الثانية قضية اختلال

الأمن ببعض المراسي المغربية ، وفي الحدود الشرقية ، واستخلص من هذا الوضع المطالبة بتنظيم الجيش تحت إشراف فرنسي .

وحسب الوثيقة الخامسة : تطرق السفير في الجلسة الثالثة إلى مشاريع إصلاح المراسي وتجهيزها ، وتنظيم البوليس والتلغراف البحري بها .

وحسب الوثيقتين الثالثة والرابعة : كان موضوع الجلسة الختامية مشاكل الحدود الشرقية ، ليرتب عليها السفير اقتراحاً بإسناد المحافظة على الأمن بهذه المنطقة إلى حكام الجزائر .

وبين الجلسة الختامية والجلسة الثالثة : تقع ـ بهذه الوثائق المغربية ـ فجوة بالنسبة لعروض الجلسة الرابعة ، لغياب المستندات الوطنية الخاصة بها ، غير أنه قد تبين من الوثيقة رقم 4 أن الجلسة المشار لها ، تناولت موضوعات أكثرها اقتصادية : إحداث البنك المغربي والضرائب . وتنظيم أملاك المخزن وأملاك الأحباس ، وإنشاء جواز السفر والتنبر ، والترخيص في نقل الموسوقات من مرسي إلى أخرى .

ومن هذا العرض ، وبالضبط من قراءة الوثيقتين الرابعة والخامسة ، نتبين الدور اليقظ في جواب العضوين من مجلس الأعيان ، مع التأكيد على أن هناك ردوداً أخرى في الإتجاه ذاته ، وقد علمنا ـ سلفاً ـ أن ابن زيدان وقف على عدة دفاتر حاملة لمطالب السفير وأجوبة الأعضاء ، هذا إلى أن تاياندييه يشير إلى أجوبة جاهزة يتقدم إليه بها الأعضاء رداً على عروض سابقة[8] .

فإذا رجعنا إلى الوثيقة الأولى ، نقرأ فيها تصريحاً ملكياً متعاطفاً مع مواقف الأعيان ، ومعارضاً لمطالب السفير التي تقدم بها في بدايات هذه المرحلة الأولى .

* * *

وخلال المراحل التالية من المباحثات ، يتوضح أكثر فأكثر ، الموقف المغربي اليقظ من هذه المطالب .

---

8 ـ « المسألة المغربية » ص 262 .

ففي المرحلة الثانية كان السفير قد انتهى من عرضه أمام مجلس الأعيان والوزراء . وأخذ مع أعضاء الحكومة ـ بمفردهم ـ يدرس تحليل المطالب بدءاً بالمقترحات العسكرية ، واستغرقت هذه المداولات معظم شهر أبريل ، غير أنه في أواخر الشهر ذاته ، أعلن وزير خارجية المغرب :

« أن السلطان يعتبر أنه ليس لهذه المحادثات المتعلقة بالإصلاح العسكري أي صفة رسمية ، وأنها ليست إلا محادثات ودية ، وأن المشروع الذي نجم عنها لا يمكن أن يكون نهائياً إلا بعد أن يلقى موافقة مجلس الأعيان »[9] .

* * *

ولابراز دور الممثلين : إستدعى ولي الأمر كافة أعضاء مجلس الأعيان ـ في المرحلة الثالثة ـ ليتدارسوا ـ من جهتهم ـ مشروع إصلاح الجيش . وأعلن أنه يترك لهم أمر قبول كل أو جزء من هذا المشروع أو رفضه ، وأضاف قائلاً : « أما ما يتعلق بي فلست إلا واحداً منكم » .

وبعد أن درس الأعيان المشروع العسكري تحفظوا في شأنه ، واشترطوا لإمكان قبوله ـ إذا كان ذلك ضرورياً ـ أن يحاط بضمانات دولية ، وفي الوقت نفسه أعربوا عن أسفهم ، حيث إن إصلاح الجيش لن يكون بوسائل المخزن الخاصة[10] .

* * *

وفي المرحلة الرابعة دعي جميع الأعضاء للاجتماع ، واتخذوا القرار النهائي في موضوع المطالب الفرنسية ، وقد أعلن المجلس :

أ ـ رفض المقترحات الفرنسية .

ب ـ دعوة الدول الموقعة على ميثاق مدريد ، لعقد مؤتمر لبحث الإصلاحات الملائمة لوضع البلاد[11] .

---

9 ـ « المصدر » ص 265ـ267 .

10 ـ نفس المصدر ص 267 .

11 ـ المصدر ذاته ص 270ـ271 .

وبناء على هذا القرار : سلم وزير الخارجية المغربية للسفير الفرنسي وجهة نظر المخزن ، في رسالة بتاريخ 28 مايو 1905 « 23 ربيع الأول 1323 » ، وقد ورد فيها حسب الترجمة الفرنسية :

« إن السلطان لا يجهل جوار الجزائر ... ولكن عندما عرض على أعيان البلاد ما كان قد دار بينكم ، طلبوا أن لا يوافق على أي إصلاح عسكري أو غيره في هذا البلد ـ بواسطة دولة واحدة أجنبية ـ إلا بعد عقد مؤتمر دولي في طنجة ، يشترك فيه وزراء الدول الموقعة على اتفاق مدريد . ومندوبو المخزن ، للتفاوض على الشكل الذي ستكون عليه الإصلاحات التي يقتضيها الموقف ، وأن يتفقوا بصورة ترضي الرأي العام » .

وهنا عقبت الرسالة بهذه الفقرة : « إن السلطان لا يمكنه أن يعارض الشعب ، ذلك لأن الشعب له الحق في ألا يهمل في مسألة لها مثل هذه الأهمية ... » .

ثم جاء في خاتمة الرسالة : « وبناء على ذلك ، فإن هناك أمراً سلطانياً لممثل السلطان في طنجة ، أن يطلب من الدول ـ بواسطة ممثليها ـ عقد مؤتمر في طنجة ، لبحث المقترحات التي يقدمها المخزن فيما يتعلق بالإصلاحات التي تناسب الموقف الحالي في المغرب »[12] .

* * *

وبأثر هذا الجواب ، قام النائب السلطاني بطنجة : محمد بن العربي الطريس ، بتسليم الدعوة إلى ممثلي الدول لعقد المؤتمر : في منشور قصير صادر عن وزير الخارجية المغربية ، ومحرر في فاس بتاريخ 30 ربيع الأول عام 1323/ « 4 يونيو 1905 » ، وهو يذكر أن السلطان أمره بدعوة الدول المعنية بالأمر ، إلى عقد مؤتمر يشترك فيه مندوبوها مع مندوبي المغرب : للنظر في إجراء الإصلاح الذي عزم جلالته على إجرائه في سلطنته ، وفي مسألة تدارك النفقات اللازمة للإصلاح ، مع مراعاة الأحوال الحاضرة[13] .

12 ـ « المسألة المغربية » ص 270–271 .

13 ـ « الدولة العربية المتحدة » 2/272 .

8 ـ افتتاحية النشرة العربية لعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء

عقد مشتمل على ما اتفق عليه المؤتمر الدولي في الجزيرة

بسم الله الغفار

ان جلالة قيصر المانيا ملك بروسيا باسم دولة المانيا القصرية
وجلالة قيصر نسا ملك بوهيميا وغيرها ملك هنغرية الابوستليك
وجلالة ملك البلجيك
وجلالة ملك اصبانيا
وجناب رئيس الولايات المتحدة
وجناب رئيس الجمهورية الفرنساوية
وجلالة ملك المملكة المتحدة اكريت ابريطوار لندة الاراضي
البريطنية التي من وراء البحار قيصر الدمند
وجلالة ملك ايطاليا
وجلالة سلطان المغرب
وجلالة ملك هلندة
وجلالة ملك البرتقال والكربات وغيرها وغيرها وغيرها
وجلالة قيصر الممالك الروسية بجميعها
وجلالة ملك السويد

المطبعة المغربية ـ بطنجة

وبهذا انبثق عن سياسة العزيز وقرار مجلس الأعيان : نقل مسألة الإصلاحات المطروحة من المجال الثنائي إلى الحقل الدولي ، غير أن مكان المؤتمر استبدل ـ بموافقة المغرب ـ بالجزيرة الخضراء عوضاً عن طنجة ، ومن هنا صار يعرف بـ « مؤتمر الجزيرة الخضراء » .

وكان افتتاحه يوم 16 يناير 1906/ « 20 ذي القعدة 1323 » ، ثم استمرت أعماله إلى 7 أبريل 1906/ « 12 صفر 1324» . وقد صيغت مقررات المؤتمر في نص موحد بالفرنسية ، يشتمل على 123 مادة موزعة بين سبعة أبواب ، وتم توقيع الأعضاء عليه ـ عدا المغرب ـ بتاريخ 16 ابريل 1906/ « 21 صفر 1324 » ، ثم نشر ـ بعنوان « عقد الجزيرة العمومي » ـ في المطبعة المغربية بطنجة عام 1907 : في كراسة تشتمل على الترجمة العربية : 57 ص ، فالنص الفرنسي : 49 ص[14] .

وحسب هذه الوثيقة : بلغ عدد الدول التي شاركت في المؤتمر ـ إلى جانب المغرب ـ إثنتي عشرة دولة ، وهي التي وقعت على اتفاق مدريد ، وجاء ترتيبها بالميثاق هكذا :

ألمانيا ـ النمسا ـ بلجيكا ـ اسبانيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ إيطاليا ـ هولاندة ـ البرتغال ـ روسيا ـ السويد .

وقد اختارت لتمثيلها ـ بالمؤتمر ـ دبلوماسيين ممتازين ، بينما كان الوفد المغربي يتركب من شخصيات موازية كالتالي :

ـ الحاج محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بطنجة : رئيس الوفد .

ـ الحاج محمد بن عبد السلام المقري : عضو .

---

14 ـ وخلافاً لهذه الترجمة : هناك تعريب ثان لميثاق الجزيرة : قام به الطاهر ابن الحاج الأودي ، غير أن الموجود منه يقف عند المادة 34 : في كراسة مخطوطة ضمن وثائق خ . م ، حيث أفاد منها هذا العرض حسب التعليق رقم 4 ، ومن الجدير بالذكر أن إسم المعرب غير وارد بالموجود من هذه الكراسة . وإنما عرف ذلك بواسطة إشارته في كتابه« الاستبصار » : إلى أنه كان ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، حسب معلومات عن حياته وردت في « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/ 3 .

ـ الحاج محمد الصفار : عضو .

ـ السيد عبد الرحمن بنيس : عضو مكلف بنفقات المؤتمر .

ورشح الطاهر بن محمد ابن الحاج الأودي ليكون ترجمان الوفد بالمؤتمر[15] .

ولا يهم هذا البحث عرض تفاصيل الميثاق ، ما دام الموضوع هو استجلاء ملامح اليقظة الرسمية في سياسة هذه الفترة ، وإنما تحسن الإشارة إلى أنه ـ رغماً عن الإنتقادات الموجهة لمقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء ـ استطاع المغرب انتزاع هذين القرارين :

ـ الوحدة الترابية .

ـ الاستقلال .

وقد استفاد منهما المغرب ـ إلى حد ـ في فترة محنة الحماية ، فاستمرت بذور الوحدة والسيادة ، لتعود إلى طبيعتها بعد استقلال البلاد .

ومن هذه الناحية ـ وحدها ـ نتبين جذوى سياسة العزيز وقرار مجلس الأعيان إزاء المطالب الفرنسية ، فقد عرف المغرب كيف يستفيد من التنافس الفرنسي الألماني الذي احتد عند هذه الأزمة .

---

15 ـ يشير لهذا الترشيح الترجمان نفسه : في المقدمة التي صدر بها تعريبه لميثاق الجزيرة في كراسة أشير لها بالتعليق الأخير رقم 14 ، ويذكر الطاهر الأودي أن الطريس استبدله بترجمان فرنسي ، حيث يبدو أن هذا الإجراء تبعه اختلال في سير الترجمة لبقية أعضاء الوفد المغربي ، فيقول المقري : « إننا هنا جالسون كتماثيل ، لا نستطيع أن نقول شيئاً ، ولا أن نفهم شيئاً مما يقال » : « المسألة المغربية » ص 351 .

ومن جهة أخرى : جاء بالمصدر الأخير ص 351 ـ 352 : إشارة إلى مترجم آخر للوفد المغربي باسم « مي عبد الوهاب » الذي عمل في معهد الدراسات الشرقية في برلين . وقد رشحته المفوضية الألمانية . إلا أن هذا المترجم لم يكن موضع ثقة عند المقري الذي قال عنه : إنه كان يعمل للألمان أكثر مما كان يعمل للمغاربة .

وقد ورد ذكر هذا الترجمان في رسالة من أحمد الطريس إلى ابن سليمان هكذا : « ... ورد لدار النيابة السعيدة ترجمان باشدور الألمان ، وشافهنا ـ على لسان باشدوره ـ بأنه إن اقتضى النظر الشريف استخدام السيد عبد الوهاب بن بو بكر بن علي المعلم في مدرسة اللغة الشرقية ببرلين في مدة المؤتمر ، ويعطيه جانب المخزن إبرة واحدة في اليوم مدة خدمته في المؤتمر ، ومصاريف ورود من برلين وإيابه : فالدولة الألمانية تساعد على استقدامه لقضاء هذا الغرض ورجوعه لمحله بعد انتهاء مدة المؤتمر ... » ؛ حسب نص هذه الرسالة في « كناش مكاتيب المندوبة السعيدة بطنجة » : خ . ع . ك 2720 ص 24ـ3 .

ونشير ـ بعد هذا ـ إلى أن مؤتمر الجزيرة كان فرصة للإعلان عن بعض المشاريع التي تعتزم الحكومة المغربية تحقيقها :

فهناك رسالة صادرة من وزير الخارجية إبن سليمان إلى النائب الطريس ، ليعرض هذا الأخير على المؤتمر ، مشروع إقامة بناية بمكان المنار القديم بطنجة ، لتشيد بها مدرسة طيبة ، ومحجر صحي للحجاج[16] .

كما أن وثيقة المؤتمر تشير إلى مقترحات ـ ذات طابع تجديدي ـ تقدم بها الوفد المغربي ، ومنها ضرائب متنوعة من بينها :

ـ ضريبة المباني .
ـ ضريبة على بعض الحرف والأشغال التجارية والصناعية .
ـ حق التنبر على العقود والرسوم العدلية .
ـ حق التسجيل عند بيع الأملاك .
ـ حق جوازات السفر ...[17] .

هذا إلى مقترحات أخرى بناءة تقدم بها وفد المغرب ولم يقرها المؤتمر ، وكانت هي غالبية التدخلات المغربية[18] .

وقد كان من الاحتياطات المخزنية ، أن الوفد المغربي لم تكن له الصلاحية لتوقيع الميثاق[19] ، ولما عرضت مقرراته على العاهل العزيز أبدى تحفظاً ، وحاول تحريك المؤتمرين ليعيدوا النظر في بعض بنوده ، ولكنه قوبل برفض شبه إجماعي[20] .

وأخيراً : زاره عضو المؤتمر السفير الإيطالي بطنجة ، وقيدوم الدبلوماسيين بها ، وحمل إليه رسالة من مليكه يترجاه فيها باسم الدول المشتركة في المؤتمر .

---

16 ـ نفس الكناش ص 31ـ1 .
17 ـ « وثيقة المؤتمر » عند المواد 61 ، 63 ، 64 ، 65 .
18 ـ « المسألة المغربية » ص 374ـ376 ، 380ـ81 ، 397 .
19 ـ « المصدر » ص 400 .
20 ـ « المصدر » ص 409 .

فلم ير بدأً من التوقيع على الميثاق ، وتم ذلك يوم الإثنين 18 يونيو 1906/[21] « 25 ربيع الثاني 1324 » .

فكانت هذه الموافقة من العزيز بداية لانتفاضة شعبية سنرى أبعادها في أماكن من هذا الكتاب .

* * *

ومن الجدير بالملاحظة أن مجلس الأعيان انقطعت صلته مع المخزن بالاستدعاء للمؤتمر ، ولم تقع استشارته إبان انعقاد المؤتمر ولا من بعده . وإنما أذن لهؤلاء الممثلين بالإنصراف ، دون أن يقع جمعهم وإعلامهم بنتيجة المؤتمر . ومن غير جبر خواطرهم بكلمة فضلاً عن أخذ رأيهم ، وهذا ـ حسب الحجوي ـ من أعظم الأشياء التي توجب غريب التعجب من السياسة الخرقاء التي ارتكبتها الوزارة العزيزية .

وهكذا فإن هذا المصدر يضع مسئولية هذه النهاية لمجلس الأعيان في ذمة الوزراء وحدهم ، وفي الوقت نفسه يشيد المؤلف ذاته بالإتجاه الديمقراطي للسلطان ، في فقرة مطولة نقتطف منها ما يلي :

« إن مولاي عبد العزيز قد جالت في رأسه فكرة الشورى والديمقراطية ، وأتاه سفراؤه بهذه الأفكار فعجل بها ... ولما نزل به الأمر العظيم ، وهو مجيء السفير الفرنسي بمطالب فرنسا في إصلاح المغرب ... فأول ما عمل مولاي عبد العزيز ، فرق أوامره على مدن المغرب بتوجيه نوابهم للاستشارة في الأمر »[22] .

ومرة أخرى يقول محمد الحجوي : « ويمكن أن نقول : إن مؤتمر فاس أول مجلس شورى ، وأول مؤتمر سياسي مغربي من نوعه في الأعصر الأخيرة »[23] .

ونختم هذا العرض بالبحث عن أسماء الأعضاء بمجلس الأعيان ، ويؤكد

---

21 ـ « تاريخ المغرب في القرن العشرين » تأليف روم‌لاندو : النص العربي ص 93 .

22 ـ المذكرات الحجوية الأولى بعنوان « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .

23 ـ نفس المصدر .

مصدر أجنبي أن عددهم يبلغ أربعين ممثلاً ، بينما يصعد مصدر مغربي[24] بتعدادهم إلى خمسين عضواً ، وأياً كانت الأرقام ، فإن اللائحة الكاملة لأسمائهم لا تزال غير معروفة ، والمعروف منهم ـ لحد الآن ـ لا يزيد على سبعة عشر اسماً كالتالي :

فمن فاس : سبعة من العلماء وبعض التجار :

1 ـ الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .
2 ـ قاضي مقصورة السماط الشيخ عبدالله بن خضرا السلوي .
3 ـ قاضي مقصورة الرصيف الشيخ حميد بن بناني .
4 ـ قاضي فاس العليا الشيخ محمد بن رشيد العراقي .
5 ـ والمفتي : الشيخ العباس التازي .
6 ـ والمفتي : الشيخ المهدي الوزاني .
7 ـ إلى بعض التجار[25] بينهم الحسن بن العربي الحجوي[26] ، والدُ الشيخ محمد الحجوي المفكر الشهير .
8 ـ ومن مكناس إثنان : الأمين المكي بن الحسين التراب[27] .
9 ـ والوجيه المهدي بن محمد العيسوي بن الفضيل الطاهري[28] .
10 ـ ومن الرباط ثلاثة : القائد الصديق بن محمد بركاش .
11 ـ والأمين عبد السلام بن مَحمد والزهراء .
12 ـ والأمين الحاج عبد الرحمن العوفير .
13 ـ ومن سلا إثنان : خليفة عاملها أبو العباس أحمد الطالبي[29] .

---

24 ـ مكاتب « المنار » يبلغ بهم إلى خمسين عضوا ، حسب مجلة « المنار » بالمجلد 8 ص 158 ، ويقدرهم مكاتب جريدة تونسية بنحو الخمسين فأكثر : جريدة « أظهار الحق » عدد 43 . الأحد 6 محرم 1323/12 مارس 1905 ص 4 .

25 ـ جريدة « إظهار الحق » : في نفس العدد والصفحة .

26 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

27 ـ من استجواب مع الوطني المرحوم المختار أحرضان الطنجي .

28 ـ استجواب مع ولده الأستاذ محمد الطاهري .

29 ـ من آخر الكناشة الوسطى لفقيد المعارف الإسلامية المرحوم محمد المدني بن الحسني : بنقل ولده الأستاذ المرحوم سيدي عبد الكريم ، وبخصوص بركاش : استجواب مع الأستاذ المرحوم السيد أحمد الزبدي الرباطي : بمنزله غروب يوم الجمعة 23 جمادي الأولى 1378/5 دسنبر 1958 .

14 ـ والأمين مولاي أحمد الصابونجي[30] .

15 ـ ومن طنجة ثلاثة : الأمين الصديق أحرضان .

16 ـ والوجيه العربي أبا رودي[31] .

17 ـ والحاج الحسن الغسال[32] .

---

30 ـ من استجواب مع القاضي المرحوم الشيخ الهاشمي ابن خضراء بمنزله عشية نفس اليوم المشار له وشيكاً ، وأضاف إلى الصابونجي كلاً من الطالبي بسلا ، والعوفير بالرباط .

31 ـ من استجواب مع المرحوم المختار أحرضان بالنسبة لوالده الصديق ، وجاءت الإشارة له ـ أيضاً ـ ومعه العربي أبا رودي عند الرسالة رقم 1 من « ملف وثائق البعثة الفرنسية » .

32 ـ من الترجمة التي كتبها له الأستاذ الكبير عبدالله كنون ، حيث نشرها في جريدة « الميثاق » : بالعدد 253 بتاريخ 1 رمضان 1397/17 غشت 1977 ص 5 .

ملحق 45

الصيغة الموحدة لرسائل الاستدعاء لحضور مجلس الأعيان

خدامنا الأرضين . قبيلة ... وعمالهم وأعيانهم . وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته .

وبعد فقد علمتم أننا ـ بحمد الله ـ منذ طوقنا الله ـ تعالى ـ أمر المسلمين . وقلدنا ربقة التكليف بحياطة الرعية والدين ، ونحن مجتهدون في حفظ قواعد نظام الإسلام . وقائمون بواجب النصيحة والمدافعة والإهتمام ، وباذلون في مصالح المسلمين نفائس الأعمار ، ومستعدون لذب أهل الفساد عنهم بكل ما أمكن من عدة التقوية والإنتصار . وما زلنا على ذلك نكافح عن جانبهم صروف الحوادث . ونحصن ساحة الرعية من خوض كل خائض ونكث كل ناكث . قياماً بما أوجبه الله علينا كتاباً وسنة ، وامتثالاً لقوله ﷺ : « أيما عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بما يحوط به نفسه إلا لم يجد رائحة الجنة » .

ولا يخفى عنكم ولا عن غيركم ما قاسيناه في تمهيد القبائل وتسكين فتنتها . والسعي في إصلاحها وإنقاذها من دواعي الفساد ، ومن ظلمات أهل البغي والعناد . وما لا زلنا نعانيه من إرشادها ، وتأسيس مصالحها العائدة عليها بنعمة الهناء والرعاية . وتأمين طرقاتها من عوارض الإذاية ، حتى أنفقنا في ذلك ذخائر الأموال ، وبذلنا نفائس الأعمار في تدارك المصالح بتقويم أجناد الخيل والرجال . سعياً فيما يرضي الله والرسول ، وتوفية بحق الله الذي عنه الراعي مسئول ، وحرصاً على صيانة أموال المسلمين ودينهم وأعراضهم ، وإبقاء لهم في ظلال الأمان التي تدفع عنهم ـ بحول الله ـ حوادث أعراضهم ، ولا يجهل ذلك كل من تدبر من أهل البصر والبصيرة ، واعتبر بعقله فيما أظهره صرف الوقت واقتضاه حال السيرة . وما زالت شفقتنا عليكم تحملنا الإجتهاد في المحافظة على نظامكم ، ومدافعة الضرر عن مالكم ودينكم وأحسابكم . رجاء أن يحقق الله الظن بدوام حفظ هذه الإيالة السعيدة . وحياطتها بألطافه المديدة .

إلى أن عرض أمر مهم من آكد الأمور ، التي يهتم بها الخاصة والجمهور ، ولم يسع فيه إلا الكتب لسائر قبائل رعيتنا السعيدة ، لتعين كل قبيلة أفراداً من كبرائها وأعيانها ، ممن يثقون بهم ويأتمنونهم على أمور دينهم وعرضهم ومالهم ، ويرتضونهم وكلاء عنهم ، ولا يرون في قبيلتهم أصلح ولا أرجح منهم ، ويوجهونهم لشريف حضرتنا بقصد اجتماعهم على المفاوضة في علاج هذا الأمر الملم ، والخطب العارض المهم ، لتكون المشاورة فيه بين جميع أعيان الرعية ، ونستبريء بذلك لديننا ، ونخلص من شوائب التقصير الذي يتوهم في العمل والروية ، إذ ـ على كل حال ـ إن المشورة في الأمر العام أمر مطلوب ، لا سيما وفيها سر الإصابة بتوفيق الله مع سلامة الصدور واطمئنان القلوب .

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم ، نأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم ،

ممن تعتقدونهم في الأمانة والديانة ، وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم ، وتأتمنونهم على نفوسكم ، وتوجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بقصد الحضور مع غيرهم ـ من أعيان جميع القبائل ـ على المفاوضة في الأمر العارض المذكور ، عسى الله ـ تعالى ـ أن يلهم الجميع فيه للوجه المشكور ، فإنه ـ سبحانه ـ كفيل لهذه الأمة المحمدية بأن يعاملها بما يرضي رسوله خير العباد ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، والسلام .

في 12 شوال عام 1322 .

ملاحظة :

كما أشير له : فإن هذا الملحق يمثل الصيغة الموحدة لرسائل الاستدعاء لحضور مجلس الأعيان وعددها ستة ، وهناك رسالة استدعاء لقبيلة الرحامنة حررت في صيغة مباينة ، وسيرد نصها ضمن الملحقات الختامية التي يذيل بها على هذا الجزء .

نشر معظمها في مجلة « المغرب الجديد » بالعدد 8 ص 31ـ32 .

وتكملتها من نصوص مماثلة ضمن محفوظات قسم الوثائق خ . م .

ملحق 46

رسالة تصف إجتماعاً عقده العزيز مع أعضاء مجلس الأعيان ، للتعقيب على وقائع الجلسة الأولى مع السفير الفرنسي

« ... فقد كنت أخبرتكم ـ قبل هذه البوسطة ـ بما صدر بالأعتاب الشريفة . وبما وقع في الجمع بروض الوزير في المناظرة مع الفرنسيس . فإن سيدنا ـ نصره الله ـ أمرهم أن يسمع منه ولا يجاوبه أحد ، فلم يقصر في التطاول والجسارة والطيش والقوة ، حتى قال لهم : إنما أنتم صرتم من دولتنا ، وسلم جميع الأجانب التصرف بالمغرب ، وإن لم تساعدوا على الشروط المطلوبة فإن يد الفرنسيس طويلة عليكم . وقد انتخبكم السلطان من الثغور لتوافقوا على هذه الشروط . فأجيبوني عن ثلاثة شروط ، وسلموها لنبين لكم غيرها . وأطال في الجسارة على عادته ...

حاصله : فظن جميع الناس الذين بالجمع من العلماء والوزراء والوفود وأرباب الصدور : أن الأمر تم ، وساعده (السلطان) على المطالب ، فلأجله قاموا حيارى ، وغابوا عن حالهم ، وحصل لهم الدهش بالبكاء والنحيب ، ثم طلب الوزير أن يمهلهم في الجواب .

حاصله : فلما بلغ الخبر لسيدنا ـ أيده الله ـ بما صدر من الفرنسيس ، اغتم غماً شديداً من سوء كلامه وتطاوله ، وافتخاره بالمحال الذي لا يقبل شرعاً ولا طبعاً .

ثم أن يوم الأحد تاريخ 21 منه (ذي الحجة 1322هـ) وقع الجمع بالعتبة الشريفة : الوفود وأرباب الصدور والعلماء والقضاة . وسيدنا الشيخ رضي الله عنه (يقصد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني) جالس والقضاة والوزراء ، وسيدنا ـ نصره الله ـ قريب منهم ، فقال لهم ـ بأعلا صوته ـ قائد المشور : يقول لكم سيدنا أعزه الله ونصره : إن ما صدر به العدو الكافر من الطيش وسوء الكلام : فإنه أساء الأدب علينا .

فأما قوله يد الفرنسيس طويلة علينا وسلم له النجليز وغيره من الأجانب : فنحن ملوك سلفاً عن خلف ، ولا كانت دولة المغرب تحت جنس أصلاً ، والنجليز ليس له يد علينا حتى يسلمنا إليك ، فنحن دولة مستقلة مثل جميع الدول ، فلو كان النجليز ملكنا تحت دولته ثم سلمنا إليه يكون لنا ما يكون . فنحن ـ والحمد لله ـ دولة مستقلة مخصوصة من قديم الأعصار . يتصرف ملوكنا كيف شاءوا بأنواع التصرفات .

وأما جميع ما طلبه لم نساعده على شيء أصلاً ، وها هي مقيدة تسعة شروط ، وكل شرط تحته شروط مطوية . فقد أجبته عنها بسياسة ولطف فقرأها ، ومن ظهر له شيء فليكتبه ، فأنتم والوزراء وسيدنا سواء في هذا الأمر ، ومن أراد أن يتكلم فليتكلم ، فكلنا سواء ، وهذا هو العمل والمعول عليه ، أحب أم كره ، وإن أراد غير هذا فنحن بصدده فيما يريد بحول الله وقوته ، فإني لا أحول على هذا النظر أصلاً .

حاصله : ظهرت من سيدنا ـ أعزه الله ـ قوة عظيمة ، واجتهاد كبير في اجتماع كلمة الإسلام ، ففرح أهل الجمع ، ووقع لهم من السرور ما لا يعلمه إلا الله ...

ولما تلاقى الفرنسيس قبل هذا ودفع الشروط الوارد بها لسيدنا ـ أيده الله ـ أرسلها لسيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ، فأجاب عنها بكراس مملوء بالقواعد والسياسة والقوانين ، ثم أكد عليه بمطالعته ... فلما تم المجلس وكان هو المتكلم والفقيه القاضي سيدي عبد الله بن خضراء ، فخرج الأمر الشريف أن سيدنا الشيخ يطلع ـ يوم تاريخه ـ للقى ، ليتفاوض مع سيدنا في بعض الشروط وما يضاف إليها .

وقد وقع الجمع البارحة بروض الوزير بالمناظرة ، وجميع المكلفين والعدو معهم ، فطلب منهم الجواب عن الثلاثة شروط ، فقالوا له بين لنا جميع مطالبك وشروطك لنجاوبك عن الجميع ... » .

أما الشروط الثلاثة فهي عبارة عن ثلاثة مطالب عرضت في ميمنة الرسالة ـ بهامشها ـ هكذا :

الشرط الأول : طلب نزول العسكر بالحدادة .
الثاني : طلب إنزال العسكر بالسلك وبأبور البر .
الثالث : طلب الجلوس مع الحكام .

. من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور السيد الحاج العربي إبن سعيد .

ملحق 47

تقرير عن عروض السفير الفرنسي في الجلسة الثانية لمجلس الأعيان

الحمد لله .

المجلس الثاني

لما طولب الباشدور بتمام الكلام وتفصيل المجملات : أجاب بالإستفهام عن التفصيل المطلق : هل في جميع ما تحمله . أوفى التنظيم العسكري فقط ؟ فأجيب ببيان الجميع .

فذكر أن التفصيل متعلق بالمباشرة . وحين يتلاقى سيدنا ـ أيده الله ـ يبين له ذلك . فأجيب بأن سيدنا ـ أيده الله ـ كلف أعيان الرعية بتلقى ذلك منه .

فذكر أنه حين تلاقى ذكر لسيدنا ـ أيده الله ـ أن يعرض كلامه عليهم . ولا خلاف في الموضوع . وإنما بقيت كيفيته المباشرة بيديها لسيدنا أيده الله . ثم قال : إن التقرير الإجمالي يقرره بمحضر الجمع . لكن المباشرة خاصة بالملاقاة .

ثم شرع في تتميم الكلام فقال : إنه كان قرر لدولته من الخصوصيات . وما يلزم عليها في الدولة الشريفة . وبيان العلل المتعينة الصلاحات (كذا) . ولا سيما الأمور العسكرية . وإنما يطلب الإنصات والاستيعاب .

ثم قال : نواحي هذا القطر المفتقرة للتنظيم هي النواحي التي فيها التجارة الأرباوية . وحصل لأهلها التشويش . وصارت تتشوف لحماية الأجانب . وخصوصاً الكوشطات . ثم نواحي الحدود من البحر الأوسط إلى الصحراء .

وإنه يقدم الكلام في الكوشطات . وهو أنه لا يخفى أن المتعاطين للتجارات يطلبون الأمن على أموالهم وأنفسهم . وفيهم منافع بالسلع . ومنفعة للوطن . وإن هذا الموضوع كثير من الأجانب والأجناس عقدوا فيه عقوداً .

10 - اللوحة الأولى من مصورة الملحق 47

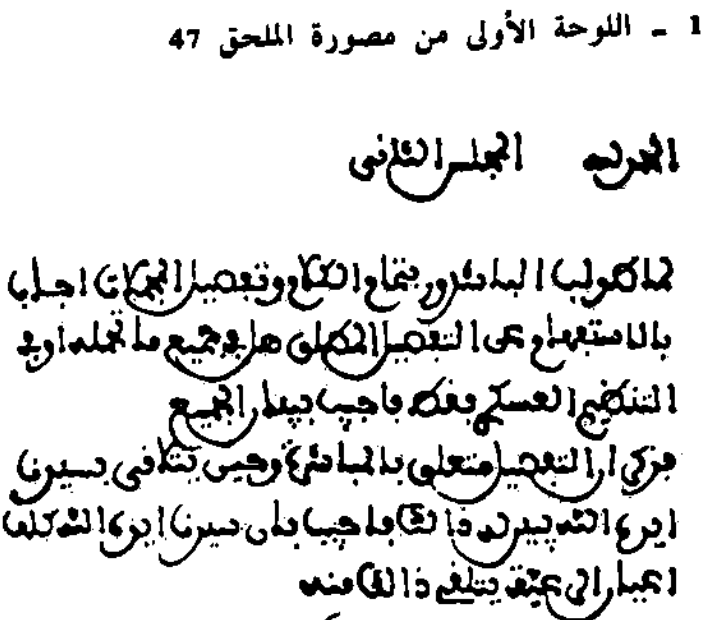

ولا يخفى أن الدول التي عندها التجارة في هذا المغرب تطلب التسهيل والأمن على أنفسهم وأموالهم ، وأول ما يناسب لإصلاحات التجارة إصلاح المراسي وتحصينها ، لأنها اليوم ليست ضامنة لصيانة أموال التجار . وأعظم الحصون هو الأمن الذي صار ينقص . وتكررت الشكايات التي يجب الاعتراف بأنها على صواب . وأما ما يرجع للحوادث فكثيراً ما كانت تقع . لكن هذا الحادث أدى إلى الإضرار بالحدود ، وزيادة تقاقمها ، حتى إن العمال لم يبق لهم نفوذ .

وأنه أراد أن يقدم الذكر على طنجة . وإنها لها بال . فيتعين صرف المخزن همته وباله لها . وإن قبل هذا كانت مأمونة ، على أن نحو الثلثين منها خارج المدينة . واليوم صارت كأنها في حالة الحصار من عدم الأمن . وزاد ذلك بقوة بعض الفساد ، حتى صارت كلمتهم هناك أعظم من كلمة النائب . وبعضهم يتعرض في نواحيها للناس ، ولا زال ذلك في زيادة . ولا يخفى ما كان وقع من قبضهم على بعض الأرباويين ، وتكتيف البعض ، وتقدم استرعاء الأجانب في ذلك ، لأن ضمانته المخزن ينبغي أن تكون محفوظة .

وإن طنجة فيها نواب الدول ، وقد صارت مركزاً عظيماً . وإنهم يطلبون الأمن على تجارتهم ورعاياهم ، وعيونهم كلها مفتوحة لها ، ولا أمن فيها ، على أنه ينبغي للمدن الساحلية أن تكون فيها قوة النفوذ المخزني . واستشهد بأن أصيلاً وقع فيها ما يصدق عدم النفوذ المخزني .

وكان وقع ما وقع بالعرائش ، حتى ظل البارود يخرج ، وصار الأرباويون الذين يطلبون الاستغاثة على الوجهة الحبية ، فحصلت بسبب المركب الذي نزل بمرساها على يد النواب .

وكذلك ما وقع بالدار البيضاء : بهجوم بعض الفساد عليها بعدم نفوذ العمال ، حتى صولحوا ورجعوا .

وإنه لم يقرر الوقائع ، بل نفص واختصر ، وعلى هذا تتعين القوة والنفوذ في كلمة العمال ، وهذه القوة استدعاها الوقت ، ولو تكون قليلة تكون مضبوطة .

ولا يخفى ما وقع من حادث بردي كريس ، ولما توجهت المحلة لأجل ذلك

أول ما شرعت فيه النهب ، فتعين الكون على بال من شكايات الدول بأن الضرر تزايد ، وأن القوة في نقصان ، ولم يبق على تجارتهم أمن ، والأجوبة التي صدرت لهم انتشرت في الجرائد .

ثم قرر الوقائع بنواحي الحدود المتعلقة بأفرانصا خاصة ، فقد حصل لها ضرر عام بعدم الأمن لرعيتهم ، وهي منقسمة بين تل وصحراء ، فالأول إلى نواحي سعيدة ، وكثيراً ما يقع فيها القتل والنهب ، ويفر الفعال إلى الإيالة المغربية ، وبلغ الترامي إلى قرب تلمسان ، وهذا نحو عام ونصف وقعت نهوب وهجومات فيما بين تراب إيالتهم إلى ناحية سعيدة ، ولزمتهم صوائر للمدافعة عن أنفسهم .

وأما نواحي الصحراء : فيقع كل يوم أكثر من ذلك ، ولزمتهم مشقة في كف رعيتهم عن المقابلة لأخذ الثأر .

وأما نواحي فجيج ففيها تجار أفرانصا ، وكانت بها العسات الأرباوية ، وفي هذه الأيام قتل من أهل تلك العسات نحو سبعين أرباويين ليلاً ، وإنكم تعرفون الوقائع العظيمة التي صدرت في الحدود ، ولا يخفى ما يلزمهم من الصوائر ـ على حفظها ـ على نحو ثلاثين ألفاً من العسكر ، فيصير على ذلك كل سنة نحو الأربعين مليونا من الأفرنك ، ولا يخفى أن لصبر دولتهم حد ونهاية ، وكثيراً ما يدافعون ، وربما يأتي وقت لا يمكن الصبر والمدافعة فيه .

وعلى كل حال فلولا أنه لم تتقدم وفاقات بين الجانبين على حفظ الحدود بإعانة منهما معاً : لوقع دخول الإيالة الجزائرية ، ولا يقدر على منعها ، وهذه الوفاقات هي ـ بنفسها ـ التي حفظت نواحي الحدادة المغربية ، ولولا وجود هذه الوفاقات والتشكي بكثرة صوائرهم وشيوع الضرر لم يستعجل المباشرة ، لأنهم طالما صبروا غيرهم ، ويواعدونهم بسبب تلك الأوفاق ، لكن حيث كثر وعدهم بالصبر تعين تدارك المباشرة ، لأنه يبق وجه لتصبيرهم .

وعلى كل حال : إذا لم تكن للمخزن قوة بأي شيء يرد السحاب العام ، وقد أبدى شاهداً : وهو أنه كانت حلت قوة من عسكرهم بنقطة من الإيالة المغربية بغير إذن من الدولة الجزائرية ، وكان حلولها على الوجهة الحبية ، حتى منعوا

11 ـ اللوحة الثانية من مصورة الملحق 47

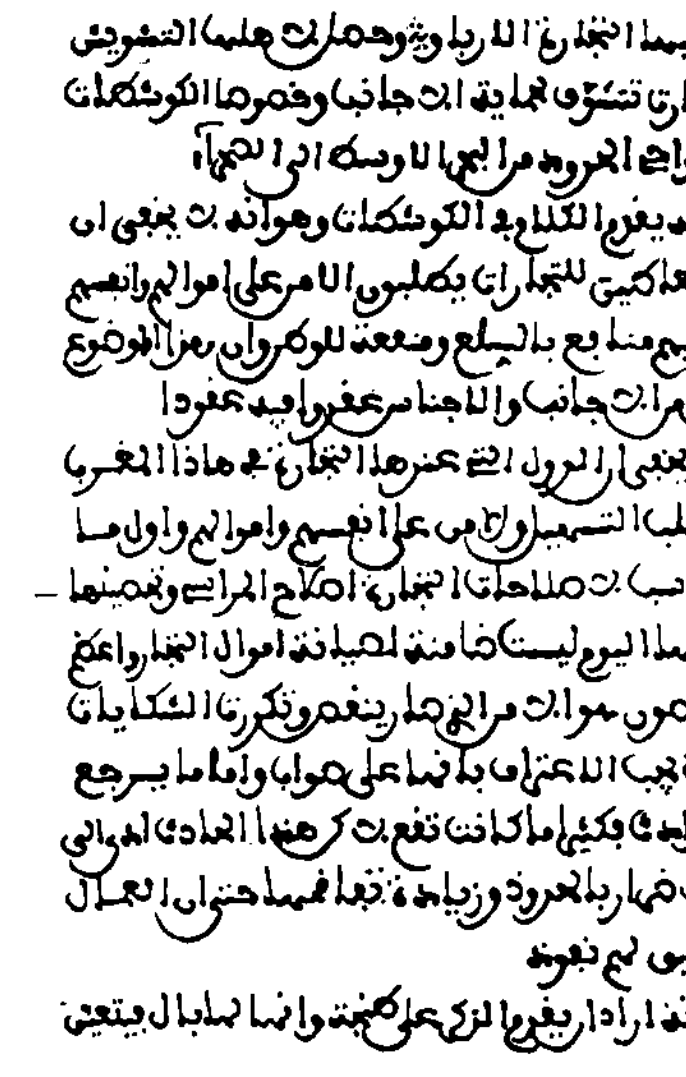

الفتان بنواحي عيون بني مطهر ، وما توقفوا على طلب ذلك من الدولة المغربية . لكن اقتضاه الحال على الوجهة الحبية ، وحيث حلوا بتلك النقطة فلم يمكن لهم إنهاضها ، لأنهم إن أنهضوها يعمر الفتان المحل .

نعم إذا يعمرها المخزن تنهض حينئذ محلتهم ، وبوجود تلك الأوفاق أجازت دولتهم عسكر المخزن بترابها ، وما قدرت دولة ـ فيما تقدم ـ أن تجيز عسكراً أجنبياً ما عداها ، وذلك دليل المحبة ، فسامحوا وساعدوا على سبيل الإعانة .

والعسكر المخزني لما أجازوه وسلك في ترابهم وبلغ الإيالة المغربية : صار يفر من عدم المؤنة ، ولما حل العسكر بفجيج صار يبيع العدة فيشتريها الفساد ، ويضربون بها الإيالة الجزائرية ، وذلك كله من عدم التنظيم .

وصارت الملامة ترجع عليهم من رعيتهم : بكونه تسبب في إتيان العسكر الذي يبيع العدة لمن يؤذيهم بها ، ويجيبهم بأن لهم الحق ، لكن فجيج هو للمخزن ، فعليه أن يحفظه بعسكره .

وعلى كل حال تعين اليوم أن نواحي الحدود تضبط وتحفظ ، بحيث إذا قدرت الإيالة المغربية بذلك لم يبق يلحقهم ضرر الصوائر التي بلغت ما تقدم .

وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم الذي تحمله .

ثم قال : فمن يرى العسكر الآن يراه صالحاً بطنبوره وكبرائه ، نعم إن وقع التنظيم تبقى كيفيته على حالها ، وإن القوة المطلوبة في التنظيم : هي أن تكون يومية ، ويرتب مأكوله ، وتعين مساكنه ، ويكون تفاوت مراتبه بحسب المزايا ، ومن وقعت منه هفوة يعاقب .

ومن الأصول ـ على سبيل التقرير ـ أن يقدر طابور ـ مثلاً ـ كان يعد بخمسمائة : فتكون تامة دائماً ، لا ينقص من عدده أبداً ، وعدم ضبط الأمور العسكرية ضرر على الدِّين والرعية ، فإذا كان طابور يعد بذلك العدد ، وتكون نسخ عند النكلفين : لا ينبغي أن يكون عدده يعرض له النقص أصلاً .

ومن مرض يعالج ويرد لمحله ، ومن فر يبحث عنه ويرد كذلك ، ويتعاهد

الطابور بالتسراد في كل شهور 3 ، ولا ينقص عدده .

على أن الذي يفر لا موجب لفراره إلا إهماله من المؤنة ، أو خصاصة من القوت ، وإن تعذرات المؤنة هي التي أوقعت الأفة في العسكر ، فبسببها يفر أو يبيع العدة ، وإن المؤنة والطعام والتنظيم : إن لم يكن في جميع العسكر دفعة ، فينبغي أن يجرب في طابور واحد ، حتى تعرف نتيجته .

ومن شرط التنظيم أن لا يكون العسكر متفرقاً ، بل تكون القشالي مجتمعة ، وتنظر له المحال المناسبة ، وهذا التنظيم لا بد فيه من الرجال الذين يقومون به ويحسنونه ، ويعرفون تحريبه ، وتعيينهم متوقف على أفراد . وأولى العارفين بذلك دولة أفرنصا ، فعندها أفراد من رعيتها المسلمين يعرفون ذلك .

على أن العسكر الذي ينظم ينبغي أن يكون مختاراً ، ولو لم تكن فيه كثرة الأعداد ، وعلى تقدير أن يكون طابور المشاة مئات 500 صحيحة ، فكل مائة تنقسم على نصفين : يكون على كل نصف مكلف عسكري جزائري عارف بالتنظيم الداخلي ، ويكون على كل مائة مقدم جزائري ، سوى في عسكر الطبجية : فعلى كل مائة يكون مقدمان ، ويكون طابور الطبجية مؤلفاً من مئين 300 : مقسومة كل مائة على نصفين ، وعلى كل نصف مكلف جزائري : وظيفته تغريف الخمسين بصقل سلاحهم وملبوسهم ونحو ذلك من الضروريات . ومن غاب منهم ينوب عنه في ذلك .

والمقدم الذي يكون على المائة يكون حراباً ، ويعان بسرجان وعسكري ، فيكون ـ حينئذ ـ على كل مائة ثلاثة بإندراج الأخرين .

ويكون على كل مائة من الطبجية أربعة : إثنان نفر ، وإثنان مقدمان ، أما الافرانصاويون : فيكون على كل طابور واحد .

والطوابر التي تنظم بطنجة : أكثر ما يكون على العسكر الذي ينظم بها أربعة افرانصاويون : أحدهم كبير عليهم ، ويكون له كاتب ، فيكون هو الخامس ، ويكون عدد العسكر بتقريب 1500 ، ومقدمون مسلمون ، ونفر جزائريون .

في المخزن همتد وبالله تمما وافضل جاذا كانت ما مونة
على ان نعوا الكثير منها خارج المدينة والبر وصارن كانما
في حالة الحصار وعدم الامن وزاد ذلك بفوق بعض
الجنود حتى صارن كلمتهم هناك اعلى من كلمة النائب
وبعضهم يتعدى في نواحيها للناس وازال ذلك بزيادة
وبت بعض ما كان وقع من بعضهم على بعض الاربا وبين وتكتيف
البعض وتفريق واستدعاء الاجانب بذلك الكل مما ذكر
المخزن ينبغي ان تكون محفوظة
وان كتبة قيمة نواب الدول وقد صارن في كرب عظيما
وانهم يطلبون ان من على بضائعهم ويحملها ويعيدهم
كلما مفتوحة تماما وامر قيمة على انه ينبغي للمدن
الساحلية ان تكون قيمة فوق البوغاز المخزن واستشهد
بدار الصباغ وقع قيمة ما يصرف عرف البوغاز المخزن
وكان وقع ما وقع بالعمائر حتى كفل البلد وقد خرج
وصار الاربا وبون الذين يطلبون الاستغاثة على
الوجه الحيد بحصلت بسبب المركب التي نزل بمرساها
على بعد النواب

وكذا الى

وكما يعين التنظيم بطنجة : يكون ما يناسب في غيرها : كوجدة وفجيج وغيرهما

وإن الذي يظهر أنه لا ضرر في هذه الكيفية على الدين ، ولا على الأعراف ، لكن ينبغي أن يكون للافرانصاويين المكلفين النفوذ في عدم تعطيل المؤنة ، وفي طعام العسكر وملبوسه والمراقبة عليه .

والمقصود بالتنظيم حصول الأمن ، وطاعة الإيالة ، وتقوية جانب المخزن .

والمقصود الثاني : أنهم اختاروا التحري بتعيين المسلمين الجزائريين ، حتى لا تتطرق الخيالات للناس .

وهؤلاء الإفرانصاويون يكونون عند نظر المخزن ونظر ولاته ، ويتحافظون على مقام المخزن ، وسائر ما يتوقف العسكر عليه يتمشون فيه على نظر المخزن .

وبيان المؤنة الطعامية : أن ينفذ ـ مثلاً ـ للعسكر كروش 6 ، وحيث يتيسر الطعام ينقص له منها بقدر ما أكل ، ويعطاه الباقي .

ويكون في المشاة مرتبتان : أعلاها كروش 7 للواحد ، وأدناها كروش 6 .

وفي المقدمين مرتبتان : أعلاها بساسيط 2 وكروش ، وأدناها بساسيط 2 فقط .

وفي قواد المئين مرتبة واحدة ، فيها ريال واحد لكل واحد .

وكل ينقص له بقدر ما أكل من مؤنة الطعام .

وقواد الأرحى يكونون على مراتب 3 : أعلاها بريال 4 . وتحتها بريال 3 ، والروتية بريال 2 .

والمؤنات يكون لها أمناء تحت المراقبة ، ويكون للأمناء مرتبتان : أعلاها بريال 3 للواحد ، وأدناها بريال 2 .

ولهم خلائف : فلكل أمين خليفة . والخلائف على مرتبتين : أعلاها بريال 1. 1/2 ، وأدناها بريال 1 .

والحرابة الأفرانصاويون : يكون لهم كبير واحد على جميعهم . يقبض في العام ألوف 15 من الأفرنك .

وأما القسينات : فبحسب مراتبهم وخططهم وحالهم : من ألوف 7 أفرنك في العام ، إلى ألوف 8 ، إلى ألوف 9 .

وهنا انتهى كلام الباشدور .

من مخطوطات المكتبة الأحمدية بفاس .

13 - اللوحة الأولى من مصورة الملحق 48

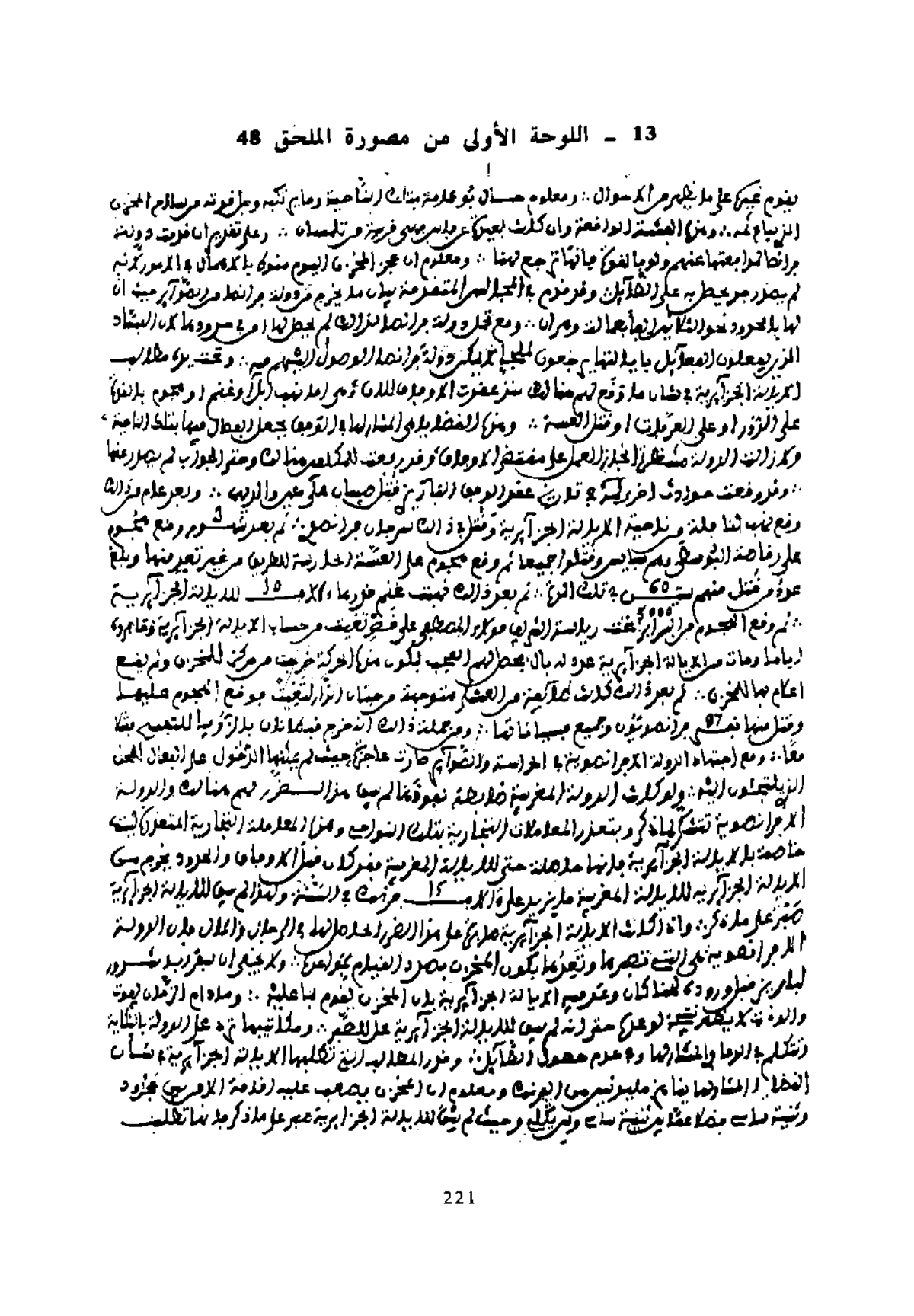

ملحق 48

تقرير ـ مبتور الأول ـ عن عروض السفير الفرنسي في جلسة يترجح أنها الجلسة الختامية لمجلس الأعيان

... يقوم غيره على ما يظهر من الأحوال . ومعلوم حال بو عمامة بتلك الناحية وما يرتكبه . وجل قوته من سلاح المخزن الذي يباع ثمة . وهذه الفتنة الواقعة ـ وإن كانت بعيدة عن فاس ـ فهي قريبة من تلمسان . وعلى تقدير أن قدمت دولة فرانسا لمدافعتها عنهم ولو بالقوة . فإنها ترجع لهنا . ومعلوم أن عجز المخزن اليوم منوط بالإهمال في الأمور ، لأنه لم يصدر جد يحصل به على الطائل . وقد قدم في المجالس المتقدمة بيان ما يخرج من دولة فرانسا من الصوائر ، حيث إن لها بالحدود نحو الثلاثين ألفاً بعمالة وهران » . ومع تحمل دولة فرانسا لذلك لم يحصل لها أمن في حدودها . لأن الفساد الذين يفعلون الفعائل بإيالتها يرجعون للجبا لا يمكن دولة فرانسا الوصول إليهم فيه . وتحت يده مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما وقع لهم هنالك منذ عقدت الأوفاق للآن . وهي إما نهب إبل أو غنم . أو هجوم بالقوة على الدور أو على العربات . أو قتل العسة . وهذه القضايا هي المشار لها في الوفق بجعل الفصال فيها بتلك الناحية . ولا زالت الدولة منتظرة إنجاز العمل على مقتضى الأوفاق .

وقد رفعت للمكلفين هنالك . وحتى الجواب لم يصدر عنها .

وقد وقعت حوادث أخرى ثمة . فإنه في تاريخ عقد الوفق الباريزي قتل صبيان على عين والديهما . وبعد عام من ذلك وقع نهب لقافلة من ناحية الإيالة الجزائرية . وقتل في ذلك سرجان فرانسوي . ثم بعد شهور 3 : وقع هجوم على رقاصة البوسطى وهم سبايس . وقتلوا جميعاً . ثم وقع هجوم على العسة الحارسة للطريق من غير تعد منها . وبلغ عدد من قتل منهم ستين في تلك المدة . ثم بعد ذلك نهبت غنم قدرها آلاف 10 : للإيالة الجزائرية . ثم وقع الهجوم من البرابر 5000 تحت رئاسة الشريف مولاي المصطفى على قصر تغيت من حساب الإيالة الجزائرية . وحاصروه أياماً . ومات من الإيالة الجزائرية عدد له بال . فحصل لهم العجب

بكون هذه الحركة خرجت من مركز للمخزن ولم يقع أعلام بها للمخزن . ثم بعد ذلك كانت طائفة من العسكر متوجهة من جنان الدار لتغيث . فوقع الهجوم عليها ، وقتل منها نفر 97 فرانساويون وجميع فسياناتها ، ومن جملة ذلك أنه خرج قبطانان بالزوبيا للتفسح فقتلا معاً ، ومع اجتهاد الدولة الافرانسوية في الحراسة والصوائر صارت عاجزة ، حيث لم يمكنها الدخول على الفعال للمحل الذي يلتجئون إليه . ولو كانت الدولة المغربية ضابطة نفوذها لم يبق هذا الضرر لهم هنالك . والدولة الإفرانسوية تتشكى بما ذكر ، وبتعذر المعاملات التجارية بتلك النواحي . وهذه المعاملة التجارية المتعذرة ليست خاصة بالإيالة الجزائرية ، فإنها حاصلة حتى للإيالة المغربية ، فقد كان قبل الأوفاق والحدود يخرج من الإيالة الجزائرية للإيالة المغربية ما يزيد على آلاف فرنك 15 في السنة . ولهذا لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، وإذا كانت الإيالة الجزائرية صابرة على هذا الضرر الحاصل لها في الرجال والمال ، فإن الدولة الافرانسوية هي التي تصبرها ، وتعدها بكون المخزن بصدد القيام بمواعده . ولا يخفى أن سفر الباشدور لباريز قبل وروده لهنا . كان وعد فيه الإيالة الجزائرية بأن المخزن يقوم بما عليه ، وما دام الزمان يفوت والوقت لا يظهر نتيجة لوعده ، حتى أنه لم يبق للإيالة الجزائرية محل للصبر ، ومكاتيبها ترد على الدولة بالشكاية ، وتتكلم في الدعاوي المشار لها ، وفي عدم حصول الطائل . وقدر المطالب التي تطلبها الإيالة الجزائرية في شأن القضايا المشار لها ، يناهز مليونين من الفرنك ، ومعلوم أن المخزن يصعب عليه إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، فضلاً عما بين ثنية ساسي وبين يكلي .

وحيث لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، فإنها تطلب أن تقوم بإقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وهذا الأمن الذي تقوم به هو أن تقوم به من مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي ، إلى آكلي ، وتمد الدخول هنالك إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال ، وقد وقعت هذه المطالب لما كان الباشدور بباريز ، فلم يقصر في الدفاع والوعد بكون المخزن يفعل المتعين . ومن ذلك الوقت لم يصدر من الدولة المغربية أدنى ما يحصل به الإطمئنان ، وقد بلغه الخبر بأن الإيالة الجزائرية رجعت عما صبرها فيه ، وتريد الدفاع بالقوة . ولا زالت تلك

14 ـ اللوحة الثانية من مصورة الملحق 48

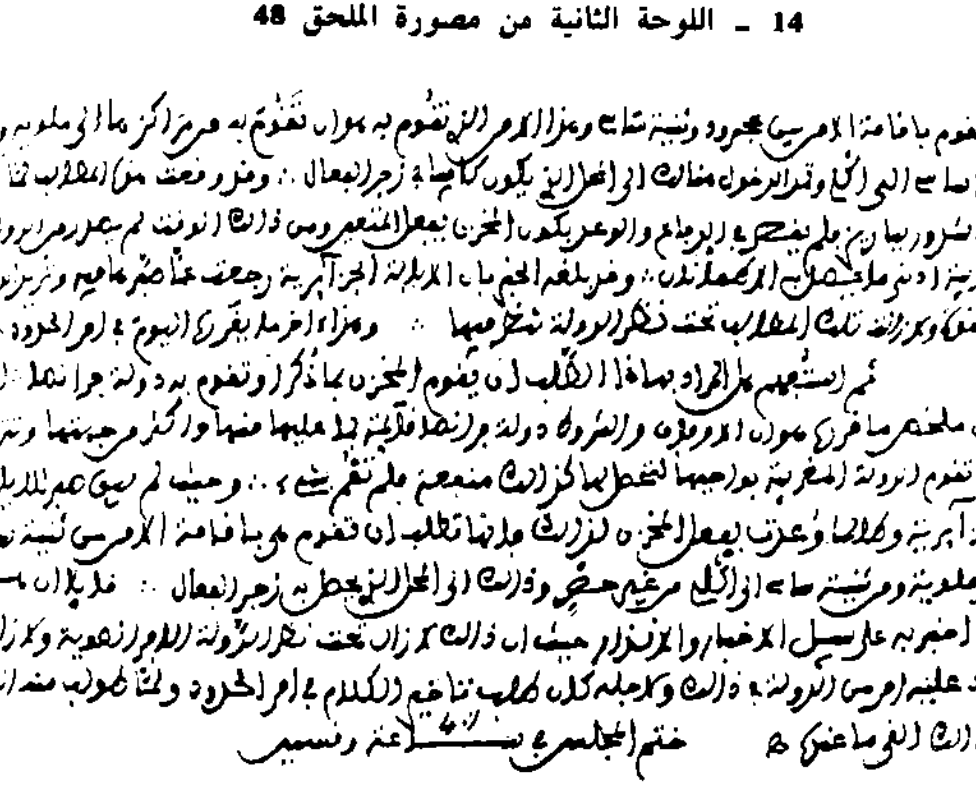

المطالب تحت نظر الدولة تنظر فيها ، وهذا آخر ما يقرره اليوم في أمر الحدود .

ثم استفهم هل المراد بهذا الطلب أن يقوم المخزن بما ذكر أو تقوم به دولة فرانسا ، أجاب بأن ملخص ما قرره هو أن الأوفاق والشروط دولة فرانسا قائمة بما عليها منها وأكثر من جهتها ، وتترجى أن تقوم الدولة المغربية بواجبها ، لتحصل لها كذلك منفعة ، فلم تقم بشيء ، وحيث لم يبق صبر للإيالة الجزائرية . وطالما وعدت بفعل المخزن لذلك ، فإنها تطلب أن تقوم هي بإقامة الأمن من ثنية ساسي إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى آكلي ، من غير حصر ، وذلك إلى المحل الذي يحصل به زجر الفعال ، قائلاً : إن هذا إنما أخبر به على سبيل الإخبار والإنذار ، حيث إن ذلك لا زال تحت نظر الدولة الإفرانسوية ، ولا زال لم يرد عليه أمر من الدولة في ذلك ، ولأجله كان طلب تأخير الكلام في أمر الحدود ، ولما طولب منه الكلام في ذلك ألقي ما عنده .

انتهى ، ختم المجلس في ساعة 4 وقسمين .

من مخطوطات المكتبة الأحمدية بفاس .

ملحق 49

النص الكامل للرد على المشاريع الفرنسية
كتبه أحد ممثلي مدينة الرباط في مجلس الأعيان

الحمد لله وحده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن المقرر لدولة افرانصا من الخصوصيات لا ينكر ، ونصائحها لشريف الدولة مما يتحدث به بين الأجناس ويذكر . غير أن النصائح إذا كانت خالية عن الأغراض ، تعين الإقبال على قبولها وعدم الإعراض .

فقوله النواحي المفتقرة للتنظيم إلى قوله وخصوصاً الكوشطات : لا يخفى أن هذه النواحي المشار إليها قد استغل جلها الأجانب والمتعلقون بهم ، واستعصوا على المخزن بسبب التعلق بالتجارة الأورباوية ، وذلك لما جبلوا عليه من حب التغلب والاستعصاء مهما وجدوا لذلك سبيلاً ، ولا يعرف في دولة من الدول أن لا تجري على من دخل الإيالة أحكامها ، بحيث يعم حكمها جميع من حل فيها من جميع الأجناس . ولو أن المتعلقين أذعنوا لأداء ما يجب عليهم مطلقاً لاستقام أمر الترتيب بلا توقف ، إذ الأحكام إذا عمت الرعايا من غير أن يتميز فيها البعض دون البعض استقام أمرها . أما ما قيد قبل في شأن أداء الأجانب وأهل الحمايات واجب الترتيب : فذلك يقتضي التعويض عن أداء الواجب ، ويتعذر قوم بقوم ، وإذا عاملهم المخزن ـ أعزه الله ـ بمقتضى القوة ، وأدى بعض دون بعض : فلا يستقيم أمر ، لعدم المساوات الناشيء منه كل ضرر ، ولمولانا النظر .

وقوله إنه يقدم الكلام في الكوشطات لأجل طلب المتعاطين للتجارة الأمن على أموالهم وأنفسهم إلى قوله وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم الذي تحمله وبين شروطه ومونته وتعيين مساكنه وعدد المستخدمين من دولته ، إلى آخر ما سطره في ذلك .

أما تنظيم العسكر فلا بأس به ، وقد كان ورد في ما مضى أناس جزائرون

وأورباويون من أجل تنظيمه ، ولم تظهر نتيجة في ذلك على أيديهم ، مع أنه صارت عليهم أموال طائلة يمكن أن يقوم بها أمر عظيم المنفعة ، وحيث طولب الآن التنظيم في ناحية الكوشطة يكون ما لا بد منه بحسب سعة المال ، لأن تنظيم العسكر ـ الآن ـ يلزمه صائر له بال ، ولا يسوغ تنظيمه في جميع المراكز قبل تنظيم المالية ، لأنها قطب دائرة رحى الجند ، ولا يقوم إلا بها ، لأنه إن أهمل تنظيم المالية وأخذ في تنظيم العسكر أدى ذلك إلى السلف الذي تنشأ عنه مضرات للرعية ، وعند ظهور ما ينتج من تنظيم المالية كأداء السلف الحاصل ، ويتوفر ما يصير على العسكر والجيش من وجوه استنتاجه : يزاد ـ حينئذ ـ ما تقتضيه المصلحة الوقتية بعد ظهور نتيجة ما ينظم أولاً .

وأما تسهيل منافع المراسي ببابورات الجر والفلائك : فتجب المبادرة إليه على الكيفية التي يقتضيها النظر الشريف في الجلب والتصرف .

وأما المون فكذلك مما تجب المبادرة إلى القيام بمصلحته ، لكن بعد بيان الكيفية في مدخوله .

وأما بناء الخزائن بالمراسي : فبحسب سعة المال ، لأن في الموجود بها ـ الآن ـ كفاية .

وأما التلغراف البحري إن كانت منفعته عائدة على المخزن والتصرف فيه خاصاً به أمراً ونهياً ، وإثباتاً ونفياً ، وإشاراته بالعربي لاغير ، ولم يكن الصائر عليه يجحف بالمدخول ، واقتضاه النظر الشريف : فلا بأس به . وللمخزن ـ أعزه الله ـ النظر في جلب أحد الماهرين من المعلمين لمباشرته من أين شاء ، مع المتعلمين الذين ينتخبهم المخزن من الرعية المغربية .

وأما أمر الإدارة الراجعة لاختيار طائفة البليس (كذا) فليست من اختيارات الأمور الحبية ، وإنما هي لتمام التوصل للأغراض التي منها التطلع على خبايا هذا القطر المغربي ، ولا يخفى ما يحصل بسببهم من المضرات العظيمة ، وتكاثر الشكايات بالإذايات الوخيمة ، والأخذ بالغرض والشهوة ، ونحن ـ في ملتنا ـ لا يمكن قبول خبر الواحد في كل الأمور ، وأمور الشرع لا مجال للعقل فيها ، وطائفة

البليس ينشأ عن الثقة بكلامها المواخذة بالغرم والقتل والقطع ، وذلك مخالف لشريعتنا الكريمة ، والثقة بها ـ أيضاً ـ تضطر الناس إلى موالاتهم ومحاباتهم ، وذلك إفساد على الرعية ، فلا يستقيم بها أمر لهذه الدولة الشريفة :

وأما أمر الحدود : فالجواب أن الحدود مقرر شروطها وضوابطها ، ومن اللازم أن يتمشى معها بالسياسة ، وتكون النهضة في ذلك لله تعالى ، والمقابل لذلك يكون خاصا ومن أهل الخصوصيات بمعرفة الأمور إن إقتضاه المخزن الشريف

وأما أمر السكة وضبطها بأحداث البنك : فلم يبين ضابطه ليفهم مرجع إشارته في قوله : إن للبنكة أن تطلب معاوضة على قيامها بما أشار إليه مكافأة ، وفي قوله ، إن من الأمور التي تطلبها البنكة : إن الأمور التي تصرفها تكون مباشرتها على يدها نيابة عن المخزن ، ففي هذا من التحجير على المخزن ـ أعزه الله ـ ما لا يخفى ، زيادة على ما في ذلك من الخرق المخالف للشريعة ، وإرتكاب الأمور الخارجة عن قانونها .

وأما أمر الضرائب فإن كانت جائزة شرعاً : فتكون على سبيل المساوات ، لا يحاشى عنها أحد كائناً من كان ، والمرجع في جوازها وعدمه للشريعة المطهرة ، والنظر في ذلك لمولانا أعزه الله .

وأما أملاك المخزن : فينبغي أن يلحق منها بما ذكر أعلاه : القدر الذي هو غير خاص بالجناب الشريف ، وما يلحق به من أملاك إخوانه وأصنائه وغيرهم ، فيسند الأمر فيها إليه أيده الله .

وأما ما أشار إليه في أملاك الأحباس من ضبطها ودخول مستفادها لمحله ، ولا تبقى على هذا الإهمال . فهذه نصيحة يجب الإصغاء إليها ، غير أنه يجب تقرير موجب الإهمال فيها ، وعدم الضبط المشار إليه ، وذلك أن البعض من الأجانب يتحيلون على كراء ملك من أملاك الحبس بهذه الإيالة السعيدة من المراسي وغيرها ، فإذا توصلوا به يصيرون يتصرفون فيه تصرف المالك في ملكه ، فإذا طلب منهم إفراغه امتنعوا ، وإن طولبت منهم الزيادة أبوا ولم يذعنوا ، ونظار الأحباس في كل عام يتطلعون على أملاك الأحباس ويتبعون المصلحة ، فما استحق الزيادة

زادوا ، وما اقتضت المصلحة تغييره أو الزيادة فيه كذلك ، فمن كان تحت نظر المخزن أذعن طوعاً أو كرهاً ، ومن كان من الأجانب أو فيه رائحة التعلق بهم : لم يتمكنوا من الكلام معه . فلو كانت المساوات في الأحكام ثابتة لوجب ـ حينئذ ـ تفقد أحوال النظار ، ومن يصلح منهم ومن لا يصلح ، وعلى كل حال فمصلحة الأحباس منوطة بالتسوية في الحكم بين كل من ضمته الإيالة ، وكم من مصالح مبنية على حكم التسوية ضاعت فيها حقوق الإيالة المغربية ، والأمر ظاهر .

وأما أحداث أمر ورقة التسريحات : فإن أمرها متعسر ، والأموال التي تصير في أجور المكلفين بها لها بال ، ولا يمكن استفادتها من ثمن الورقات ، ولا محوج إليها ، والنظر في ذلك لمولانا أيده الله ، ولا يخفى تفصيل هذا الإجمال لمن تأمل .

وأما إحداث ورقة الطنبري : لم يبين الكيفية فيه وضوابطه ، على أن في طوابع البوسطة بهذه الإيالة السعيدة كفاية ، فالجواب عنه يكون بعد بيان الكيفية والضوابط .

وأما الإذن في الموسوقات من مرسي إلى أخرى ، والأداء عنها : فليس من النصيحة في شيء ، وفيه ضرر بين على التجار وعلى الرعية ، فالأولى إسقاطه وعدم الاعتداء به .

وأما ما فصله في أمر الحدود ، وطلب الإيالة الجزائرية إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، ومن مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى أكْل ، وعد الدخول إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال : فواجب ومتعين التيقظ لهذه المهمة العظيمة ، ومولانا ـ دام علاه وعزه ـ يصدر أمره الشريف برد البال لذلك ، ويأمر بمباشرة هذا الأمر فوراً من غير إمهال . لما في إهماله والتراخي فيه من توقع الخطب الجسم : بالحيلولة بين المحلة المظفرة الوجدية وبين مصالحها ومددها ، والحزم هو العزم ، وليفوق ـ دام علاه ـ سهام إمداداته بالعدة والعدد لناحية الفتان ، وعقول الملوك ملوك العقول ، والله يؤيد مولانا ويديم علاه .

مجلة « المغرب الجديد » : العدد 17 ، السنة الثانية : ص 140ـ142 .

ملحق 50

قطعة من رد مطول للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، فتتناول الأعتراض على المشاريع الفرنسية المطروحة في الجلسة الثالثة لمجلس الأعيان

... وقد درج على إحياء هذه السنة ـ أعني عدم الإستعانة بهم ـ جماعة من خلفاء الإسلام ، ممن له لسان صدق في الأمة : كعمر بن عبد العزيز ، والمنصور ، والمهدي ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، والمتوكل ، والراضي ، ولولا خشية الطول لذكرنا حكايتهم ـ تفصيلاً ـ في عدم الإستعانة بالأجانب في شيء من أمور المسلمين ...

وأما ما ذكره في قانون منع التدليس في المراسي : فلا بأس به ، من كونه يطلب خط كل تاجر بموضوعه أو موسوقه .

وأما قوله : إن وجد موسوقه مخالفاً لما أعطي به خط يده فيحاز ذلك للمخزن : فإن هذا لا تقبله قواعد الشرع الكريم ، وغاية ما في الشرع الشريف أنه يتصدق بالشيء المغشوش ، كاللبن ـ مثلاً ـ إذا شيب بالماء فإنه يتصدق به ، زجراً له من العود لمثله .

وأما القوارب والمؤن والخزائن : فلا بأس بها أيضاً ، لكن في غير هذا الإبان ، والخزائن الموجودة ـ اليوم ـ كافية .

وأما التلغراف البحري في الكوشطات : فلا يتيسر ـ أيضاً ـ في هذا الوقت ، وفي وقت آخر يجعله السلطان نصره الله ، ليرجع مدخوله له لا للأجانب .

وإذا استنشق سيدنا منهم أنهم يحدثونه ـ غلبة ـ بالمراسي : فليتبادر إليه سيدنا ، حتى لا يكون مدخوله لغيره ، وحتى لا يحلوا بالمراسي حلولاً طبيعياً ، فإن دار البيضاء لما حلوها من قديم : صارت كأنها من بلادهم في جميع شؤونها ، ونزعت

منها هيبة الإسلام ، وأنوار الإسلام وطمأنينته ، فلا يسكن بها قلب تقي نقي خاشع متعلق القلب بالإلاه جل إسمه .

ومثل السلك هذا : لم يكن ينبغي أن تشير به دولة أفرنصا ، لما تعلم من نفرة الإيالة من مثل هذه الأمور الأرباوية ، فطلبها مما ينافي الحبية .

وأما طائفة البوليس الكائنة في صفة العسكر تطلع على حقائق الأمور : فإنه لا يمكننا منه الشرع الكريم ، إذا العمل بمقتضى نقل الناقل من المسلمين : تشترط فيه العدالة والأمانة ...

فمن وجدت فيه الصفة فهو العدل الذي يقبل قوله : من المسلمين في المسلمين ، وقد قال الله سبحانه : « إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا » أي تثبتوا « أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فكيف بالأجنبي يتجسس على أخبار المسلمين وينقلها ، ثم تبنى عليها البناءات من العقوبات ، أو الأخذ بالقول وإن كان زوراً أو معاتبة أو غيرها :

فإن هذا لا يقبله الشرع المطاع ، ولا تجري مقتضياته على مقتضى سياسته الرحمانية ، فلا يقبله مولانا ولا يساعد عليه ، وقد كان مولانا رسول الله يقول : « لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ، وهذا من النميمة ، وهي حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

فهذا آخر الكلام في المجلس الثالث ...

. من مخطوطات خ . م 5503 .

15 ـ صفحة من مصورة الملحق 50

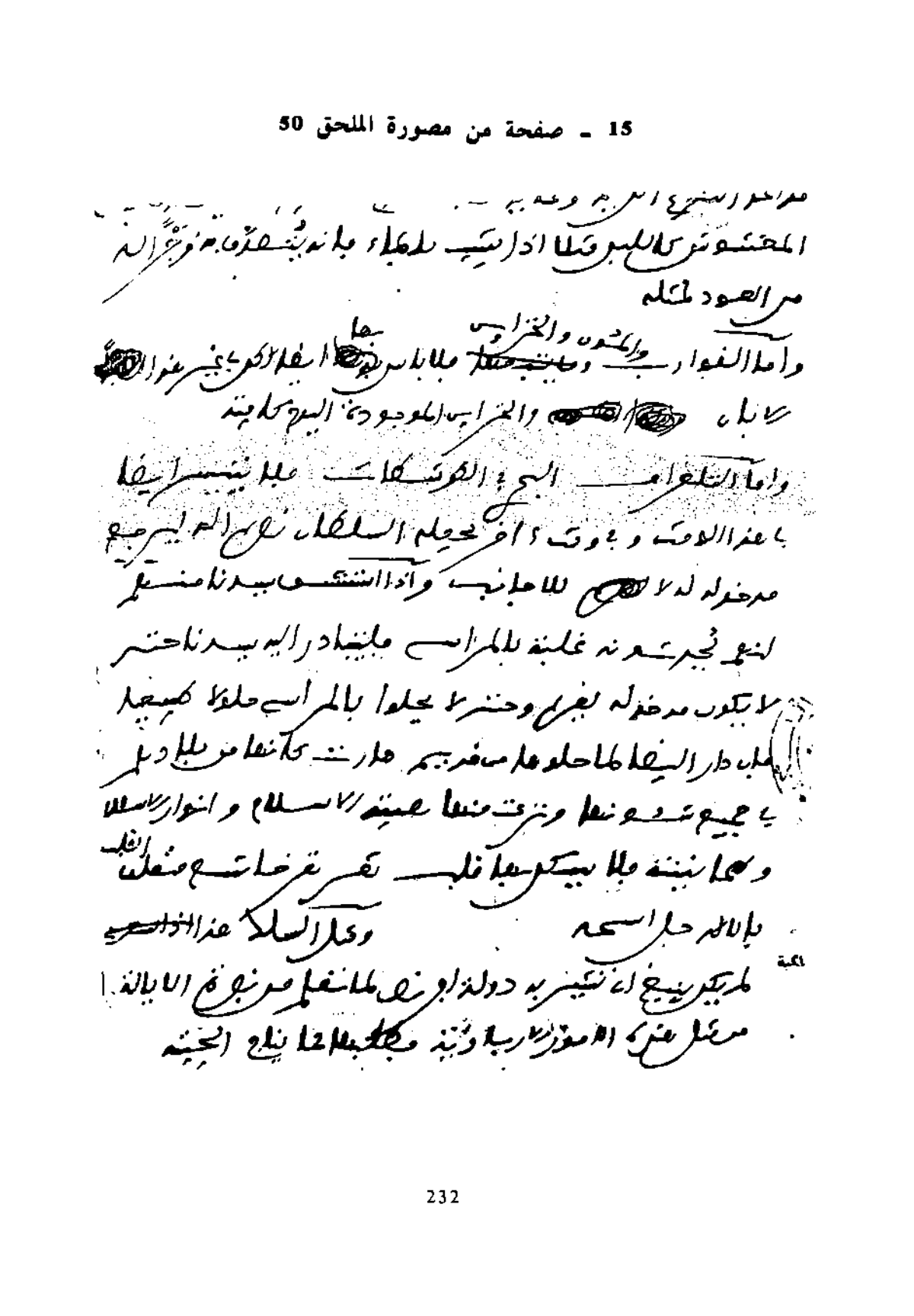

الباب السادس

محاولات تجديدية على المستوى الرسمي

لا نزال مع أعمال حكومة السلطان العزيز في هذه المرحلة الثانية ، وقد تبينا ـ سلفاً ـ السياسة اليقظة التي استطاعت الحكومة أن تواجه بها :

ـ أزمة موريطانيا .

ثم مطالب فرنسا الإصلاحية .

وسيأتي ـ بعد هذا ـ قليل من المنجزات أو المشاريع التي عرفتها الفترة ذاتها ، موزعاً ذلك بين الفصول التالية :

الفصل الأول

مشروع لتنظيم المراسلات عن طريق « الشفرة »

للتعريف بهذا التنظيم ، نشير إلى أن تعبير « الشفرة » ، يعني إشارات مصطلحاً عليها دولياً تستخدم في الإتصالات البرقية ، ووحدة هذه الإتصالات هي النقطة والشرطة ، فالنقطة إشارة قصيرة ، والخط إشارة طويلة بعض الشيء ، وقد اصطلح لكل حرف من حروف الهجاء ، ولكل عدد من الأرقام . على عدد من النقط والشرط ، وبهذا يمكن نقل الرسائل البرقية على هيئة نقط وشرط ، تفسر ـ بعد استقبالها ـ بكلمات البرقية الأصلية[1] .

والمشروع الذي نعرضه يرجع إلى الأيام الأخيرة من عهد السلطان العزيز ، ويعتبر تمهيداً مغربياً داخلياً لاستخدام هذه الطريقة في المكاتبات العادية ، وفي المراسلات التلغرافية .

وقد دونت التفاصيل في كراسة وثائقية من عشرين صفحة تبتدي بمقدمة تمهيدية ، تتلوها تسع لوائح بالألقاب والأسماء والتعابير المنوعة ، حيث يرسم الرقم الخاص إزاء ذلك أو بأعلاه ، ولشرح أهمية المشروع ، وتبيان طريقة استخدامه ، جاء موضوع المقدمة يسير في هذا الإتجاه في فقرة توضيحية كالتالي :

---

1 ـ « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1088 .

« الحمد لله وحده ـ هذا : ولما كان الكلام بالأرقام ـ من أعلا وجوه الاكتتام ـ التي يستعان بها على نيل المرام : اتخذ هذا المسطور مشتملاً على أسماء من يكون معهم تداول الكلام :

مبتدئاً فيهم باسم الجناب المولوي أعزه الله .
ثم وزراء الحضرة الشريفة .
وأهل الوظائف المخزنية .
ثم ما هو كثير الاستعمال من الألفاظ .

وقد جعل لكل فرد مما ذكر عدد من الغباري مرقوم بإزائه خاص به ، فكل ما أريد التكلم في شأنه بالمكاتبة أو التلغرافات ، فيرقم ماله من الغباري ، ويجعل خط على هذا الشكل ـ بحذاء كل كلمة ، تمييزاً لها عن التي بعدها .

وحيث كان الغرض قد يتعلق بغير تلك المفردات ، ضمن هذا المسطور جميع حروف أبجد إلى آخرها ، وجعل لكل حرف منها عدد من الغباري لا يطلق على غيره .

فإذا أريد التكلم بها : يرقم ما لكل حرف من الغباري ، وتوضع نقطة هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف .

وإذا أريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه » .

وإلى هنا تنتهي هذه المقدمة ، ليأتي تلوها عرض اللوائح التفسيرية التسعة كما يلي :

اللائحة الأولى : تشتمل على عرض ألقاب الموظفين السامين ، ثم بعض الألقاب العائلية ، وبإزاء كل رقمه الخاص .

اللائحة الثانية : بقية الموظفين الرئيسيين ، وأسماء حاجيات الدولة ، مع بعض التعبيرات المتداولة في الشؤون الإدارية ، ويقابل كل عنوان رقمه .

الثالثة : لائحة المالية والحناطي وما يناسبهما ، مع كلمات الشكايات وشؤون قائد المشور ، وبإزاء كل تعبير رقمه .

16 ـ اللوحة الاولى من مصورة الملحق 51

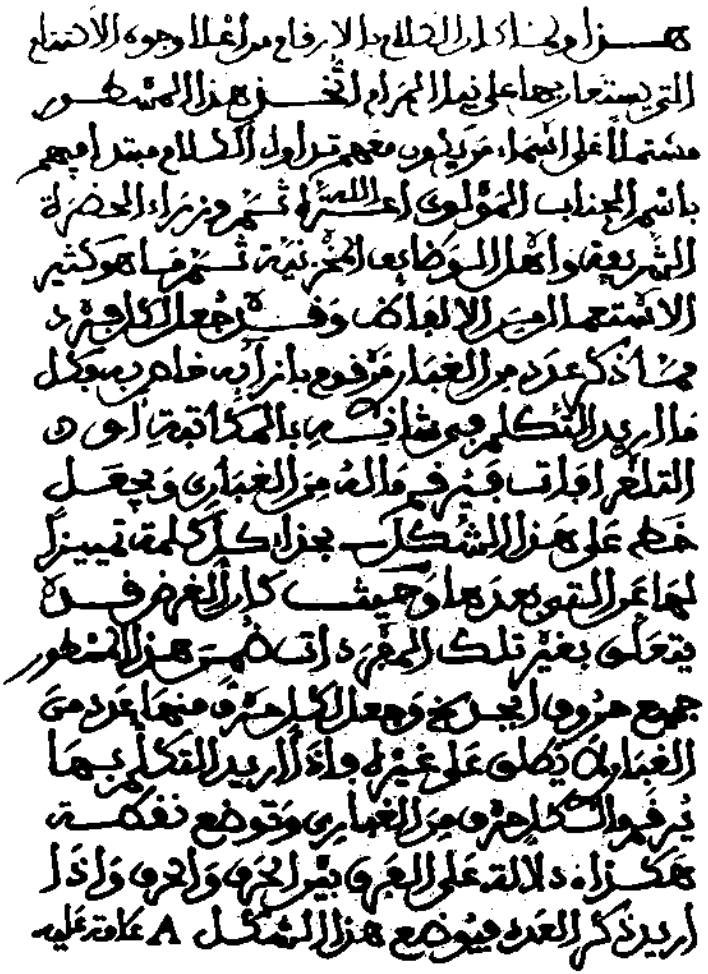

اجناب المولوي امين الله	55
وزير الداخلية	67
وزير الخارجية	85
وزير الحرب	100
وزير المالية	150
الحاجب	175
وزير الشكاية	200
فاتح المنشور	205
الخلافة والكتاب	
الخليفة	68
الكاتب الاول	69
الكاتب الثاني	70
كاتب	71
كل خليفة له	56
العائلة	
الوالد	57
الوالد	58
الاخ	59
ابن الاخ	60
العم	61
ابن العم	62
الخال	63
ابن الخال	64
العم	65
ابن العم	66

الرابعة : لائحة بعض المدن المغربية ، ورقم كل واحدة منها .

الخامسة : لائحة بأرقام مشاهير المدن في أفريقيا وآسيا وأسمائها .

السادسة : لائحة بدول أوربا وأميركا وعواصمها ، مع أسماء بعض الرتب الدبلوماسية والمراكب البخارية والدور التجارية : بازائها أرقامها .

السابعة : مجموعة من تعابير الأفعال النحوية ، متسلسلة حسب ترتيب التهجية المغربية ، وفوق كل تعبير رقمه .

الثامنة : تشتمل على طائفة من المفردات الموضوعية ، وهي كسابقتها : في ترتيب تهجيتها ووضع أرقامها .

التاسعة : تحتوي على حروف أبجد بتمامها ، وعلى أيام الأسبوع وأسماء الشهور العربية ، فوقها جميعها أرقامها ، مع تذييل هذه اللائحة الختامية بعلامة T اللاتينية ، لتستخدم إشارة خاصة بالثائر : (الجيلاني الزرهوني) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا المشروع ـ الذي نعرضه ـ جاء خالياً من تاريخ وضعه ، غير أنه ورد بخاتمته الإشارة لعلامة الثائر بو حمارة كما رأينا وشيكاً ، بينما ذكر عنوان الريال العزيزي في مكان آخر من المشروع ذاته ، فأفاد هذا وذاك أن التنظيم المنوه به يرجع لعهد السلطان العزيز .

فإذا رجعنا ـ بعد ذلك ـ إلى أسماء موظفي دار النيابة بطنجة ضمن اللائحة الثانية ، نستنتج أن هذه المبادرة إنما يعود توقيتها إلى هذه المرحلة الثانية .

وفيما يلي نعرض نص المشروع كاملاً ، وهو الملحق 51 .

ملحق 51

كراسة تفسيرية لإشارات المراسلات المغربية عن طريق الشفرة

الحمد لله وحده ، هذا ولما كان الكلام بالأرقام ، من أعلا وجوه الإكتمام ، التي يستعان بها على نيل المرام : أتخذ هذا المسطور مشتملاً على أسماء من يكون معهم تداول الكلام ، مبتدئاً فيهم باسم الجناب المولوي أعزه الله ، ثم وزراء الحضرة الشريفة وأهل الوظائف المخزنية ، ثم ما هو كثير الاستعمال من الألفاظ ، وقد جعل لكل فرد مما ذكر عدد من الغباري مرقوم بإزائه خاص به ، فكل ما أريد التكلم في شأنه بالمكاتبة أو التلغرافات : فيرقم ماله من الغباري ، ويجعل خط على هذا الشكل ـ بحذاء كل كلمة ، تمييزاً لها عن التي بعدها ، وحيث كان الغرض قد يتعلق بغير تلك المفردات : ضمن هذا المسطور جميع حروف أبجد إلى آخرها ، وجعل لكل حرف منها عدد من الغباري لا يطلق على غيره . فإذا أريد التكلم بها : يرقم ما لكل حرف من الغباري ، وتوضع نقطة هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف ، وإذا أريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه .

17 ـ اللوحة الثانية من مصورة الملحق 51

الجيوش

١٠١ ربط الخروج الضروري
١٠٢ كبير الحملة التعبوي
١٠٣ مهندس الجيش
١٠٤ العلم
١٠٥ الطبيبة
١٠٦ الخيالة
١٠٧ وحدة سريعة والخيل الق
١٠٨ الضرائب للقوات عند الخروج
١٠٩ الحرابين
١١٠ الهندسي
١١١ الحراب الخيالي
١١٢ الحراب الجزائري
١١٣ الطليانيون أصلاً الجيش كية
١١٤ الحملة التموين فريق ...
١١٥ التموين تعيين
١١٦ تخييم الحملة يكون
١١٧ التموين من
١١٨ ويكون من والى
١١٩ عن الماشية والبهائم
١٢٠ عن العدة وبيد الغنائم
١٢١ التخيل
١٢٢ البغال
١٢٣ الكابل

الأسلحة والأقامة

١٢٤ العدة وفي كوسة
١٢٥ الفرقة خاص
١٢٦ مدافع الكونبرات
١٢٧ مدافع الطلقات
١٢٨ مدافع الجبل
١٢٩ البارود
١٣٠ الكور
١٣١ الشمة
١٣٢ الديناميت
١٣٣ التعليمة للميزة
١٣٤ التخييل
١٣٥ الجوسر والعناية للجيش
١٣٦ آلة الصناعة
١٣٧ كم نبات يهش الأشجار
١٣٨ زيت الكاز للحرق
١٣٩ البناءون
١٤٠ النجارون
١٤١ عمالة الطابية
١٤٢ راويات الحملة
١٤٣ الخيل أبو بافاستة

الجناب المولوي أعزه الله	55	كل خليفة له	56
وزير الداخلية	67		
وزير الخارجية	85		
وزير الحرب	100	**العائلة :**	
وزير المالية	150	الوالد	57
الحاجب	175	الولد	58
وزير الشكاية	200	الأخ	59
قائد المشور	205	ابن الأخ	60
الخلائف والكتاب :		العم	61
		ابن العم	62
الخليفة	68	الخال	63
الكاتب الأول	69	ابن الخال	64
الكاتب الثاني	70	الصهر	65
كاتب	71	ابن الصهر	66

المتوظفون :

القاضي 72
الفقيه 73
القائد 74
المحتسب 75
الناظر 76
نقيب الأشراف 77
أمناء المراسي 78
عدولهم 79
أمناء المستفادات 80
أمناء الصائر 81
أمناء الأهراء 82
وكيل الحرمين 2/.. 82
وكيل المنقطعين 83
وكيل الأيتام 2/.. 83
وكيل جبل طارق 84
وكيل مصر 1/4 84
مطلق الوكيل 2/.. 84

دار النيابة السعيدة :

النائب 86
الأعضاء : غنام 87
بنيس 88
برادة 89
الكتاب : التطواني 90
ملين 91
راغون 92
السميحي 93
كزناي 94
العشيري 95
سكيرج 96
بوصوف 97
أحد الأصحاب 98

المالية وما ينا سبها		الحنا كي وما ينا سبها والمونة	
انعم عليه سيدنا بسي	151	اسم ب مولاه	176
ياغيط بنكنوك	152	صاحب الرضوء	177
الشاك	153	صاحب الجرائر	178
الديوم	154	صاحب المكحلة	179
الهيلة العزيز	155	الدار	180
الجيم	156	الروض	181
اللوبيا	157	[illegible]	182
الجرنك	158	[illegible]	183
الريال الجنس	159	[illegible]	184
سبكة النحاس	160	الجمارك	185
سبكة الذهب	161	المزرع	186
سبكة الفضة	162	الشعير	187
بارة النحاس	163	الزفير	188
بارة الخفيف	164	الكسكوس	189
ملح البارود	165	البطاطا	190
السلف	166	الارز	191
الانكريس	167	الزيت	192
الزيس	168	السمن	193
احسب الكمسيون	169	الخليع	194
اعمل السحكمة على المال	170	السكر والمانوى	195
البطالة تم تقبل وروت لكم	171	الشمع	196
افبض الصامر لو الرهن	172	الفحم	197
الكبريت	173	مطلق المونة	198

الشركات

اشتكى على	201
نفرت دعوى	202
كتب بالبحث في دعوى	203
اجاب بصدور دعوى	204
اجابة عن البحث بعدم الصدور في دعوى	204

ترجمة تابعة لغاير المشهور

دار المخزن	206
المشهور	207
المشاور	208
المسخر	209
وطء نفر له الزوال	210
تكافى بين ناواهدى	211
نفر له زعم مرور غيبة	212
نفرت له الكسوة	213
نفر له البغلة	214
زيد له في حزمته	215
ولى على	216
ودع	217
عزل	218
ضرب وسجن	219
اذا لم يستطع الى به هاقبض عليه	220
شرح	221
انفرد له فاصل	222
انفصل له فاصل	223

الجيوش :

رئيس الحدود الصحراوية 101
كبير المحلة السعيدة 102
مطلق الجيش 103
العسكر 104
الطبجية 105
الخيالة 106
وجه شرذمة من الخيل إلى 107
إنهض ليلاً واضرب عند الفجر على 108
الحرابون 109
المهندسون 110
الحراب النجليزي 111
الحراب الفرنساوي 112
الطاليانيون أصحاب الفبريكة 113
الصلة للنهوض قد فرقت 114
النهوض تعين في 115
تخييم المحلة يكون في 116
انهض من 117
ويكون نزولك في 118
حز الماشية والبهائم 119
حز العدة من يد القبائل 120
الخيل 121
البغال 122
الإبل 123

الأسلحة والإقامة :

العدة وقرطوسها 124
القرطوس خاص 125
مدافع الكونبرات 126
مدافع الطلقات 127
مدافع البحر 128
البارود 129
الكور 130
الشرشمة 131
الديناميت 132
التخليطة للمينة 133
الفتيل 134
الفؤوس والعتالي للحفر 135
آلة المساحة 136
طرنبات لرش الأشجار 137
زيت الكاز للحرق 138
البناؤون 139
النجارون 140
عمالة الطابية 141
راويات للماء 142
الخزائن بإقامتها 143

المالية وما يناسبها :

أنعم عليه سيدنا بي 151
كاغبط بنكنوط 152
الثاك 153
اليطرة 154
الريال العزيزي 155
اليبرة 156
اللويز 157
الفرنك 158
الريال الفنش 159
سكة النحاس 160
سبكة الذهب 161
سبكة الفضة 162
بارة النحاس 163
بارة الخفيف 164
ملحة البارود 165
السلف 166
الإنطريس 167
الدين 168
أحسب الكمسيون 169
أعمل السكرطة على المال 170
اليطرة لم تقبل وردت لكم 171
أقبض الضامن أو الرهن 172
الكبريت 173

الحناطي وما يناسبها والمونة :

الشريف مولاي 176
صاحب الوضوء 177
صاحب الفراش 178
صاحب المكحلة 179
الدار 180
الروض 181
الأفرايكية 182
أفراك خارج 183
الأروى خارجة 184
الحمارة 185
الزرع 186
الشعير 187
الدقيق 188
الكسكوس 189
البجماط 190
الأرز 191
الزيت 192
السمن 193
الخليع 194
السكر والأتاي 195
الشمع 196
القهوة 197
مطلق المؤنة 198

بعض المراكز والمدن المتماثلة

رأس الذهب	225	كنجة	248
مخرور	226	سبتة	249
كم قداية	227	تطوان	250
وادي الدرة	228	مليلية	251
وادي نون	229	مجرود	252
اسكا	230	الصعيدي	253
سفاكرور	231	الغزوات	254
الحلوا	232	مغنية	255
تزنيت	233		
ماسة	234		
الكدية	235		
الصويرة	236		
وادي	237		
كيك	238		
الجديدة	239		
وازمور	240		
الدار البيضاء	241		
ابضالة	242		
الرباط	243		
سلا	244		
مدية	245		
الغرابس	246		
اصيلا	247		

بعض المدن والمراكز الداخلية

ترمانت	256	الحلاب	279
تصلوحت	257	صلوان	280
زاوية الشرات	258	المريف	281
تزاكنت	259	د. كلعية	282
دمنات	260	جنادة	283
بوجعد	261	بفيوة	284
تازروت	262	غمارة	285
شعشاون	263		
وزان	264		
القصر الكبير	265		
زرهون	266		
مكناس	267		
فاس	268		
صفرو	269		
تازة	270		
وجدة	271		
تلمسان	272		
بني سعيد	273		
الحدود الشرقية	274		
الحدود الغربية	275		
[illegible]	276		
بني زناسن	277		
الريف	278		

الشكايات :

اشتكي على 201
نفذت دعوة 202
كتب بالبحث في دعوة 203
أجاب بصدق دعوة 204
أجاب عن البحث بعدم الصدق
في دعوة 2/.. 204

ترجمة تابعة لقائد المشور :

دار المخزن 206
المشور 207
المشاوري 208
المسخرين 209

وصل ونفذ له النزول 210
تلاقي بسيدنا وأهدى 211
نفذ له الفرس والقبة 212
نفذت له الكسوة 213
نفذت له البغلة 214
زيد له في خدمته 215
ولي على 216
ودع 217
عزل 218
ضرب وسجن 219
إذا لم يمتثل ما أمر به فاقبض عليه 220
سرح 221
انهض له رقاص 222
انهضنا له رقاصاً 223

بعض المراكز والمدن الساحلية :

رأس الذهب	225	الدار البيضاء	241
مخدور	226	أفضالة	242
طرفاية	227	الرباط	243
وادي الدرة	228	سلا	244
وادي نون	229	مهدية	245
أسكا	230	العرائش	246
سنطاكروز	231	أصيلاً	247
آكلوا	232	طنجة	248
تزنيت	233	سبتة	249
ماسة	234	تطوان	250
أكدير	235	مليلية	251
الصويرة	236	عجرود	252
آسفي	237	السعيدة	253
طيط	238	الغزوات	254
الجديد	239	مغنية	255
آزمور	240		

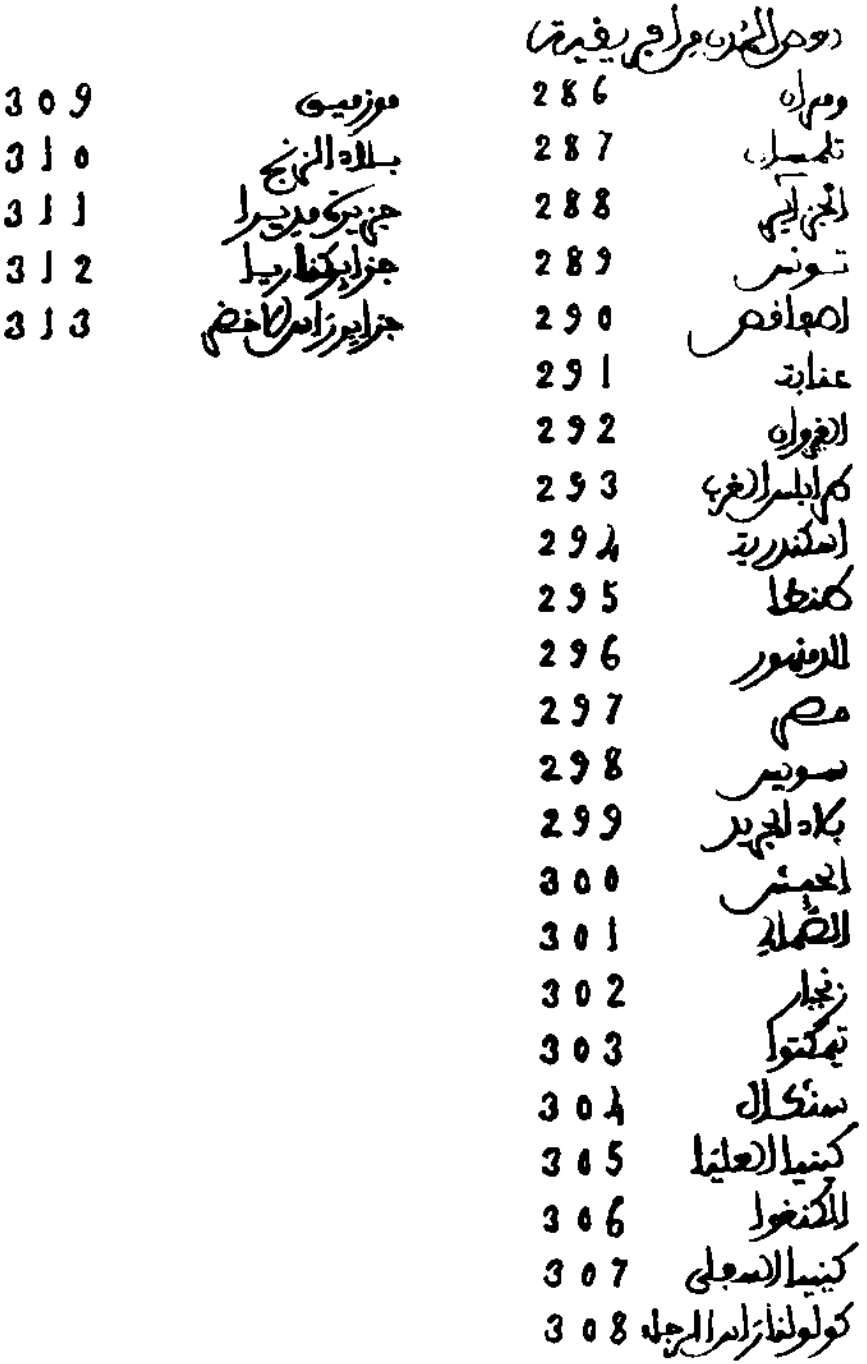
وهران 286
تلمسان 287
الجزائر 288
تونس 289
الصافص 290
عنابة 291
القيروان 292
كم ابلس الغرب 293
اسكندرية 294
كنطا 295
الدوفنور 296
مصر 297
سويس 298
بلاد النوبة 299
الحبش 300
الصومال 301
زنجبار 302
تمكتو 303
سنكال 304
كينيا العليا 305
الكنغو 306
كينيا السفلى 307
كولولغاز امر الرجله 308
موزمبيق 309
بلاد الزنج 310
جزيرة مدغسكر 311
جزائر كناريا 312
جزائر رأس الاخضر 313

المشاهير من ممالك آسيا وقصباتها

الممالك		القصبات	
بلاد الترك	314	ازمير	315
			316
		بيروت	
بر الشام	317	دمشق	318
			321
بلاد العرب	319	مكة المشرفة	320
		المدينة المنورة	322
بلاد العجم	323	كرمان	324
		اليمن	325
		العراق	326
افغانستان	327	كابول	328
بلوخستان	329	كيلات	330
هندستان	331	كلكتا	332
الهند الصينية	333	متكابر	334
الصين	335	باكين	336
بلاد التتر	337	بخارى	338
بلاد سيبيريا	339	توبولسك	340
ممالك يابان	341	جزق	342

بعض المدن والمراكز الداخلية :

تردانت	256	وجدة	271
تمصلوحت	257	تافلالت	272
زاوية الشرادي	258	عين الشعير	273
مراكش	259	الحدود الشرقية	274
دمنات	260	الحدود الغربية	275
بوجعد	261	فجيج	276
تازروت	262	بني زناسن	277
شفشاون	263	أنجاد	278
وزان	264	الأحلاف	279
القصر الكبير	265	سلوان	280
زرهون	266	الريف	281
مكناس	267	كُلعية	282
فاس	268	جنادة	283
صفروا	269	بقيوة	284
تازة	270	غمارة	285

بعض المدن من أفريقية :

وهران	286	الحبش	300
تلمسان	287	الصمالي	301
الجزائر	288	زنجبار	302
تونس	289	تيمكتو	303
أصفاقص	290	سنكال	304
عنابة	291	كينيا العليا	305
القيروان	292	الكنغوا	306
طرابلس الغرب	293	كينيا السفلى	307
اسكندرية	294	كولولنا رأس الرجاء	308
طنطا	295	موزميق	309
الدمنهور	296	بلاد الزنج	310
مصر	297	جزيرة مديرا	311
سويس	298	جزائر كناريا	312
بلاد الجريد	299	جزائر رأس الأخضر	313

21 ـ اللوحة السادسة من مصورة الملحق 51

بلاد أوروبا		فضاتها	
انكلترا	343	لندن	344
سكوتسيل	348	ادنبرج	345
ايرلاندا	350	دوبلين	351
برتوكاله	352	ليسبون	353
اسبانيا	354	مادريد	355
بلانسيا	359	باريز	360
بلجكا	364	بروسيل	365
هولاندا	367	استردام	368
دينمارك	369	كوبنهاغن	370
جرمانيا	371	همبرج	372
بروسيا	373	برلين	374
لوستريا	375	فينا	376
بلاد السويس	377	جنيف	378
ايطاليا	379	رومية	380
بلاد اليونان	383	اثينا	384
بلاد الترك	386	القسطنطينية	387
روسيا	388	بطرسبرج	389
اسويد	391	استكهلم	392
نروج	393	كرستيانا	394

345 346 347 منشستر ـ اللفربول ـ برمنغم

351 فالنسية ـ قاديس جبل طارق

356 مرسلية ـ البون ـ الطلون

357 358

361 362 363

365 الفياج 366

381 382

384 جنجكنيت 385

389 الموسكة 390

ممالك امريكا
ميركا الشمالية ٣٩٥
الجنوبية بنزويلا ٣٩٧
البرازيل ٣٩٩

وصباتهما
واشنطون ٣٩٦
كولمبس ٣٩٨
ريوجنيرو ٤٠٠

بعض الرتب
الميرنط ٤٠١
الشعبي ٤٠٢
باشمرور ٤٠٣
فصل خطاب ٤٠٤
بيرفصل ٤٠٥
ترجمان ٤٠٦

بابور التمك ٤٠٧
التمك البيوت بي ٤٠٨
مركب حربي الدولة ٤٠٩
مطلق بابور ٤١٠
شمان دهي ٤١١

ذكر بعض التجار الذين يكلفون بفصل بعض انواع المعدنية
ارسنج الحاز ٤١٢
اركونر كبريتية الجبل نصيص ٤١٣
اربريتي كبريتية امنيوم انجليزية ٤١٤
ارابرزونيتي جبل نصيص ٤١٥
ارنا هون الفلزية ٤١٦

المشاهير من مماليك أسيا وقصباتها:

المماليك:		القصبات:	
بلاد الترك	314	أزمير	315
بر الشام	317	بيروت	316
بلاد العرب	319	دمشق	318
بلاد العجم	323	مكة المشرفة	320
أفغانستان	327	المدينة المنورة	321
بلوخستان	329	جدة	322
هندستان	331	طهران	324
الهند الصينية	333	اليمان	325
الصين	335	العراق	326
بلاد التتر	337	كابول	328
بلاد سيبريا	339	كيلات	330
ممالك يابان	341	كلكتا	332
		متكابو	334
		باكين	336
		بخاري	338
		توبوليسك	340
		جدّق	342

ممالك أوروبا:		دوبلين	351
انكلترا	343	ليسبون	353
سكوتسيل	348	مادريد	355

ايرلاندا 350
برتوكال 352
اسبانيا 354
فرانسا 359
بلجكا 364
هولاندا 367
دنمارك 369
جرمانيا 371
بروسيا 373
أوستريا 375
بلاد السويس 377
إيطاليا 379
بلاد اليونان 383
بلاد الترك 386
روسيا 388
أسويد 391
نروج 393

قصباتها:

لندن 344
منشسطر 345
اللبالبول 346
برمنهام 347
ادنبرج 349

ملاكة 356
قالص 357
جبل طارق 358
باريز 360
مرسلية 361
الليون 362
الطلون 363
بروسيل 365
الياج 366
امستردام 368
كوبنهاغن 370
همبرج 372
برلين 374
فينا 376
برن 378
رومية 380
طورنوا 381
ملان 382
أثينا 384

جزيرة كريت 385
القسطنطينية 387
بطرس برج 389
الموسكة 390
استكهلم 392
كرستيانا 394

بعض الأفعال

الألف

أخبرنا ، أخبرناه ، أخبرونا ، أخبرتم ، أخبرناهم ، أخبرنا بالقبض على ، أخبرنا بالتحية ، أخبرناه في العافية ، أخبرنا في العافية ، أجابت ، أجابته ، أجابوننا ، أجابوا ، أجبناهم ، اجتمع الزاي على ، اعترض على أنا أعتذر به ، اعتذر ، اعتذرنا ، اعتذرني ، اعتذروا ، اكتب له مع الدعوة ، امض الأمر مع ، امضينا الأمر مع ، امرناه بالقبض على ، أمرناه بالقبض على ، امرناه بالتربص ، امر الواجب عليك ولا تقم ، امرتهم ، امرنا عليه ، امرنا عليكم ، اهلناك ، اهلناهم ، اهلنا ، السنن ، الزمناه ، الزمه ، امتنع من ، امتنعنا ، امتنعوا من ، اجتنبنا ، اجتنبوا ، اجتنبوا ، اجتنب .

الباء

بايع ، بايعوا ، بلغ ، بعثنا ، بشر ، بادروا ، بادرنا ، بادر في جانب الليل ، بين لنا أصل النزول ، بين لنا وجه الكلام مع ، بين لنا وجه الشوق مع غير الناس بقصر

التاء

ترجم ، ترجموا ، تربصنا ، تعاهى ، توجه على كم بين البر ، توجه على كم بين البر ، تكون الاعتذار في ، تلافينا بالعيان فيلة ، توجه ، توجهوا ، توجهنا ، تأمل ، تأملوا ، تأملنا ، تكون ، تكلم مع ، تكلمنا مع الكلام مع

الجيم

جرح ، جرحوا ، جادل ، جادلنا ، جيش له ، جعلنا الله ، جعلنا الله جعلنا لكم ، جعلناهم ، جعلناهم ، جعلونا ، جاوز ، جاوزنا ، جاوزوا العمر ، جعل لنا

الحاء حاربه ٥٥٠ حاربناهم ٥٥١ حاربوهم ٥٥٢ حار ٥٥٣ حاروا ٥٥٤ حرنا ٥٥٥ حرقتم ٥٥٦
حرقناهم ٥٥٧ حرقوهم ٥٥٨ حصلت النتيجة ٥٥٩

الخاء خرج ٥٦٥ خرجوا ٥٦٦ خرجنا ٥٦٧ خربناعلهم ٥٦٨ خذوا حذركم ٥٦٩

الدال دخل ٦٠٠ دخلوا ٦٠١ دخلنا ٦٠٢ دخلتم ٦٠٣ دعت الضرورة الى ٦٠٤ دابع بالغ هوايه ٦٠٥

الذال ذهب محاله ٦١٠ ذهبوا ٦١١ ذهبتم الى ٦١٢ ذهبنا الى ٦١٣

الراء رجع الى ٦٢٠ رجعوا الى ٦٢١ رجعنا الى ٦٢٢ رجعتم الى ٦٢٣

الزاي زحفنا على قبيلة ٦٣٠ زحفوا على قبيلة ٦٣١ زحفوا على ٦٣٢ زحفوا علينا ٦٣٣

الكاف كلبنا ٦٤٠ كلبنا منه ٦٤١ كلبتم ٦٤٢ كلب مر ٦٤٣ كلب الاعانة ٦٤٤ كلبناكم ٦٤٥
كلبناهم ٦٤٦

ممالك أميركا :

ميركا شمالية 395
الجنوبية بنزويلا 397
ابرازيل 399

قصباتها :

واشنطون 396
كراكاس 398
ريو جنيرو 400

بعض الرتب :

الميرنط 401
السفير 402
باشدور 403
قنصل خترال 404
بيس قنصل 405
ترجمان 406
بابور التركي 407
التركي اليوم في 408
مركب حربي لدولة 409
مطلق بابور 410
شمان ديفر 411

ذكر بعض التجار الذين يكلفون بقضاء بعض الأغراض المخزنية :

دار هسنير الألماني 412
دارَكوش كمبانية الفرنصيص 413
داربرينطي كمبانية امنسورانجليزية 414
دار ابن زويك فرنصيص 415
دار ناهون الطليانية 416

بعض الأفعال

الألف :

أخبرنا 450
أخبرناه 451
أخبرونا 452
أخبرتم 453
أخبرناهم 454
أخبرنا بالقبض على 455
أخبرنا بالنتيجة 456
أذناه في الإعانة 457
أذناه في طلب الإعانة 458
أجاب 459
أجبناه 460
أجابونا 461
أجابوا 462
أجبناهم 463
اجتمع الرأي على 464
أعرض عما شافهناه به 465
اشتر 466
اشترينا 467
اشترى 468
اشتروا 469
أكتب له مع البوسطي 470

أمض الأمر مع 471
امضينا الأمر مع 472
أمرناه بالقبض على 473
أذناه بالتربص في القبض على 474
أمرناه بالتربص في 475
اعمل الواجب عليك ولا تقصر 476
أشرتم 477
أشرنا عليه 478
أشرنا عليكم 479
أهملناه 480
أهملناهم 481
أهملوا 482
ألزم 483
ألزمناه 484
ألزمه 485
امتنع من 486
امتنعنا من 487
امتنعوا من 488
اجتنبنا 489
اجتنبوا 490
اجتنابوا 491
اجتنبب 492

الكاف كتب لنا[650]، كتبنا له[651]، كلمناهم[652]، كلمونا[653]، كان[654]، كنا[655]، كانوا[656] كانت[657]، كنتم[658]، كتم الامر[659] كهاى امر[660].

الميم مكننا له[661]، مكننا[662]، مكنونا[663]، منع[664]، منعنا[665]، منعناهم[666] منعناه[667]، منع الاصلحة[668] والفرد كوسر من الدخول الى[669]، منع الاصلحة والفرد كوسر من الخروج الى[670] منع الاصلحة من[671] بدر القبايل[672]، مسرخى[673]، ملاقى[674].

النون نازع[675]، نازعوا[676]، نازعنا[677]، نازعناه[678]، نازعناهم من[679]، نزل ج[680] نزلوا ج[681]، نبايم[682]، فيضوا من[683]، نهضوا من[684]، نهضنا مى[685] نزل[686]، نزولنه[687]، نزولنا[688]، نزولهم[689]، نزولكم[690]، نازلا[691]، نزلوا[692]

الضاد ضمع[693]، ضمعوا[694]، ضمعناهم[695]

الظاء ظرب فيلة[696]، ظربوا فيلة[697]، ظربنا فيلة[698]، ظربنا على[699]

العين عزم ٧٣٠ : عزموا ٧٣١ : عزمنا ٧٣٢ : علمنا ٧٣٣ : علمناك ٧٣٤ : علمنا تلغ ابدا ٧٣٥ ،
علمناك تلغ ابدا الى ٧٣٦ ، علمناك سكلارا ٧٣٧ ، علمنا سكلارا الى ٧٣٨ : عجل يا نفدوم ٧٣٩
علمنا الواجب علينا ٧٤٠ : عثم ٧٤١ : عثمنا عليه ٧٤٢ ، عثمهم ٧٤٣ : ماهرنا له على ٧٤٤ :
ماهرنا على ٧٤٥ : ماهرناهم على ٧٤٦ : ماهرونا على ٧٤٧

الغين غفم ٧٥٠ : غفموا ٧٥١ : غفمنا ٧٥٢ : غفمناهم ٧٥٣ : غفلتم على ٧٥٤ : غفل على ٧٥٥ :
غفلنز ٧٥٦ :

الباء بقر ٧٧٠ : بقروا ٧٧١ : بقرناهم ٧٧٢ : بقمنا ٧٧٣ : بقم ٧٧٤ : بقموا ٧٧٥

الغاب فدم ٧٧٠ : فدموا ٧٧١ : فبض على ٧٧٢ : فبضوا على ٧٧٣ : فبضناهم ٧٧٤ : فبل ما صاهمنا له به ٧٧٥
فسل ٧٧٦ : فكع راسه ٧٧٧ : فكع رؤس ٧٧٨ : فبلغناك ٧٧٩ : فبلغناهم ٧٨٠
فقر ٧٨٠ : فاقرا ٧٨١ : فقرا ٧٨١ : فقروا ٧٨٢ : فاقرون ٧٨٣ : فقرنا ٧٨٤

الباء :

بايع 500
بايعوا 501
باع 502
بعنا 503
بادر 504
بادروا 505
بادرنا 506
بريء مما نسب إليه 507
بين لنا محل النزول 508
بين لنا وجه الكلام مع 509
بين لنا وجه النهوض من غير
إذن لكم 510
بقصد 2/.. 510

التاء :

تربص 511
تربصوا 512
تربصنا 513
تعافى 514
توجه على طريق البر 515
توجه على طريق البحر 516
تكون الإقامة في 517
تلاقينا بأعيان قبيلة 518
توجه 519
توجهوا 520
توجهنا 521
تأمل 522
تأملوا 523
تأملنا 524
تكون 525
تكلم مع 526
تكلمنا مع 527
تكلموا مع 528

الجيم :

جرح 530
جرجوا 531
جاء إلى 532
جأوا إلى 533
جيئتم إلى 534
جعلنا له 535
جعلنا لكم 536
جعلنا لهم 537
جعلناهم 538
جعل لنا 539
جعلو لنا 540
جاوز 541
جاوزنا 542
جاوزوا الحد 543

الحاء :

حاربه 550
حاربناهم 551
حاربوهم 552
حاز 553
حازوا 554
حزنا 555
حزتم 556
حرقناهم 557
حرقوهم 558
حصلت النتيجة 559

الخاء :

خرج 565
خرجوا 566
خرجنا 567
خرجناهم 568
خربنا محلهم 569
خذوا حذركم من 570

الدال :

دخل 660
دخلوا 601
دخلنا 602
دخلتم 603
دعت الضرورة إلى 604
دافع بالتي هي أحسن 605

الذال :

ذهب لحاله 610
ذهبوا 611
ذهبتم إلى 612
ذهبنا إلى 613

الراء :

رجع إلى 620
رجعوا إلى 621
رجعنا إلى 622
رجعتم إلى 623

24 ـ اللوحة التاسعة من مصورة الملحق 51

السين 785 سجى 786 سجعناك 787 سجعنوا 788 سجعناهم 789 سجعناهم 790 سجعهم 791 سنوجه المدن
792 سنوجه لكم مطلوبكم 793 ساعدنا 794 ساعدناه 795 سيكون الأمر على ما ذكرت اليه

الشين 800 شرعوا 801 شرع 802 شرعنا 803 شاهدناه 804 شاهدنا 805 شاهدتموه

الهاء 810 هجم 811 هجموا 812 هجمنا 813 هرب الى 814 هربوا الى

الواو 820 وجهناك 821 وجه لنا 822 وجهنا على 823 وردت علينا الفيلة بالامان
824 ورد علينا 825 وعد 826 وعدوا 827 وعدنا 828 وعدناهم 829 وصلنا بجيش
830 وصلتنا الارفاع بتاريخ

الياء 835 يكون الوصول 836 يصل لنا الامور المكتوب لك عليها 837 يرد علينا
838 يردون علينا 839 يرد عليكم 840 يردون عليكم

بعض العبارات

الألف
الفعل وما تقدم لكم ، اذ او صار له ، الفعل بل طاعة ، الفعل بل فاسرع
اللهم اذا كان ، اليكم ، اليه ، اليهم ، الى ، ان ، نعم
انا ، انكم ، انتم ، اولئك ، المباشرة ، اخبرت ، كيف ، الذي
اذا ، او ، الاعانة ، اما ، الحق ، الطريق وبوصوله يكون لك الاعلام
بالتلفراف

الباء
بكم ، به ، بهم ، بالذي ، بذلك ، بعض ، بقاريخ

الجيم
جنابكم ، جوابكم ، جوابه ،

الحاء
حينئذ ، حيث ، حتى ، حفلة ،

الكاف
كونه ، كيف اخبرت بي ، كما ، كانكم ، كعادته ، كخراك

اللام
لما فيه من النفع ، لما في ذلك من الضرر ، لما فيه من المصلحة ، لكم ، لك
له ، ليتبع ، لم يساعد على ، لما تم حفته ، لم تحصل نتيجة ،

الزاي :

زحفنا على قبيلة 630
زحفوا على قبيلة 631
زحفوا على 632
زحفوا علينا 633

الطاء :

طلب منا 640
طلبنا منه 641
طلبتم 642
طلب من 643
طلب الإعانة 644
طلبنا منكم 645
طلبنا منهم 646

الظاء :

ظهر لنا 650
ظهر لهم 651
ظهر له 652
ظهر لكم 653
ظهر وجه الخير 654

الكاف :

كتب لنا 660
كتبنا له 661
كلمناهم 662
كلمونا 663
كان 664
كنا 665
كانوا 666
كانت 667
كنتم 668
كتم الأمر 669
كفاك أمره 670

الميم :

مكناه 680
ومكننا 681
مكناهم 682
مكنونا 683
منع 684
منعنا 685
منعناهم 686
منعناه 687
منع الأسلحة والقرطوس من الدخول إلى 688
منع الأسلحة والقرطوس من الخروج إلى 689
منع الأسلحة من يد القبائل 690
مرض 691
مات 692

النون :

نازع 695
نازعوا 696
نازعنا 697
نازعناه 698
نازعناهم من 699
نزل في 700
نزلوا في 701
نباشر 702
نهضوا من 703
نهض من 704
نهضنا من 705
ننزل 705 /2..
نزوله 706
نزولنا 706 /2..
نزولهم 707
نزولكم 707 /2..
نازلاً 708
نزلوا 709

الصاد :

صنع 710
صنعوا 711
صنعنا لهم 712

الضاد :

ضرب قبيلة 720
ضربوا قبيلة 721
ضربنا قبيلة 722
ضربنا على 723

العين :

عزم 730
عزموا 731
عزمنا 732
علمنا 733
علمناه 734
عمل لنا تلغرافاً 735
علمنا له تلغرافاً إلى 736
عمل سكلارا 737
عملنا سكلارا إلى 738
عجل بالقدوم 739
عملنا الواجب علينا 740
عم 741
عمنا عليه 742
عمهم 743
عاهدناه على 744
عاهدنا على 745
عاهدناهم على 746
عاهدونا على 747

الغين :

غنم 750

الميم 940 941 942 943 944 945
مكيدتي ، متوفى ، متوفيهن ، محصورون ، محصورة ، ماهو عليه
946 947 948 949 950 951 952
ماهن عليه ، منه ، منا ، منكم ، من ، معهم ، معكم
953 954 955 956
مما ، منكم ، مني ، معه ، معنا

النون 960 961 962 963 964 965
نحن ، نحو ، ناحية ، ناحيتكم ، نحن في الأثر ، نحن نبائر والأمر والقضية
966
نحن على بال من ذلك .

العين 970 971 972 973
على أهبة التوجه الى ، على أهبة التفرغ عليكم ، على كم من الدهر ، على كم من يوم
974 975
على شروك سقف ، على مقتضى الشروك فيه

الباء 980 981 982 983 984
فلا تغربه ولا تطلبه منه شيئاً ، بمفرده ، بذلك ، ذلك ، فيه
985 986 987
فلان ، فانا ، فانه .

الهاء 990 991 992 993
هو ، هؤلاء ، هذه ، هاتم

الواو 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006
وهما ، وما ، واما ، ولا بد أن تكون وتخالفه الأمر ، وان ، وانا
1007 1008 1009
ولك ، ولكم ، وانتم

حروف أبجد

أ ١ ، ب ٢ ، ج ٣ ، د ٤ ، هـ ٥ ، و ٦ ، ز ٧ ، ح ٨ ، ط ٩ ، ي ١٠ ،
ك ٢٠ ، ل ٣٠ ، م ٤٠ ، ن ٥٠ ، س ٦٠ ، ع ٧٠ ، ف ٨٠ ، ص ٩٠ ،
ق ١٠٠ ، ر ٢٠٠ ، ش ٣٠٠ ، ت ٤٠٠ ، ث ٥٠٠ ، خ ٦٠٠ ، ذ ٧٠٠ ، ض ٨٠٠ ، ظ ٩٠٠ ، غ ١٠٠٠

أيام الأسبوع

١ يوم الأحد ، ٢ يوم الاثنين ، ٣ يوم الثلاثاء ، ٤ يوم الأربعاء ،
٥ يوم الخميس ، ٦ يوم الجمعة ، ٧ يوم السبت

الأشهر

١ محرم ، ٢ صفر ، ٣ ربيع الأول ، ٤ ربيع الثاني ، ٥ جمادى الأولى ،
٦ جمادى الثانية ، ٧ رجب ، ٨ شعبان ، ٩ رمضان ، ١٠ شوال ،
١١ قعدة ، ١٢ حجة

علامة الثلاثين الجزء T

غنموا	751	قصد	/2..	780
غنمنا	752	قاصداً		781
غنمناهم	753	قصداً	/2..	781
غفلتم على	754	قصدوا		782
غفل على	755	قاصدون		783
غفلنا	756	قصدنا		784
الفاء :		**السين :**		
فقد	770	سجن		785
فقدوا	771	سجناه		786
فقدناهم	772	سجناهم		788
فهمنا	773	سرحناهم		789
فهم	774	سرحهم		790
فهموا	775	سنوجه المدد		791
القاف :		سنوجه لكم مطلوبكم		792
قدم	770*	ساعد في		793
قدموا	771	ساعدناه في		794
قبض على	772	سيكون الأمر على ما أشرت إليه		795
قبضوا على	773	**الشين :**		
قبضناهم	774	شرعوا		800
قبل ما شافهناه به	775	شرع		801
قتل	776	شرعنا		802
قطع رأسه	777	شافهناه		803
قطع رؤوس	778	شافهنا		804
قبلناه	779	شافهتموه		805
قبلناهم	780			

* ـ هكذا تكرر هذا الرقم والأرقام الخمسة بعده مع أرقام حرف السفاء .

الهاء :

هجم 810
هجموا 811
هجمنا 812
هرب إلى 813
هربوا إلى 814

الواو :

وجهنا له 820
وجه لنا 821
وجهنا على 822
وردت علينا القبائل في الأمان 823
ورد علينا 824
وعد 825
وعدوا 826
وعدنا 827
وعدناهم 828
وصلنا بخير 829
وصلتنا الأرقام بتاريخ 830

الياء :

يكون الوصول في 835
يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها 836
يرد علينا 837
يردون علينا 838
يرد عليكم 839
يردون عليكم 840

بعض المفردات

الألف :

العمل على ما تقدم لكم 860
إذا وصل أنزله في 861
القبائل صالحة 862
القبائل فاسدة 863
اللهم إذا كان 864
إليكم 865
إليه 866
إليهم 867
إلى 868
إن 869
إنه 870
إنا 871
إنكم 872
أنتم 873
أولائك 874
المباشرة 875
أخبرت 876
أكيد 877
الذي 878
إذا 879
أو 880
الإعانة 881
اما 882
المدد في الطريق وبوصوله
يكون لك الإعلام في التلغراف . 883

الباء :

بكم 890
به 891
بهم 892
بالذي 893
بذلك 894
بعض 895
بتاريخ 896

الجيم :

جنابكم 900
جوابكم 901
جوابه 902

الحاء :

حينئذ 910
حين 911
حتى 912
حقاً 913

الكاف :

كونه 920
كيف أخبرت بي 921
كما 922
كأنكم 923
كفاية 924
كذلك 925

اللام :

لما فيه من المضرة 930
لما في ذلك من الضرر 931
لما فيه من المصلحة 932
لكم 933
لك 934
له اليد مع 935
لم يساعد على 936
لما شرحته 937
لم تحصل نتيجة 938

الميم :

مكيدة 940
متوقف 941
متوقفون 942
محصورون 943
محصورة 944
ما هو عليه 945
ما هي عليه 946
منه 947
منا 948
منهم 949
من 950
معهم 951
معكم 952
مما 953

منكم 954
مدة 955
معه 956
معنا 957

النون :

نحن 960
نحو 961
ناحية 962
ناحيتكم 963
نحن في الأثر 964
نحن نباشروا لأمر في القضية . 965
نحن على بال من ذلك 966

العين :

على أهبة التوجه إلى 970
على أهبة القدوم عليكم 971
على طريق البر 972
على طريق البحر 973
على شروط منها 974
على مقتضى الشروط فيه 975

الفاء :

فلا تقربه ولا تطلب منه شيئاً 980
فهؤلاء 981
في ذلك 982
ذلك 983
فيه 984
فإن 985
فإنا 986
فإنه 987

الهاء :

هو 990
هؤلاء 991
هذه 292
هانتم 993

الواو :

وهما 1000
وما 1001
وأما 1002
ولا بد أكيد 1003
ولما كان الأمر 1004
وأن 1005
وأنا 1006
ولك 1007
ولكم 1008
وأنتم 1009

حروف أبجد

أ	20	م	35
ب	21	ن	36
ت	22	ص	37
ث	23	ض	38
ج	24	ع	39
ح	25	غ	40
خ	26	ف	41
د	27	ق	42
ذ	28	س	43
ر	29	ش	44
ز	30	هـ	45
ط	31	و	64
ظ	32	لا	47
ك	33	ء	48
ل	34	ي	49

أيام الأسبوع		الأشهر :	
في يوم الأحد	1	محرم	8
في يوم الإثنين	2	صفر	9
في يوم الثلاثاء	3	ربيع الأول	10
في يوم الأربعاء	4	ربيع الثاني	11
في يوم الخميس	5	جمادي الأولى	12
في يوم الجمعة	6	جمادي الثانية	13
في يوم السبت	7	رجب	14
		شعبان	15
		رمضان	16
		شوال	17
		قعدة	18
		حجة	19

علا مة الثائر الفتان T

الفصل الثاني

ظهور « لسان المغرب »
كأول جريدة عربية ناطقة بلسان الدولة

بعد المشروع التنظيمي للمراسلات بطريقة الشفرة : ننتقل إلى نقط أخرى موضوعية .

ونشير ـ أولاً ـ إلى أن مغرب هذه الفترة ، عرف ـ لأول مرة ـ ظهور جريدة ناطقة بلسان الدولة ، وهذا ما نستنتجه من العرض التالي :

إنطلاقاً من رسالة من النائب الطريس إلى الوزير ابن سليمان بتاريخ 28 رجب 1324 « 1906 » . وهي تتحدث عن تضايق جانب المخزن من لهجة الجرائد الحديثة الظهور بطنجة ، فهي « تتجاهر بالكلام الذي فيه ترويع لرعية هذه الإيالة السعيدة.. » ، ولهذا صدر الأمر السلطاني للنائب الطريس ، بالمفاوضة في هذا الشأن مع أعضاء دار النيابة بطنجة ، وبأن يعينوا عضواً يقظاً ـ كالأمين بناصر غنام ـ للمخابرة في ذلك مع ممثلي الدول بالمدينة الدبلوماسية .

ولما تفاوض هذا مع سفير ألمانيا . أجابه بأن الجرائد حرة فيما تنشر ... وأضاف لذلك أن الأليق بجانب المخزن في هذا الموضوع ، أن ينشيء جريدة رسمية عربية ، يكون للموظفين بها معرفة باللغات الأجنبية ، وكل من تجاوز الحد ـ من الجرائد الأخرى ـ تكذبة الصحيفة الرسمية وترد عليه ... أنظر الملحق رقم 52 .

وإلى هذه الرسالة نقرأ في افتتاحية العدد الأول من جريدة « لسان المغرب » أن اقتراح إنشائها جاء من شخصية مغربية مرموقة : « ... إذ سألنا بعض من نعد سؤالهم أمراً مفروض الطاعة له ، محتوم القيام به : أن نأتي هذه السلطنة الشريفة (المغرب) ، وننشيء جريدة فيها لقلة وجود الجرائد العربية ، وكان ذلك قبل انعقاد مؤتمر الجزيرة ، فأجبنا الأمر بملء المسرة ، شاكرين حسن الثقة بنا ، وجميل المؤازرة لنا ، ونحن منذ ذلك الحين ـ في هذا القطر العزيز ـ في سعي مستمر لإستكمال معدات الجريدة ومطبعتها ... إلى أن قيض الله ظهورها على هذا المنوال » .

يضاف لهذه الافتتاحية رسالة إلى الحاج محمد المقري من صاحبي الجريدة : الشقيقين أرتور نمور . وفرج الله نمور ، بتاريخ 5 شوال 1326 « 1908 » ، ومن فقراتها : « ... وبما أننا كنا متأملين ـ من يوم إلى آخر ـ أن يقوم المخزن بحسب الشروط التي كنا اتفقنا عليها في باديء بدء : صبرنا على الأمر ، وداومنا الخدمة » ، إلى أن تقول الرسالة : « ... فإننا نطالب ذمة المخزن بأربعة آلاف ريال عن خسائر الثلاث سنين الماضية ، ثم إن شاء المخزن الشريف أن يقوم بجريدة تخدم مصلحته ومصلحة البلاد : فيلزم أن يقوم بنفقاتها على وجه عادل » .

انظر نص الرسالة بالملحق رقم 53 .

وقد رفعت الجريدة هذه الشكوى بعدما انتهى عهد العزيز الذي كانت ناطقة بلسان دولته ، حتى إذا بويع السلطان الحفيظ بدأت تتعرض لمضايقات ترددت أصداؤها بالأعداد الأخيرة ، وأيضاً بالملحقات الثلاثة الحاملة للأرقام 54 ، 55 ، 56 .

ويهمنا من هذا العرض أن نستنتج أن صحيفة « لسان المغرب » كانت ناطقة بلسان الدولة العزيزية باللغة العربية .

وكان صدور العدد الأول منها يوم الجمعة 24 ذي الحجة 1324/ 8 فبراير 1907 ، ووقفت عن الصدور عند العدد 84 حيث عطلت نهائياً ، ثم سافر صاحباها إلى خارج المغرب أوائل جمادي الآخرة 1327/ أو اخر جوان 1909[1] .

---

1 ـ جريدة « السعادة » : عدد 5 جمادي الثانية 1327/ 25 جوان 1909 : بالنسبة لتوقيت التاريخ الذي سافر فيه صاحباً جريدة « لسان المغرب » .

ملحق 52

رسالة من النائب الطريس إلى الوزير ابن سليمان
في شأن إشارة السفير الألماني بإنشاء جريدة رسمية عربية

... فقد وصل كتابكم ببيان ما صار يرتكبه أصحاب الجرائد الحادثة الطبع بهذا الثغر الطنجي المحروس : من التجاهر فيها بالكلام الذي فيه ترويع لرعية هذه الإيالة السعيدة ، الخارج عن المسطرة الجارية عند الدول في جرائد أراضيها . إلى آخره .

وبأنه قد تمحض لجانب المخزن ـ رعاه الله ـ من نفس هذه الجرائد ـ خصوصاً في هذه الأيام ـ أن نتيجتها منا فيه للمقصود ...

وبأن سيدنا ـ أعزه الله ـ يامرني بالمفاوضة في هذا الشأن مع أعضاء دار النيابة السعيدة على حسب ما قرر .

وبأن نعين عضواً نبيهاًفصيحاً ـ كالأمين السيد بناصر غنام ـ لمباشرة الكلام في ذلك مع نواب الدول بما تقتضيه المصلحة الحالية في كيفية المذاكرة وفي التقديم لها ، وفق ما بين في ذلك ، إلى أن يحصل المقصود ...

وعليه : فقد امتثلنا الأمر الشريف ، وكلفنا خديم سيدنا الأمين السيد بناصر غنام : بمباشرة القضية وفق ما أرشد إليه سيدنا فيها ، وباشر أمرها ـ مشافهة ـ مع باشدور ألمان روزن على الوجه المبين ، إلى أن أجابه بما حاصله : وهو أن الجرائد لها الحرية ، وأحرى إذا لم يكن لها ضابط تتمشى عليه في عمل الطبع حين تفتح الديار له ، وأن الكلام في شأنها لا يجدي نفعاً .

وأن الأليق بجانب المخزن في القضية : هو أن ينشيء عمل جريدة رسمية عربية ، يكون للمستخدمين بها اليد في اللغات الأجنبية ، وكل من خرج عن الحد

في تلك الجرائد ، وأعلم بخلاف الواقع : يكذب ويرد عليه في ذلك ، إلى أن قال : أنه عند وصوله لشريف الحضرة يجري الكلام مع سيادتكم في هذه القضية ...

في 28 رجب عام 1324 .

محمد بن العربي الطريس

كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة ، خ . ع ، ك 2720 ص 188-3 .

ملحق 53

رسالة من صاحبي لسان المغرب
إلى المقريء ، في شأن نفقات الجريدة الباقية في ذمة المخزن

« لسان المغرب »
جريدة أسبوعية سياسية أدبية تجارية
صاحبها ومديرها السياسي : فرج الله نمور
إدارة الجريدة : في حومة بنيدر
ـ طنجة ـ

الحمدلله وحده .

حضرة صاحب الوجاهة الوزير الحاج محمد المقري الأفخم .

بعد إهداء السلام المشفوع بالاحترام ، نعرض : لإخفاء أننا حتى الآن ونحن نتخابر مع المخزن لفض المسألة : مسألة لسان المغرب ، ومعلوم لدى جنابكم أن المخزن قد دفع لنا على الحساب ألف ريال ، وخصص سبعين ريالاً مخزنياً في الشهر للجريدة ، ونحن في وقتها قبلنا بذلك مؤقتاً لبينما تستتب الأحوال .

ولكن بعد ذلك كتبنا إلى جلالة مولاي عبد العزيز ، وأخبرنا حضرته الشريفة بالأمر ، وبينا أن خسائرنا هي خمسة آلاف ريالاً ، وأن هذه القيمة لا تكفي لثلث نفقات الجريدة الشهرية ، فأرسل لنا ـ حفظه الله ـ ألف ريال آخر ، غير أن حضرة النائب السيد الجباص هو الذي حاز هذا المبلغ لدى وصوله ، إذ قال : إن المبلغ الأول أداه من جيبه الخاص ، ويريد استرجاعه .

هذا وبما أننا كنا متأملين من يوم إلى آخر أن يقوم المخزن بحسب الشروط التي كنا اتفقنا عليها في باديء بدء : صبرنا على الأمر ، وداومنا الخدمة ، أما الآن

فلم يعد بالإمكان الصبر والانتظار ، لأن الديون علينا من كل جهة ، وهي على ازدياد أيضاً ، لأننا ندفع ضعفي القيمة الشهرية من نفسنا لكي نقوم بالجريدة .

ولهذا اقتضى أن يكون لهذه الخسائر والأضرار حد محدود ، فإننا نطالب ذمه المخزن بأربعة آلاف ريال عن خسائر الثلاث سنين الماضية ، ثم إن شاء المخزن الشريف أن يقوم بجريدة تخدم مصلحته ومصلحة البلاد : فيلزم أن يقوم بنفقاتها على وجه عادل .

ولهذا مرسلين بتاريخه أيضاً : رسائل للجانب الشريف مولاي عبد الحفيظ ، ولبعض رجال المخزن ، راجين أن يحلوا هذه المسألة التي ننتظر حلها يوماً فيوماً . وأرسلنا هذا لحضرتكم حتى إذا شئتم تذكروا الأمر في الحضرة الشريفة .

أما نحن فإننا حباً بالعدل راضون أن يوكل المخزن أحداً هنا مع بعض من موظفي السفارات ، لكي ينظروا في المسألة ويفصلوها على وجه الحق ، ومهما كان حكمهم فنكون قابلين به ، حيث ليس من العدل كما تعلمون حضرتكم أن نخدم البلاد ثلاث سنوات ليلاً ونهاراً خدمة شهد بصدقها الجميع حتى الأعداء أيضاً ، وننفق أموالنا ، وبعده يكون جزاؤنا جزاء سنمار .

ونحن بالنظر للصداقة وما بدا من سيادتكم من اللطف والفضل : لا نريد أن نكتم عن سيادتكم ضميرنا ، لأننا بالحق لا نروم أن نعود إلى نشر المسألة مرة أخرى في الجريدة ، واستنصاف الدولة ، والمطالبة المستمرة ، لأن ذلك ليس بحسن ، ولا له طيب الأحدوثة في تاريخ المخزن والمغرب ، فلذا اقتضى الإشارة إلى ذلك .

هذا ما لزم ، نسأل الله أن يلهمكم ما به الخير للجميع ، ويوفقكم إلى كل حق وصواب ، وأدام الله تعالى بقاكم .

طنجة في 5 شوال سنة 1326 .

الداعيان : ـ **ارتور نمور ـ فرج الله نمور** .

. محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 54

رسالة من الطريس يلح فيها على المقري في استصدار جواب شريف بتسديد نفقات « لسان المغرب »

... وبعد ، فقد وصلنا جوابك عما كتبنا لك به في شأن ما أمضيناه مع مدير جريدة « لسان المغرب » ، وليس عليه أثر استحسان لذلك ، وكنا في انتظار الجواب الشريف بتنفيذ الخمسة آلاف فرنك التي استسلفناها من مدير البنك المخزني ، مع سبعين ريالاً شهرية على نظار الأحباس هنا لمدة من عام ، التي جعلت له عوضاً عن الألف ريال المنجزة ، التي كان وقع الوفق معه عليها بالأعتاب الشريفة ، فلم يرد إلى الآن .

وحيث كان الظاهر أن هذا من المصلحة التامة التي لا تخفى على أحد في هذا الوقت الصعب : فنرجوك الوقوف في إخراج الجواب الشريف بتنفيذ ذلك . ولا بد . وعلى المحبة ، والسلام ، في 8 جمادي[1] عام 1326 .

ومنه . قد كتبنا بمثله للفقيه الوزير السيد عبد الكريم حفظه الله . فنحبك أن تذكره في ذلك لكثرة الأشغال ، صح به ، محمد بن العربي الطريس لطف الله به .

. « كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة » خ . ع . ك 2721 ص 215 .

ملحق 55

رسالة من الطريس إلى الحضرة الشريفة
إشعاراً بوصول الرسالة العزيزية بتسديد نفقات « لسان المغرب »

... وبعد : فقد ورد على الخديمين الكتاب الشريف ـ أسماه الله ـ بتنفيذ السبعين ريالاً مشاهرة على نظار أجناس طنجة لمديري جريدة لسان المغرب مدة من عام . وبتوجيه حوالة على البنك المخزني بالخمسة آلاف أفرنك التي كانت استسلفت منه ، ودفعت لهما طبق ما كنا طلبناه من سيدنا دام علاه .

ووصل الجميع ودفع لمن ذكر ، وفرح المديران غاية الفرح ، ووعدا بالقيام بما يجب عليهما من نشر ما فيه الرضاء العالي بالله على صفحات جريدتهما .

والمولى يبارك في عمر سيدنا ويؤيد عزه ، وعلى الخدمة ، والسلام ، في 15 جمادي الأولى عام 1326 ، محمد بن العربي لطف الله به .

أخيراً أقدم جزيل الشكر لسيادة رئيس المجلس العلمي بالعدوتين الشيخ محمد المكي الناصري على مساعدته في اطلاعي على مجموعة جريدة « لسان المغرب » المحفوظة بخزانته .

كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة خ . ع . ك 2721 ص 219 .

ملحق 56

رسالة من الجباص النائب الجديد بطنجة إلى السلطان الحفيظ : يخبر فيها بالاتفاق مع صاحب « لسان المغرب » ، فيما تبقى من دينه على المخزن

ينهي الخديم أنه وصله كتاب مولانا المنصور بالله بأن صاحب جريدة المغرب كتب للجلالة الكريمة : بأن له على المخزن ـ سابقاً ـ قدراً من المال ، ونفذ له البعض دون البعض ، وادعى أن الإبراء الصادر منه كان بغير إرادته ، امرا مولانا ببيان حقيقة الأمر في ذلك ، إلى آخره .

فليكن في علم الجناب الشريف : أن الرجل المذكور لما طال الأمر على ما كان يطالب به المخزن في دعواه ، وقع معه الفصل أخيراً فيها : على أن دفع له خمسة آلاف فرنك معجلة ، وألف ريال تدفع له مقسطة على عام واحد : بحسب سبعين ريال في الشهر ، ويقوم في مقابلتها بخدمة مصالح المخزن إلى إنتهاء المدة المذكورة ، وأشهد هو وأخوه بإبراء المخزن في الدعوى كلها ، والتعهد بما ذكر في مقابلة المشاهرة المذكورة ، حسبما بالنسختين الواصلتين بطي هذا .

وكان القدر الشهري المذكور نفذ عند نظار الأحباس هنا ، فدفعا له واجب شهرين ، وعذراً عليه واجب الشهرين الآخرين .

هذه حقيقة الأمر في ذلك ، وقد وجه الخديم على صاحب الجريدة المذكورة ، وكلمة في موجب كتبه للحضرة المولوية بخلاف الواقع ، فصار يتعلل بوقوع الغبن عليه في الفصل المذكور ، وأن الذي اضطرهم لقبوله فيما مضى هو ما كانوا عليه من حرج الحالة ، وشدة الاحتياج إلى أداء ما تحملوه من الديون في المصاويف المطبعية ، وزيادة على ذلك ما حصل لهم من التضرر بتأخير المشاهرة عن أبانها ، ثم ما عندهم من مواعد مولانا الكفيلة بالإحسان إليهم ، وجميل المبرة بجانبهم .

وحيث ظهر أن غاية مالهم فيه الحق هو إجراء المشاهرة المذكورة إلى انتهاء

المدة طبق العقد المحرر معهم فيها ، إنفصلنا معه على إعلام الحضرة الشريفة بالواقع ، ليرى مولانا ـ بسديد نظره ـ في إصدار أمره المعتز بالله لنظار الأحباس بإجراء المشاهرة المذكورة قطعاً لمادة دعواه ، أو غير ذلك لجلالته الكريمة .

هذا ما لدى الخديم في القضية ، ولمولانا النظر الأسد ، أبد الله تأييده وعلاه ، وعلى سعيد الخدمة ، سائلاً من مولانا رضاه ، والسلام على كريم المقام ورحمة الله ، في 11 رمضان المعظم ، عام 1326 .

خديم المقام العالي بالله محمد بن محمد الجباص وفقه الله .

« كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة » خ . ع . ك 2721 ص 133ـ134 .

الفصل الثالث

إرتباطات مشرقية ومع أوربا

عرفت هذه المرحلة الثانية إتصالاً بين المغرب وبعض قادة الجامعة الإسلامية ، ومن ذلك أن الحاج محمد بن عبد السلام المقري بعدما قضي حجته عام 1322 «1905» ، كتب ـ برسمه ـ شريف مكة عون الرفيق باشا ، رسالة إلى رئيس كتاب الديوان بالباب العالي بالإستانة ، يشعره فيها بأن حاملها سيتوجه إلى مركز الخلافة الإسلامية ، لتقديم الاحترام ـ باسم حكومته ـ لجناب أمير المؤمنين (عبد الحميد خان الثاني) ، تأييداً وتمكيناً للإرتباط المادي والمعنوي للجامعة الإسلامية ، حسب الترجمة العربية للنص التركي ، من رسالة شريف مكة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1322 «1905» . أنظر الملحق رقم 57 .

وفي طريق المقري إلى الأستانة مر بالقاهرة ، فاتصل بمصطفى كامل رئيس « الحزب الوطني » ومنشيء جريدة « اللواء » ، كما اتصل بغيره من الشخصيات التي تؤيد الجامعة الإسلامية ، وقد أعدوا للسفير المغربي مشروعاً يحمله إلى سورية والأستانة[1] .

* * *

1 ـ « ملف وثائق البعثة الفرنسية » : الوثيقة رقم 8 .

وإلى هذه السفارة : نشير إلى تعيين قنصل جديد لتمثيل المغرب في جبل طارق ، ووقع الاختيار على محمد بن الحاج محمد مرتيل التطواني عام 1906/1324 ، عوضاً عن القنصل السابق إبن بوزيان . ولدينا عن هذه الوكالة وثيقتان :

الأولى : رسالة من النائب الطريس نص المقصود منها :

« يعلم سيدنا ـ أعزه الله ـ أنه ورد علينا كتاب شريف . بما اقتضاه شريف النظر من تكليف الطالب محمد بن محمد مرتيل التطواني ، وكيلاً بجبل طارق عوضاً عن الخديم ابن بوزيان المعفى ، لما بلغ عنه من النجدة والمرؤة والخيرة .

وأن شريف الأمر صدر لقائد تطوان ـ وصيف سيدنا إبن الغازي ـ بتوجيه المذكور لدار النيابة السعيدة بقصد ترتيب عمل وظيفه ، وبيان ضوابط تكليفه .

وبطيه وصل الظهير الشريف لندفعه له ، بعدتعريفه بما يأتي وما يذر في عمله ، ويتوجه لمقابلة ما عين له .

فإنهاء لكريم العلم أسماه الله ، أن المذكور قد ورد علينا بدار النيابة السعيدة ، وبعد أن لاقيناه بباشدور النجليز في رفقة خليفتنا وعرفه به ، طلب الباشدور الكتابة له في شادنه ، فكتبنا له إعلاماً بتعيينه للقيام بالوظيف المشار إليه ، إلى آخره ، وأجابنا بما في النسخة من كتابه ... وها هو على نية التوجه ـ غدا ـ للقيام بالوظيف ..

في فاتح ربيع النبوي 1324 ، محمد بن العربي الطريس »[2] .

أما الوثيقة الثانية فهي صادرة عن سلطان الدولة الإنجليزية إدوارد السابع بقبول اعتماد المذكور قنصلاً بجبل طارق ، مع التوصية باعتباره ؛ حسب نصها الوارد عند الملحق رقم 58 .

* * *

ونذيل ـ هنا ـ بالإشارة إلى ثلاثة معارض تجارية بأوربا ، شاركت فيها ثلاث بعثات مغربية :

---

2 ـ « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » خ . ع ، ك 2720 ص 111ـ4 .

26 ـ مصورة الملحق 57 ، وهو مكتوب باللغة التركية.

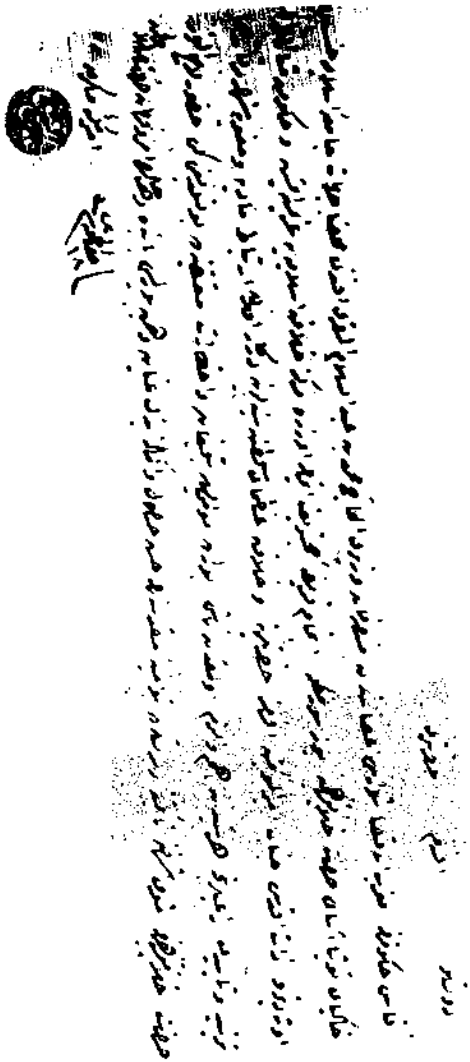

1 ـ **معرض باريس** لسنة 1900/«1317ـ1318» : ذهب إليه الصديق أحرضان والعربي أبا رودي : مندوبين عن مدينة طنجة ، وبنفس الصفة شاركاً ـ سابقاً ـ في معرض باريس سنة 1889[3] .

2 ـ **معرض بلجيكا** عام 1905/1323 : شارك فيه الأمين عبد الرحمن بناني ، وعاد من مهمته يوم 28 رمضان 1905/1323[4] .

3 ـ **معرض إيطاليا** عام 1906/1324 : توجه إليه الأمين محمد بن عبد السلام ابن جلون التويمي يوم التاسع من المحرم 1906/1324 ، وكان قد عين أميناً للقسم المغربي بهذا المعرض[5] .

* * *

ومن ملحقات هذا الفصل الإشارة إلى ثلاثة شبان من طنجة يدرسون الطب في الجزائر ، حسب فقرة قصيرة في جريدة « السعادة»[6] هكذا :

« ... ورجع ـ أيضاً ـ للرخصة إلى طنجة : السيد عبد القادر ولد العباس ، والسيد أحمد بن عمر ، والسيد محبوب بن محمود ، الذين كانوا يتلقون الدروس الطبية في الجزائر ، وقد قدموا امتحانهم عن السنة الأولى فنجحوا نجاحاً جميلاً ، فنهنيهم ، لا سيما وهم من تلامذة مدرسة طنجة الفرنساوية العربية ... » .

---

3 ـ « ملف وثائق البعثة الفرنسية » : الرسالة رقم 1 .

4 ـ « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » خ . ع ، ك 2720 ، ص 21ـ1 .

5 ـ « المصدر » ص 84ـ4 .

6 ـ عدد 143 بتاريخ 11 جوليت 1907 ، يضاف لهؤلاء أفراد بطنجة يتوفرون على ثقافة حديثة ، حيث يظن الأستاذ الكبير عبدالله كنون أنهم درسوا خارج المغرب أيام السلطان العزيز ، وكانت أسماؤهم كالآتي :

ـ محمد اللواح ، طبيب : من طنجة .

ـ المختار عمور ، طبيب : سلوي أقام بطنجة مدة .

ـ الصادق التونسي ، تعليم عام : من طنجة .

ـ أخوه المختار ، تعليم عام : من طنجة .

حسب استجواب مع المنوه به ليلة الخميس 23 محرم 1384/4 يونيه 1964 . مع ملاحظة أنه لا يبعد أن يكون هؤلاء درسوا في الجزائر على غرار الذين نعلق على أسمائهم .

ملحق 57

رسالة عون الرفيق إلى رئيس كتاب الديوان بالإستانة ، توصية بمساعدة المقري لزيارة الخليفة

إلى جناب رئيس كتاب الديوان الملكي الممعظم .

يا حضرة صاحب الدولة .

إن وزير حكومة فاس من المغرب الأقصى : الحاج السيد محمد بن عبد السلام المقري .

بعد أن أتم فريضة الحج ، سيتوجه إلى مركز الخلافة الإسلامية ليتشرف بتقديم الإحترام باسم حكومته لجناب أمير المؤمنين المقدس . تأْييداً وتمكيناً للارتباط المادي والمعنوي للجامعة الإسلامية . ويأمل أن يحظى بشرف المثول بين يدي حضرة الخليفة ، فالرجاء الوقوف إلى جانبه ، وببذل العناية الكافية مساعدة له ، للحصول على هذه الأمنية المقدسة .

والأمر لكم سيدي .

في 18 ذي الحجة 1322 .

أمير مكة : **عون الرفيق**

محفوظات قسم الوثائق خ . م : في النص التركي للرسالة . وتعريبه من عمل الأستاذ الدكتور ممدوح حقي .

ملحق 58

النص المعرب لرسالة عاهل إنكلترا ، بقبول اعتماد محمد مرتيل قنصلاً مغربياً بجبل طارق

نص تعريبها من الإنكليزية بعد الطابع الملكي :

« يعلم الواقف على هذا فرداً كان أو جمعاً ، بعد تقديم الوداد والتحية والتهنئة من أدوارد وسلطان الدولة الإنجليزية : المملكة المتحدة : أكريت أبريطـن . وإيرلانده ، والممالك التي وراء الأبحر ، وملكها حامي لواء العهد والأمانة :

أن حضرة سلطان المملكة المراكشية عين الطالب محمد بن محمد مرتيل ، لخدمته قنصلاً لجنابه الشريف بجبل طارق ، فاستحسنا تعيين المذكور للخدمة المشار إليها .

وأملنا منكم شد عضد السيد محمد بن مرتيل المذكور ، فيما يتوقف عليه ـ أحياناً ـ من الإعانة له على القيام بخدمته ، وإعطائه جميع الامتيازات والرخص والمنافع الخاصة به ، المتعلقة بوظيفته .

صدر به الأمر بالقصر المسمى صانط جيمس ، في اليوم السابع عشر من يونيه ، عام ستة وتسعمائة : السنة السادسة من توليتنا ... » .

من وثائق جائزة الحسن الثاني .

الباب السابع

ملامح اليقظة السياسية
للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين

مقدمة :

حسب مدخل هذه المرحلة : فإن المغرب ـ بعد الاتفاق الودي سنة 1904 ـ شهد أحداثاً هددت استقلال البلاد وتماميتها ، وأفضت المأساة إلى تنحية السلطان العزيز ، واستبداله بأخيه الحفيظ ، وفي غمرة هذه البلبلة بدأ تصاعد الشعور الوطني بواقع الأزمة المغربية وما يتطلبه الوضع من حلول .

وبهذا ظهر ـ على المستوى الشعبي ـ رد جعل قوي ضدا على المطامع الأجنبية ، وسارت هذه الحركة في اتجاهين : ففي المناطق المحتلة قامت واجهات مسلحة لوقف المد التوسعي ، وهو موضوع سنعود إليه في غير هذا المكان .

ونأخذ ـ الآن ـ في تحليل واقع المقاومة السياسية الشعبية ، متسلسلاً ذلك في أربعة فصول :

الفصل الأول

الروافد الأولى للوطنية المغربية

مدخل :

بدأت النهضة الإصلاحية في الشرق بالدعوة للرجوع إلى السلفية ، علماً بأن التحرر الإسلامي الكامل : يستلزم أن يسبقه إعداد روحي يقوم على انتشار العلم والأخلاق بين أفراد الأمة .

وفي هذا الاتجاه يؤلف الكواكبي كتاب « أم القرى »[1] ، فيدون فيه مداولات وقرارات مؤتمر « خيالي » انعقد بمكة المكرمة في موسم الحج من عام 1316/ 1899 ، وقد ضم ثلاثة وعشرين مفكراً يمثلون جهات العالم الإسلامي ، فيتدارسون أمراض المسلمين من مختلف المستويات ، ثم يتواصون بالحلول الناجعة ، وليست سوى العودة إلى الهدي الإسلامي .

وإذا كان مجمع الكواكبي خياليا ، فقد لمع بعده إسم صحفي مسلم من القرم بروسيا ، وهو إسماعيل بك غصْبرْ نسكي ، وقد زار مصر عام «24-1325» / 1907 ، ودعا - في جمع كبير - بالقاهرة ، إلى عقد مؤتمر إسلامي عام للبحث في شؤون المسلمين . وقال في بيان المشروع الذي ابتكره :

---

1 - منشور ، والرجوع - هنا - إلى نشرة المطبعة المصرية الأزهرية عام 1350/1931 : في حجم صغير يشتمل على 217 ص عد الفهرس .

« إن انحطاط العرب والأتراك ، لم يكن السبب فيه ضعفاً في المدارك ، أو نقصاً في الاستعداد ، أو تأثيراً من الدين الإسلامي الذي ـ هو بالعكس ـ موافق للرقي والتقدم ، وإنما السبب فيه هو سلوكنا المخالف لأصول الدين وقواعده . ولذا كان من اللازم عقد مؤتمر إسلامي عام ، لا غاية له سوى النظر في أسباب اانحطاط المسلمين ، وفي الوسائل المؤدية إلى غايات النجاح ، والمفضية إلى حصولنا على حصتنا من المدنية الغربية »[2] .

وإزاء هذا المشروع وما قبله من توصيات جمعية أم القرى ، كان الشرق قد عرف دعوة جمال الدين الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية ، وتتركز على أن العالم الإسلامي يجب عليه أن يتحد إتحاداً دفاعياً عاماً مستمسك الأطراف وثيق العرى ، ليستطيع بذلك الذياد عن كيانه ، ووقاية نفسه من الفناء المقبل ، وللوصول إلى هذه الغاية الكبرى ، يجب عليه اكتناه أسباب تقدم الغرب ، والوقوف على تفوقه وقدرته[3] .

وإلى جانب هذه الجامعة الدفاعية ، ينعى الأفغاني على المسلمين فرقتهم ، وإنحرافهم عن العمل لإعلاء كلمة الله سبحانه ، وهو يعلق على احتلال الأجانب لكثير من البلاد الإسلامية ويقول « كل هذه الرزايا التي حطت بأقطارنا ، ووضعت من أقدارنا ، ما كان قاذفنا ببلائها ، ورامينا بسهامها ، إلا افتراقنا وتدابرنا ، والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه .

لو ادينا حقوقاً تطالبنا بها تلك الكلمة التي تهل بها ألسنتنا ، وتطمئن قلوبنا بذكرها ، وهي كلمة الله العليا ، هل كان يمكن للغرباء أن يمزقوا ممالكنا كل ممزق ، وهل كان يلمع سيف العدوان في وجوهنا ، وهل كنا نشيم نيران الأعداء إلا وأقدامنا في صياصيهم ، وأيدينا على نواصيهم ؟

إن لأبناء الملة الإسلامية يقيناً بما جاء به شرعهم ، لكن أليس على صاحب اليقين بدين أن يقوم بما فرضه الله عليه من ذلك الدين ؟

---

2 ـ « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي : 3/ 71 .

3 ـ « حاضر العالم الإسلامي » ، الطبعة الثالثة : دار الفكر 1/ 307 .

أنرضى ونحن المؤمنون وقد كانت الكلمة العليا ، أن تضرب علينا الذلة والمسكنة ، وأن يستبد في ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يخدم شريعتنا ، ولا يرقب فينا إلّا ولا ذمة[4] .

هذه فقرة جمال الدين ، حيث توضح دعوته لبناء الجامعة الإسلامية من وجهتيها الدينية والسياسية ، ثم يدعو إلى إكتمال هذا الهيكل بالجامعة الإسلامية الإقتصادية ، وأساسها : ثروة المسلمين للمسلمين .

وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الإسلامي هي لهم يتنعمون بها .

ورؤوس الأموال الأجنبية يستعاض عنها برؤوس مال إسلامية .

وعدم تجديد الامتيازات ـ لأوربة ـ في الأرضين والمعادن والغابات وقطر السكة الحديدية والجمارك[5] .

تلك هي الخطوط الرئيسية للجامعة الإسلامية التي دعا لها جمال الدين الأفغاني ، غير أن تلميذه الشيخ محمد عبده ، تبين له أن جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم عن طريق السياسة لا يتيسر الوصول إليه آنذاك ، فسعى فيه من طريق العلم ، وجعل همه رفع منار الإسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب ، وتقريبهم من أسباب المدنية الحديثة ، ليستطيعوا مجاراة الأمم الراقية ، ورأى أن ذلك لا يتأتى إلا بتنقية الدين من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور ...[6] .

وقد كانت الدعوة إلى تنقية الدين من الشوائب ، تمس ـ بالدرجة الأولى ـ طرق الصوفية ، على حين أن هذه كان لها ـ آنذاك ـ قوة كبرى ، ولبعضها دور ملموس في نشر الإسلام ومقاومة التبشير والاستعمار ؛ وهو ما يشهد به أساطين التبشير والإستعمار ، ومن ذلك قول المستربلس : « إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقية ... وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للإتجار بالرقيق ... بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو

4 ـ « محمد توفيق البكري » تأليف دكتور ماهر حسن فهمي ، سلسلة أعلام العرب رقم 64 ص 8ـ9 .

5 ـ « حاضر العالم الإسلامي » 1/328 .

6 ـ « مشاهير الشرق ... » تأليف جرجي زيدان : الطبعة الثانية 1/305 .

الدرويش ، صاحب النفوذ في إفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس ...[7] .

وهذه شهادة يقدمها شاتلييه رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي ، عن خطر جماعة الصوفية على المصالح الأوربية : « والخلاصة أن الإسلام مدين ـ بكل فتوحاته السلمية ، وانتشاره في الأقطار ـ لجماعة الصوفية ، فشايخ الطريق هم ـ في الحقيقة ـ الذين يديرون حركة الإسلام الحية ، ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »[8] .

وهكذا نستنتج من هذه الشهادة وسابقتها ، دور فريق الصوفية في مقاومة المد التبشيري والإستعماري في هذه الفترة ، وبالخصوص الطرق الحديثة كالسنوسية بإفريقية ، حيث تلتقي مع أهداف الجامعة الإسلامية .

والظاهر أن ذلك هو الذي حفز السيد عبد الرحمن الكواكبي ، إلى طرح اقتراح يدعو فيه طرق الصوفية للرجوع إلى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الإرشاد والتربية ، ثم تكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها المجتمع الإسلامي الجديد ، ففرقة تختص بإعاشة الأيتام وتعليمهم ، وأخرى تقوم بمواساة المساكين وأبناء السبيل ، وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين . وطائفة تعمل للتشويق إلى الصلاة ، وفئة تنتدب للتنفير من المسكرات ، وجماعات أخرى تشتغل بما يشابه ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية[9] .

والغالب أن هذا الإقتراح الصادر في كتاب « أم القرى » كان يتجاوب مع تفكير يشغل بال بعض المصلحين الآخرين ، حتى تمكن الاستفادة من هذا الفريق في بناء المجتمع الإسلامي الحديث ، وهكذا يقول السيد محمد رشيد رضا : « طالما فكر محبو الإصلاح من عقلاء المسلمين ، في إصلاح شأن المنتمين إلى طرق الصوفية ... ولما هاجرت إلى مصر سنة 1315 ، كان أول إصلاح سعيت إليه ، أن حاولت

---

7 ـ « الغارة على العالم الإسلامي » تأليف أ . ل شاتليه ، تلخيص وتعريب مساعد اليافي . ومحب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة : ص 21 .

8 ـ « محمد توفيق البكري » ص 181 .

9 ـ كتاب « أم القرى » ص 181 .

إقناع شيخ مشايخ طرق الصوفية الشيخ محمد توفيق البكري بالقيام بهذا الإصلاح ، كلمته بذلك قبل إصداري المنار ، ثم ما زلت ألح عليه في ذلك وهو يسوف مع الاستحسان ، حتى عمد إلى ذلك بوضع لائحة رسمية ، ولائحة داخلية ، ثم وضع كتاباً في الأخلاق والآداب »[10] .

ومن الجدير بالذكر أن الشرق الإسلامي ، عرف ـ في هذه الفترة ـ تجمعات تتسم بالطابع الوطني ، ومنها ـ بمصر ـ « الحزب الوطني » وزعيمه مصطفى كامل ، وجريدته « اللواء » ، ثم « حزب الإصلاح على المباديء الدستورية » ، وزعيمه علي يوسف ، وجريدته « المؤيد » . غير أن الوطنية كان مفهومها ـ آنذاك ـ يتسع لإعتبارات دينية ، ولا أدل على هذا من كون الحزبين المصريين يؤيدان الجامعة الإسلامية بكل حرارة .

وفي تركيا ظهرت بعض التجمعات الجنسية . مثل جمعيات « الوطن التركي » . والجنسية الطورانية التي تألفت في الأستانة[11] ، على أن بعض زعماء الأتراك كانوا يفضلون الرابطة الإسلامية بغض الطرف عن الجنس والقومية ، ومن هؤلاء أنور باشا أحد أقطاب جمعية الإتحاد والترقي[12] .

* * *

وإلى هنا فقد قدم هذا المدخل الملامح العامة لحركة النهضة الحديثة بالشرق الإسلامي ، وبعد ما كانت أصداؤها تنتقل ـ متقطعة ـ إلى المغرب ، بدأت ـ من أوائل القرن العشرين ـ تصل بانتظام ، حيث تتأدى إلى المغاربة بواسطة الصحافة والكتب المشرقية ، وعن طريق بعض الجرائد التونسية ، وعلى لسان الرحالين من الحجاج والتجار ، فضلاً عن الصحافة المحلية التي أخذ صدورها ينتظم في مدينة طنجة .

فكان لهذه المصادر ـ على تنوعها ـ أثر في تزايد الشعور بواقع البلاد ،

---

10 ـ « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » 1/129 .

11 ـ « حياة الشرق » تأليف محمد لطفي جمعة ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ص 226 .

12 ـ « المصدر » ص 221 .

وحاجتها إلى التطور في تفكيرها وسياستها وسلوكها . ولمعت هذه اليقظة ـ أكثر ـ في أربع مدن : فاس العاصمة العلمية والإقتصادية والسياسية آنذاك ، ثم طنجة : القاعدة الدبلوماسية ، ثم سلا والرباط .

ولا نغفل ـ هنا ـ عن الإشارة إلى مصدر آخر لهذا الشعور ، ويتمثل في النخبة الواعية من الذين درسوا في أوربا ، وتبوأ بعضهم مناصب سامية ، ومنهم الزبير سكيرج ، وأحمد الجبلي ، والطاهر بن الحاج الأودي ، والطبيب المصطفى بن عبد السلام الزاودي الطنجي ، وأسماء أخرى متعددة .

هذا إلى تأثير بعض الوافدين على البلاد من الشرق الإسلامي ، وسنأتي على أسمائهم آخر هذا الفصل ، مع العلم بأن بينهم من كان يرتبط بالجامعة الإسلامية وصحافتها ، أو حزب الإتحاد والترقي .

وهناك تأثير بعض المغاربة الذين نشئوا أو أقاموا ـ طويلاً ـ بالشرق العربي ، ثم عادوا ـ في هذه الفترة ـ إلى وطنهم ، وبينهم محمد بن مصطفى بن محمد ابن سعد التلمساني ثم التازي[13] ، والحاج علي زنيبر السلوي[14] ، وعبدالله القباج الفاسي ، ومحمد بن إدريس بو عشرين المكناسي[15] .

ثم الحاج محمد القباج الفاسي ، أحد التجار المغاربة الذين ساحوا بالشرق قبل عودتهم إلى السكنى بفاس ، ويذكر عنه مؤلف « مختصر العووة الوثقي »[16] : أنه من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، فكان يحضر دروسه الليلية التي يلقيها على محمد عبده وأقرانه ، وهناك كان رفيقاً للشيخ الإمام ومحمد المويلحي وسعد زغلول وعبد الله نديم ، وأمثالهم من أدباء الشرق .

وقد استفاد من مجالستهم فوائد لم تكن مع أحد في المغرب في وقته ، وهو الذي أذاع فضل جمال الدين وعبده وأمثالهما ، وعرف المغاربة بأخبارهم وأحوالهم .

---

13 ـ ترجمته في « معجم الشيوخ » 1/ 61ـ63 .

14 ـ سيرد التعريف به عند الباب 9 .

15 ـ كلا الأديبين من تربية الحجاز ، بعد ما كان مولد أولهما بمكة المكرمة ، والثاني : بالمدينة المنورة .

16 ـ المؤلف هو محمد الحجوي : ص 21 .

وفي نطاق دور هذه الروافد في التوعية السياسية نشير إلى نموذجين إثنين : بدءاً من الطبيب الطنجي المصطفى الزاودي سابق الذكر وشيكاً . وكان يقرأ الجرائد ، ويحسن بعض اللغات الحية ، فيكتب ـ يومياً ـ إلى فاس بماجد من أخبار المطامع الأجنبية حول المغرب[17] .

الثاني : السياسي الغيور : القائد عبدالله بن سعيد السلوي ، العضو في دار النيابة بطنجة ، ومن مبادراته رسالة صارخة بعث بها من طنجة إلى فاس ، ليخبر فيها ببعثة طاياندي التي خرجت من طنجة قاصدة فاس . ثم يستعرض مطالب السفير الفرنسي ويحللها ، لينتهي إلى أن الغاية منها هو التدرج في الإستيلاء ـ السلمي ـ على المغرب ، وهنا تلح الرسالة على تصلب ولي الأمر أمام هذه المقترحات . وتشير بعرضها على العلماء والأكابر ليقولوا فيها كلمتهم . . حسب نص الموجود من هذه الرسالة بالملحق 59 .

* * *

وإلى هنا : فقد قدم هذا العرض نماذج من الروافد الأولى للوطنية المغربية في مطالع القرن العشرين ، حيث يغلب عليها الطابع المحلي ، وإلى ذلك عرف المغرب في هذه المرحلة وافدين من الشرق الإسلامي أو تونس ، فأثر عدد منهم في مسار الوطنية المغربية الناشئة . وكانوا صلة وصل بين الوطنيين والجامعة الإسلامية . أو حزب الإتحاد والترقي .

ونستعرض هنا ما وصلت إليه من أسماء هؤلاء الوافدين ، مع إضافة بعض الإرتباطات الأخرى في نفس الإتجاه .

1 ـ فنذكر ـ أولاً ـ العالم التونسي محمد خير الدين ، مبعوث جمعية الإتحاد والترقي بتركيا[18] ، حيث أقام بمدينة مراكش ، وكان له إتصال بالشيخ

---

17 ـ مذكرات محمد عبد الحي الكتاني بخطه : خ . م 13096 .

18 ـ من استجواب مع القاضي المرحوم عبد الحفيظ الفاسي : في داره بحي مارسا بالرباط خلال عام 1374/1955 .

محمد بن عبد الكبير الكتاني .

2 ـ وإذا كنا لا نتوفر ـ الآن ـ على معلومات أكثر عن هذا الوافد المقيم بالمغرب : نشير ـ بعده ـ إلى علي زكي الصحفي المصري[19] ، ومراسل جريدة « المؤيد » في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، وكان وصوله إلى فاس ـ بعد انفاض المؤتمر ـ يوم السبت 23 ربيع الثاني 1324/1906 ، فقوبل بعناية خاصة ، ونزل بالدار المعدة للقادمين من الخارج ، وتضيف الجريدة[20] التي نشرت هذا النبأ قائلة : « وفي رواية إن المخزن نفذ له مئونة يومية قدرها خمسة أو ستة ريال عزيزية ، وأنه في البحث والتنقيب عن رياض لائق لسكناه ، حيث إنه عازم على استخدامه في مهام حكومية » .

وقد قام علي زكي هذا بمساعدة هامة للوفد المغربي أثناء انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، وعمل لإذكاء روح المقاومة لدى هذا الوفد ، ولإقناعه بالاعتماد على خبرات المسلمين المشارقة ـ من أتراك ومصريين ـ في تنفيذ الإصلاحات ،

= وقد مر على هذا الاستجواب زهاء ثلاثة عقود من السنين ، دون أن أقف على معلومات جديدة عن الضيف التونسي ، إلى عشية الخميس 14 ذي الحجة 1403/22 سبتمبر 1983 ، حين زرت نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي ابن سعيد ، فاطلعني على مبيضة تعزية والده في محمد خير الدين في رسالة بعث بها إلى شقيق المتوفي : وزير العدلية التونسية طاهر باشا خير الدين .

فأفادت هذه الرسالة تصحيح اسم المذكور ، ومكان وفاته : بحاضرة تونس ، فضلاً عن أنه أحد أشبال خير الدين باشا : الوزير التونسي الشهير .

وإلى هذا يضيف صاحب الوثيقة أن محمد خير الدين أقام في مدينة مراكش سنتين ، ثم أبعد عن المغرب بدسائس أجنبية .

وإلى غيرته الإسلامية كان معدوداً من علماء تونس ، فيشير إليه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور بمناسبة عودته من تركيا إلى تونس صحبة ، شقيقه طاهر باشا ، ويذكره بوصف العالم المتفنن محمد خير الدين ، حسب « تراجم الأعلام » : الدار التونسية للنشر ص 254 .

19 ـ عين ـ في العهد الحفيظي ـ مدير الأشغال العمومية في طنجة ، وبعد الحماية اسندت له مهمة إرشاد القبائل المغربية لطرق إصلاح الفلاحة والماشية ، فكانت له بالبوادي أيام مشهودة كل عام ، يخطب فيها ـ بالعامية ـ على جموع الفلاحين ومن إليهم ، إلى أن توفي عام 1347/ «28ـ1929» ، « مذكرات محمد عبد الحي الكتاني » خ . م 13096 ، مع « لحظات القلوب » : في تعليقة ختامية 1/144 .

20 ـ جريدة « السعادة » في عددها الصادر يوم الخميس 28 ربيع الثاني 1324/21 يونيه 1906 .

ويبدو أن هذا الصحفي لعب دوراً هاماً في تحضير المشاريع التي تقدم بها الوفد المغربي ، وخاصة مشروع البنك[21] .

3 ـ وبعد على زكي نشير إلى الشيخ العالم السوري عبد الكريم بن السيد عمر ابن مصطفى بن الشيخ مراد ، الشامي الطرابلسي ثم المدني الحنفي ، مبعوث الشرق إلى المغرب .

ورد على فاس عام 1324 «1906ـ1907» ، ونزل في الزاوية الكتانية بأعلى القطانين ، وابتدأ يلقي دروساً في الجغرافيا والفلك والتجويد ، وكان مجلسه مجلس أنس وسياسة ومحاضرة ، وغيره على الدين وأهله وغربتهم[22] .

وقد ألف في قدمته هذه كتاباً باسم « الهدية النافعة لشرح منظومة الواضحة »[23] ، شرح فيه الأرجوزة المسماة بالواضحة ، من نظم برهان الدين الجعبري : إبراهيم ابن عمر الخليلي ، وطرز ـ باسم السلطان العزيز ـ طالعة الكتاب ، ليعقب ـ بعد ذلك ـ بهذه الفقرة « فنرجو من سيدنا ـ أعزه الله تعالى ـ طبع هذا الكتاب ونشره ، وفتح مكتب لأجل قراءة الأولاد على الطريقة الصحيحة : من العلوم الدينية والوقتية ، بترتيبنا الغريب ، وصنعنا العجيب ، حسبما شهدت بفضله العلماء الأعلام ، بمدرستنا في المسجد الحرام ، ومدينة النبي عليه السلام ، ويسمى « بالمقاصد العزيزية » . لنشر العلوم الدينية والوقتية ... » .

وهكذا نتبين أن المنوه بـه كـان يهدف ليقوم ـ في المغرب ـ بعمل إصلاحي في حقل التعليم الإبتدائي ، فيضع هذا التأليف في مستوى المتعلمين الصغار ، ويحاول فتح مدرسة ابتدائية ، لتلقين العلوم الدينية والعصرية .

وإذا كانت آماله في فتح مدرسة « المقاصد العزيزية » لم تتحقق : فهو قد نجح ـ إلى حد ـ في إلقاء دروس علمية تناولت مباديء السياسة والجغرافيا والحساب

---

21 ـ « المسألة المغربية » ص 352 .

22 ـ من مقيدة للشيخ محمد عبد الحي الكتاني في صفحة مستطيلة : من المكتبة الأحمدية بفاس .

23 ـ منه نسختان ناقصتان بخط المؤلف : أولاهما في خزانة خاصة ، والثانية : خ . ع . د 1042 آخر مجموع من ورقة 168 إلى 182 .

والتاريخ ، وكان من الأخذين عنه القاضي عبد الحفيظ الفاسى ، والقاضي المهدي الفاسي .

وإلى هذا كان مراسل جريدة « المؤيد »[24] .

ومن المبادرات السياسية للسيد عبد الكريم مراد : تدوينه لمشروع إصلاحي مطول ، حيث قدمه إلى السلطان العزيز بعد مؤتمر الجزيرة ، واقترح فيه ـ لحفظ استقلال المغرب ـ تأسيس مجلس نيابي ، ووضع دستور مغربي ، وهو موضوع سنعود له في مكانه من هذه الدراسة .

ونشير ـ الآن ـ إلى أن المترجم مكث طويلاً بفاس ، ثم انتقل منها إلى النيجر ، فتوفي ـ بها في مدينة كانو ـ التي استوطنها ـ عام 1347/[25] 1928 .

4 ـ السياسي الغيور عبد الحكيم بن محمد المزوغي ، التونسي المولد والنشأة ، المغربي الأصل ؛ ويبدو ـ من المعروف من رسائله ـ أنه كان موظفاً مع الحكومة المغربية ، فينتقل ـ في خدماتها ـ بين طنجة وفرنسا وتركيا ... ولما كان يتقن بعض اللغات الأجنبية : صار على خبرة تامة بنوايا الدول نحو المغرب ، فيفيد كلاً من الحكومة وبعض الوطنيين بتطورات القضية المغربية[26] .

وفي هذا الإطار : تتخير ـ من بين رسائله ـ واحدة كتبها إلى شخصية مغربية لم يذكر اسمها ، وكان ذلك إبان إنعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، فيعرف بدخائل المطالب التي تتقدم بها بعض الدول للمؤتمر ، ويشير بالحلول التي تضمن إستقلال المغرب ، وستكون هذه الرسالة هي موضوع الملحق 60 .

---

24 ـ « مذكرات » محمد عبد الحي الكتاني المتكررة الذكر .

25 ـ « إتحاف ذوي العلم والرسوخ ... » تأليف محمد بن الفاطمي بن الحاج السلمي ، دار الطباعة الحديثة بالبيضاء ، ص 25 : تعليق . وخلال إقامة المنوه به في مدينة كانو رحل إلى سويسرا ، حيث زار الأمير شكيب أرسلان في مدينة لوزان عام 1923 ، وكتب هذا عنه واقع المسلمين في بلاد النيجر وما إليها ، « حاضر العالم الإسلامي » 3/50ـ51 .

26 ـ بعد كتابة هذا وقفت على إشارة له بالمصدر التالي ، فيذكر له عدة مؤلفات في الإقتصاد السياسي ، وكان مستشاراً تقنياً لدى الحكومة المغربية قبل الحماية . كما يشير إلى متملكاته الزراعية بناحية مراكش ، حيث اشتغل فيها ـ بعد وفاته ـ أخوه (الشريف كيلاني حكيم) . الذي حل بالمغرب سنة 1933 .

LE LIVRE D'OR DU MAROC
Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc.

5 ـ ننتقل ـ الآن ـ إلى صنف آخر من الوافدين . انطلاقاً من الشيخ محمود النوري السفاقسي نزيل الإستانة : وصل إلى مدينة فاس عام 1322/1904 . واتصل بالسلطان العزيز ، ثم توفي ـ بفاس ـ في السنة ذاتها[27] .

6 ـ وفي هذه الفترة كان يسكن بسلا طبيب سوري : محمد شاكر . واسمه ـ كاملاً ـ محمد شاكر بن الشريف السيد أحمد الرجله القصار . الحسيني الدمشقي[28] .

وكان يضيف إلى معرفته بالطب إتقان الرياضيات والكيميا . وعالج أمراض السل واليرقان والحمى التيفوشية ، وألف فيها رسالة .

وتوفي ـ بسلا ـ عام 1324/1905[29] .

7 ـ وبعد الطبيب السوري : نشير إلى أبي بكر بن عبد الوهاب مدير جزيدة « إظهار الحق » ، وهو ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء . بعدما كان معلماً في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين ، حسب ذكره في وثيقة سبقت الإشارة لها عند الباب الخامس بالتعليق رقم 15 .

وفيها تعرض إسمه للتحريف ، فذكر باسم : عبد الوهاب بن أبي بكر بن علي .

ولحسن الحظ ظهرت معلومات جديدة عنه في الترجمة التي كتبها له الأستاذ محمد بن عبد الصمد كنون[30] :

وهو يذكر أن المترجم ولد بالجزائر من أب مغربي انتقل إليها قديماً ، وكان يتقن ـ بالإضافة إلى العربية ـ اللغتين الألمانية والفرنسية ، ورجل للشرق فجال في البلاد الإسلامية ، واستقر ـ مدة ـ بالعاصمة العثمانية ، حيث تعرف بزعماء

---

27 ـ « كناشة » عبد الحفيظ الفاسي . في الخزانة التطوانية بسلا .

28 ـ تكملة إسمه من منكية بخطه الشرقي ، كتبها على الجزء الأول من « عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج » تأليف السيد أحمد أفندي الرشيدي : بتاريخ 22 صفر سنة 1306 هـ .

29 ـ من ترجمته في أرجوزة « إتحاف أشراف الملا ... » لناظمها محمد بن علي الدكالي : خ . م 227 .

30 ـ « مواكب النصر وكواكب العصر » مطبعة سوريا بطنجة ص 114ـ115 .

الأتراك وساستهم ، كما جال في أوربا ، وأقام بألمانيا مدة ، وتزوج من إحدى فتياتهم ، ولما رجع إستقر بطنجة ، فكان محط المتابعة الخطيرة ، وفي آخر الأمر أنشأ صحيفة « إظهار الحق » ... توفي سنة 1348/ «29-1930» .

* * *

وعرفت مدينة طنجة جماعة من اللبنانيين النازلين بها ، فأفادوا في تكوين عدد من الكتاب المغاربة .

8 ـ وبينهم وديع كرم محرر جريدة ومجلة « الصباح » ، ثم جريدة « السعادة » .

9 ـ وأخوه ميشال كرم صاحب مكتبة تجارية بطنجة .

10 ـ ثم فرج الله نمور مدير جريدة « لسان المغرب » .

11 ـ وأخوه أرتور نمور رئيس تحريرها .

12 ـ والشيخ نعمة الله الدحداح الذي صار ـ من بعد ـ محرر جريدة « الفجر »

ونذيل هذا العرض بقصيدة خاطب بها ميشال كرم المؤرخ السلاوي محمد بن علي الدكالي ، بعدما كتب هذا للأديب اللبناني يستفسره عن محتويات مكتبته بطنجة ، وهذا نص القصيدة ، وقد بعث بها عام 1319 هـ :

سلام على أهـــل الكرامـــات من ســـــلا
سلام مشـــوق عن مُعَنيـــــه ما ســـــلا
يعلل قلبـــاً مضـــه الوجد والجـــــــوى
وأحْـــرِ بقلـــب الصـــب أن يتعلـــــلا
دعتـــه تباريـــح الصبابـــات فانتـــــــوى
عن الشام شـــام الله في الأرض والمـــــلا
يؤم بـــلاد الغـــرب ثغـــراً وفرضـــــة
إلى أن ـ أخـــيراً ـ رام طنجـــة منـــزلاً
مدينـــة عز أمهـــا كـــل عالـــــم
ولكـــن سلا أم المعـــارف والعـــــلا

حللت بهـذا الثغـر عنـدي كتائـب
من الكتـب في جيد العلـوم هي الحـلى
مهاودة أسعـارها وهي نخبـة
تخيرتهـا فاختـر لنفسـك ما حـلا
دعاني إلى تثمـين هـذا إليـك مـا
كتبـت إلى ميشـال من قبـل سائـلاً
بعثـت بهذا النظـم ـ وهـو خريدة ـ
من الشام تبغـي في رتاجـك موئـلاً
نقيبـة ثوب الحـب عذراء كاعـب
أتتك ترجي من حياضـك منهـلا
عليهـا شهـود عُـذّل في ولائهـا
وفيها حديث الشوق يـروى مسلسـلاً
لئن لم تصادف منـك حظا فردهـا
وإن صادفـت حظا فذلـك أفضـلا
يرجـع في إنهائهـا ما ابتدأتـه
سلام على أهل الكرامات من سـلا[31]

* * *

وبالإضافة إلى الوافدين : الزوار أو المقيمين ، يلمع ـ بالمغرب ـ إسم أحد الدعاة ـ بمصر ـ للجامعة الإسلامية : مصطفى كامل سالف الذكر ، وهو لم يزر هذه الجهات ، غير أن جريدته « اللواء » وقفت ـ موقفاً مشكوراً ـ بجانب المغرب خلال الغارة الإستعمارية على الدار البيضاء عام 1325/1907 ، وقد تتبعت المعارك الدفاعية باهتمام بالغ ، فتبرز بطولات المغاربة وتشيد بها ، وترصد انتصارهم ـ أحياناً ـ وتنوه به ، مؤيدة ذلك باعترافات الساسة ، أو شهادات

31 ـ وردت هذه القصيدة بخط المخاطب بها محمد بن علي الدكالي : في إحدى « كناشاته » : خ ـ ع ، د 4257 ص 25 .

المراسلين للصحافة الفرنسية والألمانية . وتضيف جريدة « اللواء » . لهذا وذاك . تنديدها بالغزو الجهنمي بالبوارج الحربية والمدافع والمذابح من أمة متمدنة . ضد بلد مستقل مسالم . لا يتوفر إلا على شجاعته الخارقة . وهكذا تقول صحيفة « اللواء »[32] تحت عنوان « الدار الفانية » :

« إن الإنسانية ترتجف جزعاً من هول المذابح الجارية في المغرب الأقصى . ولقد دعونا الدار البيضاء بالدار الفانية . لأنه قد رفرف عليها الموت من كل جانب . وفنى فيها كل شيء إلا وجه المدافع . وإن القلوب لتتفطر آسى وحزناً من كون المتمدنين لم يعرفوا ـ الآن ـ طريقة تمدين الناس ـ على ما يزعمون ـ إلا تسليط القنابل عليهم تحصدهم حصداً ، وتنسف منازلهم نسفاً . وأن لا يجد إنسان هذا الزمان لغة ليخاطب بها أخاه الإنسان إلا زمجرة المدافع وزفير النيران ...

ولقد كان البدوي في البادية يلتقي بعدوه الألد ، وله عنده ثارات . فيأنف أن يأخذه على غرة منه . أو يحاربه بسلاح ليس عنده مثله . وكذلك قوانين المتمدنين ، تلتمس ظروفاً مخففة للمجرمين الذين لم يقدروا الجريمة قدرها ، ولا أدركوا مبلغ مسئوليتها .

وهؤلاء القبائل من المراكشيين ، لم يشتركوا ـ جميعاً ـ في (جريمة الاعتداء) على الثمانية الفرنسويين ، ثم هم لا يقدرون العواقب قدرها . ولا يدركون الخطر الذي يصيبهم من التعرض للبورج الحربية وقنابلها ، وإنما هم قوم وقر في أنفسهم أن الفرنسويين يريدون الإستيلاء على بلادهم ، فثارت الأنفة في رؤوسهم ، فالرحمة واجبة على فرنسا المتمدنة ، التي طالما قامت قيامتها لإنسان يسجن ظلماً ، ومجرم يعاقب عقاباً معذباً .

وما نحن نقول هذا القول وحدنا ، بل قاله بعض كبار الكتاب من الفرنسويين أنفسهم ، قالوه لما هالتهم كثرة القتل والتعذيب والتدمير بغير جريرة ، سوى الحماسة البدوية . والنعرة العربية . وهم يطلبون من حكومة الجمهورية أن تخاطب القوم

---

32 ـ عدد 2423 . بتاريخ السبت 15 رجب 1325/24 غشت 1907 . والنقل هنا عن نسخة من المقال عند الأستاذ المرحوم الحاج أحمد بناني . حيث انتسخت منها عام 1374/1955 .

بغير لسان النار والحديد ، وأن تعلن في طول البلاد وعرضها أنها لا تنوي فتحاولا استعماراً ، ولا تضمر للبلاد شراً ، وأن تجذب الناس إليها بمحاسن تمدنها ، وتبرهم برقة معاطفها وعظمة علومها » .

* * *

وبعد هذه العاطفة نحو المغرب من الزعيم المصري مصطفى كامل : نقفي عليها بالإشارة لرسالة من مفتي الديار المغربية الشيخ المهدي الوزاني إلى مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، وقد أفتي هذا بحل طعام أهل الكتاب وذبائحهم ، وهي المعروفة بالفتوى الترانسفالية .

وفي خطاب العالم الفاسي يعطي موافقته لما ذهب إليه الشيخ الإمام ، في أسلوب إخواني يبتدي كالتالي : « ... فالمقصود الإعلام بأننا على محبتكم ووداداكم وإن لم نركم بالأبصار ، لكن نرجو الله ـ تعالى بفضله ـ أن يجمعنا بكم في هذه الدار ... » .

وسيرد نص الرسالة ـ كاملاً ـ عند الملحق رقم 61 .

ملحق 59

رسالة القائد عبدالله ابن سعيد إلى الشيخ الكتاني للتعريف بأهداف بعثة طاياندي

« ... هذا وقد ألهمني الله ـ تعالى ـ لتحرير هذا الكتاب ، طالباً منه أن يكون للخير من جملة الأسباب ، والله تعالى أسأل ، وبنبيه ـ ﷺ ـ أتوسل : أن يوفق بنصائحك أمير المؤمنين ، لما فيه حماية بيضه الدين ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

فأقول : يا سيدي وعمدتي وحبيبي وقرة عيني وأنيس قلبي : لا يخفاك ما فاهت به الألسن وسطرته الأقلام بين الأنام : في شأن أرضنا الطيبة الطاهرة ، منبت الصالحين ، ومقر الموحدين ، حتى تشوف إليها العدو الأحمر ، ولم يعارضه ـ إلى الآن ـ منا منكر ، ولا زال طمعه يمتد ، ما دام لم ير الأنكار من أحد .

وها هو نائبه الملعون قد خرج من طنجة ، قاصداً حاضرة فاس ، معتمداً فيها على بعض الناس ، وقد استفدت من عدة طرق : بأن له مطالب سيطلب تنفيذها من المخزن المحروس بالله .

منها بسط يده وتكليفه بترتيب دخل المراسي وتنظيمها على نمط المراسي الافرنسوية ، نعوذ بالله من شر ذلك .

ومنها انتصاب أمين ـ بل خائن ـ من بني جنسه بدار المخزن ، يشارك أمناء الجناب العالي في الرأي والتدبير فيما يرجع للأمور المالية : من دخل وخرج .

ومنها توظيف واحد من بني جنسه بصفة مستشار ومدبر : يكون ـ دائماً ـ مع المخزن أينما حل : مثل الشعرة تحت اللسان ، نعوذ بالله من شر ذلك .

ومنها تكليف الباشا دور الفرنسي بطنجة بحفظ الراحة العامة ، وحراسة البلاد ونواحيها برجال يجلبهم من الجزائر يكونوا ـ أيضاً ـ تحت أمره ونهيه ،

وبعد الاستيلاء ووضع اليد على طنجة ونواحيها : يعمم ذلك على بقية المراسي ونواحيها ، ثم يدخل بسياسة وخديعة لمراكش بالحوز ، وفاس بالغرب .

ومنها تكليف حرابة من الفرنسيين بتنظيم جيوش المسلمين ، بل بحصر قوة المسلمين وعدتهم بيده ، لا سمح الله بذلك .

ومنها عرض سلف آخر على المخزن لا قدر الله بذلك ، وصرف القدر المستقرض في إصلاح الطرق والمراسي على يد أناس من الفرنسيس تحت نظر نائبهم بطنجة ، اللهم أكفنا شر ذلك .

فهذه ـ سيدي ـ جملة المطالب التي سيطلبها نائب الأفرنسيس من المخزن ، وهذه مدة وهو يدبر ويستعد سراً ، بمشاركة بعض الأشقياء بدار المخزن الذين لا غيرة لهم لا على وطنهم ولا على دينهم ، اللهم أهلك من رام أو رضي بهلاك المسلمين .

وإعلم ـ سيدي ـ أن الفرنسيس ليس له قوة ولا قدرة على إلزام المسلمين ، وهو ـ مع شدة خوف منا ـ قد طمع فينا بسبب ما رأى في بعض الرجال من الخوف منه ، وهل يخاف من الكافر إلا من كان ناقص دين ، وضعيف في اليقين .

وقصد هذا العدو هو التداخل في أمور بلادنا : في المسائل المالية والإدارية والعسكرية بوجه معين ومشير وصاحب ، ثم بعد وضع يده واشتهار نفوذه واستيناس الرعية بالمصارفة معه والنظر في وجهه : يعلن بإعلاء كلمته ونشر حمايته وأوامره ، وإذ ذاك يصعب على المسلمين مقاومته وطرده ، بعدما مكنوه من مال المسلمين وجيوشهم ، لا سمح الله .

ولا شك أنكم سمعتم بالاتفاق الذي وقع بين الإنجليز والفرنسيس فيما يتعلق بأحوال المغرب ، وصورته أن الانجليز قد تسامح للفرنسيس بأن يتقرب من المخزن قرباً خاصاً ، وإذا استحصل على امتيازات ومنافع كالتي أشرنا إليها في المطالب أعلاه ويمناه : فإن الإنجليز لا يزاحمه فيها ، ولا يطلب من المخزن ما يقابلها على مقتضى الشروطات .

وأما الاسبنيول فإنه لم يسلم للفرنسيس في حقوقه في الغرب المبنية على المعاهدات

القديمة . وقد انتصر كل الإنتصار لجانب الغرب . وأعانته بقية الأجناس على ذلك . وآخر الأمر إلتزما معاً ـ أعني الفرنسيين والاسبنيول ـ على احترام استقلال مملكة المغرب ، وعدم مس أرضه بوجه من الوجوه ، وأعلنوا جميعاً ـ بوجه رسمي ليس فيه شك ـ بأنهما قد اتفقا والتزما الإلتزام الكلي باحترام مملكة المغرب واحترام السلطنة القائمة به ، وإذا حصل أحدهما على امتياز فللأخر أن يطلب ما يقابله ، انتهى .

فتحصل مما ذكر أن وجه الغصب قد وقع الإقرار والإلتزام بإبعاده وعدم استعماله بوجه من الوجوه ، ولم يبق بيد الفرنسيين إلا استعمال الخدائع والحيل والمكيدة : فتارة يتهدد ، وتارة يرشي ، وتارة يتذلل ، حتى يحصل على امتيازات ، ويبني في أرضنا حقوقاً تنمو بنمو الأيام ، إلى أن يعظم أمرها ، ويصعب فكها . كما وقع ذلك في تونس ومصر ، حتى آل مثالهما إلى ما ترى ، فرج الله على المسلمين .

فمقتضى ما ذكر ، وذلك نقطة من بحر الخديعة ومكر الكافرين : فإني نعرض على جنابك ـ بصفة الشاكي الباكي الحيران ـ هذا الحال ، لتنقذ مولانا من شبكات الخديعة والمكر ، فقد أحاطت به أناس لا يعرفون الله ولا الرسول ، يحسبهم الإنسان منا وهما منهم ، اللهم أكف المؤمنين شرهما .

هذا والمشورة واجبة بالكتاب والسنة والعقل ، ولذلك نطلب الله أن يلهم مولانا ويسرنا بجمع العلماء والآكابر ، ويعرض عليهم مطالب الافرنسيس كتابة ، وبعد النظر فيها والتأمل التام يجيبون عنها ، فما وافق مصلحة المسلمين يقبلونه . وما فيه ضرر يردونه بالتي هي أحسن .

ولا بد ثم لا بد ثم لا بد : أن يطلب سيدنا من نائب الفرنسيس بأن يقدم جميع مطالبه بالكتابة ، ولا يقبل أبداً أبداً أبداً : أي مطلب كان حقيراً أو جليلاً بدون كتابة .

والحذر كل الحذر ، والاحتراز كل الاحتراز : من الخوض مع نائب الفرنسيس فيما اتفق به مع الإنجليز أو مع الاسبنيول ، بل مهما تكلم نائب الافرنسيس مع المخزن في هذا الموضوع وذكر الاتفاق الذي وقع بينه وبين الجنسين المذكورين :

ألا ويجاب بهذه الكلمات الخفيفة على اللسان الثقيلة في الميزان :

إعلم أيها الباشدور : أن الدولة الفرنسية لما أرادت أن تتفق مع الإنجليز أولاً ومع الاسبنيول ثانياً : لم تطلب من المخزن أن يدخل في هذا الإتفاق . ولا أعلمته بمضمنه ، ولا طلبت منه المساعدة والموافقة عليه . فهذا الإتفاق كيفما كانت أهميته هو كالشيء المعدوم في نظر المخزن . وعليه فإن المخزن لا ينظر إليه ولا يقبله . ولا يعتبره بوجه من الوجوه . وإنما الذي يلزم المخزن هو ما يقبله بطيب نفس منه ، ويتفق عليه بطابعه وخط يده رسمياً . فذاك هو الاتفاق الموافق للشرع والقانون . واجب تنفيذه . لأن المؤمن إذا عاهد وفى ...

من وثائق نخبة مدينة سلا المغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

ملحق 60

رسالة عبد الحكيم التونسي . للتعريف بحقيقة التدخلات التي تطرحها بعض الدول على مؤتمر الجزيرة الخضراء ، مع الإشارة بالردود المغربية البديلة

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله .

قد كنت عرفتكم بطلب الفرنسيس بالقيام بمسئلة البوليس بمرسي طنجة والعرايش والرباط والدار البيضاء والجديدة ، وأما الصويرة وآسفي فسكوت عنهم ، وذلك لعلة ، لأن الألمان يقول : بأنه لا يقبل أن يكون غيره حارساً بالمرستين المذكورتين ، هذا على فرض توزيع الحراسة على الأجناس إذا رضي المخزن بذلك لا سمح الله ، وأما رأي الألمان في مسئلة البوليس هو أن المخزن يقوم بذلك بدون أدنى تداخل من طرف الأجناس بأي وجه ، ليبقى مقام السلطنة واستقلال البلاد محفوظ ، حسبما اعترف بذلك جميع الأجناس ، نعم إذا ظهر للمخزن أن يجلب بعض الأنفار من أوروبا لترتيب البوليس المذكور على النسق الأوروباوي ، ويكون الأنفار المذكورون مختارون (كذا) من رعايا الأجناس الكبار أو الصغار على حسب نظر المخزن واختياره والمصلحة التي يراها لنفسه : فله ذلك ، وليس لجنس من الأجناس حق في التداخل في أمر ذلك لا من بعيد ولا من قريب ، سداً لباب الذريعة ، وحسماً لمواد النزاع .

هذا كلام الألمان ولا أظنه يخرج عنه .

أما الفرنسيس فيقول : إن الغرب مجاور إليه ، ومديون له في أموال لها بال ، وإن المخزن قد قبل منه الإعانة في الأمور المالية والحربية ، واحتج في ذلك بمكاتيب السيد عبد الكريم إبن سليمان ، سيما المكتوب المؤرخ في 12 جمادي الأولى عام 1322 ، إلى غير ذلك من الحجج التي هي أو هي من بيت العنكبوت ، طالباً بمقتضى ما ذكر جعل البوليس بالمحلات المذكورة أولاً ثم بفاس ومراكش

تحت يده خاصة ، أو بمشاركة الأسبنيول والإيطاليان .

فلم يرض الألمان بذلك ، قابضاً في كلامه الأول ، وهذا حد الكلام بينهما إلى هذه الساعة .

أما نظري ونظرك ونظر كل مسلم : فإن المخزن لا يقبل أي تدخل من الأجناس في أمر الحراسة وحفظ حياة الأمة ، لا من قريب ولا من بعيد بأي صورة من الصور ، لأنه إذا تساهل بشعرة من نفوذه وسلطانه فإنه يفتح عليه باباً لا يسده إلا يوم القيامة . أما جلب بعض الناس واستخدامهم بصورة اختبارية على أجل معلوم يرتبون فيه بعض الأمور حتى يفرج الله . ويرحم المخزن بمن ينصح إليه ويصادقه ويتقي الله فيه وفي المسلمين : فلا بأس بذلك .

أما البنك المالي فإني لم نر في تيسره وجهاً أبداً ، وكيفما كانت صورته فهي مضرة غاية ، ومخالفة للشرع المحمدي ، ومن كان على غير شرع فلا خير فيه ، والأولى والأنسب ـ بل الواجب علينا ـ هو خلاص الديون بأي وجه كان ، وقطع السرقات من المراسي ، حتى لا يبقى للأجناس قول ، وأسباب تقوية مداخيل المخزن ومحصولاته كثيرة ، فليتأمل المتأمل في ذلك ، وعوضاً عن جعل بيت مال المسلمين بيد النصارى ، وحصر معاش المسلمين وكسبهم ومنافع بلادهم في إرادة الغير : فقد تعين على المخزن ـ والحالة ما ذكر ـ أن يكلف من رعيته من ينظر في أسباب تقوية بيت المال بالطرق المعروفة عندنا ، أو المقلدة عن غيرنا ، وللمخزن أن يستعين ببعض آراء الأجانب العارفين بطرق الاقتصاد وتنمية الأموال بدون تداخل الأجناس ، كما هو جار في سائر الممالك .

وكذلك مسئلة ضرب السكة وتعديلها : فكان من الواجب جعل ذلك على يد أناس ثقات يأخذون حقهم ويتركون حق المخزن ، لا كما وقع في هذه السنين الأخيرة على يد بُرُنْزُويك من جهة ، وڤودش من جهة ، وهسنير من جهة ، ومكلين من جهة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا أحد يغير المنكر ، فإلى متى ؟ والكفر قد أحاط بنا ، اللهم فرج علينا وإرحمنا .

وقد سمعت أيضاً وقرأت وتحققت بأن الأجناس قد اتفقوا كلهم على أن يطلبوا من المخزن تكليفهم بجميع أنواع الأشغال العامة : أعني خدمة المعادن والطرق وبناء القناطر وإصلاح المراسي ، وغير ذلك من المنافع التي تحتاجها البلاد .

والقصد بذلك هو وضع اليد على نتائج المملكة بحذافرها . يوزعون ذلك بينهم ، وحسب المسلم فيه النظر بعينه ، وأما الطعام ففي فم غيره .

وعليه : فالواجب المحافظة على ما بيدنا وعدم تفويته أو إعطاء شيء منه ، لتبقى منفعته عندما يتيسر لأهل البلاد وللمخزن .

وإذا ظهر للمخزن استخراج بعض النتائج أو إصلاح طريق أو مرسى من المراسي : فإنه يعلن بذلك لسائر الأجناس ، ولا ينفذه المخزن إلا بشروط ، وبعد المنادات عليه وإشهار بيعه ينفذ لمن تقف عليه الزيادة ، ويقبل شروط المخزن . فهذه هي الصورة الوحيدة التي يكون عليها عمل المخزن ، كما هو الواقع في سائر الممالك ، وأما تداخل النصارى في أمورنا بدعوى الإعانة والمودة وحب الخير : فهي حبائل شيطانية قد أمرنا الله بالبعد عنها ، والويل لمن خالف كلام الله وأُتمن من أشرك به .

وقد كنت كاتبتكم في شأن الصندوق الخاص الذي طلبه الأجناس بإشارة نائب الإنجليز ، لوضع زوايد الأعشار التي وافقوا عليها تحت نظرهم ، ثم صرفها ـ على يدهم ـ فيما يعود عليهم أو علينا نفعه ، ونبهتكم لما في ذلك من الضرر العظيم ، لكونه يفتح علينا باب المراقبة الأجنبية ، وينقص ـ في نظر الأمة ـ من عظمة السلطنة وحقوق الملك المستقل ، إلى غير ذلك من المضار والإهانات التي لا حصر لها ولا حد . فلتتأمل في ذلك ولا تغتر بأحد .

فليكن جواب المخزن على مسئلة الصندوق الخاص : بأن المخزن لا يقبل تداخل الغير في أمور بلاده ، ولا يرضى بمراقبة الأجناس لأمواله ، نعم إذا ظهر للأجناس أن يبينوا للمخزن بعض المنافع العامة والإصلاحات التي تلزم بالمراسي : فإن المخزن يتأمل فيها بعين الاعتبار ، والذي يقبله من تلك الإصلاحات فإنه يأمر بتنفيذه لا محالة ، وينفذ .

وعلى كل حال إذا لم يرض الأجناس بهذا الجواب وتعللوا : فإن المخزن يرد عليهم تلك الزوايد ولا يقبلها منهم ، وينفذ ما يقدر عليه من الإصلاحات في بلاده من ماله الخاص ، إلى أن يظهر ما يكون ، فإن غالب الأجناس إذا رأوا المعقول والجد من المخزن ورجاله : يتركون التعصب والتعنت للحصول على ما يفيد الجميع .

وأما تداخل الأجناس في أموال الدولة ووضع يدهم عليها أو على البعض منها بواسطة أو بغير واسطة : فذلك لا يكون ولا يقبله المخزن بوجه من الوجوه ، ولا يسمعه منهم ، لأنه يمس بحقوق السلطنة ، ويؤدي إلى ضياع الملك والمملكة .

وقد تأملت فيما عرضه الألمان والفرنسيس في ما يخص بالبنك المالي ووجدتهما لا يصلحان لصالحة ، فالفرنسيس أراد أن يدخل بالثلث في رأس مال البنك ، والباقي يوزع بين الأجناس ، وتصرف البنك يكون على مدة قدرها خمسة وثلاثون سنة ، يقوم فيها البنك المذكور بسائر مداخيل المخزن وخارجه بشروط هي مقررة عندكم ، لا تستحق أن تسمع فضلاً عن أن يقبلها المخزن ، لأن في قبولها الدخول تحت الحجر لأجل لا يعلم حده إلا الله تعالى .

وأما الألمان فيطلب أن البنك يكون تحت نظر جميع الأجناس ، ورأس ماله يقوم به كل الأجناس ، والمدة تبتديء بخمسين عاماً : أعني لا نهاية لها ، وأعمال البنك المذكور هو قبض مدخول الدولة وصرفه في المصالح العامة على يدهم ونظرهم وبموافقتهم ، إلى آخر ما تعلمه .

فتأمل بارك الله فيك ، فإن الحياة على يد النصارى ممات .

وعلى كل حال إذا تعين ولزم وتحتم جعل البنك بالمغرب لتعديل السكة : فليكن البنك المذكور مغربي صرف : أعني أن رأس ماله يقوم به المسلمون ، وذلك سهل ، والمخزن يعين لضبطه والقيام به من له خبرة بأمور التجارة وقلب الأموال من ثقات المسلمين ، ولا بأس إذا استعانوا ببعض النصارى على ترتيب البنك وتحسين إدارته بكيفية تقرب من بنوك أوروبا ، فإنه ـ إذ ذاك ـ يكون بنكاً مغربياً بالإسم والمسمى ، وأما جعل البنك بالنصارى وعلى يدهم : فذاك هو عين الضرر والهلاك ، فتأمل ولاتغتر .

وقد سمعت بأن المخزن قد عرض على الأجناس صورة عن جعل البنك ، إن شاء الله تكن موافقة لما ظهر لي .

والسلام في 3 محرم عام 1324 .

عبد الحكيم المزوغي

ومنه الذي يظهر أن الألمان والفرنسيس لا يتفقان : لا على البنك ولا على البوليص ، ويبقى الأمر كما كان ، وما شاء الله كان .

. محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 10/67 .

ملحق 61

رسالة الشيخ المهدي الوزاني
إلى الشيخ محمد عبده

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

« سيدنا الإمام ، الدراكة الهمام ، المتبحر مفتي الأنام ، القائم بشريعة الإسلام ، الحائز قصب السبق ، في الفضل والتقدم والمجد ، الأستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبد الله سيدي محمد عبده ، سلام على سيادتكم ورحمة الله .

« أما بعد : فالمقصود الإعلام بأننا على محبتكم ووداد كم وإن لم نركم بالأبصار ، لكن نرجو الله تعالى بفضله أن يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحبيبنا الفقيه الوزير العلامة الأسعد ، البركة الفاضل الأمجد ، أبو عبدالله سيدي محمد القباص الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيراً بالجزائر قبل هذا الوقت ، وإن كان لم يتلاق معكم أيضاً هناك وقد تأسف على ذلك . وجاءه خبركم وهو بوجدة فرجع سريعاً إلى الجزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هناك ، وإن كان تلاقي معكم نجله المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ، ولا زلنا جميعاً نرجو الله تعالى أن يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال ، بجاه النبي والآل .

« ثم أنه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبته بما قاله الإمام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جواباً بذلك ، فإذا به جاءتنا جريدة من محروسة فصر فيها فتواكم عن ثلاث مسائل ، فأعجبتني وسررت بها غاية السرور ، وضمنتُها كتاباً لي في النوازل لحسنها ، ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاماً لبعض المارقين من الدين اغتظت لذلك ، وعزمت أن أوجه لكم بعض ما كنت قيدته فيها من كلام الأئمة المهتدين ، فشاورت في ذلك الوزير المذكور ، فحث عليّ في تقديم إرساله على جميع الأمور ، وأعجبه ذلك مظهراً به غاية الفرح

والسرور . ومسلماً عليكم أيضاً وطالباً صالح أدعيتكم في خلواتكم وجلواتكم .
والسلام ـ 14 ذي القعدة الحرام عام 21

المهدي الوزاني بفاس

مجلة « المنار » ج 24 مجلد 6 ص 927ـ928 .

الفصل الثاني

نماذج من تصاعد الشعور الوطني

تبينا من الفصل الأول المنافذ المتنوعة التي انبثق عنها تزايد الشعور المغربي الحديث ، وفي هذا الفصل الثاني ينتهي بنا المطاف إلى عرض النماذج الأولى لمعطيات هذه اليقظة .

ونشير ـ أولاً ـ إلى بدء توافر قراء الصحف بين المغاربة ، وقد كانت « المنار » من بين المجلات التي عرفها مغرب هذه الفترة[1] .

أما الجرائد الشرقية فمنها « الأهرام » و« الوطن » البيروتية ، و« اللواء » ، و« المؤيد » .

ومن صحف تونس : « الرائد » ، و« الصواب » ، و« الحاضرة » ، و« إظهار الحق » .

ومن الجزائر : جريدة « كوكب افريقيا »[2] .

---

1 ـ يذكر الشيخ محمد رشيد رضا : أن « المنار » يرسل ـ من أول نشأته ـ إلى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ، مجلة « المنار » : المجلد 6 ج 14 بتاريخ الأربعاء 16 رجب 1321/7 أكتوبر 1903 : ص 609 .

2 ـ يستفاد رواج هذه الجرائد من إشارات ترد ببعض فصول الباب الذي نحلله ، وبالنسبة إلى جريدة « اللواء » : كان من المعجبين بها الفيلسوف الرافعي محمد بن أحمد الأزموري ثم الجديدي ، فينوه باستقرار موضوعاتها في ستة فصول لا تتخلف أبداً ، ويشيد بمديرها ، ويذكر ـ إلى جانبه ـ أسماء أعضاء إدارة الجريدة =

وقد كان للجرائد 3 ، 4 ، 7 ، 8 ، 9 : مراسلون مغاربة ، فضلاً عن بعض كتاب المقالات ، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي كتب بالمؤيد والحاضرة التونسية ، وكتب بالمؤيد ـ أيضاً ـ القاضي عبد الحفيظ الفاسي .

ويذكر عن صحيفة المؤيد بالخصوص ، أنها لم تكن مقروءة من جهة المهتمين فحسب ، وإنما انتقل صداها إلى نفوس الأعيان المغاربة من غير المثقفين ، لا سيما الذين زاروا القاهرة للتجارة أو في طريق الحج . وقد كان بعض هؤلاء الأعيان ، تحدث عن مناقشة حادة بين جريدتي المؤيد والمقطم في مسائل تتعلق ببعض شؤون المغاربة المقيمين في مصر .

بينما كان آخر من المنوه بهم يتحدث عن الشيخ علي يوسف وجريدته المؤيد بإعجاب كبير ، ويسرد جملاً من مقالات له في مسائل وطنية

أما جريدة اللواء فكانت ـ هي الأخرى ـ تقابل من الوطنيين المغاربة بتقدير وإعجاب بها وبمديرها مصطفى كامل ، ومن الطريف في هذا الصدد ، أن بعض أدباء فاس ـ وهو محمد بن يحيى الصقلي ـ رأى رسم صاحب اللواء مصوراً على مروحة ، فكتب عليها هذه الأبيات :

أنظر ترى رسم الذي شرفت به
مصر وحازت أعظم القربات
هو مصطفى فخر السياسة عزها
بحر المعارف كامل الآيات
أمعن ترى الإخلاص منبعثاً به
وترى الفضيلة والنهي بالذات
من كان يرجو للمواطن عزها

الأربعة ، وهو يفتتح عرضه بتقديم مصطفى كامل باشا في تقدير عال : « القيلسوف في السياسة ، العظيم الشأن في كمال الإيمان ، والرفيع المقام في الغيرة الشديدة ، وثبات الجأش ، وقوة العزيمة ، رجل الدنيا ووحيدها على صغر سنه » حسب كناشة الرافعي خ . ع . ك 1198 ص 71–72 .

3 ـ محمد علال الفاسي : « نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها » : جريدة « العلم » : عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971 ـ ص 9–10 .

ويروم أن تعفـــى من الآفـــــات
فليقتفـــي أثـــراً لـــــه ولينتهـــــي
بنهاه نعـــم تشـــرف بصفـــــــات [4]

وبالنسبة لوفرة قراء بعض الجرائد المحلية ، نبرز إشارة وردت في جريدة « السعادة » عام 1908/ ، ومن المعروف أن هذه كانت مذبذبة في خطتها ، ومع ذلك تصاعد عدد قرائها بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، فارتفع عدد المشتركين فيها إلى 1025 مشتركاً [5] .

ومما يشير لهذه الحقيقة قول مؤلف « مفاكهة ذوي النبل والإجادة » [6] وهو يرد على مدير هذه الصحيفة : « وليعلم مديرها أنه ما كان يحمل الناس على التهافت على دفع الاشتراكات فيها ، والشوق إلى مطالعتها ... » .

وهذا مشهد آخر ، يرسمه ترحيب بعض شعراء الشباب بظهور صحيفتين عربيتين بمدينة طنجة ، وهكذا فإن محمد بن إدريس بو عشرين ، يستقبل صدور جريدة « الصباح » بهذه القطعة ، التي يحيي فيها ـ أيضاً ـ محرر الصحيفة : وديع كرم اللبناني :

ضوء الصبـــاح هو الدليـــل لمن ســـــرى
وبأمنه قد يحمـــد القـــوم الســـــرى
فـــالليـــل بارح قطـــرنا بمســـــــائـــه
لما تنفس واستنـــار بـــه الـــــــورى
إن الجرائـــد في الديـــار فضيـــــــلة
وأجلها هـــذا الصبـــاح كمـــــا أرى

---

4 ـ مجموعة من إنتاج محمد بن يحيى الصفلي : شعره وقليل من نثره ، سجلها ـ بخطه ـ في دفتر بخزانة خاصة : ص 5 .

5 ـ زين العابدين الكتاني : « الصحافة المغربية » 1/233 : تعليق .

6 ـ إسمها الكامل : « مفاكهة ذوي النبل والإجادة . حضرة مدير جريدة السعادة » لمحمد عبد الحي الكتاني : المطبعة الحجرية الفاسية 1326 هـ : ص 35 .

إنشـــــاؤه لنصـــائـح ومصـــــالـــح
ستفيـد جملتهـا المدائـــن والقـــــرى
أخبار أقطـــار البسيطـــة فيـــه قـــــد
وجـدت وكـــل الصيد في جوف الفـــرا

فهو المسامـــر لـــلأديب وعونـــــــــه
وهو السياسي في الأنـام لمـــــن درى
أو ديع أنســـت البـــلاد وأهلهـــــــا
وأنلتهـا كـرمـا بما فاق القـــــرا

فاهنـــأ بإنشـــاء الإدارة وليـــــــــدم
مسعاك مـــا دام الصبـــاح منـــــوراً

وإلى جانب هذه التهنئة الصادرة من الحاج محمد بو عشرين ، ينبري السيد عبدالله القباج : « الشاعر المطبوع » ، فيحيي ـ بدوره ـ جريدة الصباح ومحررها

إن الصبـــاح إذا تبـدى نـــــــوره
بيـــن الـــورى يغنـــي عـــن المصبـــــاح
وكـــذا الصبـــاح أتـى فأغني النـــاس عـــن
كل الجرائد وارتـــــدى بنجـــــــاح
وعلى م لا يغني الـــــورى ومديـــره
من آل أكـــرم عالـــم جحجـــاح ...
هـــو معجـــز البلغـــاء يافعـــة الحجـــا
لكنـــــه يصبـــــو إلى الإصـــــلاح
شعـــراء طنجـــة كلهـــم قد أنصفـــــوا
لمقالـــه وأتـــوه بالأمـــــــــداح
منهـــم أبـــو العبـــاس أحمـــد حسنـــــا
والشـــاعر المشهـــور بالـــدحـــــداح
أبشـــر أيا رب الصبـــــاح بكـــل مـــا
ترجمـوه مـن خير ومـــن أربـــاح

فلقـــد أتيـــت بما نحـــب ونرتجـــي
ولقـــد أتيـــت البـــاب بالمفتـــاح[7]

ولما ظهرت جريدة « لسان المغرب » ، حياها محمد بو عشرين المنوه به بقصيدة يقول في مطالعها :

وفدت تنـاضل عـن حقـوق الأعـرب
حسنـاء أفصحهـا « لسـان المغـرب »
تختـال في حلـل المـلاحة والسنـا
وتجـر ذيـلاً فـوق برج الكوكـب
مدنيـة المبنـى عريقـة ثـروة
بدويـة المعنـى تعـد بتغلـب[8]

وإلى هنا : فقد قدم هذا العرض بضعة أمثلة لشيوع قراءة الصحافة بين نخب من المغاربة ، وإضافة لذلك نجد مؤشراً لوجود بعض قراء الجرائد بين الأوساط الشعبية ، وذلك ما نستشفه من قصيدة زجلية وهي تنكث على فرنسا إبان حرب الشاوية ، حيث سيرد نصها عند ملحق للباب 12 رقم 81 ، وفيها يقول الزجال عبد الهادي بناني :

أشْحـالْ ما خوفْنـا لكـوازْطي فجـرنان
كـلامْ مردودْ عْليـه أبِـهْ مارْضِينـا
كلْ جمعاياتي بَجْريدتـوا الخـوان
بْشِي خْبايَرْ شلّا رِيناوْلادْ رينـا

* * *

وننتقل ـ بعد هذا ـ إلى تقديم نماذج أخرى من ملامح هذه اليقظة المغربية الناشئة ، وفي هذا الصدد نسوق المبادرة التالية التي يرويها السيد محمد رشيد رضا :

7 ـ القصيدتان ـ معاً ـ في « إحدى كناشات » أحمد بن محمد النميشي : خ . ع ، ك 351 .

8 ـ جريدة « لسان المغرب » عدد 5 بتاريخ 23 محرم 1325/8 مارس 1907 ص 2–3 : في قصيدة أوردت الجريدة منها 15 بيتاً .

« كان بعض وزراء السلطان العزيز كتبوا إلى صاحب المنار ، يرغبون أن يختار لهم رجلاً مصلحاً يجمع بين العلوم الشرعية ومعرفة السياسة والإدارة ، حتى يستعينوا به على إقناع السلطان بإصلاح البلاد وفق المنهاج الذي تدعوهم إليه مجلة « المنار » المرة بعد المرة ، وقد أطلع هذا أستاذه محمد عبده على العرض المغربي ، فجنح الشيخ الإمام للذهاب إلى المغرب بنفسه ، ولكنه أيقن أن التدخلات الأجنبية تحول دون ذهابه وإقامته هناك ، سيما وجماعة السلطان يطلبون أن يكون الأمر سراً ، وهنا اختار صاحب المنار أن يكلف بهذه المهمة السيد عبد الحميد الزهراوي ، فلم يتيسر إرساله »[9] .

وعن الشعور الوطني في أوساط كبار التجار بفاس يذكر محمد الحجوي :

أن منزل كل تاجر نابه كان منتدى من منتديات الأدب والسياسة ، فتجد فيه جرائد ومجلات الشرق والغرب ، وكل كتاب حديث في الاجتماع أو الاقتصاد أو غيرهما[10] .

وبعد هذه الطبقة من التجار ، نشير إلى ظاهرة انتشار الوعي ـ في بعض الجهات ـ بين طبقات الحرفيين والعامة بصفة واسعة ، وهو ما نستنتجه من مراسلة صادرة من فاس إلى جريدة « لسان المغرب » ، حيث وردت فقرة المراسل في تعبير تطبعه الأنانية ، غير أننا لا نرى بداً من إثباته حتى نقرأ فيه دلالته الواعية التي نستشفها من هذا المساق :

« ... وقد لاح لي أن بعض الجهال الذين لا يعرفون الكوع من البوع ، من مثل مكاري وحمال ومطرب ، وهمجي من البادية القاصية : يحاول أن يخوض في بحر السياسة ، زاعماً أنه ـ بجودة رأيه ووفرة معرفته ـ ينتقد انتقاداً مصيباً ، قائلاً : إن الأمر الفلاني خطأ ، ولو كان كذا لأنتج كذا ، وهكذا تراه يصوب الخطأ ، ويخطيء الصواب ، فلا حول ولا ، وإني أرى هذه العادة آخذة بالتفشي بين طبقات أو طيء العامة ... » .

---

9 ـ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، 870/1 .

10 ـ محمد الحجوي : « مختصر العروة الوثقى » ص 19 .

27 ـ مصورة لبعض اجوبة علماء فاس ضداً على ما نشرته عنهم جريدة « كوكب أفريقيا » .

وقد نشرت هذه المراسلة بالجريدة المشار لها عند العدد المؤرخ في 6 ربيع الأول 1325 ، الموافق 19 أبريل 1907 ، ومن هذا التاريخ نقفز إلى 6 ذي الحجة 1325/1908 ، وهو التاريخ الذي تحمله رسالة من السلطان العزيز في موضوع الثورة التي قامت ضده بفاس ، حيث تبرز الدور الحاسم الذي كان للحرفيين والباعة في هذه الانتفاضة ، حسب نص هذه الرسالة الذي سيرد بالملحق رقم 62 . تضاف له رسالة في الموضوع ذاته بتاريخ 8 حجة 1325 ، حسب الملحق 63 .

وهذا نموذج أخير في هذا العرض . وهو يقدم مثالاً من ترصد طبقة المهمتين . لما ينشر عن المغرب ـ في الخارج ـ من أخبار ملفقة ، فيبادر المعنيون بالأمر بالرد على الإشاعة المغرضة وتكذيبها وتسفيه مروجها .

ومن ذلك جريدة « كوكب افريقيا » التي كانت ترتبط بالولاية العامة بالجزائر . فقد نشرت في عددها المؤرخ في 10 ذي القعدة 1325/1907 خبراً مفاده أن السلطان العزيز ، استفتى علماء فاس في الإستعانة بدولة أجنبية على تنظيم البلاد وتهدئتها ، فزعمت الصحيفة القسنطينية أن هؤلاء أجمعوا على افتاء السلطان بجواز هذه الإستعانة .

وهنا وجه بعض أعيان فاس استفساراً لعلمائها ، ليثير انتباههم لما ينشر عنهم ، ويطلب بيان حقيقة الواقع ، فكتب العلماء تكذيباً قاطعاً لما اختلقته جريدة كوكب أفريقيا ، مؤيدين ردهم بالحجج والنصوص ، ودونوا ذلك في شكل أجوبة متتابعة حررها زمرة من فقهاء فاس : كل واحد يكتب جوابه وإمضاءه على حدة ، أولهم المفتي الشيخ العباس بن أحمد التازي ، وبينهم المفتي الشيخ محمد المهدي ابن محمد الوزاني ، الذي نثبت جوابه فيما يلي :

« الحمدلله مخيب آمال المرجفين ، القائل : « فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، والرضى عن آله الأطهرين ، وصحابته الأكرمين .

وبعد : فغير خاف على الكبير والصغير ، والغبي الجاهل والنحرير ، أن ما اجترمه صاحب جريدة (كوكب إفريقية) : من نسبته إلى العلماء الإفتاء بجواز الإستعانة

ـ على قتال الرعية ـ بالأجانب ، إنما هو من الافتراء المحض ، والتمويه الكاذب ، قال الشاعر :

لا يكـــذب إلا مـــن مهانتـــــــــه
أو عـــادة الـــوء أو مـــن قلـــة الأدب
فكـــذبـــة المـــرء عنـــدي أنتـــن مـــن
جيفـــة الكـــلـــب في جد وفي لعـــب

فيجب الإعراض عن ترهاته ، وعدم الإصغاء إلى زخارفه وخرافاته ، إذ المسألة من الشهرة بمكان ، مبسوطة في المختصر والشراح يعرفها أصاغر الولدان ، وهي قوله : « وحرم استعانة بمشرك » . أي على الكفار ، فأحرى أن لا تجوز الإستعانة به على المسلمين ، والمراد بالمشرك الكافر أياً كان كما في الزرقاني .

وقد كشف العلماء أعلاه ـ رضي الله عنهم ـ عن أكذوباته ، وفضحوا ما أخفاه من دسائسه وعدواته ، فأتوه بحجج على اختلاقه ، وبنصوص على موضوعاته ، هي لظهره فاقرة ، ولبطنه باقرة ، ولأذنيه واقرة ، ولقفاه ناقرة ، ولساقية عاقرة .

ولما لم يبد لما اختلقه مستند ، ولا ظهر لضلاله وافترائه معتمد ، قلنا فيما كتبوه أعظم كفاية ، إذ التطويل مفض إلى الملل والسئامة ، والله ـ تعالى ـ المنقذ ـ بفضله ـ من الضلالة » .

ويبرز جواب القاضي محمد بن رشيد العراقي أبعاد الحمية الوطنية الإسلامية التي تحلت بها جماهير المؤمنين بفاس وغيرها . وهم يترصدون جواب العلماء عما نشرته عنهم « كوكب إفريقية » ، وهكذا يقول قاضي فاس العليا ضمن جوابه :

« ... ولما وردت جريدة سؤالكم ، وسمعت بها جنود الله وأنصاره وحماة دينه : من الأشراف وقبائل العرب والعجم ، والمدن والقرى والسفراء « كذا » :

حملتهم الغيرة الإسلامية ، والحمية الإيمانية ، وتجدد لهم نور الإيمان ، وأشرق عليهم شعاع الإيقان ، وفدوا على العلماء متسلحين ، ولنصرة الدين قائمين ،

ولحزب رسول الله ناصرين .

فمن قائل يقول : سترون ما أصنع عند اللقاء .

ومن قائل يقول : ليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن المنافقين .

ومن قائل يقول : إن العلماء إن خانوا الله ورسوله فيحذرون ويقتلون .

فلما أيقنوا بمحافظتهم على الشريعة والمنهج القويم ، راعته (كذا) نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ... » .

وقد دونت ردود العلماء في هذه النازلة بكراسة مخطوطة كانت في خزانة خاصة بسطات ، حيث ورد ذكر الأعلام المتصدين للرد على هذا الترتيب :

- الشيخ العباس التازي .
- الشيخ أحمد بن الخياط .
- الشيخ عبد السلام الهواري .
- الشيخ عبد الرحمن بن القرشي .
- عالم لم يذكر اسمه .
- الشيخ محمد بن رشيد العراقي .
- الشيخ محمد المهدي بن رشيد العراقي .

فهؤلاء سبعة ، يضاف لهم الشيخ المهدي الوزاني ، وجوابه ضمن ورقة مخطوطة من المكتبة الأحمدية بفاس .

ملحق 62

رسالة من العزيز إلى القائد بمدينة العرائش
تبرز دور الحرفيين والباعة في الثورة الحفيظية بفاس

خديمنا الأرضي : القائد بو سلهام أمجاو وأهل العرائش كافة ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فإن الرعاع من دباغة أهل فاس وخرازتها وحاكتها وباعتها : قد صدر منهم طيش أدى إلى شقهم العصا ، والخروج عن طاعة المخزن ، وتغلبهم على ذوي المروءة والدين من أهل البلد .

وأعلمناكم ليلاً يستفزكم ما صدر من أولائك الرعاع والباعة ، ولتثبتوا على ما أنتم عليه من السمع والطاعة ، فإن ما صدر منهم كسحابةصيف ، عما قريب تقشع ، ونحن ـ بحول الله ـ جادون في علاج أمرهم ، وتقويم أودهم ، إن شاء الله .

والسلام ، في 6 حجة الحرام ، عام 1325 .

من وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق ، سنة 1976 : رقم 23 ق . ك : وثائق .

ملحق 63

رسالة من العزيز إلى خليفة القائد بطنجة
تبرز دور الحرفيين في الثورة الحفيظية بفاس

خليفة وصيفنا القائد قدور بن الغازي بطنجة . أمنك الله . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإن الرعاع أهل فاس . وهم دباغتها وصباغتها وفحامتها وخرازتها : تغلبوا على أهل فاس وصلحائها وعلمائها ، وشقوا العصا . وخرجوا عن طاعة المخزن جهراً . وبدلوا نعمة الله كفراً .

فاثبتوا على ما أنتم عليه من السمع والطاعة ، ومتابعة الجماعة . ولا يستفزنكم هذا الأمر ، فإنه كسحابة صيف ، فإنها عن قريب تقتلع ، ونحن جادون في علاج أمرهم ، وتقويم أودهم : بما لم يكن يخطر لأحد منهم ببال .

والسلام ، في 8 حجة الحرام ، عام 1325 .

من نسخة للرسالة ضمن دفتر في خزانة خاصة .

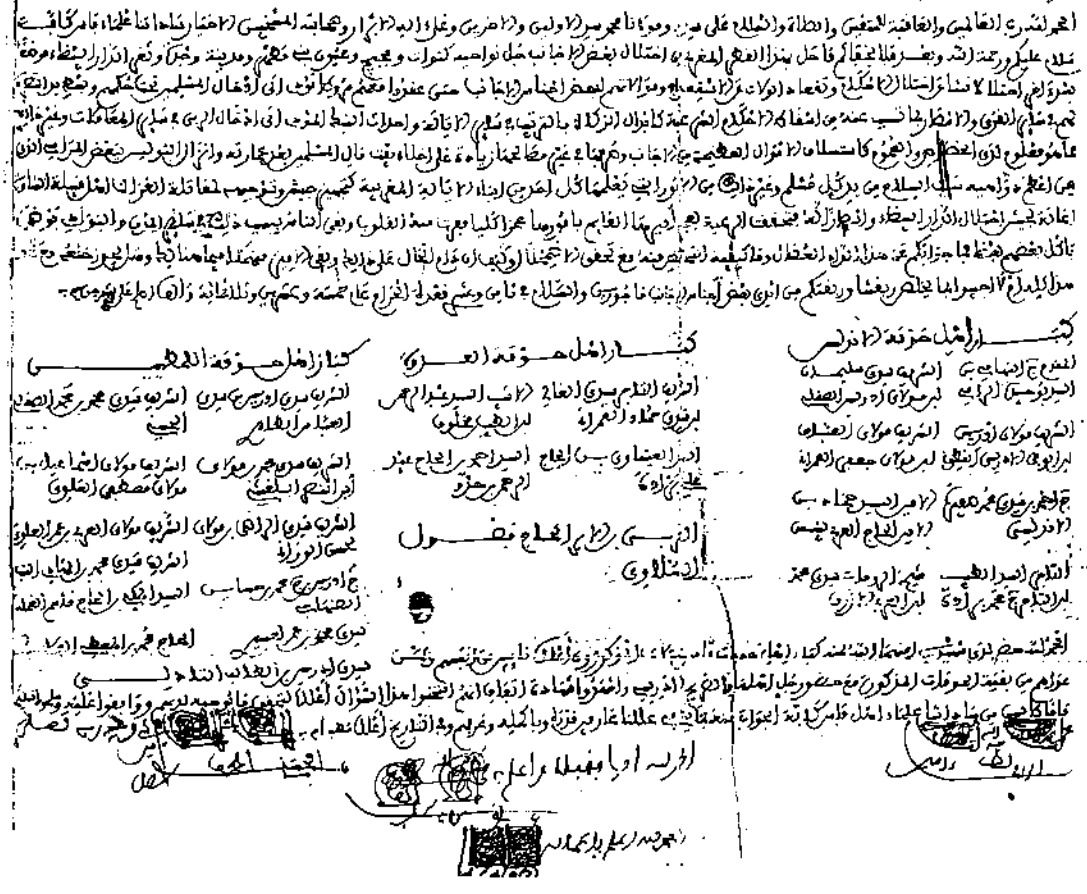

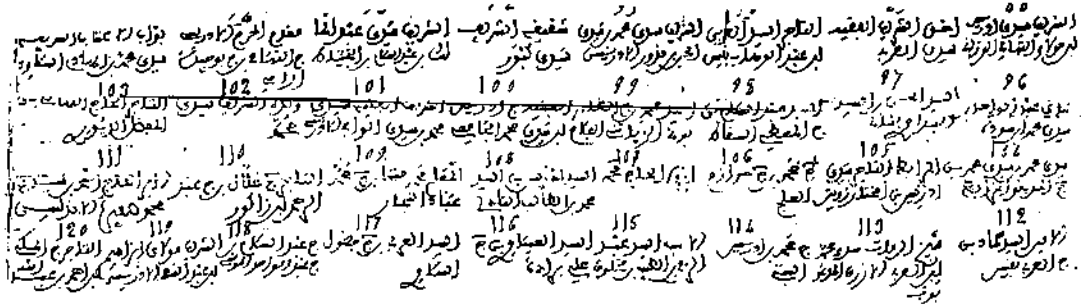

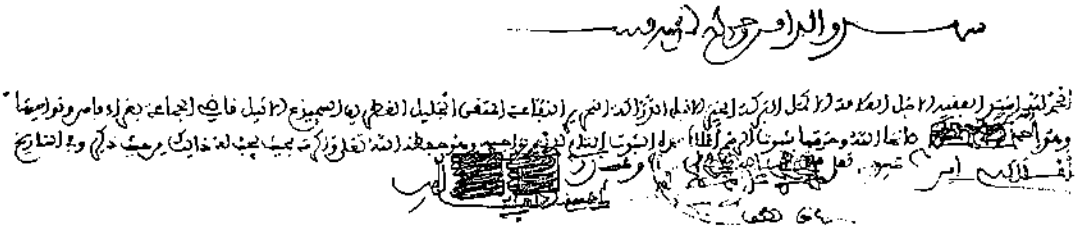

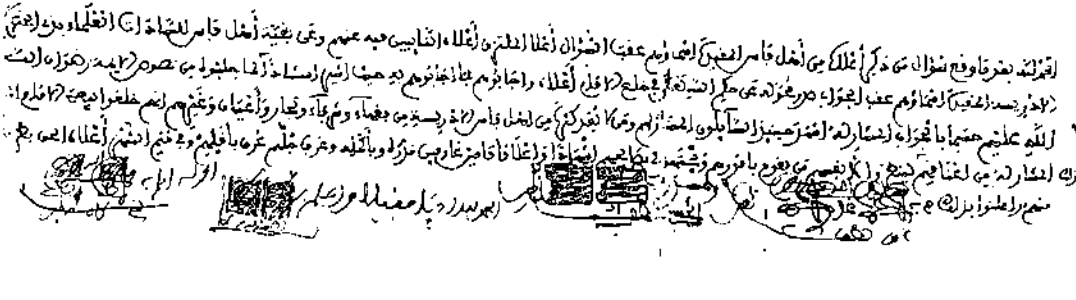

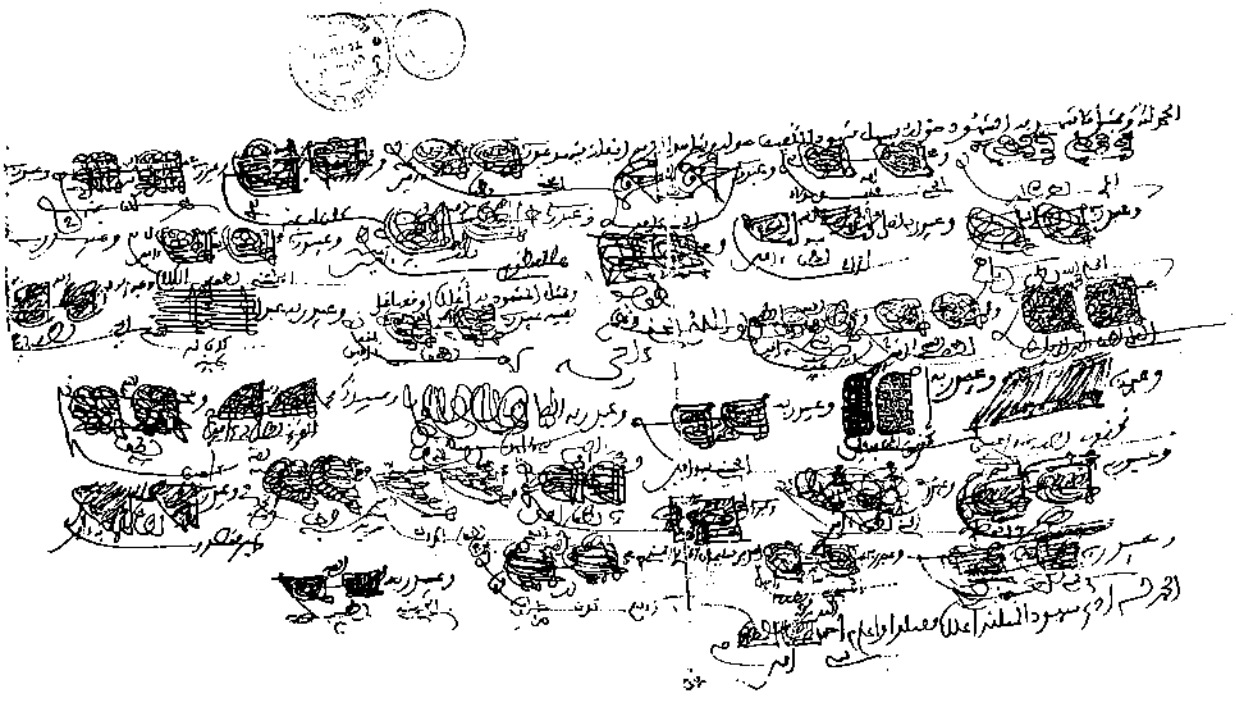

الفصل الثالث

مواقف القوى الشعبية
ضدا على التدخلات الأجنبية

بعد الإتفاق الودي سنة 1904 : تصاعدت ـ أكثر فأكثر ـ أزمة استقلال المغرب وتماميته ، فبدأت القوى الشعبية في البلاد توحد صفوفها ، وبرز للميدان نخب من العلماء والأشراف وشيوخ الزوايا ، ومعهم جماعات من التجار والحرفيين ، وثلة من الشباب .

وكانت المآسي التي منيت بها البلاد في هذه الفترة : فرصة حافزة لإعلان جماعات من ذوي الغيرة الوطنية عن مواقفهم ضداً على التدخلات التوسعية ، ولنتأكد من آثار هذه اليقظة نعرض النماذج التالية .

1

علمت النخبة المغربية في فاس باعتزام السفير الفرنسي على تقديم مذكرة المطالب التجديدية ، فظهرت في صفوف العلماء والأشراف ورؤساء الزوايا حركة معادية لسياسة فرنسا ، واجتمع هؤلاء بالسلطان وحذروه من المشاريع الفرنسية ، وحثوه على عدم قبول التدخل أو الإشراف الأجنبي ، وبينوا للعزيز أنهم لا يعترضون على بعض الإصلاحات ، ولكنهم ألحوا على وجوب القيام بها

بالإستعانة بمسلمين شرقيين : أتراك ومصريين ، ممن لهم إلمام بالحضارة الأوربية ...[1] .

2

وعندما احتلت الدار البيضاء بعد وجدة : دعا السلطان إلى اجتماع للتداول في قضية الساعة ، فحضر إلى دار المخزن ـ بفاس الجديد ـ العلماء والأعيان . ولم يحدد المصدر المعني أسماء الأعيان الحاضرين ، وذكر أسماء العلماء على هذا الترتيب :

الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .
الشيخ (عبد الرحمن) ابن القرشي .
القاضي (عبد السلام بن محمد) الهواري .
الشيخ (أحمد بن محمد) ابن الخياط .
الشيخ المهدي (ابن محمد) الوزاني .
الشيخ (محمد) ماني الصنهاجي .
الشيخ العباس (بن أحمد) التازي .

وبعدما افتتح الجلسة رئيس الوزراء ، وقف وزير الخارجية وألقى خطاباً حلل فيه واقع الاحتلال للمدينتين ، وطلب ـ في الختام ـ من العلماء إعلان موقف الإسلام من الأزمة .

وهنا قاطعه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وجاهر بالدعوة إلى الجهاد لاستنقاذ البلدتين من الاحتلال ، وأيده في ذلك الفقيه ماني الصنهاجي ، دون أن يعلن بمعارضتهما بقية الحاضرين من العلماء[3] .

---

1 ـ المسألة المغربية ص 254 .

2 ـ جريدة « السعادة » 8 رجب 1325/17 غشت 1907 .

3 ـ « الدولة العربية المتحدة » 2/302ـ303 ، حيث أثبت هذا المصدر فقرة مطولة من بيان وزير الخارجية ، غير أنه أشار للشيخ الكتاني بوصف قاضي القضاة .

وبلغ العمل الوطني ذروته في فترة الدعوة الحفيظية . ويهمنا من هذه الفورة الشعبية أنها فجرت الشعور الوطني بكل من مراكش وفاس . وظهر في العاصمتين اعتراضات علنية ضد السياسة المتبعة . وفي فاس رددت أصداء الانتقادات عرائض عزل العزيز . وهي مذيلة بعشرات التوقيعات من طرف الممثلين لكافة أحياء القاعدة الإدريسية [3] .

وقد نددت هذه الوثائق بالسياسة العزيزية في مختلف تصرفاتها . حتى أفضى الحال إلى ضياع إقليمي توات وفكيك . واحتلال عيون بني مطهر ومدينتي وجدة والبيضاء .

وإلى هذه العرائض برز التنديد بسياسة السلطان وحكومته في أوضاع واكبت هذه الانتفاضة . وظهرت في شكل مؤلفات صغرى . أو قصائد فصيحة وزجلية [4] .

ثم توجت الثورة الشعبية بشروط بيعة السلطان عبد الحفيظ بفاس [5] . وهي التي اقترحها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني [6] . وتبناها ـ بالموافقة عليها ـ كافة الممثلين للرأي العام الفاسي الموقعين على البيعة .

---

3 ـ هناك كتاب بعنوان « لحظات القلوب ... » . تأليف محمد المأمون بن محمد الفاضل بن محمد الحسني الإدريسي الشنجيطي . نشر منه الجزء الأول في المطبعة الجديدة بفاس 1348 هـ . فتوجد به ص 96–107 : نصوص الوثائق الصادرة عن فاس بخلع العزيز ، مع إرفاقها بصورات للنصوص الأصلية .
ومن الجدير بالإشارة أن أصول هذه المصورات توجد في قسم الوثائق بالمكتبة العامة بتطوان : محفظة 1/136 .

4 ـ للمؤلفات الصغرى مسرد عند التعليق الثالث الذي يذيل هذا العرض . بينما تأتي نصوص القصائد ضمن ملحقات الباب 12 .

5 ـ ورد نص هذه البيعة عند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته : « غنية الأنجاد في مسائل الجهاد » ، مخطوطة خ . م 12313 : ص 92–99 .
ثم عند ابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس ... » 1/449–453 .

6 ـ عن اقتراح هذه الشروط يرجع إلى محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ، مطبعة الفجر بالرباط : ص 200–201 .

1 ـ ومن هذه الشروط حسب تعابيرها وترتيب عرضها : رفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة في الخزيرات . حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ...

2 ـ استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية .

3 ـ إخراج الجيش المحتل من المدينتين التي احتل بهما .

4 ـ تظهير الرعية من دنس الحمايات .

5 ـ عدم اتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة .

6 ـ إن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع المسلمين : كتال عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة .

7 ـ إذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سياسية أو تجارية : فلا ينبرم أمر فيها إلا بعد الصدع به للأمة .

ولا تزال لائحة هذه الشروط طويلة ، غير أن المعروض منها نستخلص منه أن عقد البيعة جاء بمثابة برنامج يتجاوب مع أماني النخبة الوطنية :

فتتشبث الوثيقة بالمحافظة على استقلال البلاد وتماميتها .

ولا تعترف بالشروط التي تمس هذا المبدأ .

وتعتبر الأمة مصدراً للسلطة في السياسة الداخلية والخارجية . وهي فقرة تشير للمطالبة بالملكية الدستورية .

ورابعاً : ترفض الإستعانة بالأجانب ، وتتوجه ـ عند الاقتضاء ـ إلى خبرات الممالك الإسلامية المستقلة ، فتلوح ـ بهذا ـ للجامعة الإسلامية .

وسيرد نص هذه البيعة عند الملحق 64 .

* * *

وإلى هنا : نذيل على هذا العرض بالتعاليق التالية :

يصف شاهد عيان واقع اقتراح شروط البيعة الحفيظية هكذا :

« ... ولما حضر الأخ (محمد بن عبد الكبير الكتاني) ـ على كره منه ـ قال :

إنا نبايعه على شروط أملاها :
منها أن ينقض عقد الجزيرة .
وينشيء مجلساً شورياً .
ويتعاقد ويتعاهد مع الدول الإسلامية وخصوصاً تركيا .
ويأتي بمحربين أتراك ومعلمين .
ويقيم الشعائر الإسلامية .
ويولي الأكفاء .

ويرجع الحدود المغربية إلى أصلها : من توات . وكلوم بشار ونحو ذلك .
و . و . إلى آخرها إلى آخرها .

فصاح العامة وكثير من الخاصة : له مؤيدون وناصرون . وأظهر بعض الأعيان تحفظاً كبيراً . يقولون : إن الملوك لا يشترط عليهم . وهذا غلط . وكثر الهرج . فتمت البيعة ـ على ما ذكر ـ مبدئياً .

ومن الغد جاء عند الأخ ـ للدار بفندق اليهودي ـ الكاتب الأكبر في المغرب إذ ذاك . والسياسي المحتك : السيد أحمد ابن المواز . فطلب وألح على الأخ : أن هذه الشروط تدخل في صلب البيعة . ولكن تفرغ في قالب مطالب ... فكان الأمر كما أقترح ...

وكان الذي أملى الشروط ـ في الضريح الإدريسي على لسان مقترحها ـ هو الخطيب القاضي أبو محمد العابد بن أحمد ابن سودة »[7]

---

7 ـ « مذكرات » محمد عبد الحي الكتاني بخطه : خ . م 13096 .

2

عرف المغرب العلوي عدة بيعات مشروطة قبل البيعة الحفيظية وبعدها :

بدءاً من بيعة فاس للسلطان أبي الربيع[8] .
ثم بيعة نفس المدينة وما إليها للسلطان إبراهيم بن اليزيد[9] .
ثم بيعة فاس وتطوان وما إليهما للسلطان سعيد بن اليزيد[10] .
ثم بيعة فاس للسلطان الحسن الأول[11] .

وفي عام 1329/1911 نودي بزين العابدين ـ أخ الحفيظ ـ سلطاناً على مكناس وضاحيتها : بشروط مماثلة للبيعة الحفيظية[12] .

ثم انبعثت هذه الظاهرة مع عودة المغرب إلى الإستقلال . وكانت المبادرة من المجلس الوطني الاستشاري ، وهو يرجو من المغفور له جلالة الملك محمد الخامس : أن يعقد ولاية العهد لجلالة الملك الحسن الثاني . فجاء في ملتمسه بهذا الصدد :

« ولما يعتقده المجلس الوطني الاستشاري في شخص صاحب السمو الملكي مولاي الحسن من الحرص على وحدة الأمة واستقلالها . والمحافظة على دينها وحقوقها ، والسير بها في مواصلة العمل التقدمي الديمقراطي الذي خطت فيه الخطوات الكبرى بفضل توجيهات والده :

فإنه يرفع لجلالة الملك هذا الملتمس ، الذي يضم صوت المجلس الوطني الاستشاري لصوت الحكومة ، راجياً من صاحب الجلالة أن يعقد لسمو الأمير مولاي الحسن ولاية عهد المملكة المغربية . في دائرة السنن الإسلامية . والتقاليد

---

8 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/379 .

9 ـ نص بيعة عند محمد داود : « تاريخ تطوان » 3/250–257 . ومنها نسخة مخطوطة ثالثة مجموع خ . م 12458 .

10 ـ نص البيعة في « تاريخ تطوان » 3/259–264 .

11 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/381 .

12 ـ « المسألة المغربية » ص 546 .

المولوية ، وعلى ما بويع عليه مولانا الملك : من حماية الدين ، ورعاية مصالح الأمة ، والدفاع عن سيادة الدولة ، وخدمة الصالح العام »[13] .

3

أشار العرض الذي نعلق عليه إلى مؤلفات صغرى في نقد سياسة العزيز ، ونوضح ـ هنا ـ أن المعروف من هذه الأوضاع لا يتجاوز ستة :

أ ـ « رسالة في أسباب خلع العزيز ومبايعة أخيه الحفيظ » تأليف محمد بن إبراهيم بن محمد السباعي المراكشي ، المتوفى ـ بها ـ عام 1914/1332 : مخطوطة في نسختين : خاصة ضمن مجموع ص 407 ـ 442 ، والثانية : خ . ع . د 3937 : أول مجموع ، وكلتاهما خاليتان من إسم المؤلف ، ونسبها للسباعي تلميذه أبو الفضل عباس بن إبراهيم المراكشي عند ترجمة أستاذه في « الإعلام ...[14] » .

ب ـ « الدرر اللفظية في المملكة الحفيظية » : مؤلفها غير مذكور ، ويبدو أنه من مكناس ، حيث يهتم بأخبار نشاطها في فترة البيعة الحفيظية ، والرسالة من مخطوطات خ . م 3640 في 55 ص .

ج ـ « رسالة موضوعية » مبتورة الطرفين وخالية من إسم المؤلف الذي قد يكون من فاس ، منها مخطوطة خاصة ضمن مجموع ص 453 ـ 472 .

د ـ ومن رسائل الردود في هذا الإتجاه : « سنان القلم لتنبيه وديع كرم » لمحمد العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، المتوفى ـ بها ـ عام 1940/1359 ، منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية في 26 ص .

هـ ـ « الجيش العرمرم لهزم وديع كرم » : نفس المؤلف والمطبعة .

و ـ « مفاكهة ذوي النبل والإجادة ، حضرة مدير جريدة السعادة » لمحمد

---

13 ـ « الجريدة الرسمية » : الطبعة الخاصة بمداولات المجلس الوطني الاستشاري ، السنة الثانية : عدد 4 بتاريخ 5 ربيع الثاني 1377/29 أكتوبر 1957 ـ ص 48 .

14 ـ المطبعة الملكية 7/204ـ205 .

عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الكتاني الفاسي ، المتوفي عام 1962/1382 : منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية 1326 هـ في 40 ص .

وهذه الرسالة وسابقاتها : جميعها في حجم متوسط .

4

من الجدير بالملاحظة أن بيعة مدينة مراكش للحفيظ كانت خالية ـ في مضمونها ـ من الشروط ، غير أنها اقترنت بالتزامات من السلطان الجديد يتجاوب فيها مع أماني مبايعيه بالجنوب المغربي . وذلك ما تعلنه رسالة كتب بها السلطان الحفيظ إلى الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بتاريخ 10 رجب 1907/1325 . فترد بها هذه الفقرة .

« ... فانعقد الإجماع من هذه الحاضرة المراكشية وما حولها من البقاع : على تقديمنا وأمانتنا ، والدخول تحت طاعتنا ، للنظر في مصالح المسلمين ، والدفاع عنهم ، **وإخراج العدو من ثغور المسلمين** »[15] .

وانظر عن نص بيعة مراكش الملحق 65 .

---

15 ـ الرسالة بكاملها وردت في « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 192ـ193 .

ملحق 64

وثيقة بيعة فاس للسلطان الحفيظ

« الحمدلله الذي جعل كلمة الحق هي العليا ، وأرشد المؤمنين من عباده لإتباع مقتضياتها أمر ونهياً ، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس ، كما فضل آل بيته الكريم على الناس ، وشرف هذا الوجود بمن يرقيه الله من خيارهم منصب الخلافة ، فيتبع في الشريعة والعدل والسياسة سنة جده ويقتفي في ذلك الكرام أسلافه ، تصديقاً لقوله ـ ﷺ ـ ولاية أهل بيتي . أمان لأمتي .

نحمده سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهداية لقبلة الرشاد ، والتمسك بحبل التوفيق والإسعاد ، والعدول عن مواضع الزيغ والتفريط والعناد .

ونشكره أن هدى خاصة الأمة وعامتها لتقليد من يوفي بالعهود الشرعية ، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية .

ونشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له الذي يوتي الحكمة من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الشفيع في أمته يوم يتميز القاسطون من المقسطين ، والحافظون للأمانة من المفرطين ، ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا في كشف غياهب الضلال ، وكانوا يميلون مع الحق حيث مال ، ولا يحابون من يتساهل في أحكام الشريعة بحال .

أما بعد : فإنه لما أراد الله تعالى أن يزيح ليل الجهالة عن عباده ، وأن يجدد الدين بمن يطلعه شمساً في أرضه وبلاده ، ليعود عز الإسلام لشبابه ، ويبقى استناد الإمارة العلية إلى سنته وكتابه ، وتعلقها من الشرع بأسبابه :

تدارك سبحانه الوجود ، وأعز العالم الموجود ، واستطارت الأنوار المضيئة للأغوار والنجود ، بمبايعة من يعيد الله به شمس الخلافة إلى برج شرفها ، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى مركزها ، ويحيي به أثر الخلفاء الراشدين ، ومكارم الأسلاف الكرام المهتدين .

وهو من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها ، وبلغ من المزايا الجسيمة نهايتها ، فاكتسى العلم لباساً ، والشجاعة أتراساً ، واتخذ العلم أساساً ، والحلم شعاراً ، والكرم دثاراً ، والدين قواماً ، والسياسة الشرعية نظاماً : مولانا أمير المؤمنين ، إبن مولانا أمير المؤمنين ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، الذي جعله الله خير آية ناسخة ، وأثبت له في الكمالات قدماً راسخة ، نخبة الخلافة العلوية ، وجوهرة عقد المملكة الإسلامية ، المتفاءل باسمه ، في حفظ الإسلام ورسمه ، أبو المعالي مولانا عبد الحفيظ ، بن مولانا الإمام المقدس بالله سيدنا الحسن ، إبن ساداتنا الملوك الكرام ، المقدسين في دار السلام ، لما ألقى الله له في قلوب الخلائق من الحب الجميل ، والاعتقاد الذي هو بنصرة الدين كفيل .

فحبذا من أمام تهتز لذكره أعطاف المنابر ، وتتقلد من شريف دعوته بأبهى من نفيس الجواهر ، وتستضيء البلاد بإكليل شرفه الزاهر ، وتسكن العباد تحت ظله المؤيد الوافر ، أبقى الله أيامه ، بقاء يستصحب النصر دوامه ، وخلد له ولأعقابه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة .

فانتدب من وقفت بهم مطية التوفيق ، على حضرة الإخلاص والتصديق ، وأخذت بهم أزمة السعادة إلى حيث الفوز برضى الله ورسوله حقيق : من جميع أهل فاس الإدريسية ، لا زالت مصونة محمية ، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم ، وخاصتهم وعامتهم ، وكذلك أهل فاس الجديد ، لشمول التوفيق لهم والتسديد :

على تقليد الجميع بيعة مولانا أمير المؤمنين المذكور ، المختص بالسعد الباهر واللواء المنصور ، بيعة تؤسس على تقوى من الله ورضوان ، ويشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان ، فبايعوه كلهم على الأمن والأمانة ، والعفاف والديانة ، والعدل الذي يشيد للمجد أركانه ، مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق ، وعموم الاتفاق ، والمواثيق الشديدة الوثاق ، وبجميع الأيمان ، الصادقة الإيمان ، أعطوا بها صفقة أيديهم ، ورفع العقيرة بها مناديهم ، وندبوا إليها سائر القبائل التي بنواحيهم ، عارفين أن يد الله فوق أيديهم .

وأمضاها الكل المجموعي والجميعي على السمع والطاعة . والإنتظام في سلك الجماعة . إمضاء يدينون به في الجهر والسر . والعسر واليسر . والتزموها رغبة منهم وطوعاً . واستوعبوا شروطها أصلاً وفرعاً . وجنساً ونوعاً . خالصة صادقة . وعدة من الله بالخير لهم سابقة . وسعادة بالحسنى لاحقة . أبرموا عقدها . وأحكموا عهدها . وعرضوا عليها أفراداً وأزواجاً . وزمراً وأفواجاً . وناداهم داعي السعادة إعلاناً . لقوله تعالى « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

وكيف لا وهو المتصف بالكفاية الشرعية التي بينت في كتب الفقه : بأن يكون مهتدياً إلى مصالح الأمور وضبطها . ذا نجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور . وذا رأي مصيب في النظر للمسلمين . لا تروعه هوادة النفس عن التنكيل لمستوجبي الحدود .

فقد جعله الله زمام الأمور ونظام الحقوق . والقطب الذي عليه مدار الدنيا . وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم . وينصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم . قال تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف » الآية . وقال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت آية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم : قد أمرنا بطاعة الأيمة ، وطاعتهم من طاعة الله ، وفي الحديث عن مولانا علي كرم الله وجهه : إمام عادل ، خير من مطر وابل ، وفي الحديث : السلطان ظل الله في الأرض ورمحه . وفي الحديث : من أجل سلطان الله أجله الله ، وفي الحديث : المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان ، وفي الحديث أن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن ، وسئل سهل أي الناس خير ؟ فقال : السلطان ، لأن لله في كل يوم نظرتين : نظرة إلى سلامة أموال الناس ، ونظرة إلى سلامة أبكارهم ، فيطلع في صحيفة ، فيغفر له ذنوبه ، وفي السراج : ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، وقالت الحكماء : أسوس الناس برعيته من قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها .

ولا غرو أن مولانا أمير المؤمنين ، الذي انتظمت بيعته في أعناق المسلمين ،

أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم . وتوجهت إليه آمالهم وأمنياتهم . ومدت له الرعية أزمتها . وقدمت إليه الوفود أعنتها .

راجين من شريف همته . وكريم عنايته : أن يلبسهم رداء نعمته . وينزلهم ظل كرامته . ويعمهم بسيرة معدلته . ويشملهم بالحلم والفضل والرحمة المكتملة .

ويسعى جهده في رفع ما أضربهم من الشروط الحادثة في الخزيرات . حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها . ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها . ولا علم لها بتسليم شيء منها .

وأن يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية .

وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما . ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما .

وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات .

والتنزيه من إتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة . لمحاشاةهمته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة .

وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد . فليكن مع إخواننا المسلمين : كآل عثمان . وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة .

وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية : فلا يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة . كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة . حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها . ولا في استقلال سلطانها .

وأن يوجه ـ أيده الله ـ وجهته الشريفة لإتخاذ وسائل الإستعداد . للمدافعة عن البلاد والعباد . لأنها أهم ما تصرف فيه الذخائر والجبايات . وأوجب ما يقدم في البدايات والنهايات .

وأن يقر بفضله العيون والنفوس . برفع ضرر المكوس .

ويحقق رجاء خدامه وكافة رعاياه : بالذب عن حرماتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم . وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم .

وتجديد معالم الإسلام وشعائره : بزيادة نشر العلم وتقويم الوظائف والمساجد . وإجراء الأحباس على عملها القديم .

وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية .

وكف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية .

وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض . لما تحقق ـ والحمدلله ـ من كمال أوصاف مولانا الإمام . واعتماد المسلمين على كفايته في الأمر الخاص والعام . فهو ـ أيده الله ـ العضب الكافي . ورأيه العلاج الشافي .

ومما يقتضيه حسن سيرته وكمال وفائه : جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين ، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين . وإقرار ذوي الحرمة على ما عهد لهم من المبرات والاحترام ، وظهائر الملوك الكرام . وإبعاد الطالحين . وإخساء المفترين والواشين ، ومعاملة المؤمنين ، بما تعودوه منه ومن أسلافه المقدسين : من إيثار العفو والحلم والرفق والأناة ، وتجديد مآثر الخير في حالة العز والثبات .

وحسن الظن بسيدنا ـ أيده الله ـ حمل أهل مملكته الشريفة . المتيمنين بكريم بيعته المنيفة ، على أن صدعوا لجلالته بما أثرت فيهم مضرته ، عالمين أنهم لا يكشف ما بهم إلا عناية مولانا المتصور وهمته .

ومستسلمين ـ مع ذلك ـ إلى الله بالقلوب الخاشعة ، ومبتهلين بالأدعية النافعة : أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدءاً وختاماً ، ويمنحهم بركته التي تصحبهم حالاً ودواماً ، لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

أشهدوا على أنفسهم بما فيه عنهم عموماً ، والواضعون أشكالهم ـ عقبه ـ خصوصاً ، وهم عارفون قدره وبأكمله .

وفي فاتح ذي الحجة الحرام ، عام خمسة وعشرين وثج ثمانية وألف .

ـ « إتحاف أعلام الناس » 1/449ـ453 .

ـ « غنية الأنجاد . في مسائل الجهاد » تأليف محمد التهامي السوسي الباعفيلي ثم المكناسي . مخطوط خ . م 12313 : ص 92ـ99 .

ملحق 65

وثيقة بيعة مراكش للسلطان الحفيظ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله .

الحمد لله رب العباد ، وملهم الرشاد ، والمنعم بالإسعاف إلى طريق الإسعاد ، فهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وهو الولي النصير الذي نلقي إلى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ، ونمد إلى إنجاده وإمداده أيدي الاعتداد ، ونرفع إليه أكف الاستمداد ، ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد ، فنعرف عوارف الفضل المزداد ، ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الأجل في الآخرة يوم يقوم الإشهاد ؛ ونتفيأ ظلال الجنة تحت أوراق السيوف الحداد .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله النبي الهاد ، رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ، وهو نبي الرحمة ذو اللواء المعقود ، والحوض المورود ، والشفاعة يوم التناد ، والرضى عن أصحابه أكرم الخلق بين الرائح والغاد ، الذين هم أنصاره وحزبه الكرماء الأنجاد ، دعائم الدين من بعده وهداة العباد ، الذين ظاهروه ونصروا دينه وأرغموا أنوف أهل الجحد والإلحاد .

فنسأل الله ببركته وبركتهم ينال الإسلام بهذه البيعة الآتي ذكرها أقصاً الأمل وغاية المراد ، وفي مرضاته نصل أسباب السعادة والإسعاد ، فبجاه الجميع والنبي الشفيع أن يكون هذا الاتفاق على هذا النصر مستصحب العز للإسلام في الإصدار والإيراد ، حتى يصير دين الإسلام رفيع العماد ، والمنصور ـ المتفق على نصره ـ منصور العساكر والأجناد ، مستمداً حسن النصر من مولاه رب العباد .

أما بعد : فقد جاء القرآن العظيم ـ المنزل على نبينا الكريم ـ بوجوب رعي المصالح ودفع المضار ، ودفع المضار مقدم على جلب المسار ، باتفاق العلماء أئمة الدين ذوي الأنظار ، وهو « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ، وجميع ما جاء به القرآن وجل ما خلق الله لمصالح العباد ، بشاهدة

« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » : أي انتفاعاً واعتباراً ، ولذا أوجب علينا في الأمور العامة والخاصة رعى المصالح ودفع المفاسد .

ولذلك وجب على المسلمين نصب الإمام وهي الإمامة الكبرى ، التي هي رئاسة في الدين والدنيا عامة لشخص واحد ، وقال الأمدي : « الحق أنها خلافة لرسول الله ـ ﷺ ـ في إقامة الشرع وحفظ الملة ، توجب اتباعه على كافة المسلمين ما وافق الحق ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، بنص القرآن والحديث » .

وقد نص أئمتنا أن طاعته لا تكون طاعة له ولله ولرسوله حتى تكون في الظاهر والباطن سواء ، وهذا إذا وافق الشرع مع توفر شروط الخلافة فيه ، ولذا قال عمر : « أطيعوني ما وافقت الحق » ، ومن لم يوافقه فلا طاعة له ، ولصحة الإمامة شروط صحة يلزم من عدمها العدم : العدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس والأعضاء ، وصحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح ، والشجاعة والنجدة المؤديان إلى حماية بيضة الإسلام وجهاد العدو ، وأن يكون قرشياً ، إذ الخلافة فيهم ما أقاموا شعائر الإسلام ، ومن اختلت فيه الشروط فلا تنعقد له الولاية ، وإن دخلها وجب عزله ، ونصوص هذا من مفاد الكتاب وحديث رسول الله : معلومة عند الكل ، لا يدخلها خلاف ولا إرتياب .

وحيث شرط سيد الوجود ـ الذي نزل عليه الكتاب ـ في صحتها إقامة الدين ، ورعي مصالح المسلمين ، وذلك كله تخلف حتى أفضى الأمر إلى موالاة أعداء الله ورسوله الكافرين ، والله يقول في محكم كتابه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » ، ويقول : « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة » ، إلى غير ذلك من صريح الذكر الحكيم . وهذا منه قليل من كثير ، ونقطة من غدير .

ونبذت سروط الكتاب والسنة وضاعت ، وفسدت مصالح الدين وعموم مصالح الأمة من عدم معرفة متولي الإمامة ، وإسناده أمور الإسلام وأمور الدين إلى جمع جهلة ، حتى بلغ سيل العرم الزبا ، وحزام الهم الظبا .

ولا يد للمدافعة تمتد ، ولا نهضة للممانعة تشتد .

ومن أجال في الواقع في أركان الشريعة من الإنهدام ، وغاية اختلال النظام ، والمواظبة على هدم أركان الشريعة ، واستحسان إبدالها بأضدادها من قوانين الكفرة القبيحة الشنيعة .

كيف ومن ذلك ما علم بالضرورة أن الصلاة والزكاة شقيقتان قرينتان . وهما للدين بمنزلة الرأس من الجسد ، وهما قواعد الدين وأساسه المعتمد . ومن فرق بينهما كفر بالكتاب والسنة وخرق الإجماع ، بدون خلاف ولا نزاع . وحيث توافق المتولون على نبذ الزكاة لفظاً ومعنى وحكماً ، وبدلوا ذلك بقانون الكفرة من ضوابطهم وتسميتهم المشتهرة ، أليس هذا من سلوكهم الكفر الصراح ، الذي السكوت عنه لا يحل ولا يباح .

وقد أفضى السكوت عنه وعن اختلال نظام الشريعة كلها ، وعن محبة موالاة أهل الكفر ، وأعطائهم أزمة الإسلام يلعبون بها كيف شاؤا ، حتى اتسع هذا الخرق الواقع ، الذي ليس لخرقة من راقع ، وطال انتظار الفرج ، ولم يزدد الأمر إلا شدة الضيق والحرج .

بل أفضى إلى متسع من التثابر على نهب أموال الناس ، وسفك دمائهم ليلاً ونهاراً ، وقطع سبلهم ، وحصل من علاج ذلك الإياس ، والأمر أشد من ذلك كما اشتهر ـ في كل الآفاق ـ عند جميع الناس ، وذلك كله كالشمس شهرة عند من أسند إليهم التدبير ، وأيقنوا بإفضائه في نهج الشرع إلى التدمير . فلا يمكن أحداً منهم إنكاره ، لأن إنكار المشاهد مكابرة ، والمثابرة على الباطل مدابرة ، وهل تخفي السماء على بصير ، وهل بالشمس طالعة خفاء .

فعند ذلك انتبه هؤلاء المسلمون من الغفلة ، وفتحوا عين الانتباه واليقظة ، سيما حيث بدأ انتثار سلك عقدهم من الوسط . وصار السكوت عنه من أقبح وجوه الغلط . فيا للمسلمين من تسليم مدينة وجدة للكفار بلا صلح ولا عنوة ، بل مجاناً ، ويا للمسلمين من أقبح وجوه الاستيلاء على ثغر الدار البيضاء ، واستيصال من عمرها من مسلم رجالاً ونساء .

ولما اشتد تحسر المسلمين على جميع ما ذكر ، ومشاهدة زيادة ما اشتهر : ماج بعضهم في بعض حيث صارت قلوب الناس من ذلك في اضطراب وارتجاج . لكون الواقع ربما عميت على المجتهد فيه الأدلة التي يحصل بها على المذهب الاحتجاج .

فاحتاجوا إلى نصب إمام يكون حاز الشرف بطرفيه ، والتحف بمطرفيه . تكون حلل المجد لباسه ، وأنوار العلم اقتباسه . وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب ، وازدانت بمرآة النوادي والمواكب ، يكون للدين لساناً . ولا يعتمد إلا خلالاً حساناً ، فحصل بعد الشدة الفرج ، وشم الناس من طيب السلامة أطيب أرج ، حيث اتفق رأيهم على أن نصبوا للإمامة العظمى من قصرت ألسن البلغاء عن علاه ، وزانت صدور الدواوين علاه ، من إذا عدت المفاخر ، فله منها الأول والآخر : سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ، شبل الملوك العظام ، من أجل وأشرف ملوك الإسلام ، نجل سيدنا ومولانا الحسن ، بن مولانا وسيدنا محمد ، بن سيدنا ومولانا عبد الرحمان ، بن مولانا هشام ، قدس الله أرواحهم في دار السلام .

ملـــوك وأبنـــاء الملـــوك وســـادة
تفلـــق عنهـــا بيضـــة الطائر الصقـــر
متـــى تلـــق منهـــم ناشيئـــاً في شبابـــه
تجـــده على آثـــار والـــده يجـــري

وهو ـ نصره الله ـ إسم طابق مسماه ، ولفظ وافق معناه .

فاتفقت كلمة الإسلام على النداء والإعلان بنصره ، وإفشائه ونشره ، وانعقدت كلمتهم على ذلك في سائر هذا القطر من باديته وحضره ، لما رأوه من توفر الشروط المتقدمة فيه ، حتى أنشد لسان حالهم فيه :

وما كلفـــوك الأمـــر إلا لعلمهـــم
قيامـــك بالأمـــر الـــذي أنـــت كافلـــه

فاجتمعت لذلك جموعهم : علماؤهم وأشرافهم وأعيانهم ومن هو دون ذلك ، على تسجيل بيعته وعقد ما هنالك ، مع التصريح بخلع أخيه مولاي عبد

العزيز الذي كان قلبه ، لكونه مع أهل ديوانه أفسدوا جميع ما تولوا إذ ليسوا أهله .

أبقاه الله ـ تعالى ـ عالي القدر ، قرير العين منشرح الصدر ، ولا زال حديث فخره سائراً سير الشمس والبدر ، وجعلنا الله بآياته معتبرين ، وعلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر مصطبرين ، فلا يجهل الموجب الذي أوجب خلع أخيه ، وألزم الناس له هو توليته ، إلا من لا يفرق بين الجوهر والعرض ، والصحة البينة والمرض ، والدر والحصا ، والحسام والعصا ، ولم يتدبر عاقبة هذا الأمر ، ولم يفرق بين التمر والجمر .

فنسئل الله ـ سبحانه ـ أن يهب له أفضل عوائده ، ويجعل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ، ويبقيه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويصل له تأييداً وتأبيداً ، ويمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لعبيده عبيداً ، ويمد على الدنيا بساط سعده ، ويهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ...

6 شعبان الأبرك عام 1325 .

من نسخة منها في خزانة خاصة .

الفصل الرابع

ـ مباديء الوطنية المغربية الناشئة .
ـ زمرة من أسماء الوطنيين الأولين .

تبينا من الفصل الأخير أن ميثاق بيعة فاس للحفيظ : جاء بمثابة برنامج يتجاوب مع أماني النخبة الوطنية ، ثم استخلصنا منه أربعة مباديء رئيسية :

ـ المحافظة على استقلال البلاد وتماميتها .
ـ عدم الاعتراف بالشروط التي تمس هذا المبدأ .
ـ الأمة هي مصدر السلطة .
ـ رفض الاستعانة بالأجانب .

وقد صارت هذه المبادي منطلقاً للعمل الوطني بمغرب أوائل القرن العشرين ومع مر الزمن بدأت هذه الحركة تنتظم في تجمعات صغرى سرية ، تتأثر ـ قليلاً ـ بأصداء النهضة الوطنية المشرقية ، غير أنها لم يكن لها برنامج سياسي . ولا تنظيم حزبي . وكان هدفها هو إيقاظ الشعور الوطني لتوعيته بالمباديء الأربعة ، مضافاً لها توجيهات العلماء . وكانت تهدف إلى النقد الذاتي لواقع المسلمين . وذلك ما نقرأه في بعض مؤلفات هذه الطبقة . حيث سيكون تحليلها هو موضوع الباب التالي .

ومن جهة أخرى فإن الشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني بعد احتلال وجدة

والبيضاء : نادى بمشروع للخلاص عن طريق مؤتمر وطني يتفق على :

إتخاذ مجلس للشورى .

بذل سائر الإمكانيات في سبيل الظفر بالأعتدة الحربية الحديثة .

دعوة المواطنين لبيع ما في دورهم من الكماليات الأجنبية . حتى تشتري بثمنها الأعتدة الحربية التي يتطلبها سير الحركة التحريرية .

مقاطعة البضائع الأجنبية[1] .

وهكذا يبرز لميدان الوطنية المغربية الحديثة شيوخ العلماء . ومعهم طبقات من القاعدة الشعبية . وفئات من الشباب . يؤلف بينهم جميعاً الشعور بواجب الدفاع عن البلاد . والعمل لتقدمها .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الشعور المغربي الحديث : كان يتسم بالطابع الإسلامي . فالوطنية آنذاك عنوان للجهاد ـ بالقلم أو السلاح ـ ضد المطامع الأجنبية . ومن أجل العمل لرقي البلاد . وهي ظاهرة استمرت في مبادرات التحركات الشعبية بالمغرب حتى أوائل الثلاثينيات .

* * *

وإلى هنا نعود إلى حديث النخبة الوطنية ، فنشير إلى ما توصلت إليه من أسماء العاملين بها ، ونذكر في البداية إسم عالمين :

محمد بن عبد الكبير الكتاني ،

ومحمد ماني الصنهاجي .

ومعهما نشير إلى القائد عبدالله بن سعيد السلوي ... دار النيابة بطنجة .

ثم الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر زنيبر السلوي[2] .

---

1 ـ « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 222 ، نقلاً عن رسالة للمنوه به بعنوان « طلب الأعمال التي توجب رضا الله ثم رضا رسوله » ، وهي ضمن مخطوطات خ . م 13000 .

2 ـ يتبين النشاط الوطني للأربعة من مبادراتهم الواعية ، حسب عروض سابقة أو لاحقة .

وعن أعضاء التجمعات الوطنية السرية : يروي القاضي عبد الحفيظ الفاسي أن جماعة من المتنورين أسسوا بفاس تشكيلة سرية باسم « جمعية الترقي » . كان فيها إلى جانب صاحب الاستجواب : السادة :

محمد عبد الحي الكتاني .
والعباس الكردودي .
والمهدي بن الطالب الفاسي .
وعبد العزيز لحلو قائد تاونات من بعد .
والحسن الصقلي .
إلى جماعة من العوام .

مع تأكيد صاحب الاستجواب أن الجمعية ساهمت في إعداد الدستور المغربي المنشور في جريدة « لسان المغرب » .

ذلك ما أفضى به إلى الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في داره بحي مارسا بالرباط ، خلال عام 1374/1955 .

ومن جهة أخرى يذكر الأستاذ علال الفاسي الجمعية وأعضاءها هكذا : « ... وكل ما نعلمه أن هنالك جماعة من الشباب الناهض من بينهم :

السيد المهدي بن الطالب الفاسي .
والسيد سعيد الفاسي .
والسيد عبد الحفيظ الفاسي .
والسيد أحمد الزبدي .

كانوا يقومون على جمعية سرية لتنوير أذهان المغاربة ومقاومة الاحتلال الأجنبي ، وأن جماعة منهم ومن غيرهم كانت تتحرك أقلامها بالكتابة في الصحف الحرة التي أنشئت بطنجة ، وفي جريدة الحاضرة التي كانت لسان الوطنيين التونسيين ... »[3] .

---

3 ـ « الحركات الإستقلالية في المغرب العربي » : نشر عبد السلام جسوس بطنجة ص 97 .

ويذكر نفس المصدر في مكان آخر وهو يتحدث عن صحيفة المؤيد المصرية :

« كان السيد عبد الحفيظ الفاسي .
والسيد مراد الأديب الإسلامي اللبناني المستوطن في المغرب .
والشيخ محمد الكتاني :

من المراسلين لهذه الصحيفة ، والمواظبين على قراءتها والدعوة لما تتضمنه من آراء وأفكار »[4] .

وعن الشيخ محمد الكتاني وثلاثة من علماء فاس نشرت جريدة « السعادة »[5] الخبر التالي : « كتب إلينا أحد تلاميذة الكتاني بفاس يسألنا عما إذا كان يوجد في مكتبة « السعادة » نظام الدستور التركي ، وأسر إلينا على أن :

سيادة الشيخ .
ومولاي عبد الحي .
وابن سودة .
والوزاني .
والتازي .

يستغلون ـ ليلاً ونهاراً ـ في تحرير ضوابط الدستور ... » .

والغالب أن الألقاب العائلية الثلاثة : تعني العلماء الأشياخ العابد بن سودة ، والمهدي الوزاني ، والعباس التازي .

* * *

ونذيل ـ هنا ـ بالإشارة إلى ثلاث مبادرات ينتدب لها أفراد من النخبة الوطنية .

---

4 ـ محمد علال الفاسي : « نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها » : جريدة العلم : عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971 ـ ص 9 .

5 ـ عدد 207 بتاريخ 6 رجب 1326/4 يوليه 1908 .

1

إنطلاقاً من تعليق عقب به مكاتب مجلة « المنار »[6] بفاس على مطالب السفير الفرنسي طاياندي ، وهكذا يقول المراسل :

« ... ومما يصح أن يذكر أن السفير الفرنسوي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته ، بل يظهر أنه يقاوم المعارف . فقد عملنا **أن بعض الأعيان والأغنياء** ـ هنا ـ عزموا على **فتح مدرسة حربية وأخرى طبية** . بشرط أن يكون التدريس فيهما باللغة العربية . ولما استأذنوا أولي الشأن في المسألة . وبلغت مسامع السفير الفرنسوي : استشاط غضباً ، وأقام النكير . واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس ، ولا إصلاح بدونها » .

2

دعا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ـ في فترة البيعة الحفيظية ـ إلى عقد مؤتمر وحدوي يضم مجموعة كبرى من سكان الأطلس المتوسط وما إليه . فوفد إلى مكناس أعيان قبائل مجاط وبني مطير وجروان وزمور وزعير ، وانتظم جمعهم في مسجد عودة بتاريخ 12 صفر 1326/1908 ، بحضور باشا المدينة الحاج بنعيسى بن حم السرغيني ثم البخاري ، فخطب فيهم الشيخ الكتاني ، وحضهم على نسيان الخصومات بينهم ، وندبهم إلى جمع كلمتهم ، حتى يكونوا على أهبة الإستعداد للدفاع عن الوطن ضد المد الأجنبي . وعن معطيات هذا المؤتمر تقول الرسالة التي تشرح آفاق المبادرة :

« ... وتمكنت منهم الغيرة الإيمانية ، وتكاملت فيهم الأخوة الإسلامية ، وصاروا ـ من الحين ـ إخواناً ، وعلى نصرة الدين أعواناً ، وانعقدت عزائمهم على ذلك ، وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذي استخلصهم من الوقوع في شبكة الهالك ، وراحوا ـ بعد الفاتحة ـ على أنه إن لم يعقد صلح من العدو مع مولانا المنصور بالله :

---

6 ـ المجلد 8 ص 159 .

فهم أول قائم ـ بخيلهم ورجلهم ، وأولادهم ونسائهم ، وأموالهم ومتمولهم ـ لإعلاء كلمة الله ، فعند ذلك حصلت بهم الأمنية ، وصلحت فيهم النية ... » 7 .

وسيرد نص الرسالة ـ كاملاً ـ عند الملحق رقم 66 .

3

وهذا نشيد وطني كان معروفاً في هذه الفترة ، ليدل على نوع انتظام لحركة النخبة المغربية ، وقد أنشده الشيخ عبد الحفيظ الفاسي لصديقه الغيور السيد أحمد الزبدي الرباطي . وقد يكون من نظم القاضي الفاسي ، وهذا سياقه :

اعلموا أبناء شعبي ... أننا في عصر زاهر
فارفضوا الأغراض كلا ... وانبذوها في مقابر
وانهضوا حزماً وعزماً ... من خمول متكاثر
وأفيقوا من رقاد ... ليس فيه من تباشر
واحفظوا استقلال غرب ... بعلوم وعساكر
واطلبوا العلم بجد ... فزمان الجهل غابر

7 ـ أشار لهذا اللقاء مصدران معاصران للحدث ، الأول : جريدة « لسان المغرب » بالعدد 31 ، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1326/3 أفريل 1908 ، فجاء في الصفحة الثانية منه : « إنعقد الجمع بمكناس يوم الأحد بدلاً من يوم السبت ، فاجتمع ـ في ذلك اليوم في جامع القصبة ـ رؤساء قبائل زمور ومحاط وجروان وبنو مطير وزعير ، وحضر معهم سيادة الشيخ الكتاني ، والشريف سيدي محمد الأمراني ، والباشا إبن عيسى حاكم مكناس ، فأول شيء فعلوه أنهم عقدوا الإخاء والاتحاد بين القبائل المذكورة ، تاركين جميع ما كان بينهم من الحقوق والدماء ، تامينا للطرق ، وحفظاً للنظام ، ثم تعاهدوا على أن من خرج عن الدين والجادة واستبدل الإيمان بالكفر : فليس هو منهم في شيء ... » .

أما المصدر الثاني : فهو القاضي الشيخ أحمد سكيرج ، وهو يدون ارتساماته عن سفره من فاس إلى مكناس ، وينزل بها ضيفاً على صديقه الشيخ عبد الرحمن إبن زيدان ، ولذلك يسمى موضوعه بـ « الرحلة الزيدانية » ، حيث توجد مصورة منها ـ على الشريط ـ في الخزانة العامة رقم 1030 .

ويهمنا من هذا المصدر : أنه يذكر اتصاله بالشيخ الكتاني ليلة عيد المولد النبوي : 12 ربيع الأول 1326/ 1908 ، فيتحدث عنه بهذه الفقرة : « ... وكانت إقامته بمكناس الزيتون ، لإتمام النصر للحضرة الحفيظية » ذا جد واجتهاد في ذلك ، يحض القبائل على الجهاد ، وحفظ جميع المسالك مما عسى أن يقع من التعدي والفساد ، في الأرض والبلاد » .

وارفعـــوا للعلـــم قـــدراً لكم المجـــــد يسايـــــر
وارفعـــوا للجيـــش قـــدراً فهـــو للشعـــب مـــؤازر
واسلكـــوا فيـــه بنيكـــم فبهـــذا الـــرب آمـــر
وأعـــدوا مـــا استطعتـــم قول حـــق متـــواتـــر
واعملـــوا كيمـــا تفوزوا بعـــد تطهـــير السرائـــر
واصـــدقـــوا قـــولاً وفعلاً واتبـــجـــوا نهـــج الأكابـــر
واقبلـــوا نصـــح أخيكـــم فهـــو للعـــرفـــان نـــاصـــر[8]

* * *

وكما رأينا في بعض العروض : فقد استمر نشاط هذه الحركة إلى صدر الدولة الحفيظة ، دون أن تعرف ـ بالضبط ـ فترة وقوفها ، غير أنه من المتوقع أن يبدأ حماسها في الفتور مع تصاعد الضغط الأجنبي ، إلى أن طويت صفحتها ـ مؤقتاً ـ مع سياسة الحماية ، حيث اشتدت وطأة الرقابة على التحركات السياسية ، اشتدادها على المؤلفين في تاريخ المغرب ، وقد حاول محمد السليماني نشر كتابه « اللسان المعرب ... » في عهد الحماية ، بعد ما كان ألفه أواخر عصر الإستقلال ، فاحتاج ـ رعياً للظروف ـ أن يعيد مراجعته ، وذلك ما لوح له في افتتاحية الكتاب قائلاً :

« بيد أني تكلمت حسب الإمكان ، في غالب وقائع هذا الزمان ، وتقلبات الأوان ، لأن الظروف تحجر التصريح ، بما يثير التبريح ، اللهم إلا التلميح ، الرمز إلى المقاصد ، بما يعقله العالمون بمقتضيات العوائد ، وتحاشياً عما يوقع في المحذور ، أو يوغر الصدور ، حتى لا يجد أهل الوشايات ، ما يحدثونه في جانبنا من الهنات »[9] .

وقد كان هذا الواقع من أهم الأسباب لضياع أخبار هذه الحركة الوطنية الناشئة .

---

8 ـ « خطوات وخطرات » للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ، وهو اسم رحلته التي سجل بها ارتساماته عن زيارته لبعض مدن المغرب الساحلية عام 1328/1910 ، فيوجد بعضها بخط المؤلف : خ . ع ، د 4401 أول مجموع ، حيث يرد النشيد ص 37ـ38 .

9 ـ « اللسان المعرب ... » مطبعة الأمنية بالرباط : ص 3 .

كما كان الحافز للنخبة المغربية إلى التوقف ـ مؤقتاً ـ عن العمل الوطني . على أن أفراداً من هؤلاء ساقتهم ظروفهم إلى مهادنة الوضع الجديد ، فصار ذكرهم ـ في عروض سابقة ـ إنما يشير لتسجيل الواقع التاريخي في فترة معينة . وإلى الله ـ سبحانه ـ عاقبة الأمور .

ملحق 66

رسالة الشيخ الكتاني ، في وصف وقائع المؤتمر العربي الأمازيغي بمكناس

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني .

إلى الأخ في الله ، المحبوب من أجله ، إبن عمتنا ،
الفقيه الحسيب ، العلامة العدل الرضي الخطيب :
سيدي عبد الحفيظ الفاسي ، وفقك الله ورعاك .
وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فغير خاف عنك أن موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون ، إلى حضرة مكناسة الزيتون : هو ما ثبت لدينا من إضطراب وتفاقم قبائل حوزها ، حيث تشوفت أطماعهم ، ومالت أهواؤهم ، إلى ما استخذلهم به أهل الغي من الأموال ، واستنفروهم به مما عقدته يد العناية الربانية لإستقامة الأحوال ، وأزعجنا الأمر إلى تدارك استصلاحه ، إنتهازاً للفرصة في نجاحه .

فلما حللنا ـ والحمد لله ـ بالمدينة المشار إليها حلول يمن وأمان : استدعينا من بالقبائل المذكورة من الوجوه والأعيان ، لنقدهم من حبائل الغرور ، وردعهم عما أريد بسببهم من ، وتنبيههم من سنة الغفلة ، وحضهم ـ في الدين ـ على كمال الوصلة .

فأتوا يطوون ـ بالليل والنهار ـ سبلاً فجاجاً ، بقلوب مملوة حبوراً وابتهاجاً ، ولم يتخلف منهم أحد ولله حمدي وثنائي وشكري ، لا عربي ولا مجاطي ولا مطيري ولا جرواني ولا زموري ولا زعري .

فاتخذنا بهم الجمع ـ يوم التاريخ ـ مع باشا البلد في مسجد المخزن المعروف بجامع القصبة ، لما أنه أوسع مساجد الوطن لاكتساب هذه القربة ، ويقظناهم

من نومهم ، واسترجعناهم عن قصدهم ، وآخينا بينهم أخوة لا تنحل ـ بحول الله ـ عراها في يسرهم وعسرهم ، بعدما حذرناهم من سوء عاقبة انقلاب أمرهم .

كما آخينا بينهم ـ أيضاً ـ وبين الباشا المذكور ، بما تم به للجمع الفرج والسرور .

وأخذنا عليهم ـ إذ ذاك ـ العهود والمواثيق ، أن لا يعود أحد منهم لذلك الفريق ، وإن عاد إليه ولو به أخ شقيق ، فمحله ومتاعه أولى بالحريق .

وتمكنت منهم الغيرة الإيمانية ، وتكاملت فيهم الأخوة الإسلامية ، وصاروا ـ من الحين ـ إخواناً ، وعلى نصرة الدين أعواناً ، وانعقدت عزائمهم على ذلك . وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذي استخلصهم من الوقوع في شبكة الهالك ، وراحوا ـ بعد الفاتحة ـ على أنه إن لم يعقد صلح ـ من العدو ـ مع مولانا المنصور بالله . فهم أول قائم ـ بخيلهم ورجلهم ، وأولادهم ونسائهم ، وأموالهم ومتمولهم ـ لإعلاء كلمة الله ، فعند ذلك حصلت بهم الأمنية ، وصلحت فيهم النية .

والله ـ تبارك وتعالى ـ يكفينا وإياهم هم الأعداء ، وبقينا ـ جميعاً ـ من كل المكاره والأسواء ، ويسكن روعة الإسلام ، ويتمم النعمة بعموم بيعة مولانا الإمام ، بجاه خير الأنام ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، آمين .

وأما قبيلة بني حسن والشراردة وغيرهما . فقد بلغنا بعد الكتب إليهم بمثل المكتوب به لغيرهم : أنهم عازمون على التوجه لهناك ـ يوم السبت الفارط ـ بالبيعة السعيدة ، وعقد الكلمة على وفق ما عقدناه ، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يكونوا قد وصلوا ، وبحبل ناحيتكم ـ المبروكة ـ اتصلوا ، وأدوا ما عليهم ، إغتناماً لمزيد رضي الله ورسوله ، اللهم آمين ...

12 صفر الخير عام 1326 .

. من مجموعة إجازات ومراسلات القاضي عبد الحفيظ الفاسي .

والرسالة بسخط وإنشاء العالم المكناسي أبي علي الحسن بن اليزيد العلوي المحمدي .

الباب الثامن
دور العلماء في التوعية

الفصل الأول

الدعوة للرجوع إلى السلفية

تبينا عند تقديم الفصل الأول من الباب السابع : أن النهضة الإصلاحية الحديثة بدأت في المشرق بالدعوة للرجوع إلى السلفية الأولى .

وهي ظاهرة واكبت يقظة المغرب الحديث من وقت مبكر ، وكان رائدها الأول هو الحاج محمد بن المدني كنون شيخ القرويين في عصره ، وفي مراكش نشير إلى الشيخ الحاج علي بن سليمان الدمنتي ، ومن طنجة الشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي ، وفي مكناس : الشيخ المفضل بن الهادي ابن عزوز ...

على تفاوت هؤلاء في اتجاهاتهم الإصلاحية ، مع استقلالهم ـ نسبياً ـ عن السلفية المشرقية ، مما جعل لهذه الدعوة المغربية الأولى طابعاً مميزاً ، غير أنها جاءت تتزامن مع المرحلة الأولى من هذه الدراسة ، وذلك ما يطرح إلحاق هذا الموضوع بالجزء الأول من مظاهر يقظة المغرب الحديث .

* * *

1 ـ وقد امتدت هذه الظاهرة إلى الفترة التي نعرضها ، بدءاً من شيخ طريقة صوفية حديثة : هو محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني الفاسي ،

المستشهد عام 1327/1909[1] ، جاء في ترجمته بـ « المظاهر السامية » :

« ... همته الكبرى في ترقي الإسلام وإصلاحه فما أحاط به ، يهتم ـ كثيراً ـ بحالة المغرب وجهله وتأخره ، ولا حديث له إلا في ذلك ...

يهتم ـ كثيراً ـ بمحادثات أروبا واتفاقاتها ومقاصدها نحو الإسلام .
يتكدر لتفرقات تركيا وكثرة الأحزاب بها .
ويجهل أمم المغرب الفظيع أكثر وأكثر ...

كم سعى في تعليم أمم البربر وهدايتهم ، وكان يوفد إلى كل جهة وفداً لتعليم الدين وآدابه » .

ويقول عنه في « معجم الشيوخ »[2] : « صدر من صدور عصره ، عالم متبحر ، حافظ من حفاظ الحديث ، بصير بمعانيه وفقهه ، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام ، متبحر في التصوف ، غواص على دقائقه ... مثابر على نشر العلم ، ذءوب على تقريره وتدريسه ، لا يخلو وقت من أوقاته من الخوض في مسائله .

حر الفكر والضمير ، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه ، مقتدر على إقامة الحجة وإقناع الخصم والإستيلاء على أفكاره ، بما أوتي من قوة العارضة ، والقدرة على البيان ، والبراعة في الاستدلال ، وفصاحة اللسان ، وثبات الجنان .

لم يبلغ أحد من أهل عصره ـ بعد الشيخ ماء العينين ـ مبلغه في إقبال الخلق وبعد الصيت وشهرة الذكر في المشرق والمغرب » .

وإلى هذا : كان الشيخ الكتاني عاملاً على إحياء السنة ، ونصرة مذهب أهل الحديث ، وقد ألف في الجهر بالبسملة في الصلاة ، وفي القبض بها ، وفي رفع اليدين فيها بالمواطن الثلاثة . وكان يدعو لدراسة التفسير والحديث ، ويبدي كبير

---

1 ـ له ترجمة موسعة هي موضوع « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ، تأليف ابنه الشيخ محمد الباقر ، مطبعة الفجر بالرباط سنة 1962 ، وكان هذا المصدر قد أفادت منه العروض المقدمة عن مبادرات المصلح الكتاني .

2 ـ تأليف الشيخ عبد الحفيظ الفاسي الفهري ، المطبعة الجديدة بفاس 1/45 .

إعجابه بأفراد من علماء الإسلام في معارفهم ومؤلفاتهم ، فيشيد بعالم الأندلس بقي بن مخلد ، وتبهره كثرة مؤلفاته .

ولما وصلت إلى المغرب الطبعة الأولى من تفسير « روح المعاني » للألوسي و« نيل الأوطار » للشوكاني : أقام ـ بهذه المناسبة ـ مأدبة دعى إليها بعض علماء فاس ، إبلاغاً في التنويه بالكتابين والإعلان عنهما ، وهو يسجل إعجابه بالمؤلفين ـ البغدادي واليمني ـ في هذه الفقرة :

« وقد ورد علينا تفسير من قبل بغداد إسمه « روح المعاني » ، واسم مؤلفه محمود الألوسي البغدادي : في تسعة أجزاء ، ما ساعدني القلم والإملاء الروحي إلا أن أسميه عالم المشرقين والمغربين ، لا المغرب ولا المشرق ، ولا المشرقين ولا المغربين ، ولو شئت أن أقول عالم المشارق والمغارب لصدقني من مارسه وخالطه وكانت له ممارسة كبيرة ـ قبل ـ بمجموع التفاسير الموجودة والخفية ، فهناك ربما يشهد بمثل ما شهدت ، وإن وقعت له غفلات فسبحان من لا يغفل ، ولو ادعى الاجتهاد لما نازعته فيه ، لوجود مخايله وعلاماته فيه .

وكذا شرح منتقي الأخبار لابن تيمية ، للحافظ المتقن المتبحر : محمد بن علي الشوكاني الصنعاني اليمني ، سماه « نيل الأوطار » في ثمان مجلدات ، لو أدعاه لسلم له أيضاً ، كما يعلم بمراجعته ، مع يد بيضاء في العلوم ، وذهن وقاد ، وقلب يقظان ، وهمة عليا .

وهذان الإمامان الجليلان مما يضن وجودهما آخر الزمان . والألوسي والألوسي ، فلله النوع الإنساني حيث كان هو منه .. » .

* * *

وفي إتجاه آخر يثير المصلح الكتاني مأساة نبذ بعض المواطنين للعادات الإسلامية ، واستبدالها بالتقاليد الأجنبية ، بما في ذلك إهمالهم للمصنوعات الوطنية ، وتهافتهم على البضائع المستوردة :

« فإنا لله على ضعف إيماننا ، حتى تركنا الشعائر الإسلامية ، وأقمنا الوظائف

الرومية . فكيف لا يغلبون علينا وقد هجرنا سنن نبينا . وعمرنا أوقاتنا بسننهم وآلاتهم وبضائعهم وزخارفهم ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار .. وتقسي قلوبنا ، وتزهدنا في الحرف الإسلامية التي يتمعش بها المساكين والدراويش الذين غلب عليهم طيب الأكلة ...

وللمترجم فقرة مطولة ضد الاحتماء بالأجانب حيث يختتمها قائلاً : « وعلى كل فالاحتماء بهم ومصادقتهم واتخاذهم أصدقاء : جرحة في الدين » .

وسوى هذه النماذج من النقد الذاتي ، فإن المنوه به يتزعج لما تنشره صحافة أوربا من الشبه والمطاعن ضد الإسلام ، ويندب علماء المسلمين للتصدي إلى الرد عليها حسب هذا التوجيه :

« وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت : أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام ـ في الحقيقة ـ لأهل الملة ، فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفاً ولو أن تشترك فيه جمعية دينية ، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه ـ وينسب الكتاب لجميعهم ـ في أسرار الشريعة المطهرة ، وبيان مواقع نجومها المقسم بها في قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » ، ويطبعون هذا التأليف ـ مجاناً ـ لله ولرسوله ، وشكراً للأمانة ، وحفظاً للإيمان في قلوب الأمة ، ورعياً للوطن ، ومقابلة للحرب بالسلم ، وإدحاضاً للأباطيل ، وعرقلة لمساعيها بالحجج الدافعة ، ويطبعوا منه الآلاف من النسخ ، ويفرقوه ـ في الدنيا ـ لله .

ولو وقع مثل هذا لحدثت أمور في العالم : خيرية وسماوية ، ولكن إهمال القرائح وعقمها : أنتج نتائج وخيمة لا تحمد ... » .

ومع هذا الموقف وأشباهه ضد تهجمات الأجانب ، كان المترجم يستحسن أن نقتبس من حضارة الغرب ما نحن في حاجة إليه من مزاياها ، ولنستمع إليه يشيد بفوائد الحرية وما إليها في رسالة المواخاة :

« وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب ـ اليوم ـ من النفوذ في العالم ، فإنما

وصلوا لذلك بأمور ، ومنها الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط والعدل والنصح وعدم المحاباة ، والقيام في كل موطن وما يقتضيه ، ومعرفة كل منصب وما يطلبه ، وعدم إهمال بعضهم بعضاً ، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ ، وعدم إهماله حقه ، وعدم رفضه ، بخلاف غيرهم » .

وقد جاء في هذه الفقرة التنويه بتقدير غيرنا للنابغين بينهم . فيقارن الشيخ الكتاني هذه الظاهرة بواقعنا ويقول :

« إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع : إهمال من نبغ فيهم : كاتباً أو شاعراً أو مشيراً ، أو صانعا يحسن صنعة التجبيص أو البناء أو الأواني أو الثياب ، أو صاحب صوت حسن ، أو ينحاش إليه الخلق : يرمونه رمية واحدة ، عن قوس واحد ، ولم يكن صدر الإسلام كذلك » .

* * *

وستكون هذه الفقرة آخر التوجيهات التي يطرحها هذا العرض كنماذج للعديد سواها ، مما يتناثر في كتاب « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » .

ومن هذه التوجيهات يتبين أن المنوه به يعتبر داعية للسلفية الأولى ، كمصلح إسلامي بالمغرب ، وعلى مستوى العالم الإسلامي .

أما مواقفه السياسية فلها مكان آخر في هذه الدراسة : بين عروض الأبواب الخامس والسابع والثامن .

* * *

2 ـ بعد هذا انتقل إلى الإسم الثاني في إتجاه السلفية بالفترة ذاتها : الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي المتوفي ـ بها ـ عام 1345/ 1927 ، وهو معدود من أعلام المغرب ومحدثيه الكبار ، وتجاوزت شهرته إلى كثير من جهات العالم الإسلامي ، وبالخصوص المناطق التي هاجر إليها بالحجاز والشام ،

---

3 ـ ترجمته ومصادرها ومراجعها بالتقديم الذي كتبه حفيده الشيخ المنتصر الكتاني « للرسالة المستطرفة ... » الطبعة الثالثة نشر دار الفكر بدمشق .

حيث كان داعية للرجوع إلى الإسلام أينما حل وارتحل .

وبين مؤلفاته الكثيرة والمتعددة الأوضاع . كتب للسلطان العزيز ـ في أخريات دولته ـ نصيحة مطولة شرحت أسباب ضعف المسلمين أمام قوة أوربا ، حتى استولت هذه على معظم أقطار العالم الإسلامي . وبذلك جاءت هذه الرسالة تهدف إلى النقد الذاتي لواقع عموم المسلمين ، مع عرض الحلول التي يستردون بها عزتهم وهيبتهم .

والنصيحة المنوه بها وإن كانت موجهة للمؤمنين في جميع الآفاق : فهي تتوجه إلى المغرب بالدرجة الأولى ، غير أن المؤلف استغل التعميم لإفساح ميدان القول أمامه ، فيجهر بنقد الجميع دون أن يبدو أنه يشير إلى جهة معينة . وهو ـ في نفس الأمر ـ كثيراً ما يقصد إلى الاعتراض على واقع المغرب بالخصوص ، فجاءت « النصيحة » بذلك في منهجية حقق بها المؤلف هدفه .

نشرت « نصيحة أهل الإسلام ... » بالمطبعة الفاسية الحجرية من عام 1326هـ ، في 115 صفحة من الحجم المتوسط .

وجاءت تشتمل على مقدمة وأحد عشر مبحثاً وخاتمة .

فالمقدمة تشرح مكانة النصح في الإسلام ، وتبرز وظيفة العلماء في هذا الميدان ، ثم تتخلص إلى التذكير بواقع المسلمين إزاء غارات أوروبا في نداء صارخ يوجهه المؤلف لعموم المؤمنين :

« وإنه ـ يا أمة سيدنا محمد ﷺ ـ قد نزل بنا من أعداء الله ـ تعالى ـ وأعداء رسوله ـ ﷺ ـ وأعدائنا : ما هو غير خاف عليكم . بل معلوم ـ بالتواتر والعيان ـ لديكم ، فإنهم ـ دمرهم الله ـ قاموا على ساق الجد والإجتهاد ، في أخذ الأهبة والإستعداد ، وقصدوا بلاد المسلمين في كل جهة . وانتحوا نحوها على كل وجهة ، لا يرون فرصة في الإسلام إلا انتهزوها . ولا شاردة فيه إلا أخذوها واقتنصوها ، ولا حكومة ضعيفة إسلامية ـ ليس لها حام ـ إلا محوها وضبطوها ،

ولا حيلة أو خديعة تضر بالمسلمين وتوهن قواهم إلا أجروها وفعلوها ، ولا طائفة من جهلة المؤمنين أمكنهم إدخالها في التنصر إلا نصروها وكفروها ، ولا طريقاً تنتهي إلى معادن الثروة ومنابع الغنى إلا سلكوها ، لا يقفون في ذلك عند حد ، ولا ينتهون فيه إلى عد .

حتى إن الأمة الإسلامية التي كانت متركبة من نحو ثلاثمائة مليون نفس تركيباً ، لم يبق منها ـ الآن ـ على حال الحرية والإستقلال إلا نحو من الثلث تقريباً ،

والباقون قد ألجأهم اشتغالهم بما يوهن قواهم ، وإتباعهم لحال نفوسهم وهواهم ، أو مجرد ضعف دينهم ، وقلة إيمانهم ويقينهم . إلى تجرع كاسات الذل والهوان والصغار ، بالدخول تحت أسر أعداء الله الكفار » .

وهنا ينتهي المطاف بالمؤلف إلى المغرب ، فيعلن الحقيقة المرة ، ويفضح مؤامرة الاستعمار ضد البلاد ، ثم يستنهض نخوة المغاربة للدفاع عن شرفهم :

« وقد كان هذا المغرب الأقصا قبل هذا الآوان ، في عزة عظيمة وسطوة كبيرة وقوة منعة ورفعة سلطان ، والآن : قد وجهوا وجه التوجيهات بسياستهم الكفرية إليه ، وقصدوا نحوه من كل جهة وخيموا عليه ، طامعين في الأنفس والبلاد ، قاصدين الإستيلاء على ما فيه من الأموال والأهل والأولاد ، عامدين إلى إظهار الخمر والخنزير والصليب ، والتحكم في الشريف والمشروف والأمير والمأمور والبعيد والقريب ، عازمين على إطفاء نور الإسلام ، واستيصال أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويابى الله ذلك ورسوله والمؤمنون ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

كيف وأهل الإسلام ـ والحمدلله ـ ببلادنا وغيرها : لا يحصون كثرة وعدداً ، ونور الإسلام في قلوبهم يربو أبداً ، والأموال والخيول والأسلحة متيسرة ، والقوة حاصلة وليست متعذرة ، فكيف معها نتحمل الذل والهوان ، ونخضع لعبدة الصلبان ، أو نجعل لهم السبيل إلينا ، ونرضى بظهور كلمتهم وبولايتهم

علينا ، كلا ـ والله ـ لا يرضى بهذا ذو همة دنية ، فضلاً عن أرباب الهمم العلية .... » .

* * *

حتى إذا فرغ من المقدمة يأخذ في تشخيص أهم مظاهر الإنحلال الذي خيم على العالم الإسلامي فمهد للغلبة والإستعمار .

والمؤلف يصنف هذه المظاهر في أحد عشر مبحثاً ، فيبدأ كل مبحث بتحديد هدفه في فقرة واضحة ، ثم يعقب ـ في نفس طويل ـ بمستندات الموضوع من الكتاب والسنة وأقوال العلماء ، مع تخليل ذلك ـ أحياناً ـ بنداءات وصرخات توجه ـ تارة ـ إلى العموم ، ومرة إلى الحكام أو النخبة من المؤمنين .

وقد استهلت النصيحة عرضها كالتالي : « المبحث الأول ... إختلاف كلمة أهل الإسلام ، وعدم حصول الألفة بينهم والإلتئام ، وتنازعهم وتنافرهم وتخاذلهم وتناثرهم ، وتفرق جماعتهم ، وتناكر قلوبهم وأفئدتهم ، وإعراض بعضهم عن بعض ، وعدم رجوع بعضهم إلى بعض حتى في إقامة الدين ، ومحاربة من أمر الله بمحاربته من المعتدين ، وحتى إن المؤمن الكامل منهم لا يكاد يجد له على نصرة الدين وإقامة شعائره ظهيراً ولا معيناً ، وإنما يجد من يخذله فيه خذلاناً مبيناً » .

وبعد ما أفاض في تقرير هذه النقطة ، عقب بتبر يزدوْر الاستعمار في بث أسباب الخلاف بين المؤمنين والكيد لهم ، وقال : « ومن تصفح التواريخ والأخبار ، وسبر أحوال الأمم السالفة بعين الإعتبار ، علم أن جميع الملل والأقوام ، في الجاهلية والإسلام ، ما نالت السعادة والعزة والشرف وانتصرت على أعدائها إلا بالائتلاف والإتفاق ، ولا باءت بالذل والهوان وأهلكتها صروف الدهر وذهبت عنها ريح النصر إلا بالشقاق والافتراق ، والميل إلى الفساد والنفاق .

وعلم ـ أيضاً ـ أن النصارى ـ دمرهم الله ـ لم يدركوا في المسلمين ثأراً ، ولم يدفعوا عن أنفسهم عاراً ، ولم يخربوا من البلاد الإسلامية منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً : إلا بعد تحريكهم بين المسلمين أسباب

الخلاف ، واجتهادهم في حصول التفرقة بين المؤمنين والاختلاف .

وأنه مهما كانت كلمتهم مؤتلفة ، وأهواؤهم لا مفترقة ولا مختلفة ، فلا سبيل لأحد من أهل الملل عليهم ، ولا يطمع في توصيل شيء من المكايد إليهم .

وقد دل الإستقصاء لأحوالهم ، والنظر إلى ما يصدر من أفعالهم : على أنه لا أمل لهم ـ قبحهم الله ـ إلا في التمرس بين الإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ، ويظهرون ـ مع ذلك ـ أنهم ساعون للإسلام في العاقبة الحسنى ، وأنهم منطوون لأهله على المقصد الأسنى ، وأنهم مهتمون بمراعاة أمورهم ، وناظرون ـ بعين المصلحة ـ لخاصتهم وجمهورهم ، وتبا لعقول تقبل منهم هذا المحال ، وتصدق هذا الكذب بوجه أو حال ، كيف وهم ممن يتدين بتخريب الإسلام ، ويعتقد القربة العظيمة في إبادة أهله على الدوام .

ووالله ثم والله : ما هم ساعون إلا في إذهاب أنوار الإيمان وإطفائها ، وملتمسون إلا الحيلة في هلاك الأوطان وابتغائها ، ولا يرجى منهم من الخير مثقال ذرة ، ولا ينال من أحد منهم ـ أبداً ـ مبرة ، وإنما ينال منهم الوبال الشديد وعظيم المضرة ، وما لا يحصى من المغارم الثقيلة والأنكاد الطويلة والمعرة .... » .

* * *

وإلى هنا تنتهي هذه الفقرة المطولة حيث فضحت نوايا الاستعمار ضد الإسلام ، وبعد هذا يتابع المؤلف تحليل النقطة الأولى ، فيثير لوناً آخر من مكايد الغرب في تفتيت وحدة المؤمنين :

« ومن عادة العدو اللعين ، في كل وقت وحين : أنه إذا أراد التوصل إلى بلد أو قبيل ، ولم يجد إليه السبيل ، يأتي بالأموال الكثيرة الجسيمة ، ويفرقها على الرؤساء من أهله وأهل الشوكة العظيمة ، فإذا قبلوها انطفأت بها قوتهم ، وزالت حدتهم ، وركنوا ـ بقلوبهم ـ إليه ، وثبطوا غيرهم ممن يريد أن يأخذ على يديه ، بل ربما دلوه على عورات المسلمين ، وبينوا له الطريق الموصلة إلى استئصال

الموحدين ، فيجد عدو الله بذلك السبيل ، وينتهز الفرصة التي لم يجد إليها قبل من سبيل ... » .

وننتقل ـ الآن ـ إلى النقطة الثانية من النصيحة ، وهي تندد بظاهرة ترك المسلمين للاستعداد ، بما يعين على مدافعة الأعداء ، بينما يستحدث هؤلاء من الأسلحة ما ينتهزون به الفرصة على الإسلام ، مع أن المسلمين أحق بأن يكونوا هم المتفوقين في هذا الميدان .

ومن صرخات المؤلف في هذا الموضوع : « ... ونحن ـ أيتها الأمة ـ في هذه الأزمان ، في كثير من البلاد والثغور والأقاليم : قد استحوذ علينا الشيطان الرجيم ، فأصمنا وأعمانا ، وأضلنا عن طريق الهدى وأغوانا ، فتركنا ما هو الواجب علينا من أخذ الأهبة والاستعداد ، والقيام في ذلك على ساق الجد والاجتهاد ، حتى زالت هيبتنا من قلوب العدا ، واستعدوا ـ هم ـ وجعلوا يهددوننا بالمجيء إلينا في اليوم وغداً ، وطمعوا في أخذنا من غير سلاح ، والإستيلاء علينا جداً بلا مزاح .

بل قد استولوا على كثير من البلاد ، واستعملوا عليها بمجرد الحيلة بلا قتال ولا جهاد ، ومع ذلك فلم يشعر منا شاعر ، ولا تزحزح واحد منا عما هو عليه من تعاطي أسباب الشر الظاهر ... » .

* * *

النقطة الثالثة : ترك شعيرة الجهاد ، كأنه صار شرعاً منسوخاً منقوضاً ، ولذلك فقد المسلمون ما كانوا فيه من عزة ، وأصبحوا فقراء غب ما كانوا أغنياء ، ومتحاربين إثر ما كانوا على قتال الأعداء متعاونين ، ومفترقين بعدما كانوا مجتمعين .

والمؤلف يرد هذه الظاهرة إلى جملة من الأسباب ، بينها الإنهماك في شهوات الدنيا على حساب نسيان التلبية لنداء الجهاد ، وهكذا يقول « ... فإن محبة الدنيا والإنهماك فيها من أعظم أسباب الوبال ، بل هو الأصل في كل ما عرض من الفتور في الدين والإنحلال ... » .

ومرة أخرى يشير إلى أثر الدعة والراحة في القعود عن الجهاد حسب هذه الفقرة : « ... وما وقع لكثير من أهل الأقطار ، من قبل عدوهم حتى صار يقطع لهم البحار ، ويتبعهم في الفيافي والقفار ، والمسلمون ـ أمامه ـ كأولاد الجراد ـ هذا يتقدم أمام الآخر ـ سالكين نهج الفرار : إلا من طول المهادنة في تلك الأوطان . وعدم ممارسة القتال وشدة الامتحان ، فسكنوا إلى الراحة ، واشتغلوا بالتكسب وأمور الزراعة ، وصار عدوهم يتحيل عليهم بأدنى التحيلات ، ويظهر لهم المحبة والصداقة والمصافاة ، إلى أن انتهز فيهم فرصته فأتى عليهم ، ووجه وجه النكال إليهم ، فندموا حيث لاينفع الندم ، وما بالعهد من قدم » .

* * *

النقطة الرابعة : إسناد أمور الدين من جهاد وغيره إلى غير أهلها ، وتفويضها إلى من لا خبرة له بفرعها وأصلها ... وفي هذا الإتجاه يقول المؤلف : « ... وقد سرى هذا الداء في جميع الأقطار ، وعم شؤمه النواحي كلها والأمصار ، وصارت المناصب الشرعية كلها بالتوارث والتجالد والحمية ، لا بالإستحقاق والأهلية ... » .

* * *

النقطة الخامسة : وردت في نصيحة أهل الإسلام هكذا : « المبحث الخامس : مصافات الكفار ، وإتخاذهم أصدقاءوأولياء دون المؤمنين الأبرار ، ومودتهم والركون إليهم ، والتعويل في أمور المسلمين عليهم ... » .

ويتابع المؤلف هذا العرض إلى أن يقول : « وقد شاع في هذه الأعصار ، في كثير من الأقطار ، توليتهم على المؤمنين ، وإعلاؤهم بالتحكم في رقاب المسلمين ، من غير مبالات بما يحصل للمسلمين في ذلك من الذل والهوان ، ولا بما يلحقهم به من الإذاية البليغة والنقصان ... » .

* * *

النقطة السادسة : تقليد العادات الأجنبية ، والأخذ بقوانينهم الوضعية ، والإستحسان لأرائهم المضلة ...

النقطة السابعة : إلحاق الضرر بالمسلمين ، والتسبب لهم في الإذاية الكبيرة عن طريق التسلط عليهم بالجور والظلم والإفساد .

* * *

النقطة الثامنة : إشتغالنا ـ حسب تعبير المؤلف ـ باللهو والطرب . والهزء والباطل ، وإنفاقنا للأموال العظيمة في انتخاب المناكح والمراكب والمشارب والمـأكل . وتشييدنا للأبنية والدور . وإعلاؤنا للغرف والمساكن والقصور ...

وما كان سبب ابتلاء من ابتلي بغلبة الكفار عليهم ، والإستيلاء على بلادهم كأهل الأندلس وغيرهم ، إلا اشتغالهم بمثل هذا ، فلم يشعروا إلا وهم في أسر عدوهم ، مستولياً عليهم وعلى معاقلهم ...

* * *

النقطة التاسعة : إعراض المسلمين عن العمل بالكتاب والسنة ، واستبدال هذا الطريق القويم بإتباع العوائد الردية ، والأهواء الباطلة ، جهلاً بشـؤم ذلك ، وما يتبعه من البلايا والمحن والمهالك .

* * *

النقطة العاشرة : التجاهر بالمنكرات ، مع ما يجر ذلك من عظيم الآفات .

* * *

النقطة الحادية عشرة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبين ملاحظات المؤلف في هذا المبحث يأتي التعليق التالي : « ومن العجب العجيب ، أنه كما قل من يأمر وينهي قل من يسمع ويجيب ، حتى لا تكاد تجد من يقبل النصح ويرجع عن هواه ، أو يلتفت إلى من يدله على ما فيه رشده وهداه ، بل اتبع الناس آراءهم وأهواءهم . وجعلوا كلام النصحاء وراءهم ، متصامين عن سماع الموعظة والتذكرة . متماوتين عند تذكيرهم بما يعود عليهم نفعه في الدار الآخرة ... » .

* * *

وبهذه النقطة الحادية عشرة ، ينتهي موضوع مباحث « نصيحة أهل الإسلام » ، لتأتي ـ بعدها ـ خاتمة الرسالة ، فتذكر ببعض مباحث « النصيحة » ، وتعود للحث على إحياء شعيرة الجهاد ، لإنقاذ الدين والبلاد .

ومن جهة أخرى تحدد الرسالة الأصناف الذين تتوجه إليهم دعوة « النصيحة » بالدرجة الأولى .

وقد استهل المؤلف الموضوع الأول من الخاتمة كما يلي : « ... فهذه هي أسباب هلاكنا أيتها الأمة الإسلامية : على سبيل الإجمال ، في الحال والماضي والاستقبال ، فلنشمر عن ساعد الجد في تركها ، ولنقم على ساق الاجتهاد في قطعها ، ولنتبع سبيل المؤمنين ، والسلف الصالح أجمعين :

بترك موالات أعداء الدين .
والتأهب لجهاد الكفرة المعتدين ، بعد جهادنا لنفوسنا .
ورد المظالم إلى إخواننا .
وأمرنا بما أمر به مالكنا ، ونهينا عما عنه نهي سيدنا وخالقنا .

إن أردنا السلامة والنجاة ، والعصمة في الحياة وبعد الممات ، وإلا فقد عرضنا نفوسنا لسخط الله ، وحلت بنا ـ إن لم يتجاوز عنا ـ عقوبة الله ...

وبالله عليكم معاشر الإسلام وخصوصاً الأمراء والولاة ، ومن له بالدين عناء وإكثرات : كيف الحياة مع العقارب والحيات . ومن يجهر بالشرك والتثليث وأنواع الكفر والضلالات ، أم كيف تشرق علينا شموس الإسلام ، إذا علتها من كل جانب سحائب الجهل والغواية والظلام .

فلنفق من سكراتنا ، ولنستيقظ من منام غفلاتنا ، ولنستعن بالله في تحصين بلادنا وساحتنا ، وحياطة ديننا وملتنا ، ولنبادر عليل الإسلام قبل أن يموت ، ولنتدارك من الدين ما عسى أن يفوت ... » .

ومما جاء في الموضوع الثاني من هذه الخاتمة ، قول المؤلف عن الأيمة : « وبالجملة فمعظم المقصود من نصب الإيمة : إقامة الدين ، وجهاد أعداء الله ،

وتنفيذ أحكامه ، وكف أيدي المعتدين والظالمين ، وتأمين السبل والبلاد ، والقيام بسنن خير العباد .

فمن كان منهم ناهضاً بهذه الأمور ونحوها حصل به مقصود الإمامة . وانتفع الناس بولايته غاية النفع ديناً ودنيا ، وحصل له على ذلك الأجر التام ، والرضى الكبير من الله تعالى ، ومن رسوله ﷺ ... » .

* * *

وأخيراً : تأتي في نهاية « نصيحة أهل الإسلام » هذه الفقرة : « وقد كتبت هذه النصيحة قاصداً بها جميع أهل الآفاق ، من كل المسلمين على الإطلاق ، وخصوصاً أهل مغربي ، لكونهم جوار مكسبي ، وأنا أعلم أن الوقت ـ ولا بد ـ غير مساعد ولا راض ، وأن الزمان زمن الإمارات المؤذنة بالإنقراض ، ولكن رجوت النفع بها ولو لبعض الناس ، ممن أراد الله تطهيرهم من الأرجاس ، ولم آيس من حصوله للجم الغفير ، أو القطر الكبير ، وربنا على كل شيء قدير .

وقصدت ـ أيضاً ـ إظهار العلم والخروج من الكتمان ، وإبداء عدم الرضى بما حل في الزمان ، والأداء لبعض ما يجب من الإنكار ، والتغيير والإنذار ، على حسب الطاقة والإمكان ، وهل يلام إذا أدى بعض ما عليه الإنسان ؟ » .

* * *

وقد تبع ظهور « نصيحة أهل الإسلام » صدى طيب في الأوساط المغربية ، فقام بشرحها المحدث المغربي الشهير : الشيخ محمد المدني ابن الحسني الحسني الرباطي في مؤلف مطول يحمل اسم « منح المنيحة في شرح النصيحة » ، ابتدأه في 15 محرم عام 1327 هـ ، وأتمه في صفر 1328 هـ ، وتم تخريجه وتحريره عام 1330 هـ ، فجاء في أربع مجلدات تشتمل على 110 كراسة معتادة ، وقد أطلع عليه كثيراً من أصدقائه ، وأشياخه الذين قرظه منهم أبو حامد البطاوري بقصيدة من أبيات 25 مصدرة بكلمة .

ومن جهة أخرى : كان المجاهد المغربي الكبير : الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومعه قادة الحرب الريفية ، يجعلون من هذه « النصيحة » دليلهم الذي يسيرون على هديه في كفاحهم ضد الاستعمار .

ومرة أخرى : صارت المصدر المهم للتوجيهات التي كان فقهاء الأطلس المتوسط : يؤلفونها في غمرة كفاح الأطلسيين ضد الاحتلال .

الفصل الثاني

الدعوة إلى الجهاد

3 ـ والمعني بالأمر مؤلفان يناديان بالجهاد ، كحل حاسم ضداً على المد الاستعماري ، فنشير ـ أولاً ـ إلى رسالة موضوعية من تأليف محمد التهامي بن عبد القادر السوسي الباعقبلي ثم المكناسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1336/1918[1] .

وكان معدوداً من علماء العاصمة الإسماعيلية ، أستاذاً في التدريس للعلوم والقراءات . كما كان شيخا للسلطان عبد الحفيظ . ورسالته تحمل إسم « غنية الإنجاد في مسائل الجهاد » . فرغ من جمعها يوم الأربعاء سادس ربيع الثاني عام 1326 هـ . فجاءت في 81 ورقة من الحجم الصغير ، ومنها مخطوطة خ . م 12313 .

ويصنفها المؤلف في مقدمة وأربعة أبواب وتتمة وتكميلات :

المقدمة : في الترغيب في الجهاد .
الباب الأول : في نصب أمير جيش الجهاد وما يجب له أو عليه .
الباب الثاني : في أحكام الجهاد .
الباب الثالث : في القتال وما يتعلق به .
الباب الرابع : في المغانم وأحكامها .

---

1 ـ ترجمته عند ابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » 2/107-110 .

وبعد تذييلات يقفي بالتتمة في أربعة فصول :

الفصل الأول : في المسابقة والرمي .
الفصل الثاني : في فضل الخيل والنفقة عليها ، وربطها في سبيل الله تعالى .
الفصل الثالث : في فضل الرباط وعمل المجاهد .
الفصل الرابع : في فضل النفقة في سبيل الله ، وذم البخل في الجهاد ، وما جاء من الوعيد في ذلك .
الخاتمة : في مدح الشجاعة وذم الجبن وحقيقتهما ، وذكر بعض شجعان السلف .

وبعد هذا تذيل « غنية الإنجاد » . بتقريظ لشاعر مغربي لم يذكر إسمه . في قصيدة يقول فيها .

شـاهد أخـا الإنجـاد والإرشـاد
بدراً تكـامـل في سمـا الإسعـاد
واثمـد جفـون العين منـك وسرحـن
طرف الكـرا في غنيـتي ومـراد
وأنظـر إلى ألفـاظ طرس رصعـت
بفـوائد قـد أنبـأت بجهـاد
فكأنهـا ملـك تعاظـم ملكـه
خضعـت إليـه حواضـر وبـواد
أو أنهـا عـذراء فـوق منصـة
أخـذت بأفئـدة الـورى وفـؤاد
أو جوهـر قد نظمـت أفـراده
في عسجـد يرضـاه كل عبـاد
لم لا . ومليهـا التهامـي من سمـا
فوق السمـاك بفهمـه الوقـاد ....

لله دره مـــن فقيـــه ناصـــــر
من صـــار للأعـــداء بالمرصـــاد
ظنـــوا الجهـــاد تعـــذرت أسبـــابـــه
وتمشـــدقـــوا بأقـــاول الإفســـاد
زعموا بهـــا الإرشـــاد وهي كمـــا تـــرى
بطريـــق أهـــل الشرع ســـوء فســـاد
إن قلـــت كفـــوا عن أكاذيب وهـــت
وخـــذوا التقى عـــدوك في الحســـاد
أو قلـــت قال الله قـــال رسولـــه
قالـــوا نعـــم. لكـــن بحال جمـــاد
وإذا دعاهـــم للخـــرافـــة كـــاذب
قالـــوا أجـــدت بأكمـــل استعـــداد
تعســـاً لقـــوم الكفـــر غايتهـــم لظـــى
نزاعـــة الأمعـــاء والأكبـــاد
أو ما دروا أن الشريعـــة أســـســـت
بقـــواعـــد الإجمـــاع دون فســـاد ...

* * *

4 ـ ننتقل ـ الآن ـ إلى الرسالة الثانية في موضوع الجهاد. وهي من تأليف الشيخ محمد بن إدريس بن محمد القادري الحسني الفاسي نزيل مدينة الجديدة، والمتوفي ـ بها ـ عام 1350/1941[2].

وقد كان معدوداً من نخبة أعلام فاس في عصره. وبالخصوص في مادة الحديث الذي دون فيه مؤلفات. يأتي في طليعتها «شرح بعض سنن الترمذي». ويهمنا ـ هنا ـ أن المنوه به كتب في الدعوة إلى الجهاد عدة رسائل:

ـ عنوان السعادة في فضل موت الشهادة.

2 ـ ترجمته عند أحمد بن الصديق في فهرسه: «البحر العميق ...» سالف الذكر عند الباب الثالث: 1/133ـ144.

ـ سبيل الهداية إلى فضل تعلم وتعليم الرماية .
ـ سبيل الرشاد ، لمن يريد الفوز يوم التناد .

ولما جاء هذا مطولاً اختصره باسم : « سبيل المحسنين . إلى فضل الجهاد في سبيل رب العالمين » .

وهذا هو المطبوع من هذه الموضوعات الجهادية ، حيث نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية من عام 1326 هـ ، في 40 صفحة من الحجم المتوسط .

ونذكر ـ أولاً ـ أن مؤلفه كتبه ـ كأصله ـ للرد على الذين تجاهلوا فرضية الجهاد على المغاربة ، بعدما ضاعت أجزاء واسعة من أطراف البلاد . واحتلت وجدة والدار البيضاء .

وهكذا جاءت رسالة « سبيل المحسنين ... » تشتمل على مقدمة ومقصدين وخاتمة .

المقصد الأول : بيان أن الجهاد بالنسبة لواقع المغرب آنذاك دائر بين فرض الكفاية أو العينية .

الثاني : في عرض شواهد موضوعية : من آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة يبلغ تعدادها خمسين حديثاً .

الخاتمة : في ذكر مسائل أخرى تتعلق بالجهاد في عشرة فروع .

وهذا ما يهمنا من مقدمة الكتاب : « ... إنه لما نشبت أظفار القساوة الوقت ، ونادى الكتاب والسنة على المتسمي بالعالم والمتعلم ـ الغافلين والمتغافلين ـ بالمقت .

وذلك عندما ضعضعت الأركان ركناً فركناً ، ووجد الكفار على هدم الدين عيناً وعوناً ، وحلوا وسط هذا الفطر المغربي بعدما أحاطوا منه بالأطراف ، حلول اللئام ـ إذا غلبوا ـ بالأشراف ، وانتزعوا من أيدي المسلمين بلاداً كثيرة ، ذوات نعم شهيرة ، متسعة الأكناف ، تتفلت ـ أسفاً عليها ـ الأرواح ، وتفني دونها الأشباح . ومدوا أيديهم في المسلمين بالقتل وسفك الدما . ونزلوا فيها نزولاً حربياً

حتماً : بالمدافع وأنواع القوة والعدد ما ضاق عنه متسع الفضا ، مما تتفطر لبعضه قلوب أهل الإيمان غيظاً .

وصار بعض من لا يخاف الله يقول في المحافل : إن الجهاد في هذا الوقت حرام ، من غير خوف من الله ولا احتشام .

وبعض آخر يقول : إنه لا يتعين حتى يحل بقرب البلاد ، من غير خوف من عقوبة رب العباد .

وبعض آخر يقول : إن حلوله وسط البلاد ليس فجئاً ، بعدما ملئوه بالمدافع والمقاتلة ملئاً ...

جمعت تقييداً متسعاً في الجهاد ، وسميته « سبيل الرشاد » ، فيه نحو عشر كراسات ، ثم اختصرت منه هذا التقييد ... » .

* * *

وإلى هنا ينتهي مدخل « سبيل المحسنين .. » ، ليأتي ـ بعده ـ المقصدان والخاتمة ، حيث تبينا ـ سلفاً ـ موضوعاتها ، ونشير ـ الآن ـ إلى قصيدة في تقريظ هذه الرسالة من جهة أحد الأدباء من علماء فاس آنذاك : محمد بن عبد الكبير بن محمد الطالب ابن الحاج ، السلمي المرداسي ثم الفاسي ، المتوفى ـ بها ـ عام 1378 هـ ، وهذه مقتبسات من القصيدة :

... وأرى سبيل المحسنين رحابها
قد عمرت بنفائس الأعمار
ما الحسن والإحسان إلا أن ترى
في دين أحمد ناشر الأثار
يا معشر الإسلام دونكم الوغى
تلك الحياة ومنية الأخيار
ضفوا الصفوف إلى العدو ولا تروا
قواهم فالله ذو الأقدار ...

الفصل الثالث

مواقف إزاء قضايا جدت في الاقتصاد المغربي

5 ـ مُحمد بن مُحمد بن مصطفى المشرقي الحسني الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1919/1337 .

فنشير إلى فقرة له يبرز فيها الفارق بين الآداءات في كل من الزكاة والترتيب ، ليستنتج عدم مشروعية ضريبة الترتيب ، وهكذا يقول[1] : .

« ... إذ الشريعة إنما أوجبت الزكاة ـ فقط ـ على من تم له نصابها : من الدراهم والماشية وغير ذلك من الحب والزيت ، ومن لم يتم له النصاب فلا يجب عليه شيء .

والترتيب موجب على من له شاة واحدة ـ مثلاً ـ أن يؤدي عليها . والكثير من الناس لا يجب عليه شيء من جانب الشريعة ، فيكون أكثر الناس مظلومين ، بل كلهم حتى من تم له النصاب :

فإذا كان للرجل ـ مثلاً ـ أربعون شاة يجب عليه في الترتيب أربعون سبع أواق ، وفي الشريعة شاة واحدة ، فقد يتساوى الثمن والشاة ، أو يزيد القدر الواجب أو ينقص

---

1 ـ « الحلل البهية » .

بقريب ، ومن هناك وهو مظلوم فيما زاد له إلى مائة وعشرين ، إذ الواجب فيها شاة واحدة ، ويجب عليه في الترتيب ستة ريال ، وهكذا .

وكذلك صاحب الفرس والبغل والحمار ، وصاحب البقر فيما دون الثلاثين ، وأشجار ثمار المصيف وغير ذلك مما لا زكاة فيه من الحبوب : فهؤلاء كلهم مظلومون ، ولا يخلو من هذا أحد ، فتعين ظلم الرعية ...

... ولا يخفى على أهل العلم ما أوجبه الشرع على المسلمين ، مما يعمر به بيت مالهم : من الزكاة والفيء والركاز وإرث من لا عاصب له .

وفي جامع المعيار عن ابن منظور ما نصه : إن الأصل أن لا يطالب المسلمون بمغارم غير واجبة بالشرع ، وإنما يطالبون بالزكاة وما أوجبه القرآن والسنة كالفيء والركاز وإرث من يرثه بيت المال ، فإذا عجز بيت المال عن أرزاق الجند وما يحتاج إليه من الآلات الحربية وعدة : فيوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك ، وعند ذلك يقال : يخرج هذا الحكم ويستنبط من قوله تعالى : « قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً » الآية ، لكن لا يجوز هذا إلا بشروط .... » .

6 ـ أحمد بن المأمون البُلغيثي الحسني الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1348/ 1929[2] .

وكان بين مؤلفاته واجد يحمل إسم « بيان الخسارة ، في بضاعة من يحط من مقام التجارة »[3] ، فيثير ـ في خاتمته ـ موقف التشريع الإسلامي من الأنظمة الإقتصادية الحديثة التي وصلت للمغرب ، وشاعت بين أوساط التجار المغاربة . ومنها :

ـ التعامل بـ « أوراق القبض »

ـ التعامل بالشيكات البنكية .

2 ـ له ترجمة موسعة تتصدر تأليفه « تشنيف الأسماع » . من عمل إبنه أديب عصره : عبد الملك البلغيثي : ص 1ـ52 .

3 ـ مصور على الشريط خ . ع 1233 عن مبيضة مؤلفه ، حيث فرغ منها يوم 8 شعبان 1325/ «1907» : 121 لوحة عدا لوحتي الفهرس .

ـ التأمين على البضائع الموجهة للجهات .
ـ ضمانة النقود المبعوث بها عن طريق البريد .
ـ التعامل بالأوراق النقدية الفرنسية أو الإنكليزية ، وكانت ـ إذ ذاك ـ حديثة الرواج بالمغرب .
ـ التجارة مع الأجانب داخل المغرب أو إلى أوربا .

وقد كان المؤلف واقعياً في الحكم على بعض هذه النوازل مهما وجد لذلك مسلكاً ، حتى إنه يذيل على بعض الأحكام بهذه الفقرة : « ... وذلك أولى من تحريج الناس ، إذ تمشيتهم على الضعيف ـ فيما جرى به عرفهم وتعذر أو تعسر رجوعهم عنه ـ أولى ، كما هو مقرر في مظانه » .

* * *

غير أن المؤلف لا يرى مبرراً لإحتماء التجار بالأجانب لصيانة أموالهم . فيستهل بحث هذه النقطة قائلاً : « ومما صار ـ أيضاً ـ شعاراً لجل أعيان التجار : إحتماؤهم ـ لحفظ دنياهم ـ بالكفار الفجار ، بل صار بعضهم بالإحتماء المذكور يستطيل ويظلم ، ويستضعف ولاة المسلمين ولجانب الشريعة يحقر ويهضم ، وكثر السؤال عن حكم هذا الإحتماء ، وهل يجوز لحياطة الأموال من أهل الظلم والعداء ؟ فأردت أن أذكر ـ هنا ـ على سبيل التقريب والاختصار ما في ذلك... »[4] .

---

4 ـ هذه النقطة والمباحث قبلها : استوعبت ـ من الخاتمة ـ من لوحة 93 إلى لوحة 117 .

الباب التاسع

مشروعان دستوريان

ظهر في هذه الفترة وقريباً منها ثلاثة مشاريع دستورية ، وكان أولها هو الذي اقترحه مواطن من سلا : الحاج علي زنيبر .

بينما كان الثاني من وضع وافد سوري أقام بفاس طويلاً : الشيخ عبد الكريم مراد .

أما الثالث : فلا يزال واضعه أو واضعوه غير معروفين بالضبط ، وقد تأخر ظهوره إلى أوائل العهد الحفيظي ، مما يطرح أن لا تتناوله ـ الآن ـ هذه الدراسة ، حيث تقف عند نهاية أيام العاهل العزيز .

وسنستنتج من تعدد الاقتراحات الدستورية : مدى طموح الوطنية المغربية ـ في مطالع القرن العشرين ـ للملكية الدستورية ، كحل وحيد لأزمات البلاد ، وهو المبدأ الذي لوحت له وثيقة البيعة الحفيظية بهذه الفقرة : « وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب ـ في أمور سلمية أو تجارية ـ فلا يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة ... » .

١ ـ مشروع الدستور السلوي :

ونهتم ـ هنا ـ بالمشروعين الأولين بدءاً من مذكرة الحاج علي زنيبر ، واسمه كاملاً : علي بن أحمد بن عبد القادر زنيبر « اللطام » الأندلسي : من النخبة الوطنية بسلا .

وفي هذه المدينة كان مولده حوالي عام 1260/1844 . وذهب مع والديه ـ وهو صغير ـ إلى الديار المقدسة قصد المجاورة . وبعد وفاتهما حمل إلى سلا مسقط رأسه وعمره ـ إذ ذاك ـ نحو سبعة أعوام . ولا يعرف شيء ـ إطلاقاً ـ عن حياته بالمغرب إلى عام 1282 هـ ، حيث كان ـ في هذا التاريخ ـ يشتغل بالتجارة في مدينة فاس .

وفي العقد الرابع من عمره توجه إلى مصر عام 1296/78 ـ 1879 . فيشتغل بالتجارة في الإسكندرية أو في مدينة طنطا . وامتدت إقامته بمصر فترة طويلة عايش خلالها حرب عرابي باشا وساهم فيها ، كما عاين معطيات اليقظة المصرية . وردد أصداءها في أشعاره .

وبعد أربعة وعشرين عاماً يعود إلى المغرب . أثر حجته عام 1321/1904[1] . فكانت إقامته ـ المديدة ـ ببلد الكنانة تركت ملامحها في تكييف ثقافة المترجم . كما صار لها أثر واضح في تعرفه على الأوضاع السياسية المعاصرة .

حتى إذا آب إلى المغرب واجهته ثورة الجيلالي الزرهوني وهي في أوج اشتعالها . ثم اقتراح المشاريع الفرنسية . فمؤتمر الجزيرة وما تلاه من تطورات خطيرة .

ويتجاوب الحاج علي زنيبر مع هذه الأحداث . فيقصد الأشعار الوطنية . وهو موضوع سنعود له في مكان آخر من هذه العروض . وإلى ذلك يدون مذكرة سياسية ضداً على مقررات مؤتمر الجزيرة ، حيث لا تزال مخطوطة في نسختين : إحداهما : مبتورة الآخر . ولها مصورة على الشريط خ . ع 520 : في 20 لوحة . ويحمل عنوانها تاريخ ربيع الثاني 1324/ «1906» . أما النسخة الثانية فهي تامة : في الخزانة الصبيحية بسلا ، وقم 557 : في 20 ص .

وسوى هذا : تحتفظ الخزانة الصبيحية بمجموعة مهمة من مراسلاته . بينها رسائل حافلة بأخبار النشاط الوطني في فاس ، حيث أقام بها المترجم عشرة

---

1 ـ مصدر هذه المعلومات عن الحاج علي زنيبر : من مشروع لترجمته سجله ابن اخته الأستاذ المرحوم الحاج بو بكر الصبيحي . حيث أطلعني عليه سنة 1962 . وإليه يرجع الفضل في إشاعة إسم المترجم ونشاطه الإصلاحي .

أعوام . وما عاد منها حتى اشتد به المرض . فنقل إلى بلدته سلا ليتوفى بها يوم وصوله : 1914/1332 ، مخلفاً وراءه تراثاً وطنياً تتصدره مذكرته الدستورية .

* * *

وتحمل هذه المذكرة إسم « حفظ الإستقلال . ولفظ سيطرة الاحتلال » . فيصنفها واضعها في ثلاث نقط رئيسية :

ـ تحليل مدلول كلمة الإستقلال .
ـ تحليل مفهوم الاحتلال .
ـ لائحة الإصلاحات المقترحة .

وبمناسبة تفسير كلمة الإستقلال ، يقارن المؤلف بين مدلولها وواقع الأمة المغربية ، ليستنتج أن المغرب رغماً عن مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء : لا يزال ـ قانونياً ـ في حالة استقلال : داخلياً وخارجياً ، براً وبحراً ، ولتدعيم هذا الإستقلال ، يستلفت الكاتب نظر العاهل العزيز إلى التريث في المصادقة على لائحة المؤتمر ، ويقترح تأليف لجنة تنتخب من عيون متنوري الأمة ، لتقوم بفحص لائحة الإصلاحات التي انبثقت عن مؤتمر الجزيرة ، حتى إذا أنهت الجمعية المغربية فحوصها ، وأعلنت عن رأيها في تلك المقررات ، يأتي دور المصادقة الملكية على ما يستحسن العمل بمقتضاه .

* * *

وينتقل الكاتب ـ بعد هذا ـ إلى تحليل مفهوم كلمة الإحتلال ، فينادي بلزوم اتخاذ كل الوسائل للقضاء على مقدمات الإحتلال ، مع العمل لإنتهاج سياسة قويمة إزاء الرعية ، والتيقظ للأخذ بالاحتياطات للكوارث الطارئة .

ولتأكيد هذه التوصية : يعقب المؤلف هكذا : « ... وليست القوة إلا في جانب قوم رضعوا ألبان معارف التحوطات الدفاعية ، والتجارب الهجومية : بفطام النفوس عن حب الذات ، وترك الملذات .. » .

إلى أن يقول أثناء كلام : « وليس في ذكر ما صارت إليه حالة الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان أدنى تعزية للنفس ، أو فائدة يتمتع بها الحر إذا لم يقم بالواجب» .

* * *

وبعد هذا تأتي النقطة الثالثة من المشروع ، وهي تعرض لائحة الإصلاحات المقترحة في واحد وثلاثين فصلاً ، حيث جاءت كرد فعل وطني في موازاة مقررات مؤتمر الجزيرة ، فتناولت المذكرة إقتراح النظام النيابي ، وشعارات الدولة ، وأنظمة الحكومة .

ومن الطبيعي أن يهتم الفصل الأول بتشكيل مجلس الأمة ، وهكذا تقترح اللائحة انتخاب لجنة من عيون متنوري الأمة تحت رئاسة أفضلهم ، ليضطلعوا بإتخاذ الوسائل الإصلاحية ، وتعميم أصلحها في كل مرافق الدولة براً وبحراً ، جلباً للأمن والراحة ، وذرءاً لكل فساد .

ويعد هذا الفصل الأول : تهتم المذكرة بمظاهر وحدة الأمة في الزي واللغة ، وفي أنظمة الأمن القومي ، وهي تقدم هذه الشعارات ضمن فصول ثلاثة هكذا :

إلزام كل مستخدم في مصالح الحكومة كلها ـ بعد استيفاء الشروط ـ بعدم خروجه عن الزي الوطني الذي يتقرر اتباعه ، ما دام في مأموريته المقررة له .

إستعمال اللسان العربي ـ نطقاً وكتابة ـ في جميع دواوين الحكومة براً وبحراً ، إدخال بعض اللغات الأجنبية لضرورة الوقت ، بشرط عدم انفرادها بشيء يخرجها عن سلطة الإجراءات العربية العمومية .

توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني ، والراية الحمراء ، دون رجوع في المخابرات المتعلقة بالتعليم وكافة الإجراءات لغير الحكومة المحلية .

وهنا تنتقل المذكرة إلى مقترحات فعالية الحكومة الوطنية واستقلالها حسب أربعة فصول كالتالي :

تمارس الحكومة المغربية حقها الطبيعي في منح أي امتياز لفرد أو أفراد أو رفض ذلك ، دون أن تتعرض لضغط أية جهة .

وجوب سريان الأحكام المحلية علي كل المغاربة ومن في حكمهم ، دون التفات لشريف أو وضيع أو تبعية لأية دولة أجنبية .

تمتنع الدول الموقعة علي عقد الجزيرة عن التدخل لحماية من يسعى في الإخلال

بالراحة والأمن ، ويخضع سلوكه لمقتضيات نظام الحكومة المغربية ، ولو كان من أعظم تابع لأية دولة أجنبية .

الحكومة المغربية هي ـ وحدها ـ صاحبة السلطة التنفيذية : إدارية أو قضائية ، داخلية أو خارجية ، ملكية أو جهادية ، برية أو بحرية ، خيرية عمومية أو خصوصية ، والحكومة هي التي تراقب موظفيها دون تغيير أدنى نظام .

فهذه أربع مواد عن فعالية الحكومة الوطنية واستقلالها ، وستأتي بعدها مسؤوليات الحكومة إزاء الوضع الجديد ، الناتج عن مقررات الجزيرة الخضراء ، وفي هذا الصدد تقدم المذكرة المقترحات التالية :

وجوب المساواة في الجبايات والضرائب ، وإتخاذ كل الوسائل لتعميم مقتضياتها دون استثناء فرد على الإطلاق .

رفض كل تدخل في الشؤون العامة لغير صالح الحكومة ، مع لزوم خضوع الأجانب لقوانين حكومة البلاد .

منع كل استبداد يقضي بعدم تمتع الراعي والرعية بثمرة وسائل العدل في كل حال .

اختيار الموظفين المتصفين بالنزاهة والأمانة ، واستعمالهم في كل المصالح بحسب الاستحقاق .

القضاء على اسباب الفتن الداخلية ، والعمل لاستئصال كل خائن ثائر .

إعلان العفو العام ، ومنح الأمن ، حتى تنتبه القبائل من غفلتها ، وتجتمع كلمة الأمة على ما يعود على الجامعة القومية بالرفاهية والعز والجاه .

مراقبة الحدود مراقبة صارمة ، لمنع التهريب من المغرب أو إليه ، ولا يدخل للبلاد شيء ولا يخرج دون تصريح من رئيس عموم حامية الحدود ، مع اعتبار تعريف المسؤولين ـ شهرياً ـ بالنتائج .

يجب تحصيل مبلغ من المال بطريق الاكتتاب الوطني ، برسم إنشاء بنك

باسم الحكومة ، يتولى جميع مصالحها الإدارية والقضائية ، وإن اقتضى الحال استخدام الأجانب فيه ، يكون ذلك مؤقتاً ، وتحت الزي والحكم الوطني .

لا مجال في المغرب للحريات التي تقضي على المروءة ، وتفضي إلى ما لا تحمد عقباه .

لا يسوغ منح أي انتفاع ، أو إعطاء أي امتياز ، دون أن يكون للوطن والأمة ثلثا أرباحه على الأقل ، مع تحديد مدة الانتفاع أو الامتياز .

كل إصلاح يقترح عن حسن نية ، ويراه مقترحه لازماً . يكون على الحكومة أن تعتني بتنفيذه وإجراء العمل به .

لا تخضع الحكومة لفرض أية رقابة على دخول الأسلحة الحربية وتوابعها اللازمة للدفاع عن مصالح الوطن .

يجب دفع أقساط السلف الأجنبي في آجالها المحددة ، ولا يعقد قرض جديد إلا بعد البحث اللازم .

تمنع أية رقابة أجنبية على إجراءات الحكومة في كل الأحوال .

يجب اتخاذ المبادرات الإصلاحية بالمغرب وتعميمها ، ولكن تدريجياً بحسب الزمان والمكان .

نبذ الآنفة والتباغض والتحاسد ، واستعمال أسباب الألفة والإتحاد في عموم المصالح الحكومية .

انتخاب لجنة من أعيان الأمة لتحرير « مدونة » تسجل بها حقوق الحكومة والأمة وفق المذهب المالكي .

وجوب المحافظة على مصالح الدول ، بمقدار محافظتهم على وحدة واستقلال المملكة المغربية ، مع تجنبهم اقتراح ما يثني عزيمة الرعية عن الثقة بحكومتها ومليكها .

إتخاذ التدابير الناجحة لإدخال المعارف الحديثة للبلاد ، على مستويات الدفاع والصناعة والفلاحة والتجارة ، مما يزيد الأمة تقدماً بكل نشاط .

يجب استنباط تنظيمات تقي المملكة من المطامع الأجنبية ، وتحول دون بسط نفوذ أي كان على ربوع الوطن .

وجوب اتخاذ حلف ودي مع الدولة التي يراها المنصف خير كفء للمعاضدة ، وأقوى ساعد في المساعدة .

انتخاب مفتش عام من خيرة الرجال دربة وتحنكاً بعموم المصالح ، ليمكنه استنباط الإيرادات التي تقوم بمصالح الحكومة ، مع ضبط الميزانية السنوية التي ينقطع بموجبها الغش والرشوة .

وجوب إدخال الإصلاح في مصالح الحكومة ذاتها ، ليمكن تخصيص كل إدارة بما يليق لها .

* * *

تلك خلاصة مذكرة « حفظ الاستقـــلال ولفظ سيطرة الاحتلال » ، حيث يختمها واضعها بهذه الفقرة : « فإذا عضد المشروع كان الواجب على رجال الحكومة اتخاذ أحسن التدابير ، لتكوين حكومة منهم قادرة على دفع الطواريء ، وجلب المنافع ، ووقاية الأوطان ، وردع كل من يريده بسوء من انس وجان » .

وسيرد النص الكامل لهذا المشروع عند الملحق رقم 67

2 ـ مشروع دستور الشيخ عبد الكريم مراد :

على خلاف مذكرة الحاج علي زنيبر : فإن هذا المشروع الثاني معروف ، وقد نشر بمبادرة الأستاذ الرئيس محمد علال الفاسي ، غير أنه جاء خالياً من ذكر واضعه ، بما أن المخطوطة التي نشر عنها الأستاذ المنوه به لم يرد بها إسم صاحب المذكرة ، ولحسن الحظ ظهر ـ أواسط سنة 1402/1982 ـ نسخة ثانية من الوثيقة ذاتها : في حوزة كتبي من فاس ، وهي مذيلة بإمضاء مؤلفها ـ بخطه الشرقي ـ هكذا :

قاله العبد الفقير ، خادم العلم الشريف ،
بالحرم الشريف ، النبوي المنيف :
عبد الكريم مراد الطرابلسي المدني ،
عفى الله عنه ، امين .

وبهذا الإمضاء تنحل مشكلة واضع المشروع ، ويتبين أنه شخصية معروفة ، وهو العالم السوري : الشيخ عبد الكريم مراد ، الوافد العقيم بفاس من عام 1324/ 1906 – 1907 ، حيث سبق التعريف به خلال الباب السابع .

وباستثناء فقرة الإمضاء : فإن هذه النسخة الجديدة مكتوبة بخط مغربي فاسي ، في 21 ص من حجم متوسط ، مع ملاحظة بعض من المخالفات بينها وبين النص المنشور .

ولنتبين هذه المخالفات : سنعتمد – في النص الملحق بهذا العرض – صيغة النسخة المخطوطة .

غير أننا لا نهتم – هنا – بتحليل هذا المشروع ، ونجتزي بالتقديم الذي صدره به ناشره المشار له ، بعنوان « حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية » ، مطبعة الرسالة بالرباط : 50 ص تقديماً ونصاً وفهرساً : في حجم صغير .

وكما أشير له وشيكا : فإن النص الكامل للمشروع سيرد في ملحق على حدة ، حيث يحمل رقم 68 .

وشكراً جزيلاً للكتبي النشيط السيد مصطفى البيضاوي الذي أمدني بالنسخة المنوه بها من هذا المشروع الدستوري .

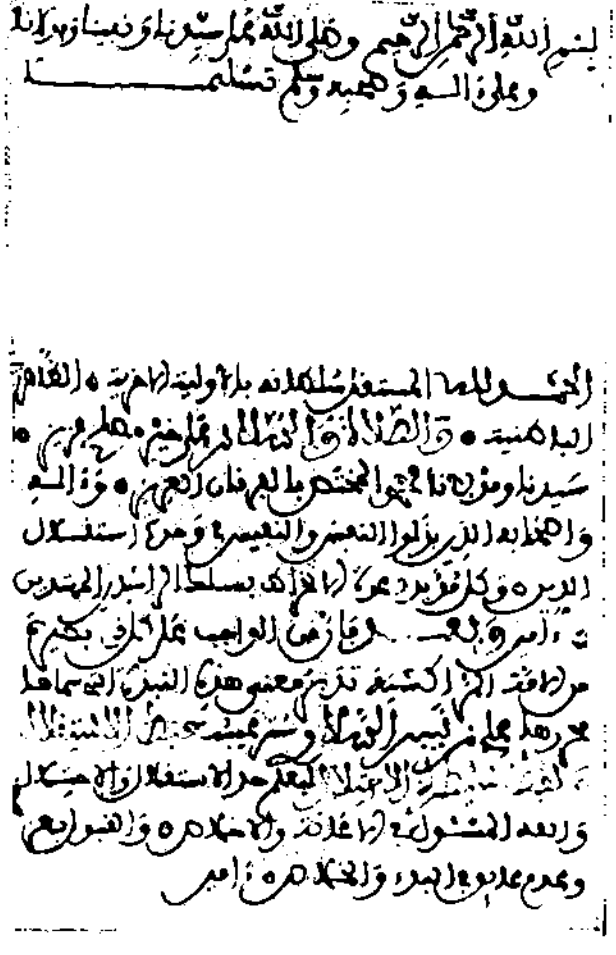

ملحق 67

المشروع الدستوري الذي اقترحه الحاج علي زنيبر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمدلله المستقل سلطانه بالأولية الأخرية ، الظاهرية الباطنية ، والصلاة والسلام على خير مصلح عزيز ، سيدنا ومولانا محمد المختص بالفرقان العزيز ، وآله وأصحابه الذين بذلوا النفس والنفيس في وحدة استقلال الدين ، وكل مؤيد دعوة الانخراط بسلك الراشدين المهتدين ، آمين .

وبعد فإن من الواجب على كل ذي بصيرة من الأمة المراكشية ، تدبر معنى هذه النبذة التي سماها محررها ـ علي زنيبر السلاوي ، ستر عيبه ـ « حفظ الاستقلال . ولفظ سيطرة الاحتلال » ، ليعلم حد الاستقلال والاحتلال ، والله المسئول في الإعانة والإخلاص ، والقبول بعز وعدم عائق في البدء والخلاص ، آمين .

ـ الإستقلال ـ

كلمة لا يمكن صرف معناها في الوضع السياسي لغير ما يعطيه مطلق حرية التمتع فيما يترجم بها عليه ، وإلا انحراف الموضوع الذي وضعت لأجله ، وانصرف النظر العقلي إلى جهة ما يعطيه ذلك الإنحراف ، ليمكن جنى ثمرة مطلق التمتع من معنى مبناه ، هرباً من التسلسل الذي لا تسترسل وراءه قط همم فطاحل الساسة من كل أمة .

وعليه فاستقلال دولة مراكش ـ داخلياً وخارجياً براً وبحراً ـ غير منازع فيه ، باعتراف الدول أجمع من قديم الأزمان ، ولذلك جعله مندوبوا الدول العظام الأساس الذي تنبني عليه قاعدة أبحاثهم الإصلاحية ، بالمؤتمر المنعقد فيما بين شهري يناير ومارس سنة 1906 ميلادية ، إجابة لدعوة العزيز الاختيارية ، للنظر في استنباط أصلح ما يمكن إدخاله من إصلاحات ملائمة لعادة عنصر برهن على حفظ

كرامة التزيل بأهليته الغريزية ، وناموس شرف حرية استقلاله التزيه ، لولا نفث النزوع الطبيعي الذي حركه نفس الدخيل .

وبما تقرر يعلم حد الإستقلال الذي حصر مندوبو الدول بالمؤتمر المذكور وجهة قصدهم فيه ، وتأييداً لما رمزناه به اعترافهم الإجماعي بكونه الأساس الذي يقضي على جميعهم بعدم التطرف والخروج عن مضمون معناه ، كما يقضي عليهم بإتخاذ الوسائل للمحافظة على سلامة كيانه الذي من لوازمه ثبوت حرية مطلق التمتع المزدوج : بين الراعي والرعية ، ومن هو في حكم التبعية ، بدون أدنى ضاغط خارجي ، لوثوق عوامل الإرتباط الجامع بين أفراد الوطنية : من شريف ووضيع ونزيل تحت الراية الحمراء ، الدالة على وحدة الإستقلال الذي هو الأصل ، إذ البحث في الوسائل الإصلاحية مهما تنوعت لا تخرج عن الفرع ، والفرع دواماً تابع للأصل ، والتطرف مهما كان في المسائل الفرعية خصوصاً المؤثر بأدنى شيء على كيان الأصل الاستقلالي : خروج عن الحد الموضوع له . حكمة بالغة في قانون العدل المبين ، ومن يبتغ غير المحافظة على سلامة مملكة مراكش بعد الاعتراف الإجماعي السابق إيضاحه : فلا عدوان إلا على الظالمين .

فعلى من يهمه حفظ استقلال مملكة المغرب الأقصى من عدوان الإستبداد ، الذي هو ضرب من الإحتلال بدون حق في كل قوة واستعداد ، أن يبرهن للعالم بماله من قوة سعد الساعد ، وسطوة خلوص طوية المساعد ، لحكومة جلالة مولانا المنصور بالله : بالتنبيه اللازم لدرس لائحة الإصلاحات بواسطة لجنة تنتخب من أعيان متنوري الأمة بأمر مولوي عزيز ، قبل التوقيع الملوكي عليها ، حذراً مما لا ينطبق على الأصل ، ويمكن تعديله بما لا يعوق التمتع بفوائد الإصلاح ، لأن غض عين أعيان الأمة عما فيه أدنى مانع من نيل سعادة مطلق التمتع بالإستقلال : فقد حياة الشعور الوطني ، الذي لولاه ما ارتقت أمة في معارج التمدن والعمران ، إذ لا يوجد لأدنى دولة مسيحية اعترف باستقلالها ما يعوق رعاياها أو حكومتها من مطلق التمتع المزدوج بينهما بأدنى ضاغط ، أو شبه سيطرة خارجية من قوى أو ضعيف ، لأن الحي لا يرضى بأدنى ما يقضي على أمته بالموت ، وأي موت أشبه باعطاء سيف الذود عن حياض الإستقلال ، بعد إعطاء صك التأمين على سلامته لراعي حماه ، لمن

ينتهز الفرص لنزعه من يده بما لا يصوره عقل النزيه ، إذ لا صالح لجميع الدول العظام في هدم صرح بناه أعظم مهندس غير جاهل أسباب الإصلاح اللائق به .

فالتنبيه على مثل هذه المباحث الجوهرية الأصلية ، لا يعد تطرفاً أو خروجاً عما أجمع دعاة الإصلاح على استحسانه ، للعلم بما ترمي إليه غاية كل نزيه ، أدناها عدم هضم حق يشهد التاريخ بثبوته ولو لضعيف .

ويؤخذ مما تقرر أن لا صالح لأمة مستقلة فيما يمس كرامة استقلالها جوهرياً كان أو عرضياً ، ومن المحال أن ترضى أعظم الدول بموت أمة مستقلة لا رغبة لها في الإصلاح إلا في دوام تمتعها بحياة نعيم التمدن الإصلاحي .

وتنبيه الخبير على وجوب درس لائحة الإصلاح العام ، للوقوف على أسرار مبناها ، وتطبيق مركب أساليبها على بيان بديع معناها وأسناها ، لا يمس كرامة الواضع لها ، ولا مما يمكن تصوره من وجود جنوح للعوائد القديمة التي يرى المتمتع بثمرتها عدم صلاحية كل إصلاح يقضي على صالحه بالصعق والدك ، بل القصد الوحيد الذب عن حياض الاستقلال الوطني ـ المؤيد من كافة الدول العظام ـ من مس أدنى حق يخرجه عن الحد الموضوع له كما وضع لمثله ، ويكفي الجميع لاستلفات نظرهم ما رسم بهذه النبذة الوجيزة مما عليه أدنى دولة مسيحية بالنسبة لعددها وموقعها الجغرافي بين مواقع الدول العظام ، وحسبنا تمتع دولة سويسرة الجليلة ودولة اليونان والرومان والبلغار والسرب ومن دونهم في العدد والعدد .

* * *

وعلى ذلك فالعبد ـ على لسان حال أمته وأهل وطنه ومن في حكم التبعية والذين يقدرون نعمة الإستقلال المعبر عنه بإعلاء كلمة الله ـ يستلفت أنظار جلالة المولى العزيز المنصور بالله حزبه وجنده وحكومة ملكه وسلطانه الأعظم ، إلى حالة ما يمكن بموجبها تأخير التوقيع الملوكي على صورة لائحة الإصلاح ، التي لا بد أن تكون حررت بالقلم العربي وفصيح لسانه ، ووقع عليها كل مندوب حضر بمؤتمر الجزيرة الخضراء نيابة عن دولته الفخمية ، حتى يفصح فحص مجموع بنود موادها بسلامتها من الحشو الذي هو أضر من التعقيد ، ولا فصاحة فحص الا بإثبات رفعة

رفع المبتدأ والخبر حكماً وتقديراً ، لأن الحركة بحسب العوامل أمر مشهود إثباته . وليس في نسخ عامل متعد خيره فائدة . أو إدخال ما ليس بوجوده إلا تعقيد كلم الإصلاح لدى كل منصف ، أحرى محرر جملة التمتع من غوائل الإحتلال .

ومتى قبل الإلتماس وصدر الأمر الشريف بالتحري والبحث في الأصل والفرع بما لا يخرج عن كمال الإعتدال ، واستخراج نتيجة إصلاحية لا تمس شرف الإستقلال ، أو تتطرف عن نهج التمتع بفوائده ، التي لا يمكن تمتع غريب بها إلا بما يتمتع الغريب به في الممالك المستقلة ، لزم القيام بالوجوه الممكنة والمعنية على تعميم الأمن والراحة ، والضرب على يد كل موقد نار الفتن ، والتحفز من أي دخيل يرمي إلى ما فيه قيد بعد إطلاق ، ولا قيد إلا في استبداد ، ولا إطلاق إلا باستعداد ، ولا قائل بعدم وجود من يطلق الأول ويقيد الثاني بأمة عرفت بالذود عن حياض استقلال الغريب ، والتمتع بفوائد الألفة مع البعيد والقريب .

فهل من مسعف لإنتخاب لجنة من أحرار الأمة وأرباب الفكر والقريحة ، لبسط متعلقات الإصلاحات العمومية براً وبحراً أمامها ، لتبدي رأيها في محصلها ، حتى إذا أحيط العلم الشريف بمضمونه ، أشر على ما يجب إثباته والعمل بمقتضاه والله ولي التوفيق ، وهو القوي العزيز .

ـ الاحتلال ـ

كلمة ينصرف مضمونها ـ في الأمور السياسية ـ إلى وجود قوة غريبة بجهة كانت تتمتع بحرية الإستقلال ، بصرف النظر عن متعلقاته ، أوجدته ظروف الأحوال بطريق شرعي أولا ، فلذلك كان مكروهاً عند قوم دون آخرين ، ولا فرق في المرارة بين ثمرة الإحتلال الأجنبي ، وثمرة الإحتلال الوطني ، لأن الأول يقضي على سلطة القابض على زمام حكم الجهة ، وربما نفع مبدئياً التابع لها ، والثاني يقضي على حرية تمتع التابع بفوائد الوطن حتى يلحقه بالموتى ، وربما دام تمتع القابض على الزمام إلى أن يجرف سيل القوة كل العوالي ، ومع أن كلا التسلط في الحالتين ضربة قاضية على القوة الإستقلالية الوطنية الحرة ، يرى العاقل في ذلك تفاصيل يقضي

مجموعها عليه بالإنتباه للبحث في الحالة التي تكونت منها قوة كل منهما .

فإن كانت قوة الإحتلال الأجنبي راجعة إلى الرابطة القومية الجامعة ، فالأمة الوطنية تنظر من الأكثر قوة لخير سعادة الدارين ، وأضمن لانتعاشها وانتشالها من وهدة الخمول الذي ما وراءه إلا الموت ، والأخذ بيدها لسلوك سبيل التقدم في معالم الإرتقاء بين الأمم ، للتمسك بأذيال رب الساعد المتين .

وإن كانت أجنبية الجنس والجامعة ، فإما أن تكون من الأمم التي درست علوم الأخلاق ، واتصفت بالحكمة والرزانة والدهاء والقوة والجاه في البر والبحر ، وعدم التسلط لغير صالح منازع في وجوب بقائه على الحياد والمسالمة لكل مسالم ، حفظاً لحقوق التمدن الذي هو عدم مس كرامة حق عزيز الملك المستقل المسالم ولو كان ضعيفاً ، خصوصاً إذا أيدت الحوادث عدم تصديها وتعديها على حقوق الضعيف ، وإما أن تكون من الأمم التي تفتقر ـ دواماً ـ لإصلاح حال يمكنها بوجيه تبلغ أعلى مما هي عليه ، لأدلة تشهد بعدم تمكن قدم قوتها بميادين السياسة ، وظهور بعض خفة من طليعة التقدم ، بالتسلط ـ ولو لأدنى عارض ـ على من دونها من الأمم ، مع وجوب أحقية استدراكها الفوائت الفرضية ، وهما ـ معاً ـ اليد العاملة على هدم أركان الوطنية القومية الجامعة بحسب الأخلاق والدهاء .

فضرر قوتي الإحتلال الأجنبي الجنس والجامعة : يثقل على الحر حمله ، مع ثبوت ازدياد الإصلاح والتقدم في العمران بالنسبة لقوتي الأمتين السابق الإيضاح بخصوص كل منهما في جنب ضرر قوة الإحتلال الوطني ، الذي ـ دواماً ـ يقول بتأييد الرابطة القومية الجامعة لأمة الوطن ، تحت راية الملك المعزز جند معنى تلك الرابطة القومية الجامعة ، المعبر عنها ـ عند الأمة المراكشية ومن على مذهبها ـ بإعلاء كلمة الله ، إلا أن العاقل يرى مع وجود الفرق البين وخفة حمل قوة ضرر الإحتلال الوطني ، إزدياد أسباب التقهقر الملي والوطني معاً ، المستمر استمرار زمن اليقظة على ليل الإغماء بالسكران ، والوقوف أو السكوت على هذه الحالة التي قيل في الثمل بالجامع بها : « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » : أمام قوة يقظة الأمم الأجنبية الجنس والجامع ، مع عدم تمتع عموم أمة

الوطن بفوائده وخيراته ، وبما أوجبته الرابطة الوطنية الجامعة القومية ، وإحالتهم على تعبير كلم التخرصات الوهمية التي لا بد أن يظهر للعيان مضمونها العائد بالنوم والخسران ، الذي اضمحلت بموجبه أعظم ممالك العمران . موت النفس التي قيل في محييها : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » .

فيلزم ـ والحالة هذه ـ التدارك قبل فوات الفرصة والدخول في خبر كان . الأمر الذي لأجله يتحرى البصير ، ويرفع صوته بوجوب إتخاذ كل الوسائل لهدم صروح أي احتلال لإتحاد السلطة ، ورغب في انتهاج الصراط الأقوم : صراط الذين أنعم عليهم بالتوفيق ، لإتخاذ الرفيق قبل الطريق ، والله المسؤول في كل حال

وقفة اعتبار

لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ، والمراد بالقلب العقل النوراني المطلق .

أعلم ـ رحم الله جميعنا بما رحم به أهل الإنصاف ـ أنه لا ينبغي لعاقل أن يتحسر على ما فات مهما كانت الأهوال تتلون بالتعرفات ، إلا أن يصور أحوال الأزمنة الثلاث : الماضي والمستقبل والحال ، ويمكنه استدراك ما فيه تقصير بما يعطيه الميل الطبيعي الفطري ، من النفوذ الإصلاحي الجاذب بقوة الروح الذي هو من أمر الله ، فلا يجد وسعاً عن عدم القيام بما صور له الإعتراف بالتقصير .

إذ لا شك أن العاقل يرى ـ دواماً ـ كل آخرة خيراً من الأولى ، ولو بلغ منتهى الكمالات الخالية من الشوائب الوقتية ، ويعلم من نفسه قوة ما هو عليه الأمر الذي بموجبه يدرج إسمه في سجل أمة لا بد أن يكون لها نسبة من ضعف أو قوة ، غير أنه يلزم بزيادة التحري عما يصوره الوهم ، فإن كان من جانب التحذير الذي بموجبه تحمد العواقب كان الوقت كله سعادة ، لشروق سعد طالعه ، وإن كان من جانب التغرير المستدام الذي لا يرى معه أدنى فائدة ، فتلك الطامة الكبرى التي ما وراءها إلا قيام ساعة الإنقلاب ، عن انكشاف السراب ، وظهور عاقبة الخراب ، فالوهم التحذيري مبناه التبصر في العواقب ، والأخذ بالأحوط مما عسى أن يأتي

زمان الاحتياج إليه . فيجد العاقل وقت تزلزل الأرض الأمن والراحة بالفتن والأهوال . ما يدفع به قوة الكوارث ، وجذوة كل حادث . وصاحب هذا الحال عاملاً بمضمون قوله تعالى : « خذوا حذركم » . وما ذلك إلا لإتباع قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . حذراً من وقوع ما بينه قوله : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .

فعلم أن عدم التحذر موجب لعدم الإستعداد الواجب التحلي به ، وعدم التحلي بأتقى الوقايات الوقتية التي هي من موجبات الدفاع عن النفس والمال والجاه والعز والملك . مظهر خفايا الضعف المستكن للعدو ، الذي لا يزال آخذاً بأسباب الترقي في معارج الاستظهار بالقوة التي ربما تمكنه ـ يوماً ـ من بسط نفوذه القهري على دوائر الضعيف مهما كانت جنسيته .

وليست القوة إلا في جانب قوم رضعوا لبان معارف التحوطات الدفاعية ، والتجاريب الهجومية ، بفطام النفوس عن حب الذات . وترك الملذات ، الأمر الذي لا يمكن الحصول عليه إلا بالصبر الممدوح صاحبه بقوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله . والله مع الصابرين » ، وليس المراد بسياق هذه الآية الشريفة لأجل التعرض لما يعطيه ظاهر اللفظ ، فيظن من لا يدري أساليب التشويق للأخذ بقوله تعالى : « إدفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » : أن القصد وجود دفع الأمة لمقاومة الكوارث الكثيرة بالشيء القليل ، بل القصد تنبيه الهمم العالية إلى نتيجة أحسن طرق الجد والإجتهاد ، ونبذ دواعي الكسل والإستبداد ، واستلفات نظر أهل الحمية في الدين إلى فائدة الصبر والأخذ بالأحسنية في كل شيء ، مما يمكن التوقي به من كل داهم ،

فيمكن تغلب من كانت هذه حالته على من هو في ظاهر الأمر أكثر منه عدداً ، وأعظم عزة وجاهاً ، ويكفي المستبصر الراغب في الحصول على نتائج المعرفة والصبر ، ظهور أمة اليابان على أمة الصين ظهور القاهر المنتصر ، حالة كون الأولى لا تبلغ عشر الثانية في العدد ، ولولا وقوف الدول لقضت عليها بما تدخلها تحت نفوذها ، وتعزيز أمة اليابان مجدهم السالف الذكر بسحق قوة دولة الروسيا

في أقصى المشارق براً وبحراً في مدة قليلة بالنسبة للقوتين . وما ذلك إلا لوجود القوة الدفاعية ، والهمم العالية المنفطمة على مرارة الصبر .

فالذي يؤخذ مما تقدم أن الوهم التحذيري مبناه وجود التيقظ والاعتراف بالتقصير ، والشوق إلى محاسن التفاني في الاستحصال على الكمالات بحسب الزمان والمكان ، لا التطوح في بيداء الفتن بغير دليل ولا وقاية من حدوث ما لا تحمد عقباه .

وأما الوهم التغريري فنتائجه كثيرة ، ولكن كلها في صالح العدو . ومصائب قوم عند قوم فوائد ، ويكتفي العاقل بالحاضر عن تصور الغائب ، أو بما يعلمه من التاريخ عن حالة جزيرة الأندلس ، وما ذلك إلا بعكس ما عليه أصحاب الوهم التحذيري ، وليس في ذكر ما صارت إليه حالة الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان أدنى تعزية للنفس ، أو فائدة يتمتع بها الحر إذا لم يقم بالواجب . وكيف يخفى على البصير حال الإنقلاب السريع بشاسع تلك الممالك . ولسان حالها يقول :

سعدت قوم وقوم شقيت

أليس هذا كله من روح انتباه وفائدة تربية الحر في صباه . والتعلق بالمحال . والتقاعد عن أسباب الرقي في الإقامة والإرتحال . الذي هو سم الضعف النسبي . ولا لزوم للتطوح النظري في عواقب الأحوال العديدة المتقلبة ـ دواماً ـ بين سعادة وشقاء ، لأن ذلك مما يخرج عن حد الإفادة بأدنى إشارة ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وحسبنا الله وكفى بالله وكيلاً .

ـ تنبيه ـ

مما لا يمكن التغافل عنه أو قبول استعمال غيره فيما إذا لم يسعف محرره بمضمون وغائبه لعارض : إثبات ما يأتي :

أولاً

إنتخاب لجنة من أعيان متنوري الأمة تحت رئاسة أفضلهم ، لإتخاذ الوسائل

الإصلاحية ، وتعميم أصلحها في كل مصالح الحكومة براً وبحراً ، جلباً للأمن والراحة ، وذرءاً لكل فساد .

ثانياً

إلزام كل مستخدم في مصالح الحكومة كلها بعد استيفاء الشروط : بعدم خروجه عن الزي الوطني الذي يتقرر أتباعه ، ما دام في مأموريته المقررة له .

ثالثاً

إستعمال اللسان العربي ـ نطقاً وكتابة ـ في جميع دواوين الحكومة براً وبحراً ، مع إدخال كم لغة أجنبية لضرورة الوقت ، بشرط عدم إنفرادها بشيء يخرجها عن سلطة الإجراءات العربية العمومية .

رابعاً

توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني والراية الحمراء ، بدون رجوع في المخابرات المتعلقة بالتعليم وكافة الإجراءات لغير الحكومة المحلية .

خامساً

عدم إرتباط الحكومة بأي قيد في قبول إعطاء أي امتياز لفرد أو أفراد أو رفض كل طلب : بدون احتياج لإقامة دليل ، أو يسمع القول لغريب أو قريب فيما إذا تطلب الوقوف على السبب .

سادساً

وجوب سريان الأحكام المحلية على كل من بالقطر أو من في حكمه ، بدون التفات لشريف أو وضيع ، أو ثبوت التبعية لأي دولة أجنبية .

سابعاً

عدم تعرض الدول الموقع نوابها على وحدة استقلال مملكة المغرب الأقصى إلى من يسعى في منع كل ما يخل بالراحة والأمن ، وإتباع نظام الحكومة المحلية ولو من أعظم تابع لهم .

ثامناً

حصر السلطة التنفيذية ـ إدارية أو قضائية داخلية أو خارجية ملكية أو جهادية برية أو بحرية خيرية عمومية أو خصوصية ـ في الحكومة المحلية وفي اسمها ، ومراقبة رجالها على كل مصلحة بدون تغيير أدنى نظام .

تاسعاً

وجوب المساوات في الجبايات والضرائب اللازم إتخاذ كل الوسائل لتعميم مضمونها على كل من بالقطر بدون استثناء فرد على الإطلاق .

عاشراً

رفض كل تداخل في الشؤون العمومية لغير صالح الحكومة براً وبحراً . بشرط رضوخ الداخل لقوانين حكومة البلاد .

حادي عشر

منع كل استبداد يقضي بعدم تمتع الراعي والرعية بثمرة وسائل العدل في كل حال .

الثاني عشر

إستخدام كل نزيه أمين في كل المصالح بحسب الاستحقاق .

الثالث عشر

البحث في الاستحصال على تسكين الفتن الداخلية وقطع دابر كل خائن ثائر .

الرابع عشر

نشر العفو العام ، وإعطاء الأمن لإنتباه القبائل والعشائر من سبات الجهل . وتوجيه عنايتهم لما يعود على الجامعة القومية بالرفاهية والعز والجاه .

الخامس عشر

بذل ما في الوسع لصيانة الحدود كلها من دخول أو خروج بدون تصريح من قومندان عموم حامية الحدود ، وإطلاع أرباب الأمر والنهي ـ شهرياً ـ على ذلك .

السادس عشر

وجوب تحصيل قدر من المال بطريق التنافس الملي الوطني لتأسيس بنك باسم الحكومة ، يتولى عموم صالحها في كافة مصالحها الإدارية والقضائية ، ولو أدى الحال إلى استخدام الأجانب فيه تحت الزي والحكم الوطني مؤقتاً .

السابع عشر

عدم قبول إدخال أي حرية تقضي على المرؤة بظهور ما لا تحمد عقباه .

الثامن عشر

عدم بيع أي انتفاع أو إعطاء امتياز به بدون ما يكون للوطن والأمة ثلثاه على الأقل ، لمدة معلومة في الكل .

التاسع عشر

كل إصلاح يراه المنصف واجباً يعني بتنفيذ إجراء العمل به .

العشرون

عدم قبول منع الحكومة من إدخال السلاح وتوابعه الكافية بحسب الزمان والمكان للدفاع عن مصالحها . إلا بإطلاع نواب الدول على القدر اللازم .

الحادي والعشرون

وجوب دفع أقساط السلفة في أوقاتها ، وعدم استقراض شيء إلا بعد البحث اللازم .

الثاني والعشرون

منع أي مراقبة أجنبية على إجراءات حكومتنا العزيزية في كل حال .

الثالث والعشرون

وجوب إتخاذ المباديء الإصلاحية وتعميمها في القطر تدريجياً ، بحسب الزمان والمكان .

الرابع والعشرون

ترك الأنفة والتباغض والتحاسد ، وإتخاذ أسباب الإلفة والإتحاد في عموم المصالح العزيزية .

الخامس والعشرون

إنتخاب لجنة من أعيان الأمة لتحرير « جامع » تحفظ به حقوق الحكومة

والأمة ومن في حكمها ، غير خارج عن فحوى المذهب .

السادس والعشرون

وجوب المحافظة عن مصالح الدول قدر محافظتهم على مصالح وحدة استقلال مملكة المغرب الأقصى ، بدون إدخال ما يثني عزيمة الرعية عن الثقة برجال الحكومة وعزيزها .

السابع والعشرون

اتخاذ التدابير اللازمة لإدخال فنون المعارف العصرية : من جهادية وغيرها ، وأنواع الصنائع الحديثة ، والفلاحة ، وما يزيد الأمة تقدماً في الأمور التجارية والاقتصادية بكل نشاط .

الثامن والعشرون

وجوب إشباط[1] ما يقي المملكة من طمع أي كان ، ومنع بسط نفوذه عليها ، والوقوف على حقيقة الحال ، في كل حال .

التاسع والعشرون

وجوب اتخاذ حليف ودي ، يراه المنصف خير كفء للمعاضدة ، وأقوى الساعد في المساعدة .

الثلاثون

إنتخاب مفتش عام من خيرة الرجال دربه وتحنكاً بعموم المصالح ، ليمكنه

---

1 ـ هكذا ، وكأنه يعني إستنباط .

إشباط الإيرادات التي تقوم بمصالح الحكومة ، وضبط الميزانية السنوية التي ينقطع بموجبها الغش والرشى ، وتنصلح الأحوال بدون إكراه .

الحادي والثلاثون

وجوب إدخال الإصلاح في نفس مصالح الحكومة . ليمكن تخصيص كل إدارة بما يليق لها ، فإذا عضد المشروع كان الواجب على رجال الحكومة إتخاذ أحسن التدابير لتكوين حكومة منهم قادرة على دفع الطواريء وجلب المنافع ووقاية الأوطان ، وردع كل من يريده بسوء من أنس وجان ، والحمدلله .

ملحق 68

المشروع الدستوري الذي اقترحه الشيخ عبد الكريم مراد

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الحمد لله الذي شرع الشرائع وجعل العدل قاعدة الأحكام ، والإتحاد أساس السياسة بين الأنام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى ما فيه صلاح أمر المعاش والمعاد ، الذي أمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، وحثنا على الأخوة والتناصر لما فيها من حسن المنقلب وسلامة العقبى ، وعلى آله وأصحابه الذين اتقنوا سياسة العباد ، بكمال السياسة وحسن التدبير والحزم والسداد .

* * *

أما بعد : فلما تشرفت بالأقطار المغربية وتطلعت على أحوال أهلها : سرني ما رأيته منهم من اتحاد الجنس والتمسك بالدين وحب السلطان نصره الله تعالى ، فهذه صفات محمودة أصل لكل ترقي .

وبسبب توفر هذه الصفات في أفراد دولة اليابان ، مع اقتفائهم إثر شريعتنا المطهرة : من التعاون وحب الوطن وحفظه بالمال والنفس والتحرز من الأعداء وأخذهم الحكمة ممن كان : فاز وأعلى ملوك زمانهم .

وعلى ذلك يمكن لحكومة المغرب أن تبلغ ما بلغته اليابان بأقرب وقت ، إذا اقتفت أثر اليابان بالإجتهاد ونفع العامة وأخذ العلوم الصناعية والوقتية الموافقة للأحكام الشرعية من أوربا ، على الأخص في اقتفاء آثارهم في تنوير أفكار الرعية في حثهم على إختراع الأمور النافعة ، ومكافأة من يبرز شيئاً من ذلك ، لأن الذي يعلم أسرار الشريعة الإسلامية وما احتوت عليه من الحث على نشر العدالة والمشورة في الأمور وتعلم المعارف اللازمة للوقت والدين بكل شيء تستغني به المسلمون عن الأجانب .

* * *

إذ الحكومة لا تكون شريفة ومهابة في العالم ومحافظة على استقلالها ما دامت محتاجة لجلب سلاحها وأدوات حربها ولباس رعيتها وما يلزمهم من الخارج ، ولا تأمن غوائل أطماع جيرانها من الملوك ، ما لم يجتهد في إبلاغ قوة عسكريتها واستعداداتها على الأقل مساواة جيرانها ، قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدوالله وعدوكم » . وقال تعالى : « ود الذين كفروا لوتغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

فالمطلوب الاستحصال على كل ما يرهب العدو ، ولا إرهاب لهم في هذا الوقت ما لم يكن الأمراء والرؤساء يقدمون مصالح العامة على مصالحهم الذاتية ، إذ لا قوام لعزهم إلا بعز أفرادهم ، ويكون سعيهم بكل شيء يعلى شأن الحكومة في فتح المدارس لتعليم العلوم الدينية والوقتية والصناعية والزراعية ، ويبرزوا في قلوبهم حب الإجتهاد في الإختراع في المواد الحربية والصناعية ، حتى تفوق مخترعاتهم مخترعات جيرانهم ، فقد اجمعت علماء الدين على افتراض تعليم المسلمين الحرف المهمة مما لا يستقيم صلاح الناس إلا بها على طريق فرض الكفاية ، فإن تركها الكل أثم الكل .

* * *

ولا ينكر ما كان عليه اليابان قبل ثلاثين سنة من الإنحطاط وتفرق الكلمة ، بسبب الإستبداد وهجوم ملوك أوربا على مملكة اليابان . وطلبوا منها إجراء الإصلاح الوقتي من سلطانها ، حتى استأجروا مدخول الجمارك بثمن زائد عما كانت تحصله اليابان على جملة سنين ، لأجل إدخال التمدن الأوروباوي : من نشر السكك الحديدية والدبيش ، وغير ذلك من تشكيل البوليس ، فصار لأوربا نفوذ وكلمة في مملكتهم ، فعند ذلك تيقظوا لما لأوربا من الطمع في إستملاك بلادهم بطريق سياسي . فجمعوا كلمتهم ، ورجع سلطانهم عن الحكم المطلق إلى المشورة ، فأسس مجلس نواب الأمة ، وانتخب له أعضاء من كل بلد وشعب في المملكة : واحداً من أفضلهم ، بشرط أن يكون بلغ الخامسة والعشرين من العمر ، وعنده أملاك يدفع عنها للحكومة خمسة عشريناً على الأقل في العام ، والين عبارة عن ريال فرنساوي ، فبلغ أعضاء

هذا المجلس ثلاثمائة ، وشكل مجلساً أعلا منه سمي بمجلس الأعيان ، يحتوي على ثلاثمائة عضو وثمانية وعشرين عضواً ، منهم إثنا عشر من أبناء الأسرة المالكة الراشدين ، والسائر من الأمراء والشرفاء وممن امتاز بأمر خطير وخدموا الدولة مدة عشرين عاماً ، فشرعوا في تحسين مملكتهم ، وعملوا قانوناً للحكومة فنفذ على الحاكم والمحكوم ، ثم أرسلوا البعثات من أولادهم إلى بلاد أوربا لتعليم العلوم اللازمة : من الحربية والهندسية والصنائع ، على الأخص صنعة المكحلة والمدفع والكهرباء ، وصنعة الدبيش والدانميت ، وعمل السكك الحديدية والسفن الحربية والطربيل وضده ، وشرعوا في فتح المدارس الإبتدائية والثانوية والعالية لأجل تعليم ذلك ، حتى بلغت الآن في مملكة اليابان إلى أربعين ألف مدرسة ، فلما استكملوا المعرفة في مدة عشرين سنة أوقفوا الامتيازات الأوروباوية ، وغلبوا دولة الصين ، وطردوا دولة المسكوف من كوريا ومنشورياً ، وصاروا بالدرجة العليا بين الملوك ، حتى دولة انكلترا وإلمانيا أرسلتا تلاميذ إلى مدارس اليابان ، لكي يتعلموا منهم إختراعاتهم التي اظهروها وقت المحاربة .

* * *

ولما ظهرت هذه الفضائل لليابان بواسطة الجد ونشر المعارف والعدالة : اقتفت حكومة إيران العجم إثر اليابان ، وشرعوا في تشكيل مجلس نيابي لتحرير قانون لبلادهم من الشرع الشريف : باختيار قول واحد في المسائل التي فيها اختلاف بين العلماء ، حتى يرتفع تلاعب الحكام في الأقوال المختلفة ، مع تقرير أعمال الوزراء والمأمورين ، وضبط مدخول الحكومة ومصروفها ، وتقرير الأموال المطلوبة من الرعية على الأراضي والأموال بما يوافق الشريعة الغراء ، والسعي وراء تقدم الصناعة الوطنية والمعارف الدينية والوقتية ، وإخراج المعادن ، وغير ذلك مما يؤول تقدمه للدولة والرعية ، على الأخص مراقبة أعمال العمال ، ومحاكمتهم عند ظهور أدنى تعدي مما يخالف ما سنه لهم مجلس الملة ، وما يقرره من عمل يحرر في كتاب مخصوص بعبارة سهلة يفهمها العالم والجاهل ، ليكون دستوراً ومرجعاً في العمل ، ثم يطبع وينشر لجميع الرعية ، بعد نشر كل مسألة تصير المحاورة بها في الجريدة الرسمية الخاصة لهذا المقصد ، حتى تكون الأحكام معروفة عند جميع

الرعية . فينتفي التعدي من المستخدمين ، وبذلك ينتشر العدل على جميع أفراد الرعية ، وقد مدحهم جميع العقلاء ، وأطنبت جميع جرائد الدنيا بمدح سلطانهم : المرحوم مظفر الدين شاه . وخلفه الموجود الآن : السلطان محمد علي شاه : على ما ينتج من حسن تقدمهم وحفظ استقلال بلادهم ما أدهش دول أوربا من هذا الانتباه

* * *

ثم اطلعت على ما تم عليه مؤتمر الجزيرة من عمل البوليس والبنك وغيره ، وأن عموم الرعية نافرة من هذا التداخل ، خوفاً من رسوخ قدمي المباشرين من الضباط الفرنساوية والإسبانيولية إذا صفى لهم الوقت ، لأنهم بدعوى الإصلاح يلزمون الحكومة على الاستدانة لإجرائه ، فيؤول أمرهم على مراقبة واردات المخزن ومنصرفاته ، وبذلك من الخطر ما لا يخفى على متبصر ، كما حصل للمرحوم الخديوي إسماعيل باشا وما آل إليه أمر مصر .

وجميع رعية سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ يرغبون إدخال الإصلاح بطريق شرعي بنظر رجال المخزن ، أما المحافظة على المعاهدات الأجنبية وقرارات المؤتمر فواجبة التنفيذ في هذا الوقت ، ولكن بطريقة ترضي الرعية ، وتقنع الأجانب ، وتوافق الشريعة الغراء ، مع السعي وراء سد باب الإحتياج إلى الأستدانة منهم ، لنسلم من زيادة مداخلاتهم في شؤوننا كما هو دأبهم ، وبذلك نرجو الظفر والمعونة من الله تعالى ، لقوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وقوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، فإذا من الله علينا بإدخال الإصلاح على هذا النمط : نتوصل ـ بعد ذلك بحول الله وقوته ـ على لغو كثير من مطالبهم ما دمنا على الاستقامة إن شاء الله تعالى ، ولما كان الواجب على كل مسلم أن يبذل جهده ويضحي بماله ونفسه في نصرة أبناء دينه ، ولو بيث ما يتكفل بحل هذه المسألة على الوجه المذكور ، ليكون بها المخرج إن شاء الله تعالى :

تجاسرت بتقديم ما فتح الله علي ـ ببركة النبي ﷺ ـ في هذه المادة : إلى أعتاب السلطان المعظم ، والملك المفخم ، صاحب الآراء السديدة ، والهمم العلية ، وخلاصة السلالة النبوية والإشراف العلوية . الراجي من الله النصر والتعزيز حضرة

مولاي السلطان سيدنا عبد العزيز ، مع علمي بأن ذلك لا يخفى عليه ، لما له من سعة الأفكار الصائبة ، رجاء أن توافق ما يخالج ضميره الطاهر ، فتحيي البلاد بعدله . وتتنور أفكار رعيته ، وبذلك يرجع رونق الإسلام ، وتحيي شريعة جده عليه السلام .

مقدمة

إننا نحتاج إلى حفظ استقلالنا واستغنائنا عن الأجانب بالسعي إلى ثلاثة أمور .

الأول : تشكيل مجلس الملة الذي يحل جميع المسائل بما يرضى الله تعالى والرعية ويقنع الأجانب ، لأن الأجانب عندهم مجلس الأمة مقدس ومعمول به في داخلية البلاد ، إذا كان مؤسساً على أصول مضبوطة مقبولة ، كما هو عليه العمل في بلادهم ، غير أن أصول مواد قوانينهم موافقة العقول عليها ، مع ما يوافق البلادبحسب التجربة ، وأما أصول مواد قوانيننا تكون على وفق ما أتت به الشريعة المطهرة ، كما هو جار عليه العمل في مجلس أمة دولة الإيران ، فإذا وفق الله سيدنا نصره الله إلى إجراء هذا العمل المبرور : يحرر المخزن الشريف إلى معتمدي الدول في طنجة ما معناه : لما كان جل أهل المغرب لا يفقهون المصلحة المرتبة على تنظيم البوليس وغيره من الإصلاحات ، ومقصودنا نشر العدالة في أفراد الرعية : أمرنا بتشكيل مجلس الأمة ، وطلبنا النواب من كل ولد وقبيلة لاجل إقناعهم ، وتحرير قانون للحكومة بما يوافق طبيعة البلاد بمعرفتهم ، فنطلب منكم أن ترسلوا لنا قانون البوليس والبنك لأجل فحصه بمجلس الملة ، وتحوير بعض مواده التي لا توافق طبيعة البلاد إلى ما يوافق ، لينشر التمدن في بلادنا حسب رغبتكم ، وبذلك تحسن المواصلات ، ويزول التعدي من الجهال .

والثاني : الشروع في تشكيل عسكر جرار على وجه منتظم ، من دون تكليف المخزن بمصروف أفراده مدة الإقامة ، حتى نتمكن من توقف مداخلة الأجانب في بلادنا .

والثالث : يلزم لنا وجود مال داخلي يتيسر به إجراء ما تطلبه أوربا من الإصلاح :

مثل الدبيش وغيره ، لأنه لا يتم عز المملوك إلا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل ، ولا عدل إلا بإصلاح العمال ، ولا تصلح العمال إلا باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقد الملك أحوال رعيته بنفسه .

بيان كيفية تشكيل مجلس الأمة وأصول أعماله والفوائد التي تنتج عنه

مجلس الأمة هو مجلس الشورة الذي أمر الله به نبيه ﷺ بقوله : « وشاورهم في الأمر » ، وقد مدح الله تعالى سلفنا الصالح بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » .

وأما أصول أعماله تقريباً : أحد عشر مادة ، ويصير الزيادة والنقص في هذه المواد حسبما يقتضيه الوقت ، وما تتفق عليه آراء الأعضاء ويستحسنه سيدنا نصره الله تعالى .

الأولى : يطلب من كل قبيلة وبلد أن ينتخبوا عنهم واحداً يكون نائباً عنهم في كل ما يقرره ويرضاه في مجلس الأمة لمدة خمس سنوات ، ثم ينتخب غيره ، بشرط أن يكون متصفاً بخمسة أمور :

الأول : أن يكون سنه ما بين الثلاثين والستين .
الثاني : أن يكون يحسن الكتابة والأعمال الأربعة في الحساب . وهم الجمع والطرح والضرب والتقسيم .
الثالث : أن يكون قد قرأ متن خليل ويفهم معناه .
الرابع : أن يكون عنده واردات من أملاكه تكفيه مصروف سنته .
الخامس : أن لا يكون قد حكم عليه في دعوة .

ومنهم ينتخب رئيساً عليهم .

* * *

ثم يشكل مجلساً أعلى تحت رياسة أمير المؤمنين أعزه الله ، وعشرين عضواً : منهم خمسة من أبناء الأسرة المالكة الراشدين ، وخمسة ممن امتازوا بأمر خطير بخدمتهم للدولة ، والباقي ينتخب من مجلس الملة .

المادة الثانية : جميع المسائل تعرض على مجلس الأمة ، وبعد قراءتها جهراً يسأل من أقلهم إلى أكبرهم رتبة عن رأيه في تلك المسألة ، فإن اختلفوا يعمل برأي الأكثر ، ويكون استناد الأعضاء عند اختلاف رأيهم على ما يفهمونه من الكتاب والسنة ومصلحة البلاد ، ويجب على كل فرد أن ينتصر لما يتفق عليه مجلس الأمة ولو بغلبة الرأي ، ولا يجوز لمن كان مخالفاً لرأي الأكثر أن ينتصر لرأيه ، بل يكون منتصراً لما تم عليه رأي الأكثر ، وبعد تنقيحها في هذا المجلس ترفع لمجلس الأعيان ، وبعد تنقيحها فيه يصدر أمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بالعمل بها .

الثالثة : مجلس الأمة يقـرر الأحكام على قول واحد . مع حفظ معاهدات الأجانب ، وتقرير خدمة الوزراء والعمال ، مع ترتيب مؤونتهم ، وتقرير الأموال التي تطلب من الرعية ، وكيفية تحصيلها حسب الشريعة الإسلامية ، ولا يجوز العفو عن أحد من الرعية عن ذلك ، لأنه حق من حقوق الله تعالى ليصرف في مصارفه ، وتقرير المصارف اللازمة للحكومة ، وتنظيم قانون تعليم الرعية الحركات العسكرية ، ومراقبة أعمال العمال ، ومحاكمة الرعية مع العمال ، ومحاكمة العمال فيما بينهم ، ومحاسبة الأمناء ، وتقرير كل عمل يلزم عمله في الحكومة .

* * *

المادة الرابعة : أول عمل يبدأ به انتخاب أربعة من أفاضل العلماء الذين سبق لهم خدمة في القضاء ، وكانوا متصفين بالإستقامة ، مع أربعة أخر يكونون بالغاية القصوى من العلم . بشرط أن يكونوا عالمين بأحوال الوقت . ويكلفون بتأليف كتاب مقتصر فيه على قول واحد من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه : بعبارة سهلة يفهمها العالم والجاهل ، كما فعلت الدولة العثمانية : كتاب مجلة الأحكام العدلية . وبعد إتمامه يعرض بمجلس الملة ، ثم على المجلس الأعلى ، وبعد الإتفاق

على مواده ولو بغلبة الرأي : يصدر أمر سيدنا نصره الله تعالى بالعمل فيه لدى جميع القضاة .

الخامسة : تحفظ معاهدات الأجانب في مجلس الأمة ، وعلى موجبها وتحويرها يعمل ذيلاً لكتاب الأحكام ، ثم بأمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بالعمل به .

السادسة : لا يجوز للقضاة أن يحكموا بخلاف كتاب الأحكام وذيله الذي صدره لهم مجلس الأمة ، وإذا طرأت عليهم مسألة لم تكن موجودة في ذلك الكتاب يستفهمون عنها من مجلس الملة ، وتلحق في كتاب الأحكام .

* * *

المادة السابعة : للمحكوم عليه أن يستأنف دعواه في مجلس الأمة ، ويكون طلب استئنافه عبارة عن الشكاية على القاضي بكونه تعدى في حكمه ، فحينئذ ينظر في أصل الدعوى التي حكم فيها ، ومطابقة حكمه على كتاب الأحكام ، فإن ظهر أن القاضي كان معتدياً في حكمه يطرد من وظيفته ، ولا يوظف بعد ذلك أبداً ، بعد تقرير ما يلزم عليه من الجزاء ، حتى يصير مثالاً لغيره من الحكام ، وإلا فيحبس ذلك المستأنف من سنة إلى خمس سنوات ، حتى لا يتعدى أحد من الرعية على الحكام ، وكذلك يجري في كل قضية ترفع من الرعية على مطلق عامل : سواء كان وزيراً أو قائداً أو أميناً أو غير ذلك .

المادة الثامنة : بعد الإطلاع عن قانون بوليس الدول ، على الأخص قانون بوليس الدولة العلية العثمانية ومصر وتونس ودولة الإيران : يشكل قانوناً له بما يوافق الشرع ومصلحة البلاد ، ثم تفتح مدرسة يعلم فيها شبان الطلبة هذا القانون والفنون التي تلزم البوليس : من الخط والحساب والجغرافيا وحقوق الدول ومعاهداتها ، وبعد أداء امتحانهم يستخدمون فيه ، حتى يكونوا على بصيرة في الحكم والسير ، على الأخص إذا كان الضباط من افرانسا واسبانيا حسب معاهدة الجزيرة ، وإلا فيكونوا آلة في أيديهم يديرونهم كيف شاءوا .

المادة التاسعة : دعاوى البوليس تستأنف في مجلس الملة ، كما تقدم في المادة السابعة .

المادة العاشرة : إذا لزم إنشاء شيء أو إحداث فبريكة أو فتح مدارس لتعليم أولاد الأمة ولم يكن مالاً زائداً من الوارد لأجل القيام به : يصير المشورة بذلك في مجلس الملة : إما أن يعمل من إعانة تطلب من الرعية ، أو تشوف الرعية بعمل جمعية خيرية من تراث الرعية ، يقومون بإدارتها بعد تحوير قانونها في مجلس الملة والمجلس الأعلى ، وإصدار أمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بذلك ، مع مراقبة الحكومة على حركاتهم .

* * *

الحادية عشر : يجب لغو جميع الأموال التي تؤخذ من الرعية خلاف ما قررته الشريعة الإسلامية ، كمثل المكوس والهدية والسخرة ، ولغو إلزام القبائل بضيافة ما يمر عليهم من العسكر أو أحد رجال المخزن ، نعم : إذا لزم لأحد من هؤلاء شيء يشتروه له بالثمن .

وأما المعشرات في ديوانات المراسي : فمطلوب أخذها سياسة وشرعاً ، ولا يظن أن في ترك ذلك يصير نقصاً في واردات الحكومة ، بل عندئذ تتيقن الرعية نوايا سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ في إحياء الشريعة المطهرة ، فتتحد الكلمة على محبته ، وتفديه بمالها وروحها ، وتؤدي حقوق الله الواجبة عليها للمخزن بالتمام .

* * *

وأما الفوائد التي تنتج بتشكيل مجلس الملة :

أولاً : نشر عدالة جلالة السلطان ـ نصره الله تعالى ـ على جميع الرعية ، وينتفي الظلم عنهم ، فيتحصل سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ على رضاء الله تعالى ، ويكتب في حسناته ما وعدنا النبي ﷺ بقوله : « عدل ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة ، وبقوله ﷺ : « من سنن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ، وبذلك يصير سيدنا أعزه الله تعالى أفضل ولي في هذا الوقت ، فيمده الله ـ تعالى ـ بإمداداته الظاهرة والباطنة بقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وتتفق الرعية على محبته والتفاني في

صدق خدمته ورضائهم في كل ما يأمرهم به .

الفائدة الثانية : تصير همة المأمورين ، في إبراز ما ينفع الدولة وعموم الرعية . ولو يصرفوا على هذه البغية جميع ما يملكونه ، لأنهم بذلك يكافئون من طرف السلطان ـ نصره الله تعالى ـ بأقامات العالية ، ومن الرعية بالحرمة . وتنعدم منهم حب جلب المنافع لأنفسهم فقط . للمراقبة عليهم . وحصول الجزاء عليهم من السلطان نصره الله تعالى . ومن الرعية بالبغض والكراهة .

الفائدة الثالثة : تكثر واردات الحكومة للقواعد التي يجريها مجلس الملة في ضبطها : أولاً بانتخاب تولية الكفء المستحق . ثانياً : لتقرير ما يستلمه من الرعية . ثالثاً : لا يستلم شيئاً حتى يعطي للمستلم منه وصلاً ، وأما الحالة الحاضرة : ثلثي واردات الحكومة ضائع ، لأننا نرى القائد والأمين بعدما يتولى ببرهة جزئية يبني القصور العظيمة ، ويملك الأراضي الجسيمة . بعدما دفع على تحصيل وظيفته ما لا عظيماً ، فبالطبع كان ذلك كله من مال الحكومة ، اختلسه بسبب ما دفع للذي كان واسطة في ولايته .

الفائدة الرابعة : لما تنتشر هذه الفضائل عن سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ ترجع جميع القبائل الخارجة عن طاعته ، وتنقاد لأوامره . ويقبضون على جميع من خرج عن طاعته ، لأن الملة الإسلامية تخضع غاية الخضوع للشريعة المطهرة .

الفائدة الخامسة : جميع المسلمين المجاورين لمملكة سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ يكونون عوناً له عند اللزوم ، لأن الطبيعة والعدالة تجذبهم . وبذلك تخشى الحكومة المجاورة لمملكته من معاداته ، وحينئذ نسلم من مداخلتهم .

الفائدة السادسة : تتسع دائرة الصنائع في مملكة سيدنا نصره الله تعالى . وتعمر الأراضي ، فتكثر واردات الحكومة يوماً فيوم ، وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ، وبذلك تزداد هيبة سيدنا نصره الله ، وتخشى صولته ملوك الأرض .

بيان المشروع الثاني في كيفية تشكيل عسكر جرار على وجه منتظم من دون تكليف المخزن بمصروف أفراده مدة الإقامة

من المعلوم أن الملة الإسلامية لا تنقاد غاية الإنقياد إلا للمواد الشرعية . فكما أن الجهاد في سبيل الله تعالى والاستعداد له فرض على كل مسلم . كذلك الموصل له وهو تعليم حركاته وسكناته ، فيصير تعليم الرعية عموماً على كل من بلغ سنه عشرون عاماً إلى أربعين عاماً : كل نوم ساعتين . وعلى ذلك يصدر أمر سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ بغلق جميع الحوانيت كل يوم من الساعة الثالثة بعد الظهر . ثم تخرج كل حومة بحدتها للتعليم : في كل بلدة وقرية وقبيلة تحت قيادة القواد الخارجين من المدرسة المعدة لذلك ، حتى نستغني عن الضباط الإنكليزية والفرنساوية . لأن حالتهم في الصداقة مع المسلمين كصداقة قصير مع الزباء ، مع أننا في أول الأمر نخدمهم في تعليم الحركة العسكرية والعلوم الحربية للطلبة الذين تؤهلهم ليكونوا ضباطاً ، فيتيسر لسيدنا نصره الله تعالى مليون من العساكر من دون مصروف مدة التعليم والإقامة ، وأما وقت لزوم تسفيرهم للمدافعة عن أوطانهم أو تربية أحد الخارجين عن الطاعة : يقوم المخزن بتقديم الطعام لهم ، مع إعطاء لكل واحد منهم أربعة ريال مصروفاً لعيالهم في الشهر ، ويلتزم كل واحد بثمن المكحلة والكسوة العسكرية التي يلبسها حالة التعليم . وكل عشرة يتكلفون بثمن قبة . والذي يتعسر عليه دفع ذلك فوراً على الأخص أصحاب الحرف : يصير تقسيط ذلك عليهم بنظر قائدهم ، وأما الفقراء : فينظمون ضمن العساكر الخيالية والطبجية الذي يتكفل المخزن بتنظيمه وتربيته والقيام بمصارفه ، وأما القواد ـ اللازمة إلى هذا العسكر ـ فيصير ترتيب معاش كاف لهم ، وكما أنهم يقومون بتعليم العساكر وترتيبها : يقومون ـ أيضاً ـ بحفظ المدينة والطرقات ، ويقومون بأشغال الحكومة كما نوضحه ، مثلاً يمكن ـ على هذا الترتيب المذكور ـ أن يخرج من مدينة فاس 32 ألف عسكري . يحتاج لهم ألف قائد . فأولاً يجمع من شبان الطلبة من كل حومة 1075 ، ويصير تعليمهم على غاية الانتظام بواسطة الحرابة . وبعد تعليمهم تعطى لهم الوظائف حسب اقتدارهم واستحقاقهم ، ويصير ترقيهم بحسب الدرجة ،

يعني لا يمكن أن يصير أحد منهم باشا قبل أن يتولى خليفة قائد المائة . ثم قائد المائة ، ثم خليفة قائد الرحى . وهكذا حتى تمر عليه جميع الخدمات . وإني قد شاهدت ـ البرنس عبد القادر أفندي إبن مولانا السلطان عبد الحميد : قائد مائة ـ يمشي مع العساكر من دون تمييز بينه وبين قواد المائة الأخرين ، وإن قائد الرحى والقائم مقام يمشيان أمامه . وأما ما يلزم لهم من المؤونة في كل يوم :

ريال		عدد	يومية ضابط	المحكوم
15	فريق باشا	1	15	32 000
20	لوا باشا	2	10	16 000
28	أمير الاى	4	07	08 000
20	كاتب الاى	4	05	00 000
40	قائم مقام	8	05	04000
96	قائد الرحى	32	03	01 000
64	خليفة قائد الرحى	32	00	00 000
64	كاتب ألف	32	02	00 000
480	قائد مائة	320	01	00 100
640	خليفة قائد المائة	640	01	00 050
1467		1075		

فهذه ألف وأربع مائة وسبعة وستون ريالاً يومي . حصل بهم انتظام اثنين وثلاثين ألف عسكري . وإن قوادهم البالغين ألفاً وخمسة وسبعين : كما أنهم يعلمون العساكر المذكورة : يعمل لهم قانوناً في مجلس الملة بحركات خدمتهم في حفظ البلاد وجباية أموال الحكومة وغير ذلك . لأنه يلزم لكل حومة ستة منهم ، يخدم كل واحد في النهار أربع ساعات ، وفي الليل كذلك ، لحفظ الحومة والحوانيت التي بحو إليها : ومراقبة نظافتها وما يحصل بها . ويقبضوا على كل من

يمر عليهم في الليل من أهل الشبه ، مع كتابة كل شيء يشاهدوه مخالفاً إلى رئيسه قائد الرحى ، وهو إلى العامل ، والعامل : : إلى سيدنا نصره الله . وبذلك لا تخفى على جلالته شاذة ولا فاذة من أحوال الرعية ، لأنه في كل خمس حومات يعمل محلاً لجلوس قائد الرحى وخليفته وكاتبه ، لأجل مراقبة الأعمال المذكورة ، وفصل الدعاوى الصغيرة ، وأما الدعاوى الكبيرة ترفع إلى عامل المدينة ، وهم مسئولون عن كل شيء يحدث في الحومة ، وهكذا : يلزم لكل باب من أبواب البلدة ستة منهم على حسب الترتيب المذكور .

* * *

فإن قيل إن الحكومة لا تأمن تصليح الرعية خوفاً من اتفاقهم . فنقول : لا خوف من هذا الوهم ما دامت العدالة سائرة في البلاد حسبما قرره مجلس الملة ، وأحكامه معمول بها على الرئيس والمرؤوس من دون تمييز ، كما كان عليه النبي ﷺ وخلفائه الكرام ، فيصير الكل طائعين خاضعين لجلالة السلطان نصره الله تعالى ، على الأخص عند إعفاء الرعية من كل رسم مخالف للشريعة المطهرة ، فتضحي بلاد سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ خالية من الفتن ، لأن جميعها لا تحدث إلا بدعوى التعدي على الأحكام الشرعية ، وعدم الإنصاف في الرعية ، مع أننا لو حسبنا الواردات التي تجمع مخالفة للأحكام الشرعية ، والمصارف التي تصرف على تعليم العساكر اللازم تعليمها مع تسليحها : لوجد الربح للمخزن ، مع أن جل مصروف الدول هو مصروف العساكر ، مع أن الحكومة حينئذ تجتهد في ترتيب عساكر الطوبجية والخيالة وانتظامها ، والقيام باطعامهم ، وعمل قشلة لسكناهم ، مع تربية دوابهم ، كما هو جار عند الدول والدولة العلية العثمانية ، فبهذا الترتيب تحفظ البلاد ، ويعم الأمن ، ونسلم من اعتراضات الأجانب ، مع هيبتهم لجلالة سيدنا نصره الله تعالى .

المشروع الثالث في كيفية وجود مال داخلي يتيسر فيه
إجراء ما تطلبـــه أوربا من الإصـــلاح في بلاد سيدنا
نصره الله تعالى . مع موافقة ذلك للأحكام الشرعية .
ومع الحصول على إغناء الفقراء بالمملكة الشريفة

يشكل مجلس يسمى بمجلس الإسلام أو الأحباس في العاصمة . محتوياً على خمسة من العلماء : الأول : رئيس المجلس . ويسمى بشيخ العلماء . والثاني : نقيب على الأشراف ، والثالث : ناظر الأحباس . والرابع شيخ الفقراء . والخامس أمين . ولكل واحد من هؤلاء عدلان يقومان بالكتابة . فهذا المجلس يؤسس أعمال الأحباس والإجتهاد في عمارتها . وضبط وارداتها ومتصرفاتها وفضلتها في المملكة الشريفة ، وفي كل سنة يرفع هذا المجلس حساب جميع الأحباس إلى مجلس الملة للنظر فيه . وهكذا إلى الأعلى . ثم إلى سيدنا نصره الله تعالى . وإن هذا المجلس يتداول مع مجلس الملة بما يلزم إجراءه بفضلة واردات الأحباس في كل شيء يلزم للملة والدولة ، مقدماً بذلك الأهم فالأهم تحت متابعة خمسين قاعدة موافقة للشريعة المطهرة ، فإذا كان مثلاً يحتاج إلى عمل الدبيش بعد ربط الشروط اللازمة بين هذا المجلس ومجلس الملة في هذا العمل : يلحق هذا العمل لناظر مسجد القرويين مثلاً ، فيقوم المسجد المذكور بهذا العمل من فضلة وارداته . ويستدين جميع فضلات المساجد لتتميم هذا العمل . وبعد إتمامه تضاف واردات هذا العمل إلى واردات مسجد القرويين ، ثم يقوم بما استدانه من فضلة وارداته إلى المساجد ، ومثل ذلك يلحق عمل تنوير الكهرباء مثلاً لمسجد آخر ، وهكذا يجري العمل في كل شيء تحتاجه الملة والدولة : من سكك حديد وتشييد معامل للصنائع : مثل فبريكات وغيرها ، ولا يستبعد حصول ذلك ، لأنه يوجد في دولة المغرب أكثر من خمسة آلاف ما بين مسجد وزاوية ومدرسة ، وكل واحد مما ذكر يحصل به فضلة على الأقل خمسون ريالاً ، فيكون المجتمع في السنة فضلة الجميع 250.000 ريال ، وبالطبع تزيد أضعافاً مضاعفة عند الإجتهاد بتعمير محلات الأحباس وضبط أوقافها وحفظ وارداتها ، لأنه يعمل في كل بلد ولدى كل قائد أو قائدين مجلس فرع لهذا المجلس الكبير على نمطه ، يقوم بمراقبة ما لديه من أوقاف المساجد وغيرها ،

والإجتهاد في تعميرها . وزيادة ثروتها . ومحاسبة نظارها . مع مراقبة أعمالهم . ثم يرفع بتفصيل ما لديه إلى المجلس الكبير . كما يأتي شرحه في القواعد . وكل مسجد أو فعل خيري يجعل له هيئة مستقلة للنظر إلى أوقاف ذلك المسجد أو الفعل الخيري . حسب شرط واقفه : من البداءة بتعميره وتعمير أوقافه والسعي وراء تحسينها . مع النظر إلى الأوقاف الآئلة إليه : من تعميرها وحصر مستحقيها . وترفع هذه الهيئة حسابها في كل شهر مفصلاً إلى فرع مجلس الأحباس . كما يأتي شرحه في القواعد . فإذا جرى العمل على هذا الوجه المذكور تنحسن واردات الأحباس . فتكثر الفضلة . فيزداد في أملاكه . فتزيد ثروة . فتكون ذخيرة عند احتياج المدافعة عن الأوطان . وهذا مجلس أوقاف مصر متوفر لديه أكثر من عشرين مليوناً جني لما ضبطت وارداته ومتصرفاته . وسيدنا نصره الله إذا استحسن أن يجرب سنة في ضبط أحباس مدينة فاس على هذا النمط المذكور : يظهر له نتيجة ما حررنا . ولدينا ـ والحمد لله ـ تدابير شرعية غير هذا في إجراء الإصلاح الذي تطلبه أوروبا من دون احتياج إلى الإستدانة منهم ولا ضرر على الرعية . وأما قولنا إغناء الفقراء : فيعلم من القاعدة الثانية والأربعين الآتي ذكرها ، ولعمري إنها لخطة يلزم الإنتباه إليها ، أولاً : لشدة اعتناء الله تعالى بهذه المسألة أباح للعامل على الصدقات وعلى الفقراء بإلزامهم عدم الطلب عند وجود القوت الضروري : أخذ نفقته من مال الصدقات وإن كان غنيا .

وثانياً : مجاراة للأجانب : فإنك لا تجد عندهم فقيراً يطلب في الأسواق ، حتى اليهود الذين هم ذمة لسيدنا نصره الله تعالى مؤسسين قواعد لفقرائهم كما هو مشاهد . أفيليق بالمسلمين أن يتركوا هذه المسألة مع وجود واردات كافيات للفقراء . مستولية عليها أيادي الظلمة ، ويكون المسلمون بهمة أقل من همة اليهود ، لا والله ، وخصوصاً في زمن سيدنا نصره الله تعالى . الساعي في ترقي أحوال المسلمين . أيده الله بروح منه .

بيان قواعد أساس هذه الأعمال :

الأولى : يصير تشكيل مجلس في كل بلدة ولدى كل قائد أو قواد من عمال

القبائل : يحتوي على خمسة من العلماء : الأول : رئيسهم ويسمى بشيخ العلماء . والثاني : نقيب للأشراف ، والثالث : مأمور على الأحباس . والرابع : شيخ للفقراء ، والخامس : أمين ، ولكل واحد من هؤلاء عدلان يقومان بالكتابة .

الثانية : تتعين أيام الإجتماع في الجمعة ووقتها . للبحث عن تعلقات الأوقاف : من تحسينها وعمارتها ومراجعة حسابها . وعمن يلزم توظيفه فيه وفي متفرعاته . (راجع القاعدة الثالثة) .

الثالثة : لا يتوظف في هذا المجلس ولا في متفرعاته من وظيفة الإمامة والخطباء وتولية المساجد وغيرها إلا أن يكون من العلماء . وعنده الشهادة باقتداره .

الرابعة : يتعين معاش كافي لكل مستخدم في هذا المجلس ومتفرعاته حسب استعداد وظيفته ، لأجل أن يصير المستخدم مكتفياً ومنقطعاً على خدمته .

الخامسة : لا يعزل المتوظف في هذا المجلس ومتفرعاته إلا بخيانة أو إهمال لوظيفته .

السادسة : يلزم المستخدم أن يباشر وظيفته بنفسه ، ولا يجوز له أن يوكل إلا إذا طرأ عليه عذر شرعي مع الاستيذان ، وإلا يعد مهملاً في وظيفته .

السابعة : من أهمل وظيفته ثلاثة أيام يعزل عزلاً موبداً .

الثامنة : كل من يدعي على مأمور من هذا المجلس ومتفرعاته من خيانة أو إهمال لوظيفته يلزم إلزاماً جبرياً على إثبات ما ادعاه . (راجع القاعدة السابعة) . وإلا يحبس ذلك المفتري إلى ثلاث سنين .

التاسعة : من قبل خدمة ولم يحسن الإدارة في مصروفه من معاشه وإرداته فإنه يعزل عزلاً مؤبداً .

العاشرة : يلزم على كل مستخدم أن يحرر حساب نفسه من داخل وخارج وباق ، ويرفعه إلى رئيسه .

الحادية عشر : يلزم أن يوجد في هذا المجلس أربعة قيود : القيد الأول

قيد السجلات بأن يسجل فيه جميع الوقفيات . والقيد الثاني يحرر فيه حساب كل مسجد وفعل خيري من وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة والفضلة التي بقيت ، وحساب كل وقف آيل إلى ذلك بحذائه مبيناً فيه وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة وعدد مستحقيه ، والقيد الثالث يبين فيه إسم كل مستخدم في هذا المجلس ومتفرعاته ، مع بيان ثروته وترجمة حاله وحسابه . القيد الرابع قيد الدعاوى (راجع القاعدة الثامنة) .

الثانية عشر : تلتزم العدول بعد كتابة الوقفية أن يسجله في المجلس وفي هيئة الفعل الخيري الآئل إليه هذا الوقف . وبعد ذلك يسلمه لصاحبه . وكذلك الوصية .

الثالثة عشر : إذا أقيمت دعوى على وقف يلزم ناظر فعل الخيري الآئل إليه هذا الوقف أن يذهب مع متولي الوقف المدعي عليه لمشاهدته الدعوى والحكم ، ورفعه ذلك إلى المجلس . وكذلك إذا ادعى متولي وقف على أحد .

الرابعة عشر : يلتزم المجلس في كل سنة أن يحرر دفتراً مبيناً فيه واردات كل مجلس أو فعل خيري ومنصرفاته المقررة أو غير المقررة وفضلته ، وبحذائه واردات الأوقاف الآئلة إليه ، ومنصرفاته المقررة وغير المقررة ، وعدد مستحقيه ، وحسابات المستخدمين فيه وفي متفرعاته ، ويرفع ذلك إلى مجلس الإسلام .

القواعد المتعلقة في كل مسجد أو فعل خيري

الخامسة عشر : يصير لكل مسجد أو فعل خيري هيئة متركبة من الخطيب والمدرس وهما الكاتبان ، وناظر المسجد أو الفعل الخيري .

السادسة عشر : يلزم لكل هيئة ثلاثة قيود : القيد الأول قيد السجلات : يسجل فيه وقفية المسجد أو الفعل الخيري ووقفية الأوقاف الآئل إليه . والثاني : يحرر فيه حسابات ذلك من داخل ومنصرف ، والثالث : يحرر فيه حسابات الأوقاف الآئلة إليه .

السابعة عشر : يلزم في كل شهر التصديق من الهيئة على دفتر الحساب ورفعه

إلى مدير الأوقاف للتصديق عليه ، وفي كل سنة ترفع الهيئة إلى المجلس دفتراً مبيناً فيه وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة . وفضلته والدين الذي عليه وحسابات الأوقاف الآئلة إليه : من وارداته ومنصرفاته ، وعدد المستحقين فيه ، وحسابات المستخدمين في ذلك الفعل الخيري والآئل إليه .

الثامنة عشر : إذا لزم للمسجد أو الفعل الخيري عمارة أوقافها ولم توجد غلة تفي بذلك : يرفع ذلك للمجلس للاستدانة له من فضله مسجد آخر . ثم ترجع إليه عند توفر الغلة .

القواعد المتعلقة بالأوقات

19 : يلزم كل متولي وقفاً أن يرفع شرط الواقف إلى المجلس وإلى هيئة الفعل الخيري الآئل إليه ذلك الوقف لتسجيله فيهما . (راجع القاعدة التاسعة . والحادية عشر . والسادسة عشر) .

العشرون : من لم يرفع شرط واقفه يعد غاصباً ومهملاً ، ويلتزم في محاسبته من يوم استيلائه على الوقف ، مع تضمينه كل ما خرب فيه بسبب إهماله شرط واقفه من عدم بداءته بعمارة الوقف ، (راجع القاعدة السابعة) .

21 : يلزم مراعاة شروط الواقف .

الإثنين والعشرون : لا يجوز لناظر الوقف أن يصرف شيئاً للمستحقين والوقف محتاج للعمارة . وإلا يعد غاصباً ومهملاً (راجع القاعدة السابعة . والعشرين) .

الثالثة والعشرون : إذا خرب الوقف ولم توجد غلة تفي بتعميرها يستدان له من هيئة الفعل الخيري الذي يؤول إليه ذلك الوقف ، ويؤخر الصرف إلى المستحقين حتى يسدد دينه .

24 ـ يلزم ناظر الوقف أن يشرع في عمارة الوقف إذا حدث به شيء ، وإلا يعد خائناً ومهملاً .

الخامسة والعشرون : يلتزم الساكن في أماكن الوقف إذا حدث فيها شيء يوجب

العمارة أو التصليح أن يعلم الناظر .

السادسة والعشرون : يلزم الناظر في كل سنة أن يرفع دفتراً إلى هيئة الفعل الخيري الذي يؤول إليه ذلك الوقف ، مبيناً فيه واردات وقفه ومنصرفاته وتعيين مستحقيه .

القواعد المتعلقة بشيخ العلماء

27 : شيخ العلمـاء هو ناظر على أوقاف العلماء والمدارس ومواضـع التدريس .

28 ـ يجري في أوقاف العلماء والأشراف وأوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الفقراء ما يجري في أوقاف المساجد .

29 : يلزم شيخ العلماء أن يحرر أربعة دفاتر : الأول : يحرر فيـه أسماء العلماء الموجودين في بلدته ومحلات اشتغالهم . الثاني : يحرر فيه المدارس المعدة إلى الطلبة والمخصصات لها ، وما تكفي تلك المخصصات من الطلبة ، ويحرر مواضع التدريس التي لم توجد لها مخصصة لطلبتها ، والثالث : يحرر فيه أسماء الطلبة وتعيينه في المدارس وموضع التدريس ، والرابع : في درجة الطلبة التي يرفعونها المعلمون شهرياً .

الثلاثون : تتعين مدرسة من المدارس التي لطلبتها مخصصات : لقراءات الفنون العسكرية بها ، بعد استحضار الكتب المؤلفة في الفنون الحربية وترجمتها باللسان العربي ، على الأخص الكتب التي تقرأ في مصر بالمدارس العسكرية .

31 : لا يقيد في دفتر العلمـاء من لم يكن حائزاً على مرتبـة التدريس ، ويكون مشتغلاً بالإفادة .

32 : تنقسم المدارس ومواضع التدريس إلى قسمين : إما أن يكـون لطلبته مخصصاً أم لا ، ويتعين لكلا القسمين قراءة كتب مخصوصة ، ويصير نقل الطالب حسب استعداده إلى تلك المدارس .

33 : يقدم الفقراء في المدارس وموضع التدريس التي لطلبتها مخصصة .

أربعة وثلاثون : يلزم على مدرس المدارس وموضع التدريس أن يمتحن طلبته في كل شهر ، ويعطي الطلبة ثمرة حسب استعدادهم ، ويرفع بذلك لشيخ العلماء .

الخمسة والثلاثون : في كل سنة يجري امتحان المدارس ومواضع التدريس بحضور المجلس والأعيان ، وبحسب استعداد الطلبة يصير نقله إلى مدرسة أعلى ، فإذا تم طلبه في المدرسة النهائية يعطي شهادة في بلوغ درجة التدريس ، وحينئذ يجوز استخدامه في المجلس ومتفرعاته .

36 : ينتخب ممن حاز على رتبة التدريس للدخول في المدرسة التي خصصت لقراءة الفنون العسكرية .

السابعة والثلاثون : بعد استيفاء قراءة الفنون الحربية وأدائه الامتحان بذلك : يتعين خليفة قائد المائة ، وبعد ذلك يترقى حسب استعداده .

القواعد المتعلقة بنقيب الأشراف

38 : هو ناظر على أوقاف الأشراف . (راجع القاعدة الخامسة عشر . والثامنة والعشرين) .

39 : يلزم نقيب الأشراف أن يحرر دفتراً في أسماء الأشراف الموجودين في بلدته .

الأربعون : لا يقيد في دفتر الأشراف إلا من ثبت نسبه من جهة أبائه ثبوتاً حقيقياً ، مع متابعة جميع طرائق التحري .

القواعد المتعلقة بمأمور الأوقاف

41 : هو ناظر عام على جميع الأوقاف . وناظر خاص على أوقاف

الحرمين الشريفين . (راجع القاعدة الخامسة عشر والثامنة والعشرين) .

القواعد المتعلقة بشيخ الفقراء

42 : هو ناظر على أوقاف الفقراء والزوايا والمارستان . وعلى الأوقاف الموقوفة على عابر السبيل والغزوة ، وعلى تعمير الجسور ، وعلى الأسبلة ، وعلى الربيعة الموجودة في مقابر الأولياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، (راجع القاعدة الثامنة والعشرين) .

الثالثة والأربعون : يلزم أن يجري حساب كل واحد مما ذكر في القاعدة الثانية والأربعين على حدتها .

الرابعة والأربعون : يلزم أن يحرر دفتراً مبيناً فيه جميع الزوايا والمدارس ، ومواضع التدريس التي لطلبتها مخصصات ومخصصاتها ، وما يكفي من الفقراء . والمارستان وما يسع من المرضى .

الخامسة والأربعون : يلزم أن يعاين الفقراء ويقسمهم على ثلاثة أقسام : عاجز عن الأشغال مرة واحدة لكبره أو لتعطيل في أعضائه ، والثاني : عاجز بسبب مرض فيه ، والثالث : القادر على الأشغال ، وبموجب ذلك يحرر دفتراً مع بيان أسمائهم وأعمارهم وقابليتهم للصنائع .

السادسة والأربعون : أما القسم الأول فيصير وضعه في المحلات التي بها تعيينات دائمة ، والقسم الثاني يصير وضعه في المارستان مدة مرضه ، والثالث والثالث يشغل جبراً بنظر شيخ الفقراء .

47 : القادر على الأشغال إذا لم يحصل شغلاً يصرف عليه في اليوم الذي لم يحصل فيه شغل ، بشرط أن يكون غير ممتنع عن أي شغل يوضع فيه .

الثامنة والأربعون : أول ما يصرف على الفقراء من مال الصدقة والوصية من المحلات التي بها تعيينات دائماً ، ثم من واردات أوقافهم ، ثم من ربيعة الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم من كان قابلاً للتعليم يوضع في المدارس ومواضع

التدريس التي لطلبتها تعييناً ، فإن لم يف ذلك فيصير حينئذ التدبير بجمع ما يكفيهم من الأغنياء .

التاسعة والأربعون : يقدر المصروف الضروري الكافي لكل يوم للعاجز عن الأشغال والقادر الذي لم يحصل شغلاً ، مع إعطاء كل واحد منهم كسوتان : كسوة للصيف والأخرى للبرد ، ويلحق بذلك القادر الذي لم يبق عنده فضلة لأجل كسوته من أجرة أشغاله في تلك السنة .

الخمسون : إذا كان على إنسان كفارة يمين أو غيرها أو عنده صدقة : فليخبر بذلك شيخ الفقراء وعن قدرها ، وهو يخصص لن من يتناول ذلك . وكذلك يخصص فقراء يتناولون مرتبتهم من الوصي الذي عنده وصية إلى الفقراء إلى نفاذها ، والفقير الذي يتناول مصروفه مما ذكر لا يعطي له من صندوق شيخ الفقراء مدة تناوله من ذلك .

خاتمة

اللازم على كل عاقل أن لا يتهاون بقبول النصيحة وإن كانت ممن لا يعبأ به . بل يقدرها حق قدرها ، ويتدبرها حق تدبرها ، على الأخص إذا كانت موافقة للوقت وللشريعة الغراء ، لقوله ﷺ الحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها .

نسأله تعالى أن يبصرنا في عيوبنا ، ويرزقنا إصلاح أحوالنا ، ويلهمنا رشدنا ، ويجمع كلمتنا ، بحكمة أمير المؤمنين ، وحامي حمى الدين ، وابن سيد المرسلين .

اللهم أيده بما أيدت به رسلك وأنبياءك وخلفاءك ، وأملأ بدعوته أرضك ، وبدعائه سماءك ، واجعل عليك توكله واعتماده ، وفي سبيلك جهاده واجتهاده .

اللهم وأصلح الرعية والرعاة ، ومن هم بالمعروف آمرون وفي الخير سعاة ، وعم والدينا وأشياخنا ومن أحسن إلينا برحمة منك وغفران ، واجعل النبي ﷺ شفيعاً لنا حتى ندخل مع السابقين فرادس الجنان ، وصلى الله على سيد المرسلين ،

وآله وصحبه أجمعين ، آمين . يا رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قاله العبد الفقير ، خادم العلم الشريف ، بالحرم الشريف ، النبوي المنيف : عبد الكريم مراد ، الطرابلسي المدني ، عفا الله عنه ، آمين .

31 ـ مصورة خاتمة المشروع الدستوري بالملحق 68

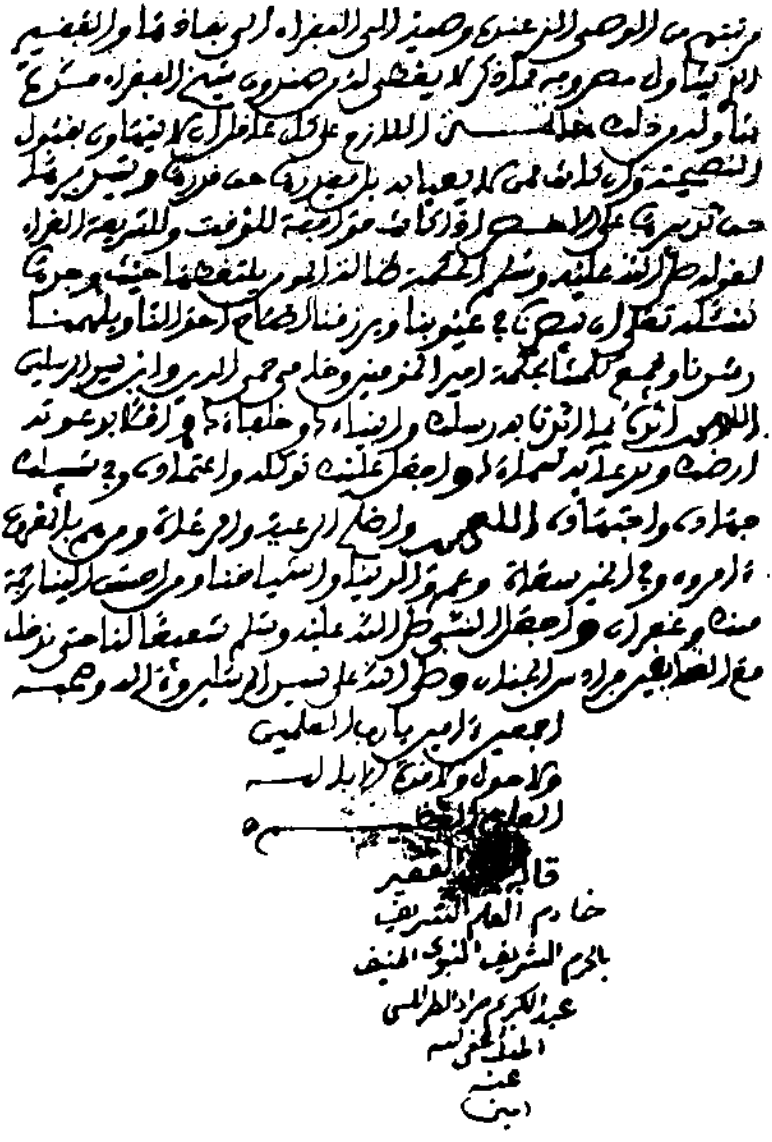

الباب العاشر

نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي

كما أشير له سلفاً : فإن الحاج علي زنيبر يستخدم الشعر ـ إلى جانب مذكرته الدستورية ـ في توجيهاته الإصلاحية ، وذلك ما يتناثر خلال ديوانيه الإثنين :

فيسمي الأول بـ « روح الأشواق ، على روح العشاق » ، ولا يعرف ـ الآن ـ إلا من خلال إشارة الشاعر له في افتتاحية ديوانه الذي اختاره من روح الأشواق .

وتحمل هذه المختارات إسم « منتخبات المشتاق . من أرج روح الأشواق » ، ولها مصورة على الشريط : خ . ع 1093 في 70 لوحة ، مع نسخة مخطوطة في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا .

فتتوزع بين منوعات الديوان الثاني : قصائد وطنيات ، يتجاوب فيها شاعرنا مع الأحداث المغربية ، فيندد ويتألم ، ويطرح الحلول ، في أسلوب يتسم بالغيرة القومية ، والحمية الإسلامية ، مع استخدام الرفق في مخاطباته ، والواقعية في مقترحاته ، وعند الاقتضاء يلجأ إلى التلميحات الهادفة بدلاً من التصريح .

وقد وردت القصائد المعنية في ديوان المنتخبات حسب هذا الترتيب :

1 ـ فكانت الأولى ضداً على ثورة الجيلاني الزرهوني ، فلذلك جاء عنوانها : « استنهاض همم العشائر . لقطع دابر الغادر الثائر » .
لوحة 48 ـ 52 من مصورة الديوان : 83 بيتاً على روي الراء من بحر الطويل .

2 ـ « درر عقد النصيحة بسلك الإبريز . لنحور حور جنة معارف مولاي عبد العزيز » : نصيحة موشحة على هامش احتلال بعض المواقع بالحدود الشرقية ،

نظمها يوم 5 ربيع الأول 1323 هـ .

لوحة 53 – 56 : 77 بيتاً .

3 – « تدبير الساسة : لإكسير السياسة » : في التنديد بجدوى المشاريع الفونسية المقترحة عام 1322/1904 .

لوحة 57 – 61 : 88 بيتاً على روي التاء من بحر الطويل ، ومنها مقتبسات عند الملحق رقم 69 .

4 – وبالديوان – أيضاً – قصيدتان وطنيتان : إحداهما بعنوان : « إنارة الأذهان بشموس العرفان » .

لوحة 61 – 62 : 34 بيتاً على روي الفاء من بحر الوافر .

5 – والأخرى : « نور فتح البصائر ، وفتح نور الضمائر » .

لوحة 62 – 65 : 57 بيتاً على روي الحاء من الكامل .

* * *

6 – فهي خمس قصائد موضوعية بديوان « منتخبات المشتاق ... » ، تضاف لها قصيدة تنتقد مقررات مؤتمر الجزيرة . ولهذا كان عنوانها : « مصباح الفلاح لمراجعة لائحة الإصلاح » .

وقد وردت بذيل مذكرة « حفظ الاستقلال ... » سابقة الذكر ، مخطوطة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ص 21 – 26 : 99 بيتاً على روي الراء من الطويل .

ومن هذه القصيدة مختارات هي موضوع الملحق رقم 70 .

7 – وهذه قصيدة سابعة للحاج علي زنيبر ، ولا يعرف منها سوى عنوانها : « إتحاف القراء بنتائج الجزيرة الخضراء » ، حسب إشارة بالمصدر الأخير ص 26 .

* * *

8 – نلحق – مرة أخرى – موشحة نظمها الشاعر السلوي بعد القضاء على ثورة الجيلالي الزرهوني : أيام السلطان الحفيظ عام 1327 هـ .

منها مصورة « خاصة » عن مخطوطة فقيد التاريخ المغربي المرحوم عبد السلام إبن سودة : في أربع لوحات تشتمل على 77 بيتاً ، ومنها ـ أيضاً ـ نسختان معروضتان في المكتبة الصبيحية بسلا .

ملحق 69

مختارات من قصيدة « تدبير الساسة لإكسير السياسة » نظم الحاج علي زنبير

تدبـــر عزيـــز الملـــك مطلـب جـــارة
ودبـــر عـــزيز السبـــك صُلـــب المبـــرة

إلى أن يقول :

ومن ذا الذي يرضـــى الدخيـــل يسـرْ بـــه
ولا وصلة الأرحام تقصي بعلـــــــــــة
وفي السرب مـــن يبـــدي السـداد برأيـــه
ويسري بعـير العـرب من غـير جـــذوة
ومن لـــم يكـــن في السرب خير عشـــــيرة
فغير أمين في انتهـــاج الأدلـــــــــة
لذا منـــع الأحبـــار كل وظيفـــــــــة
لغير خبـير طبـق حكـــم الأيمـــــــة
فكيف وليســـت للدخيـــل علاقـــــــة
فيعطـــى زمام القـــوم من خير ملـــــة

ثم يوجه الخطاب لأعضاء مجلس الأعيان الذين اضطلعوا بدراسة المطالب الفرنسية :

على أنـــه يهـــدي سنا بـــرق خاطـــــر
لوفد العزيز الشهم أهـــــل تحيـــــة
عساهم يـــرون الحـق من قبلـــة السنـــا
فيجـــلى لديهـــم كل منهـــم نهجـــــة
وينحـــون بالإعـــراب عن كل معجـــم
بدا من مبادي الجمع يقضي بوصمـــــة

لأنهـــم مجلـــى حقيقـــة رشد مـــــن
أتـــى باقتراح خوف تمزيق وحـــــدة

فكونوا كما أني أحرر قصد مـــــــا
تراه هداة العـــرب من حـــي قـــــدوة
وما من عـــلي القـــدر ألا يـــرى الـــذي
أبان حكيم العـــرب بـــين الأجلـــــة :
كتنظيم بوليس : فمـــن حي عامـــــر
على نسق الإصلاح في كل دولـــــة
وحفظ حدود الجـــار بعد رجـــوع مـــا
أغار عليه الحب من كل قطعـــــــة
وما خص بالتهريـــب من كـــل ساحـــل
وحد : فلِلْمتبـــوع عس الأعنـــــــة
وما قيل في حد الجـــزائر يقتضـــــي
له حكـــم فـــرع الأصـــل بعد الرويـــة
وإنشاء بنـــك لاعتماد حكومـــــــة
لـــدا دولـــة المولى يبقـــى لأوبـــــة
وتقريـــر أحكـــام لإدارة كلهـــــا
تدار بعـــرب الحـــي حزما بـــــعفة
وما يقتضيـــه البحـــث في الجمـــع بين مـــا
يســـن من التعـــديل ســـن الجبـــاية
على كـــل من في القطـــر من غـــير فـــارق

وإلا فـــلا إصـــلاح قط بفرقـــــة
وما روعـــي الإصـــلاح إلا إذا اقضـــى
بتعديـــل تعشـــير المراسي بهمـــــــة
ولا بحـــث إلا في مصالـــح قطرنـــا
ولا يحســـن الإصـــلاح إلا بنجـــــدة

وإدخـــال ما فيـــه التمـــدن طبـــق مـــا
يوافـــق شرع العـــرب خير وسيلـــــة
وما تـــم فيـــه البحـــث بلزم عرضـــــه
على الســـدة العليـــاء خـــوف الوقيعـــة
وأولى بـــذي العـــرفـــان في الجمـــع حصر ما
يدار من الأبحـــــــاث بالعربيـــــة
ولا بحـــث إلا بالكتابـــة رقمـــــه
وإلا فمـــا في البحـــث نفـــع بشرعـــة
وكل اقتصـــاد مس حقاً بشرعنـــــا
فغير مـــراد في الأمـــور المهمـــــة .

ديوان « منتخبات الاشواق ... » فيلم خ . ع : 1093 .

ملحق 70

مختارات من قصيدة « مصباح الفلاح لمراجعة لائحة الإصلاح »
نظم الحاج علي زنبير

عزيزي ومن بالبحث يسري بما أســـــري
ويجتاز في الإصـــلاح قيد ذوي أســـــري
وعين عيـــون الحـــق في كل طلعـــــــة
وعز دليـــل العـــرب في الندر والـسير
أعد نظـــــراً فيما تقـــرر عرضـــــــــه
على الســـدة العلياء من ساســـة العصـــــر
وقل ما تـــرى فالحـــق مرمـــي ذوي الهـــدى
ورايـــة أهل الحي في الطـــي والنـشـــر

إلى أن يقول عن الغاية من المؤتمر :

وإن أساس الجمع تحقيق وحـــــــــدة
لقطر لـــه استقـــلال ملـــك بلا نكـــــر
وكل انتحـــال فـــرع أصل بها النهـــي
وما القوس في الإصـــلاح يعطـــي بـــلا وتر
ولا ثروة في ثورة الجمـــع غنيـــــــة
ولا الجمـــر ــ في التطبيـــق ــ نوع من التمـــر
ولا بحـــث في الإصـــــلاح إلا بشرعـــسة
من العـــدل لاستيصال جرثومـــة الجـــور
وما الجـــور إلا هضـــم حق مسالـــــم
له دعـــوة الإصلاح في السبر للغـــــور
وهل جـــاء مندوبوا الملـــوك لغير مـــــا
يقي المغرب الأقصا من الغـــدر والمكـــر

وهل في اقتراح الجمع غير وسيلة
يصان بها ملك العزيز من القهر
وما القهر إلا أن يحاط بذي القضا
ويقضي على ذي السيف بالنبو والكسر
فما هي أسرار الدخيل بغير ما
تعزبه الأوطان في البر والبحر
وما العز إلا أن يكون عزيزنا
هو الأمر الناهي بمصلحة القطر

وبعد هذا يندد الشاعر بمقررات المؤتمر ، ويرى فيها نذر احتلال واختلال ، إلى أن يقول :

أخا السلم : إن العدل يقضي على النهي
بتعزيز ما يرضي العزيز بلا جبر
وما من بصير لا يقلب طرفه
بلائحة الإصلاح مستكملة الطور
وما هي أنواع التدرع للوغى
إذا كان مبنى السد ناراً بلا قطر
ترون وما منكم يقول بمرة
مبادي احتلال في حلي من البهر
وهل في احتلال غير سيطرة القضا
بكل انتحال يا دعاة الهوى العذري
وما المنع من إنشاء بنك بإسمنا
إذا كان من قسم الوجوب بلا قهر
ولو أن كل القائمين بنفعه
من الشهب لكن تستمد من البدر
وما البدر إلا المستضيء بشمس من
له وحدة السيار من فلك السر

وما السر في بنـــك يديـــره غيرنـــــا
ويقضي على المجمـــوع منا بما يُجـــري

وليس لنا إلا إتبـــاع ذوي القضـــــا
بمجلس «لا هي» في اختلاف على النـــزر

أتحمـــل أثقـــال التقاضي لغـيرنـــــا
ونربـــي كنـــوز الغير من حصص الوفـــر

أهذه أنـــوار التمـــدن في الـــورى؟
وهـــل كان نـــور السلم في اللـــذع كالجمر؟

نحاط ببوليس من الغـــرب مثـــل مـــا
يحاط القطابين الكواسر والصقـــــــر

فلو قيـــل للإصـــلاح: جيء بضـــابـط
غريـــب: فقَولي تحت ألويـــة النصـــر

وما النصـــر إلا بإنتشـــار مصـــــارف
تجيز انتظام الضبط من ضيعـــة المصـــر

وتحـــت شـــروط لو أخِـــل بـــواحـــد
لجيء بمن يرضي العـــزيـــز عـــلى الفـــور

يدرَّب بالتعليـــم مهمـــا تنوعـــــت
مبادي النظـــام: العربَ في الفـــر والكـــر

وليس لـــه بين الأجـــانب وصلـــــة
تجيز له كشـــف التدرب للغـــــــير

لأن اطـــلاع الغـــرب عن منعـة الحمى
إباحـــة ممنـــوع ووصمـــة ذي القـــدر

وحكـــم جواز الضبط للغـــرب أن تـــرى
بكل انتظام تحت حكـــم ذوي الـــوكـــر

وكل اصطـــلاح في المصالـــح كلهـــا
على غير زي الحي زرع عـــلى صخـــر
وكـــل امتيـــاز لا يقـــرر نفعـــــه
لقطر عزيـــز فهو ضرب مـــن الخسر ...

- القصيدة واردة بذيل مذكّرة « حفظ الاستقلال ... » مخطوطة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا . رقم 7

الباب الحددي عشر

البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف

لن يتناول هذا العرض المطبعة الحجرية ، وهو موضوع تناوله الجزء الأول من الدراسة[1] التي نذيل عليها ، والقصد ـ هنا ـ إلى المطبعة المركبة على الحروف .

وقد وصلت إلى المغرب ـ أواسط القرن 19 ـ مع الحملة الإسبانية سنة 1860/1276 ، فاستخدمها ـ في تطوان ـ قادة الحملة لطبع صحافتهم المحلية باللغة الإسبانية .

وأول مطبعة دخلت طنجة كانت عام 1870/1287 ، حيث زودت بها جريدة الإتحاد الإسرائيلي » : (عين طنجة) ، الصادرة بالفرنسية .

وتعتبر سنة 1884/1302 : هي موعد ظهور المطبعة التي تنشر بها جريدة « الأيام المغربية » بالإنكليزية ، وكان بها قسم مجهز بالحروف العربية ، وفيه طبعت أول جريدة عربية مغربية : « المغرب » عام 1889/1306 .

ويبدو أن هذا القسم كان مجهزاً تجهيزاً مناسباً ، فتعلن جريدة « المغرب » بالعدد 11 : أنها قادرة على طبع ما يطلب منها بأسعار متهاودة ، وعلى أتم ما يكون من الضبط والإتقان .

وتضيف : أنها مستعدة لمراعاة الإصطلاح المغربي في تنقيط حرف القاف بواحدة من أعلا ، والفاء من أسفل .

ومن السنوات الأولى من القرن 20 : بدأت الطباعة العربية السلكية تشيع

---

1 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/ 257-315

في العاصمة الدبلوماسية ، فيرد في جريدة « السعادة » بعدد 12 مارس 1906 :

« والسعادة تطبع في طنجة في المطبعة المغربية بزقاق تطوان .
وعند السيد محمد ولد عبد العزيز في السياغين .
وفي مطبعة شلون بن حيون بزقاق مصطفى .
وعند بوناردیل في حومة القاضي .
وعند إسرائيل حومة امفيشاط » .

وقد كانت « المطبعة المغربية » المشار لها أول هذه الفقرة : اشتهرت ـ أكثر ـ في طنجة ، فتطبع بها جريدة « الصباح » ثم « مجلة الصباح » .

وبها ـ أيضاً ـ نشر « عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء : في نصيه العربي والفرنسي سنة 1907 ، مما يشير إلى أن « المطبعة المغربية » كانت مجهزة بالحروف العربية واللاتينية .

مطبعة لسان المغرب بطنجة :

وقد كانت المطابع الأولى بطنجة : في ملك بعض الأجانب والإسرائليين ، وأول مطبعة في ملكية عربية بالمدينة ذاتها : هي مطبعة جريدة « لسان المغرب » ، حيث صدر أول عدد منها 24 ذي الحجة 1324/8 فبراير 1907 .

صاحبا المطبعة : هما الأخوان فرج الله نمور المدير السياسي للجريدة ، وأرتور نمور رئيس تحريرها ، وقد استحضرا للمطبعة المواد اللازمة لاستكمال تجهيزها : من المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

ولا يعرف ـ الآن ـ من منشوراتها سوى « لسان العرب » . مع ملحق بعنوان « دفاع لسان المغرب عن حقوق جلالة السلطان عبد العزيز ... » . حيث صدر بتاريخ 25 جمادي الثانية 1326/26 يوليوز 1908 . وقد أعلنت بالعدد الأول استعداد مطبعتها لنشر كتب علمية وسواها .

ثم كان مصيرها أن اشتراها السلطان الحفيظ أواسط عام 1327/1909 ، وأمر بتوجيهها إلى مدينة مراكش حيث تفككت أجزاؤها .

32 ـ الصفحة الأولى من احد المنشورات في مطبعة احمد

هـــــذا شرح الشيخ الامام ، العالم
العلامة الهمام، ابي عبد الله سيدي محمد
ابن محمد المامون الحضيي المراكشي
على صغري الشيخ السنوسي
رحمها الله ورضي عنهما
آمين

طبع على نفقة المطبعة

١٣٢٤
ســـنـــــة
مطبعة احمد يمني
بفـاس

مطبعة أحمد يمنى[2] بفاس :

وتعتبر أول مطبعة عربية سلكية دخلت لفاس ، وظهرت مطبوعاتها الأولى عام 1907/1324 ، مما يرجح أنها تأسست في هذه السنة ، ثم استمرت منشورتها تظهر إلى عام 1908/1326 ، حسب اللائحة التالية بالنسبة لما وقفت عليه .

1 ـ « ثمار المزهر » ، وهو ترجيز مختصر لكتاب « المزهر » للسيوطي ، من نظم الشيخ ماء العينين الشميجيطي : عام 1324 ـ 116 ص ، وقد يكون أول منشورات هذه المطبعة .

2 ـ « مورد الشارعين في قراءة المرشد المعين » للشيخ عبد الصمد كنون : عام 1324 ـ 111 ص .

3 ـ « المرافق على الموافق » ، للشيخ ماء العينين : شرح فيه نظمه لكتاب الموافقات للشاطبي : عام 1324 ـ 565 ص .

4 ـ ولنفس المؤلف « منظومات رجزية في التصوف » : عام 1324 .

5 ـ « شرح العقيدة السنوسية الصغرى » للشيخ محمد الحفصي : عام 1324 ـ 68 ص .

6 ـ « معيار الاختيار ... » تأليف لسان الدين ابن الخطيب : عام 1325 ـ 54 ص .

7 ـ « السر الحقي الامتناني ... » للشيخ محمد عبد الحي الكتاني : عام 1325 ـ 287 ص .

8 ـ « منتخب التصوف ... » للشيخ ماء العينين : 1325 .

9 ـ ختمة المقدمة الأجرومية للشيخ محمد بن عبد القادر ابن سودة : عام 1326 ـ 24 ص .

---

2 ـ لا تزال ترجمته غير معروفة . وورد ذكره باسم « الدكتور أحمد يمنى أفندي » : في مجلة « المقتبس » ج 10 من المجلد الثاني : شوال 1325/ نوفمبر 1907 ـ ص 547 .

وفي آخر هذه السنة إشترى السلطان الحفيظ هذه المطبعة[3] . ووظف صاحبها للعمل بها ، وصار مقرها داخل دار المكينة في فاس الجديد ، فطبعت فيها الأعداد التي ظهرت من جريدة « الفجر » ، وعنها ـ أيضاً ـ صدرت جملة من المنشورات العلمية باسم « المطبعة المولوية » .

وبعد عام 1912 أضيفت لبلدية فاس باسم « المطبعة البلدية » ، واستمرت بمقرها الأول ، وفيها كانت تطبع جريدة « أخبار تلغرافية » ، كما نشر بها بعض « المؤلفات العلمية » .

وبعد ذلك اشترتها ـ من البلدية ـ شركة فاسية ، ثم انتقلت ـ عام 1350 ـ إلى ملكية الشريف عبد العزيز بو طالب ، وهي التي كانت بفاس في حي الطالعة رقم 14 باسم « المطبعة الجديدة » .

وإلى هنا ينتهي عرض ظهور المطبعة السلكية بالمغرب الحديث ، إستناداً إلى بعض الاستجوابات والتحريات لجملة من المنشورات بهذه المطبعة ، فضلاً عن الاقتباس من المصادر التالية .

1 ـ جريدة « المغرب » الصادرة في طنجة : 1306/1889 : العدد 11 .

2 ـ مجلة الصباح الصادرة بطنجة .

3 ـ « الصحف والصحفيون بطنجة في القرن التاسع عشر » للاستاذ ج . ل . ميج : مجلة « هسبريس » سنة 1954 ص 191 ـ 228 .

4 ـ « الصحافة المغربية » للأستاذ زين العابدين الكتاني ، مطبعة فضالة : ج 1 .

5 ـ « نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها » ، للأستاذ علال الفاسي : جريدة « العلم » : عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971 .

---

3 ـ جريدة « السعادة » : عدد 243 ، بتاريخ الثلاثاء 28 ذي القعدة 1426/22 ديسمبر 1908 ـ ص 3 .

6 ـ وللأستاذ الإسباني كارسيا فيكراس كتاب « صحافة تطوان وافريقيا » . ط . تطوان 1949 .

ملاحظة :

كان من مؤشرات تطور المغرب خلال هذه الفترة : ظهور صحف عربية جديدة . وهو موضوع يعكف على دراسته الأستاذ الباحث الشيخ زين العابدين الكتاني . فنشر الجزء الأول من كتابه « الصحافة المغربية » . وبعد ـ الآن ـ لإصدار الجزء الثاني .

فلذلك نتجاوز هذه النقطة ، ونحيل على الكتاب المنوه به ، كما نشير إلى الفصل الثاني من الباب السادس من دراستنا هذه : بعنوان « ظهور لسان المغرب كأول جريدة عربية ناطقة بلسان الدولة » .

الباب الثاني عشر

المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت

الفصل الأول
وقائع المقاومة

مقدمة :

عرفت هذه المرحلة احتلالاً فرنسياً سافرا لعدة جهات مغربية ، بدءا من وجدة ، إلى الشاوية ، إلى مناطق أخرى بالمغرب الشرقي وتافيلالت .

وقد وقع احتلال وجدة عند صبيحة الجمعة 14 صفر 1325/ « 29 مارس 1907» ، بجيش ـ كامل التجهيز ـ قوامه نحو خمسة آلاف من المشاة وألفين من الفرسان ، حسب الملحق رقم 71 .

وفي الشاوية : بدأت البارجة الفرنسية « جاليلي » تقصف الدار البيضاء بالقنابل فجر يوم الإثنين 25 جمادي الآخرة 1325/5 غشت 1907 ، ثم امتد الإحتلال ـ خارج المدينة ـ إلى قبائل الشاوية عبر مراكز مديونة فابن رشيد فسطات ، وحيناً كان هذا الزحف قد اجتاز نهر أم الربيع غرباً ، فاحتلت الجنود الفرنسية مدينة أزمور في طريقها إلى مدينة مراكش .

وفي المغرب الشرقي وتافيلالت أخذت جيوش نفس الدولة تتعدى الحدود بهذه المنطقة ابتداء من أواسط عام 1324/1906 ، ثم احتلت مركز « المنقوب » عام 1325/1907 ، وبعد ذلك جبل بني يزناسن في ذي القعدة 1325/1907 .

* * *

ونسجل هنا أن هذه الاعتداءات قابلها المغاربة بأعنف مقاومة ، خصوصاً

في الشاوية وتافيلالت ، وهو ما نحاول تبريزه فيما يلي :

أولاً : في الشاوية :

ففي الشاوية : إجتمعت قبائلها على مقاومة التسرب . ويذكر من رؤوسائهم أسماء الأحمر بن منصور ، وعمرو الغنيمي ، ومحمد بن الطيب البوعزاوي : كل في ناحية ، كما يأتي في طليعة فرق الشاوية قبيلة المذاكرة ، وتحت قيادة رشيدة : قاموا ـ جميعاً ـ بحروب طاحنة ضداً على المحتلين ، حيث ابتدأت في 5 غشت 1907/ « 25 جمادي الآخرة 1325» ، واستمرت يوماً فيوماً حتى استقر الأمر للحفيظ .

ومن بين الوقائع التي كان للشاوية فيها ذكر وأي ذكر : معارك 8 ، 10 ، 11 غشت 1907 ، ثم معارك 14 ، 18 ، 21 غشت ، ثم معركة 3 سمتنبر 1907 ، وموقعة 14 يناير 1908 .

ولتقييم هذا الكفاح الوطني شجاعة وبراعة حربية . نسوق ـ هنا ـ طائفة من الاعترافات التي سجلها الخصوم عن صدق دفاع المغاربة عن منطقة الشاوية . إنطلاقاً من مراسلة لمكاتب جريدة « الماتان » بالبيضاء ، حيث يقدر أعداد المجاهدين بـ 5.000 مغربي مرابطين على أبواب هذه المدينة ، ويضيف قائلاً :

« ... وأنه لمن الخطاء العظيم أن نستهين بقوة المغاربة ، ونزعم أنهم لا يقوون على ملافاتنا ، وأن معركة واحدة تفصل بيننا وبينهم ، إذ القوم ذوو بأس كبير . وعناد شديد ، وشجاعة فائقة ، ولديهم ذخائر وأسلحة من الطراز الأخير ... » .

وبعد جريدة الماتان ، نشير إلى جريدة « الطان » الباريسية . وقد قابل مراسلها الخصوصي الجنرال درود قائد جيش الإحتلال ، وسأله عن التأثير الذي شعر به حين رؤية المقاومين المغاربة .

فأجابه الجنرال : إني لم أرهم إلا عن كثب ، وقد ظهر لي أنهم يستخفون بالموت كل الاستخفاف ، ويستقبلون النيران بكل جرأة وإقدام . ولقد حدثت

معركة 14 غشت ، فتحصن منهم 340 في منزل حقير ، فشيت إليهم في ثلاث أورط من الجنود ، وقذفتهم بقنابل الملنيت فخسروا خسائر عظيمة كما تعرف . وانتشر من دخان القنابل روائح قتالة ، ومع ذلك رأيتهم لما تبدد الدخان ، فإذا بهم لا يزالون يطلقون الرصاص .

وعن معركة 18 غشت : « الإثنين 9 رجب » نشرت جريدة اللواء المصرية وصفاً مطولاً في عدد 2426 ، بتاريخ يوم الثلاثاء ، 18 رجب 1325/27 غشت 1907 ، حيث استقته من جريدة « الطان » الباريسية ، ونقتطف من ذلك ما يلي :

« حملت المغاربة على المراكز الفرنسوية في الساعة السابعة ونصف من صباح هذا اليوم ، وأحاطوا بها على شكل نصف دائرة ، وأخذوا يطلقون الرصاص على المراكز الأمامية وحينئذ دوت أصوات المدافع من الطراد « جلوار » ، فأيقظت المدينة النائمة . وزلزلت ما بقي منها من المنازل . وعقبها دوي أخف من دويها . وهو دوي المدافع الجبلية ، وبقي الفرنسوية فترة من الزمن مدافعين غير مهاجمين ، والعرب تغمرهم من كل جانب غير مكترثين بقنابل البوارج ، حتى كانت المسافة التي تفصلهم عن صفوف الفرنسويين لا تزيد عن سبعمائة متر ...

وبينما جرت المناوشات من هذا القبيل بين قبيلة وأخرى من المغاربة والفرنسيين والجزائريين : إذ الأرض امتلأت عرباً من الذين كانوا كامنين خلف التلول والأشجار والصخور والجبال ، وحملوا على صفوف الفرنسويين بجرأة وإقدام ، حتى لم يبق بينهم وبين هؤلاء غير مسافة قصيرة جداً ، وهم لا يبالون بما كانت تقذفه المدافع من أفواهها ، فوقع الإضطراب في صفوف الفرنسويين ، ونشبت معركة هائلة بين الفرنسويين ، أظهر فيها المغاربة شجاعة نادرة ، وجرأة غريبة ، واستخفافاً بالموت إلى آخر درجات الاستخفاف ...

ثم لاح غبار من خلف تل صغير . فحسبه الفرنسويون غباراً مثاراً من أقدام نجده جاءت إلى المغاربة ، فأصدر الجنرال درود أمره باطلاق المدافع على هذا الغبار ، فأطلقوها بكثرة وسرعة ، فهدموا التل الصغير ...

---

1 ـ جريدة « اللواء » المصرية ـ عدد 2423 : السبت 15 رجب 1325/24 غشت 1907 . والنقل هنا عن نسخة من المقال . حسب التوضيح عند ص 279 .

وتقول جريدة « الطان » التي ننقل عنها هذه التفاصيل : إن المغاربة استحقوا الإعجاب العام بمهارتهم في إطلاق الرصاص ، وثباتهم في مواقف القتال ، وقد هزمت الخيالة الفرنسوية إلى حدود المدينة تقريباً ، وهناك وجدوا بعض الحدائق الخربة فاعتصموا بها . وتواروا خلف حجراتها . وفي أثناء ذلك كان الفرسان المغاربة يظهرون ـ حيناً بعد حين ـ فوق الأكام ، فيطلقون الرصاص ثم يتواروا (كذا) ، وكانت الجنود الفرنسوية والجزائرية يوالون إطلاق الرصاص بشدة ، ولكن لم يكن أمامهم غير نفر قليل من فرسان المغاربة .

وكان يتولى القيادة العامة على المغاربة : رجل ظهر ـ من حسن قيادته للجنود وتفننه في التدبير ـ أنه على جانب عظيم من العلوم بالفنون الحربية ... » .

وهنا نقف بهذه المقتطفات من جريدة « اللواء » ، بعدما حذفت منها تفاصيل كثيرة عن تدخلات الجنود الجزائريين في المعركة .

ونلتقي ـ الآن ـ مع عدد آخر من الجريدة ذاتها ، وهو الذي يحمل رقم 2428 بتاريخ الخميس 30 رجب 1325 ، وقد جاء فيه :

« فلقت خواطر الفرنسويين ، وتبين في الوقائع التي حدثت بين جنودهم وبين المغاربة في ضواحي الدار البيضاء : أن رماتهم لا يحسنون تسديد الرماية ، وأن المغاربة أرشد منهم رمياً ، وأخف حركة ، وأنه لولا الجنود الجزائرية والبوارج الحربية لظهر المغاربة عليهم حتماً ...

ثم تنقل نفس الجريدة عن شخصية فرنسية قولها : « وهذه معركة 21 غشت لم يلق فيها من القنابل أقل من 260 قنبلة ، ومع ذلك لم ننتصر نصراً كبيراً ، ولم تؤثر القنابل شيئاً خطيراً ، على ما تعرف من النفقات الكثيرة التي نتكبدها في كل قنبلة نطلقها :

فإن ثمن القنبلة التي نطلق من مدفع عياره 605 مليمترات : يبلغ 5333 فرنكاً .
وثمنها من المدفع الذي عياره 274 مليمتراً : 2420 فرنكاً .
ومن المدفع الذي عياره 164 : 480 فرنكاً » .

وهذه شهادة من كليمنسو رئيس وزراء فرنسا : في حديث له مع مراسل

جريدة « الإيكودي باري » يقول فيه : « إني لا أخفي عنك أن المغاربة أظهروا شجاعة نادرة ، وتفنناً غريباً في أساليب القتال ، ولولا شدة حذر الجنرال درود وترقبه حركاتهم بكل إمعان ، وسهر الجنود ليل نهار : لاشتدت جرأتهم علينا ، ولزادوا متاعبنا .

هذا : ولا أخبار جديدة أخبرك بها ، لولا أن القوم طلبوا من الجنرال درود هدنة للمفاوضة في عقد الصلح ، ولا أظنهم قبلوا ذلك لجلد فارقهم ، وشجاعة تركتهم ، لأنهم في المعركة الأخيرة التي حدثت يوم 3 الجاري : « شتنبر » ، كانوا أكثر منهم عزماً في المعارك الأولى ، بقي أن في الأمر حيلة ، وأظنهم يقصدون بها الراحة قليلاً ، حتى ينظموا صفوفهم وتأتيهم النجدات[2] » .

وإلى هذه الشهادة وما تقدمها من اعترافات : نبرز الانتصار العظيم الذي حققه المجاهدون في موقعة « أكْرَارَ » يوم 10 حجة 1325/ « 14 يناير 1908 » ، فإن فريقاً من مديونة وابن رشيد اتصلوا بقيادة المعتدين في الدار البيضاء ، وأظهروا موالاتهم للحكام الجدد ، حتى استدرجوا منهم جيشاً جراراً توغل إلى مديونة ، فابن رشيد ، ثم قصد سطات ، والهدف هو احتلال مراكش ، غير أن المغامرين وهم في الطريق إلى سطات : اعترضهم ـ بالمكان المعروف باسم اكْرَارَ ـ رايات المسلمين وخيولهم ، في جموع غفيرة لم تلبث أن أحدقت بالجيوش المغيرة ، ونشبت معركة حامية دامت سائر يوم عيد الأضحى : من الصباح إلى الغروب ، ثم أسفرت عن هزيمة ساحقة للمعتدين ، حسب التفاصيل بالملحق 72[3] .

ونختم هذا العرض عن بطولات المكافحين في الشاوية ، بتسجيل مبادرة شجاعة ومومنة إلى حد كبير ، قام بها أحد الرؤساء المرموقين ، في معركة شبت بناحية مدينة سطات ، فإنه بمجرد ما ترأى جيش الإحتلال الزاحف : للقائد المصوبر الزمراني ، شد حيازمه ، وصار يحرض الناس ويصيح فيهم : الجهاد الجهاد ،

---

2 ـ نفس « الجريدة » ، عدد 2429 : السبت 22 رجب 1325/31 غشت 1907 .

3 ـ من الجدير بالملاحظة أن مضمون الوارد بالملحق : تؤيده رواية القصيدة الزجلية : « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » ، حيث سيرد نصها عند الملحق 81 .

الجنة فتحت أبوابها ، وهو يخوض في الميادين مستبسلاً مستقتلاً . والقنابر تتساقط أمامه وخلفه ، وهو لا يزيد إلا ثباتاً وقوة ، وركضاً على فرسه يميناً وقداماً ، طالباً الشهادة ، عازماً أن لا يتأخر ولا يرجع بأي وجه كان ، وهكذا استمر حتى أصابته قنبرة ذهبت بنصفه الأعلى ، رحمه الم رحمة واحعة[4] .

ثانياً : في تافيلالت :

وستكون هذه البطولة النادرة خاتمة ما أتمكن العثور عليه ـ الآن ـ من روائع النضال ضد الاحتلال بالشاوية ، ليأتي ـ بعد ذلك ـ عرض ملامح الكفاح المسلح بتافيلالت .

وكما رأينا في صدر هذا العرض ، فقد بدأ التحرش الفرنسي بالحدود المغربية في هذه المنطقة من أواسط عام 1324/1906 ، حيث بدأ تعاهد القبائل الصحراوية على الدفاع ضد المعتدين حسب الملحقين رقم 73 ، 74 .

وفي عام 1325/1907 ـ كما علمنا سلفاً ـ احتل الجيش الفرنسي مركز « المنقوب » ، وهو لا يبعد عن مدينة بو ذنيب إلا بـ 138ك . م ، فأثار هذا الاعتداء حمية أحد ذوي الغيرة الإسلامية من العلماء الملتزمين ، وهو مولاي أحمد بن الحسن السبعي ، الشريف السعروشني ، فقام يحرض على الجهاد بخطبه ومواعظه ، ويصرخ بذلك في القبائل الأمازيغية : من إخوانه آيتسغروشن ، مع آيت يزدك ، وآيت مرغاد ، وآيت خباش ، وآيت عطه ، وآيت يوسي ، وبعض قبائل الصحراء : كأولاد جرير ، وأولاد الناصر ، وبعض ذوي منيع .

وذأب العالم السغروشني على دعوته للجهاد ، حتى التأمت عليه جموع غفيرة تقدر بزهاء خمسين ألف مقاتل ، فكان اجتماعهم الأول في مركز « بوذنيب » ، ثم تقدموا إلى « عين الشعير » ، ولما تكامل انتظامهم عدداً وعدداً تحركوا نحو « المنكوب » حيث الجيش الفرنسي ، فصبحوه وحمي وطيس المعركة ، وتقدموا

---

4 ـ « كِفاء العنبر ... » تأليف مؤرخ الأطلس المتوسط : أحمد بن قاسم المنصوري ، فيلم خ . ع 946 : لوحة 154/1 .

نحو المعسكر مهاجمين ، وجل المجاهدين رجالة ، وفيهم قليل من الخيل . ورئيسهم مولاي أحمد السبعي ـ على بغلة قصيرة ، وهو أيضاً قصير ـ يصيح فيهم : « دونكم ، دونكم ، أبواب الجنة مفتوحة » ، فإذا سمع هدير المدفعية تقعقع ينادي : « هذه زكاريم أبواب الجنة تفتح لكم » ، وهكذا أخذوا يتقدمون حتى احتلوا مركز « المنكوب » ، وتصدع شمل العدو في اليوم الأول .

وحسب المصدر[5] الذي نستقي منه خبر هذه المعارك : فإن المجاهدين اكتفوا باحتلال « المنكوب » ، ولم يتتبعوا العدو لمطاردته إلى خارج الحدود . وبذلك تركوا له الفرصة لإعادته الكرة ، فقد أعاد تنظيم قواته . ونصب المدافع على المرتفعات والمنعرجات ، وبعد يومين أو ثلاثة من خروجه من « المنكوب » . شن جيش الإحتلال على المجاهدين حملة شعراء ، وصب عليهم وابلاً من القنابر التي حصدتهم حصداً ، فانسحب الباقون منهم ـ بقيد الحياة ـ إلى بو ذنيب حيث خيموا بها ، وتسامع الناس بمصير هذه المعركة في أنحاء المغرب ، فقامت غيرة دينية في جميع القبائل الأمازيغية والصحراوية ، وقام بعض كبار الأشراف والأعيان ـ بدورهم ـ يجمعون الجموع ، وينادون للجهاد .

فتوافد إلى مدينة بوذنيب قبائل كثيرة ، حيث اجتمعوا برؤساء القبائل وقوادها والأشراف وغيرهم ، ولكن الرئاسة الكبرى لمولاي أحمد السبعي الذي كان له الفضل الأول في مناهضة العدو ، ولكونه أعلم من هناك ، إلى تواضع ونكران ذات وإظهار مسكنة ، في أوصاف أخرى ملك بها مشاعر الناس .

وفي بوذنيب مكث المجاهدون ـ أياماً وربما شهوراً ـ يتبادلون ـ خلالها ـ الرأي لاختيار مركز منيع يناجزون منه العدو ، ويكونون ـ إلى حد ـ في مأمن من التعرض لإصابات قنابر جيش الإحتلال ، فقد دلتهم التجربة الأولى على خطر المدافع على العزل منها .

وبينما هم كذلك إذ علموا بهجوم العدو عليهم في اليوم التالي . فأغدت طائفة منهم

---

5 ـ هو « كفاء العنبر » : المصورة المشار لها في التعليق الأخير .

السير بسحر ، وخرجوا على أطراف بوذنيب ، فإذا هم وجهاً مع الجيش المهاجم ، فالتحموا معه قتالاً ـ كراً وفراً ـ حتى سمعت أصوات المدافع مدوية في جموع المسلمين المعسكرين ببوذنيب .

فتسارعوا للمعركة ، واشتد القتال ، وكثرت الطلقات المدفعية ، والقنابر منها تحصد الناس حصداً . والعلامة مولاي أحمد السبعي ـ على بغلته ـ يصيح في الناس . ويحرض على الثبات ، ويرغبهم في الشهادة : غير هياب ولاوجل ، فيلح عليه أعيان القبائل بالتحيز وعدم المغامرة ، فيابى إلا الأمام .

واستمر القتال من السحر بليل إلى الغروب من غده ، وكان يوماً شديداً ، والزمان زمان صيف ، وصحراء بوذنيب حارة ، والماء نزر أو معدوم في بعض الأماكن ، فتلف الناس بهذا ، وبصمودهم في وجه العدو ، والقتلى تتساقط من قدام وخلف ويمين وشمال ، ولا أحد تحدثه نفسه بالفرار ، إستماتة في سبيل الله .

ولما انفصلت المعركة بالليل ، بات الناس في شدة : من جوع وعطش ودفن الموتى وضماد الجروح ، مما شغلهم عن التجهير للقاء العدو ، حتى أخذ لهم ـ من الغد ـ جادة الطريق نحو مدينة بوذنيب ، فلم يشعروا به إلا وقد أحدق بأسوارها .

فكانت المقاومة على أشدها مما تجاوز حد الاستماتة ، وصار المجاهدون يتساقطون ـ من جراء طلقات المدافع ـ في أطراف المدينة وداخلها وعلى أسوارها ، فتطير أشلاؤهم ، وتتفتت أمعاؤهم ، وتطوح القنابر برؤوسهم ، وهم ثابتون ، لا يسمع منهم إلا كلمات :

لا إله إلا الله . محمد رسول الله .
اللهم صل عليك يا رسول الله .

يقولونها بأصوات مرتفعة ، ويتداخلون مع المحتلين في كل ركن ومنعرج من المدينة فيصطدمون بالمجاهدين ، « يقاتلون فيقتلون وعدا عليه حقاً في التورية والإنجيل والقرآن ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ، الآية 112 من سورة التوبة .

هذا كان حظ المجاهدين ، أما الجيش الفرنسي فقد احتل مدينة « بوذنيب » ، ثم تقدم إلى كُرامة » و« زكّارة » وما إليهما .

وقد استغرقت هذه المحاولة الجهادية أزيد من عام ونصف . وهي وإن لم تأت بنتيجة إيجابية في مقاومة المستعمر ، فقد هيأت الجو من آخرين ، وبعثت فيهم شعوراً استفاد منه المكافحون الآتون بعدهم ، كمحمد وحم ، وموحى وسعيد ، وسيدي علي أمهاوش . وأتباعهم . وكذلك آل الشيخ ماء العينين في سوس .

* * *

ومن الجدير بالذكر أن نهاية المقاومة في هذه الظروف بكل من تافيلالت والشاوية : جاءت امتثالاً لأمر السلطان عبد الحفيظ . فقد كاتب هذه القبائل وأمثالها أن يكفوا عن التدخل في هذه المبادرات الدفاعية ، وهذا مثال مما كتبه للمولى الحبيب ابن المعطي العلوي من أشراف ناحية الأطلس بعد افتتاحيات الرسالة السلطانية :

« إبن عمنا الأرضي ، الشريف : مولاي الحبيب بن المعطي لوطاطي ، وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وصل كتابك المنطوي على الكتاب الذي كتبه لك عمنا الأرضي : مولاي رشيد ، معلماً فيه بأنك أنت ومن هو على شاكلتك من قبائل الصلاح المجاورين لك : ملتزمون السمع والطاعة ، والإمتثال لأوامرنا الشريفة قولاً وفعلاً ، وأنكم واقفون في تسكين القبائل الذين يريدون أن يسعوا في الأرض فساداً : بالتشويش على الدولة الحادثة في ناحية الصحراء ، إلى آخره ، وصار بالبال .

أما اجتماعكم على طاعتنا فليس لكم فيه إلا تمام الخير لأنفسكم ولبلادكم . أصلحكم الله وسددكم .

وأما تشوف أولائك القبائل لمن ذكر ، فلقد جربوا ورجعوا منهزمين ، وتركوا الناس الذين توجهوا لهم لإعانتهم في أسوإ حال .

وعليه فلتدم على ما أنت عليه من الاستمساك بالسمع والطاعة ، وتسكين روجان القبائل .

ونحن جادون في مباشرة الأمور مع الدولة المذكورة بما أوجبه الله علينا من النصيحة لرعيتنا السعيدة ، ساهرون على مصالحها ومنافعها بما يسفر صبحه عن وجه العلاج والنجاح ، بحول الله .

أصلحك الله ووفقك ، والسلام ، في 6 ربيع 2. 1327 .

* * *

بعد هذه الرسالة إنتظر المجاهدون ما يسفر عنه صبح محاولة السلطان . غير أن الظروف أسفرت عن عقد الحماية بتاريخ 10 ربيع الثاني 30/1330 مارس 1912 .

عند هذا عاد زعماء المقاومة إلى استنهاض الناس ، ومن جملتهم مولاي أحمد السبعي ، غير أنه لم ير فائدة كبيرة في جهاده بالصحراء ، وكان الاحتلال قد وصل لناحية قبيلة آيت سغروشن حوز فاس ، فشمر الذيل وتوجه إلى هذه القبيلة وآيت يوسي وما إليهما ، واستأنف المقاومة هناك ، وهذا موضوع له مكان آخر في دراسة مقبلة ، إذا مد الله ـ سبحانه ـ في العمر ، وتوفرت المستندات ، غير أنه سيأتي ـ بين ملحقات هذا العرض ـ واحد عن ترجمة المجاهد السبعي ، وهو الذي يحمل رقم 75 .

ملحق 71

رسالة تصف واقع احتلال وجدة
بعث بها عامل المدينة أحمد بن محمد بن
كروم الجبوري البخاري إلى أخيه قاسم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

حفظ الله بمنه أخينا الطالب الأعز : السيد قاسم بن محمد بن كروم الجبوري ، أمنك الله ، سلام عليك ورحمة الله ، بوجود سيدنا نصره الله .

وبعد : فاعلم أخي أن صبيحة يوم تاريخه الجمعة : اندفقت الجنود الأفرنساوية علينا بقدر لا حد له ، نحو خمسون مائة من العسكر ، وعشرون مائة من الخيل ، بآلة الحرب والمدافع ، ودخلوا وجدة ، وحيث كلمناهم ذكروا بأن لهم على المخزن دعوة في شأن أفرانساوي قتل بمركوشة .

وهم ـ الآن ـ تمكنوا في المدينة ، وضاقت بنا الأرجاء ...

ولا ناصر إلا الله .

وهذا عن قلق ، وعلى الأخوة ، والسلام ، في 14 صفر عام 1325 .

أحمد بن كروم أمنه الله

في خزانة خاصة .

ملحق 72

ملخص رسالة تصف الانتصار الذي أحرزه المجاهدون في موقعة أكْرارَ بالشاوية ، على أخطاء لغوية ونحوية تخللت التلخيص ، حيث لم يكن بد من إثبات ذلك على علاته :

الحمد لله وحده .

مضمن كتاب ورد من الفقيه القاضي : سيدي محمد بن عبد الواحد الدويري بالجديدة :

ولتعلم أن عدو الدين : كان ـ فيما سلف من الشهور ـ ينزل من البابورات بالدار البيضاء ، فيستعد به على المسلمين : من مدفع وكور وقرطاس وعسكر ، ثم إن أهل مديونة وأولاد أحريز إتفقوا معه على الخروج والزحف للمسلمين ، وأظهروا له أنهم من إيالته ، وفرضوا له أربعمائة من النوق ليحمل عليها ما يحتاج من المؤنة والكسور . فأمن لأجل ذلك ، وخرج في مائة ألف وأربع وعشرين ألفاً . وترك في مديونة عدداً ، وجاز لقصبة ابن رشيد وترك بها ثلاثة آلاف .

ونهض قرب الفجر منها بقصد سطات ، والمسلمون كانوا إتفقوا عليه قبل ، وعينوا من يذهب ، وتواعدوا جميع الشاوية عليه بصبيحة يوم العيد ، فبينما هم جادين في السير . وقابلوا محلاً يقال له « أكْرَارَ » : إذ ذاك داروا فيه . وقالوا له يا جِلّنار : قد يتمت أولادنا فينا ، فقال لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا له : أنظر لعلامات المسلمين وخيولهم ، والآن ـ لا محالة ـ نموت جميعاً ، فقال لهم : إرجعوا بنا للدار البيضاء ، ثم في الحين طار بالخزانة من يطير ، فأخبره بجنود لا قبل لهم بها من المسلمين .

فلم يك غير بعيداً أن سارع من معه في قتاله ، وأحدقت به جميع المسلمين

من الصباح إلى الغروب وهم في قتاله ، فكان ـ أولاً ـ يضرب ، ثم طلّع بندیرة الغلب وأنزل السلاح ، وصاروا يقتلونه بالبارد .

واتفق حضور محلة الكلاوي ومحلة ولد السيد عيسى بن عمر العبدي مع أهل الشاوية ، وقتلوهم عن آخرهم ، ثم ذهبوا لقصبة ابن رشيد فنزلت المحلة عليها ودارت بها ، فأطلع لهم بندیرة الغلب أيضاً ، وأنزل لهم السلاح ، وطلب منهم الأمان ، فحازوا منه السلاح وتركوهم ماسورين ، وصاروا يلعبون على كل ربع من أرباع القصبة المذكورة بالخيل .

فلما سمع عدو الدين بالدار البيضاء تحقيق أخذهم : وجه لهم من يرغب ويطلب تسريح من بالقصبة المذكورة للدار البيضاء ويعطي ثلاثة ملاين ، ويخرج من الدار البيضاء ، فلم يسمعوا له كلام ، ولا زالوا عندهم في حكم الثقاف ، وقدرهم ثلاثة آلاف .

وقد صيروا الإعلام للمولى عبد الحفيظ بقرب واد أم الربيع : جاوز مشرع الشعير نحو أولاد فريج .

ومديونة كل من فيها محصور بالمسلمين .

وأيضاً : المسلمون من الشاوية جعلوا محلتين من جهة أفضالة ، ريت ما وجه العدو محلة أو محلتين لتذهب لطريق الرباط : يكون لها بالمرصاد ، فلم يجدوا شيئاً .

ولتسأل عما وجدوا : ما ينيف على مائة وخمسين حملاً من الكور .

وما ينيف على المائتين من صناديق القرطاس .

والكراريس : عدداً كثيراً لم يذكروا لنا عددهم .

والمدافع : يقولون ستون مدفعاً : منها ما هو عمل السمطة ، ومنها ما هو عمل الكور الكبير والمتوسط .

ومؤنة الأكل عديدة .

وما لا له بال .

لأنه خرج بقصد وصوله لمراكش الحمراء فدمره الله .

والحمد لله على هذا الفرج العظيم ، بهزم عدو الدين ، ونصر راية المسلمين ، وأعلمناك لتكون على بال ، مما يخالف هذا المقال ، والسلام ، 16 حجة عام 1325 .

في خزانة خاصة .

ملحق 73

رسالة من العزيز إلى قبائل آيت عطة : آيت خباش . وآيت مناصف . وفيها الإشارة إلى تعاقد بعض القبائل بتافيلالت على الدفاع ضداً على اختراق حكام الجزائر للحدود

خدامنا الأنجاد : قبيلة آيت عطة : آيت خباش . وآيت مناصف كافة . نخص منهم الأشياخ والأعيان ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد كنا أصدرنا مكاتيبنا الشريفة لكم ولغيركم من خدامنا : قبائل الصحراء بتافلالت وما والاها : بالإعلام بما نحن عليه من الإهتمام بمصالح هذه الإيالة السعيدة . ودرءنا عنها ما علمتم وما لم تعلموه من مضار عديدة . حرصاً على حياطتها . وتحصين حرماتها . وقياماً بواجب ما طوقنا الله به من رعايتها . خصوصاً فيما يرجع لأحوال الناحية المجاورة للإيالة الجزائرية .

ولا زلنا على ذلك القصد الصالح ، وربط العزائم فيه على كل سعي ناجح ، إبتغاء مرضاة الله ، وأداء لما استرعانا فيكم المولى جل علاه ، سالكين في ذلك مسالك الاحتياطات المحمودة العواقب ، ملاحظين فيه الأساليب السياسية الكفيلة لكم ـ إن شاء الله ـ باقتطاف ثمار الرغائب .

إلى أن بلغ علمنا الشريف ما خامر عقول بعضكم في هذه الأيام ، من تشويش بعض الأفكار التي لا إطلاع لها على ما نستفرغه في الدفاع عن حوزة الإسلام ، حتى نشأ عن ذلك تعاهد بعض القبائل الصحراوية على الخوض فيما يثير نيران الفتن والترويع مع الإيالة الشرقية ، ويتسبب عنه سريان المتاعب في أنحاء حقوقكم المرعية .

مع أنه لا داعي ـ في الحقيقة ـ لذلك ، وحتى إن تخيل لكم من بعض القبائل المجاورين ما يشوش أفكاركم ، فإن الحقوق محفوظة . والحدود بعين الرعاية ملحوظة .

ولا زلنا مجتهدين في تمهيد ما يزيل كل إشكال ، وتحمدون ـ بحول الله ـ عاقبته في الحال والمآل ، وعما قريب ترون ـ إن شاء الله ـ آثار ما قررناه ؛ ويطمئن بالكم بما تحمدون عقباه .

وعليه فنأمركم بالتعاضد على السكينة والإطمئنان ، وإخماد من يروج إيقاد نيران التهور والعدوان ، وإلغاء الآراء التي تجر إلى الوقوع في الندامة والخذلان . وإبقاء معاملتكم مع القبائل المجاورين على حالها ، حتى تشاهدوا ما نصدره ـ إن شاء الله ـ في حياطة حوزتكم . وتحصين حدودكم . فإنا لا نفوتكم ولا نسلمكم بحول الله .

أصلحكم الله ورضي عنكم ، وبارك لكم في دينكم وأولادكم وأموالكم ، والسلام .

في 10 رجب الفرد الحرام ، عام 1324 .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 74

رسالة من العزيز إلى الطريس
في موضوع الرسالة قبلها

قد وردت على حضرتنا الشريفة مكاتيب عديدة من قبائل الصحراء : بتشكيهم من خروج الإيالة الشرقية عن الحدادة بناحية وادي كْير ، وحصول الروع لتلك القبائل ، حتى اجتمع رأيهم على المدافعة عن بلادهم ، وتواطئوا على ذلك .

فأصدرنا أوامرنا الشريفة لعمنا مولاي رشيد ولقبائل الصحراء : بما يردهم عما صمموا عليه من المقابلة ، ويسلك بهم سبيل السكينة ، وحل ما تعاقدوا عليه بينهم ، ولزوم بلادهم ، وإبقاء المعاملة جارية بينهم وبين جوارهم .

وتأمرك بمباشرة الكلام في ذلك مع باشدور الفرنصيص ، وتقرر له ما أصدرنا به أوامرنا الشريفة للقبائل ، حرصاً على ما لنا من الاهتمام بدوام الهناء والراحة بين الإيالتين المتجاورتين ، وأن جنابنا الشريف يؤمل منهم إيصال الإعانة على ذلك من قبل دلتهم : بما يحمل حكامهم على الكف عن كل ما يؤثر روعاً بين الإيالتين بتلك الناحية ...

والسلام ، في 12 رجب عام 1324 .

كناش مكاتب الطابع الشريف : خ . ع . د 1695 : ورقة 19 ب .

ملحق 75

ترجمة المجاهد السبعي

أحمد بن محمد بن الحسن السبعي بسكون الباء : نسبة إلى جده الشيخ محمد السبع الحسني الإدريسي ، دفين دويرة السبع في إقليم الرشيدية عند دائرة الريش .

على أن ولادة المترجم كانت بصفرو في تاريخ غير محدد ، وبفاس كانت نشأته ، وبها تلقى العلوم مدة من نحو نصف قرن ، حتى أخذ منها بنصيب موفور ، وكان بين أساتذته الأشياخ الأعلام : أحمد المرنيسي ، ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وأحمد بناني كلا .

ومن عام 1281 هـ اتصل بمربيه في الطريقة الدرقاوية : الشيخ محمد العربي ابن محمد الهاشمي الحسني العلوي المدغري ، وكان انقطع إليه في زاويته بقصر چاوز مدة طويلة . وقد تمتد هذه الفترة إلى وفاة شيخه ، حيث انتقل ـ بعدها ـ إلى قصر دويرة السبع واستوطنه . على حين أفاد من ملازمة أستاذه تضلعاً في المعارف والأذواق الصوفية .

غير أن الطابع البارز في حياة المترجم هو استماتته في الجهاد والدعوة إليه ، وهي غيرة تأدت إليه من سيرة مربيه محمد العربي المدغري ، وهو الذي ضرب الرقم القياسي في الدعوة إلى الجهاد آواخر القرن 19 م .

* * *

وقد تبينا من العرض الذي نذيل عليه بهذا الملحق : نماذج مشرقة من غيرة المجاهد السبعي . ونتبين ـ الآن ـ أنه إلى ذلك كان ريانا من العلوم الإسلامية والعربية . متفوقاً في المعارف الصوفية ، وذلك ما تترجمه المؤلفات التي دونها في شتى الموضوعات ، ومنها :

1 ـ شرح أرجوزة تحفة الحكام لابن عاصم .

2 ـ نظم قسم العبادات من المختصر الخليلي .

3 ـ إصلاح ألفية ابن مالك .

4 ـ شرح عليه .

5 ـ رحلة عن حجته عام 1890/1310 : من مخطوطات خ . ع . ك . 2908.

6 ـ « الدرر السنية ، في أصل السلالة العمرانية : السغروشنية والسبعية » ، وهو الوحيد المنشور من آثاره : في المطبعة العصرية بفاس : 23 ص من الحجم المتوسط .

7 ـ فهرس مشايخه .

8 ـ ديوان شعره .

9 ـ شرح أرجوزة من نظمه في بعض الأحداث التاريخية : مخطوطة في سفر صغير .

10 ـ « أنس اللبيب ، ببعض عجائب الحبيب » ، قال عنه : إنه جامع لعجائب وغرائب ، ونوادر وفوائد : مخطوط في جزء صغير .

11 ـ ومن مؤلفاته في التصوف والإرشاد : نصيحة إسلامية مرجزة باسم : « قصيدة الله الصمد » .

12 ـ شرحها : « فتح الله المعتمد في تبيين معاني قصيدة الله الصمد » : مخطوط في سفر .

13 ـ « الفجر الساطع ، وبروق السيف القاطع » ، وضعه للرد على مؤلف ـ لم يذكر اسمه ـ كتب أوراقاً في الطعن على شيخه محمد العربي المضغري سابق الذكر ، وبأمره ألفه المترجم ، حيث أطال النفس في دحض كل واحد من الانتقادات بالأوراق المشار لها ، فجاء الكتاب في 106 ورقة من الحجم المتوسط . حسب مخطوطة خ . ع . د 3353 : ثالثة مجموع .

14 ـ « منح الفضل الإلهي » : في الرد على عالم فجيج أحمد بن عاشور لما وقع في الطريقة الدرقاوية .

15 ـ رسالة في مباحثات بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .

16 ـ رسالة في الرد على عبدالله بن مراح المغلي الجريري : مخطوطة في جزء صغير .

17 ـ « رسالة الفرج ، إلى من كان من أهل الدين في ضيق وحرج » : مخطوطة في جزء صغير .

18 ـ « رسالة في التعريف بمقام الشيخ عند الصوفية » : مخطوطة في جزء صغير .

وستكون هذه الرسالة آخر المذكور من مؤلفات المترجم ، غير أن ما وقفت عليه منها هو الذي أشرت إلى وضعيته : مخطوطاً أو مطبوعاً ، وباقيها جاءت الإشارة له عند الذين تناولوا ذكره .

* * *

وأخيراً : كانت وفاة المجاهد السبعي عام 1336/ . حيث دفن عند قصر آيت الرامي في آيت حلي من قبيلة آيت يوسي ، وما أجدر مشهده بالإلتفات إليه .

مصادر الترجمة :

ـ « كفاء العنبر ... » تأليف القاضي أحمد بن قاسم المنصوري : فيلم خ . ع 946 .
ـ مقيدات بخط الشيخين محمد عبد الحي الكتاني وعبد الرحمن إبن زيدان .
ـ مؤلفات المترجم التي وقفت عليها .

الفصل الثاني

دور الأدب في مساوقة أزمة المناطق المحتلة

إلى جانب المقاومة المسلحة ، كان الأدب ـ بدوره ـ يساوق الأزمة المغربية ، فيحرض المجاهدين ، ويشد أزرهم ، ويشيد ببطولاتهم : في قصائد من الفصيح أو الزجل .

غير أن هذه الآثار الأدبية ، منها ما هو برسم البكاء على مأساة وجدة ، ومنها ما يتناول موقعة الشاوية ، فيصف معاركها ، وينوه ببطولاتها ، بينما تهتم قصيدة بشأن الدفاع عن سائر الجهات المحتلة ، يضاف لذلك رسالة للمجاهدين بالشاوية ، وأخرى إلى قبيلة زعير .

* * *

أولاً : شعر الزجل :

والمعني بالأمر ثلاث قصائد : الأولى : تحمل عنوان « دخول وجدة » ، وهي من نظم الشاعر الشعبي الشريف : هاشم بن بو بكر السعداني الفاسي ، حيث أتمها في رمضان من عام 1325/1807 ، فجاءت تشتمل على 21 قسماً : كل قسم من خمسة أبيات مزدوجة ، مع تقدمة كل قسم بما يعرف باسم « لعروبي » ، وهو ـ هنا ـ يتركب من أربعة أشطار ، مع إضافة شطر خامس يسمى « بالردمة » ،

هذا فضلاً عن مدخل القصيدة في خمسة أبيات مزدوجة ، وعن اللازمة التي تلي المدخل ، ثم تتكرر عند خاتمة كل قسم ، وهي التي تحمل عنوان « الحرية » .

والقصيد تستهدف التشهير بالمحتل وأعوانه ، والمناداة بالدعوة إلى الجهاد ، وإثارة نخوة المعنيين بالدعوة ، مع التنديد بالمسئولين الذين أهملوا واجب الدفاع عن البلاد . ثم بسط الأمال في جمع الكلمة . لإسترداد هيبة المغرب . واسترجاع أجزائه المغتصبة .

وقد نشرت « هذه الزجلية » ـ في فترة نظمها ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية في 12 ص من الحجم المتوسط .

* * *

وهي تفتتح بمدخل يلمح إلى موضوعها هكذا :

يا لمُوجودْ فْديقْ مْحانْ كلْ شـــــدّا
يا لْمُغِيتْ إلّي نَدَا فْضِيقْ لَنْكـــــادْ
يا لْباقِي فضلَـكْ طُـولْ الدوامْ لَبْـــدا
يا مْفرّجْ لكْـروبْ القَطْـعَ لا كْبـــادْ
يا سْنِيدْ الا لُوبِيـنْ لعْبـــادْ سَنْـــدا
يا مْدبّـرْ حـالْ الا لُوخْبِرْ لَمْـــدادْ
فرّجْ عْلِينـا من غْلْـبْ الْلاّمْ لعْـــدا
وأيْدْ الْيَسْلامْ ولَهْمُ العـزْ بَحْهـاد
القْلُـوبْ ضْعـافْ واكسانْهُـم بَـرْدَا
ولا نْظرنَا مهمـومْ بْعَـزّدِيـنْ لَجْداد

وهنا تأتي اللازمة للقصيدة :

يا لْيَـلامْ بْكِـوْعْلَـى دْخُـولْ وجْـدَا
دُونْ حرْبْ غْنَمْهَـا لَعْدُو وْنَـالْ لَمرَادْ

* * *

وبعد هذا تتخلص القصيدة الزجلية إلى إيقاظ الشعور ، وإثارة الحمية المغربية :

كِيفْ يرضَى بالذَّلْ إلّي اللهْ عزّْ
بْعزّ دِينْ اليَسلامْ على الدْيانْ معْزوزْ
موتْ لعْنَيَا فنْهارْ الْقَى وبْراز
خِيرْ منْ عِيشْ الذّلْ فكُلْ خِيرْ مَبرُوزْ
الثّنَالْهَلْ لفضَلْ خِيرْ ما يْكَنْزْ
كلْ منْ ماتْ عْلى عَزّْ ثْناهْ مبروزْ

* * *

وينتقل الشاعر الشعبي إلى تذكير مخاطبيه بأن الأعمار محدودة ، والأشياء مقدرة تقديراً :

ما يْمُوتْ فالْوَرى مخلوقْ دونْ لَجال
ليكونْ فوْسَطْ الغَصّابْ . ما يْوَصْلُ
ومنْ مَكْمَلْ محْسُبْ لو كانْ كسبْ مْوَالْ
ما يْنَفعُ الادَغْيَ يْمَدّْ رَجْلُ
كِيفْ يمنَعْ مَن مكتوبْ وكِيف يَنْضَالْ
من حْكَامْ الرّبّ عِليه لَقلامْ سَجْلُ
كل ما رادْ الله عْلى الوَرى تْوَدّا
ولازَمْ اللّطف يْفَاجِ هَمّْ دِيقْ لَنْكادْ
كِيفْ معلومْ الرّخْفَ بعْدْ كلْ شَدّا
باشْ يذْكَرْ اللهْ فكُلْ دِيقْ وارْغَادْ

* * *

ولا ترى القصيدة الشعبية حلًّا لهذه المعضلة إلا بالجهاد . فتنادي بالدعوة إليه . وتبرز بعض مزاياه .

ما بْقَى إلّا العَزّْ أيا جْميعْ اليَسْلامْ
شمّْرُ لَلْجهادْ تْعمْكُم كلّْ حُرْمَ
كلّْ من ماتْ عْلى عزّْ لَسْلامْ يُرحَم
تَبْعَاهْ الحُورْ تْخَطْفُ فكلّ صَدْمَ
منْ كمّْلْ مَحْسُبُ والْقَى كْبُوشْ لْحِمامْ
عاشْ عِيشْ الأَبْدَ فطِيبْ كُلّْ نَعْمَ
ومَنْ بْقَى يتْبَخْتَرْ فالْعَزّْ بِينْ لَعْدَا
واسمُ مكتوبْ فْرَقَ لَبْدورْ لَسْعادْ
ما بْحالْ كْمِيدْ العَديانْ وَدّْ شْهَادَا
ولا بْحالْ مْرامْ لَعْدُوْ دِيقْ وانْكادْ

* * *

والشاعر السعداني يلح على جمع كلمة المغرب في هذه المعركة الوطنية ، ويجعل ذلك موضوع « عروبي » يقول فيه :

لَوْ كانْ الغرْبْ مجموعْ الْكلْمَ
يدْهِي بَدْوَهْيُ الزّرْقَا جمْعْ الرُّومْ
لَكانْ تْهلَكْ منْ دْعَ منّْ قَسْما
أوِيحْ إلّي طْغَى وجالَسْماهْ يْحُومْ
عِليهْ يُصيحْ لغْرابْ وصوْتْ البُومْ

* * *

وهنا تعقب القصيدة ، فتترجى قيام حاكم قوي يعيد للمغرب عزته وهيبته :

يا لْمولَى أيّْدْ هذا لَسْلامْ بَهْمَامْ
هَمّْتُ مصْرُفَ فالعَزّْ مَجَدْ فْخِيمْ
يرْتَقَي بِهْ الغرْبْ فْعَزْ كلّ تَنظامْ
يَنْدْكَرْ ما بينْ الدوَّلْ راسَخْ عْظيمْ

بِهْ تفخَرْ لَسْلامْ عْلى كلْ ظَلَّامْ
وكلْ كفَرْ يبقَى محقُورْ نكَدْ ذْميمْ
بِهْ يخصَبْ هذا الوقْتْ فلَهْنَ وْرَغْدَ
وبِيهْ تركَنْ للْجُودْ كْشوطْ كلَ تَمرادْ
صارَمْ الحقْ يمهد كل حي مهْداً
وْلَا يخْلِّي خرَجْ لحدودْ ساطْ فبْلادْ

أنظر النص الكامل للقصيدة عند الملحق رقم 80 .

* * *

والآن ننتقل إلى تحليل قصيدتين زجليتين بمناسبة معركة الشاوية : إحداهما لعبد الهادي بناني الفاسي ، نظمها صدر دولة السلطان عبد الحفيظ ، والثانية من شعر محمد القندوسي .

وتحمل الأولى اسم « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » ، حيث تنتظم من ثلاثة عشر قسماً ، في كل قسم خمسة أبيات مزدوجة ، مع تقدمة كل واحد بما يعرف باسم « لعروبي » ، ويتركب هنا ـ من ثلاثة أبيات في ستة أشطار مع إضافة شطر سابع ، هذا فضلاً عن مدخل القصيدة في خمسة أبيات مزدوجة ، وفضلاً عن اللازمة التي تلي المدخل ، ثم تتكرر عند خاتمة كل قسم ، وهي التي تحمل عنوان « الحربة » .

* * *

والقصيدة تتخلص ـ بعد مدخلها ـ إلى ذكر سبب حرب الشاوية ، ثم تصف بدء المعركة ومراحلها اليومية ، وترصد انتصارات المغاربة وهزائم المعتدين ، وخسائرهم في الأرواح والعتاد ، كما تشير لتهديدات صحافة الاحتلال التي لم يتأثر المجاهدون بتخويفاتها .

وبعد هذا تستطرد القصيدة مأساة احتلال وجدة ، فتستنهض همم المعنيين بالأمر للجهاد في سبيل استردادها ، وللمقارنة يبرز الشاعر روائع من بطولات رجالات الشاوية في مقارعة المحتلين ، والقصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية في ثمان صفحات من الحجم المتوسط : دون تاريخ .

والآن : تقدم نماذج من « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » ، انطلاقاً من مدخلها الذي جاء هكذا :

الحمْـدْ لَـلْغانِي من لَا يـنَظْرُوهْ لَبْصـــــارْ
حمْدْ لِيسْ يْنَتْهَـــي يا صـــاحِ فْلَعْبـــارَا
وذْنَا بَالْـهـــادِي طَـهَ شْرِيـفْ لَنْـــــوار
إيمَـــامْ لَـوْجْـــودْ المـاحِي ، بَازَغْ المْنَـــارَا
الصـــلاةْ عِليـــهْ مَـــنْ اللهْ لِيـــلْ ونْهـــارْ
والرْضَـى عنْ آلْو وأهْـــلْ هـــلْ الطّهـــارَا
والصْـحابْ الوَذْبَـــا لَمْطَهْرِيـــنْ تَطْـهَـــارْ
مَـنْ فْنَا وْالكفّـــارْ سْيَاتَـــلْ الغْـــــزَارَا
بالجْهـــادْ اشْتَـغْـلْ ومْضَوْ فيهْ لَعْمـــــارْ
سَرْتْ نَـمْـــدَحْ فيهُـمْ ونْقُـــولْ بْـالَجْهارَا

وهنا تأتي اللازمة للقصيدة :

يا هَـــلْ الشاوِّيا صُولُـــوا بْعَـــزْ وشْـــــرارْ
بْالَجْهـــادْ فْلَجْحـــودْ خْنَازَرْ النّصـــارَا

* * *

وبعد هذا يأخذ الشاعر في أقسام القصيدة ، بدءاً من السبب الظاهري لنشوب المعركة ، فيقول في العروبي الأول :

سَبّـــتْ هذا الْفتَانْ فالضّيْ ادِيجُـــــــورْ
بِها ناسْ العْقُـــولْ لَفْضـــالْ نْخَبّـــــرْ
نَاضْ الكافَـــرْ بْالعْـــزَمْ يصنَـــعْ بابُـــــورْ
يْعِيـــنْ عْلَـى المُـونْ ويْنَقّـــلْ لَحْجَـــرْ
حطّ السّكّا وسارْ يخدَمْ ظُلْـــمْ أجُـــورْ
حتّـــى فَـــاتْ الحَـــدُودْ وطْغَـــى وتَجَبّـــرْ
قامْ عِليـــهْ الهْـــراجْ وتْفَلّسْ وخْسَـــــرْ

وتنجح مكيدة العدو ، فتنشب الحرب مع المجاهدين يومياً :

أبْدَا يْحَارَبْ لَحْرامِي : كلْ يُومْ قْتَالْ
لِينْ مارَدُّ الرَّاسْ فْسَاعْتُ يْوَلِّي
غَرْبتْ شْموسُو مَنْ بعْد الطلُوعْ ونْضَالْ
طاحَتْ سْوَارُوا وبْقَى فالفَضَا مْتَلِّي
كُلْ يُوم يْجِيبْ مْحَلا هْبِيلْ لَهْبَالْ
جَاحْ وبْقَى فَهْمُومْ مْحَايْنُوا مْقَلِّي...

ثم تذكر القصيدة تسرب المحتلين ـ في جيش ضخم ـ إلى مراكز مديونة فابن رشيد فسطات في اتجاه مراكش ، ويبرز الشاعر ما قاساه العدو من مقاومة المجاهدين ومكيدتهم .

اجْتَمْعَتْ الرُّومْ قالُوا نْكَثَّرْ العَدَادْ
جْمَعْ قاوِي ما يَتْنَهَّى ولا يْلُوا حَدْ
نْحَوْزُ قَصْبَتْ مدْيُونَا يْطيبْ لَمْرادْ
عادْ لَحْكامْ نْقولُوا فِيدْنَا تْسَكَّدْ
جاوْ بَالْحِيلاتْ ادَخْلُو لْهَا الفُسَّادْ
حَوَّزُوها واصْبَحْ أوطانْهَا مْنَكَّدْ
زادْ فالْحِينْ القصْبَتْ بْنْ رشيد بَطَّارْ
خَفْ مَن رَمْشَتْ عيْنْ أُخَفْ مَنْ عْمَارَا
جاوْ بْعض الشاوِيا يْنْصَحُ الغَدَّارْ
خَرَّجُوهْ بْحِيلاتْ آلا نْوَى الكَارَا..
خرْجُوا بِهْ اللَّئِيمْ فالْحِينْ اللَّمْحَجْ
ونْوَى يمْشِي سْرِيعْ قاصَدْ مراكش
جهزْ مُونَا وْجابْ كلْ أمَّا يْحَنَّجْ
وتَرْنْ جَا عْلَى الَمْحَايَنْ كَيْفَتَّشْ
أوْصَلْ لوْ عارْبِينْ لَخْنَادَقْ فالفَجْ
دارَتْ بهْ لَبْطالْ وتْفَافَا ودْهَشْ

وبَقـــى بِيَنَتْهُـــمْ تالَـــفْ كِيفْ الوحَـــشْ ...
دَرْمُـــوا زادُوا للسّطَـــاتْ بالْحُضَّـــــارْ
بعدْ ما قاستْهـــم مَن قبلْهـــا خْســـــــارا

وتنتقل القصيدة إلى التهكم بإرجافات الصحافة المشايعة لجيش الاحتلال :

اشْحـــالْ ما خوفْنا لَكْـــوازْطِي فْجرْنَـــانْ
كـــلامْ مردودْ عِليـــهْ أبِـــهْ مارْضِينَـــــا
كـــلْ جمْعَا يأتِي بجْريدتُـــوا الخَـــــوّانْ
بْشِي خْبايَـــرْ شَلّا رِينَـــا وْلّا دْرِينَـــــا
كلّهـــا مَن مويقـــاتْ الدّنِـــى الشيطـــــانْ
ولْدْ يَبليسْ فْعـــالُوا خَايْبَـــا وْشِينَـــا ...

وينوه الشاعر ببطولات المجاهدين في الشاوية ويقول :

شُفْ لفْضـــالْ الشاويا هـــلْ النّجَـــــــادْ
اشْحـــالْ هذا مَـــن شْهَر مْقابْـــلين للـــرُّوم
شُـــفْ لَفضـــالْ الشاويـــــــا فَـــالـزّيا دَا
عانْهُمْ بَفضـــلْ ربّ الـــوْرَى القيُّـــــومْ
شوف لفضـــال الشاويا فْخَـــرْقْ عـــــادَا
كـــلْ هَـــزْ بَـــرْ مَنْهُم يُومْ اللّطامْ محزُومْ
أشْ من لارَا لَبْطالْ وقْـــتْ لَقتـــــالْ
امجـــرّدَا مَن لّكساوِي غِيـــرْ فالسّروال
عْلى الخْيولْ المَعْتَبْرَا بالْفاهَمْ رْجـــــال
بالزّرايَمْ وسْيوفْ خْـــدادْ والسّبَـــــايـلْ
الاسْيـــادْ وْجُـــوهْ الجنّـــا شْمُوس لنْجَـــال
امْشِيـلْ هادُوا تفْخَرْ بِهُـــم الَقْبـــايَـــلْ
جاهْـــدوا فالكْـــافَـــرْ وسْـقَـوْ لِهْ لَمْـــرَارْ
رَوْحُـــوهْ مْيَسّرْ في حوْمَـــتْ السّقَـــارَا

وإلى هذه الأبيات يضيف الشاعر جملة أبيات أخرى في تمجيد الشاوية ورجالها الأبطال ، ليأتي ـ بعد ذلك ـ القسم الختامي من القصيدة ، فتنتهي ـ مع ذلك ـ هذه النماذج من « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » .

وسيرد النص الكامل للقصيدة عند الملحق 81 .

* * *

والآن يصل بنا المطاف إلى الزجلية الثالثة . وهي التي نظمها الشيخ محمد القندوسي بمناسبة موقعة الشاوية ، غير أن هذه القصيدة لم يسر ناظمها على منهجية عبد الهادي بناني ، فجاء مدخلها يستوعب أكثر من ثلث المنظومة ، حتى إذا تخلص الشاعر للموضوع كان جل ذلك في التوسلات ، ثم استعراض القبائل والمدن المغربية ، حيث الشجعان والأبطال متوافرة ، وهو يقول في مطلعها :

بسم الله دوام صولْتِي . والقيوم نصر حجتي . بكمال البرهان ∴
له الحمد وغايت الشكر ∴ عن ملت سيد العجم والعربان .

صلى الله على مـــن غـــزا فلكفار ... وطرد لعـــدا بالسيف الطعـــان
اصلا مكمـــولاً بـــــلا حصـر ... وعلى آل مـــع لصحـــاب العرفاني

* * *

اخْذُ عـن طـه ومن أخَـذْ عنهم ... لا زالوا يجاهدُ في جميـع البلـدان
يبقو إلى غـابـر الدهـــــــر ... رغم على أنف الاشراك الخَزْيانِـي

* * *

وعدنا الكـــريـــم بالنـــصر والصولا ... والعـز ولعنايا في كـل زمـــان
وتهزم برضـــاهمـن كفـــــر ... لويأتي جيشهـم عْـدّا بْحَـرْ كَانِي

* * *

بعنـــايـــت طـــــه وجـــاه آل ... واصحـــاب السرقاطبا في سايـر لوطان
شرق وغـــرب بحوْرها وبـــــر ... بهم نسعـــاك يا شفيـــع العصياني

يا رسول الله غثنـــا وانصرنـــا ... يناصر لِسْلام فيوم اميـــــدان
بـــك ولـــك العـــز والنصـــر ... أنت ركني وبك نهزم عديـــاني

وبعد هذا يستمر القندوسي في مدخل القصيدة ، لينتقل ـ بعد ذلك ـ إلى توسلات في نفس طويل ، ثم يقول عن حرب الشاوية :

بشرى لنـــا يهـــل السعـــادا ... جـــاد علينـــا العالم السَّرْ معَ لْيَعْلانْ
شفـع فينـــا سيـــد البـــشر ... وحْرَصْنا بالإخـــلاص والسبع مثاني

* * *

انصرنـــا لغـــني بخـــرق عـــادا ... فالشاويا خيولناكَنْ أســـودْ تْبَانْ
شُـفْ العَين كْفا عْلى لخْبَـــر ... هذا سر لكريـــم من لأُوثـــاني ...

* * *

قولوا للـــي راد عيينـــــــا ... كيف يدير فيوم حربنا مَن بِين الشبان
وكهـــول وشيّـــاب كالمطـــر ... اقبايلْنـــا الصايلا عـــلى لقْرانِـــي

* * *

تحكهـــم فســـاعـــت لغـــزار ... تمثيـــل أســـود ضارْيَ ويـــلا عقْبان
موجـــود بجميـــع مـــن أدســـر ... حجابَ الله عنهم مـــن لعياني ...

القصيدة ـ بكاملها ـ مخطوطة في خزانة خاصة .

* * *

ثانياً : الشعر الفصيح :

تذيل على الأدب الزجلي بقصيدتين من الفصيح : الأولى : يتحسر فيها ناظمها ـ المجهول الإسم ـ على احتلال وجدة ، ويندد بواقع المعنيين بالدفاع ، وهي من بحر البسيط على روي الباء ، وضاعت بعض أجزاء من بيتيها الأخيرين ، وبقي منها ـ تاماً ـ أحد عشر بيتاً يأتي تقديمها عند الملحق 76 .

الثانية : قصيدة شاعر سوس : الطاهر : بن محمد الإيفراني . صاغها في

بحر الطويل على روي الدال ، ومدح بها أستاذه العلامة الكبير أحمد بن عبد الرحمن الجيشتيمي عام 1325/08 - 1909 .

غير أنه - في معظمها - يناشده في تحريض الناس على الجهاد ضد المعتدين على الصحراء والشاوية وجهات أخرى ، وخلال ذلك يشيد بالمجاهدين الأولين ، ليقارن أمجادهم بحاضر القاعدين الذين يعايشون العدوان على أرض الإسلام ، وهذا القسم من القصيدة هو موضوع الملحق رقم 77 .

* * *

ثالثاً : رسالتان موضوعيتان :

ويتعلق الأمر بخطابين من الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني : الأول كتب به للمجاهدين بالشاوية ، يهنيهم بأمجادهم البطولية في الدفاع عن البلاد ، ليتخلص إلى ذكر أخلاق المجاهدين وهم في ميدان المعركة ...

الثاني إلى قبيلة زعير : يحذرهم من مغبة السماح لجيش الإحتلال بعبور أرضهم ، مع توجيهات موضوعية ، حيث سيرد نصها مع سابقتها عند الملحقين رقم 78 ، 79 .

ملحق 76

القصيدة الفصيحة في الرثاء لأزمة وجدة

وجْـدٌ تَسعَّـرَ في الأحْـشـاء والْتَهَبَـا
مُذْ قِيـلَ رُكْـنٌ مِنَ الإسلامِ قَدْ ذهَبَـا
آهٍ عـلى وجْدَةٍ قَـدْ أُسْلِمَـتْ جَزَعـاً
مِنْ غَيْرِ سيْـفٍ ولا قتْـلٍ ولَا حرَبَـا
آهٍ علَـى أُسُـدِ الإسـلامِ قَدْ فشِلَـتْ
واسْتُنْصِرَتْ مِنْ بُغَاةِ الرُّومِ وَاعجَبَـا
قَدْ أصبـحَ الـدينُ ينعَـى كـلَّ ناحِيَـةٍ
وآخِـذُ الثّـارِ في لهو وقَـدْ لَعِبَـا
تَنَـافَـسَ النـاسُ في عُلْـوِ البِنـاءِ وفـي
مـثـاكِلِ وبِنَا الإسلامِ قَـدْ خـرِبـا
دأبُ اليَهودِ : على ذُلٍّ ومسْكنَـةٍ
قَـدْأصبَحُوا مُلْزَمِينَالهُوذَوالغلَبَـا

ما عيْشُكُـمْ وظـلامُ الكُفْـرِ عمَّكُـمُ
النَوْمُ غشَّاكُـمُ أمْ جُنْنُكُـمْ غلَبَـا ؟
إن لَـمْ تَخُوضُوا غِمارَ الموْتِ دونَكُـمُ
لِبـاسَ زوْجاتِكُـمْ والتَـزِمُوا الحُجُبـا
عَهْـدِي بِأسْـدِ الشّرَى في الغرْب شاعِـرَةٌ
لَـمْ يلْقَهَـا بَطَـلٌ إلّا عَـدا هرَبـا
شُـمُّ الأنوفِ يهابُ اللّيْـثُ صَوْلَتَهُـمْ
أبَتْ نُفُوسُهُـمُ أنْ تَشْتَكِي اللَّغَبَـا
ما إن لَهُـمْ راحـةٌ إلّا بِقَـرْعِ عِـدَا
وهَيِّـنٌ عنْـدَهُـمْ أن يَضْرِبُـوا الرَّقَبَـا..

الخزانة الكتونية بطنجة

ملحق 77

في التحريض على الجهاد ضد المعتدين ،
وذلك هو معظم قصيدة مطولة لشاعر سوس : الطاهر الإيفراني :
يمدح بها أستاذه المنوه به سلفاً ،
ثم يناديه قائلاً :

فيا بدر أفق الديـــن يا ليث غابه ... ويا غوث ملهوف ويا خير منجـد
تدارك ذماء الدين واسمع صريخـه ... وشمر إلى نصر الهـدى وتجلد[1]
فقد انشب الكفـر المداهـن نابه ... ومد إلى سرح الهدى كف مفسد[2]
وكاد بأنـواع المكايـد أهلـه ... وصار ينادي : (خامري وتلبدي)[3]
أسر احتساء في ارتغـاء وما لـه ... سوى الدين من مرمى يرام ومقصد[4]
وقد بلغ السيل الزبى بظهـوره ... وإن لم يداو العر بالكي يزدد[5]
فقد طبق الصحراء بالنحس شؤمه ... وأعدى نواحي التل بالخبث الردى[6]
وجاش على هذي السواحـل كلها ... ببحر سفين بالقوارب مزبـد[7]
وغص بـه الديـن الحنيفي فاكتسى ... لما يشتكي من بثـه ثوب مكمـد

---

1 ـ الذماء كسحاب : بقية من الحياة بعد نفاذ المقاتل لا تلبث أن تنقضي . والصريخ : المستغيث .

2 ـ المداهن : المخادع المخاتل . والسرح : الماشية .

3 ـ (خامري أم عامر) مثل ، وتزعم العرب أن الضبع تخدع به فيكرر ها حتى تهدأ فتوخذ . ومعنى خامري : ألزمي مكانك ، وتلبدي عطف تفسير عليه من تلبدة الطائر إذا جثم ولصق بالأرض .

4 ـ أسر : أخفى . والاحتساء الشرب ، والارتغاء : إزالة الرغوة من اللبن ومعنى المثل أنه يتظاهر بإزالة الرغوة ولكنه في الواقع يشرب اللبن الخالص ويضرب لمن يتظاهر بالهين ويفعل الأعظم .

5 ـ الزبى : جمع زبية وهي حفرة تهيأ للأسد في الأمكنة العالية ، يضرب لمن تجاوز الحد ، والعر : الجرب .

6 ـ التل في اللغة الأرض المرتفعة قليلاً عما حولها . والمراد هنا (سوس) في لسان أهل الصحراء .

7 ـ السفين : جمع سفينة .

شجاه الأسى من فقد حر يهمه ... فكاك ذماه من يد المتمرد[1]

يقود إليه كل أصيد قارم ... للحم العدا مخشوشن متمعدد[2]

يجاهد في الله العظيم عدوه ... بإقدام ليث في الكريهة محرد[3]

يشب لظى الهيجا بقلب مشيع ... وكف بصير بالطعان معود[4]

وإطراق ثعبان وكيد ثعالة ... وتصميم فهد في جَرَاءةِ فرهد[5]

ويختال ما بين الصفوف كأنه ... عروس تهادى بين خود وخرد[6]

على كل طرف سابح ومطهم ... قوي القرى عبل كصرح ممرد[7]

ببيض سيوف أو بسمر مدافع ... مزلزلة إن يبرق السيف ترعد[8]

يلاعب أطراف الرماح كأنه ... صبي مع الولدان بالجوز مستد[9]

يخال مجال الحرب وجه صحيفة ... تسطرها خيل اللقا بالتطرد[10]

فينقط مدفاع ويشكل صارم ... ويكتب رمح الخط خط مجود[11]

فأين مساعير الوغي وفوارس اللـ ... ـقا ومصابيح العجاج المعقد[12]

وأين الالى صوت الصريخ إليهم ... ألذ واشهى من سلافة صرخد[13]

وأين الالى قد الجسوم عليهم ... هباء إذا ما العرض غير مقدد

---

1 ـ شجاه : أحزنه . والأسى : الحزن . وذماه : ذماؤه . فهو الذماء قصره ضرورة : وهو بقية الروح .

2 ـ الأصيد : المائل العنق تكبراً . والقرم إلى اللحم : مشتهية . والمخشوشن : متعود الخشونة . والمتمعدد : المتخلق بأخلاق قبيلة معد في الخشونة .

3 ـ المحرد كمنبر : المغضب .

4 ـ جريء .

5 ـ ثعالة : الثعلب .

6 ـ الخود بفتح الدال وجمعها خود بضم الخاء ، والمفرد جمع خريدة : المرأة الحية .

7 ـ القري : الظهر . والعبل : الضخم .

8 ـ تزلزل الأرض إذا أطلقت .

9 ـ استدي العبي بالجوز : لعب به .

10 ـ التطرد : المطاردة .

11 ـ رمح الخط : إضافة إلى بلاد الخط . وهي معروفة بإتقان صنع الرماح . وخط مجود مفعول يكتب .

12 ـ مسعر الحرب بكسر الميم : موقدها بشجاعته .

13 ـ الصريخ : المستغيث ، والسلافة : الخمر ، وصرخد بلا لام : بلد بالشام تنسب لها الخمر .

فما لهم نامـوا عن الدين وارتضوا ... بدون حياة في هوان معبـد[1]
وما لهم لم يثـاروه وقـد هـوى ... به الكفر مطلول الدمـاء ولم يد[2]
لقـد حـق للإسـلام اذ مات أهله ... وخلوه أن يدعو بويـل مردد
فقـدس أرواح بهـم عـز ركنه ... ونام إلى جانب المهـدى الموسد[3]
وأخصـب مرعاه وأشكـر ضرعه ... وعاش بهم في خفض عيش مرغد[4]
بأسيافهم صال الهـدى فتعززت ... جوانبـه بالنصر في كـل مشهـد
تـروح وتغـدو كل يوم بشـارة ... عليه بفتـح أو بملـك مجـدد
إلى أن عـلا في الشرق والغـرب كعبه ... وحل حلـول الشمس في كـل معهد
وكرت جيوش الصبح منه ففر إذ ... بدا كل جيش من دجا الكفر أسود
وأهلـك حزب الله حزب عـدوه ... وطهرت الأرجـاء من كل ملحـد
أولئـك قد باعوا الإلـه نفوسهم ... فلم يستقيلوا بالنعيـم المؤبـد[5]
هم الصحب والاتباع من بعدهم ومن ... حذا حذوهم من كل هـاد ومرشد[6]
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابـوا لحرب أو لإنجـاز موعد
وهم هجروا الأوطان والأهل فاغتدوا ... لقتل عدو الله في كـل مرصـد
وهـم جاهدوا في الله حق جهـاده ... وهم نصروا ديـن النبي محمـد
عليه صـلاة الله ثم عليهـم ... كما هب شمأل على الزهر النـدي
فلما مضوا نحو الجنـان ليجتنوا ... جناهم وعند الصبح من يسر يحمد[7]
أتى بعدهم من لا يغار عـلى ذما ... ردين ولا يرثى له أن يبـدد[8]

---

1 ـ بدون حياة فيه إضافة الصفة إلى الموصوف أي الحياة الدون ومعناها الوضيعة . ومعبد بصيغة اسم الفاعل صفة لهوان : أي الهوان الذي يجعل صاحبه عبداً لغيره .

2 ـ ثأر القتيل وبالقتيل : طالب بدمه ؛ والمطلول الدم : الذي لم يثأر له ولم يده : لم يؤد ديته .

3 ـ المهدي : بتخفيف همزة المهديء . والموسد : الجاعل للوسادة .

4 ـ أشكر الضرع امتلأ لبنا فهو شكران .

5 ـ يشير إلى قول الله تعالى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية .

6 ـ حذا حذوه : اتخذه مثالاً وقدوة .

7 ـ تلميح إلى المثل المعروف : (عند الصباح يحمد القوم السري) أي ثمرة التعب تظهر بعد انتهائه يضرب تحريضاً على الصبر للمشاق .

8 ـ الذمار بالكسر : ما يلزم الإنسان حفظه ورعايته .

جهادهم في رم دنياهم وما ... لهم همة في جبر دين مقصد[1]
إذا سمعوا لغواً أصاخوا وإن دعوا ... لدين الهدى صدوا صدود المعرد[1]
كان لم يكن فيهم عديد ولم يكن ... لهم جلد يسطو على كل أيد[2]
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم ... ولم يرتدوا منه بثوب مجدد[3]
ولم يرضعوا من أمهم أم قشعم ... لبان دم إن يمر يشخب ويزبد[4]
ولم تغذهم بالشرى حتى كأنه ... أحب إليهم من سلافة صرخد[5]
بلى مارسوا الحرب العوان وضرسوا ... بها كلهم ما بين كهل وأمرد[6]
وما برحت حرب البسوس عليهم ... مدى الدهر لم تخمد ولم تتهمد[7]
كأنهم من عكفهم حول نارها ... يحشونها في كل غور وانجد[8]
مجوس عكوف حول بيت لظاهم ... يحفونها من راكعين وسجد
ولكنهم ضلوا عن القصد غفلة ... وجهلاً بنهج الرشد لا عن تعمد
فلو نبهوا لاستيقظوا وتبصروا ... فمن تقيد نحو الفوز لا بد ينقد
فقم يا لسان الدين وادع إلى سبيـ ... ـل ربك بالحكم الصريح المؤيد
وناد عباد الله مستصرخاً وسر ... بسيرتك المثلى تعن وتسدد
وقص لهم ما في الجهاد وما روى ... رواة الحديث الغض من كل مسند

---

1 ـ المقصد بصيغة اسم المفعول مضعفاً ! المكسر .

1 ـ المعرد بصيغة اسم الفاعل : المنجرف عن مثل الحرب كالهارب .

2 ـ الأيد : القوى .

3 ـ يقال أنه كانت بمكة امرأة تسمى منشم بفتح الميم وكسر الشين : عطارة في مكة . وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى فصاروا يتشاءمون بعطرها حتى ضربوا المثل (دقوا بينهم عطر منشم) لشؤمها .

4 ـ المراد بأم قشعم هنا الحرب . ومرى الضرع يمريه إذا دلكه بيده ليدر لبنه ، وشخب اللبن سال .

5 ـ الشرى : الحنظل ، وصرخد : بلد بالشام تنسب إليها الخمر الجيدة .

6 ـ الحرب العوان : هي التي تكرر القتال فيها وهي أشد الحروب . شبهوا بالمرأة العوان التي ناصفت سنها فتكون بذلك على خبرة . يقال ضرسه الدهر أو الخطوب أو الحرب إذا اشتد عليه .

7 ـ حرب البسوس : هي الحرب العربية العظيمة التي طالت بينهم طولاً جعلها مضرب الامثال .

8 ـ حش النار : أوقدها . والغور المكان المنخفض . والأنجد جمع نجد : المكان المرتفع .

وعدهـــم بإحدى الحسنيين مبشراً ... فأما بنصر أو بأكرم مقعـــــد
فأنـــت الإمام المقتـــدي بفعالـــه ... وأنت الذي يرجـــى لهـــم مُهَدِّد
فقد وقع الإسلام من خوفه على ... بقايا بنيه في مقيم ومقعـــــدا
فصار ينـــادي مستغيثـــاً بأهلـــه ... ألا مـــن لعـــانٍ في وثـــاق مقيد
ومثلـــك إن يسمـــع شكيـــة مثله ... يغثـــه ويشكُـــه ويسل ويسعـــد

---

1 ـ يقال وقع فلان في المقيم المعقد : أي في الهم الذي لا يدع راحة ولا استقرار .

• المعسول • 6/ 111ـ115 .

ملحق 78

رسالة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى المجاهدين بالشاوية

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلى وسلم وبارك على أشجع خلق الله ، وأثبتهم قلباً ، وأخوفهم على دين الله أن يضيع ، وعلى آله عدد الألطاف الجاريات ...

لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله ـ سبحانه ـ لها ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ورباطِها في مقابلة العدو ، ومحاصرتها له ، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب ، ودفاعها على أوطانها وحرمها ومالها وأولادها ، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء .

وقال تعالى : ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان لكم الثناء الحسن ، والذكر الجميل ، والمحمدة والفخر ، ولسان صدق في الأخرين ، فكيف وأحييتم فريضة الجهاد ، الذي لا يقوم الدين إلا بها ، وما صلح أمر أول الأمة إلا به ، فلا يصلح آخرها إلا به .

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : موقف ساعة في سبيل الله ، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود .

وأخرج البيهقي عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم وعلى آله قال : إن صلاة المرابط عند الله ـ تعالى ـ خمسمائة صلاة ، ونفقة الدينار والدرهم منه : أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره .

وأخرج أبو الشيخ في الثواب ، عن سيدنا أنس رفعه : الصلاة بأرض الرباط بألف ألف صلاة ، إلى آخره .

وأخرج الإمام أحمد ـ بسند جيد ـ عن أبي الدرداء يرفع الحديث : من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام : أجزأت عنه رباط سنة ، يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

وقد تعجب الخلائق من صبركم وثباتكم ، وقالوا : إنما كان هذا الصبر على عهد الصحابة الكرام ، وتحقق الناس زيادة المدد المحمدي وفيوضه ، وعنايته ببيضة أمته ، وحفظه لهم ، ورعايته لهم على ما كانوا عليه من عمل ، وإن أساءوا وفرطوا وعصوا ، ووقع لهم الفتور في الأوامر والنواهي .

ولكن : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

وربك الغفور ذو الرحمة .

غافر الذنب وقابل التوب .

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات .

فاجتهدوا في الأذان ولو مائة مؤذن في جيش المسلمين ، وقراءة أحزاب القران كذلك ، وبترتيب أقوام يذكرون اللطيف الكبير كل يوم ، وآخرون يذكرونه كل ليلة ، والحسبلة يترتب لها أقوام آخرون يذكرونها على عدد اللطيف الكبير .

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم ، وخافون إن كنتم مؤمنين .

والصلوات الخمس في أوقاتها ـ مع الجماعة ـ ولو في حالة القتال ، فتعلموا صلاة المسابقة ، المشار إليها بقول الله العظيم : وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة : فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا بأسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم .

وقال : إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .

وإذا هجمتم فلتصيحوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم .

واستودعكم الله الذي لا تضيع لديه الودائع ، والسلام .

من الخزانة العابدية الكتانية بسلا . ووردت فقرات من هذه الرسالة في « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 189–190 .

ملحق 79

رسالة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى قبيلة أزعير

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني .

إلى كافة المسلمين ، إخواننا في الملة والدين : قبيلة أزعير : أمزارعة ، وكفيان ، خصوصاً أهل النفوس الكبار ، السادات الأحرار ، أعيان القبيلة وشرفاؤها . الذين لا يرضون ببيع ذرة من إسلامهم بملء الأرض ذهباً .

سلام عليكم ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته ، بوجود ظل الله .

أما بعد : فقد بلغنا وأن لفرانصيص أرسل لقبيلتكم أناساً يذكرون لكم وأن لفرانصيص يريد المرور بالقبيلة ، وليس له غرض بكم ، ويوصيكم أن لا تنهبوه ولا تضربوه ، بل تتركونه يمر كيف شاء .

وهذا الأمر أمر هائل . وخديعة بينة واضحة : في التولية على القبيلة ، ونهب زرعها وضرعها ، ونزوله بالمحل الذي يرضاه منها ، وفي ليلة واحدة يبني أبراجاً تحار العقول فيها ، ويملؤها مدافع وباروداً حتى تصير ناراً ...

فالواجب على المؤمن ـ كامل الإسلام ـ قتل أولائل الناس الذين جاؤا بهذه الخديعة ، التي فيها سلب السلاح والمال لهذه القبيلة من حيث لا تشعر ، وهو جهاد أكبر ، ولا يراعى الإسلام فيهم مزارك ولا عار ، إذ لا حرمة لهم ، فدمهم هدر ، ومالهم حلال ، لأنهم يسعون في تبديل نعم الله كفراً ، لا سيما النعمة الكبرى التي هي الدين .

وكيف تؤمن غوائل العدو الكافر ، ومولانا يقول : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » ، وقال جل من قائل : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين » ، وقال جل وعلا : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى

يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » ، وقال سبحانه : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

كيف نؤمن بعهدهم معنا ولا نقاتلوهم ، ونتركهم يمرون علينا لإخواننا المسلمين . فمن رضي بذلك فقد سعى في سرعة غضب الله ورسوله عليه وعلى ذريته ، وفي خراب خيمته وقبيلته ، وإن مات مات ذليلاً ، وإن عاش عاش حقيراً ، و« المرء مع من أحب » ، نسأل الله العافية .

والمؤكد عليكم به ـ ولا بد ـ أن تذهب جماعة من كبراء القبيلة : كل فرقة من القبيلة تعطي من ينوب عنها : إلى جماعة لحلاليف ، وتعقدون معهم الأخوة في الإسلام ، وعدم التعدي على السادات الأبطال السعداء الأحباء المرضيين : أولياء الله لمداكرة وأولاد محمد ، فإن امتنعوا فلا بد من نهي المنكر المنكر فيهم وفي من يعينهم على ذلك : من غير تراخ ، ويكون ذلك شرفاً لكم دنيا وأخرى ، ولا يقدر الكافر إذا سمع ذلك أن يتعدى إليكم ، قال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » ، وقال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

والسلامة لكم ولذرياتكم في الدنيا والآخرة : تقديم أمرنا ونصيحتنا ، إذ هما بأمر الله ونصيحته : على ما يقوله لكم غيرنا ـ من أهل الخداع والمكر ـ في صور النصح وقوالب الطمع ، وفي الصدر الأول من الإسلام : كان الناس يعذبون بالإحراق بالنار ليرجعوا عن دينهم فلم يفعلوا ، وكذلك كانوا يقرضون قبل ذلك ـ أيضاً ـ بالمقاريض على دينهم فلم يتركوه .

ورضي الله عن السادات الأبرار لمداكرة وأولاد ـ محمد : فهم كهاؤلاء ، ولا غرابة ، فقد قال مولانا : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » .

ومما نوصي به ولد قلبنا ، المحب الفاني ، البركة الشجاع النوراني ، ولي الله تعالى : سيدي محمد النور لمباركي الملقب بسيدي حماني : أن يطوف بهذه الرسالة على جميع من له الكلمة المسموعة بقبيلة أزعير ، حتى لا يجلس أحد ولا يتأخر عن الجهاد في العدو الكافر إذا عزم على الخروج من طرفكم .

أعانكم الله وقواكم ، وأعطاكم شجاعة الصحابة الأبطال ، وأخرج ـ سبحانه ـ الدنيا من قلوبكم ، وجعل همكم الآخرة ، وما يحبه الله والرسول صلوات الله عليه ، وجمعنا معكم ـ في قريب ـ على حالة ترضي الله والرسول والمؤمنين ، آمين ، ولا بد : « فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين » ، والسلام .

من الخزانة الباقرية الكتانية بسلا .

ملحق 80

قصيدة دخول وجدة للسعداني

القسم الأول

يا لموجـــود فديقْ محان كـــل شدّا ... يا لمغيث الّي نَدا فديقْ لنْكـــادْ
يا لباقي فضلَـــكْ طول الدوام لبْـدا ... يا مفرج لكروب القَـطْعَ للنكْبَادْ
يا سنِيدْ الّا لُوبينْ الْعْبادْ سَنْـــدَا ... يا مدبر حال الّا لُو خْبِيرْ لَـسْـــدادْ
فرج علينـــا من غلـــب الْأَمْ لعْدا ... وأيد الْيَسْـــلامْ ولَـهْـمُ العـز بجهاد
القلوب ضعافْ وأكساتهـــم برْدا ... ولا نظرنا مهمومْ بْعَـــزْ دين لجْداد

اللازمة

يا لْيَسلامْ بْكِيوْ عْلى دْخُولْ وجدَا ... دون حرْبْ غْنَـمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

عروبي :

رابُو لَصْوارْ وانْدْخَـلْ رْصَامْ العَز ... وكْسَى ثُوب الْهْوانْ فيها كُلْ عْزيز
وارضَ بالذل كل مَن ضارِي يبهَز ... وكْـسَرْ نفْسُ وعاد مثل الضّأن قْزِيزْ

وقْفَات الذل سَرْها غِير التحزِيزْ

القسم الثاني

كيف يرضى بالذل الّي الله عـــزُّ ... بعز دين الاسلام على الدْيانْ معزوز
موت لعنيا فنهار الْقَـى وبَـرْ زُ ... خير من عيش الذل فكل خير مبروز
التنالَـهْل لفضل خير ما يكنْـــزُ ... كل من مات على عز تْناهْ مـــبروز
مابْقاتْ فْعَيْشْ الدنيـا لْيُـومْ لـدّا ... عند من ديـنُ ويْمـانُ فقلْبْ لَـفْنَادْ
مصرفين الوقت فْعَسّى لْيُوم غدّا ... يغيب نجم النحْسْ ويَنْبَ هلال لَسْعاد

اللازمة

يا ليسلام بكيو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لَمراد

عروبي :

يَمْتَى وحْنا قْفَنْنَا تصبر للذل على حب لَبْقَا فالْفْنَا بعد يْطول
ما هِي دار لمقام منْ جَاكَيَرْ حَل شُفْ لْقوْمان سَيْرِين كْفْولْ كْفول

وحْنَا فتْبَعْهُم فالقَطْر الموصول

القسم الثالث

ما يموت فالورى مخلوقْ دون لَجالْ لَيْكون فوسْط الغَصاب ما يوصْلُ
ومَن مَكمَل محسُبْ لو كان كسَبْ مْوال ما ينفعُ الَّا دَغْيَ يْمَدْ رجْـــلُ
كيف يمنع من مكتوب وكِفْ ينضَال منْ حْكامْ الرَّبْ عليه القْلَام سَجْلُ
كل ما راد الله على الـــورى تْوَدّا ولَزَمْ اللطفْ يْفاجِ همْ دِيقْ لَنْكادْ
كيفْ معلوم الرخْفَ بعدْ كلْ شدّا بَاشْ يذكر الله فْكلْ ديقْ ورْغَادْ

اللازمة

باليسلام بكيو عـــلى دخول وجـــدا دون حرب غنمهـــا العدوْ نال لمراد

عروبي :

اطغ لعدوْ هذا فضْلْ كبْـــــــيرْ هادي بقعَ سْجَاتْ من غِير مْكَزْرَ
كم من أرضين حَزْتْها من غـــير هدير دخلتْ تحت الحكَام بخْلَيقْ كثْرا

وقوى عزم يْجُزْ لقْطارْ فمَرّ

القسم الثالث

جار وتجبر وبلغ منتهى فْجُـــرُ ولا بقلُويْـلّا كسْرى فخلْفْ كسرَى
عليه لَسْلَامْ إليّ فحكُمْتُ يْدُور ايْشْتُّ شملُ فمدُنُ وكلْ سحْـرا
تسير منزل لَلْيُوم البَهْيَ قْصُرُ عليه الغْرابْ يصيح بالخْلَا والْعَرا

جا الأَرْضْ الدار البيضا بكُلْ وكْدَا وقال جِيتْ نْأدّبْ بَمْرَهْفِ الفساد
ولا نْوَ يصدق من حرب ليوت فَدْدَا يبدْدُّ شملُ ويحَقْرُه بَين العبـــاد

اللازمة

باليسلام بكو على دخول وجـــدا دون حرب غنمها لعـد ونال لمراد

عروبي :

غَـرُّ جهْـلُ وْرادْ يطمعْ فالمغـــريب ولا شاف لْجهتُ الطَّلَعْ كيَغْربْ
عول ونوا وقال ظن ليس يخيب ولعب بعقول غَفْلَ عن حُكم الرب
ورمى يدُّ فْسَاطْ ونْتَنْ وعقرب

القسم الرابع

كيف ينج من جابين السموم يلعب بالزفِيرْ اذَ بَانْ يْبَيْدُ شْبَـــابُ
باد وتبدد شمل فالَوْرَى ونَسْلَبْ كل طاغ منهم تْيَتْمُ حبـــابُ
بعد شلا نَقْهَرْ سهْمْ الدنَى وانغَلَبْ وقتْ عز نَتْهَى ومضى وْفَ حسابُ
كل من يَثْرَهْ لَبَدُّ يصيدْ نَكْدَا وكل طاغ يهلكْ بقَلْ شِي فالعْنَـــاد
شُفْ لَنْمرودْ الطاغِ شْحالْ سَدَا أهلَاكْ مَن بَعْضَ وبْقَى حديثْ ينْعَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجـــدا دون حرب غنمها العـد ونـــال لمراد

عروبي :

اطغ فرعُون غَرْقُ ربِّ فالْيَمْ ما فلكُّ مَن عْدَا زَرْدُ وحْسَامُ
لفلاكْ الدُّور كتْعَلْ وتَّيَّـــمْ اطَّلَعْ كَيْحُفْ مَن بَعْد تْمَامُ
والهابَطْ لغْنَاهْ يَعلَى فمقـامُ

القسم الخامس

ما بقي الّا العَز أيا جميعْ الاسلام شمْرُ لِلجهـاد تعمكم حُـــرْمَ

كل من مات على عز لَسلام يُرحم تبعاهْ الحُورْ تخَطْفُ فكُل صَدْمَ
من كمَلْ مَحسُبُ وألْقى كْبُوسُ لَحْمامْ عاش عيْشْ الأبد فطِيبْ كل نَعْمَ
ومن بقي يتْبَخْتَر فالعزْ بيْنْ لعْدَا واسمُ مكتوبْ فْرَقْ البْدور لَسعادْ
ما بْحال كْمِيْد العديان وَدْ شَهْدا ولا بْحال مْرَامْ العدُو دِيقْ وانْكادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجـــدا دون حرب غنمها العـد ونال لمراد

عروبي :

لله الحمد بعد ظلْمتْ غَسْقْ الليل بان شْريق الضيَا طْلُعْ على لطْلالْ
وبْشَرْ بالعَزْ كلْ من كان فْتدلِيلْ وطْلَعْ فالْجَوْ صُلْتْ بعد التَفْوَالْ
وكْسارْ الّي طْغَ من سْيَتَلْ ولشْبَالْ

القسم السادس

وَيْحْ لعْدُ أما يلقَى فحرْب لبْطال يشوفْ بعْيانْ شلّا كان لِيهْ فالْبَالْ
يطيع لَلْجَزْيَ ويْسَلّمْ كانَ يَنْقَالْ أَو يْدخُل فَحْديثْ الّي مْضَى فلْجْيَال
شتّتْ ربّ وتْبَهْدَلْ بين لَقْبَالْ مَنْ قْبِيلَ قطَعْتْ سَهْرْ بْحَرْبْ لَقْتالْ
بعْدْ نحمَى بالغِير وْجَبْ كل عدَّا بْقَى طعامْ للوْحُوش على قْطارْ لوْ هاد
شْحالْ مَن أَلَفْ جابْ حْسَبْهم عدَّا ولا ظْفَرْ بَمْزِيَ قَلْ الجْنَاسْ فعْنَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجـــدا دون حرب غنمها العدو نال لمراد

عروبي :

من بعد طْغَ وجار لعْدُوَ نْقَوّا نَشْوَ فَمْغَزَلْ لْيوتْ الشَّوَيَـــا

نَكْسَرْ بَنْدُ وْطاحْ وتمزَّقْ وَطْوَا ولْقَتْ مْحالْ صُلْتُ كلْ بْلِيَا
نسقَوْ كْيُوسْ مَلْيَا من لَمْنِيَا

القسم السابع

عليه سطت العربْ من بعد هاج واقْوَ كَبْرَنَ كانتْ عن جُعْها طْوِيَا
كل من عرّشْ مَنهم فلْقْطَرْ وعْوَ عليهْ تنزَلْ بضْفَارْ لْصُلْتُ بْرِيَا
لُيْتُوبْ ويْحْسَبْ هذا البرُوزْ هَفْوَ ما بْقَتْ للعْدِيمْ لْدُلْتُ مْزِيَا
جارْ وظلَمْ وكْتَرْ من مَنْزلُ ثْعَدَا وحبْ يحكُم فَسْيَدُ قَلْ كلْ فَسَادْ
راحْ مكسورْ وصادفْ فلَوْجُودْ خَمْدَا وعادْ فَخْبَرْ كانْ ينذْكَرْ فَاتْ بَعْدَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

حرّبْ جَندُ وقال هذا جيش كْبير نمْلَكْ به الرقابْ ونحوَز لَقْطَارْ
زوّكْ ورْغَ وَدَعْ تمثِيلْ الخنزير صادُهْ انْمُرْكَسْمُ ذاتُ باظْفَارْ
وبْقَ كَرْعَى علَى عْضَاهْ تحُومْ طْيَارْ

القسم الثامن

ما سْغَ لتْوارَخْ ولا قْرَى فْلَجْفَارْ كلْ من جا للغرب تْغَرْبُ صْغَارُ
جا للمصيدَ ولْقَى كِيف سَارْ لَلفارْ علَى تْبِيعْ اللّحْسَ يتْمَزّقْ سْيَارُ
ضْرَغَمْ الغرب شْريفَ ما تْريدْ كفارْ من طمعْ فوْطَنْهُم يجَيْحُ قْرارُ
شحَالْ مَنْ قَصْوَرْ فَمْ غارُ مْعاهْ فَهْدَ كَيْصَيْدْ منْ جَا مغرورْ لِيهْ صيَادْ
من دُخْلْ لَعْرِينُ نَمْحَ وصادْ فَقْدَا ولا خْبَرْ عن حالُ وْما لقاهْ يُوجَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعد ونال لمراد

عروبي :

غرُّوه وطمعوه يرضع كلْ ضْغَاسْ وجوهْ كْبارْ برْزِينْ بعَقْل خسيس
ايمانْ قلوبْهم ما رسخَتْ بلْسَاسْ يوم الحَزّ كبيرهمْ تلقاهْ خْنيسْ
فاتْ بَفعلْهُم لمطرَّد يبليس

القسم التاسع

كيْغَرُّ بعْمايَمْ برْزين فالـــرّاسْ لُو زْقَا وْالزّنّارْ يزُولْ كـلْ تلبيس
معاندين فالْبْنِي ونْواعْ كل تَلبَاسْ رَيْهُمْ علِيهُم ايْعُودْ نَكَدْ نْحِيسْ
رْضا وْبالذّل لَمْبَخْسِين بينْ لَجْناسْ تبْعِين الشّهْوَ ونْساوْ يومْ لَعْبِيس
على مْرادْ النفسْ يأَدّيوْ كلْ وَعْدا بايْعِينْ رْقاب ليسلامْ صَيْلْ لجْحَادْ
أفعالْهُمْ مْن اللهْ أتزِيدْهُم بَعْدَا سَرْهُمْ الموتْ فْجِيفَ متِيل شْدّادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

ادمَرْهم الكريم خدَّ عِينْ الدين لا خِيرْ فْمَرْ وْليس يعْبَ بَيْمَانْ
حكْمْ بعْقْلْهُم ونْسَا وْالْمُبِيـــن دارُ لَعْدُ صديق والمومَن خــانْ
وكْدَا وَلْهِيبْ طالعين فدُخَان

القسم العاشر

كل من برّزْ صَيلْ الذلْ بين لَعْيَانْ كِيفْ من شيّدْ برجْ على فْضَاهْ مبْني
ما يْبَرْزُ للحرْب يَلّا فيُومْ هَمَان يْشَبْهُوه فْخَشْبَ من عرقْهُمْ لَدْني
ما يحبُّ يلّاصِيلْ العرابْ ينْهانْ قُوْم باءْ بالذّل مْن القديمْ لَغْنِي
سَرْهُم بْسِيف ليسلام غِرْغَرْدَا جنسْ لخْدِيعَ قصدْ يْمَانْهم لَنْقَاد

هْبِيلْ من يعمَلْ جلْ خيارْهم عَمْدَا قومْ مغضوبَ سالْ الحقْ وقتْ لَطْراد

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لعجول اذا رعو حبلْ العلّفـــــاتْ فجْزاهم الرْبَاط فيه يْنَسْجَــرُ
توْتِيقْ رْباطْهُم امْن للأفـــــاتْ والطاغ مَنْهُمْ نَادَ كْـــــــزَارُ
يقطع لِهْ لَحبالْ يَمْحَ أَتَــرُ

القسم الحادي عشر

يا لجليل أهلكْ وأدْمَر كل طُغاتْ من ترقّا وصِيلْ سلَفهْم محقُــورْ
راضْبَنْ الحكْرَ صِيلْ الرّدَالْ لَمْقَاتْ لا سْرَاخْ الْحَرّ ولا يْسَكْدُ شُــورْ
عيشهُم خْسَرَ وبْرِزْهُـم أَفـــــاتْ جاهْهُمْ يوَغّل قلْبْ لَحْرارْ وصْدُورْ
ما سْعَدتْ بهم اهل التْنَى فْبَلْدَا ولا جْتَمْعُ عن رَيْ صلاحْ كِيفْ نَعتَادْ
مرصدين على غَرْدْ مْرَدْهُم رَصْدَا ولا يْصَدْقُ فَنْصَحَ للْقْرابْ وبْعَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

كان لعرابْ كيغُصُ فَالتدبـــير عْلى عزْ الَسْلام والفَعل المشكور
ترفعْ قدرْ الْشْرَافْ وتْزَدْر لَحْقير من لا يلقَي نطَالْ لُو يعلَـى محقور
والغَفَلْ فالزْمانْ عْلى الْعدا مغرُورْ

القسم الثاني عشر

وشْمَنْ عقَلْ يا مَنْ فالْعْدَ الفْجار بعدْما هلكْهم المَجْدِين فَشْرُورْ

جادِّين الكفَرَ طالْبِيـــنْ لَـلتَّـــارْ ما يعملُ فَتْرَ طولْ لعـــوامْ وشْـهـورْ
كل عَرْبِ غنموهْ يْجَرْعُـــوهْ لمْرَارْ عنْدهُم الوَقَعْ بَسْلَفْـهُم مسْطـــورْ
لْكُلْ وقْعَ سْرَتْ فَقْلوبْـهم نَكْـدَا من بْطالَ الصُّحَبَ حِيدْرَي ومَقْدَادْ
طالبين لْتشْتِيتْ جمُعهم لَفْـــــدا شْحالْ قَطعَتْ فَرْقَابْ سلْفْـهم لَسْيَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

أغفلنا عنهم ونُجَبْـرْ لكـــــلاب وأبْدُوا بْكِـدْهُـم يرْعَوْ الْوَجْـــبَ
فتحُ لَـمْسَرَبْ لَـخْـدِعَ كَـمْ مَنْ بابْ وعْمَاهم ربْنا وطَاحُ فالْخَشْـــبَ
ونْقَـهْرُ فالْقْتالْ وارضَوْ الغَلبَ

القسم الثالث عشر

غرْهُـمْ الحالْ وْبَرْزُ لْقَاوْ لَـعْذَابْ مَن بْطالْ الغربْ فحرْبْ الوْغَى نْعَطْبُ
نابْهُم المسْعُورْ يزُولْ دونْ كُـلّابْ حْوالْهُـمْ فالْقتالْ من الدْهَى نْقَلْبُ
الْفْنَى تَلَـفْهم على عْـدادْ لحسابْ من خْرجْ لْمِدَنْ أهلَ التْنَى تْغَضْبُ
ومنْ بقَى تَاتيهْ لْـوَبَ مْتِيلْ رَعْـدَا على قطارُ تفنِي من لّا يمُوتْ فَطْرَادْ
بْسُوطْ فيهْ الصَرصَارْ يْجَيْحُ فْلَكْدا يْلْتَقي مالْشْقا وْالقوم مَن دْعَى عَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يا رب يا كْرِيمْ يا نِعْـمَ الفَـرَاجْ غرّقْ وجْلِي مْرَاكْبُ فَغْمُوقْ اللّجْ
تَـهْـنَ من الأرضْ وينَـقْـطَعْ لهْرَاجْ وتْعودْ فْرِقْيَ لَـلسْلَامْ وْتَـطْهَـجْ
ويطهّرْها الله مَن لَـعْـدُ لَـسْمَـجْ

القسم الرابع عشر

يْغِيبْ ظُلْمْ الكُفْرْ ونورْ لَسْلامْ يسْرَجْ وجندْ بَنُو لصفَرْ يبْقَى دْليلْ مَحتَاجْ
كِيفْ بَنُو يَسْرِي يبقَى دْنِي مْوَلَّجْ دلّت اللَقَطَ ما فيها هْمامْ بَالتَاجْ
قال حبْ يْمَدَنْ لَقْطارْ باشْ تَطْهَجْ وْلا تْنَبَهْ يستَرْ عَيبُ دْليلْ لْهماجْ
كلْ صُلحْ يظَنُّ عَندْ لَسْلامْ فَسْدَا كِيفْ يَرشَدْ مَن لا رب هْداهْ لَرْشَادْ
ما نْحَلْ بْصارُ ولا لْحَقْ نَهْـدَا فالضْلَلَ عَيَمْ معْمِى طْمِيسْ لَفْئَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعد ونال لمراد

عروبي :

حْرامْ عْلِيهْ غرْبْنَا يَتْمَلَكْ بِـهْ أوْ يْنَالْ لَمْرَام الْعْدِيمْ السَاهِي
رادْ المولى يْفَلْسُ ويْبَهْدَلْ بِيهْ ويْسيرْ عْلى الدْوامْ لَلناسْ مْلاهِي
وبْلاهْ فْغَرْبْنا بَلْبْلَى ودْوَاهِي

القسم الخامس عشر

عَادْ مَزَالْ يْشُفْ قْتَالْ ما نْوى بِهْ مَن بْطالْ كْمِينْ فَوْطَانْ منْ عْفَاها
مَن شْرابْ الحَنطَلْ صَرْفْ لَكْواب تَسْقِيهْ غَرْ قَومُ لَعْدِيمْ وْدُلْتُ فْنَهَـا
سارْ بِين الدّوالْ مْثَالْ تَنْضَرَبْ بِيهْ لاح نفسُ فَجْمارْ مْتَكْبَ لْضَهَا
عليهْ تَزْنَدْ نِرانْ الحرْبْ كلْ زَنْدَا يْسِيرْ فيها جَنْدُ مسْحُوقْ طَيَرْ رْمَادْ
غاصْ فالوِيلْ وْلا يلقَي لْكُلْ نَقْدَا وْسارْ مكسوبْ خْديمْ حْقِيرْ قَلْ لوْ غَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لو كانْ الغربْ كانْ مجموعْ الكَلْمَ يدهِي بَدْ وَهْيُ الزرْقَا جمْعْ الرُّوم

لكِنْ تَـهْـلكْ مَنْ دْعَ مَنّ قَـسَـمَ أُوبِحْ إِلىّ طْغَى وْجَالَسْماهْ يْحُومْ
عْلِيهْ يْصِيحْ لغْرابْ وْصوتْ البُومْ

القسم السادس عشر

يا لمولَى أيّدْ هذا لَسْلامْ بَهْمَامْ هَمْتُ مَصْرْفَ فالْعَزْ مَجَدْ فْخِيمْ
يَرتْقَي بِهْ الغرْب فْعَزْ كُلْ تَنْظَامْ يْنَدْكَرْ ما بِين الدّوَلْ راسَخْ عْظِيمْ
بِيهْ تفخَرْ لَسْلامْ عْلَى كلْ ظلّامْ وْكُلْ كَفَرْ يبقَى مَحْقُورْ نَكَدْ ذْمِيمْ
بِيهْ يخْصَبْ هَذَا الْوَقتْ فَلْهْنَ وْرَغْدَ وبيه تركَنْ للْجُودْ كْشُوطْ كلْ تَمْرَادْ
صَارَمْ الحَقْ يْمَهْدْ كلْ حيْ مَهْدَا وْلَا يْخَلّي خرَجْ لَحْدُودْ سَاطْ فَبْلَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يَهْنَ هذْ الْقْطَارْ منْ غُلْبْ الْعَدُوْ وَيْدُوْم هْمَمْنَا فالْهْنَ والسّطْـوَ
يطلعْ بدرا لسعودْ فكمالُ والصّحْوْ ويْلُوحْ عْلى القْطارْ بَسْرَارُ يَضْوَ
والعَدُ وْالْتيمْ يبقَى فالْبَلْوَ

القسم السابع عشر

غَرْ نجْمُ مَن بعْدْ زْقَى وكانْ ضاوِي وْلَا بْقَى لُو فَالدّهْرْ يْنَالْ عَزْ سَطْوَ
فاتْ قبْلْ فالغَرْبْ البَردْ قِيزْ قَاوِي وْنَكْسَرْ عَرْشُ بَعْدْ طْنِينْ كُلْ قوَ
بَعْدْ حَزّبْ بَهْلُ لَمْغَيْرَ كْسَاوِي صَادْهُمْ مْعَاهْ الْبَلَا فْكُلْ دَهْـوَ
بعْدْ خَانْ لَيْمَانْ خْلَا وْكُلْ كْعْدَا لَا سْرورْ فْدَنْيَا وَ لَا يْدَخْرُ زَادْ
حُمْقْهُم الكَفَرَ كُلْ حُمْقْ عَدّا غرْهُمْ الشيطانْ وْلَحْهُمْ فكْيَـادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

ما جازْ عْلَى لَـمْثِيلْ يحْكَمْ لْمَثْلُ فَصْحِيحْ خْبَارْ كُلْ معقُولْ ومنقُولْ
هاكْ القوْلْ الصْحِيحْ يا روي نَقْلُ تَشهَدْ لَكْ فِيهْ بالْبْلَغ هل لَعقول
ويْعَرَضْ بَالْكذُوبْ مَنْ قلْبُ مَدْغُولْ

القسم الثامن عشر

كلْ من ينكَر شمسْ الجَوْ حينْ تنْشال يْكَذْبُ وقْتْ طلوعْ شِرْقْها العالِي
باشْ يستعذَرْ حين يْزولْ شَكْ لَخْيال يْعودْ سُخْرِ يَا بيْن مْحْفَلْ الْمْوالِي
غابتْ شموسْ العَز عْرَاتْ رُوسْ لَطْلالْ وْلا بْقَى الّا وقْتْ طلوعْها الجالي
يْطَرْدْ ظلام الكُفرْ الّي قلوبْ صَدّا تْفِيقْ بَعْدْ السِّينَ وْمْع الحَقْ تَسْكَادْ
صْوارَمْ الطّغيانْ يْصِيدُ جميعْ غَمْدا تْعِيشْ لَسْلامْ فالْهْنَا والمْنَا وْلُودَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يا علي المَلك يا لمَتْعَالْ الدّيّانْ حقّقْ بَالْجُودْ والفْضَلْ جَمْعْ زْجَانا
انصُر دِينْ الْسْلامْ عن جمْعْ الأَدْيَان وهْلَكْ وفْنِي وْجَيّحْ جمُوع عْدَنَا
يلقَوْ الذُّلْ ولَمْحانْ ولْهَنَا

القسم التاسع عشر

جادْ ربٌ وَفَ رَغْبِ فْكُلْ مظنُون ولاحتْ شْموسْ العَز نْوَرْها للعْيان
الْعْدُ نَدْمَرْ وتَّنْفَ وْهِينْ مَدْعُونْ وْلا بْقَى يَتْخَطّرْلُ غرْبَنا فالْدْهَان
كلْ ما كانْ نْهَبْ لعْدِيمْ دونْ قانونْ عادْ لَلَيَسْلامْ ونُورْ الْهْدَى وليمَانْ
نامْ وحْلَمْ وتْوَعَّى بعْدْ كُلْ رَكْدَا صابْ رَسْ طَيَحْ مَرْمِ فْشَكْ لَحْدَادْ

قامْ مفزوعْ وزَادْ مْنَ القْطَـارْ شَرْدَا وصار يَتْفكَّر مُلْكُ كِيفْ كانْ وبْدَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لا يَجْمَعْ يا لْئِيمْ لَمْعَدِّي لَحْدُودْ من جَارْ عْلَى الْقْطارْ بَخْرِيقْ العاد
بَفْرِيعْ نْوَجْدُا رْجَعْ نَكَدْ مَردُودْ مَن بعْدْ طْغَ وْدَعْ عنْ كلْ حْدَادَ
ارجَعْ بَسْوابَقْ الْبُوتْ الْبَدَّدَا

القسم العشرون

أهْلاكْ لعْدُو هْلاكْ الّي عْليهْ سَنْدْ وكُلْ مومَن وَفَ ربِّي مْنَى مْرَادْ
وجبْ عِلينا حمدْ الّا ثْناهْ ينْعَـدْ تْكَلْ فيهْ الوَكْلانْ الّحَصْيَ عْدَادْ
والشْكُرْ لِلْمُلَى لكْرِيمْ لَيْسْ يَنْحَدْ مَن تفضَلْ بَكمالْ الجُودْ عن عْبَادْ
كل وقْتْ وْسَعَ طُولْ لحياتْ لبْدَا وكلْ نفسْ وْلَحْظَ هُمَا ذْكَرْ لُورَادْ
فالْمْنامْ وْسِينَ وزْمَانْ كلْ سَهْدَا مَن صْمِيمْ المهْجَ وادْخَالْ مِيرْ لَجْسادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو ونال لمراد

عروبي :

نْهِيتْ بْيَاتْ حُلْتِي ولاَ نَنْهَـاتْ عن فهْمْ الفَهْمِين حلْيَتْ معنَاتِـي
العَقَلْ كيْشُفْ قصدي بَالمَقْلاتْ يعرَفْ ضْربِ صْوبْ ينصُرْ حُجَاتِي
والجاهَلْ ما يْلُ دْرَيَ لَشْقَاتِي

القسم الواحد والعشرون

هاك يا روي باشْ اهلَ الْنَى تْحَدّثْ من سْغَلَكْ بسرِي قولِي فْمِيرْ دَاتْ

ابْشَرَتْ الخِيرْ لْطَلَبْ فَلْهَا تْقَوَّتْ اتْسَجَعْ الجَبانْ وْلَغْفِيلْ يَقْظَاتُ
الْكْوَانْ عْلَى قَلْبِ بالْسْرَارْ بَاحَتْ كلْ ما سْبَقْ فالتَكويـنْ بيْنَاتُ
رَادْ لَكْرِيم يْبَشّرْنَا بْنِيل لَفْـدَا مَنْ خْبَالْ الطُّغْيانْ الَارْجَا وْلَمْعَادْ
زالتْ الكشْرَ وسْعَادْ لْسْلامْ سعْدَا ولاحْ بدْرُ ضاوِي بَيْنْ النجومْ وَقَّادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

وتْمامْ القوْلْ فَالْغَ نختَمْ بَسْلامْ عنْ مَنْ عقْلُ دْكِي لْمَعْنَاتِي فاهَمْ
ما فاحْ عْبِيرْ كلْ طِيبْ عْبَقْ بَنْسَامْ ومْا هَلْ لَمْزَانْ بالغَيْثْ السّاجَمْ
يْعَمْ أهلَ الثْنَا والْمْقَامْ الفاخَمْ

القسم الثاني والعشرون

بعْدْ تَختَمْ قوْلِي يا حَفْظُ بْتَنْغَامْ كانْ سالُكْ الوُدْبَ عَنْ حْروفْ لَسَمْ
قُلْ رُبْعْ الكافْ وضَرْبْ يَاقْ تَفْهَامْ وْزِيدْ خُمُسْ الرَّيْنْبَ لْكلْ عالَـم
والْنَسَبْ لَمْشَرّفْ مَن صِيلْ خير لأنامْ سْنِدْتِي لَخْطَيَ ومْصَيَبْ لَجْرَايَـمْ
انْتهتْ الحُلّ فَشْهَرْ فَرْدْ لَصْيَامْ عام شرق هك لْتَرخْهَا مْوَالَـمْ
والرسُلْ الهادي لِنا جميعْ سَنْـدَا فْسَعْتْ الْكرْبْ على جمْعْ الْعْبادْ يَشْدَادْ
كل من عندُ سيْدْ المرسلين عَمْدَا ما يْخَافْ فْلَحْشَرْ وَلَا فْدِيقْ لَلْحَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

. القصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية .

ملحق 81

زجلية الشاوية نظم بناني

الحمد لله وحده ، ولا يدوم إلا ملكه .

الدرر البهية في مدح رجال الشاوية

الحمد للغاني لا بنظروه لَبصار ... حمد ليس ينتَهي يا صاح فلعبارا
ودنا بالهادي طه شريق لنوار ... إيمام لوجود الماحي بازْغ المنارا
الصلات عليه من الله ليل ونهار ... والرضى عن آلو وأهل هل الطهارا
والصحاب الوَدْ بَالمطهرين تطهار ... من فناوا الكفارا سْياتل الغْزارا
بالجْهاد اشتغل ومضو فيه لعمار ... سرت نمدح فيهم ونقول بالجهْارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعزوسرار ... بالجهاد فلجحود خنازَر النصارا

عروبي :

سبت هذا الفتان فالضَّيْ أديجور ... بها ناس العقول لفضال نخبّر
ناض الكافر بالعزم يصنع بابور ... يعين على المون وينقّل لحجر
حط السكا وسار يخدم ظلم أجُور ... حتى فات الحدود وطغى وتجبر

قام عليه الهراج وتفلس وخسر

مشا يغيثْ ورجع قل لَكْنوس عجلان ... جا وْجاب العسكر ونوى يكون صايَن
رتب العسا باش ينال كل أمان ... خاب سعيوا ولقى لهوال والمحاين
بَلبْطرَ حركتْ لُو من كل جِيهْ شجعان ... ريتلو البلاد أعبَوْا الملاين
فيه قتلوا عدد الاخْشَوْ من عار ... السغاض المظالم وقاست خسارا
لِهْ حلفوا ثم لا ضار قدْ ما دار ... لو يعرَفْ يفنَوا على الاَسلام غارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولـوا بعـز وسرار بالجهاد فلجحود خنازَر النصـــارا

عروبي :

انزل ولـد الحـرام بجنـود كثيراً وأعمل يَدٌ مع هْل الدار البيضـا
أنووا يكون لهْم عزوَ وَدْخـــيرا دخلهم فالزمام تمثيل فْـريضـــا
وتَـرْن غير جرّ بِهِـــمُ لَحْصِيرا حتى صاروا يحدثواهـاذي فيضا

ولّا علّا من العلّات عْرِيضا

أبداً أيحارب لحرامي كل يُوم قْتال لِينْ ما ردّ الرّاسْ فْساعْتُ يْـوَلّي
غربت شموسوا من بعد الطلوع ونْضال طاحت سواروا وبْقي فالفْضا مْتَلِيّ
كل يوم يجيب محـلّا هْبيـل لَهْبال جاحْ وبقَى فهمومْ مْحايْنُوا مُقَلِـيّ
نوّضْ السلطان يعينوا وشـاع لَخبار غلّب الله الشاويا على النصـــارا
طاحْ ميْمون الكفَرَ كبار وصغار صادفُ لْمحانْ ولَفْتانْ ولْخســارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازَر النصـارا

عروبي

كم مَّن كافر للرباط ادخل عريان هاذي هانا وليس تشبهَاً هانـــا
فروا وتفرقوا على جمْعَ البلداج أرهُوطْ كشـارْجات منهـم عريانا
عبادين الاوثان يسهّلـوا لَمحـان والدقّ عْلى الأضغان لَكْشُوطْ عْدانا

فُوقْ نْقِيموا عْلى الكْوَارَشْ شَعْبانَا

اجتمعت الروم أُقال نكثرو العداد جمع قاوي ما يتْنهىَ ولَا يْلُوا حدْ
نْحوّزُ قصبَتْ مديوناً يطيـب لَمرْاد عاد لحكّامْ نقولوا فيدْنا تْسَكّـدْ

جاوْبَا لْحِيلاتْ أُدَخْلو لْها الفساد حوزوها وأصبح أوطانها منكّد
زاد فالحين القصْبَتْ بن رشيد بَطّارْ خفّ من رمْشَتْ عيْن أُخَفْ مَنْ عْمارَا
جاو بعض الشاويا ينصح الغدّار خرْجوه بْحِيلاتْ الأنْوَى الكَارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار باالجهاد فلجحود خنازر النصارا

عروبي :

خرجوا به الليْم فالْحِينْ اللّمْحَجْ ونوى يمشي سريع قاصد مراكش
جهزْ مُوَنا وجابْ كل مّا يحْتَجْ وتَرْنِ جا على المْحَايَنْ كيفتّش
جْأوصل لَوْعارْ بِين لخَنادَقْ فالفَجْ دارت بهْلْبْطال وْتفَافَا ودْهَش

وبقى بِينْتْهم تالَفْ كيف الوَحْش

سارت القوم تْكزّر فالكْلابْ تكزِير ما نفعهم لَعْدا عَدّا ولا مْدَافَع
نزلوا لمكاحَلْ ذاك النهار لكبير والمَولّي عنهم غْيَاوْ مَا يْدافَع
جاتْ مَنْهم فاذْنابْ الخِيلْ كم من يْسِيرْ شُوفْ نجم الدين فْبرجْ السعود طالع
دَرْمُوا زادوا للسطات يا لحُضّار بعد ما قاسْتْهم مَنْ قَبْلهَا خْسَارَا
زاد عُمَر السكتاني سريعْ غيّار حوَّز البَنْدِيرَا بالمِيزْ والشّطّارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار باالجهاد فلجحود خنازر النصارا

عروبي :

اخْوايا من تسالْ لقْصابِي ورْجَع لهْلا يلقيه خِير لحْقِير الكاشَفْ
وادخَلْ فَجْوَاهْ بالقهر من تعد دْلَعْ نْحطّمْ غرْسُ وْمَاهْ لَحْتَالَا ناشَفْ
وألبس ثوب الحْزَان عاجَلْ والتّقْمَعْ ما نفعتُوا قبيحْ لفعالْ مْنَاصَف

وارجَعْ كِيدُ فْنَحْرُ هَوْلُو صَادَفْ

حاج درد ما نفْـدَا عنهم بَمامْـوال ولا يْوَجْدُو مثل ولْدَ الزّنَى فْبارِيزْ
كانْ لحرَامِي فالصُّوكـا يْدِيرْ حيّالْ مع مْشاكَلْ ونْواعَر حَيْرُ هَل المِيزْ
خلّفُوا دُمَادْ فْعَوْضُ جميع لَرذَالْ ولِيسْ جابْ لَـخْبَارْ على وْلاد لَحْرِيز
ابدا يقاتل لعدُو ما طلْـعْ لِهْ شنْيَارْ كل يوم يخلِيّ شَضْيَا فْوَسْط كارا
مَن مدافع وسلاح كثير ما يْنَحْصارْ والمجارَح والمُوتَـى ما لْها عْبَـارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار باالجهـاد فلجحـود خنازر النصارا

عروبي :

أما خلّاوْمَنْ كْرَارَسْ ذَا القرطاس وما خلّاوْمَن مدافَع ومْهَـارَزْ
وما خلّاوْ مَن خْوارَجْ في تَـهْراسْ وما خَلّاوْ فَلْبْطاحْ مَـن كنايَـز
وما خلّاوْ مَنْ شْمارَزْ ما تْقاسْ وما مَن راسْ مَن الكَـدَا يَتّفْرَزْ

حِينْ بْدات الْبْطالْ فيهم تْغَيَرْ

لو نْظرتِ ما بهم سارْ مَن الأفـاتْ شْحالْ مَن يدِّينْ ارَجْلين ريتْ طارَتْ
يا لْهَا مَن صُوكا عدّاتْ كل صُوكاتْ في بهاها لعْجِيب هـل العقُولْ حارَتْ
يا نْدامَتْهُمْ على فَعلهم لوْ شاتْ يا خْسارَتْ قَلّ العِيفَاتْ الشْمَايَـتْ
ابقَوْا ملْيوُحِين فْلَفْرَارْ صادْفُ نار والهموم الكثْرَو الشّوْمْ والْحْـرَارا
وزّعوهـم لكلابْ امَنْ تْسَالْ وطيارْ كل طرْفْ تفرّقْ وحْدُ مْشَى الْحَارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار باالجهـاد فلجحـود خنازر النصـارا

عروبي :

لبروص على الدوام فيهـــم تشفّـا وعليهـــم قام فِشْطا وزْهَـى ونْشَطْ
سمعُ لفرنصيص وحْـــزَن والتّقْفَا ومَن عيُون الكَـنوُسْ لمفلّس نسْقَطْ
جَرحُوا مُحالْ كانْ بَاقِي يتَـرْفـا جرْحْ الأَلُو طبِيبْ وْلا يَتْخَيَّـطْ

لكن كان الخبيث بَلْسانُ شِيَّطْ

اشْحالْ ما خوّفنا لكوازطي فجرنان كلامْ مردودْ عليهْ أُبِهْ ما رْضِينَـــا
كل جَمْعَا يأتي بجريدتـــوا الخوّان بْشي خْبايَـر شَلّارِينا وْلَا دْرِينـا
كلها من مويقات الدني الشيطـــان ولْدْ يبليس فعالوا خايْبـا وْشِينـا
كيخـوفنا من لفرانصيص لحمـار أشْ يرجَـي مَن خير فوَلْـدْ لحْمارَا
ما قرَا حُرْما ما عندُ الكـلْ توْقـارْ ما دْرَا للصـدق الاجابْ لُويْمـارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصـارا

عروبي :

لوُرِيتي كِيف كان لَحرامِـي يفرح عْلى وجْدَا مْنِينْ حازوهـــا لَكْشُوط
وأصبح ذاك النهار مسرور مطرَّح ليتْ شِعري وَشْ طَازُو لَلْمَزلوط
وجدا دار الاسلام صِغْ كـلام الصّحْ دابَ ربي يرذْها مَن دونْ شْروط

وعْدُوها في تْرابْها يَضحَي مَخْبوط

وينْ سيدي يحيى سلطانهـا الأمير ريتْ سرُّ مصباح العارفين ظاهـر
واينْ الصالحين رْجالها هـــل الخير واينْ السيد عُقْبـــا راحَتْ الخْواطَر
واشْ ما عارْ علِيكُم يا كنوز لَفقير مْشاتْ وجدا فحْماكم حازْها الكافر
يا سيوف الوهاب فجوْ هذْ لَغيارْ يا هَلْ العطْفَا والبُرهان وْلِيغَـارَا
وعْدْها خلّانا تمثيـلْ فارْق الـدّار غايبين بالهمـوم عقولْنا سْكَـارَا

اللازمـــة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهـــاد فلجحود خنازر النصـــارا

عروبي :

واجب لبكا على دخولك يا وجدا ابكي يا درّت البْها بدمـــوع الدم
دخْلوك بْلا محارْبَ لامَتْ لَعْـدا دخْـلَا فالْحِينْ بارْدَا دُون صُوارَم
هاذي شدّا وليسْ تشبهها شـــدّا لكن نرجـى الكريم لَجليـــل العالم

يهلَكْ فقْريبْ هذ لجْحيدْ الظالم

جاوْبْتِني بلْسان الحال عنـدْ لَمقال قالَتْ العذْرَا لَوْجِيبَ بْصُوتْ عالي
تاهْ بنو آدم مْعَ القْمَاشْ والمـال ولا فْعَـلْ بَاشْ مَاءامَـرْ ربّنـا العالي
فايْن خْيولي وزْجالي كهولْ وطْفال وايْن بْراجِي ويْن مْدافعي ومالـي
واينْ السكان فْقُرْبي وكل جُـوَار ما نظرت فْلَوْرَا من جابْتْ يْغـارَا
واين بْني بزناسن يَاكْ غِير لحرار واينْ بْني چِيلْ أعربان والصحـارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بغزو وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصـــارا

عروبي :

نهضوا يا هَلْ الشرق تَغِز يوْفلعْدو قوموَا لله كلكم فْسَاقْ الجَـــد
هذا الكافر عنكم ادفـع جَهْـدُ وعيون القلب ساهيـا وغْشَاها رمْد
قِوّوا إيمانكـم للحـرب أزِيـــدُ عرْفوُا من مات مَنْكم ماتْ مشَهّد

مغفور الذنب ساكن فْجنات الخلد

شف لفضال الشاويا هل النْجـاد اشْحالْ هذا من شهر مقابْلين للروم
شف لفضال الشاويا فالزّيْـــادا عانهم بْفَضلُ رب الورى القيـوم
شف لفضال الشاويا فْخَرْقْ عـادا كل هَزْبَرْ منهم يُوم اللّطـامْ مَحزُوم

اتْشَبْهوا بهم يا ناس الوْفا ولَشْرار فاجْهاد تفوزوا بالعز والثْيَارا
سهْلوُا فالكلاب هل الشقاو لَشرار يْلَا أنتم بْغِيتُوا تَبقَوْا فَالْعْمارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا

عروبي :

شوفوا جمع الفحول قام للجهاد يا سعد اليِّ بْحَالْهم قام يْجاهد
نصروا دين الاسلام وغزوا الجحّادْ واصبح لفَرنصيص محقُورْ وناكَد
ما رَوَحْ طايْلَا وْنَعْمى من لَتْمادْ وامدادْ المومنين باقي فَالزّايَدْ

واطلع بدر الإسلام بنْوَارُوا وَاقَدْ

أَشْ رَامَنْ لَارَا لْبطالْ وقْتْ لقْتال امجرّدا مَن لَكساوي غِيرْ فالشْراوَلْ
عْلى الخَيول المعتَبرايَا لْفاهَمْ رْجالْ بالزْرايَمْ وسْيوفْ حْدَادْ والسبَايَل
الأسيادَ وجوه الجنا شموس لنْجالْ امثِيلْ هاذُو تفخَر بهُم القَبايَل
جاهدوا فالكافر وسقولِه لْمرَارْ رَوْحُوهْ مْيَسّرْ في حَوْمت السُّقَارا
ما قْرَاشِي هاذي واعماتْ لِهْ لْبصار عَمّروا مَن هاذي لَجْحِيدْ لا تْوَارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا

عروبي :

صولي يا دُرّتْ الجْمال الشاويا لك النصرا والأسرار أُلعَنْايا
حَزْتِ لقْبولْ والحْسانْ المزِيّا لنّكْ بقْعا مشرفاً فيكْ مْنايا
اتْغَبْطَكْ سايَر المدُون أبادِيا انْبَخْتَرِ يالْقَاصْرَا رُوح حْشايَا

فَحْلولْ العْز يا مْرَامِي وغْنايَا

يا لشاويا فيك رجال ما تْنُو جَادْ — يا لشاويا فَالبَهْزَا مْثِيلْ الأسُودْ
يا لشاويا مشهورَ افْيُومْ لَعنـــاد — يا لشاويا تهزم فاللّطام لَحْسُود
يا لشاويا يَسِبوْا لَقْرابْ وبْعَادْ — يا لشاويا شرّفْهُم ربُّ لَوْجُود
يا لشاويا صولِ على جميع لَقْطارْ — يا لشاويا بِهمْ حلّتْ الْبشـــارا
يا لشاويا جرّ الذّيل ليل ونهار — يا لشاويا ناسَكْ حازتْ التّمارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار — بالجهد فلجحود خنازر النصارا

عروبي :

يا رب يا لرسول وايات القرآنكا — والزهرا الطاهْرَ ولحسن والحسين
انصر دين الإسلام عن ساير لاديان — وانصِر يا ذا الجلال جيش المسلمين
واهزم جند الجْحُودْ يا عظيم الشأن — نتسوسل بك لك يا نعم المعين

فرج هذا الهْموم واحمِنا فالحين

ودُومْ سلطاني سيف الحق نور لَلْحاظْ — روح ذاتي لْمجَد مولاي عبد الحفيظ
قام بالجهاد المِلكْ طيب لغراض — رايت ليسلام رفعها كاظْمْ الغِيظ
أهمام ولد همام يترك العْدا فْتَبْعاض — أشريف علوي بَحْرُ بالمواهب يفيض
به بفخر جيل وْرَا جيل زهر لحواض — قام بشرط الملك المِيرْ ناهْض نْهيض
سار سِيرا حسَنا يا لفاهم وناض — على شريعت جد وفتح كل تغميض
وَشْ رَا من لارَاهْ على الكْشُوط مْغتاضْ — والبْطالْ تْشَالِي فالحرب خفْ من فِيضْ
ايحرض المسلمين على الجهاد تَحْراض — لِهْ باع فساير لفْنون واضح عريض
لِهْ لهمام عْهُودْ ضْحاحْ ليسْ تْنْقاضْ — إذا يْقُولْ يْوَافِي فوْقْ الظّنُونْ ويْعيظْ
كلمت مسموعاً قوت القلوب لمراض — آهْ عني من وحْش بهاه ساقْم مريض
قام بالسّنا والكتاب زال لخواض — لِكْ فوض أمر يا ذا الجلال تفويض
خذ بِيدُ وانصر بَنْدُ المجد يُحفاظ — ادخلّيكْ بيْمام الأرسال يا لحَفيظ

هاكْ حُلّا فطْريزْ الفَن يا لحُفّاظ ... بنت لفْكار أدريسيا تهدُّ لبْغِيض
أكثيرت المعاني ومنقحا فللفـــاظ ... يا نديم تعنّي بها وصون لقريض
والسلام نْهيبُ ما فاح طيبْ لَزهار ... على الاشراف أولاد الزهرا هل اليْغارا
قال عبد الهادي يرجى عفو الستار ... الذكي لمشوّق للجج والزيـــــارا

القصيدة منشورة . بالمطبعة الحجرية الفاسية .

ملاحق ختامية

ملحق 82

رسالة استدعاء قبيلة الرحامنة لحضور مجلس الأعيان :

الحاقابص 199 .

الحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله ، حدامنا الأرضين : قبيلة الرحامنة : أخص كبراءهم وأعيانهم وعلماءهم وشرفاءهم ومرابطهم ، وفقكم الله ورعاكم ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد علمتم أننا منذ أقامنا الله في منصة أسلافنا الكرام ، وحملنا أعباء التكاليف برعاية الإسلام ، وطوقنا أمر رعيتنا الشريفة : ونحن مجتهدون في كل ما يرضي الله من النصح وتطهير الصحيفة ، ونتحمل في إصلاحها كدًا ، ونكابد الحوادث فيما يكون لها رشداً ، ونتعب أنفسنا فيما فيه راحتها وأمانها ، ونسهر أجفانا لتنام أجفانها ، قياماً برعاية المسلمين وإرشادهم ، وحملا لهم على صلاح معاشهم ومعادهم ، وإمتثالاً لقوله ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحفظهم بما يحفظ نفسه ، إلا لم يجد رائحة الجنة » .

وما زال اعتقادنا في سائر الرعية أن يتجلى الله بألطافه ، ويكشف عنها البلاء الذي ينشأ عن ارتكاب شقاقه وخلافه ، حتى يبقى حماها من صدمة الحوادث مصوناً ، وتحاط جوانبها من الخطوب التي مدت لها يداً وفتحت لها عيوناً ، بحيث لو تدبرت عامة المسلمين ما تقاسيه من المدافعة عنهم : آثروا خدمتنا على أنفسهم

وأرواحهم ، وتسارعوا للتحفظ على صدق طاعتنا بكبارهم وصغارهم .

ومما امتحن الله غوغاء الفساد بمحنة هذا الفتان ، المتصور لهم بصورة الشيطان ، ولج اغراؤه المخدوعة به ، وإضطراب حال الضالين منهم بسببه ، حتى آل الأمر إلى ما ترون من إفسادهم ، وطمس الله على قلوب كثير منهم بسبب طيشهم وعنادهم .

ومن ذلك تحركت الإيالة الجزائرية لإقتراح أمور تضر برعيتنا الشريفة ، واشتد طموحها للحادث المخوفة ، وتشوفت غاية التشوف إلى مديد الترامي على المسلمين ، وحدوث شوكتها للإستيلاء على قوة الدين .

وهذا الخطب هو الذي كنا نتوقاه وندافعه ، ونسالم فيه الوقت ونصانعه ، ونعامل إيالتنا الشريفة بالجميل لتبقى كلمتهم مؤلفة على التعاضد ومرتبطة بحبله ، وبسببه أفرغنا خزائن الأموال العديدة ، وجهزنا من المحال والعساكر والجنود ما رجوناه عدة واقية ونتيجة مفيدة ، وبالغنا في إرشاد الرعية بكل ما أمكن ، واجتهدنا في إصلاحهم عسى أن تستقر حالهم عليه وتتمكن .

ومع ذلك [1] كثير من الضالين جاهلين بعاقبة فسادهم ، عاملين عما يترتب على تفريق كلمتهم وعنادهم ، ولم ينظروا لما نسعى لهم فيه من الخير الذي ينقدهم من المهالك ، ويحمي أرضهم وأعراضهم من فجأة الخطوب الحوالك .

ولما سددنا في ممانعة المتشوفين ، وعدم مساعدتهم على فيه ضرر المسلمين ، ظهر منهم عليّ التضييق وزيادة إلحاح ، وإستحال ما كانوا يخفونه إلى التصريح والإفصاح ، وتحقق لنا أن الفتان إنما يروج بترويجهم وإغرائهم ، وأنهم هم الممهدون له ليحصلوا على قصدهم ورجائهم ، ويتوصلوا به لتفريق كلمة الرعية ، حتى يدركوا ما يريدونه من الأمنية ، وصارت الإيالة الجزائرية تمد الفتان بما تقويه به قولاً وفعلاً ، وتصدرت لإغراء القبائل على متابعته عمداً لا جهلاً ، وأخذت في تحريك الأسباب ، التي يترتب عليها ـ في الرعية ـ الإنحلال والإضطراب ،

---

1 ـ بياض بالأصل .

وأعلنت باذاية[2] محلتنا السعيدة التي بوجدة والتضييق بها ، وقطع مرور القوت من ترابهم إليها ، وتثقيف ما نوجهه إليها من المئونة والقرطاس والعدة . ليتهزوا فيها الفرصة في حال الضيق والشدة . ويجعلوا ذلك وسيلة لتعميم الإذاية والإستيلاء على الرعية . ولا يجهل أحد من المؤمنين أن التعاضد على الإتفاق هو الكفيل بحفظ الأمة ، وأن الإنحلال متى وقع منهم أدى إلى انتهاك الحرمة ، وأوقعهم في محنة : « الذين إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاذمة » .

ولا زلنا نتحمل ما لا يظن من وجه المدافعة . ونرتكب كل ما يرضي في المحاجة والمخالفة والممانعة ، ولو إطلع المسلمون على ما يلحق المخزن في ذلك لتسارعوا لإعانته برقابهم وأولادهم ، فضلاً عن إعانته بأموالهم وبلادهم . ولخرجوا عما يملكونه رغبة في الإنقياد عن الخطب العظيم ، وحرصاً على بقاء قوة الإسلام مصونة التعظيم ، لأن حفظ الرعية لا يدوم إلا بالقوة الإسلامية . وتلك القوة لا تنضبط للمخزَن إلا بالإستعداد التام ، الذي يصان به النظام ، وتنفذ به الأحكام . ووسائل الإستعداد لاتتوفر إلا بالإعانة الجارية . والحباية التي تطهرهم وتزكيهم من كل بلية .

ولذلك جعل الله إخراج الزكاة والأعشار من دعائم الدين ، لكون استيفائها من أعظم أسباب التقوية التي يعود نفعها بحياطة جانب المسلمين ، وكذلك ما اقتضته السياسة من عهد السلف الصالح : من استمداد الإعانة التي يتقوى بها المخزن على الدفاع ، حتى لا يقع ما يخشى بالرعية من الفشل والإنصداع ، بجميع[3] المؤمنين الذين يلهمهم الله للتمسك بالسنة والدين ، ويوفقهم للنظر في العواقب بعين اليقين .

يكون[4] أحرص الناس على التآليف والتعاضد على الصلاح ، والتسارع إلى الإنقياد والخدمة والإنتصاح ، والمبادرة إلى إيثار جانب المخزن بكل ما يرضي ،

---

2 ـ في الأصل بادليه .

3 ـ هكذا بالأصل .

4 ـ كذا بالأصل .

ويراعي في ذلك مدافعة الخطب العظيم الذي ترتب على بقاء الناس فوضى .

ولهذا شرحنا لكم بعض الحال الوقتي الذي أطلعنا منه على ما لم تطلعوا عليه ، ونظرنا في تخليصكم منه إلى ما تنظروا[5] إليه ، ورجونا أن يزيدكم الله إرشاداً ، ويفتح بصائركم لما نحبه بدءاً وختاماً . فتقوموا على ساق الجد في الإعتصام بصدق الخدمة والإمتثال ، والإمداد بما يقتضيه الحال ، ويحض بعضكم بعضاً على وسائل التقوية ، والقيام بحقوق التوفية : بالإهتمام منكم ورغبة نفوس طيبة ، ونهضة إسلامية ، فإن الخطب ضاقت به المسالك ، والأمر أشد من ذلك .

كما نأمركم أن تعجلوا بتوجيه من ترضونهم من أعيانكم وكبرائكم ، وتعتقدوا منهم خيرة ودياتة وتقتدوا[6] بهم ، وتكتفون بنيابتهم ـ عنكم ـ في الورود لحضرتنا الشريفة في جملة من حضر بها من أعيان المدن والقبائل ، بقصد المفاوضة معهم في كشف هذا الخطب وعلاجه ،ومدافعة ضرره وتسكين هياجه ، ليكونوا على بصيرة من الحال ، وتعرفوا ما قاسيناه ونقاسيه من مطاردة الحوادث عنكم والأهوال .

وقد كتبنا لغيركم من القبائل بمثل هذا ، رغبة في توافق الجميع على توفر القوة الإسلامية وأسبابها ، وتخلصهم ـ لذلك ـ من مخالب الخطوب وأنيابها .

وإذا تماديتم على الركن إلى التهاون والإنحلال ، ولم تحرككم غيرة الدين إلى المبادرة والإمتثال : فلم تبق علينا ـ في حقكم ـ ملامة ، لأننا بالغنا في إرشادكم وإلهامكم لطريق السلامة ، وعرفنا بما لم تطلعوا عليه وبما يترتب على تخاذلكم من الضرر العام ، ووفينا بحقوق النصيحة الدامية[7] والرعي التام ، ومن بصر فلها قصر .

والمرجو من الله أن يلهمكم الصلاح وشد عضد بعضكم بعضاً ، ويوفقكم

---

5 ـ كذا بالأصل .

6 ـ كذا بالأصل .

7 ـ كذا بالأصل .

لوجوه الخير وتدارك الحال بما يرضي ، وأن يحوط رعيتنا الشريفة بألطافه الشاملة ، وعناية نبيه الكاملة .

والسلام ، في 18 جمادي الأولى ، عام 1323 .

من نسخة رسالة عزيزية ضمن مجموع : خ . م رقم 12693 ص 444-448 .

تنبيه :

لاحظ ناسخ المجموع المشار له أن بالأصل المنقول منه تصحيفاً وتحريفاً وحذفاً .

ملاحظة :

تاريخ هذه الوثيقة يتأخر عن توقيت الإستدعاء الأول لمجلس الأعيان ، غير أن أعضاء المجلس ـ في هذه الفترة ـ كانوا لا يزالون بفاس ، وقد انعكس هذا على صياغة الرسالة ، فجاءت تخالف شكل الإستدعاء الأول .

ملحق 83

عروض السفير الفرنسي في مجلس الأعيان بالجلسات 2ـ 5 ، تبعاً لإشارة عند ص 187 :

تعليق 7 : على ضعف في صياغتها

(المجلس الثاني)

الحمد لله المجلس الثاني مع باشدور الأفرانصيص

لما طولب الباشدور بتمام الكلام وتفصيل المجملات : أجاب بالإستفهام عن التفصيل المطلق : هل في جميع ما تحمله أو في التنظيم العسكري فقط ؟ فأجيب ببيان الجميع . فذكر أن التفصيل متعلق بالمباشرة ، وحين يتلاقى بسيدنا ـ أيده الله ـ يبين له ذلك ، فأجيب بأن سيدنا ـ أعزه الله ـ كلف أعيان الرعية بتلقي ذلك منه .

فذكر أنه حين تلاقي سيدنا ـ أيده الله ـ طلب منه أن يعرض كلامه عليهم ، ولا خلاف في الموضوع ، وإنما بقيت كيفية المباشرة يبديها لسيدنا أيده الله ، ثم قال : إن التقرير الإجمالي يقرره بمحضر الجمع ، لكن المباشرة خاصة بالملاقاة .

ثم شرع في تتميم الكلام فقال : إنه كان قرر لدولته في الخصوصيات ، وما يلزم عليها في الدولة الشريفة ، وبيان العلل المتعينة للصلاحات (كذا) ولا سيما الأمور العسكرية ، وإنه طلب الإنصات والإستيعاب .

ثم قال : نواحي هذا القطر المفتقرة للتنظيم هي النواحي التي فيها التجارة الأرباوية ، وحصل لأهلها التشويش ، وصارت تتشوف لحماية الأجانب ، وخصوصاً الكوشطات ، ثم نواحي الحدود من البحر الأوسط إلى الصحراء .

وإنه يقدم الكلام في الكوشطات ، وهو أنه لا يخفى أن المتعاطين للتجارات يطلبون الأمن على أموالهم وأنفسهم ، وفيهم منافع بالسلع ، ومنعة للوطن ، وأن هذا الموضوع كثير من الأجانب والأجناس عقدوا فيه عقوداً .

ولا يخفى أن الدول التي عندها التجارة في هذا المغرب تطلب التسهيل والأمن

على أنفسهم وأموالهم ، وأول ما يناسب الإصلاحات التجارية إصلاح المراسي وتحصينها ، لأنها اليوم ليست ضامنة لصيانة أموال التجار ، وأعظم الحصون هو الأمن الذي صار ينقص ، وتكررت الشكايات التي يجب الإعتراف بأنها على صواب .

وأما ما يرجع إلى الحوادث فكثيراً ما كانت تقع ، لكن هذا الحادث أدى إلى الإضرار بالحدود وزيادة تقاقمها ، حتى إن العمال لم يبق لهم نقود .

وأنه أراد أن يقدم الذكر على طنجة ، وإنها لها بال ، فيتعين صرف المخزن همته وباله لها ، وإن قبل هذا كانت مأمونة ، على أن نحو الثلثين منها خارج المدينة ، واليوم صارت كأنها في حالة الحصار من عدم الأمن ، وزاد ذلك بقوة بعض الفساد ، حتى صارت كلمتهم هناك أعظم من كلمة النائب ، وبعضهم يتعرض في نواحيها للناس ، ولا زال ذلك في زيادة ، ولا يخفى ما كان وقع على قبضهم في بعض الأرباويين ، وتكتيف البعض ، وتقدم استرعاء الأجانب في ذلك ، لأن ضمانة المخزن ينبغي أن تكون محفوظة .

وأن طنجة فيها نواب الدول ، وقد صارت مركزاً عظيماً ، وأنهم يطلبون الأمن على تجارهم ، ورعاياهم ، وعيونهم كلها مفتوحة لها ، ولا أمن فيها ، على أنه ينبغي للمدن الساحلية أن تكون فيها قوة النفوذ المخزني ، واستشهد بأن أصيلاً وقع فيها ما يصدق عدم النفوذ المخزني .

وكان وقع ما وقع بالعرائش ، حتى ظل البارود يخرج ، وصار الأرباويون الذين يطلبون الإستغاثة على الوجهة الحبية ، فحصلت بسبب المركب الذي نزل بمرساها على يد النواب .

وكذلك ما وقع بالدار البيضاء : بهجوم بعض الفساد عليها بعدم نفوذ العمال ، حتى صولحوا ورجعوا .

وأنه لم يقرر الوقائع ، بل نقص واختصر ، وعلى هذا تتعين القوة والنفوذ

في كلمة العمال ، وهذه القوة استدعاها الوقت ، ولو تكون قليلة لاكن تكون مضبوطة .

ولا يخفى ما وقع من حادث بردي كريس ، ولما توجهت المحلة لأجل ذلك أول ما شرعت فيه النهب ، فتعين الكون على بال من شكايات الدول بأن الضرر تزايد ، وأن القوة في نقصان ، ولم يبق على تجارتهم أمن ، والأجوبة التي صدرت لهم انتشرت في الجرائد .

ثم قرر الوقائع بنواحي الحدود المتعلقة بأفرانصا خاصة ، فقد حصل لها ضرر عام بعدم الأمن لرعيتهم ، وهي منقسمة بين تل وصحراء ، فالأول إلى نواحي سعيدة ، وكثيراً ما يقع فيها القتل والنهب ، ويفر الفعال إلى الإيالة المغربية ، وبلغ الترامي إلى قرب تلمسان ، وهذا نحو عام ونصف وقعت نهوب وهجومات فيما بين تراب رعيتهم إلى ناحية سعيدة ، ولزمتهم صوائر للمدافعة عن أنفسهم .

وأما نواحي الصحراء : فيقع كل يوم اكثر من ذلك ، ولزمتهم مشقة في كف رعيتهم عن المقابلة لأخذ الثأر .

وأما نواحي فجيج ففيها تجار فرنصا ، وكانت بها العسة الأرباوية ، وفي هذه الأيام قتل من أهل تلك العسات نحو سبعين أرباويين ليلاً ، وإنكم تعرفون الوقائع العظيمة التي صدرت في الحدود ، ولا يخفى ما يلزمهم من الصوائر ـ على حفظها ـ على نحو ثلاثين ألفاً من العسكر ، فيصير على ذلك كل سنة نحو الأربعين مليوناً من الأفرنك ، ولا يخفى أن لصبر دولتهم حد ونهاية ، وكثيراً ما يدافعون ، وربما أتى وقت لا يمكن الصبر عنه والمدافعة فيه .

وعلى كل حال فلولا أنه لم تتقدم وفاقات بين الجانبين على حفظ الحدود بإعانة منهما معاً : لوقع دخول الإيالة الجزائرية ، ولا يقدر على منعها ، وهذه الوفاقات هي ـ بنفسها ـ التي حفظت نواحي الحدادة المغربية ، ولولا وجود هذه الوفاقات والتشكي بكثرة صوائرهم وشيوع الضرر لم يستعجل المباشرة ، لأنهم طالما صبروا غيرهم ، ويواعدونهم بسبب تلك الأوفاق ، لكن حيث كثر وعدهم بالصبر

تعين تدارك المباشرة ، لأنه لم يبق وجه لتصبيرهم .

على كل حال إذا لم تكن قوة للمخزن فبأي شيء يرد السحاب العام . وقد أبدى شاهداً : وهو أنه كانت حلت قوة من عسكرهم بنقطة من الإيالة المغربية بغير إذن من الدولة الجزائرية ، وكان حلولها على الوجهة الحبية ، حتى منعوا الفتان بنواحي عيون بني مطهر . وما توقفوا على طلب ذلك من الدولة المغربية . لكن اقتضاه الحال على الوجهة الحبية ، وحيث حلوا بتلك النقطة فلم يمكن لهم إنهاضها ، لأنهم إن أنهضوها يعمر الفتان ذلك المحل .

نعم إذا يعمرها المخزن بقوة تنهض محلتهم ـ حينئذ ـ التي بها . وبوجود تلك الأوفاق أجازت دولتهم عسكر المخزن بترابها ، وما قدرت دولة ـ فيما تقدم ـ أن تجيز عسكراً أجنبياً ما عداها ، وذلك دليل المحبة ، فسامحوا وساعدوا على سبيل الإعانة . والعسكر المخزني لما أجازوه وسلك في ترابهم وبلغ الإيالة المغربية : صار يفر من عدم المونة ، ولما حل العسكر بفجيج صار يبيع العدة فيشتريها الفساد ، ويضربون بها الإيالة الجزائرية ، وذلك كله من عدم التنظيم .

وصارت الملامة ترجع عليه من رعيتهم : لكونه تسبب في إتيان العسكر الذي يبيع العدة لمن يؤذيهم بها ، ويجيبهم بأن لهم الحق ، لكن فجيج هو للمخزن ، فعليه أن يحفظه بعسكره .

وعلى كل حال تعين اليوم أن نواحي الحدود تضبط وتحفظ ، بحيث إذا قدرت الإيالة المغربية بذلك لم يبق يلحقهم ضرر الصوائر التي بلغت ما تقدم .

وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم التي تحمله .

ثم قال : فمن يرى العسكر الآن يراه صالحاً بطنبوره وكبرائه ، نعم إن وقع التنظيم تبقي كيفيته على حالها ، وإن القوة المطلوبة في التنظيم : هي أن تكون مونته يومية ، ويرتب مأكوله ، وتعين مساكنه ، ويكون تفاوت مراتبه بحسب المزايا ، ومن وقعت منه هفوة يعاقب .

ومن الأصول ـ على سبيل التقدير ـ أن يقدر طابور ـ مثلاً ـ ـ إن كان يعد

بخمسمائة : فتكون تامة دائماً ، لا ينقص من عدد : أبداً ، وعدم ضبط الأمور العسكرية فيه ضرر على الدّين والرعية ، فإذا كان طابور يعد بذلك العدد وتكون نسخ بذلك عند المكلفين : لا ينبغي أن يكون عدده يعرض له النقص أصلاً .

ومن مرض يعالج ويرد لمحله ، ومن فر يبحث عنه ويرد كذلك . ويتعاهد الطابور بالتسراد في كل ثلاثة أشهر ، ولا ينقص من عدده .

على أن الذي يفر لا موجب لفراره إلا إهماله من المؤنة : أو خصاصة من القوت ، وإن تعذر المؤنة هي التي أوقعت الأفات في العسكر ، فبسببها يفر أو يبيع العدة ، وإن المؤنة والطعام والتنظيم إن لم يكن في جميع العسكر دفعة ، فينبغي أن يجرب في طابور واحد ، حتى تعرف نتيجته .

ومن شرط التنظيم أن لا يكون العسكر متفرقاً ، بل تكون القشالي مجتمعة ، وتنظر له المحال المناسبة ، وهذا التنظيم لا بد له من الرجال الذين يقومون به ويحسنونه ، ويعرفون تحريبه ، وتعيينهم متوقف على أفراد ، وأولى العارفين بذلك دولة إفرنصا ، فعندها أفراد من رعيتها المسلمين يعرفون ذلك .

على أن العسكر الذي ينتظم ينبغي أن يكون مختاراً ، ولو لم تكن فيه كثرة الأعداد ، وعلى تقدير أن يكون طابور المشاة من خمسمائة صحيحة ، فكل مائة تنقسم على نصفين : يكون على كل نصف مكلف عسكري جزائري عارف بالتنظيم الداخلي ، ويكون على كل مائة مقدم جزائري ، سوى في عسكر الطبجية : فعلى كل مائة يكون مقدمان ، ويكون طابور الطبجية مؤلفاً من ثلاثمائة مقسومة كل مائة على نصفين ، وعلى كل نصف مكلف جزائري ، وظيفته تعريف الخمسين بصقل سلاحهم وملبوسهم ونحو ذلك من الضروريات ، ومن غاب منهم ينوب عنه في ذلك .

والمقدم الذي يكون على المائة يكون حراباً ، ويعان بسرجان وعسكري ، فيكون ـ حينئذ ـ على كل مائة ثلاثة ، باندراج الأخرين .

ويكون على كل مائة من الطبجية أربعة : إثنان نفر ، وإثنان مقدمان ، أما الإفرانصاويون : فيكون على كل طابور واحد .

والطوابر التي تنظم بطنجة أكثر ما يكون على العسكر الذي ينظم بها أربعة افرانصاويون : أحدهم كبير عليهم ، ويكون له كاتب وهو الخامس ، ويكون عدد العسكر بتقريب 1500 : خمس عشرة مائة ، ومقدمون مسلمون 15 ، ونفر جزائريون 27 .

وكما يعين التنظيم بطنجة : يكون ما يناسب في غيرها : كوجدة وفجيج وغيرهما . وإن الذي يظهر لا ضرر في هذه الكيفية لا على الدين ، ولا على الإعراف ، لكن ينبغي أن يكون للأفرانصاويين المكلفين النفوذ في عدم تعطيل المؤنة ، وفي طعام العسكر وملبوسه والمراقبة عليه .

والمقصود بالتنظيم حصول الأمن ، وطاعة الإيالة تقوية جانب المخزن .

والمقصود الثاني : أنهم اختاروا التحري بتعيين المسلمين الجزائرين ، حتى لا تتطرق الخيالات للناس .

وهؤلاء الأفرانصاويون يكونون عند نظر المخزن ونظر ولاته ، ويتحافظون على مقام المخزن ، وسائر ما يتوقف العسكر عليه يتمشون فيه على نظر المخزن .

وبيان المؤنة الطعامية : أن ينفذ ـ مثلاً ـ للعسكري قروش 6 ، وحيث يتيسر الطعام ينقص له منها بقدر ما أكل ، ويعطاه الباقي .

ويكون في المشاة مرتبتان : أعلاها قروش 7 ، وأدناها قروش 6 للواحد .

وفي المقدمين مرتبتان : أعلاها بسابط 2 وقرش ، وأدناها بسابط 2 فقط .

وفي قواد المئين مرتبة واحدة فيها ريال واحد لكل واحد .

وكل ينقص له بقدر ما أكل من مؤنة الطعام .

وقواد الأراحي يكونون على مراتب 3 ، أعلاها بريال 3 ، والدوبية بريال 2 ، والمونات يكون لها أمناء تحت المراقبة ، ويكون للأمناء مرتبتان : أعلاها بريال 3 للواحد ، وأدناها بريال 2 للواحد .

ولهم خلائف : فلكل أمين خليفة ، والخلائف على مرتبتين أيضاً أعلاها بريال ونصف ، وأدناها بريال .

والحرابة الإفرانصاويون يكون لهم كبير واحد على جميعهم يقبض في العام خمسة عشر ألفا إفرنك : 15000 .

وأما الفسيانات فبحسب مراتبهم وخططهم وحالهم : من ألوف ٧٠٠٠ فرنك بالعام ، إلى ألوف 8000 ، إلى ألوف 9000 .

وهنا انتهى كلام الباشدور بالمجلس الثاني .
الحمد لله ، يوم الثلاثاء 7 محرم فاتح عام 1323 ، ساعة $12\frac{1}{2}$.

(المجلس الثالث)

الحمد لله وحده في يوم الإثنين 29 حجة الساعة 2 وقسم ونصف المجلس الثالث .

افتتح المجلس فقال الباشدور أنه بعدما تم تقرير ما تقدم يشرع في تقرير الأمور الإقتصادية على مقتضى ما قرره لجانب مولانا في ملاقاة جلالته الشريفة أمس .

قال من جملة إشارات دولة افرانصا الخيرية أمور الإصلاحات ، والمقصود بها الأمن ، ولا يتركب عليها ضرر ، مع مطابقة الأحوال وحصول النجاح بها للدولة الشريفة ، وهذه الأمور التي يتيسر بها يريد أن تكون قريبة مناسبة ، ولكن يطلب أن تكون بالفعل ، والمقصود أن الإدارات الموجودة تبقى على حالها ، ولكن يقع فيها إصلاح ، بحيث يحصل من الإصلاحات الثروة والأمن في الوطن وإطمئنان التجار لأنهم في قلق ، وإن لم تقع المبادرة للإصلاحات ربما يحصل ضرر لأجلها .

وإذا وقع التأمل في مدخولات المخزن يظهر أنها قليلة ، ومعلوم أن المال الناضّ الموجود تحت يد المخزن هو بقية السلف ، ويناهز مليونين ونصفا من الفرنك ، وذلك قليل لا تقوم بأمور المخزن ، وكذلك بقية مدخولات المراسي والمستفادات ، ولا يخفى أن مال السلف لم يكن به إصلاحات ، ولم يبق إلا مدخولات المراسي والمستفادات وذلك قليل .

أجيب بأن الترتيب مهيئاً ، أجاب بأن الترتيب وإن كان على قواعده فهو مما لا يعول عليه ، إذ الحال لا يقتضي تيسيره ولا اعتداد به ، ولذلك ينبغي التأمل فيما تحسن به مدخولات المخزن .

وأهم مدخولات المخزن هي المراسي ، وينبغي النظر في أمرها ، وهل يمكن تحسينها ليكثر مدخولها أم تبقى على حالها ؟ ومعلوم عنده بلا شك أن مدخولات المراسي يقع فيها التدليس من المتعاطين التجارة ، والتدليس المشار له يقع من تجار الأجانب ومن يشاركهم في ذلك ، لأنه لا يخلو : أما أن يكون دخول السلع بدون أعشار أو بشيء قليل ، قال إن جانب مولانا على بال من التدليس الذي يقع ، ولما انعقدت كنطردة السلف كلف المقابلين من قبلهم في المراسي بأن يردوا البال ويراقبوا ، إذ لهم بعض الدّخل في ذلك على كنطردة السلف ليست جارية على مقتضاها ، ومعلوم أن من لهم المراقبة لا بد أن يبحثوا ويسألوا ، وهؤلاء لا يجوزون إلا تقاييد من الأمناء من غير إطلاع ، قال : إنه على يقين من أن مولانا لا يرضى ذلك ، إذ لا يحب الضياع من مدخول بيت المال ، وفي هذه الأيام تشكى نائب الاستلزامات بكون نوابه بالمراسي لا يساعدون على الإطلاع وإنما هم صورة ، وكان المخزن وجه الأمين المقري لاختبار المراسي ، وفي ذلك الوقت بين الباشدور للمقري تلك الشكاية كما قرره له نائب الاستلزامات ، وبين له الضرر الواقع في المراسي ، ولا شك أن ذلك رفع للمخزن ، ولأجل البحث المقرر في كنطردة السلف من قبل نائب جملة الإستلزامات ينبغي الإذن له في إجراء العمل به ، لأنه ممنوع من ذلك ، وهو على يقين بأنه حيث يقع ضبط المراسي وينقطع التدليس الواقع بها ، يتضاعف مدخولها حسبما يعلمه كل أحد ، ولا ينبغي إهمال ضبط

المراسي والسكوت ، بل الواجب زجر المتعاطين لينزجر التجار المتعاطون لذلك ، لأنه إن لم يقع زجر لا بد أن يبقى المتعاطون لذلك ينتهزون الفرصة ما أمكنهم وزجرهم منوط بالمخزن ، فإن لكل دولة وضع قوانين في زجر أولئك وكفهم عن تدليسهم ، وقوانين منع التدليس مقررة معلومة ، ومن جملتها طلب خطر يد كل تاجر بما يضع أو يسق ، وهو الشاهد عليه ، وإن وجد موضوعه أو موسوقه مخالفاً لما أعطى به خط يده يحاز ذلك للمخزن ، ويزجر على مقتضى القوانين الموضوعة في ذلك ، ويصدر ظهير شريف بما ذكر ، ويكون من ظهرت عليه التداليسات يعاقب على حسب جريمته ، ويكون ذلك جارياً على رعية المخزن وغيرهم من الأجانب ، ولما يصدر الأمر الشريف بذلك يكتب للنواب بالحكم الذي اقتضاه النظر الشريف ، بحيث من صدر منه تدليس يجري عليه الحكم المشار إليه .

قال : إنه يقرر ما يتشكى منه التجار وما يتضررون به في أمور المراسي ، وذلك من الإدارات بالمراسي ، لأنهم لا يسلكون ما يحصل به التسهيل في التجارة ، فأولاً : يشتكون من أجل قوارب الوضع والوسق بالمراسي ، لأنها اليوم غير قائمة بحقوق التجارة ، فإن في بعض المراسي فلا يك وليست بها بابور الجر ، وبعضها موجود به ذلك ولكن ليست بها رئيس يقوم بالوظيف ، وشكاية التجار بذلك من الأمر الحق ، وينبغي لجانب المخزن أن يهتم لهذا الأمر ، إذ معلوم أن البابور حيث يرد للمراسي يأتي بأمور عظيمة ، وإن بقي الحال على حاله يحصل ضرر عظيم ، وقد ظهر توقع الضرر ، وهو أن بعض كبانيات عزمت على إتيان فلائكها ، لتتولى وضع سلعها ووسقها على يدها ، وإن بقي الحال على حاله تسمح لهم الشروط بذلك ، فلأجله ينبغي الإهتمام بهذا الموضوع ، وإن صدر ذلك يكون فيه هضم لجانب المخزن ، ولا بد للدول من ذلك ، وإن وقع ـ لا قدرة ـ ففيه الهضم ، ولا بد أن يكون للمذكورين تجريتهم ، وربما يقع آفات بينهم وبين تجرية المخزن ، ودواء الأمر قريب ، وهو أن ما احتاجت إليه كل مرسي يشتري لها ويرتفع ما ذكر ، ولا بد لذلك من ضابط تنحسم به مادة الضرر ، وتتأكّد المبادرة للدواء عاجلاً .

ومن الأمور المنوطة بتحسين المراسي أمر المون بها ، لأن المراسي مفتقرة

لضبطه ، والجاري اليوم بطنجة ـ التي هي أعظم المراسي ـ هو أن الفلوكة ترسي في الماء ويحمل البحرية السلع على ظهورهم ، فيتعطل الأمر ، ويقع الأفات في السلع ، والذي ينبغي هو إصلاح ذلك ببناء مون صغير في المراسي تصل الفلائك إليه ، وجعل بوجي ينزل السلع من الفلائك في المون ، وذاك أمر قريب يحتاج لصائر قريب ، وليس من شأن دولة فرانسا أن تشير على الدولة الشريفة بأمور صعبة ، بل تشير بأمور تناسب الوقت ، ومعلوم أن واجب المون الذي يقبضه المخزن يفي بصائره مع الربح ، ويكون للمخزن نفع فيه ، وما دامت التجارة تقوي والمدخول يكثر ، والزيادة تقع في الإصلاحات .

ومقصود دولة فرانسا أن الإدارة التي تكون بالمراسي تكون مغربية لا أجنبية ، ويكون ما ذكر بيد المخزن لا بيد الأجانب الذين يوذن لهم المخزن في ذلك . وبناء هذا يحتاج إلى صائر يكون موضوعاً على حدة ميسراً ، ومعلوم أن التجار يؤدون على سلعهم لأجل ذلك ، ومن المدخول يخرج الصائر ويبقى الربح للمخزن ، ولا يربح ذلك من يعيّن له من الأجانب ، إذ المقصود أن يبقى الربح الذي يربحح الغير للمخزن ، والمقصود : أن يتولى المخزن ذلك ، وعند الشروع فيه يشرع في قبض واجبه ، فيربح المخزن فيه ويبقى له دائماً ، إذ الصائر يخرج من مدخول ذلك ، ويكون المخزن لم يسمح للأجانب بربح ذلك .

وأيضاً من جملة أمور المراسي بناء الخزائن بها ، لأن الموجودة متراكمة فيها السلع ، وتختلط لصغرها وعدم كفايتها وعدم ضبطها ، ودواء ذلك قريب ، بحيث يزيد المخزن ما يكفي من الخزائن ، ويضرب للتجار أجلاً في مدة وضع سلعهم ، ويؤدون الواجب على وضعها ، ويكون لها ضابط يقرب على التجار في حيازة سلعهم ، لأنها بتراكمها اليوم لا يعرف أحد سلعة من سلع غيره مما بالخزائن .

ومن جملة التسهيلات للتجار ـ وفيها النفع للمخزن ـ أن تجعل خزائن تسمى خزائن عمومية ، وفي ضابطها أن يحوز التاجر الذي ينزل بهذه العمومية خط يد لأمناء بما أنزله ، فيكون للتاجر نفع بخط السيد المذكور ، لأنه يصير إشهاد بسلعته

التي له إن أراد أن يعترض ، ويكون ـ أيضاً ـ نفع للمخزن بما يقبضه على ذلك .

وأيضا : مما يطلبه الحال جعل تلغراف بحري في الكوشطة على جميع المراسي داخل البحر ، إذ من شروط التجارة ذلك ، ومعلوم أن التجار يحبون الخبر بأسعار السلع ويتشوفون له ، ومن جملة صلاحه وصول الخبر حيناً بما عسى أن يجده بناحية من نواحي المراسي ، ومصلحته عائدة على المخزن بالإطلاع على أحوال نواحي المراسي على حقيقتها ، وفيه إصلاحات كثيرة أيضاً : منها أن الخبر يصل قريباً به . بحيث إن حدث أمر في مرسي ربما يبلغ على غير وجهه لمرسي أخرى ، ويترتب عليه تشويش ، أو يكون وقع صباحاً ثم زال عشية ، فبالتلغراف يزول الإشكال ، سيما وهو بحري داخل البحر ، وإنما حيث يصل مدينة يخرج فيها ، وكذا بسائر المراسي ، وهو بخلاف التلغراف البري لما يحتاجه البر من الأمور ، وإقامة هذا التلغراف البحري دعت الضرورة إليه ، ودولته موجودة لجعله ـ كما هو عندها ـ بطنجة ، ولكن غرضها أن يجعله المخزن على يده ، والدولة الفرنسوية تعين بما يحتاج إليه .

ثم خرج للكلام في الإدارة وهي أمر العمال ، قال ينبغي للمخزن أن يصرف الوجهة لأمر المراسي ، وينبغي أن لا يولى بها إلا العمال العقلاء الذين لا يطمعون حيث أن المراسي هم أهم المهمات ، وأمر صلاح ذاك قريب ، وللدولة الشريفة الحرية التامة في رعيتها ، تولي من أحبت وتعزل من أحبت ، لكن الدولة الفرنسوية تطلب من الدولة الشريفة أن تلاحظ ما ذكر ، وتولي من فيهم أهلية مختارون منتخبون ، يقومون بالوظائف ، ويكون لهم راتب من عند المخزن ، فمعلوم أن بذلك تكون قوة ونفوذ لجانب المخزن ، وفي هذه السنة وقعت تبديلات بالدار البيضاء : عزل عمال وولي آخرون .

أجيب بأن أولئك ظهرت عليهم جرائم ، أجاب بأنه لأجل ذلك ينبغي أن يختارهم المخزن فلا تظهر عليهم جرائم .

ويؤكد في أنه ينبغي للمخزن أن يختار عمال المراسي من الأناس الخيرين ، وكثرة عزلهم تنقصهم في أعين الرعية وينقص نفوذهم ، وبنقص نفوذهم ينقص

نفوذ المخزن ، وغير خاف ما وقع بالدار البيضاء ، وبسبب ذلك لم تبق لهم قوة ، وإن وقع هناك حادث تكون المسئولية فيه على جانب المخزن .

ومن الأمور الحيية التي هو على يقين منها أن المخزن يختارها : أن يكون بكل مدينة طائفة من البُليس في صفة العسكر الذي ينظم هناك غير متميزة ، وتكون قريبة يطلع بها العامل على الأمور ، ولا يبقى عليه شيء بسببهم .

بحث هل يكونون أجانب أو غيرهم ؟ أجاب بأنه يقرر أمرهم : قال طائفة البليس المشار لها تكون بحسب احتياج كل بلد : كثيرة أو قليلة ، وفيهم نفع كثير ، وإطلاع على الكنطربنض ، فإن بسببهم يقع العثور عليه ، لأنهم يتشكلون في صورات يطلعون بها على الأمور ، وينبغي أن يكونوا مغاربة ، نعم يكون لهم معلمان فرنصوي ومسلم يعلمانهم حتى يتعلموا ، ويذهبان لحالهم .

قال الباشدور : إنه اليوم اقتصر في الكلام على المراسي ، وإن كانت الرعية لا زالت فيها الطيش ، ولكن دعت الضرورة اليوم على إجراء الإصلاحات بالمراسي لما فيها من الأجانب ، ولا ينبغي غض الطرف عن الرعية ، ولكن يؤمل أن يرد المخزن البال لذلك ، وبإجراء الإصلاحات في المراسي لا شك أن يجري الإصلاح في حال الرعية ، ولا يتوقف المخزن بعد على إشارة الدولة الفرنسوية .

وقد تمم الكلام في هذا وبقي له أمر آخر مقصور على المالية في كيفية استخراج المال لتنظيم العسر ، ومعلوم أن تنظيم العسر فيسهل قبض الترتيب ، ولكن سيقرره بعدما ينهيه لعلم مولانا الشريف .

وبعد ذلك لا يبقى إلا أمر واحد وهو الأهم : وهو أمر الحدود المنوطة بأمن الإيالة الجزائرية ، والأمور التي قرر هي لعموم الأجانب ، وأمور الحدود خاصة بالدولة الفرنصوية ، وأصول الحدود مبنية على أوفاق بيت الدولة الشريفة وبيت الدولة الفرنصوية ، وتلك الأوفاق هي أساس الحقوق بين الدولتين ، وتلك الأوفاق فيها شروط على الجانبين وهم قائمون بما عليهم ، والتي على الدولة المغربية لم يجر بها عمل ، واليوم دعت الضرورة إلى العمل بمقتضى الأوفاق ، وأخر الكلام فيها ـ الأن ـ إلى إبانه وتقع المذاكرة فيه .

ثم قال : إنه يريد تقرير كلام قريب من تتمة كلام المراسي ، وهو أنه لا يقصد بما قرره أحداً ، وإنما المقصود الإصلاحات فقط ، وهذه الأمور الجارية هي قديمة ، وهذه الإشارات هي جديدة .

ختم المجلس في ساعة 4 وقسم 1 . وهنا انتهى كلام الباشدور في المجلس الثالث.

(المجلس الرابع)

الحمد لله . نعم يليه المجلس الرابع في يوم الخميس 2 محرم ، ساعة 201/2 .

أفتتح المجلس فقال الباشدور : إنه يقرر ـ الأن ـ ما قرره لحضرة مولانا الشريفة فقال : إنه يشرع في تقرير أمر السكة وما يلحقها من الآفات ، إذ تارة تكون في صعود ، وتارة في انحطاط ، ثم قال : معلوم أن أسباب آفات السكة ظاهرة ، فتارة تكون السكة عزيزة ، وهو إبان الموسوقات ، ولما يفوت الإبان المذكور ينقص صرفها ، وذلك في الشتاء والصيف ، ومعلوم أن التجار الذين يشترونها إنما يحتاجونها في زمان الموسوقات ، ولما يفوت الإبان لم يبق لهم طلب فتنقص ، وذلك من أسباب آفات نقصها .

ولها سبب آخر ، وهو أن المخزن ـ في هذه الأيام القريبة ـ أكثر من ضرب السكة على غير المعتاد ، وبكثرتها تنقص ، وقد بلغت كذا في هذه الأيام فرقاً ـ بين السكة المغربية وبين السكة الرومية ـ قدره سبعون في المائة ، ولما جدد المخزن الضرب ـ بكثرة ـ كان قصده خيرياً ، ولم ينظر عاقبة ، فما ربحه المخزن في الضرب خسره في الصرف بسبب الكثرة ، ومعلوم أن حال السكة ـ اليوم ـ على ما هو ظاهر ، ولا يخفى ما يلزم المخزن في ذلك ، فهذا سبب داء السكة بسبب الصرف الذي هو عال ، وغير خفي ما يلزم المخزن والتجار في ذلك .

وحيث هذا الضرر معلوم : فقد كان كتب نائب الاستلزامات بما ذكر لجانب المخزن ، ووقف الأمر ، وجعل فيه تأويل بدفع بعض التاكات في ذلك ، فخف به بخس السكة المخزنية ، وحصل لها عز في الجملة ، وذلك وقع اختباراً ، لأنه

لما توقف البيع في السكة المخزنية ، وصارت الأبناك يتخلصون بالتاكات نقص الصرف ، ثم لما غير ذلك زاد الصرف ، وذلك دليل على أن السكة مهما عز دفعها ينقص الصرف والعكس بالعكس .

ويوجد دواء للسكة المخزنية يبقى به أمرها مضبوطاً معتدلاً ، وهو ـ أولاً ـ يوقف المخزن ضرب السكة ، لأن ما ضرب منها كثير ، وأيضاً يفسخ المخزن كنطردة السكة ، وحتى إن طلب أرباب الكنطردات معاوضة في ذلك يكون فيها التأويل وهو أولى من بقاء ضرب السكة ، ويكون ذالك سبباً في عدم نقص سكة المخزن في الجملة ، وقد كانت قديماً تتبع الفرنك الصنبولي ، واليوم صار الفرق بينها وبينه ، وذالك لسبب الإحتياج إليها ، وهو إبان الوسق ، وبذلك يستقيم أمر السكة ، وحتى إن لم يبلغ الغاية فيقاربها ، ويرتفع الضرر على كل حال .

وهذا الأمر لا بد له من مال يمكن به معادة ذالك ، ويكون على يد أناس لهم معرفة بالتصرف فيه ومعلوم أن ذلك لا يقوم به إلا جعل لبنك كما هو عند الدول ، وليس المقصود إحداث المخزن للبنك ، وإنما القصد أن يكون بنكاً لنفسه ، لأنه معلوم أن بعض الأمور ـ من جعلتها البنك ـ لا تكون مطابقة للديانة ، ومثل هذا موجود عند المسلمين والقصد به أن يجتمع أناس يجعلون ذلك ، ويسمى بنك دولي أو مخزني ، ويكون الناس أرباب ذلك على ما يقتضيه نظراً لمخزن ، فهم ينتفعون وينتفع المخزن بذلك ، وكيفية منفعة هذا البنك للمخزن أن تضبط الصرف في السكة المخزنية ، ويُشْترط عليها أن السكة المخزنية ترجع في الصرف لمقاربة السكة الفرنصوية والسكة النجليزية الذين هما الأصل ، لا للسكة الصبنيولية ، ومعلوم ما في ذلك من النفع للمخزن ، وللبنكة أن تطلب معارضة على قيامها ذكر مكافأة لها .

ومن الأمور التي تطلبها هـذه البنكة أن الأمور التي يصرفها المخزن تكون مباشرتها على يدها نيابة عن المخزن ، وكذلك تحدث أوراقاً للبنك لها ثمن في إسم المخزن ، كما ذلك حار عند الدول ، ومن جملة مصالح البنكة للمخزن أنها تقدر أن تسلف للمخزن ما لا يقصد الإصلاحات المتكلم عليها في العسكرية والمراسي ، إذ معلوم

أن المخزن لا بد له من مال للإصلاحات التي تقدم الكلام عليها ، وكل ما توقف عليه المخزن يستلفه من البنكة المذكورة ، ولا يخفى أن الناس لا يقرضون مالهم بدون توثيق ، وهذه الستون في العائد التي تؤدي في المراسي يمكن أن يؤدي منها الربح ، ويصير منها في الإصلاحات والتحسنات ، وقد قدم أن المخزن يجري الإصلاحات على كيفية مخفية مدروجة في الستين في المائة ، ويبقى للمخزن الأربعون في المائة مع المستفادات ، ويعين المخزن عضواً لاختبار إجراء الأمر فيما ذكر على مقتضى ما يقع عليه الشرط في ذلك .

وقد تقدم السلف من بنكة باريزوبيبة ، وهي من جعلته من يعرض ضابطاً في هذا الموضوع ليقع التأمل فيه ، وغير خافي أنه لما كانت وقعت المذاكرة في أمر السلف أخيراً أشير لكون الدولة الفرنصوية تعين فيما يحتاج المخزن له ، إذ مقصودها ثروة الإيالة الشريفة ، وعند عقد السلف المشار له أرادت الأبناك أن تعين من قبلها من ينوب عنهم في المراسي ، ولم تساعدهم الدولة الفرنصوية ، وعينت رجلاً عاقلاً من قبل المخزن عندهم لذلك ، ويظهر أنه بالتأمل والنظر في كيفية كنطردة هذا البنك مع القوة العسكرية يحصل المخزن على مدخول كثير في الترتيب وغيره .

ومعلوم أنه إن توقف المخزن على سلف آخر في وقت آخر ـ لا قدره الله ـ يصعب ذلك ، فينبغي أن ينظر في أمور أخرى يحصل بها نمو مدخولات المخزن . ومن جملة الأمور التي يحصل بها نمو المال استقبالاً لأمور وإن كانت صعبة . فينظر في وجه جعلها ، وهي أنه ينظر المخزن بعد في وجه لجعل الضرائب على البناءات وتكون على كيفيته ، لأنها تؤدي في جميع دول الإسلام وغيرهم ، وحيث إن بلادات الحرث يؤدي عشر عنها فكذلك دور السكني ، ومعلوم أن المخزن روج الكلام فيها قبل ، ويظهر أنها موافقة للشرع ، وقد نبه على ما ذكر من باب الإشارات الخيرية ، وللمخزن أن يتأمل في ذلك .

وأيضاً من الأمور التي فيها نفع للمخزن ضبط أملاك المخزن ، فمعلوم أنها كثيرة بالمدن وغَيْرها ، وإنما يستغلها الناس : أجانب وغيرهم ، على أن ضبطها قريب ، فإن ضبطت وعين من يقابلها على المقتضي : يحصل منها نفع كبير لبيت المال .

وأيضاً من جعلة الأمور الواقع فيها الضياع وإن كانت من الأمور الداخلية ولاكن نبه عليها ، وهي أملاك الأحباس ، فجلها يستغلها الناس جلهم أجانب بكراء قريب ، مع أن ضبطها ممكن ، ويدخل مستفادها على المقتضى لمحله ، وجعل التأويل في ذلك وضبطه يتيسر ، ويدخل مستفادها لمحله ولا يبقى هذا الإهمال الذي هي عليه .

ومن جعلة المنافع التي تحصل من ذلك نظافة المدن إن كان الحبس يسمح بها .

ومعلوم أن الناس هاملون قراءة العلوم بالمدن ، وإن كثر مدخول الأحباس فيه ظهر أن تعاطي العلوم يكثر .

ومن جعلة الأمور العائدة بالنفع على المخزن إحداث مدرسة بطنجة يتعلم بها أناس العلوم الرياضية واللغة الفرنصوية للمعارفة بها مع الأجانب .

ومن جعلة التحسينات في نمو المال إحداث ورقة التسريحات المعروفة بالبسبورط ، وفيها نفع للمخزن بالأداء عنها ، وضبط من يدخل ويخرج للأيالة كما ذلك في جميع الدول .

وكذلك يمكن للمخزن إحداث الطنبري يحصل منه مدخول للمخزن .

وكذلك أمر آخر سهل المعادلات ، وهو الإذن بوسق السلعة من مرسي إلى أخرى ، إذ فيه نفع للمخزن ، لأن السلعة التي توسق من مرسي إلى أخرى يؤدي الواجب عنها . وفيه نفع لجانب المخزن ، فكل سلعة خرجت من مرسي إلى أخرى يؤدي عنها ، ويظهر أنها اليوم لا يؤدي عنها ، ومعلوم أن نقل السلع من مرسي إلى أخرى يقع فيه التدليس ، كأن يظهر رب السلعة أنها للدار البيضاء مثلاً وهو قد وجهها للصويرة ، ولكن لذلك ضابطاً ، ويزجر مرتكب ما ذكر ، ومن حمله ضابطاً أن صاحب السلعة يدفع وثيقة على ما وسق ، بحيث إن لم يصل للمحل الذي ذكر يقع الكلام معه فيه .

قال : إنه أكمل ما قرره بحضرة مولانا ، ويقع التأمل فيما ذكر بحيث يكون ما لا ضرر فيه .

ختم المجلس في ساعة 3. 1/2 .

(المجلس الخامس)

إفتتح المجلس فقال الباشدور : إنه قدم الكلام في الحدود على سبيل الإستطراد ، واليوم يتكلم عليها تفصيلاً ، لأنها مشتركة بين الجانبين ، ويقرر ـ الآن ـ الكلام في كيفية الحل فيها .

قال : إنه غير خاف أن هذا الموضوع أمره عظيم ، ومعلوم ما بين الدولتين من الإتصال بناحية الحدود ، ولا يخفى أن أحوال فرانصا بالمغرب هي أحوال خصوصية منذ حلت بناحية الجزائر ، فصارت لها بذلك علاقة مخصوصة ، وينبغي النظر في الخريطة ليظهر أن المغرب محوط بالبحر وبالإيالة الجزائرية ، عدا بعض نقط صبليونية ، وبسبب هذا الموقع الجغرافي تعلقت بالمغرب أحوال ، وكذلك بسبب الحالة الخصوصية للدولة الفرنصاوية مع المغرب .

وحيث تفاقمت الأمور وقل الأمن تذاكرت بعض الدول الذين لهم الحقوق بالمغرب مع دولة فرانصا في أمور المغرب ، وعلى مقتضى ذلك وقعت مذاكرة من الدول مع فرانصا ، ووقع الوفق على إقامة الأمن بالمغرب ، وإعانه فرانصا للدولة المغربية فيما تتوقف عليه من الأمور ، ولا يحتاج لشرح ذلك ، لأن الدول العظام لا تضع خطوطها على أمر حتى تعلم المتعلق به ، وذلك أمر عام ظاهر لا ينكره أحد .

بُحث عن حقيقة ما ذكر ، فقال : إن الأوفاق ما أمضت حتى كانت الدول عارفة بمعناها ، ولا يمكن أن ينكر وجودها .

ثم لما بحث عن بيان ما قاله من إن الأوفاق معلومة ، فقال : إن الأوفاق عقدت بين دول ألزمت دولة فرانصا بأمور تقوم بها هي بنفسها ، ثم قال : إن الأوفاق عقدت من الدول ، وإن قال قائل : إننا لا نعرفها فهي موجودة .

ثم طلب منه بيان الدول المشار لها ، فقال : أولاً عقدت الأوفاق بين فرانصا

والنجليز ، وقبلتها دولة صبانيا ، وحيث إنها منوطة بالمغرب قدم الإعلام بذلك لجانب المخزن بعد عقدها ، وباختصار : عقدت الأوفاق بين دول أجنبية ، وتقدم الإعلام بها ، ولا ينكرها أحد ، ولما أمضت دولة فرانصا تلك الأوفاق تحملت بلوازم من قبل الدولة المغربية تقوم بها . وفي ذلك أغراض للدولة المغربية لا ينبغي غض الطرف عنها ، وجانب الدولة المغربية تعلم أن الأوفاق عقدت في مقصد حيي للدولة ، المغربية .

ولا يخفى أن المصارفة بين الدولة الفرنصاوية وبين الدولة المغربية هي مصارفة لها بال ، وهو بصدد تفصيلها ، قال : أول شرط وقع بين الدولة المغربية وبين دولـــة فرانصا هو الواقع عام 61 ، وفي شرط عام 45 : أن الحدود ما بين عجرود وتنية ساسي : على مسافة ، وكان المكلفون بالحدود المذكورة ، أوقفوها في ثنية ساسي ، بحيث من ثنية ساسي للأعلا لا حدود فيها ، وإنما بينوا قصوراً هناك للجانبين ، ومن قصور الإيالة المغربية ثمة : فجيج وايش ، ونصوا على أنه من هناك للأعلا إنما هي أرض صحراء ، وغضوا الطرف عنها ، ولم تتمحض لأحد الجانبين .

أجيب بأن ذلك لم يقع غض عنه ، فقد نصوا على أنها للجانبين بقصد المرعى والإنتفاع .

قال : ولا يخفى أن الإيالة الجزائرية مدت العمران بتلك الناحية ، ومعلوم أن قصدها أن تجعل الإتصال بين إيالتها لناحية سنكان ، وبقي الحال على ما كان عليه ، إلى أن توجهت سفارة من جانب المخزن الشريف قبل بنحو عام لأفرانصا بطلب جعل الحدود في تلك الناحية : من ثنية ساسي إلى فوق ، وأنتجت السفارة المذكورة الحصول على عقد وفق متمم لوفق عام 45 ، وحصلت نتيجة أخرى بعقد الوفق السياسي والتجاري بعد ذلك ، وبعده وقع وفق آخر مع جانب المخزن فيما يرجع لترتيب العسكر بنواحي الحدود . ولا يحتاج إلى بيان هذه الأوفاق لأنها معلومة .

والمقصود الأهم من الوفق البارزي أن دولة فرانصا ساعدت على جعل الحدود ما بين الصحراء وثنية ساسي ، وليست تلك كمثل الحدود بين الثنية وعجرود ، وفي بيان النقط التي بها كفاية .

ولا يخفى أن مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما يصدر لهم من الجوار :

كان الباشدور يرفعها للمخزن قديماً ، ويكون التأويل معه فيها ، ثم أسقط ذلك ، وجعل بالوفق أن الدعاوي المشار لها يكون فصالها بناحية الحدود على مقتضى ما بالوفق في فصله ، ولذلك نتيجة عظيمة .

وأيضاً : ألزمت الدولة المغربية ـ في الوفق الجزائري ـ بجعل القوة في نقط الحدود ، كما ألتزمت دولة فرانصا بالإعانة فيما يقوي نفوذ الدولة الشريفة بتلك الناحية بما أمكن ، وقد بينت في الوفق التجاري كيفية المصارفة في ذلك بقواعدها ، وهذه الأوفاق معضدة للشروط القديمة ، وفيها الموافقة على أن لا تجاوز قوة المخزن هنالك ألفين إلا بموافقة دولة فرانصا .

وإذا كانت الشروط القديمة أهملت الصحراء ، فقد وقع الوفق عليها بالوفق البارزي ، وهنالك اعترفت دولة فرانصا بنفوذ الدولة المغربية ثمة ، مع أنه لم يتقدم لها هناك .

وزيادة على اعترافها بنفوذ كلمة المخزن بتلك الناحية : أن أعترفت باستقلالها في الأرض أيضاً ، وقد اعترفت دولة فرانصا باستقلال الدولة الشريفة في الأوفاق المذكورة ، وفي الأوفاق المعقودة مع الأجانب ، وهذا الأمر من أهم المهمات عند دولة فرانصا ، لأنها تحملت أموراً عظيمة للحصول على هذه النتيجة .

وبقبول دولة فرانصا فصال الدعاوي بناحية الحدود كما بالوفق البارزي ، ورفضها ما كان عليه العمل قديماً : يظهر مصداق أهميتها ، وفي ذلك اعتراف بنفوذ الكلمة السلطانية ، وقد اجتهدت دولة فرانصا في أن لا يكون ذلك بمجرد الخطاب القولي ، وبلغ اجتهادها في أن تبرهن عليه بالفعل .

وقد كان إهتمام رئيس (كذا) الوفدين هنالك بحصول الأمن بتلك الناحية ، ولأجله وقع تأسيس أسواق ثمة بين الإيالتين .

وهذه الشروط الملازمة للجانبين قد قامت دولة فرانصا فيها بما عليها ، ولم يظهر أثر من الدولة المغربية في القيام بما عليها ، ومنذ عقدت الأوفاق ودولة فرانصا مجتهدة في إجراء ذلك على مقتضاه ، وفيه نفع لجانب المخزن ، ويبرهن على ذلك جواز عساكر الدولة المغربية في الإيالة الشرقية ، مع أن ذلك لم يكن بين الدول ، ولاكن لأجل الإعانة ـ كما بالشروط ـ ارتكبت ذلك ، ومن جملة التسهيلات مساعدتها في جواز متعلقات القوة المخزنية في إيالتها أيضاً ، ومن جملة الإعانة إعطاء الدولة الفرنصاوية بعض الحرابة ، قاصده بهم تقوية نفوذ كلمة المخزن بتلك الناحية ، وهذه الإعانة من دولة فرانصا هي لتقوية الدولة الشريفة ، وليحصل بها الأمن في رعيتها هنالك ، وقد فعلت دولة فرانصا جميع ما يفهم من الأوفاق ، قاصدة حصول الأمن والإطمئنان بناحية الحدود ، ولاكن له (كذا) الأسف على عدم حصول نتيجة من ذلك .

وقد بعد ضرر الثائر عن ناحية فاس ، وحصلت أضراره للإيالة الجزائرية بقربه منها ، وكثيراً ما يحصل للإيالة الجزائرية من قوة المخزن التي تمر بها طيش وضرر في مرورها ، ومع ذلك تحملت به الدولة الدولة الفرانصاوية ، وقد صارت الإيالة الجزائرية يصعب عليها ـ اليوم ـ إرتكاب تلك التسهيلات ، وهذا العسكر الذي يتوجه لهناك يصدر لهم منه ضرر أعظم مما يصدر منه هنا ، ومن جملة ضرره أنه لما يتوجه لهناك لا يقبض مؤنة ، فيحصل ضرر الإيالة الجزائرية بالسلاح الذي يتوجه به ، وقد قدم الكلام في ذلك عند الكلام على عسكر فجيج قبل ، ومعلوم أن الطائفة الموجهة ـ أولاً ـ لفجيج تشتت ، ثم اقتضى أثرها الطائفة الموجهة ـ ثانياً ـ من عسكر طنجة ، وأسباب ذلك هو عدم الضبط ، وعدم المؤنة ، وجل العسكر يفرون لبني ونيف ، فيردهم ضباط عسكر الإيالة الجزائرية ، ولأجل ذلك لم يبق أمن لوالي الجزائر في تأسيس أمن تلك الناحية ، وربما يصعب عليهم الأمر هنالك .

وليس بخاف ـ مع هذه الحالة ـ أن المخزن اليوم لا يمكنه إجراء الأمن بناحية الحدود ، وربما يزيد أمر الثائر صعوبة ، وهذه الأخبار التي ترد بأحوال الثائر هي تابعة لما هناك بالحدود ، ولم يبق وقت للتأمل في تمام ما ذكر ، وحتى إن قدر أن الثائر يموت أو يضمحل لا بد أن أن يقوم غيره على ما يظهر من الأحوال ، ومعلوم حال بو عمامة بتلك الناحية وما يرتكبه ، وجل قوته من سلاح المخزن الذي يباع ثمة ، وهذه الفتنة الواقعة ـ وإن كانت بعيدة عن فاس ـ فهي قريبة من تلمسان ، وعلى تقدير أن قدمت دولة فرانسا لمدافعتها عنهم ولو بالقوة ، فإنها ترجع لهنا ، ومعلوم أن عجز المخزن اليوم منوط بالإهمال في الأمور ، لأنه لم يصدر جد يحصل به على الطائل ، وقد قدم في المجالس المتقدمة بيان ما يخرج من دولة فرانسا من الصوائر ، حيث إن لها بالحدود نحو الثلاثين ألفاً بعمالة وهران » ، ومع تحمل دولة فرانسا لذلك لم يحصل لها أمن في حدودها ، لأن الفساد الذين يفعلون الفعائل بإيالتها يرجعون لملجإ لا يمكن دولة فرانسا الوصول إليهم فيه ، وتحت يده مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما وقع لهم هنالك منذ عقدت الأوفاق للآن ، وهي إما نهب إبل أو غنم ، أو هجوم بالقوة على الدور أو على العربات ، أو قتل العسة ، وهذه القضايا هي المشار لها في الوفق بجعل الفصال فيها بتلك الناحية ، ولا زالت الدولة منتظرة إنجاز العمل على مقتضى الأوفاق ، وقد رفعت للمكلفين هناك ، وحتى الجواب لم يصدر عنها .

وقد وقعت حوادث أخرى ثمة ، فإنه في تاريخ عقد الوفق الباريزي قتل صبيان على عين والديهما ، وبعد عام من ذلك وقع نهب لقافلة من ناحية الإيالة الجزائرية ، وقتل في ذلك سرجان فرانصوي ، ثم بعد شهور 3 : وقع هجوم على رقاصة البوسطي وهم سبايس ، وقتلوا جميعاً ، ثم وقع هجوم على العسة الحارسة للطريق من غير تعد منها ، وبلغ عدد من قتل منهم ستين في تلك المدة ، ثم بعد ذلك نهبت غنم قدرها آلاف 10 : للإيالة الجزائرية ، ثم وقع الهجوم من البرابر 5000 تحت رئاسة الشريف مولاي المصطفى على قصر تغيت من حساب الإيالة الجزائرية ، وحاصروه أياماً ، ومات من الإيالة الجزائرية عدد له بال ،

فحصل لهم العجب لكون هذه الحركة خرجت من مركز للمخزن ، ثم بعد ذلك كانت طائفة من العسكر متوجهة من جنان الدار لتغيث ، فوقع الهجوم عليها ، وقتل منها نفر 97 فرانصاويون وجميع فسياناتها ، ومن جملة ذلك أنه خرج فبطانان بالزوبيا للتفسح فقتلا معاً ، ومع إجتهاد الدولة الفرانصوية في الحراسة والصوائر صارت عاجزة ، حيث لم يمكنها الدخول على الفعال للمحل الذي يلتجئون إليه ، ولو كانت الدولة المغربية ضابطة نفوذها لم يبق هذا الضرر لهم هناك . والدولة الفرانصوية تتشكى بما ذكر ، وبتعذر المعاملات التجارية بتلك النواحي ، وهذه المعاملة التجارية المتعذرة ليست خاصة بالإيالة الجزائرية ، فإنها خاصلة حتى للإيالة المغربية ، فقد كان قبل الأوفاق والحدود يخرج من الإيالة الجزائرية للإيالة المغربية ما يزيد على آلاف فرنك 15 في السنة . ولهذا لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، وإذا كانت الإيالة الجزائرية صابرة على هذا الضرر الحاصل لها في الرجال والمال ، فإن الدولة الفرانصويةهي التي تصبرها ، وتعدها بكون المخزن بصدد القيام بمواعده ، ولا يخفى أن سفر الباشدور لباريز قبل وروده لهنا ، كان وعد فيه الإيالة الجزائرية بأن المخزن يقوم بما عليه ، وما دام الزمان يفوت والوقت لا يظهر نتيجة لوعده ، حتى أنه لم يبق للإيالة الجزائرية محل للصبر ، ومكاتبها ترد على الدولة بالشكاية في الدعاوي المشار لها ، وفي عدم حصول الطائل ، وقدر المطالب التي تطلبها الإيالة الجزائرية في شأن القضايا المشار لها يناهز مليونين من الفرنك ، ومعلوم أن المخزن يصعب عليه إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وبين إكلي .

وحيث لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، فإنها تطلب أن تقوم بإقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وهذا الأمن الذي تقوم به هو أن تقوم به من مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى اكلي ، وتمد الدخول هناك إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال ، وقد وقعت هذه المطالب لما كان الباشدور بباريز ، فلم يقصر في الدفاع والوعد بكون المخزن يفعل المتعين ، ومن ذلك الوقت لم يصدر من الدولة المغربية أدنى ما يحصل به الإطمئنان ، وقد بلغه الخبر أن

الإيالة الجزائرية رجعت عما صبرها فيه ، وتريد الدفاع بالقوة ، ولا زالت تلك المطالب تحت نظر الدولة تنظر فيها ، وهذا آخرها يقرره اليوم .

ثم استُفهِم هل المراد بهذا الطلب أن يقوم المخزن بما ذكر أو تقوم به دولة فرانسا ، أجاب بأن ملخص ما قرره هو أن الأوفاق والشروط : دولة فرانسا قائمة بما عليها منها وأكثر من جهتها ، وتترجى أن تقوم الدولة المغربية بواجبها ، لتحصل لها كذلك منفعة ، فلم تقم بشيء ، وحيث لم يبق صبر للإيالة الجزائرية ، وطالما وعدت بفعل المخزن لذلك ، فإنها تطلب أن تقوم هي بإقامة الأمن من ثنية ساسي إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى اكّلي ، من غير حصر ، وذلك إلى المحل الذي يحصل به زجر الفعال ، قائلاً : إن هذا إنما أخبر به على سبيل الإخبار والإنذار ، حيث إن ذلك لا زال تحت نظر الدولة الفرانصوية ، ولا زال لم يرد عليه أمر من الدولة في ذلك ، ولأجل ذلك كان طلب تأخير الكلام في أمر الحدود ، ولما طلب منه الكلام في ذلك ألقي ما عنده .

ختم المجلس في ساعة 4 . 1/2 وقسمين .

دفتر خ . ح 777 .

ملحق 84

وثيقة بيعة السلطان الحفيظ

من جهة الزاوية الناصرية الكبرى بتمكروت : الحافابص 320

الحمد لله وحده ، نحمدك اللهم يا واضح البرهان ، يا من له في كل يوم أبين شأن ، فاله من [1] تعالى عظيم السلطان ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد حبيبك الديان ، الذي نسخت بشرعه جميع شرائع أهل الأديان ، وفتحت بنصر حزبه وقاهر سيفه جميع الأقاليم والبلدان ، وأخضعت لداعي دعوته الإسماع والقلوب من كل أجناس الإنسان ، وعلى آله وصحبه الذين شيدت بهم أركان دينك القويم ، حتى استنارت بهداهم مناهج صراطك المستقيم ، بايعو نبيك أشباحاً وأرواحاً لنصرة دينه فرضيت عنهم ، وسننت لنا ذلك محجة بيضاء لأمته لكل آت منهم بعدهم : باقتفاء آثارهم في الإتباع للسلف الصالح ، وجرى في ميدان سبقهم ـ مجانباً للإبتداع ـ الخلف الفالح : في تلك المحجة الغراء البينة السبيل ، قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل ، لا يتوقف في ذلك الدّني ولا الجليل ، ولا الأحمر الفصيح ، ولا الأسود النصيح .

إلى أن أظلتنا [2] الأوان ، الذي كاد يستولي علينا فيه صغائر الكفر والهوان ، ضعف فيه الطالب والمطلوب ، حتى زاغت أبصار العقلاء وبلغت إلى الحناجر القلوب ، فتداركنا الله ـ تعالى ـ الأمة [3] فضل ورحمة ، فاجتمعوا واتفقوا ، وعلى خالص دينهم حنوا . وأشفقوا ، وقالوا من لهذا اليسر ، ومن يزيح عنا وخم هذا العسر ، فصادفوا داعي الإجابة ، أن هلموا إلى إيثار قوس الإصابة : هذا هذا أمامكم الأعظم ، وحامل راية دينكم المعظم ، منصور عناية الحفيظ : مولانا عبد الحفيظ ، فقمنا كلنا بإتفاق ، مسارعين في ميادين الوفاق ، فبسطنا إليه أكف

---

1 ـ بياض بالأصل .

2 ـ 3 ـ بياض بالأصل في الموضعين .

الضراعةالضراعة باكين خاضعين ، ومددنا إلى أيمن يمناه أيدي المبايعة فبايعناه بيعة الرضوان ، وأن كل المسلمين له جنود وأعوان ، قائلين له : بايعناك على إقامة أمر الله المطلوب :

أن تسير به فينا من واضح كتاب الله ، ومستند رسول الله ، عليه وآله[4] وأزكى صلوات ، كما سار به في الأمة الخلفاء الراشدون بعد نبينا ، ومن قفاهم إلى يومنا ، هذا الذي نحن لك قاصدون حازماً ممتطياً ذروة الأتباع ، حازماً تاركاً مبطلاً لمهواة الإبتداع ، مقدماً لأمر الخالق على كل الأهواء ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بالسواء ، فقد ورد : لا طاعة لمخلوق إلا في معروف : أي في معروف الشرع المقرر في عرفه : كتاباً وسنة ومشهور مذهب مالك ، بالخيرية موصوف .

وله علينا ـ بعد هذا ـ السمع والطاعة ، في المنشط والمكره فيما[5] لنا من النفوس والبضاعة ، فيما نطيق من الأمر كله ، وأن لا نفارق الجماعة قيد شبر ، وأن لا ننازع الأمر أهله : قله وجله ، وأن نسعى فيما يعنينا من أعزاز أميرنا المطاع ، وأمر ديننا المتبع : بإعلاء كلمة ربنا ، التي هي غاية مرادنا ، في دنيانا وأخرانا ، مقدمين بذلك ، معترفين به نحن وأولادنا ونساؤنا ورجالنا ، وكل من له تعلق بنا من الفقراء والقبائل المجاورة لحرمنا بزاويتنا الناصرية الكبرى بدرعة بلدنا ، وكل مستمع لكلمة الحق راضياً به ، خاضعاً له ، خاشعاً منه : بعيداً وقريباً منا .

نشهد الله ـ تعالى ـ وملائكته ورسله وأولى العلم وجميع خلقه على ذلك ، ونسأله أن يسلك بنا ـ في الأمر كله ـ خير المسالك ، فإنه على ذلك قدير ، وبكل خير ـ يرضاه لنا ويرضى به عنا ـ جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير الجليل ، متبرءين ـ في ذلك كله ـ من حولنا وقوتنا ، إذ لا شيء فيهما لنا ، معتصمين بحوله وقوته ، مستعينين بكنز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

---

4 ـ كذا بالأصل .

5 ـ بالأصل : فحالنا .

وبه وجب الإعمال والإعلام ، والسلام ، في 26 ربيع النبوي عام 1326 .

من نسخة مبايعة الزاوية الناصرية بتمكروت للسلطان الحفيظ : ضمن مجموع : خ م رقم 12693 : ص 227-229 .

تنبيه :

لاحظ ناسخ المجموع المشار له .
أن بالأصل المنقول منه تصحيفاً وتحريفاً وحذفاً .

ملحق 85
شهادات باستمرار السيادة المغربية
على الصحراء الغربية[1]

والمعني بالأمر الإشارة لبعض الوثائق والنصوص الجديدة ـ إلى حد ـ عن مظاهر السيادة المغربية على الصحراء الغربية .

* * *

ونلتقي ـ في البداية ـ مع رسالة صادرة عن عميد منطقة تيندوف[2] : الشيخ محمد المختار بن الأعمش الجكني[3] ، وفيها يعلن بيعة الإقليم للسلطان العلوي محمد الرابع ، ويسجلها حسب الفقرة التالية :

« ... وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ـ ببقائها ـ إلى قيام الساعة ، في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وخلفاؤه الر اشدون ... وما ثبطنا عن القدوم إليكم إلا خوف نقص العهد من قتلة الشرفاء ، كما خبره لديكم ، وإلا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير .

« وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائباً عني وعن جميع ناسي »[4] .

---

1 – هي مايطلق عليه ـ اليوم ـ إسم « الساقية الحمراء ووادي الذهب » ، غير اننا سنضيف لذلك منطقة « تيندوف » .

2 – إقليم على بعد 488 ك. م جنوب أكادير .

3 – ورد ذكره عند أحمد بن الأمين في « الوسيط » ، « المطبعة الجمالية » بمصر ، ص 374 ، 539 ، وترجمه في « المعسول » ج 18 ص 159 – 160 .

4 – عن نسخة خاصة من الرسالة الجكنية بخط ابن باعثها : احمد يَكْنَا .

وبعد هذه البيعة الجكنية ، ننتقل إلى تلميح موضوعي ورد عند محمد العربي المشرفي ، في رحلة كتبها عن جولة السلطان الحسن الأول في شمال المغرب عام ستة وثلاثمائة وألف للهجرة ؛ وهو يشهد بأن العاهل المنوه به استمرت سيادته على المناطق الشنجيطية والجكنية[5] .

وعن السيادة المغربية على الجهة ذاتها أيام السلطان العزيز ، نشير إلى خطاب من الشيخ ماء العينين ، بعث به ـ من الساقية الحمراء ـ إلى الشيخ أحمد يكنا ، وهذا هو ابن محمد المختار بن الأعمش كاتب البيعة المنوه بها وشيكاً .

وفي الرسالة العينية يشعر باعثها مخاطبه بورود كتب من جهة سلطان المغرب ، ويبرد رسولاً بأحدها ليوصله إلى تيندوف ، وتختتم الرسالة ذاتها بتسجيل تاريخها : عند افتتاح ذي القعدة من عام ستة عشر وثلاثمائة وألف للهجرة[6] .

* * *

وستمثل هذه الوثيقة الشهادة الثالثة بإمتداد السيادة المغربية إلى الصحراء المغربية .

ونعرض ـ بعدها ـ ثلاثة نصوص أخرى تندرج في عمومياتها مغربية المنطقة المعنية بالأمر ، وننتزع الشاهد الأول من مساهمة بعض جهات الصحراء الكبرى في معركة تحرير مدينة الجديدة أيام السلطان العلوي محمد الثالث ، وهذا ما يحتفظ به المؤرخ الرباطي : محمد الضعيف حسب الفقرة التالية :

« وفي شعبان من عام إثنين وثمانين ومائة وألف ، نزل أمير المؤمنين « محمد الثالث » ـ نصره الله ـ على البريجة : « الجديدة » ، وشد عليها الحصار ، أناء الليل وأطراف النهار ، وإجتمعت عليه الحشود والقبائل والجنود من كل أرض ،

---

5 – من هذه الرحلة نسخة بخط مؤلفها، بالمكتبة الملكية رقم 2024 .

6 – عن نسخة أصلية من الرسالة العينية وانظر عن ترجمة احمد يكن : « المعسول » ج 18 ص 161 - 164 .

وأتى قوم من الصحاري لابسين الجلد ، راكبين الإبل الهواري ، لهم شعر في رؤوسهم قد حاف على آذانهم : نحو الخمسمائة رجل أو أزيد »[7].

والظاهر أن الوافدين الذين ينوه بهم هذا النص ، هم الذين يحملون ـ بالصحراء ـ إسم « أنمادي » ، حيث يسمهم مؤلف « الوسيط »[8] بأنهم يتميزون بلباس الجلود .

ونتابع ـ الآن ـ الحديث عن مغربية الصحراء ، ونقدم في هذا الصدد شهادة صادرة عن لغوي شرقي مختص : محمد مرتضى الزبيدي ، حيث يستدرك على صاحب القاموس ما يلي : « ومما يستدرك عليه شنقيط بالكسر : مدينة من أعمال السوس الأقصى بالمغرب »[9] .

وهذه شهادة أخرى يسجلها نفس المصدر في الإتجاه ذاته ، وهو يترجم في « معجمه »[10] لمن يسميه عبد الرشيد الشنقيطي ، ويقول عنه :

« ... أحد المجاورين بالمدينة النبوية ، سمع مني أشياء ، وكان وصوله سنة 1199 هـ ومعه فتوى ، إذ عارض بعض أهل المدينة في إدخال أهل شنقيط في وقف المغاربة ، فوصل إلى مدينة فاس واستفتى علماءها ، فكتب عليها شيخنا التاودي بأنهم من خلص المغاربة ، وكذلك كتب عليها غيره من العلماء ، واتصل خبره إلى السلطان فكتب له منشوراً بإثبات ذلك ، فورد علي وأراني خطوطهم ، وكتب عليها ـ كذلك ـ بعض علماء مصر » .

---

7 – « تاريخ الضعيف »، مخطوط الخزانة العامة.

8 – ص 466.

9 – « تاج العروس »، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، ج 5 ص 170.

10 – مخطوط خ. م 12827 .

ملحق 86
النص الكامل للبيعة الجكنية

الحمد لله الذي أولانا فضله العظيم ، وهدانا صراطه المستقيم : وبعث إلينا نبيه الكريم ، ورسوله الرؤوف الرحيم : محمد الذي جلّا به ليل الكفر البهيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أتى بالفضل العميم ، وعلى آله وأصحابه الراغبين في إذهاب السيئات ، واقتناء الحسنات .

هذا وإنه من كاتبه بالسلام الجامع للأدب ، الموفي بغاية الأرب ، إلى خليفتنا وأميرنا سيدي محمد السلطان ابن السلطان مولانا عبد الرحمن ، والأعلام لك بعد حمد الله الذي لا إلّه إلا هو ، والوصية لنفسي ولك بتقوى الله العظيم ، واقتفاء آثار نبيه الكريم :

إنا متطفلون على موائد الحق ، بالطلب لك لنفع المؤمنين من الخلق ، بدوام النصر وتتابع الظفر نصراً كنصر الخلفاء ، يقوم به بأمْرِكَ الكفاة الأتقياء ، الناصرون لدين الله ودينك حتى ييئس منه العداة الأشقياء .

عاملون بما قضي به الأئمة ومضى عليه الخلفاء ، ومتمسكون بالعلم بخشية الله ، « وإنما يخشى الله من عباده العلماء » ومسخرون لك ، وأنت كذلك للمسلمين ، وهم المجاهدون الأدلاء ، أعانَنَا الله وإياهم على الجهاد الأصغر ، وحفظهم منه منه للجهاد الأكبر ، ألا إنها نعمة عظمت وجلت ، ومنه ..

لو بذلت المهج مكافأة عليها لصغرت بإزائها وقلت .

فبشرى لهم بحبيك على علو اليد ، وسعادة اليوم والغد ، والبلوغ بالسعي الأدنى إلى الأمد الأبعد ، ويا فوز مناهم ، وطيب غرسهم وجناهم ، حين تبادروا نحوه ، وورودوا من خير الدنيا والدين معينه وصفوه ، فازدحموا عليه والمسار قد استخفتهم ، والسعود قد كالت لهم بصاعها ووفتهم .

وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ببقائها إلى قيام الساعة ، في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، والعهد قريب ، والمهدي الإمام ـ رضي الله عنه ـ والدّين في زمنه غريب .

وما ثبطنا عن القدوم إليكم إلا خوف نقض العهد من قتلة الشرفاء ، كما خبره لديكم ، وإلا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير ، وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائباً عني وعن جميع ناسي ، ويخبرك الطالب محمد بجميع أحوالهم من عدم احترام أهل الإسلام وما لهم ، وحكم جهادهم أفضل من جهاد النصارى ، كما هو منصوص عليه في المدونات الكبرى والصغرى .

وبه كتب عبيدكم محمد المختار بن باللعمش .

في خزانة خاصة بخط أحمد يكّن إبن باعثها .

ملحق 87
النص الكامل للرسالة العينية

الحمد لله وحده ، والسلامان على من لا نبي بعده

محبنا الأرضي ، الصفي ، الوفي المتضي ، التقي النقي ، السمي ، السني ، قرة أعيننا ، وثمرة أفئدتنا ، الفقيه السيد أحمد يكن ، رزقنا الله وإياك في الدارين الأمن ، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد إعلامك أن حبك راسخ في الجوارح والخلد ، لا نعدك إلا بمنزلة ما لنا من ولد ، ونطلب لك الحفظ من كل الأسواء كنت في أي بلد ، بل أنت من قدماء الخاصة ، الذين لهم المحبة المتراصة .

وقد ورد علينا كتاب من جهة مرسة الطرفاية السعيدة ، أتى في البابورمع كتب أخر . من عند السلطان ، نصره الله في كل الأوطان ، وها هو عند حامله إن شاء الله .

ولا تنسنا من صالح دعائك ، كان الله لنا ولك في كل الأمور ، مدى الدهور .

ومنا السلام على العشيرة بالتمام ، كل واحد باسمه ، وخالص وسمه ، والله يرزقنا وإياكم ـ جميعاً ـ الحفظ من الظلام ، بجاه علم الأعلام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى المحبة والسلام .

افتتاح ذي القعدة عام 1316 .

وبهامش الرسالة يمنة أعلاها : طابع مستدير بداخله « عبد ربه ماء العينين كان الله له » .

في خزانة خاصة

ملحق 88

معلومات عن حياة عبد الحكيم التونسي في مراكش وطنجة

تكميلاً للتعليق 26 عند ص 312

هو عبد الحكيم بن محمد الأمزوغي : نسبة إلى أمزوغة بنواحي أمزميز من إقليم مراكش ، الملقب بالتونسي لأن والده ذهب إلى تونس ، وبتونس العاصمة ولد له عبد الحكيم هذا الذي لا زالت عائلته إلى الآن بتونس .

قرأ عبد الحكيم دروسه الأولية بتونس ، ثم ذهب إلى مصر ليتابع دروسه بجامعة الأزهر التي التحق بها إلى أن حصل على عدة إجازات من جلة العلماء بها .

قدم إلى مراكش في عنفوان شبابه على عهد خلافة السلطان مولاي عبد الحفيظ بها ، وكان من أبرز رفاقه ومستشاريه ، ثم غادر مراكش والتحق بالسلطان مولاي حفيظ بطنجة ، وله معه عدة صور رآها قديماً كثير من أهل مراكش ، خصوصاً أثناء لعبة « الكولف » التي كان يمارسها مع السلطان المذكور .

ثم قدم إلى مراكش مرة أخرى فآواه المرحوم السيد عبد الخالق بوستة ، وأعطاه داراً بحومة « قاعة بناهيض » ، واشتغل محامياً ، وكان مكتبه بمنزله .

كان طويل القامة ، جميل الصورة ، له عين زجاجية اصطناعية ، وكان يركب بغلاً ، « بغلاً لا حصاناً » .

كان صديقه الوحيد هو فرنسي سياسي اشتراكي اسمه « بابان » الذي كان يقيم بمراكش ، وكان هذا الفرنسي مراسلاً لبعض الصحف الفرنسية بفرنسا .

وكانت له علاقة طيبة مع الناس ، وخصوصاً جيرانه ومعارفه ، وكان يظهر العداوة للحماية رغم أنه كانت له يد طولى عند سلطات الحماية ، وربما كان يرهبه الفرنسيون لصداقته للفرنسي الإشتراكي .

كانت زوجته مغربية بنت الباشا عباس بنداود أحد باشوات مراكش ، ولم يكن له أولاد ، ولذالك تبنّى اطفالاً يُعرفُ منهم الشريف مولاي علي المصلوحي .

كما كان يدافع عن الفقراء بالمحاكم بالمجان ، وكان يمتاز بصراحة القول والإنتصار للحق .

كان صديقاً حميماً للباشا الكلاوي ، إلا أن حادثة أفسدت هذه الصداقة ، وملخص الحادثة أن مولاي علي المصلوحي متبني صاحبنا أنكره إخوته بعد موت والدهم . فتصدى صاحبنا للدفاع عن حق متبناه في المحاكم ، وكان ضلع الكلاوي مع الإخوة الخصوم ، فمنع عبد الحكيم من الترافع بدعوى أنه أجنبي ، فقامت قيامة صاحبنا ، وأدلى بالحجج التي تثبت مغربيته المتأصلة والمستمرة ، مما دفع بالكلاوي إلى أن يحكم بسجنه لمدة ثلاثة أشهر ، ويقولون إن جلسة الحكم على التونسي كانت هي الجلسة الوحيدة الأولى والأخيرة التي تصدى فيها الكلاوي للحكم بنفسه ، وإنما كان ينيب عنه الخلفاء ، غير أن عبد الحكيم لم يهب الكلاوي ، بل إنه رماه أثناء الجلسة بابن الزني أمام الجمهور الحاضر، غير أن الكلاوي ندم على ما فعل ، ثوأطلق سراح عبد الحكيم بعدما قضي في السجن خمسة أيام فقط ، ثم زاره الكلاوي في منزله بعد الإفراج عنه مباشرة ، وحاول استرضاءه ، غير أن عبد الحكيم أبى ذلك . وكرر الكلاوي المحاولة ، واشترى رياها بحومة القصور كان في ملك أحد السياسيين الإنجليز: « هاريس » ، وأراد أن يجعل عقد شرائه في اسم عبد الحكيم ، ولما امتنع هذا الأخير جعل الكلاوي الملكية في إسم زوجة عبد الحكيم .

ويقال إن من أسباب النفرة أيضاً أن « بابان » صديق التونسي كان ينشر مقالات تشهيرية بالكلاوي بالصحف الفرنسية حول معاملة الباشا للسكان .

توفي السيد عبد الحكيم التونسي عشية الجمعة 14 محرم عام 1351 هـ ، وشيعت جنازته ـ صبيحة السبت 15 من الشهر المذكور ـ من منزلة بحيى القصور في محفل رهيب حضره جمهور غفير من أهل مراكش ، ودفن بضريح سيدي عبدالله الغزواني الشهير بـ « مول القصور » .

وبعد موته قدم أخ له من تونس وتزوج بزوجته ، وأخذ كل ما خلفه الفقيد

من أثاث منزلي فاخر جداً ، أغلبه أجنبي الصنع مستورد ، وعاد إلى تونس بزوجته التي يقال أنها ماتت بعد موت زوجها الأول بعامين .

استجواب مع شخصية من مراكش
أنجـزه ـ مشكوراً ـ شفيقـي الأستاذ
عبد العالي المنـــوني خلال شتنبر 1982

ملحق 89
عن مشروع التلغراف اللاسلكي بالمغرب

مضى على مسألة التلغراف اللاسلكي أسابيع خلت فيها الأحاديث عن هذا العمل الذي سيكون في المغرب أشهر ثمرة العلوم العصرية والإختراعات الحديثة. فالتلغراف اللاسلكي غاية تحوم حولها امال التجار والتجارة، وتشوق إليها الأحكام والحكام، وينشدها الصحافي المجتهد في هذه الإيالة التي تعسرت فيها الأنباء على الأقدام، فكيف على الأقلام، وقد نشرت رصيفتنا (الدباش) خلاصة ما تضمنته صورة عقد الشركة التلغرافية المغربية التي وقع عليها سفراء فرنسا وانكلترا واصبانيا وإلمانيا، وهي شركة مساهمة يجوز لكل إنسان أن يساهم فيها وينتفع منها، ولا تفوت فائدتها لمن رغب وتمت عند رغبته الإرادة، وحسبنا أن نقف من مخلص تلك الشروط ما به فائدة القراء، فقد جاء في البند الأول منها أن غاية الشركة استثمار مشروع التلغراف اللاسلكي في المغرب تحت شراكة مساهمة خاضعة لقانون الدولة الفرنساوية، وأن رأس مالها يقسم إلى أربعة أجزاء متساوية، كل جزء يختص بدولة من الدول الأربعة الموقعة على عقد الشركة، وإذا تخلف فريق من المتكتبين عن الإكتتاب، فإن الجزء المختص بالفريق الممتنع يصير توزيعه على المكتتبين بالمساواة. وجاء في البند الثاني أن إدارة الشركة المشار إليها تكون تحت نظارة المسيو هنري بوب، الذي يعين عند مشروع العمل بمثابة مدير عام للشركة، وإن توفي المشار إليه أو استقال لأسباب خاصة، فيخلفه في مركز الإدارة فرنساوي آخر يعينه المسيو بوب في قيد الحياة، بإتفاق مجلس إدارة الشركة الذي يتألف من اثنين عن كل فريق من المكتتبين، ويؤلف لهذه الشركة مجلس شوري يكون له حق في الإدارة وتعيين نائب المدير الذي يتحتم أن يكون من جنسية المكتتبين، ويسمى هذا المجلس بالإتفاق جميع الموظفين بالمساواة، من جميع جنسيات المشتركين بالإكتتاب في رأس المال، ويحفظ حق الإختصاص على معنى الشواذ للموظفين الذين يشغلون المراكز التلغرافية على حدود الإيالة، فيختص بالحدود الجزائرية

المغربية بموظفين إفرنسيين ، وبالحدود الإصبنيولية بموظفين اصبنيوليين .

وجاء في البند الثالث أنه يدفع للمسيو هنري بوب مبلغ مائتين وخمسين ألف فرنكاً بدل النفقة التي صرفها على إنشاء أربعة مراكز تلغرافية في المراسي المغربية ، وهي مركز طنجة والدار البيضاء والصويرة وآسفي ، ويكون دفع هذا المبلغ بعد رفع رأس المال ، وحين استيفاء القدر المنوه عنه تدخل المراكز الأربعة في حوز وملك الشركة المذكورة .

وتخصص الشركة للمسيو هنري بوب شيئاً من الأرباح بصفة مؤسس للمشروع ، يعطي له عند آخر كل عام بالنسبة إلى الأسهم ومقدار الربح .

ونص البند الرابع هو ما يأتي : أنه تتساوى حقوق استحضار الأدوات بين الجنسيات المشتركة ، ولا يسمح باستحضار أدوات من المعامل الإفرنسية إلا بعد أن تستحضر الجنوس الثلاثة أدوات معاملهم لمبلغ يساوي 150 ألف فرنكاً ، قيمة الأدوات التي قبض ثمنها المدير المرقوم ، وبعد ذلك تتساوى حقوق الطلب .

البند الخامس وقد تقرر أنه متى تم التوقيع بين الدول المشار إليهم على نصوص الشركة ، يوقف المسيو هنري بوب تتمة إقامة المراكز التي ابتدأ بها يصير بعدئذ طلب المأذونية من لدن الحضرة الشريفة بوضع التلغراف المشار إليه تحت عرف السمسرة العمومية .

وأشير في البند السادس إلى أمر هام ، وهو أنه إذا لم تنال هذه الشركة إمتياز إنشاء التلغراف اللاسلكي بموجب السمسرة العام ، فيشترط على من ينال الإمتياز أن يدفع ثمن المراكز الأربعة المشار إليها سابقاً ، وقد وقع على هذا الصك كل من سفير دولة فرنسا وأنكلترا وإصبانيا وألمانيا 8 أبريل 1907 .

موضوع الشركة :

إن موضوع الشركة غاية مزدوجة المقصد ، ففضلاً عن أنها خصوصية من حيث المنفعة ، فهي عمومية من الفائدة ، فالشركة التلغرافية المشار إليها تسعى لأن تنشيء

الأعمال التلغرافية وتستثمر مشروعها منها ، ولترويج الإختراعات الفنية وتعميم فوائدها من حيثية الإطلاع عليها وتعليمها للغير وتشغيل المعامل بإنشائها وفائدة العمل مطلقاً بأشغالها ، فضلاً عن أنها ترمي لغايات أسمى وأشرف من كل هذا ، وهي تسهيل سبل نقل الأخبار ومواصلات التجار ، وإفادة الأنباء من وراء البحار ووراء القفار ، ومدة هذه الشركة تكون إلى خمسين عام بعد التوقيع ، ورأس مالها 600,000 ألف فرنكاً مقسوم إلى 1,200 سهم ، كل سهم 500 فرنكاً ، أما ما يقدمه المسيو هنري بوب إلى الشركة التي كان سبب تأسيسها لا أرض في طنجة بناحية السواني ، مساحتها 6,8000 مصونة الجوانب ، ودار مشيدة في الأرض المذكورة صالحة لإنشاء المركز التلغرافي اللاسلكي ، ولسكني الموظفين في الإدارة بطنجة ، وجميع الأدوات اللازمة لإنشاء المركز التلغرافي .

وأرض ثانية في الدار البيضاء على البلاجة جنوباً ، مساحتها 7,500 ودار مشيدة فيها صالحة لإقامة المركز التلغرافي ومكتب المتوظفين وسكناهم ومثل ذلك في أسفي والصويرة ، ثم إن المسيو هنري بوب يقدم للشركة تقاريره الفنية على هذه الأعمال التي درسها درساً مدققاً مما لا يقدر على ذلك غيره ، لما هو مشهور به من المقدرة في هذا الفن والمهارة العظمى ، مع أنه شاب في الثلاثين من سنه ، فنأمل للمشروع رواجاً تحت أنظار الحضرة الشريفة والمخزن السعيد الذي ولا غرو سيكون له فائدة كبرى من هذا العمل المأثور .

جريدة « السعادة » عدد 140 ، السنة الثالثة :
بتاريخ الخميس 8 جمادي الأولى 1325/
20 جوان 1907 : ص 1 .

فهرست الموضوعات

مدخل ..... 15 – 5

ملاحق 1 – 3 ..... 21 – 16

المرحلة الأولى
1905 – 1900

الباب الاول

مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود ..... 30 – 24

ملاحق 4 – 6 ..... 38 – 31

الباب الثاني

مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الاداري

الفصل الأول: محاولات وزارة الحاج المختار

تحليل الفصل الأول ..... 46 – 41

ملاحق 7 – 10 ..... 60 – 47

الفصل الثاني: تنظيمات وزارة المفضل غريط

تمهيد ..... 63 – 61

أ ـ في الجهاز الإداري ..... 64 – 63

ب ـ في التنظيم الجبائي ..... 68 – 64

ج ـ في المواصلات 69

د ـ في قطاع الجيش ..... 70 – 69

هـ ـ إصلاحات اجتماعية ..... 72 – 70

ملاحق 11 – 27 ..... 123 – 73

الفصل الثالث: إتجاه موظف سام حول تصميم الإصلاحات

تحليل الفصل الثالث ..... 125 ـ 129

ملحقان 28 – 29 130 ـ 137

الفصل الرابع: مصير المبادرات الإصلاحية

مقدمة ..... 138 ـ 140

العوامل السبعة التي تظافرت على إفشال معظم المشاريع الإصلاحية 140 ـ 143

ملحق 30 ..... 144 ـ 145

الباب الثالث
نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق
في إطار البعث الإسلامي الحديث

تحليل الباب الثالث ..... 149 ـ 152

ملاحق 31 – 34 ..... 153 ـ 158

المرحلة الثانية
1908 – 1905

مدخل ..... 161 ـ 163

الباب الرابع
الموقف الرسمي من أزمة الصحراء

تحليل الباب الرابع ..... 167 ـ 170

ملاحق 35 – 44 ..... 171 ـ 187

الباب الخامس
الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية

تحليل الباب الخامس ..... 191 ـ 201

ملاحق 45 – 50 ..... 205 ـ 231

الباب السادس
محاولات تجديدية على المستوى الرسمي

الفصل الأول: مشروع لتنظيم المراسلات عن طريق الشفرة
تحليل الفصل الأول 237 ـ 239
ملحق 51 ..... 242 ـ 282
الفصل الثاني: ظهور «لسان المغرب»
كأول جريدة عربية ناطقة بلسان الدولة
تحليل الفصل الثاني ..... 283 ـ 284
ملاحق 52 – 56 ..... 285 ـ 292
الفصل الثالث: ارتباطات مشرقية ومع أوربا
تحليل الفصل الثالث ..... 293 ـ 296
ملاحق 57 – 58 ..... 297 ـ 298

الباب السابع
ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع ق 20

مقدمة 301

الفصل الأول: الروافد الأولى للوطنية المغربية
مدخل ..... 303 ـ 307
تحليل الفصل الأول ..... 307 ـ 317
ملاحق 59 – 61 ..... 318 ـ 328

الفصل الثاني: نماذج من تصاعد الشعور الوطني
تحليل الفصل الثاني ..... 329 ـ 338
ملحقان 62 – 63 ..... 339 ـ 340

الفصل الثالث: مواقف القوى الشعبية
ضدا على التدخلات الاجنبية
تحليل الفصل الثالث ..... 348 ـ 341
ملحقان 64 – 65 358 ـ 349

الفصل الرابع: مبادىء الوطنية المغربية الناشئة
ـ زمرة من أسماء الوطنيين الأولين
تحليل الفصل الرابع 366 ـ 359
ملحق 66 368 ـ 367

الباب الثامن
دور العلماء في النوعية

الفصل الأول: الدعوة للرجوع الى السلفية
تحليل الفصل الأول ..... 385 ـ 371

الفصل الثاني: الدعوة إلى الجهاد
تحليل الفصل الثاني ..... 391 ـ 387

الفصل الثالث: مواقف إزاء قضايا جدت في الاقتصاد المغربي
تحليل الفصل الثالث ..... 395 ـ 393

الباب التاسع
مشروعان دستوريان

تحليل مشروع الدستور السلوي ..... 405 ـ 399
تحليل مشروع دستور الشيخ عبدالكريم مراد ..... 406 ـ 405
ملحقان 67 – 68 ..... 444 ـ 408

الباب العاشر
نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي

تحليل الباب العاشر 451 ـ 449

ملحقان 69 – 70 ..... 452 ـ 458

الباب الحادي عشر
البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية
المركبة على الحروف

تحليل الباب الحادي عشر ..... 461 ـ 466
ملاحظة 466

الباب الثاني عشر
المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت

الفصل الأول: وقائع المقاومة

مقدمة ..... 469 ـ 470
المقاومة في الشاوية ..... 470 ـ 474
المقاومة في تافيلالت ..... 474 ـ 478
ملاحق 71 – 75 ..... 479 ـ 488

الفصل الثاني: دور الأدب في مساوقة ازمة المناطق المحتلة

شعر الزجل ..... 489 ـ 498
الشعر الفصيح ..... 498 ـ 499
رسالتان موضوعيتان 499
ملاحق 76 – 81 ..... 500 ـ 533
ملاحق ختامية 82 – 89 ..... 537 ـ

شكل 1	قبالة ص 20	
شكل 2	قبالة ص 75	
شكل 3	قبالة ص 79	
شكل 4	قبالة ص 91	
شكل 5	قبالة ص 92	
شكل 6	قبالة ص 151	
شكل 7	قبالة ص 153	
شكل 8	قبالة ص 198	
شكل 9	قبالة ص 207	
شكل 10	قبالة ص 212	
شكل 11	قبالة ص 215	
شكل 12	قبالة ص 218	
شكل 13	قبالة ص 221	
شكل 14	قبالة ص 224	
شكل 15	قبالة ص 232	
شكل 16	قبالة ص 240 ـ	241
شكل 17	قبالة ص 243 ـ	244
شكل 18	قبالة ص 247 ـ	248
شكل 19	قبالة ص 251 ـ	252
شكل 20	قبالة ص 255 ـ	256
شكل 21	قبالة ص 259 ـ	260

شكل 22	قبالة ص 263	264
شكل 23	قبالة ص 267	268
شكل 24	قبالة ص 271	272
شكل 25	قبالة ص 275	276
شكل 26	قبالة ص 295	
شكل 27	قبالة ص 235	
شكل 28	قبالة ص 341	
شكل 29	قبالة ص 343	
شكل 30	قبالة ص 407	
شكل 31	قبالة ص 445	
شكل 32	قبالة ص 463	